المستخرج على البربهاري

شرح صدور أهل الملة بذكر ما اعتمد عليه البربهاري من أدلة

[تحقيق وتعليق]

أبو عبيد مروان علي حاجو الجزائري

[مقدمة التحقيق]

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد :

فهذه رسالة مختصرة في بيان أصول أهل السنة والجماعة ، جمع فيها الإمام أبو محمد البربهاري رحمه الله ما أمكنه من الموضوعات المهمة في العقائد ، وذلك في أوجز عبارة ، ونسق فريد من نوعه فهو كتاب تمهيدٍ للمبتدي ، وتذكرةٍ للمنتهي ، وقد سبقه لهذا المنهج الكثير من أهل الحديث ممن ألّف في أصول السنة : منهم ابنُ عيينة والثوري على اختصار شديد منها ، وكتب فيها الشافعي وأحمد بن حنبل والحميدي ، وغيرهم من هذه الطبقة ، ثم الطبقة التي بعدها كالكرماني ، وعبد الله ، وابن شاهين وغيرهم ، ثم الطبقة التي بعدها كابن بطة في الإبانة الصغرى وهو تلميذ للبربهاري ، وقد ضمَّن أغلب كتاب شيخه البربهاري في كتابه ، ومن قارن بينهما وجد ذلك واضحا ، ثم من بعدهم أبو عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث ، وأبو القاسم الأصبهاني في كتابيهما الحجة ، وغيرهم كثير ، وقد جمع كل ذلك بعضهم في كتاب سماه : (**الجامع لعقائد أهل السنة والأثر**) فعدد منها ستين رسالة في أصول السنة .

وتختلف هذه الكتب التي تعتني بأصول السنة وتذكر الأصول باختصار في فقرات ومسائل في أوجز عبارة ، فتكون عادة مضبوطة ، ومحررة بشكل جيد ، والكثير من هذه الكتب كانت جوابا على سؤال ، وغالبا تكون بدون ذكر للأسانيد ، بخلاف كتب السنة التي تتناول الموضوعات بالأسانيد والتبويبات والأدلة والآثار ، ككتاب السنة لعبد الله ، والسنة للالكائي ، والشريعة للآجري وغيرها ، فأصول السنة المختصرة يذكرون فيها ما لا يجوز للسني أن يخالف شيئا منها ولو أصلا واحدا ، وما لو اجتمعت في رجل فهو على السنة ومن خالف شيئا منها ، فقد خالف السنة كلها ولا ينفعه ما عتقده في سائرها ، ويدخل

بذلك في البدعة ، ومخالفة الجماعة ، ولهذا فهذه الكتب هي من الأهمية بمكان ، فيجب الإعتناء جدا ، فمن أهملها فهو على وشك الزيغ والضلال والله المستعان .

وكان القصد من وراء التحقيق والتعليق على هذا الكتاب عدة أسباب :

الأول : أن أغلب الشروحات المطبوعة إنما هي دروس استفرغت ، ومعلوم أن هذا النوع من المطبوعات يكثر فيها الكلام وقلة تحرير المسائل وقلة الأدلة والآثار مما يقلل جدا من فائدة الكتاب.

ثانيا : أن تعليقاتي لا تعتبر شرحا ولا تحقيقا ، إنما هي استخراج الأدلة والآثار التي اعتمد عليها البربهاري في كتابه حين قال كما في الفقرة (١٠٤) : **وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب، فهو عن الله، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه وعن التابعين، والقرن الثالث إلى القرن الرابع**) اهـ فعلمت على هذا المقولة مستخرجا ، يشبه كتاب (**تغليق التعليق**) على البخاري ولهذا كان يحسن إخراجه ونشره حسب رأيي .

ثالثا : مما أمجه ـ صراحة ـ أن يكون المتنُ من أعلاه كلاما ، وفي الحاشية كلامًا مثله **!!** وهذه هي حالة أغلب الشروحات المطبوعة ، وكان من المفروض خدمة النص بالوحي والأثر .

رابعا : كثرة الإعتراضات على الكثير من فقرات هذا الكتاب بقول الشراح وطلبة العلم (**هذه لا دليل عليها !**) (**وهذه رأيٌ من المؤلف !**) ونحو هذه التعليقات الغريبة ، التي يتنزه عنها أبو محمد البربهاري ، فالرجل صاحب أثر لا يَرَى ، فكان من الضروري استخراج الأدلة التي اعتمد عليها المؤلف وبيانها للمعترضين لينجلي الأمر لطلبة العلم ، فيزول التشكيك في مصداقية هذا الكتاب .

خامسا : كثرة الطعون على هذا الكتاب في نسبته ومادته ومؤلفه ، بسبب نصوص ذكرها فكان الواجب أن ندافع عنه بالأثر لإسكات هؤلاء المشاغبين ، وبيان أن البربهاري ، ليس

سوى متبعا .

سادسا : أن أغلب شراح هذا الكتاب والتي طبعت هم من المرجئة والمخلطين .

وقد سميت هذا التعليقة الأثرية بـ (**المستخرج على البربهاري**) وهذا اصطلاحا منِّي لا اتباعا للإستعمال المعروف ، فلا يصلح أن يُعترض عليَّ بالإصطلاح على اصطلاح مثله فهو باب واسع إن شاء الله ، وهو عنوان مختصر لعنوانه الكبير (**شرح صدور أهل الملة باستخراج ما اعتمد عليه البربهاري من أدلة**) وذلك أني استخرجت الأدلة من الوحي والأثر تحت كل فقرة من هذا الكتاب ، فأرجوا أن يجعله الله خالصا لوجهه الكريم وينفع به أهل التوحيد والسنة وأهل الأثر ، وأن يجعله ذخرا لي يوم ألقاه ، إنه القادر على ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

[فصل ترجمة مختصرة للبربهاري]

اسمه ونسبته :

هو أبو محمد الحسن ابن علي بن خلف البربهاري بفتح الباء الموحدة ، وسكون الراء المهملة أيضاً وفتح الباء الثانية أيضاً ، والراء المهملة أيضاً بعد الهاء والألف . هذه نسبةٌ إلى بربهار ، وهي الأدوية التي تجلب من الهند .

مولده :

ولد المؤلف رحمه الله سنة **٢٥١ هـ**

شيوخه :

أكثر المترجمين له لم يعثروا إلا على شيخين له هما : **المروذي ، وسهل التستري** .

وأضيف أنا زيادة على ما لم يذكره ممن ترجم له ، منهم :

نفطويه النحوي : أبو عبيد الله ابراهيم بن عرفه بن سليمان بن المغيره بن حبيب ابن المهلب بن أبي صفره الأزدي النحوي ، وقد صلى عليه البربهاري لما مات فالظاهر أنه

جالسه وأخذ منه اللغة .

فتح بن شخرف بن داود بن مزاحم أبو نصر الكشي .

تلاميذه :

من وقفت عليه هم : ابن بطة ، وأبو علي النجاد ، وأبو الطيب المعلم ، وأبو بكر محمد بن محمد بن عثمانٍ المغربيّ ، وأبو الحُسين بن سمعون ، وأبو حفص أحمد البرمكي ، وذُكِرَ أن الدارقطني حضر مجالسه كما في تاريخ بغداد وطبقات الحنابلة ترجمة أحمد بن صالح بن أحمد بن حنبل ، ومنهم أحمد بن كامل بن شجرة أبو بكر راوي هذا الكتاب عن المؤلف .

مكانته وهيبته والثناء عليه :

لقد كان الإمام البربهاري رحمه الله إماماً مهيباً قوّالاً بالحق ، داعيةً للسنة ولاتباع الأثر ، له صيتٌ عند السلطان وجلالة ، وكان مجلسه عامراً بحلق الحديث والأثر والفقه ، يحضره كثيرٌ من أئمة الحديث والفقه .

قال أبو عبد الله بن بطة وهو تلميذ لمؤلفنا : إذا رأيت البغدادي يحبُّ أبا الحسن بن بشار ، وأبا محمد البربهاري فاعلم أنَّ صاحب سنة .

وقال ابن أبي يعلى : شيخ الطائفة فِي وقته ومتقدمها فِي الإنكار عَلَى أهل البدع والمباينة لهم باليد واللسان وَكَانَ لَهُ صيت عند السلطان وقدم عند الأصحاب وَكَانَ أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول المتقين والثقات المؤمنين.

وقال الخطيب عنه : رئيس الحنابلة . .

وقال ابن الجوزي : جمع العلم ، والزهد ، وكان شديداً على أهل البدع .

وقال ابن كثير : العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ ... وكان شديداً على أهل البدع والمعاصي ، وكان كبير القدر تعظّمه الخاصة والعامة .

قال الذهبي : أبو محمد البَرْبَهاريّ الفقيه العابد ، شيخ الحنابلة بالعراق ، كان شديداً على

المبتدعة ، له صيت عند السلطان وجلالة ، وكان عارفًا بالمذهب أصولًا وفروعًا.

وقَالَ أبو بَطين النجديّ : البربهاريّ شيخُ الحنابِلةِ في وقته .

وقال حمود التويجري : الإمام ، شيخ المنابِلة في وقته ، ومن المشهورين بمعرفة الآثار، والإنكار على أهل البدع ، ومن الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحد رحمه الله تعالى .

وفاته :

لمْ تزل المبتدعة تُوحِش قلبَ السلطانِ عليه ، حَتّى نُوديَ فِي بَغدَاد : ألاَ يَجْتَمِع اثْ نَانِ مِنْ أَصْحَابِ البَرْبَهَارِيّ ! فَاخْتَفَى ، وَتوُفِّيَ مستتراً فِي رَجَبٍ سَنَة ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاَثِمائَةٍ (**٣٢٨**) ، وقيل بل توفي سنة تسع وعشرين (**٣٢٩**هـ).

محنته :

ذكر أصحاب التراجم محنته والفتنة التي مر بها وملخصها هو : أنه امتحن هذا الإمام كما امتحن الصالحون من قبله ، فقد كانت المبتدعة تغيظ قلب السلطان عليه ، ففي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في خلافة القاهر ووزيره بن مقلة تقدَّم بالقبض على البربهاري ، فاستتر ، وقبض على جماعةٍ من كبار أصحابه وحملوا إلى البصرة ، فعاقب الله ابن مقلة على فعله ذلك بأن أسخط الله عليه القاهر بالله وهرب ابن مقلة ، وعزله القاهر عن وزارته وطرح في داره النار ، ثمَّ قبض على القاهر بالله سنة ٣٢٢ هـ وحبس وخلع من الخلافة ، وسمرة عيناه حتى سالتا جميعاً فعمي .

ثم جاء الخليفة الراضي ، فلم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي حتى نودي في بغداد ألاَّ يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان ، فاستتروا ، وكان ينزل بالجانب الغربي بباب محول فانتقل إلى الجانب الشرقي مستتراً ، فتوفي في الاستتار في رجب سنة ٣٢٩ هـ وله ستٌّ وتسعون سنة ، وقيل بل عاش سبعاً وسبعين سنة ، وكان في آخر عمره قد تزوج بجارية .

قصته مع أبي الحسن الأشعري (الجهمي) :

قال ابن أبي يعلى في طبقاته (١٨/٢) : قرأت عَلَى علي القرشي عن الحسن الأهوازي قَالَ: سمعت أبا عبد اللَّه الحمراني يقول: لما دخل الأشعري إلى بغداد جاء إلى البربهاري فجعل يقول: رددت عل الجبائي وعلى أَبِي هاشم ونقضت عليهم وعلى اليهود والنصارى والمجوس وقلت لهم وقالوا وأكثر الكلام فِي ذَلِكَ فلما سكت قَالَ البربهاري: ما أدري مما قُلْتُ قليلا ولا كثيرا ولا نعرف إلا ما قاله أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أحمد بن حنبل قَالَ: فخرج من عنده وصنف كتاب " الإبانة " فلم يقبله مِنْهُ ولم يظهر ببغداد إلى أن خرج منها.

[وذكرها في تاريخ الإسلام (٥٧١/٧) والصفدي في الوفيات (٩١/١٢) وهو بنصه في رسالة أبي علي الأهوازي (المثالب) (ص١٥٧) منشورة في مجلة الدراسات المشرقية بالمعهد الفرنسي في دمشق ، عدد٢٣، ١٩٧٠م (ص١٢٩-١٦٥) بتحقيق ميشيل ألارد وقد أعاد إخراجها وتحقيقها الأخ إبراهيم بن رجا الشمري ، ووقفت عليها مؤخرا فقط].

(**قلت**) وهذه القصة أزعجت جدا الجهمية والأشعرية ومن تأثر بهم ، فأكثروا فيها الكلام والطعن ووصفوا الأهوازي بكل قارعة حتى يتخلصوا منها !! وما أدري ماذا سيفيدهم ذلك في تبرئة الأشعري من اعتزاله وجهميته ، وقد فضحه أيضا السجزي والهروي ؟؟ والأهوازي كلامه هذا ذكره في كتابه (**مثالب ابن أبي بشر**) يعني به الأشعري فنسبه لجده لأمه على طريقة العرب إذا أرادت الإحتقار نسبت الشخص لجده من جهة أمه ، وكان جده يهوديا ، وكما قال أحمد عن جهم وكان أبوه يهوديا (**من كان أبوه يهوديا ما يجيئك منه !!**) أو كما قال ، فما أشبه الأشعري بالجهم بن صفوان **!!** فلهذا اغتاض من هذا الكتاب حتى كاد يتمزق أنفه غيضا ، ذاك ابن عساكر الجهمي المقيت الذي اغتر به من اغتر من المتأخرين **!!** فألف كتابه (**تبيين كذب المفتري**) ردا على هذا الكتاب للأهوازي ، وكل من تكلم في ترجمة الأهوازي من الأشاعرة غمزه بالكذب فقط لأجل

هذه القصة تعصبا للأشعري ، كذاك الخطيب وغيره ، ولم يكن مُكذَّبا قبل ذلك ، بل أثنوا على حفظه كما قال ابن المبرد : رَأَيْتُ بِخَطِّ ابْنِ الْمُحِبِّ : الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزْدَادَ الْمُقْرِئ ، نَزِيلُ دِمَشْقَ فَقَدْ وَصَفَهُ هَذَا الْحَافِظُ بِخَطِّهِ بِالْفِقْهِ وَالْقِرَاءَةِ) اهـ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ : أَبُو عَلِيٍّ الأَهْوَازِيُّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُقْرِئُ الْمُحَدِثُ مُقْرِئُ أَهْلِ الشَّامِ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيفِ) اهـ

وقد تصدى للرد عليهم يوسف ابن عبد الهادي يعرف (بابن المبرد) في كتابه (**جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر**) وبين غلوّهم في الرد على الأهوازي الذي فضحهم بمثالبه ، ودافع عن الأهوازي في وصفه بالجهل والكذب ، ونحن وإن كنا لا نرضى بما نسب إلى الأهوازي من مذاهب رديّة الله أعلم بصحتها ، فإني أشك في كثير منها ، وذلك لأنه كان كتابه شديدا جدا في فضح الأشعري ، وبيان كفره وزندقته وأنه معتزلي المعتقد ، فلا يخلو من هذا كتابه ورده أن يكذبوا عليه ، ولهذا فإنا لا نصفه بما ليس فيه ونرد حديثه ومروياته جزافا ، ونقبل روايته عن البربهاري ، ونغيض بكتابه الجهمية الأشعرية ولي كتاب منشور في القناة هذا الصدد باسم (**فضائح أبي الحسن الأشعري**) راجعه ففيه العجائب المطوية .

فصل :**في الرد على من طعن في البربهاري** :

قال ابن بطة : إذا رأيت الرجل البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار ، وأبا محمد بن البربهاري فاعلم أنه صاحب سنة ".[تاريخ بغداد (٦٧/١٢) وطبقات الحنابلة (٥٨/٢)]

(**قلت**) يعني بمفهوم المخالفة من أبغضه أو طعن فيه فهو صاحب خلاف للسنة .

ولسان حال البربهاري يقول :

إِذَا مَحاسِنِيَ اللاَّئِي أُدِلُّ بِها ... كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَعادِنِها ... ومَا عَلَيَّ لَهُم أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ

فشدة البربهاري على أهل البدع قد تعدَّت زمانه ، ووصلت إلينا ، وأزعجت الكثير ، ولا زالت تفضح المنافقين والمرجئة والجهمية إلى يومنا هذا ، فقد صدق من قال عن البربهاري أنه **محنة !!** فسبحان من جعل ميزان حسناته لا يتوقف من جهتين :

من جهة نشره للعلم في كتابه هذا الذي تُلقيَ بالقبول بين الناس وأهل العلم وطلبته ، فلا زال الناس يتدارسونه بين شارح ومعلق ومحقق .

ومن جهة : تصدق أعداءه بحسناتهم عليه ـ إن كانت لهم حسنات ـ **!!** ومن العجب أني لم أجد من أئمة السنة من الحنابلة خاصة ممن تعرض للطعونات في سائر الأزمنة كما تعرض إليه البربهاري ، ويكأنه مجرم خطير **!!** ومن رأى كثرة المتكلمين فيه ، يخال ـ إن كان لا يعرفه ـ أنهم يقصدون الجهم بن صفوان أو نحوه **!!** فماذا ينقمون عليه سوى السنة والشدة على أهل البدع والضلالة ؟؟

طعن الكوثري :

وهو معروف بطعونه في أهل السنة عموما ، وقد طعن في ظهر البربهاري كما في تعليقه على كتاب تبين كذب المفتري (ص٣٩٢) قال عن البربهاري : بأنه مثير للفتن وبعيد عن العلم ، وأن أصحابه غوغاء من العامة وأبوباشها) اهـ

ويكفي جوابا عليه أن تعلم أنه جهميٌ زنديق ، معروف بعداوته لأهل الحديث والسلف عامة وما البربهاري إلا واحد من ألاف المحدثين ممن طعن فيهم وكفرهم هذا الخبيث .

طعن الألباني :

قال عن البربهاري : البربهاري متكلم فيه من **حيث الصفات !!** وهو يثُنَي عليه من حيث أنه كان يحارب المبتدعة ، وكان يتمسك بالسنة وبالعقيدة السلفية ، لكن في كثير من أمثال هؤلاء **غلو وتطرف !!** " اهـ [(سلسلة الهدى والنور (١٤/٨٧)]

(**قلت**) سبب قوله هذا لأن له مخالفة للسلف في كثير من الصفات وتجهمه في هذا الباب

حيث يقول فيها بمذهب يوافق الجهمية ، وقد أزعجه البربهاري حين أثبت الصفات التي ينكرها هو كحديث (**صورة الرحمان**) وحديث (**رأيت ربي في أحسن صورة**) وأثر (**مجاهد في الإجلاس**) وغيرها مما أثبته البربهاري على طريقة السلف فقال " **وكل ما سمعت من الآثار شيئاً مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خَلَقَ آدم على صورته... وأشباه هذه الأحاديث فعليك بالتسليم والتصديق .. فمن فسَّر شيئاً من هذا بهواه أو ردَّه فهو جهمي.**" وسيأتي خلال التعليق التوسع في الرد على الشبهات حول بعض أحاديث الصفات والتي خالف فيها ذاك الألباني .

ويكفي البربهاري بياناً لمنزلته ثناء أهل العلم المتقدمين عليه ، واحتفاء غير واحد من شيوخ الحنابلة وغيرهم برسالته ، ولم يطعن أحد من علماء السنة الأوائل في معتقده في باب الصفات ، بل الوارد عن أئمتنا الأخيار ، وعلمائنا الأبرار ، يوافقه ويؤكده ، والدليل على ما قلته في أن سبب طعن الألباني في البربهاري هو مخالفة الألباني في بعض الصفات ، أنه تكلم في الدارمي بنفس العلة .

فقال في الدارمي : لا شك في حفظ الدارمي وإمامته في السنة ، ولكن يبدو من كتابه الرد على المريسي ، **أنه مغال في الإثبات** "!! [التعليق على التنكيل (١/ ٣٤٩)].

وطعن بنفس العلة في ابن بطة : فقال فيه : تجلى لي أن ابن بطة من الحنابلة الذين عندهم شيء من **الغلو في إثبات الصفات** ." [الهدى والنور ٨٧]

وغمز في الطبري بسبب أثر مجاهد في الإجلاس فقال ونقل كلام القرطبي مؤيدا له مقرا عن الإمام الطبري وقوله بأثر مجاهد: " وعَضَّد الطبري جواز ذلك **بشطط من القول** ، وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى **وفيه بعد** .. [مختصر العلو ١٨]

فالخلاصة أن العلة واضحة وهي مخالفته للسلف في كثير من الصفات ، وإذا تبين السبب بطل العجب !!

طعونات حسن المالكي وفرخه المقبالي :

حسن المالكي هذا أحد الجهمية معاصر ، له طعونات كثيرة في البربهاري بالكذب عليه والبهتان والتزوير ، ولا يمكن التعرض لكل شبهاته وإنما جمعت ضلالاته في كتاب (**قمع الدجاجلة الطاعنين في معتقد أئمة الإسلام الحنابلة**) وكتاب (**الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي**) وكلاهما في الرد على هذا الدجال ، وفي كشف أباطيله ، وأعطيكم مثالا لتعرفوا مدى خبث هذا الأشعري الجهمي ، فقد نسب حديثا موضوعا للبربهاري ، أنه رواه وهو حديث (**عرق الخيل**) وأنه الله خلق نفسه من ذلك تعالى الله عن هذه الأكاذيب التي وضعتها الزنادقة ، والتي قال عنها ابن المبارك رحمه الله : (**هذه الأحاديث من وضع الزنادقة كحديث عرق الخيل وزغب الصدر ، وقفص الذهب ، وعيادة الملائكة قَبَّحَ الله مَنْ وضعها**) فاتهم هذا الكذاب المؤلف بهذه الأسطورة وبالتجسيم !! ومثلهم قال أحد جهمية هذا العصر رجل مخرف اسمه سعيد فودة ، وهو يقول عن البربهاري مجسم ! وهذا لجهميته في المعتقد .

ثم تبعه على هذا الطعن ـ مقلدا لهم ـ رجلٌ يُدعى بالمقبالي جهميٌ آخر ، طعن فيه بسبب هذا الحديث الموضوع الذي أُلصق بالبربهاري رحمه الله كذبا ، وهما كذابون دجاجلة في ذلك ، وإنما نسب هذا الحديث للأهوازي واسمه أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأَهْوَازي ، إنْ صحَّ ذلك عن الأهوازي ، فاشتبه اسمه باسم البربهاري فخلط هذا الدجال المالكي بينهما وتعمد ذلك ، لأنهم يحاولون كالعادة أن يجدوا أي فرية يلصقونها بأهل الإثبات ، ثم يفتضحون من قريب .

طعن يحيي الحجوري :

قال ذاك المرجئ كما في مقطع نُشر له على اليويتوب ، أن البربهاري عنده نزعة تكفيرية !! وهذا يذكرني بما رواه الخلال في السنة أن الإمام أحمد قال : بلغني أن أبا خالد وموسى بن

منصور وغيرهم يجلسون في ذلك الجانب ، فيعيبون قولنا ، ويدعون إلى هذا القول ألا يقال : مخلوق ولا غير مخلوق ، ويعيبون من يُكَفِّرْ ، **ويزعمون أنا نقول بقول الخوارج** !! ثم تبسم أبو عبد اللَّه كالمغتاظ ، ثم قال : **هؤلاء قوم سوء** ".

والجواب : أين وجدت ذلك يا مخذول ؟؟ ولكني أخبرك كيف : وذلك لما قال البربهاري أن من يخالف السنة فقد كفر ومن خالف الصحابة في الدين كفر وكفر بعدة نواقض مذكروة في الكتاب لا يجرء هذا المرجئ أن يكفر بها لتمييعه باب التكفير ، أخذ منها أن البربهاري تكفيري يكفر بغير مكفر !! طيب ، سأعرض عليك شيئا مما نظن أنك جعلته في قائمة التهمة ، قال ابن عمر (**من خالف السنة كفر**) وهو قول مكحول أيضا ، فما كان جوابك عن هذه ، فهو جوابنا عن كلام البربهاري ، فافهم يا طعان ولا تهرول بجهلك على السلف ، وإن كان أزعجك ، أنه كلما ذكر شيئا عطلته الجهمية فرماهم بالكفر ، فلهذا لأرجاء فيك ، فماذا نفعل معك ؟

طعن سعود الفنيساني :

بلغني أن هذا الأحمق طعن في البربهاري بسبب النصوص التي ذكرها البربهاري في عدم الخروج وطاعة السلطان ونحوها !! ومجرد حكاية هذا السبب يكفي فضيحة له ، ثم تجده بعد ذلك يدافع عن سيده قطب !! فعلمنا حينها من أين جاءته هذه اللوثة الخارجية والجرثومة الخبيثة .

طعن أحمد النجمي :

لما قال البربهاري في معرض كلامه عن النهي عن سبِّ الصحابة والدخول فيما زلوا فيه وقال (لقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ما سيكون منهم ولم يقل إلا خيرا) قال النجمي في شرحه على الكتاب : هذا لا يعتقده إلا أصحاب **العقائد المنحرفة** !! فقد نفى الله عن نبيه علم الغيب !! .

فنقول جوابا لهذا الطاعن : ألم تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قد علمه الله تعالى ماذا سيحدث من فتنٍ بعده إلى يوم القيامة كما ثبت في عدة نصوص كثيرة ؟؟ أو لم تقرأ عن الخطبة التي خطب بها النبي صلى الله عليه وسلم سائر اليوم ، وذكر فيها ما سيكون من فتن وتفاصيلها حتى انتهى اليوم وهو يحدثهم عنها ، فحفظ من حفظ ونسي من نسي ؟ وكان أبو هريرة يحفظ منها الكثير ويخاف بثها ، والنصوص كثيرة سنذكرها في التعليق وسياتي في التعليق على هذه الفقرة في الكتاب مزيد تفصيل وجواب أكثر .

طعن محمود الحداد :

لا أبالغ إن قلتُ : إن أشدَّ ما قرأتُ من الطعونات على البربهاري رحمه الله ، كانت من محمود الحداد !! فإنه لما علق على شرح السنة للبربهاري صوتيا ذكر عند شرح عبارة البربهاري في مسألة صحبة الفاسق ، **عند الفقرة رقم (١٣٩) علق قائلا** : **هذا كلام ساقط جداً من نوع كلام المرجئة !!** و ما رأيت أسقط منه لا للمؤلف ولا لغيره وما أدري من أين له هذا ؟! وهذا الكلام يخالف إجماع أهل السنة ، وما زلت في عجب من المؤلف **حتى ألقاه بين يدي الله عز وجل** فأقول له : من أين لك بهذا ؟ ولا أغالي إذا قلت : **إن هذا نوع من الإرجاء حديث** قد وقع فيه المؤلف من حيث لا يدري. و يدعي أن هذا من الإجماع !! وأن من ترك حرفًا من كتابه ففيه وفيه ! **فالمقصد أن هذا نوع من الإرجاء** ما أدري كيف وقع فيه المؤلف ، ولا يزال عجبي لا ينقضي من المؤلف **ولا أعلم له فيه سلفاً أبداً إلا المرجئة !!** والمؤلف **ما أدري ماذا أصابه** حينما يقول : (فأصحبه وأجلس معه فإنه لا يضرك معصيته) **هذا كذب عظيم !! وهذا جهل عظيم !!** ما أدري كيف يقع في مثله المؤلف) اهـ

[كلامه بالنص نقلته من الشرح المسجل وهو مستفرغ الآن في كتاب] .

(**قلت**) وهذا طعن خطير ، يحتوي على **التبديع والتكذيب والتجهيل والتوعد !!**

ولا أريد تكرار الجواب على هذا الطعن ، فالجواب بالتفصيل مذكور في خلال هذا الكتاب عند في حاشية التعليق بفقرة (١٣٩) بإذن الله **راجعه لزاما** هناك .

وملخص هذه الطعون هي :

اتهامه مرة بعقيدة الخوارج ، وتارة بالإرجاء ، وأخرى بالتشبيه ، أو بتعبير آخر الغلو في الإثبات **!!** وتارة بالكذب عليه أو تكذيبه ، واتهامه بإثارة الفتن والشبهات ، أو بمخالفة السلف **!!** وهذا من العجائب ، فلم أر من تعرض لكل هذه الطعونات المتناقضة فير غير البربهاري رحمه الله **!!**

وفي الختام : أقول لو كانت هذه الطعونات بحق لما حركنا ساكنا ، ولا انتصرنا لظالم ، لكن كانت بباطل وظلم ، ولهذا أُذَكِّرُ الطاعنين بما جاء في الحديث القدسي **(من عادى لي وليا آذنته بالحرب)** .

وقد ذكر ابن الجوزي كرامة عجيبة للبربهاري في المنتظم (٦/٣٢٣) : قال شيخنا أبو الحسن ابن الزاغوني وكشف عن قبره بعد سنين وهو صحيح لم يرم وظهرت من قبره روائح الطيب حتى ملأت مدينة السلام.

وقال الطبري في تاريخه (١١/٢٩٥) : وأصحابه يذكرون عنه صلاحا كثيرا ، **وأضداده** يذكرون خلاف ذلك) اهـ .

وذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة قال : (حدثني محمد ابن الحسن المقري قال : حكى لي جدي وجدتي قالا : كان أبو محمد البربهاري قد اختبأ عند أخت توزون بالجانب الشرقي في درب الحمام في شارع درب السلسلة فبقي نحواً من شهر فلحقه قيام الدم فقالت أخت توزون لخادمها : مات البربهاري عندها مستتراً انظر من يغسله ؟ فجاء بالغاسل فغسله ، وغلَّق الباب حتى لا يعلم أحد ووقف يصلي عليه وحده فطالعت صاحبة المنزل فرأت الدار ملأ رجالاً عليهم ثياب بيضٌ وخضر ، فلَّما سلَّم لم تر أحداً ، فاستدعت الخادم ، وقالت يا حجام : أهلكتني مع أخي فقال يا ستي ما رأيت ؟

فقالت نعم ، فقال : هذه مفاتيح الباب وهو مغلق فقالت : أدفنوه في بيتي فإذا مت فادفنوني عنده) اهـ (**قلت**) فاحفظوا ألسنتكم من الكلام في السلف .

فصل في صحة نسبة الكتاب للبربهاري :

شكَّكَ بعضُ منْ يتزعَّم العلم ـ وَهْمًا ـ في صحَّة نسبة الكتاب للبربهاري وقالوا أيضا ليس له إسناد ، مع أنّ جلَّ من ترجم للبربهاري نصوا على أن له كتابا في " **شرح السنة**" :

ـ فقد ذكره القاضي أبو يعلى في العدة (٨٤/١) ونقل منه أشياء ، وتكفي هذه حجة .

ـ وأورد ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١٨/٢-٤٣) هذا الكتاب بنصه خلا بعض المواضع اليسيرة جدا منه ، وقال في مطلع سياقه لما تضمنه هذا الكتاب : صنف البربهاري مصنفات منها : " **شرح كتاب السنة**" ، ذكر فيه : واحذر صغار المحدثات ..." إلى آخر الكتاب.

ـ نقل عنه ابن تيمية في كتابه بغية المرتاد (ص٢٥٨) حيث قال : وذكر عن أبي محمد البربهاري أنه قال ليس العقل باكتساب ، إنما هو فضل من الله ".

– نقل عنه أيضا الذهبي في العلو (ص٢٤٤) مختصره من المسألة رقم (١٣) وما بعدها في كتاب أبي محمد البربهاري.

– أورد قسما كبيرا من هذا الكتاب أو شيئا منه تبعا لابن أبي يعلى أبو اليمن العليمي في المنهج الأحمد " (٢٧/٢-٣٧) وابن العماد الحنبلي في الشذرات (٣١٩/٢-٣٢٢) والذهبي في تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٢١ - ٣٣٠ هـ / ص ٢٥٨) وفي سير أعلام النبلاء " (٩١/١٥) وغيرهم كثير ممن نقل عنه ونسبه إليه كابن مفلح في كتابيه الآداب والفروع وابن رجب في شرحه على البخاري وشرح علل الترمذي والعسقلاني في الفتح وصاحب الكوكب المنير ، والمرداوي وابن المبرد والسفاريني وابن عبد الوهاب وغيرهم فالكتاب قطعا – والحمد لله – للإمام البربهاري.

شبهة : قالوا الكتاب نسب لرجل اسمه (أبي عبد الله أحمد بن محمد بن غالب الباهلي **غلام خليل**) ووجد ذلك مكتوبا على طرّة أحد المخطوطة التي بالمكتبة الظاهرية **!!** وقد انطلت هذه الشبهة على الكثير ، فلهذا سأطنب في ردها .

فالجواب : للرد على هذه الشبهة أقول :

أولا : غلام هذا **كذاب دجال** ، كما جاء في سؤالات الحاكم للدارقطني (١٥) والسلمي في سؤالاته (٦٤) وسؤالات الآجري لأبي داود (٦٠٤) والمجروحين (١/١٥٦) وكان أبو داود يصفه بالدجال .

(**قلت**) كيف يُنسب مثل هذا الكتاب العظيم لمثل هذا الكذاب على الشرع **!!** الذي أقر بالوضع والكذب على نفسه ، والذي لما مات لم يصل عليه أبو داود ؟؟ وقال أبو نعيم عن ورعه أنه لا شيء !! .

ثانيا : هل نترك كل من قدمنا ذكره ممن نسب الكتاب للبربهاري ونقل منه ، لطرة في مخطوط !!

ثالثا : أن الرسالة نفسها تنفي نسبتها إلى غلام خليل : جاء في الرسالة ما نصه : (**جميع ما وصفتُ لك في هذا الكتاب فهو عن الله تعالى ، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه رضي الله عنهم ، وعن التابعي رحمهم الله تعالى ، والقرن الثالث إلى القرن الرابع**) فالبربهاري توفي سنة ٣٢٩ هـ بينما توفي غلام خليل ٢٧٥ هـ فهو لم يدرك أصلا القرن الرابع !!

رابعا : أن الكتاب (**شرح السنة**) له نَفَسٌ حنبلي ومليءٌ بتتبع مذهب أحمد وأقواله وترجيحاته كما هي عادة الحنابلة ، أما غلام خليل لا يعرف بالإنتساب للحنابلة حتى يقال الكتاب له ، ولم يذكر أحد من الحنابلة وممن صنف في طبقات وتلاميذ أحمد أن من أصحابهم هذا الرجل .

خامسا : لم يذكر أي أحد ممن ترجم لغلام خليل هذا أنه كتب أو ألف كتابا ، أو صنف شيئا إنما تجد في ترجمته فقط التكذيب والتضعيف والجرح ، إلا الأصبهاني التيمي وهو متأخر (٥٣٥ هـ) وَهِمَ وذكر أن غلام خليل هذا صنَّف في السنة ، وذكر أنه من أصحاب أحمد !! وهذا وهْمٌ فاحشٌ لم يتابعه عليه أحد ، فغلام خليل هذا كان من المتصوفة لا علاقة له بالعقيدة والحديث ، ولا بالحنابلة بل له أقاويل فيها زندقة منها أنه أنكر محبة الله **وقال هي بدعة** !! وأيضا غلام خليل يتصوف ويتكلم بكلام أصحاب الخطرات والوساوس ، وهذا العلم بدعة ، وفي كتاب شرح السنة التحذير من ذلك وتبديع من اشتغل بهذا التصوف !! ، وحكى عنه ابن الجوزي في كتاب القصاص أفعال شنيعة في الصفات ، ولما مات ، بَنَوْا أصحابه عليه قبة !! كما في ترجمته ، أفهذا يكون ألف شرح السنة !! أو يكون من أصحاب الإمام أحمد !!؟ أو يفهم في معتقد الإمام أحمد وأهل الحديث حتى يكتب شرح السنة ويتقنها ويجيد !! على أن الأصبهاني التيمي لم يقل أن له كتابا اسمه "**شرح السنة**" بل كان يقول ممن أظهر معتقده فلان وفلان وذكره معهم ، فليس في هذا حجة لمن اغتر بهذا الكلام ـ إن صح ـ على كل حال !!.

سادسا : جاء في شرح السنة للبربهاري (والمحنة في الإسلام بدعة وأما اليوم فيمتحن بالسنة لقوله إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم ولا تقبلوا الحديث الا ممن تقبلون شهادته فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته)) هذا الكلام يستبعد صدوره من رجل يرى جواز الكذب في الحديث ولا يستحي من أن يصرح بكذبه ، مثل غلام خليل !! .

سابعا : لما توفي غلام خليل كان سنُّ ابن كامل **١٥** سنة ، لأنه ولد سنة **٢٦٠هـ** بينما توفي غلام خليل (**٢٧٥هـ**) فاحتمال أن يكون أحمد بن كامل عن البربهاري الذي عاصره مدة طويلة أقوى من أن يكون يروي عن غلام خليل وهو غلام صغير .

ثامنا : وجدتُ نصَّ كلام السلطان الجهمي المتشيع الذي توعد البربهاري وأصحابه بالقتل والتشريد وفرّقهم حتى مات البربهاري متسترا ، والنص يدل على بعض مواضيع كتاب شرح السنة لبربهاري ، فكأن الكتاب انتشر ووقف عليه هذا السلطان ، وأنكر عليهم مواضع ذكرها في الكتاب ، فجاء في كتاب التاريخ (**تجارب الأمم**) لمؤلفه أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى ٤٢١هـ) لما ذكر البربهاري وقصته من الحاكم ثم قال ما نصه : وخرج توقيع الراضي بالله إلى الحنبليين بما نسخته : وقد تأمّل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة **عن مذهب صاحبكم** ، فوجده كإبليس اللعين يزيّن لحزبه المحظور ويدلّى لهم حبل الغرور ، فمن ذلك : تشاغلكم بالكلام فى ربّ العزّة تباركت أسماؤه ، وفى نبيّه والعرش والكرسىّ ، وطعنكم على خيار الأمّة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الكفر والضلال ... وإنكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم ، وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع ... لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوّج طريقتكم ليوسعنّكم ضربا وتشريدا وقتلا وتبديدا وليستعملنّ السيف فى رقابكم ..) اهـ .

(**قلت**) وفي ذكره للكرسي والعرش وأنه أزعجهم بذلك سببٌ مهمٌّ ، هو ما ذكره ابن أبي يعلى في طبقاته عند ترجمته قال : وسمعت أخي القاسم يقول: لم يكن البربهاري يجلس مجلساً إلا ويذكر فِيهِ أن اللَّه عز وجل يقعد محمدا – صلى اللَّه عَلَيْهِ وسلم – معه عَلَى العرش) اهـ .

وفي الكامل في التاريخ (٤٠/٧) لابن الأثير ذكر البربهاري وأصحابه ثم قال : فَخَرَجَ تَوْقِيعُ الرَّاضِي بِمَا يُقْرَأُ عَلَى الْحَنَابِلَةِ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ فِعْلَهُمْ ، وَيُوَبِّخُهُمْ **بِاعْتِقَادِ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِهِ** [أي إثبات الصفات]فَمِنْهُ تَارَةً أَنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صُورَةَ وُجُوهِكُمُ الْقَبِيحَةِ السَّمِجَةِ عَلَى مِثَالِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [أي يقصد حديث الصورة] وَهَيْئَتَكُمُ الرَّذْلَةِ عَلَى هَيْئَتِهِ ، وَتَذْكُرُونَ الْكَفَّ وَالْأَصَابِعَ وَالرِّجْلَيْنِ وَالنَّعْلَيْنِ الْمُذَهَّبَيْنِ ، وَالشَّعْرَ الْقَطَطِ ، وَالصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ،

وَالنُّزُولَ إِلَى الدُّنْيَا، تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، ثُمَّ طَعْنُكُمْ عَلَى خِيَارِ الْأَئِمَّةِ وَنِسْبَتُكُمْ شِيعَةَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ) اهـ

(قلت) فأغلب هذه الإستنكارات ذكرها البربهاري في شرح السنة وانتشرت بين عوام الحنابلة .

تاسعا : وهي من أقوى الأدلة على ثبوت الكتاب ، أن أبا يعلى القاضي نقل منه في كتابه العدة (٨٤/١) حيث نقل كلام البربهاري من الرسالة في مسألة العقل ، وهذا النقل مهم جداً ، وهو عال جداً ، إذْ أنَّ أبا يعلى قد عاصر ابن بطة ، وأبا علي النجاد ، وأبا الحسين الواعظ ، وهؤلاء من أصحاب البربهاري ، وتلاميذه ، فلو قُدِّر لأبي يعلى الرواية عنهم لكان بينه وبين البربهاري رجل واحد ، فلهذا النقل وزنه عند من يتأمل مثل هذه الأمور ، ومن طعن في نسبه الكتاب ، يظنُّون أن أعلى من أثْبَتَ الكتاب للبربهاري هو ابن أبي يعلى ، ولهذا أكثروا الشغب !!

عاشرا : يوجد احتمال أن بعض النُسَّاخ غيَّر اسم المؤلف على الطرّة عمدا ليتم انتشارها ، فاسم البربهاري الكامل مع اسم غلام خليل متاشبه جدا ، وذلك بسبب تضييق على البربهاري ، وبسبب شهرة غلام خليل بين الناس وقبول السلاطين له وعليه ، فهذا غير مستبعد ، وقد غيّر تقي الدين الهلالي اسم (محمد ابن عبد الوهاب) على طرة كتاب التوحيد إلى (محمد بن سليمان التميمي) ولما سأله بعض أهل العلم عن ذلك ، قال حتى لا ينفر منه الناس ويقرؤوه ، فأعجوا بالفكرة .

وأخيرا أقول لمن أنكروا هذا الكتاب من أجل التجهم :

نفترض أنهم استطاعوا إنكار هذا الكتاب فهل :

يستطيع هؤلاء إنكار " **كتاب التوحيد** " من صحيح الإمام البخاري .

ولا يستطيعون إنكار كتابه الآخر " **خلق أفعال العباد** " وهو عمدة في نقض مذاهب

الجهمية .

ولا يستطيعون إنكار " **كتاب الرد على الجهمية** " من سنن أبي داود .

ولا يستطيعون إنكار " **كتاب الرد على الجهمية** " من سنن ابن ماجه .

ولا يستطيعون إنكار " **كتاب النعوت** " من سنن النسائي الكبرى .

ولا يستطيعون إنكار تقريرات الترمذي ونقضه لكلام الجهمية في "سننه" في مواطن عدة .

ولا كتاب **الرد على الجهمية** ، وكتاب **النقض على المريسي** للدارمي ، ولا **السنة** لعبد الله بن أحمد ، ولا كتاب **الشريعة** أو **الإبانة** لابن بطة ، ولا **أصول الإعتقاد** للالكائي وغيرها كثير ؟؟.

فقولوا بالله عليكم ماذا ستستفيدون من الطعن في كتاب البربهاري ؟؟

سندي إلى مؤلف الكتاب : (**البربهاري**) :

أنا أبو عبيد مروان بن علي حاجو الجزائري حدثني إبراهيم بن رجا بن شقاحي بن دحام العبابسة الشمري قال : أنبأني عبد الوكيل بن عبد الحق الهاشمي عن أبيه عن أبي سعيد اللاهوري عن نذير حسين عن إسحاق الدهلوي عن عبد العزيز الدهلوي عن أحمد الدهلوي عن أبي الطاهر عن محمد الروذاني عن علي الأجهوري عن عمر السراج عن زكريا السنيكي المصري عن أحمد بن علي عن محمد بن يعقوب الشيرازي عن عمر بن علي القزويني عن محمد بن أبي القاسم المقرئ عن عمر بن محمد بن عبد الله عن معمر بن عبد الواحد القرشي عن الحسن بن أحمد بن الحسن عن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني عن القاضي أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة به .

وأرويه أيضا من طريق ابن أبي يعلى صاحب الطبقات الذي رواه وجادة وهو بالإسناد السابق إلى محمد الروذاني عن محمد الصالحي عن أحمد الوثائي عن ابن طولون عن أبي الفتح المزي عن عائشة بنت محمد المقدسية عن زينب بنت الكمال عن أبي محمد إبراهيم

المقرئ عن عبد المغيث الحربي قال حدثنا القاضي أبو الحسين بن الفراء به ...

ولي طريق ثالث بنزول حدثني به أبو بكر الجولاني عن إبراهيم الشمري قال : أنبأنا ثناء الله المدني ، عن صبحي السامرائي ، عن عبد الكريم الصاعقة ، عن نعمان الآلوسي ، عن أحمد بن عيسى ، عن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن أبيه عن جده عن محمد بن حياة السندي ، عن سالم بن عبد الله البصري ، عن أبيه البصري ، عن السنهوري ، عن الغيطي ، عن زكريا ، عن أحمد بن علي عن الفيروز بادي ، عن عمر القزويني ، عن سليمان المقدسي ، عن عمر السهروردي عن معمر الأصبهاني ، عن أبي علي الحداد ، عن أبي نعيم ، عن أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة عن أبي محمد البربهاري به .

النسخ المعتمد عليها :

لم يكن غرضي في الأول ، تحقيق نسخة الكتاب ، فقد كفانا غير واحد ذلك ، وأخرجوا نسخته محققة في طبعات جيدة ، ولكن تبيَّن لي أن أُعيد تحقيق نسخة الكتاب للفائدة ، ولعلِّي أجدُ سهْوًا أو أستدركُ سقْطًا ، أو أرجحُ صحيحا ضُعِّف ، ونحو هذا ، فأرجو أن لا يخلو من فائدة ، وقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب :

١ـ نسخة خطية مصورة من هذا الكتاب وهي من مخطوطات المكتبة الظاهرية برقم (١/١٣) مُنَزَّلة على موقع المخطوطات بالنت ، وهي مكتوبة بخط جيد مقروء تقع في عشرين ورقة تقريبا .

٢ـ وقد قابلتها بما في كتاب الطبقات لابن أبي يعلى (٢/٢٧ ـ ٥٧) [طبعة المكتبة الثقافية] فقد أوردها ابن أبي يعلى في ترجمة البربهاري كاملة سوى شيء يسير من أولها ، بينما له زيادة على المخطوط في آخره بحوالي ورقتين تقريبا .

وقد قابلت بينهما ، وجعلت المخطوط هو الأصل ، ثم أضفت عليه ما ظهر لي أنه الصواب من كتاب الطبقات ، فإن الطبقات يبدو أكثر تحريرا من المخطوط ، فالمخطوط

به تصحيف كثير ، وكثير من العبارات في تركيبها خلل ، على خلاف ما في الطبقات .

وقد جعلت الإضافات والتصحيحات بين معكوفين [...] دون ذكر ذلك في الحاشية تجنبا لإطالة الحواشي ، ولأني فرَّغتُ الحاشية للتعليقات ، وكنت أقابل وأقارن عملي بما في الطبعات السابقة ، زيادة للتأكد والطبعات هي :

الأولى : وهي طبعة الردادي .

الثانية : وطبعة عادل آل حمدان التي أثبها في كتابه الجامع لعقائد أهل السنة والأثر ، وهي لعلها أحسنها ضبطا.

والثالثة : نسخة إبراهيم بن رجا الشمري وله تعليقات مفيدة عليها على قلتها .

أما الطبعة الأولى القديمة لذاك القحطاني ، ففيها تصحيف وخلل كبير لم أشتغل بها .

فصل في بيان منهج المؤلف في كتابه (شرح السنة) :

منهج الكتاب وفضائله :

- موضوعه سرد الأصول في السنة التي أجمع عليها السلف وأهل الحديث إلى نهاية القرن الرابع كما صرَّح به المؤلف في كتابه .

- يكرر كثيرا من المسائل للتأكيد أو التذكير ، مع إضافة قيود وأشياء عليها لئلا يخلو تكراره من فائدة .

- له تعريفات دقيقة جدا على المسائل العقدية .

- له اختصار وتلخيص عجيب للفقرات العقدية وقد أوتي ملكة في ذلك .

- تفرد بروايةِ آثارٍ لا تجدها عند غيره وهي آثار مهمة عن الفضيل وابن عون وأبي العالية ، بل حتى أنه تفرد بأقوال عن أحمد وغيرهم ، وسأنبه عليها خلال التعليق بإذن الله .

- معالجته لكثير من البدع المتأخرة التي لم تقع في زمن المتقدمين ، والرد عليها في كلام وجيز مفيد .

- يصلح كتابه أن يكون ميزانا لأهل هذا الزمان ، ويعطي ملكة في الحكم على المنتسبين للعلم ومعرفة البدعي من السني منهم بسهولة .

-كتابه أنفع شيء للمبتدأ ، حتى يضبط أصول أهل السنة جميعها في عبارات وجيزة ومفيدة وسهلة .

- في هذا الكتاب توضيح لمدى خطروة البدع والإحداث وضرورة الإتباع ، والتنفير من مخالفة ذلك بشدة بما لعلك لا تجده في كتاب آخر .

- ركز المؤلف على الأمور التي صارت شعائر للكفار ولأهل البدع ، وإن كانت فقهية ، فذكر الكثير منها وهذا نوع لطيف من العلم .

ملاحظات على الكتاب :

مما يؤاخذ به المؤلف من أشياء - وهي لا تضر - أذكر منها :

- يذكر أحاديث ضعيفة أحيانا - بل بعضها منكر جدا - وهو نادر - في سياق الإحتجاج ، مع وجود البديل من الصحيح وما يقاربه على الأقل .

- يكرر بعض المسائل ولا حاجة لإعادتها ، بسبب قيود نَسِيَ أن يذكرها في مواضعها .

- الكتاب على صغر حجمه غير مرتّب فكأنه أملاه من حفظه مرة واحدة وأرسله للناس لشدة الحاجة والضرورة وضيق الوقت ، ولولا أنه من المعائب التصرفُ في الكتب ، لأعدت ترتيبه وحذفتُ المكرر منه لكن لعل في تبعثره نفعا ، كما أن في التكرار ترسيخ للعلم ، والله المستعان .

- بعض المسائل العقدية في الفروع لا يصح فيها دليل واضح ، ولكنها نادرة ولا تتعلق بالأصول ، فتعبيره في آخر الكتاب أنه لا ينبغي الشك في أي حرف منه ، قد يُؤخذُ عليه بسبب ذلك ، مع أن قصده واضح ، لكن ينبغي تقييده بالأصول أو يقول أنه صحيح إن شاء الله ويقيده بالمشيئة .

- يروي بعض الأحاديث والآثار بالمعنى ويُغيِّر في ألفاظها ، مما يُصَّعبُ تخريجها .

- تبيَّن لي أن المؤلف كتب هذه الرسالة من حفظه على عجل ، ونقل الأحاديث والآثار بالمعنى ، فكان من سلبيات ذلك ، كما تقدم أنه لم يرتب رسالته جيدا ، وإنما كان كلما استحضر شيئا كتبه فتجد بعض الفقرات العقدية تتخلها مباحث فقهية وهكذا حتى انتهى من الرسالة ، بل إنه ربما استحضر قيدا مُهِّمًا نسي أنه يذكره في مكانه فأعاد الفقرة كلها ، بذكر ذلك القيد ، وهذا ما جعل الرسالة يكثر فيها التكرار ، فطالت نوعا ما ، وكان من الممكن أن تكون أقل حجما مما هي عليه .

الخلاصة : أن هذه الملاحظات إنما هي تتميما لفائدة الرسالة لا نقصا فيها ، والكتابه عظيم القدر لا يستغني عنه طالب العلم المبتدئ ، ولا حتى العالم المنتهي .

عملي في هذا التحقيق والتعليق :

- أعدتُ تحقيق المخطوط بالمقابلة مع كتاب (طبقات الحنابلة) وبعض الطبعات السابقة .

- قدمت بمقدمة وترجمة للمؤلف وبيان منهجه في كتابه والرد على الطعونات عليه .

- استخرجت الأدلة من الكتاب والسنة والآثار تحت كل فقرة ذكرها المؤلف ، وغلَّبْتُ جانب الآثار لأنه أكثر شيء اعتمد عليه المؤلف ، وحتى يكون الكتاب أثريا ، ولأن الأدلة من الكتاب والسنة أغلبها ذُكرتْ في الشروحات السابقة للكتاب ، وهذا العمل لم أسبق إليه فيما أعلم ، فهو نوع جديد من الكتابات ، يشبه موضوع (**تغليق التعليق**) على صحيح البخاري .

- بينت مواقع الإجماع تحت كل فقرة مما أجمع عليها السلف ، من أصول السنة التي ذكرها المؤلف ، مع بيان موضع الخلاف مع أهل البدع والضلال ، تحت كل فقرة .

- خرجت الأحاديث والآثار التي ذكرها المؤلف في كتابه وحكمتُ عليها بما حكم عليها أهل الصنعة المتقدمون ، فإن لم أجد لهم كلاما ، حكمت عليها بما مشى عليه أهل

الحديث المتقدمين واجتنبتُ قدر المستطاع طريقة المتأخرين في الأحكام .

- خرَّجتُ كل الأحاديث والآثار التي ذكرتها في التعليق في الحاشية على نفس الطريق السابقة ، وأنبه أنني انتهجت التخريج المتوسط ببيان المصادر وبيان درجة الإسناد ، إلا إذا كان الحديث أو الأثر مما يستدعي بيان صحته بتوسع لسبب خاص .

- أشير في آخر كل فقرة لمراجعها ومصادرها ، لمن أراد مزيد توسع وبحث .

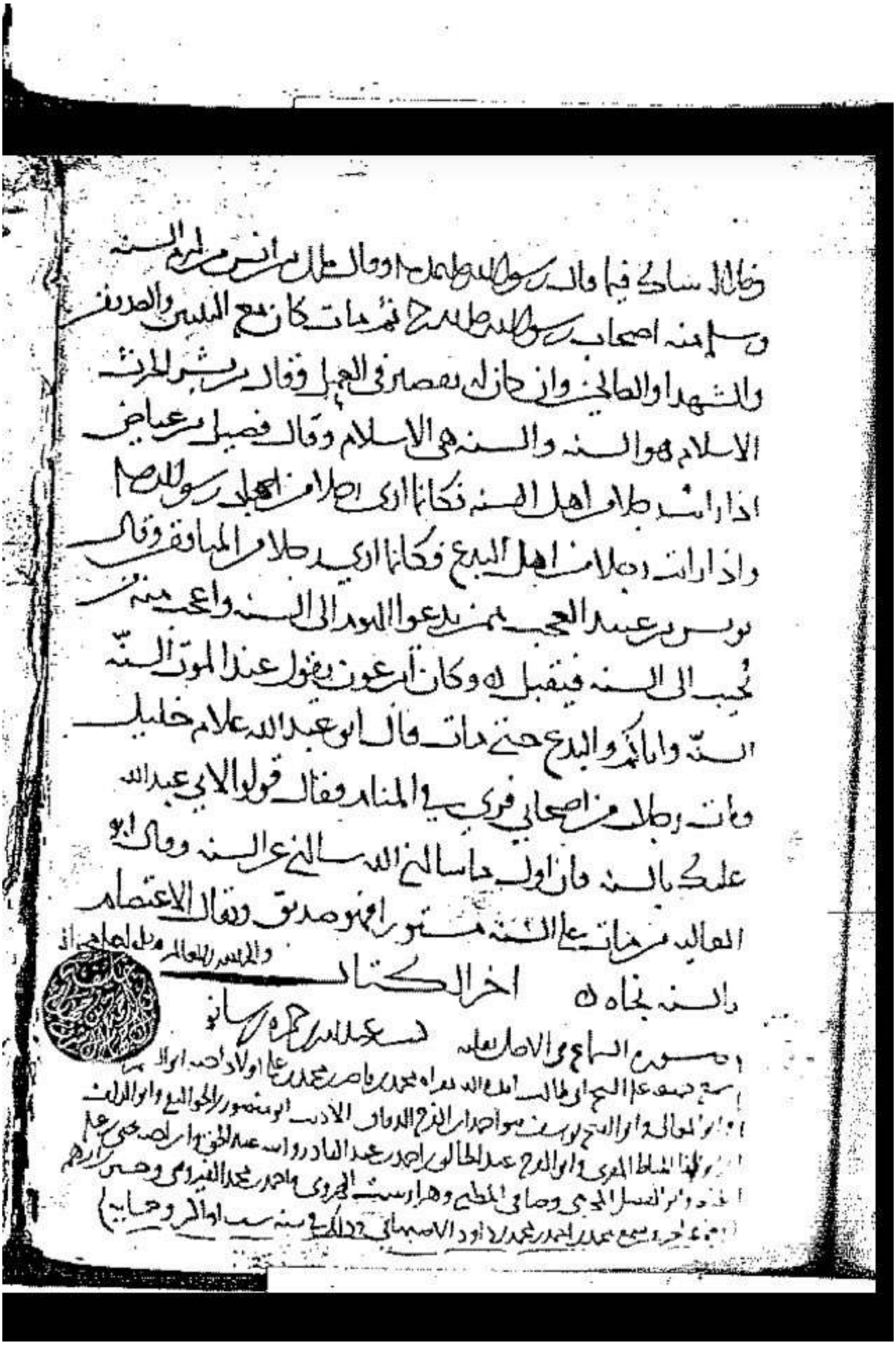
- ثم ختمته بفهرسة للكتاب مفصلة لمواضيعه ومحتوياته ، وأعْرضتُ عن فهرسة الآثار لكثرتها ، إذْ إخال أن عددها حوالي ١٥٠٠ أثر أو يفوق ذلك ، فخفت أن يزيد حجم الكتاب بها .

وبالله التوفيق وبه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

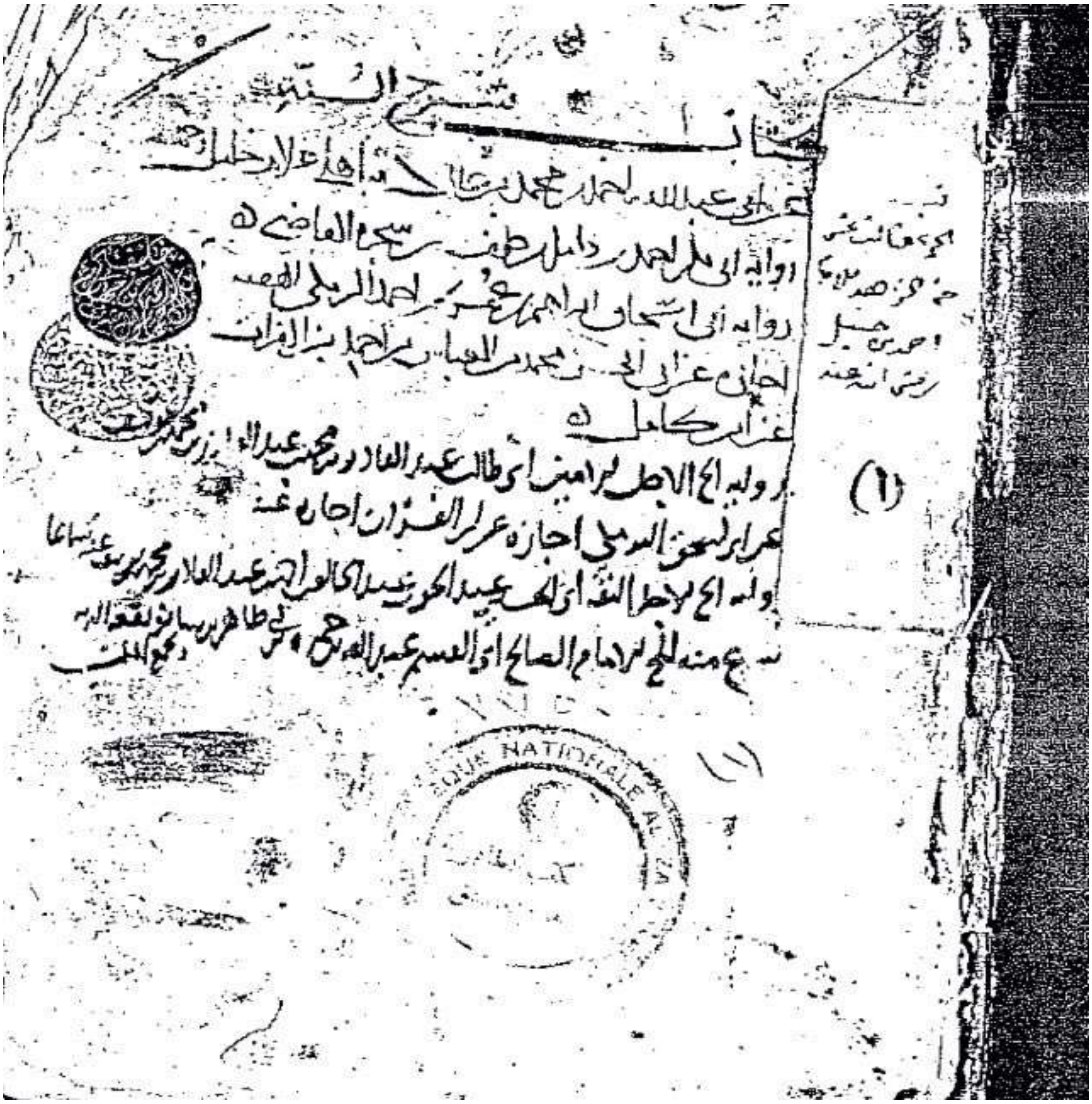
صورة الصفحة الأولى من المخطوط



صورة من وسط المخطوط .


فذاك السالك فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقال ... بن انس من لزم السنة
وسلم منه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مات كان مع النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وان كان له تقصير في العمل وقال بشر بن الحارث
الاسلام هو السنة والسنة هي الاسلام وقال فضيل بن عياض
اذا رأيت رجلا من اهل السنة فكأنما ارى رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واذا رأيت رجلا من اهل البدع فكأنما ارى رجلا من المنافقين وقال
يونس بن عبيد العجب ممن يدعو اليوم الى السنة واعجب منه
من يجيب الى السنة فيقبل منه وكان ابن عون يقول عند الموت السنة
السنة واياكم والبدع حتى مات قال ابو عبد الله علام خليل
مات رجل من اصحابي فرئي في المنام فقال قولوا لابي عبد الله
عليك بالسنة فان اول ما سألني الله سألني عن السنة وقال ابو
العالية من مات على السنة مستورا فهو صديق ويقال الاعتصام
بالسنة نجاة ... والحمد لله رب العالمين ... اخر الكتاب
[illegible]

صورة من الصفحة الأخيرة من المخطوط



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومنَّ علينا به ، وأخرجنا في خير أمة ، فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى ، والحفظ مما يكره ويسخط .

[١] اعلموا أن الإسلام هو السنة ، والسنة هي الإسلام ، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر (١)

---

(١) أول من قال هذه المقولة هو بشر بن الحارث فقد نقل كلامه البربهاري في آخر كتابه في فقرة (١٧٤) وفي هذه المقولة العميقة رد على من أجاز أخذ العلم عن بعض دعاة البدع والضلال أو اعتذر لهم ، بحجة أن بعضهم : قوي في التوحيد ضعيف في السنة ! أو العكس : ضعيف في التوحيد ، قوي في السنة !! كيف يقال هذا (**ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر**) ؟ فمن فرق بينهما ، فقد أهان الإسلام والسنة جميعا ، بل لم يفهم الإسلام أصلا ، وقد تعلقت السنة بالإسلام كما تعلقت البدعة بالشرك

ولهذا قال ابن سيرين **أن أسرع الناس ردة هم أهل الأهواء** [رواه الفريابي في القدر (٣٦٢) والآجري في الشريعة (ص ٢٠١)]

وقال عبد الله بن عمر : (**من خالف السنة كفر**) [**سنده صحيح** : رواه عبد الرزاق في المصنف (٤٢٨١) وعبد بن حميد (٨٢٧) والبزار (٥٩٢٩) والطحاوي في شرح معاني الآثار (١/ ٤٢٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٥٤١٧) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٨٥ . ١٨٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٩٥) وذكره الإمام ابن بطة في الإبانة الصغرى بلفظ (من ترك السنة كفر) (ص١٢٣) والهروي في ذم الكلام (٤١٢) أنظر : علل الدارقطني (١٦١/١٣) وقد روي مرفوع ولا يصح]

وهذا كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام (**من يرغب عَن سنتي فَلَيْسَ مني**) [البخاري (٥٠٦٣)]

وقال مكحول : السنة سنتان : سنة الأخذ بها فريضة **وتركها كفر**. وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير حرج . [رواه الدارمي في السنن (٦٠٩) والآجري في الشريعة (١٨٢/١) والإبانة (٢٦٣/١)]

قال ابن بطة معلقا على كلام مكحول في السنة : (فَإِنَّهَا أَحَدُ الْأَصْلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَكْمَلَ اللَّهُ بِهِمَا الدِّينَ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَمَعَ لَهُمْ بِهِمَا مَا يَأْتُونَ وَمَا يَتَّقُونَ ، فَلِذَلِكَ صَارَ الْأَخْذُ بِهَا فَرْضًا، وَتَرْكُهَا كُفْرًا) اهـ

ولهذا كان عبد الله بن عمر يقول : ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء " .

[أصول الاعتقاد (١/ ١٤٧/ ٢٢٧) وذم الكلام (ص.١٨٨) والحجة للأصبهاني (١/ ٣٠٤)]

ومثله ماوراه الفريابي في القدر (٣٩٣) واللالكائي في السنة (٢٣٠) قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ : إِذْ أَخْرَجَنِي اللَّهُ مِنَ الشِّرْكِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، أَوْ عَصَمَنِي فِي الْإِسْلَامِ أَنْ يَكُونَ لِي فِيهِ هَوًى ".

وسبب الفرح والخوف ما قال ابن سيرين فيما رواه اللالكائي في السنة (٢٣٤) قَالَ: «كَانُوا يَرَوْنَ أَهْلَ الرِّدَّةِ وَأَهْلَ تَقَحُّمِ الْكُفْرِ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ .

وروى اللالكائي أيضا (٢٣٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ :« لَوْ خَرَجَ الدَّجَّالُ لَرَأَيْتُ أَنَّهُ سَيَتَّبِعُهُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ »

روى اللالكائي في السنة (٥٤) عن أبي بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ قال : « السُّنَّةُ فِي الْإِسْلَامِ أَعَزُّ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ »

فالخلاصة : أن ترك السنة يؤدي إلى ترك الإسلام ، ولهذا دخلت السنة في الإسلام وصارت جزء منه ، لا يصح إلا بها .

وهناك احتمال آخر لهذه الفقرة ، وهي أنه ربما أشار إلى قضية تكفير أهل البدع ، وهي مسألة خلافية بين أهل الحديث والكثير من الحنابلة يميل لتكفير أهل الأهواء عموما ولعل البربهاري يميل لهذا القول بحكم حنبليته ، والمسألة فيها تفصيل يطول .

[٢] فمن السنة لزوم الجماعة ، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالا مضلا.(١)

[٣] والأساس الذي تبنى عليه الجماعة ، وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورحمهم الله أجمعين ، وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع (٢)

---

(١) وهذا الذي قاله البربهاري قد جاء بالنص في أحاديث وآثار كثيرة منها : ما رواه أبو داود وغيره (٤٧٥٨) بسند صحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ** »

قال ابن أبي عاصم في السنة (٨٩٢) بعد رواية هذا الحديث : وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وأَبِي هُرَيْرَةَ وأَبِي الدَّرْدَاءِ وحَارِثٍ الْأَشْعَرِيِّ وعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ) اهـ

ومما جاء في معناه ما ورواه أحمد بسند صحيح (٧١٢٩) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**ترك السنة : الخروج من الجماعة**) .

وروى مسلم (١٨٤٨) وفي معنى هذا أيضا حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات على ذلك فميتته جاهلية**) .

وفي حديث الحارث الأشعري الطويل جاء فيه ..... (**قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ : بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، وَإِنْ صَامَ ، وَإِنْ صَلَّى ؟ قَالَ : وَإِنْ صَامَ، وَإِنْ صَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ** " [رواه أحمد (١٧١٧٠) والترمذي (٢٨٦٣) وهو حديث صحيح]

وروى مسلم (١٨٥١) عن بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**)

(**قلت**) وهذا حديث شديد على الخوارج الذين يتعذرون على خروجهم عن الجماعة بأعذار وشبهات واهية ولا حجة لهم يوم القيامة تنفعهم !! ومن أحسن الآثار في هذا الباب :

ما قاله بن مسعود رضي الله عنه : (عليكم بالسمع والطاعة والجماعة فَإِنَّهَا حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ ، ثُمَّ قَبَضَ يَدَهُ وَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ فِي الجماعة خير من الذي تُحِبُّونَ فِي الْفُرْقَةِ) [**صحيح** : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٩١٨٤) والطبراني في الكبير (٨٩٧٣)، والحاكم في المستدرك (٨٦٦٣) وابن جرير في تفسيره (٧٥٧٩ . ٧٥٨١) وفي الشريعة (١٧)، واللالكائي (١٥٨ و١٥٩)]

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٦/١) قال حذيفة رضي الله عنه :(من فارق الجماعة شبرا فقد خله ربقة الإسلام من عنقه) والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة مع التنبيه أن الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك كما قال السلف .

(٢) وهذا الأمر نص عليه القرآن في قول الله تعالى {**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [البقرة ١٣٧] وجاء في حديث الإفتراق عن الفرقة الناجية (**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**) ففيه دلالة على أن مخالفة الصحابة يوقع في ضلالة أحد الفرق . =

وكل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار (١) .

=وعلى هذا توارد كلام السلف في بيان أن مخالفة الآثار والإعراض عنها ، يؤدي إلى الضلال أذكر من ذلك :

ما رواه اللالكائي (١٠٧) والسنَّة للمروزي (٨٠) قال ابن مسعود رضي الله عنه : أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم فأيما مرية أو رُجيّل أدرك ذلك الزمان فالسمت الأول فأنا اليوم على السنة)

وعنه رضي الله تعالى عَنْهُ قَالَ : (اتَّبِعُوا آثَارَنَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ) [رواه ابن وضاح في البدع و(ص١٧) واللالكائي في السنة (١/ ٨٦) والمروزي في السنة (ص٢٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٣٢٧)]

وروى ابن وضاح في البدع (١٥) عن حذيفة رضي الله عنه قال : اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فإن أصبتم فقد سبقتم سبقا بينا وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالا بعيدا) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : (كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم . [سنده صحيح أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٧) وبنحوه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٦٥١ و١٨٩٨٥) والبخاري (٧٢٨٢) نحوه مختصراً ، وابن وضاح في البدع (١٠) وعبد الله في السنة (١٠٦)]

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٨) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَوْصِنِي قَالَ : « عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ، وَلَا تَبْتَدِعْ »

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٣٢) عن أبي ذر قال : (لن تضل ما أخذت بالأثر) .

وروى اللالكائي فِي السنة (١/٨٦) عَن الْعَلَاء بن الْمسيب عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عَبْدُ الله : (إِنَّا نقتدي وَلَا نبتدي ، ونَتبع وَلَا نبتدع ، وَلنْ نضل مَا تمسكنا بالأثر) . وروى أيضا (١٠٩) قال ابن سيرين : كانوا يقولون لن نضل ما تمسكنا بالأثر)

وذكر الأوزاعي وجوب اتباع الصحابة ثم قال : فإن الهلكة في خلافهم . [الإبانة الكبرى لابن بطة (١٨٥٥)]

وروى الدارمي (٢٠٤) قال شريح القاضي : إنك لن تضل ما تمسكت بالأثر .

وفي الجامع لابن عبد البر (٢٠٢٦) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : " إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »

(قلت) والآثار في هذا الباب لا تحصر وقد جمعت المئات منها في كتابي (**الإحتجاج بالأثر وحجية فهم السلف**) وراجع كتاب الحجة على تارك المحجة لنصر المقدسي ، وقد صدق البربهاري في قوله (فمن لم يأخذ عنهم ضل وابتدع) وهذا حال أغلب من ترك كتب الحديث والأثر اليوم !! .

(١) هذا المعنى مروي في جَابِرٍ لكن جاءت في زيادة في ثبوتها نظر مرفوعة :

فعن جابر قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ ، فَيَخْطُبُ ، فَيَحْمَدُ اللهَ ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَيَقُولُ : مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، إِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ . [أخرجه مسلم (٨٦٧) (٤٥) وابن ماجه (٢٤١٦) وابن أبي عاصم في السنة (٢٤) و (٢٥٩) والبيهقي في السنن (٣/٢١٤) وفي الأسماء والصفات (ص٨٢)]

وأخرجه النسائي في الصلاة من المجتبى (٣/١٨٨-١٨٩) وفي العلم من الكبرى (٥٨٩٢) وابن خزيمة (١٧٨٥) والفريابي في القدر (٤٤٨) وأبو نعيم في الحلية (٣/١٨٩) والآجري في الشريعة (٨٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٤٩١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٨٢) كلهم من طريق عبد الله ابن المبارك عن سفيان به وزادوا جميعاً فيه : "**وكل ضلالة في النار**".

وهذا الحرف لم يُرْوَ في هذا الحديث بهذه الزيادة إلا من طريق عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري ، وقد خالفه الرواة في هذه

الزيادة فالظاهر أنها شاذة .

وروي في معناه حديث آخر : فعَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْفَجْرَ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا قَالَ : أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ." [رواه أحمد (١٧١٤٤) وأبو داود في سننه (٤٦٠٧) والدارمي (١/٤٤-٤٥) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/٣٤٤) والترمذي عقب الحديث (٢٦٧٦) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٨٦) والطبراني في الكبير (١٨/ (٦١٧) وغيرهم بسند جيد]

وأما ما روي في هذا المعنى من الآثار :

من غير حديث جابر فقد روي عن ابن مسعود موقوفاً قال : «**كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ** » [رواه الطبراني في الكبير (٨٥٢١) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٨٥) والبيهقي (ص ١٨٩) وابن وضاح في البدع (٥٧) والمروزي في السنة (٧٩) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٩٨)]

وروى ابن وضاح (٥٦) بسند لابأس به عن عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : « أَصْدَقُ الْقِيلِ قِيلُ اللَّهِ ، وَأَنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ »

روى ابن وضاح (٥٩) بسند صالح عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : " أَوْشَكَ قَائِلًا مِنَ النَّاسِ يَقُولُ : قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَلَا أَرَى النَّاسَ يَتَّبِعُونِي ، مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ ، فَإِنَّ كُلَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ ."

(**قلت**) وهذه الآثار والأحاديث ترد على أهل البدع الذين قسموا البدعة إلى حسنة وسيئة أو قبيحة كما يقولون !!

ونرد عليهم بأثر صريح عن عمر رضى الله عَنْهُمَا قَالَ : **كل بِدعَة ضَلَالَة وَإِن رَآهَا النَّاس حَسَنَة** . [رواه بسند جيد اللالكائي في السنة (١٢٦) والبيهقي في المدخل (١٩١) وابن بطة في الإبانة (٢٠٥) ومحمد بن نصر في السنة (ص.٢٩) والباعث على إنكار البدع والحوادث (ص.٧٥)]

وقال الإمام مالك : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ، فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَانَ الرِّسَالَةَ ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا ، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا ." [ذكره ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٥١٠) والإعتصام (١/٨٤)]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى ولا في هدى تركه حسبه ضلالة ، فقد بينت الأمور ، وثبتت الحجة ، وانقطع العذر) وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله ، وتبين للناس ، فعلى الناس الاتباع (١).

---

(١) هذا الأثر الذي قصم ظهور المرجئة وأدعياهم فحاولوا الطعن فيه بكل ما يحمله الجهل من معنى !! والسبب أنه نص في عدم عذر المشركين والمبتدعة بالجهل والتقليد ، وسأبين لهم أن هذا الأثر صحيح سندا ومعنى ، فأقول :

أولا : ما عهدنا السلف من أهل الحديث المتقدمين يشددون مع أسانيد الآثار تشديد المرجئة في هذا الزمن الأخير !! مع أنهم يشددون بالهوى ويرتخون به ، وليس عندهم أي ضابط إلا ما أشربوا من هواهم !!

وثانيا : لقد روى هذا الأثر الجليل جمع من السلف ولم يستنكروا منه شيئا ، بل تلقوه بالقبول ورووه في كتب السنة والعقيدة بصيغة الجزم دون حرج ، فقد أخرج الأثر ابن شبة في تاريخ المدينة (٣/٨٠٠) ابن بن بطة في الإبانة الكبرى (١/١٢٢) رقم (١٧٣) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/٣٨٣) وذكره أبو القاسم التيمي في كتاب الحجة في بيان المحجة (٢/٤٤٤) ونقله هنا البربهاري في شرح السنة (ص ٦٧) من طريق الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى قَالَ : حَدَّثَنَا مُبَشِّرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، قَالَ : كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فذكره) فهذا سند صحيح إلى الأوزاعي ولكن قالوا : أن السند منقطع بين الأوزاعي وعمر بن الخطاب كما هو واضح !! فنجيب على هذا : قد وجدت عدة شواهد وطرق تشهد بصحة هذا الأثر بلا شك هي :

الأول : روى أبو نعيم في الحلية (٥/٣٤٦) قال : حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدِ بْنُ جَبَلَةَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَّاجُ، ثنا أَبُو الْأَشْعَثِ أَحْمَدُ بْنُ الْمِقْدَامِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ الْبُرْسَانِيُّ، ثنا سُلَيْمُ بْنُ نُفَيْعٍ الْقُرَشِيُّ، عَنْ خَلَفٍ أَبِي الْفَضْلِ الْقُرَشِيِّ، عَنْ كِتَابِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى النَّفَرِ الَّذِينَ كَتَبُوا إِلَيَّ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِحَقٍّ فِي رَدِّ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَتَكْذِيبِهِمْ بِأَقْدَارِهِ النَّافِذَةِ فِي عِلْمِهِ السَّابِقِ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ مَخْرَجٌ، وَطَعْنِهِمْ فِي دِينِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْقَائِمَةِ فِي أُمَّتِهِ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلَيَّ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتُرُونَ مِنْهُ قَبْلَ الْيَوْمِ فِي رَدِّ عِلْمِ اللهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَى مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْقَدَرِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كَانُوا يَقُولُونَ : الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ ، وَسَيُقْبَضُ الْعِلْمُ قَبْضًا سَرِيعًا، وَقَوْلُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَعِظُ النَّاسَ: إِنَّهُ لَا عُذْرَ لِأَحَدٍ عِنْدَ اللهِ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ بِضَلَالَةٍ رَكِبَهَا حَسِبَهَا هُدًى ، وَلَا فِي هُدًى تَرَكَهُ حَسِبَهُ ضَلَالَةً ، قَدْ تَبَيَّنَتِ الْأُمُورُ ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ ، وَانْقَطَعَ الْعُذْرُ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَنْبَاءِ النُّبُوَّةِ وَمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ تَقَطَّعَتْ مِنْ يَدَيْهِ أَسْبَابُ الْهُدَى، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِصْمَةً يَنْجُو بِهَا مِنَ الرَّدَى ...)

قال الأوزاعي كما في رواية ابن شبة (٣/٨٠٠) : (**كان عمر يقول**) فتنبه لهذا فإنها عبارة استمرار وتكرار !!

(قلت) وهذا سند رجاله كله ثقات لولا أن سليم بن نفيع القرشي مجهول وكذاك شيخه خلف لكن ، ما يقويه أيضا أن كتاب عمر للقدرية مشهور عنه ، وقد ذكرها ذاك الدكتور محمود الطحان ضمن الرسائل التي ورد بها الخطيب البغدادي مدينة دمشق حين خرج إليها كما في بحثه "الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث" برقم (١٤٢) ثم إن أكثر المسائل الموجودة في هذه الرسالة قد جاءت عن عمر بطرق مسندة صحيحة مما يعضدها ويقويها ويوثقها .

وقد روى هذا السند ابن الجوزي في سيرة عمر بن عبد العزيز (ص٨٨ - ٨٩) وقال : وهذه رسالة مروية عن عمر بن عبد العزيز في الأول ، وجدت أكثر كلماتها لم تضبطها النقلة على الصحة، فانتقيت منها كلمات صالحة ثم ساقها)

الثاني : وله شاهد عند محمد بن نصر المروزي في السنة (رقم ٨٣) بسند صحيح عن الأوزاعي قال عمر بن عبد العزيز : لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى) وهذا في تقوية للأثر الأول .

الثالث : روى سعيد بن منصور كما في الأحكام لابن حزم (٢١٥/٦) وكنز العمال (٤٤٢١٣) وجامع الحديث للسيوطي (٣١٥٦٩) حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري حدثنا موسى بن عقبة قال (هذه خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه ، الذي بطاعته يكرم أولياؤه وبمعصيته يضل أعداؤه فليس لهالك هلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى ولا في ترك حق حسبه ضلالة ..) وقد نقلها ابن الجوزي فب المنتظم (٢٢٥/٤) بسنده إلى سعيد بن منصور وقال قبل أن يسوق السند : وخطب عمر خطبة بليغة بالجابية ثم ساقه .

(قلت) فهذا سند صحيح إلى موسى بن عقبة رجاله ثقات وموسى بن عقبة من صغار التابعين ولم يسمع من عمر لكنه يحكي قصة عامة مشهودة ، ولهذا جزم في نسبتها لعمر وحكاها على سبيل الخبر الصحيح ، ولو تأملت وجدت أن عمر رضي الله عنه قاله يوم اجتماع كبير للصحابة دون إنكار منهم عليه فصار إجماعا منهم على عدم عذر المشرك والمبتدع بالجهل والتأويل.

الرابع : روى أبو يوسف في الخراج (٢٣) قَالَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَشْيَاخِنَا عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَطَاءٍ الْكِلاعِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي يَبْقَى وَيَهْلِكُ مَنْ سِوَاهُ ، الَّذِي بِطَاعَتِهِ يَنْتَفِعُ أَوْلِيَاؤُهُ ، وَبِمَعْصِيَتِهِ يُضَرُّ أَعْدَاؤُهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِهَالِكٍ هَلَكَ مَعْذِرَةٌ فِي تَعَمُّدِ ضَلالَةٍ حَسِبَهَا هُدًى ، وَلا فِي تَرْكِ حَقٍّ حَسِبَهُ ضَلالَةً ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَا تَعَهَّدَ الرَّاعِي مِنْ رَعِيَّتِهِ تَعَهُّدُهُمْ بِالَّذِي لِلَّهِ عَلَيْهِمْ ، فِي وَظَائِفِ دِينِهِمْ الَّذِي هَدَاهُمْ اللَّهُ لَهُ وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَأْمُرَكُمْ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَأَنْ نَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَأَنْ نُقِيمَ أَمْرَ اللَّهِ فِي قَرِيبِ النَّاسِ وَبَعِيدِهِمْ وَلا نُبَالِي عَلَى مَنْ كَانَ الْحَقُّ) .

(قلت) وهذا شاهد آخر يدل على أن خطبة عمر لها أصل ثابت عند السلف قال بن عساكر في تاريخه (٣٠٠/٥) : عطاء الكلاعي شهد خطبة عمر بالجابية)

الخامس : وفي كنز العمال (٢٩٣٤٩) عن الأحوص بن حكيم بن عمير العنسي قال : كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الأجناد : تفقهوا في الدين فإنه لا يعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنه حق ولا يترك حق وهو يرى أنه باطل) ثم قال : آدم بن أبي اياس في العلم)

(قلت) والحمد لله طبع مؤخرا بالبحرين كتاب العلم لآدم بن أبي إياس ، ووجدت الإسناد فيه وهو :

برقم (٨٧) قال : حدثنا إسماعيل بن عياش قال : حدثنا الأحوص بن حكيم ، وأبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم عن أبي الأحوص حكيم بن عمير العنسي قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد .. فذكره .

(قلت) وهذا السند ضعيف لكن يصلح للإعتبار ، فالأحوص بن حكيم ضعيف ولكن تابعه أبو بكر بن أبي مريم كما في السند وقد ذكر العقيلي في الضعفاء (١٢٠/١) قال أحمد : أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ أَمْثَلُ مِنَ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ .

أما أحوص بن حكيم بن عمير العنسي قال الدارقطني كما في أسئلة البرقاني (٣٤) : حمصي يعتبر به إذا حدث عنه ثقة).

قلت : لم يلق عمر بن الخطاب وإنما يحدث عنه بما سمعه مما تواتر عنه من هذه الكتابات العامة التي تنتشر وتعرف عادة .

السادس : ذكر بن الجوزي في المناقب ويوسف بن عبد الهادي في كتابه محض الصواب في فضل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٦٨١/٢) : قال وعن عدي بن سهيل الأنصاري قال : قام عمر في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله ويفني ما سواه والذي بطاعته ينفع أولياؤه ، وبمعصيته يضر أعداءه فإنه ليس لهالك هلك عذر في بعض ضلالة حسبها هدى ولا ترك حق حسب ضلالة ، قد ثبتت الحجة وانقطع العذر)

(قلت) وهذا إسناد آخر لم يصل إلينا يشهد على أن قصة الأثر لها أصل عريق في زمن السلف ، وعدي بن سهيل صحابي .

السابع : وقد ذكر الميداني في مجمع الأمثال في فصل من كلام الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤٥١/٢) : ليس لأحدٍ عذرٌ في تعمُّدِ ضلاَلة حَسِبَهَا هُدىً ، ولاَ تركِ حق حَسِبه ضلاَلة) **(قلت)** هذا للإستئناس والفائدة فقط .

الثامن : وهو شاهد قوي للأثر الأول : وهو مار وراه الآجري في الشريعة (١٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ الْعُكْبَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ التَّمِيمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ النَّخَعِيِّ ، عَنْ

سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى مِنْبَرِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ فَلَا أَعْرِفَنَّ مَا عَطَفْتُمُوهُ عَلَى أَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ خَضَعَتْ لَهُ رِقَابُ النَّاسِ ، فَدَخَلُوهُ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَقَدْ وُضِعَتْ لَكُمُ السُّنَنُ ، **وَلَمْ يُتْرَكْ لِأَحَدٍ مَقَالًا إِلَّا أَنْ يَكْفُرَ عَبْدٌ عَمْدًا عَيْنًا** ، فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ، فَقَدْ كُفِيتُمْ اعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ . (**قلت**) وهذا مثل الأول في الوضوح بعدم العذر بالجهل .

أما ما روي في معنى هذا الأثر عن السلف من شواهد على صحة أن المتأول والمجتهد في العقائد والبدع والشرك غير معذور فأذكر هنا جملة مفيدة بإذن الله فأقول :

والشاهد الأول : هو قصة عمر مع صبيغ التميمي حيث لم يعذره بخطأه وتأوله فعاقبه وضربه وأمر الناس بهجره وكاد يقتله ، وقال عنه عمر في آخر كلامه : **إن صبيغا طلبا علما فأخطأه** . [فضائل الصحابة لأحمد (٧١٧) واللالكائي (١١٣٨) والشريعة (٢٠٦٤)]

والشاهد الثاني : قصة ابن مسعود مع أصحاب الحلقة حينما **قالوا والله ما أردنا إلا الخير** فقال : وكم **من مريد للخير لم يصبه** ، ثم حكم عليه بالضلال ، وأن مآلهم سيكون للخروج بالسيف . [صحيح : رواه الدارمي في سننه (١/٦٠) والطبراني (٩/ ١٣٦/٨٦٣٦) مختصرا، وبنحوه عند ابن وضاح في البدع (ص٤٠) وانظر مجمع الزوائد (١/ ١٨١) والباعث على إنكار البدع والحوادث (ص.٦٣ - ٦٥)]

الشاهد الثالث : عن الحسن قال : مر بي أنس بن مالك –وقد بعثه زياد إلى أبي بكرة يعاتبه– فانطلقت معه ، فدخلنا على الشيخ وهو مريض ، فأبلغه عنه فقال : إنه يقول : ألم أستعمل عبيد اللَّه على فارس ؟! ألم أستعمل روَّادًا على دار الرزق ؟! ألم أستعمل عبد الرحمن على الديوان وبيت المال ؟! فقال أبو بكرة : فهل زاد على أن أدخلهم النار؟ ! قال: فقال أنس : **إني لا أعلمه إلا مجتهدًا** . فقال أبو بكرة : أقعدوني ، فقال : قلتَ : إني لا أعلمه إلا مجتهدًا ، وأهل حروراء قد اجتهدوا ، أفأصابوا أم أخطأوا ؟! قال الحسن : **فرجعنا مخصومين** . [**سنده جيد** رواه صالح في مسائله (٨٧٤) والخلال في السنة (٨٣٦) وتاريخ ابن عساكر (٦٢/٢١٧) وتهذيب الكمال (٧/٣٠) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٨ ، ٩)].

وقال علي بن أبي طالب : الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه . [ذكره ابن بطة الإبانة الصغرى (٥٩)]

روى ابن أبي حاتم (٨٣٧٤) وابن جرير (١٠/١٤٨) بسند جيد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ قَالَ : إِنْ تَمُوتُوا يَحْسَبُ الْمُهْتَدِي أَنَّهُ عَلَى هُدًى وَيُحْسَبُ الْغَنِيُّ أَنَّهُ عَلَى هُدًى حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَكَذَلِكَ تُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ : وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مهتدون.

وروى الآجري في الشريعة (٤٦) أن لابن عباس ذكر الخوارج واجتهادهم وصلاتهم فقال : ليس هم بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى وهم على ضلالة .

عَنْ أبي العالية أَنَّ عَلِيًّا قَالَ : « الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : **قَاضٍ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فِي النَّارِ** ، وَقَاضٍ رَأَى الْحَقَّ فَقَضَى بِغَيْرِهِ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ اجْتَهَدَ فَأَصَابَ فِي الْجَنَّةِ » [رواه معمر في جامعه (٢٠٦٧٥) وابن أبي شيبة (٤/٥٤٠) وابن الجعد (٩٨٩)]

روى عبد الله في السنة (٨٥٣) عن عُمَارَةَ بْنَ زَاذَانَ يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْقَدَرِيَّةَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ، فَيُقَالُ لَهُمْ : **إِنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ** .

وروى ابن عبد البر في الجامع (١٦٦٧) : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ : « وَلَيْسَ يَجُوزُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَلَا مَضَى عَلَيْهِ أُولُو الْأَمْرِ أَنْ يَجْتَهِدَ لِأَنَّهُ **لَا يَجُوزُ أَنْ يَجْتَهِدَ رَأْيَهُ فَيَكُونُ اجْتِهَادُهُ مُخَالِفًا لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَوِ الْأَمْرِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ** »

وجاء في ذم الكلام عن المزني قال : كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم الشافعي أتيته فسألته عن مسألة في الكلام فقال لي أتدري أين أنت ؟ قال : قلت نعم ، أنا في المسجد بالفسطاط فقال لي : أنت في تاران ، قال أبو القاسم: وتاران موضع في بحر القلزم لا يكاد تسلم منه سفينة ، قال : ثم ألقى علي مسألة في الفقه فأجبت فيها ، فأدخل شيئا أفسد

جوابي فأجبت بغير ذلك فأدخل شيئا أفسد جوابي ، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده قال : ثم قال لي : هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام في رب العالمين **الذي الزلل فيه كفر** ، فتركت الكلام وأقبلت على الفقه. [ذم الكلام (ص.٢٤٩)]

وقال الحسين بن إسماعيل المحاملي : قال المزني: سألت الشافعي عن مسألة من الكلام، فقال: سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت أخطأت، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت كفرت .[ذكره الهروي في ذم الكلام (٢٥٠) وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ١٥٤) والسير (١٠/ ٢٨)]

علق ذاك الذهبي فقال : هذا يدل على أن مذهب أبي عبد الله أن الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الإجتهاد في الفروع .

وقال الإمام مالك : (من سعادة المرء أن يوفق للصواب والخير ، ومن شقوة المرء أن لا يزال يخطئ). **علق ابن عبد البر فقال** : وفي هذا دليل على أم المخطئ عنده ـ وإن اجتهد ـ فليس بمرضي الحال والله أعلم . [جامع بيان العلم (١٦٦٧)]

وعنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى الليثي أَنَّهُ ذكر الأعراف وأهله فَتَوَجَّعَ وَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ قَالَ : (قَوْمٌ أَرَادُوا وَجْهًا مِنَ الْخَيْرِ فَلَمْ يُصِيبُوهُ) فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، أَفَيُرْجَى لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لِسَعْيِهِمْ ثَوَابٌ ؟ قَالَ : (**لَيْسَ فِي خِلَافِ السُّنَّةِ رَجَاءُ ثواب**) [ذكره عياض في ترتيب المدارك (٣/ ٣٩١)]

وعن محمد بن أحمد الجوزجاني قال :كَتَبَ إليَّ أحمدُ بن حنبل : أَنَّ تَأوِيلَ مَن تَأَوَّلَ القرآنَ بلا سُنَّةٍ تَدُلُّ على معنَاهَا أو مَعْنى مَا أَرَادَ اللهُ سبحانه منه ، أو أَثَرٍ عن أصْحَابِ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يعرفُ ذلك بما جاءَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أو عَن أصحَابِهِ، فَهُم شَاهَدُوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وشَهِدُوا تَنزِيلَهُ، وما قَصَّه له في القرآنِ، وَمَا عَنى به، ومَا أَرَادَ به، أَخَاصٌ هو أَمْ عَامٌّ، فَأمَّا مَن تَأَوَّلَهُ على ظَاهِرِهِ بلا دَلالَةٍ من رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ولا أَحَدٍ من أصحَابِهِ **فَهذا تأوِيلُ أهلِ البِدَع** لأنَّ الآيةَ قد تَكونُ خَاصَّةً، ويكونُ حُكمُها حُكما عاما، ويكونُ ظَاهِرُها على العُمُومِ، وإنما قُصِدَتْ لشيءٍ بعَينِهِ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبِّرُ عن كتَابِ الله تعالى وَمَا أرادَ، وأصحَابُهُ رضوان الله عليهم أعلَمُ بذلك منا لمشاهدتهم الأمر، وما أريد بذلك) [السنة للخلال (٤/٢٣) الإيمان ابن تيمية (ص٣٧٣)]

قال الدارمي في النقض على المريسي (ص٥٤) : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ اجْتِهَادِ الرَّأْيِ فِي تَكْيِيفِ صِفَاتِ الرَّبِّ ، فَإِنَّا لَا نُجِيزُ اجْتِهَادَ الرَّأْيِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ ، الَّتِي نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا ، وَتُسْمَعُ فِي آذَانِنَا ، فَكَيْفَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَمْ تَرَهَا الْعُيُونُ وَقَصُرَتْ عَنْهَا الظُّنُونُ ؟) اهـ

وقال الطبري في كتابه التبصير (ص١١٣) : القول فيما أدركت حقيقة علمه منه استدلالاً على وجهين : أحدهما : معذورٌ فيه بالخطأ والمخطئ ، ومأجورٌ فيه على الاجتهاد والفحص والطلب ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ) وذلك الخطأ فيما كانت الأدلة على الصحيح من القول فيه مختلفةً غير مؤتلفةٍ والأصول في الدلالة عليه مفترقةً غير متفقةٍ ، وإن كان لا يخلو من دليل على الصحيح من القول فيه ، فميز بينه وبين السقيم منه ، غير أنه يغمض بعضه غموضاً يخفى على كثير من طلابه، ويلتبس على كثيرٍ من بغاته ، **والآخر** منهما غير معذورٍ بالخطأ فيه مكلفٌ قد بلغ حد الأمر والنهي، ومكفرٌ بالجهل به الجاهل، وذلك ما كانت الأدلة الدالة على صحته متفقةً غير مفترقة، ومؤتلفةً غير مختلفةٍ ، وهي مع ذلك ظاهرةٌ للحواس) اهـ .

وقال في تفسيره (١٢/٣٨٨) عند قوله تعالى {**إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ** }قال الطبري : يقول تعالى ذكره : إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة ، إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة ، باتخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله وظُهراء ، جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك ، بل فعلوا ذلك **وهم يظنون أنهم على هدى وحق** ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا ، وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعمَ أن الله لا يعذِّب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها **بعد علم منه بصواب** وجهها **فيركبها عنادًا** منه لربه فيها ، لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذي **ضلّ وهو يحسَبُ أنه هادٍ** وفريق الهدى فَرْقٌ ، وقد **فرَّق الله بين أسمائهما وأحكامهما** في هذه الآية)

وقال ابن منده في كتابه التوحيد (**ص٣١٤**) ذِكْرُ الدَّلِيلِ عَلَى **أَنَّ الْمُجْتَهِدَ الْمُخْطِئَ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ووَحْدَانِيَّتِهِ كَالْمُعَانِدِ** قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ضَلَالَتِهِمْ وَمُعَانَدَتِهِمْ {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا فَقَالَ : كَفَرَةُ أَهْلُ الْكِتَابِ كَانَ أَوَائِلُهُمْ عَلَى حَقٍّ ، فَأَشْرَكُوا بِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ وَابْتَدَعُوا فِي دِينِهِمْ ، وَأَحْدَثُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَهُمْ يَجْتَمِعُونَ فِي الضَّلَالَةِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى هُدًى ، وَيَجْتَهِدُونَ فِي الْبَاطِلِ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ ، ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) اهـ .

قال أبو إسحاق الاسفراييني : القول بأن كل مجتهد مصيب أوله سفسطة وآخره زندقة " .[ذكره في السير (١١٢/١٣)]

وقال قوام السنة إسماعيل الأصبهاني التيمي : المتأول إذا أخطأ وكان من أهل عقد الإيمان ، نُظِرَ في تأويله ، فإن كان قد تعلق بأمر يفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله أو سنة يقطع بها العذر ، أو إجماع فإنه يكفر ولا يعذر ، لأن الشبهة التي يتعلق بها من هذا ضعيفة لا يقوى قوة يعذر بها ، لأن ما شهد له أصل من هذه الأصول فإنه في غاية الوضوح والبيان ، فلما كان صاحب هذه المقالة لا يصعب عليه درك الحق ، ولا يغمض عنده بعض موضع الحجة لم يعذر في الذهاب عن الحق ، بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار ". [الحجة في بيان المحجة (٥١٠/٢)]

وقال ابن أبي زيد القيرواني في جامعه (**ص١٦٤**) : ومن قول أهل السنة إنه لا يعذر من وداه اجتهاده إلى بدعة لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل ، فلم يعذروا إذا خرجوا بتأويلهم عن الصحابة ، فسماهم عليه السلام مارقين من الدين وجعل المجتهد في الأحكام مأجوراً ، وإن أخطأ) اهـ .

قال السجزي : وقال عمر وسهل بن حنيف : " اتهموا الرأي على الدين" ولا مخالف لهما في الصحابة، وقد كانا يجتهدان في الفروع، فعلم أنهما أرادا بذلك المنع من الرجوع إلى العقل في المعتقدات. [رسالته في الحرف والصوت (ص٩٢)]

وقال ابن البناء في المختار (**٦٥**) : "ونص أحمد على تكفير جماعة **من المتأولين** كالقائلين بخلق القرآن ونفي الرؤية ".

وقال السمعاني في قواطع الأدلة (**٣٠٨/٢**) : " كل ما كان من أصول الدين ، فالأدلة عليها ظاهرة باهرة ، والمخالف فيها معاند مكابر ، والقول بتضليله واجب والبراءة منه شرع ، ولهذا قال ابن عمر لما قيل له : إن قوما يقولون لا قدر ، أخبروهم أنني براء منهم وهم براء مني) اهـ .

[٤] واعلم – رحمك الله – أن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى ، لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم (١) **وعلمه عند الله وعند رسوله ، فلا تتبع شيئا بهواك ، فتمرق من الدين ، فتخرج من الإسلام .**

---

(١) وهذا ما قاله السلف في أن من اتبع الهوى والعقليات والرأي وترك الأثر هلك وضل ، وإليك بعض آثارهم :

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : « لَا يَزَالُ النَّاسُ صَالِحِينَ مُتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا » [رواه معمر في جامعه (٢٠٤٤٦) وابن المبارك في الزهد والرقائق (٨١٥) بسند صحيح]

روى ابن عبد البر في الجامع (٢٠٢٦) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا .

وقال الإمام مالك : إياكم والبدع قيل : يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وقالوا : لو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام ، ولكنه باطل يدل على باطل .[شرح السنة للبغوي (١/١٨١– ١٨٦)]

وفي تاريخ بغداد (٨/ ٦١١) قال أحمد عن الجهمية : .. إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وأقبلوا عَلَى هذه الكتب) اهـ

قال الدارمي في الرد على الجهمية (١٢٤) : فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : لَا ، بَلْ نَقُولُ بِالْمَعْقُولِ قُلْنَا : هَاهُنَا ضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَوَقَعْتُمْ فِي تِيهٍ لَا مَخْرَجَ لَكُمْ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْمَعْقُولَ لَيْسَ لشَيْءٍ وَاحِدٍ مَوْصُوفٍ بِحُدُودٍ عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ فَيُقْتَصَرَ عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ رَاحَةً لِلنَّاسِ وَلَقُلْنَا بِهِ وَلَمْ نَعْدُ ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ : {**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**} فَوَجَدْنَا الْمَعْقُولَ عِنْدَ كُلِّ حِزْبٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالْمَجْهُولَ عِنْدَهُمْ مَا خَالَفَهُمْ ، فَوَجَدْنَا فِرَقَكُمْ مَعْشَرَ الْجَهْمِيَّةِ فِي الْمَعْقُولِ مُخْتَلِفَيْنِ ، كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْكُمْ تَدَّعِي أَنَّ الْمَعْقُولَ عِنْدَهَا مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ، وَالْمَجْهُولَ مَا خَالَفَهَا ، فَحِينَ رَأَيْنَا الْمَعْقُولَ اخْتَلَفَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، وَلَمْ نَقِفْ لَهُ عَلَى حَدٍّ بَيِّنٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، رَأَيْنَا أَرْشَدَ الْوُجُوهِ وَأَهْدَاهَا أَنْ نَرُدَّ الْمَعْقُولَاتِ كُلَّهَا إِلَى أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِلَى الْمَعْقُولِ عِنْدَ أَصْحَابِهِ الْمُسْتَفِيضِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، لِأَنَّ الْوَحْيَ كَانَ يَنْزِلُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، فَكَانُوا أَعْلَمَ بِتَأْوِيلِهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ ، وَكَانُوا مُؤْتَلِفِينَ فِي أُصُولِ الدِّين لَمْ يَفْتَرِقُوا فِيهِ ، وَلَمْ تَظْهَرْ فِيهِمُ الْبِدَعُ وَالْأَهْوَاءُ الْحَائِدَةُ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَالْمَعْقُولُ عِنْدَنَا مَا وَافَقَ هَدْيَهُمْ ، وَالْمَجْهُولُ مَا خَالَفَهُمْ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ هَدْيِهِمْ وَطَرِيقَتِهِمْ إِلَّا هَذِهِ الْآثَارُ ، وَقَدِ انْسَلَخْتُمْ مِنْهَا وَانْتَفَيْتُمْ مِنْهَا بِزَعْمِكُمْ ، فَأَنَّى تَهْتَدُونَ ؟) اهـ .

فإنه لا حجة لك (١) فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة ، وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة ، وهم السواد الأعظم ، والسواد الأعظم : الحق وأهله فمن خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من أمر الدين فقد كفر (٢)

---

(١) هذا النص الثاني في عدم العذر بالجهل لمن أشرك بالله أو شرع في دينه بالهوى وجاء في ذلك قوله تعالى (**فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**) واتباع الهوى مؤداه مع التمادي معه إلى الكفر ، ولهذا اشتد السلف في التحذير منه ، فمما روي في هذا الباب من الآثار ما يلي :

روى ابن المبارك في الزهد (٢٥٥) واحمد في فضائل الصحابة (٨٨١) عَنْ مهاجر العامري قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ اثْنَتَيْنِ : طُولَ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى فَإِنَّ طُولَ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ ، وَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ..)

ونص ابن سيرين أن الهوى يوقع في الردة فيما روى الفريابي في القدر (٣٦٢) والآجري في الشريعة (٤٧٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٨١٠) عن ابْنُ عَوْنٍ قَالَ : كَانَ مُحَمَّدٌ « **يَرَى أَنَّ أَسْرَعَ النَّاسِ رِدَّةً أَهْلُ الْأَهْوَاءِ** » وَكَانَ يَرَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أُنْزِلَتْ فِيهِمْ {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} [الأنعام: ٦٨]

قال ابن بطة معلقا : الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ وَالْخُصُومَةُ فِيهِ وَالتَّعَاطِي لِتَأْوِيلِهِ بِالْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ لِإِقَامَةِ دَوْلَةِ الْبِدَعِ ، وَابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ بِغَيْرِ عِلْمٍ كُفْرٌ وَضَلَالٌ ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعِصْمَةَ مِنْ سَيِّئِ الْمَقَالِ) اهـ

ومما يدل على أن الهوى يؤدي إلى الردة ما رواه ابن بطة في الكبرى (١٩٤٨) عن وُهَيْبُ بْنُ خَالِدٍ قَالَ : سَمِعْتُ دَاوُدَ بْنَ أَبِي هِنْدَ يَقُولُ : اشْتُقَّ قَوْلُ الْقَدَرِيَّةِ مِنَ الزَّنْدَقَةِ ، وَهُمْ أَسْرَعُ النَّاسِ رِدَّةً » ولهذا كان السلف من دعاءهم التعوذ من الهوى كما جاء في الحلية لأبي نعيم (٢١١/٤) بالسند قال : كَانَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ يَدْعُو يَقُولُ « اللهُمَّ اعْصِمْنِي بِكِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ مِنَ اخْتِلَافٍ فِي الْحَقِّ، وَمِنَ اتِّبَاعِ الْهَوَى بِغَيْرِ هُدًى مِنْكَ ، وَمِنْ سُبُلِ الضَّلَالَةِ ، وَمِنْ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ ، وَمِنَ الزَّيْغِ ، وَاللَّبْسِ ، وَالْخُصُومَاتِ »

وروى الدارمي في سننه (١٠٩/١) عن الشعبي يقول عن سبب تسمية الهوى : (**إنما سمي الهوى ، لأنه يهوي بصاحبه**)

(٣) وقد سبق بيان السبب كيف مخالفة السنة يعتبر كفرا في أول فقرة ، من كلام بن عمر ومكحول وغيرهما ، وأصل ذلك في قوله تعالى : (**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** [النساء ١١٥] والذي يخالف الصحابة سيتولى الباطل لا محالة كما قال مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى} يَقُولُ: نُوَلِّهِ فِي الْآخِرَةِ مَا تَوَلَّى مِن آلِهَةِ الْبَاطِلِ فِي الدُّنْيَا »

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا ، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ واتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ » [وروى الأصبهاني في الحجة (٤٩٨) وابن عبد البر في الجامع (١٨١٠)]

وجاء لابن المبارك في الزهد (٢٠٤/١) عن عمر رضي الله عنه كان يأمر يزيد بن أبي سفيان باتباع سنة النبي ومن مات معه من صحابته وهو من هو فيقول : والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقتم .

رواه الدارمي في سننه (٦٧٥) أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْطَاكِيُّ عَنْ عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ الْخَوَّاصِ الشَّامِيِّ أَبِي عُتْبَةَ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ : اعْقِلُوا ، وَالْعَقْلُ نِعْمَةٌ ، فَرُبَّ ذِي عَقْلٍ ، قَدْ شُغِلَ قَلْبُهُ ، بِالتَّعَمُّقِ فِيمَا هُوَ عَلَيْهِ ضَرَرٌ ، عَنِ الِانْتِفَاعِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ حَتَّى صَارَ عَنْ ذَلِكَ سَاهِيًا ، وَمِنْ فَضْلِ عَقْلِ الْمَرْءِ ، تَرْكُ النَّظَرِ فِيمَا لَا نَظَرَ فِيهِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ فَضْلُ عَقْلِهِ، وَبَالًا عَلَيْهِ فِي تَرْكِ مُنَافَسَةِ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، أَوْ رَجُلٍ شُغِلَ قَلْبُهُ بِبِدْعَةٍ ، قَلَّدَ فِيهَا دِينَهُ، رِجَالًا دُونَ أَصْحَابِ رَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوِ اكْتَفَى بِرَأْيِهِ فِيمَا لَا يَرَى الْهُدَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يَرَى الضَّلَالَةَ إِلَّا بِتَرْكِهَا ، يَزْعُمُ أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى فِرَاقِ الْقُرْآنِ ، أَفَمَا كَانَ لِلْقُرْآنِ حَمَلَةٌ قَبْلَهُ وَقَبْلَ أَصْحَابِهِ يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ ؟ وَكَانُوا مِنْهُ عَلَى مَنَارٍ لِوَضَحِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ الْقُرْآنُ إِمَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامًا لِأَصْحَابِهِ ، وكانَ أَصْحَابُهُ أَئِمَّةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ مَعْرُوفُونَ مَنْسُوبُونَ فِي الْبُلْدَانِ ، مُتَّفِقُونَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ، مَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الِاخْتِلَافِ ، وَتَسَكَّعَ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ بِرَأْيِهِمْ فِي سُبُلٍ مُخْتَلِفَةٍ جَائِرَةٍ عَنِ الْقَصْدِ ، مُفَارِقَةٍ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَتَوَّهَتْ بِهِمْ أَدِلَّاؤُهُمْ فِي مَهَامِهِ مُضِلَّةٍ ، فَأَمْعَنُوا فِيهَا مُتَعَسِّفِينَ فِي تِيهِهِمْ ، كُلَّمَا أَحْدَثَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ بِدْعَةً فِي ضَلَالَتِهِمْ ، انْتَقَلُوا مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا أَثَرَ السَّابقينَ ، وَلَمْ يَقْتَدُوا بِالْمُهَاجِرِينَ ، وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِزِيَادٍ: هَلْ تَدْرِي مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟ زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ ...) الخ ، **وكلام حسن جدا** .

وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال : قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا وببصر ناقد قد كفوا وإنهم على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كان فيها أحرى فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من سلك غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ولقد تكلموا منه بما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي فما دونهم مقصر وما فوقهم محسر لقد قصر عنهم قوم فجفوا وطمح آخرون عنهم فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم . [أنظر مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٨٣ . ٨٤) وللمعة لابن قدامة (ص٤٢ . ٤٣)]

عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ : لَمْ يُدَّخَرْ لَكُمْ شَيْءٌ خُبِّئَ عَنِ الْقَوْمِ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ » [رواه في جامع البيان (١٨٠٨) وابن قدامة في ذم التأويل (٦٤)]

قال أبو العالية : تعلموا الإسلام ، فإذا تعلمتوه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ، ولا تحرفوا الإسلام يمينا ولا شمالا ، وعليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء فرددها مرارا) فحدثت الحسن فقال : صدق ونصح قال : فحدثت حفصة بنت سيرين فقالت : يا باهلي ، أنت حدثت محمدا بهذا ؟ قلت: لا قالت : فحدثه إذا . [مصنف عبد الرزاق (٢٠٧٥٨) واللالكائي في السنة (١٧) والإبانة لابن بطه (١٤٢) والهروي في ذم الكلام (٧٩٠) وغيرهم]

وروى ابن عبد البر في جامع البيان (١٤٢٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : « مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ »

وروى في جامع البيان (٢٠١٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ ، وَأَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ »

روى اللالكائي في السنة وفي طبقات الحنابلة عن عبدوس بن مالك العطار قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول : أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء بهم .

وروى الخطيب في الفقيه والمتفقه (ص٤٣٦) عن أبي داود قال سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ « الِاتِّبَاعُ أَنْ يَتَّبِعَ الرَّجُلُ ، مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ هُوَ بَعْدُ فِي التَّابِعِينَ مُخَيَّرٌ »

وفي الحلية لأبي نعيم (٦/٣٢٤) عن ابْنُ وَهْبٍ قَالَ : سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ : إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِأَثَرِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ .

[٥] واعلم أن الناس لم يبتدعوا بدعة قط ، حتى تركوا من السنة مثلها (١) **فاحذر المحدثات من الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار** (٢).

---

(١) وهذا أصله في كتاب الله قد قال تعالى: {**فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء**} فلما تركوا حظا مما ذكروا به اعْتَاضُوا بغيره فوقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وقال تعالى : {**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**} فكل من اتبع باطلا ترك حقا من جنسه ، وهذا المعنى قد ورُوِيَ عن غُضَيف بن الحارث مرفوعاً بسند ضعيف : (**ما ابتدع قوم بدعة إلاّ تركوا من السنة مثلها**) [رواه أحمد في مسند (١٠٥/٤)] .

وقال نحو هذا كثير من السلف من ذلك :

ما وَروى ابن وضاح في البدع (٩٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : (مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِنْ عَامٍ إِلَّا أَحْدَثُوا فِيهِ بِدْعَةً وَأَمَاتُوا فِيهِ سُنَّةً ، حَتَّى تحيا البدع ، وتموت السنن" .

وعن حذيقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ أَخَذَ حَجَرَيْنِ فَوَضَعَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ ترون ما بين هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنَ النُّورِ ؟ قَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا نَرَى بَيْنَهُمَا مِنَ النُّورِ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَظْهَرَنَّ الْبِدَعُ حَتَّى لَا يُرَى مِنَ الْحَقِّ إِلَّا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، وَاللَّهِ لَتَفْشُوَنَّ الْبِدَعُ حَتَّى إِذَا تُرِكَ مِنْهَا شيء قالوا : تركت السنة) [رواه ابن وضاح في البدع (ص٦٥)] .

وروى المروزي في السنة (٨١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَا أَحْدَثَتْ أُمَّةٌ فِي دِينِهَا بِدْعَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ سُنَّةَ هُدًى ثُمَّ لَا تَعُودُ فِيهِمْ أَبَدًا وَلَأَنْ أَرَى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ نَارًا تَشْتَعِلُ فِيهِ احْتِرَاقًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَى بِدْعَةً لَيْسَ فِيهِ لَهَا مُغَيِّرٌ »

وروى الطرطوشي في الباعث (١٤٦) وابن بطة في الكبرى (٢٢٨) وقال حسان بن عطية : ما من قوم يحدثون في دينهم بدعة ، إلا نزع الله من دينهم من السنة مثلها ، ثم لا يعيدها عليهم إلى يوم القيامة " .

وَروى ابن وضاح في البدع (٨٧) عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : (مَا أَحْدَثَتْ أُمَّةٌ فِي دِينِهَا بِدْعَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُمْ سنة) .

وروى ابن وضاح في البدع (٩٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : « مَا ابْتُدِعَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ مُضِيًّا ، وَلَا تُرِكَتْ سُنَّةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ هَرَبًا »

وروى ابن وضاح (٩٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا وَالنَّاسُ يُحْيُونَ فِيهِ بِدْعَةً ، وَيُمِيتُونَ فِيهِ سُنَّةً ، حَتَّى تَحْيَا الْبِدَعُ وَتَمُوتَ السُّنَنُ »

وروى اللالكائي (١٢٨) قَالَ ابْنُ الدَّيْلَمِيِّ : سَمِعْتُ ابْنَ عَمْرٍو يَقُولُ : مَا ابْتُدِعَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ مُضِيًّا ، وَلَا تُرِكَتْ سُنَّةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ ".

(٢) وهذا المعنى روي مرفوعا من حديث العرباض بن سارية [رواه أحمد (٤/ ١٢٦) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه] **وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه** أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها ، وإن كل محدثة بدعة، وإن كل بدعة ضلالة) [سنن ابن ماجه (١٨/١) وابن أبي عاصم (١٦/١) واللالكائي (٧٧/١) وله طرق يقوي بعضها] **وروى ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٣٩/٢/ ٢٠٥)** وأصول الاعتقاد (١/ ١٠٤/ ١٢٦) ومحمد بن نصر في السنة (ص.٢٩). أبو شامة في الباعث (ص١٧) الهروي في ذم الكلام (٢٧٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَإِنْ رَآهَا النَّاس حَسَنَة** .

[٦] واحذر صغار المحدثات من الأمور ، فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرا ، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة ، كان أولها صغيرا يشبه الحق ، فاغتر بذلك من دخل فيها ، ثم لم يستطع الخروج منها ، فعظمت وصارت دينا يدان به فخالف الصراط المستقيم ، فخرج من الإسلام (١) .

فانظر - رحمك الله - كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم [به أحد من] أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أو أحد من العلماء ؟ فإن وجدت فيه أثرا عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشيء ، ولا تختر عليه شيئا فتسقط في النار (٢) .

---

(١) أكثر البدع قديما صارت اليوم تُخرِجُ من الإسلام بسبب الغلو الذي طرأ عليها ، فالإرجاء كان في زمن السلف لا يخرج صاحبه عن الإسلام ثم تجهم اليوم وصار بدعة مكفرة إذ قد اقترن به الدفاع عن الشرك وأهله ، واستهانة بترك الدين ،وهذا الغلو من المرجئة اليوم ، بدأ إرهاصاته من قديم وتكلم عنه أهل الحديث : **فقد نقل حرب عن إسحاق قال** : غلت المرجئة حتى صار من قولهم : إن قوماً يقولون : من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان ، والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها لا نكفره ، يرجى أمره إلى الله بعد ، إذ هو مقر؛ فهؤلاء الذين لا شك فيهم) نقله ابن رجب في الفتح الباري (٢٣/١) ومن ذلك التشيع إذ بدأ بمسألة التفضيل ثم صار اليوم للزندقة والإلحاد في الربوبية ، **قَالَ عَلْقَمَة** : لقد غلت هَذِهِ الشِّيعَة فِي عَلِيّ كَمَا غلت النَّصَارَى فِي عِيسَى بن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلامُ) ، وبدأ التصوف باللباس والتبتل ، فصار إلى الشرك وعبادة غير الله والردة والعياذ بالله وغلت المقلدة للمذاهب حتى وقع كثير منهم في اتخاذ المشايخ أربابا من دون الله ، وهذا دأب كل من أحدث في الدين بدعة مهما صغرت فالبدعة بريد الكفر .

روى اللالكائي (**٩٣٤**) عن شَاذَ بْنَ يَحْيَى الْوَاسِطِيَّ يَقُولُ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ مَا تَقُولُ فِي الْجَهْمِيَّةِ ؟ قَالَ: « يُسْتَتَابُونَ ، إِنَّ الْجَهْمِيَّةَ غَلَتْ فَفَرَغَتْ فِي غُلُوِّهَا إِلَى أَنْ نَفَتْ ، وَإِنَّ الْمُشَبِّهَةَ غَلَتْ فَفَرَغَتْ فِي غُلُوِّهَا حَتَّى مَثَّلَتْ ، فَالْجَهْمِيَّةُ يُسْتَتَابُونَ ، وَالْمُشَبِّهَةُ كَذِي ، رَمَاهُمْ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ »

(١) وهذه الوصية لو استعملها طلبة العلم لما وقعوا في بدع شيوخهم وضلالتهم ، ولكن الثقة المفرطة تصيب صاحبها بالعمى ، ولقد بدأ المؤلف بالتحذير من علماء زمان القارئ قبل غيره ممن سبق ، لأن التأثر بهم يكون أقوى وأشد تعلقا وبالتالي يكون أشد خطرا ، ولقد أوصانا السلف بأن نتوقف في كل شيء حتى نجد له أثرا عنهم .

وروى اللالكائي (**١٠٦**) قال ابن مسعود رضي الله عنه : إنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ولن نضل ما تمسكنا بالأثر)

وقال ابن عمر رضي الله عنه : اتبعوا ولا تبتدعوا فإنكم لن تضلوا ما اتبعتم الأثر فإن تتبعونا فقد سبقناكم سبقا بعيدا وإن تخالفونا فقد ضللتم ضلالا كبيرا . [السنة للمرزوي (٢٩/١)]

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (**١٥٨**) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَوْصِنِي قَالَ : « عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ ، وَلَا تَبْتَدِعْ »

روى أبو نعيم في الحلية (**٢٧٠/٥**) قال عمر بن عبد العزيز : « خُذُوا مِنَ الرَّأْيِ مَا يُصَدِّقُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَا تَأْخُذُوا مَا

[٧] واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين : أما أحدهما : فرجل [قد] زل عن الطريق ، وهو لا يريد إلا الخير(١) فلا يُقتدى بزلته فإنه هالك ، وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين ، فهو ضال مضل ، شيطان مريد في هذه الأمة ، حقيق على من يعرفه أن يحذر الناس منه ، ويبين لهم قصته ، لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك (٢) .

=هُوَ خِلَافٌ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ »

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النخعي : مَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ ، لَوْ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ لم يغسلوا إِلَّا الظفر مَا جَاوَزْنَاهُ كَفَى إِزْرًا عَلَى قَوْمٍ أَنْ تَتَخَالَفَ أَعْمَالُهُمْ". [أخرجه الدَّارِمِيّ فِي سنَنه (٢٢٤، ١/٦٣) وفي النقض (٢/٦٦٧) وأَبُو نعيم فِي الْحِلْية (٤/٢٢٧)]

روى البيهقي في المدخل (٢٤٠) **وابن عبد البر في جامعه** (١٩٧٨) قال عبد الله بن المبارك : (ليكن الذي تعتمد عليه الأثر ، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث وهذا هو الفهم الذي يختص الله سبحانه به من يشاء من عباده)

وقال سهل بن عبد اللّه التّستري : « عليكم بالأثر والسنة ، فإني أخاف أنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي ، صلّى اللّه عليه وسلّم والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤوا منه ، وأذلوه وأهانوه »

روى الهروي (٣٢٨) **عن سفيان الثوري** يقول : ينبغي للرجل أن لا يحك رأسه إلا بأثر .

روى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٧٣) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ شَبَوَيْهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : « مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْقَبْرِ فَعَلَيْهِ بِالْأَثَرِ ، وَمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْخُبْزِ فَعَلَيْهِ بِالرَّأْيِ »

وفي جامع البيان (١٤٥٨) عن سفيان الثوري قال : (إنما الدين الآثار) قَالَ أيضا : « وَجَدْتُ الْأَمْرَ الِاتِّبَاعَ »

وفي مسائل أبي داود قال الإمام أحمد (ص٢٧٦) رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبي حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار".

وفي ذم الكلام للهروي (٨٦٩) قال مالك : ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء) .

ولهذا قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (١/٣١٨) : ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة ، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه ، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه ، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده ، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه) اهـ .

(١) **قال ابن مسعود رضي الله عنه** لأصحاب لحلقة البدع : (وكم من مريد للخير لن يصيبه) [رواه الدارمي (٢١٠)]

(٢) حذر السلف من زلات وفرقوا بين الزلة والضلالة ، فحذروا من الأولى وحفظوا قدر صاحبها ، وشددوا في الثانية وضللوا قائلها وحذروا منه ، وأول من ذكر هذا التقسيم هو الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال لزياد : هل تدري ما يهدم الإسلام ؟ زلة عالم ، وجدال منافق بالقرآن ، وأئمة مضلون ." [صحيح رواه ابن المبارك في الزهد (ص.٥٢٠) والدارمي في السنن (١/ ٧١) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٩٦) وابن بطة في الإبانة (٦٤٣) وابن عبد البر في الجامع (٢/ ٩٧٩)]

ففرق بين العالم الذي زل ، وبين الإمام الذي ضل ،كما ترى ، فبيّن أن من الزلات ما تهدم الإسلام ومع ذلك سماه عالما بخلاف الإمام الضال ، لكن قطعا لا يقصد بذلك الزلة والخطأ في أصول معتقد أهل السنة والجماعة ، التي ذكر السلف أنه يبدع من خالف أي شيء منها ، إنما يريد بذلك الزلة في الفتوى كما سيأتي في كلام ابن راهويه .

وروى أبو داود في سننه (٤٦١١) بسند صحيح عن معاذ رضي الله عنه قال " وإياك وزيغة الحكيم ، فإن الشيطان يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به ، فإن على الحق نورا قالوا : وكيف زيغة الحكيم ؟ قال : هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون : ما هذه ؟ فاحذروا زيغته ولا يصدنكم عنه، فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة ، فمن ابتغاهما وجدهما " .

وفي كتاب الزهد لابن المبارك (١٤٤٩) أن تميما الدراي قال : (اتقوا زلة العالم فأرسل عمر إليه ابن عباس يسأله عن ذلك فقال له : العلم يزل بالناس فيؤخذ به فعسى أن يتوب منه العالم والناس يأخذون به)

وقال سلمان رضي الله عنه «كيف أنتم عند ثلاث ؟ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ، ودنيا تقطع أعناقكم، فأما زلة العالم فإن اهتدى فلا تقلدوه دينكم، وأما مجادلة منافق بالقرآن فإن للقرآن منارا كمنار الطريق، فما عرفتم منه فخذوا وما لم تعرفوه فكلوه إلى الله، وأما دنيا تقطع أعناقكم فانظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم » [جامع بيان العلم (١٨٧٣).]

روى أبو نعيم في الحلية (٢١٩/١) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ : « إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ زَلَّةُ الْعَالِمِ ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ حَقٌّ، وَعَلَى الْقُرْآنِ مَنَارٌ كَمَنَارِ الطَّرِيقِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا مِنَ الدُّنْيَا فَلَا دُنْيَا لَهُ »

في مسائل الكوسج (٣٥٣٦) : قال إسحاق بن راهوية : وأما العالم يفتي بالشيء يكون مخالفا لما جاء من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم أو التابعين بإحسان لما يكون قد عزب عنه معرفة العلم الذي قد جاء فيه ، فإن على المتعلمين أن يهجروا ذلك القول بعينه من العالم الذي خفي عليه سنته ، ولا يدخل على الراد ذلك بعض ما رد على من هو أعلم منه ليتبع في ذلك ما أمر ، لما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : (**إن مما أتخوف على أمتي اتباع زلة العالم**) ثم فسر النجاة من ذلك فقال : **أما العالم إذا زل فلا تتبعوا زلته**" فهذا تصديق ما وصفنا) اهـ

أما العالم الذي ضل : فقد جاء فيه حديث (**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**) [رواه ابن ماجه (٤٣) والحاكم (٩٦/١) وابن أبي عاصم (٣٣،٤٨) وهو صحيح]

وجاء في مسائل الكوسج (٣٥٣٦) قال إسحاق : وأما العالم يفتي بالشيء يكون مخالفاً لما جاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو التابعين بإحسان ، لما يكون قد عزب عنه معرفة العلم الذي قد جاء فيه. فإن على المتعلمين أن يهجروا ذلك القول بعينه من العالم الذي خفي عليه سنته، ولا يدخل على الراد ذلك بعض ما رد على من هو أعلم منه ليتبع في ذلك ما أمر، لما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إن مما أتخوف على أمتي اتباع زلة العالم"، ثم فسر النجاة من ذلك فقال : أما العالم إذا زل فلا تتبعوا زلته"، فهذا تصديق ما وصفنا) .

(قلت) فدل كل ما سبق على أن من خالف السنة فقد هلك كما قال البربهاري ، كمن من وقع في شيء من أقوال أهل البدع أو خالف أصلا عند أهل السنة ، فلا يحكم للرجل أنه على السنة حتى تجتمع فيه خصال السنة كلها كما قاله البربهاري ، فهؤلاء من قسم الأئمة المضلين الذي قال فيهم عمر كما في المدخل للبيهقي (٨٣٣) : **يُفْسِدُ الزَّمَانَ ثَلَاثَةٌ : أَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ حَقٌّ ، وَزَلَّةُ عَالِمٍ**) .

ولهذا على طلبة العلم الحذر من الإتباع المطلق ، ومراجعة الأثر ، وما قاله السلف ، فلا عذر لهم بالتقليد ، **فقد روى البيهقي في المدخل (٨٣٥) أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ**: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَيْلٌ لِلْأَتْبَاعِ مِنْ عَثَرَاتِ الْعَالِمِ قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ؟ قَالَ : يَقُولُ الْعَالِمُ مِنْ قَبْلِ رَأْيِهِ ثُمَّ يَسْمَعُ الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدَعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ) .

[٨] واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعا مصدقا مسلما (١) فمن زعم أنه [قد] بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد كذَّبهم وكفى [بهذا] فرقة وطعنا عليهم وهو مبتدع ضال مضل ، محدث في الإسلام ما ليس منه (٢) .

---

(١) فهذه ثلاث شروط في تحقيق الإسلام والتوحيد وتمامه ، وهي : (الإسلام والإتباع والتصديق) فمن أسلم ثم اتبع السنة والأثر وصدق بكل ما يجيئه من ربه ونبيه فقد تم إسلامه ، ولكي يصح له ذلك لابد أن يصدق بتمام الدين وأن السلف كفونا إياه فلا زيادة عليهم قال تعالى: { فَإِنْ آَمَنُوا بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [البقرة ١٣٧]

(٢) وعلى هذا الأمر تواترت الآثار من الصحابة والتابعين في أننا قد كفينا وعلينا بالإتباع والعمل فقط :

عَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (**اتَّبِعُوا آثَارَنَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ**) [رواه ابن وضاح في البدع (ص١٧) واللالكائي في السنة (١/ ٨٦) والإمام المروزي في السنة (ص٢٨)، والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٢٧)، وأورده البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤)، وذكره ذاك الهيثمي في مجمع قال:رجاله رجال الصحيح. (١/ ١٨٦)].

وقال حذيفة رضي الله عنه : (كُلُّ عِبَادَةٍ لَمْ يَتَعَبَّدْهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا تعبَّدوها **فَإِنَّ الْأَوَّلَ لَمْ يَدَعْ لِلْآخِرِ مَقَالًا** ، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، وَخُذُوا بِطَرِيقِ مَنْ كَانَ قبلكم) [سبق تخريجه]

عَنِ الثَّوْرِيِّ قَالَ كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى رَجُلٍ قال : أما بعد ، أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته ، **وكفوا مؤنته** ، فعليك بلزوم السنة ، فإنها لك بإذن الله عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم ، **فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا** ، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون ، **فقد تكلموا فيه بما يكفي** ، **ووصفوا منه ما يشفي** ، فما دونهم من مقصر ، وما فوقهم من محسر ، وقد قصر قوم دونهم فجفوا ، وطمح عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. [رواه أبو داود (٥/ ١٨/٤٦١٢) وبنحوه عند ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢١/٢/ ١٦٣) والحلية (٥/ ٣٣٨) والشريعة (١/ ٤٤٤ – ٤٤٥) وذم الكلام (ص.١٩٨) وابن وضاح (ص.٧٢ – ٧٣) وانظر طبقات الحنابلة (١/ ٧٠) والباعث (ص.٧١) والتلبيس (ص.١١٠)]

قال أبو عمرو الأوزاعي : « اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم لَسْتَ آمِنَ إِلَّا أَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ شَرَّ هَذِهِ الْبِدْعَةِ مِنْ أَنْ يَصِيرُوا إِخْوَانًا بَعْدَ تَوَادٍ إِلَى تَفَرُّقٍ فِي دِينِهِمْ وَتَبَاغُضٍ وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ وَإِنَّهُ لم يدّخر عَنْهُم خير خبيء لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَضِيَ عَنْهُمُ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ وَبَعَثَهُ فِيهِمْ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فَقَالَ : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله } الآية » [أصول الاعتقاد (١/ ٣١٥/١٧٤) والحلية (٨/ ٢٥٤ – ٢٥٥) وذم الكلام (١١٨/٥)]

وروى ابن قدامة في ذم التأويل (٦٧) بسنده عَن عبد الْعَزِيز بن عبد الله بن أبي سَلمَة أنه قَالَ عَلَيْك بِلُزُوم السّنة فَإِنَّهَا لَك بِإِذن الله عصمَة فَإِن السّنة إِنَّمَا جعلت عصمَة ليستن بهَا ويقتصر عَلَيْهَا فَإِنَّمَا سنّهَا من قد علم مَا فِي خلَافهَا من الزلل وَالْخَطَأ والحمق والتعميق فارض لنَفسك بِمَا رَضوا بِهِ لأَنْفُسِهِمْ فَإِنَّهُم على علم وقفُوا وببصر نَافِذ كفوا وَلَهُم على كشفها كَانُوا أقوى

[٩] واعلم رحمك الله أنه ليس في السنة قياس ، ولا يُضرب لها الأمثال ، ولا تتبع فيها الأهواء ، وهو التصديق بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا كيف ولا شرح ولا يقال : لم ولا كيف (١) ؟

= وبفضل لَو كَانَ فِيهَا أَحْرَى وَإِنَّهُم لَهُم السَّابِقُونَ فلئن كَانَ الْهدى مَا أَنْتُم عَلَيْهِ لقد سبقتموهم إِلَيْهِ وَلَئِن حدث حدث بعدهمْ فَمَا أحدثه إِلَّا من اتبع غير سبيلهم وَرغب بِنَفسِهِ عَنْهُم وَلَقَد وصفوا مِنْهُ مَا يَكْفِي وَتَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يشفي فَمَا دونهم مقصر وَلَا فَوْقهم محسر لقد قصر دونهم أنَاس فجفوا وطمع آخَرُونَ فغلوا وَإِنَّهُم فِيمَا بَين ذَلِك لعلى هدى مُسْتَقِيم .

(١) قد تعبدنا الله بالوحي لا بالعقل والرأي والقياس وضرب الأمثال ، وهذا ما أخذه المؤلف من كلام الإمام أحمد في أصول السنة قال : وليس في السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الإتباع وترك الهوى) [مناقب أحمد (ص٢٣٠)] والأصل في هذا الباب منن القرآن قوله تعالى: (**وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**) وقوله تعالى : (**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**) وهذه الفقرة هي ردٌ بالأساس على أهل الرأي من أبي حنيفة وأصحابه الذين يردون الأحاديث بالقياس والرأي والإستهزاء في أشياء يقف شعر جلدك منها ، وقد بلغ الغلو في هؤلاء الأحناف حتى قال الكرخي – وهو حنفي – : كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ !! وهذا الكلام كفر والعياذ بالله .

وقد ورد النهي من السلف في التحذير من خطر هذا المنهج ، فأذكر من ذلك :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَوَضَّئُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ وَلَوْ مِنْ ثَوْرِ أَقِطٍ » ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَإِنَّا نَتَوَضَّأُ بِالْحَمِيمِ وَقَدْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ ، وَإِنَّا نَدَّهِنُ بِالدُّهْنِ وَقَدْ أُغْلِيَ عَلَى النَّارِ قَالَ: فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ، إِذَا سَمِعْتَ الْحَدِيثَ يُحَدَّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَلَا تَضْرِبْ لَهُ الْأَمْثَالَ** . [رواه الترمذي (٧٩) وابن ماجة (٢٢) وغيرهم وهو حديث صحيح]

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال : إذا حدثتكم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حديثا فظنوا برسول الله أهناه وأتقاه وأهداه . [رواه ابن ماجة (٢٠) والطحاوي في مشكل الآثار (١/١١٠) وابن بطة في الكبرى (١/٢٦٧) بسند صحيح]

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيَّ النَّقِيبَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَزَا مَعَ مُعَاوِيَةَ أَرْضَ الرُّومِ فَنَظَرَ إِلَى النَّاسِ وَهُمْ يَتَبَايَعُونَ كِسَرَ الذَّهَبِ بِالدَّنَانِيرِ ، وَكِسَرَ الْفِضَّةِ بِالدَّرَاهِمِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَأْكُلُونَ الرِّبَا ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **لَا تَبْتَاعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ ، إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ ، لَا زِيَادَةَ بَيْنَهُمَا وَلَا نَظِرَةً** » فَقَالَ : لَهُ مُعَاوِيَةُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا أَرَى الرِّبَا فِي هَذَا ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَظِرَةٍ ، فَقَالَ عُبَادَةُ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، **وَتُحَدِّثُنِي عَنْ رَأْيِكَ** لَئِنْ أَخْرَجَنِي اللَّهُ لَا أُسَاكِنُكَ بِأَرْضٍ لَكَ عَلَيَّ فِيهَا إِمْرَةٌ ، فَلَمَّا قَفَلَ لَحِقَ بِالْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، وَمَا قَالَ مِنْ مُسَاكَنَتِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ إِلَى أَرْضِكَ، فَقَبَحَ اللَّهُ أَرْضًا لَسْتَ فِيهَا وَأَمْثَالُكَ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ: لَا إِمْرَةَ لَكَ عَلَيْهِ، وَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى مَا قَالَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْأَمْرُ .

[رواه ابن ماجه (١٨) والطبراني في مسند الشاميين (٣٩٠) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٣) بسند صحيح إلا أن قبيصة لم يدرك القصة ففيه انقطاع .]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ أَنْ يُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ» فَقَالَ ابْنٌ لَهُ : إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ فَقَالَ: فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقول : إِنَّا لَنَمْنَعُهُنَّ ؟ [رواه

البخاري (٩٠٠) ، ومسلم (٤٤٢) وهذا لفظ ابن ماجه (١٦) وفي بعض الروايات كما عند أحمد (٤٩٣٣) وأبي عوانة (١٤٣٩) أنه سبه سبا شديدا ما سمعته سبه مثله قط ، وهجره ولم يكلمه حتى مات .

وفي رواية عبد الرزاق (٥١٠٧) قال فعل الله بك وفعل ، وفي رواية تمام في فوائده (١٣٩٠) أنه ضربه بيده .

(قلت) وهذه كانت هي مكانة السنة وقدرها في قلوب السلف وقارن حالنا اليوم **!!**

وروى البخاري في صحيحه [٤٧٥/٣ فتح] عن الزبير بن عربي قال : سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما ، عن استلام الحجر، فقال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله) قال : قلت : أرأيت إن غلبت ؟ قال اجعل : (أرأيت باليمن ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثونا عن أبي بكر وعمر) [ابن عبد البر في بيان جامع العلم (١٩٥/٢) وأحمد (٣٣٧/١) والفقيه والمتفقه (١٤٥/١)]

وقال أبو السائب :كنا عند وكيع ، قال لرجل عنده ممن ينظر في الرأي: أشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول أبو حنيفة؛ هو مثله، قال الرجل : فإنه قد روي عن إبراهيم النخعي أنه قال : الإشعار مثلة ، قال : فرأيت وكيعا غضب غضبا شديدا وقال : أقول لك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: قال إبراهيم. ما أحقك بأن تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا) [جامع الترمذي: (٢٥٠/٣)، الفقيه والمتفقه: (١٤٩/١)]

وجاء في السير (٥/ ٣٤٦) : عن الأوزاعي سمعت الزهري لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" قلت له : فما هو ؟ قال : من الله القول وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم أمروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء بلا كيف .

وقال ابن المبارك : وما أتت به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام نؤمن به ، ولا تضرب لها الأمثال .[مختصر الحجة للمقدسي (٧٥٢)]

قال ابن أبي حاتم في العلل : (**٢١١٨**) وسألتُ أبي عن تفسير حديث النبي صَلَّى الله عَلَيهِ وَسَلَّمَ : (الرحم شجنة من الرحمن وإنها آخذة بحقو الرحمن) فقال : قال الزُّهْريّ على رسول الله البلاغ ومنا التسليم ، قال أمروا حديث رسول الله على ما جاء ، وحدثت عن مُعتمر بن سليمان ، عن أَبيه أَنه قال :كانوا يكرهون تفسير حديث رسول الله بآرائهم كما يكرهون تفسير القرآن برأيهم . وقال الهيثم بن خارجة سمعت الوليد بن مسلم يقول : سألتُ الأوزاعي وسفيان الثَّوريّ ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الاحاديث التي فيها الصفة والرؤية والقرآن فقال : أمروها كما جاءت بلا كيف) اهـ .

روى عبد الله في السنة (٣٩٤) قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَذَكَرَ لَهُ مَسْأَلَةً مِنْ قَوْلِ أَبِي حَنِيفَةَ فَقَالَ « قُطْعُ الطَّرِيقِ أَحْيَانًا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقِيَاسِ »

وروى عبد الله برقم (٤٠٤) عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ وَكِيعَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، حِينَ قَدِمَ عَلَيْنَا حِمْصَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ وَرَأْيَ أَبِي حَنِيفَةَ فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَبْلَ أَنْ نَأْخُذَ فِي الْقِيَاسِ، الْبَوْلُ فِي الْمَسْجِدِ أَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ الْقِيَاسِ .

روى البيهقي في المدخل (٢٢٨) عَنْ صَالِحِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : قَالَ لِي عَامِرٌ [الشعبي] يَوْمًا : إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ ، وَأَخَذْتُمْ فِي الْمَقَايِيسِ ، لَقَدْ بَغَّضَ إِلَيَّ هَذَا الْمَسْجِدَ مَعْشَرُ هَؤُلَاءِ الصَّعَافِقَةُ ، فَلَهُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ كُنَاسَةِ دَارِي .

(قلت) وهذه الفقرة التي ذكرها المؤلف بهذا التعبير مشهورة ومتداولة في كتب السنة والعقائدة ، وهو في هذا تبع لهم ، وسأذكر هنا بعض من ذكر نحوها :

قال الإمام مالك رحمه الله : وَلِهَذَا أَمْضِ الْحَدِيثَ كَمَا وَرَدَ بِلَا كَيْفٍ وَلَا تَحْدِيدٍ إِلَّا بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**} [النحل: ٧٤] يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ بِقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَعَظَمَتِهِ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ .[مختصر الصواعق (ص٣٨٣)]

وقال مالك أيضا : وأحاديث الصفات نمرها كما جاءت بلا كيف . [السنة للالكائي (٨٧٥) وإرشاد السالك (ص٢١٢)]

وقال أبو طالب : سمعت أبا عبد الله سئل عن حديث هشام بن عمار أنه قرئ عليه حديث : **تجئ الرحم يوم القيامة ، فتتعلق بالرحمن** فقال : أخاف أن تكون قد كفرت قال : هذا شامي ماله ولهذا قلت ما تقول ؟ قال : يمضى الحديث على ما جاء .[إبطال التأويلات (ص٤٢١) ومثل هذا قاله **بشر الحافي** في عقيدته كما في الجامع لعقائد أهل السنة (ص٢٧٩)]

وذكر الذهلي عددا من أحاديث الصفات ثم قال : والتصديق بها لازم للعباد أن يؤمنوا بها ، وإن لم تبلغ عقولهم ، ولم يعرفوا تفسيرها ، فعليهم الإيمان بها والتسليم بلا كيف ، ولا تنقير ، ولا قياس ، لأن أفعال الله لا تشبه بأفعال العباد) اهـ [إعراب القرآن للنحاس (٥/٨٨)]

قال أحمد في أصول السنة (ص١٩) : وَالسّنة تفسر الْقُرْآن وَهِي دَلَائِل الْقُرْآن وَلَيْسَ فِي السّنة قِيَاس وَلَا تضرب لَهَا الْأَمْثَال وَلَا تدْرك بالعقول وَلَا الْأَهْوَاء إِنَّمَا هُوَ الِاتباع وَترك الْهوى وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا لَا يُقَال لم وَلَا كَيفَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيق وَالْإِيمَان بهَا وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ فَعَلَيهِ الْإِيمَان بِهِ وَالتَّسْلِيم مثل حَدِيث الصَّادِق المصدوق وَمثل مَا كَانَ مثله فِي الْقدر وَمثل أَحَادِيث الرُّؤْيَة كلهَا وَإِن نبت عَن الأسماع واستوحش مِنْهَا المستمع وَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْإِيمَان بهَا وَأَن لَا يرد مِنْهَا حرفا وَاحِد وَغَيرهَا من الْأَحَادِيث المأثورات عَن الثِّقَات) اهـ

(قلت) وكأني بالبربهاري أخذ عبارة أحمد فلخصها في كتابه هنا .

وقال الشافعي رحمه الله في الرسالة (ص ٤٥٠): (أخبرني أبو حنيفة بن سماك بن الفضل الشهابي، قال حدثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي شريح الكعبي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح: "من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إن أحب أخذ العقل، وإن احب فله القود "، قال أبو حنيفة : فقلت لابن أبي ذئب : أتأخذ بهذا يا أبا الحارث ؟ فضرب صدري ، وصاح علي صياحا كثيرا ونال مني ، وقال: " أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: تأخذ به !! نعم آخذ به. وذلك الفرض عليَّ وعلى من سمعه. إن الله اختار محمدا من الناس فهداهم به وعلى يديه ، واختار لهم ما اختار له، وعلى لسانه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين لا مخرج لمسلم من ذلك". قال وما سكت حتى تمنيت أن يسكت).

وروى أبو يعلى في طبقات الحنابلة: (٢٥١/١) عن الفضل بن زياد عن أحمد بن حنبل قال: (بلغ ابن أبي ذئب ، أن مالكا لم يأخذ بحديث "البيعان بالخيار"، فقال: يستتاب في الخيار فإن تاب وإلا ضربت عنقه. ومالك لم يرد الحديث ولكن تأوله على غير ذلك...).

وقال ابن بطة رحمه الله في الإبانة الكبرى (٢٦٧/١) : والذي أمرنا الله عز وجل أن نسمع ونطيع ولا نضرب لمقالته عليه السلام المقاييس، ولا نلتمس لها المخارج، ولا نعارضها بالكتاب ولا بغيره، ولكن نتلقاها بالإيمان والتصديق والتسليم إذا صحت بذلك الرواية ....)

وقال أيضا في الإبانة الكبرى (٢٤٤/٧) : وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، وَصَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرْضٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَبُولُهَا، وَالتَّصْدِيقُ بِهَا ، وَالتَّسْلِيمُ لَهَا، وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا ، وَوَاجِبٌ عَلَى مَنْ قَبِلَهَا، وَصَدَّقَ بِهَا أَنْ لَا يَضْرِبَ لَهَا الْمَقَايِيسَ، وَلَا يَتَحَمَّلَ لَهَا الْمَعَانِيَ وَالتَّفَاسِيرَ لَكِنْ تُمَرُّ عَلَى مَا جَاءَتْ وَلَا يُقَالُ فِيهَا : لِمَ ؟ وَلَا كَيْفَ ؟ إِيمَانًا بِهَا وَتَصْدِيقًا، وَنَقِفُ مِنْ لَفْظِهَا وَرِوَايَتِهَا حَيْثُ وَقَفَ أَئِمَّتُنَا وَشُيُوخُنَا ، وَنَنْتَهِي مِنْهَا حَيْثُ انْتَهَى بِنَا ، كَمَا قَالَ الْمُصْطَفَى نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا مُعَارَضَةٍ، وَلَا تَكْذِيبٍ ، وَلَا تَنْقِيرٍ وَلَا تَفْتِيشٍ ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَإِنَّ الَّذِينَ نَقَلُوهَا إِلَيْنَا هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ وَأَصْلَ الشَّرِيعَةِ، فَالطَّعْنُ عَلَيْهِمْ وَالرَّدُّ لِمَا نَقَلُوهُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ طَعْنٌ فِي الدِّينِ ، وَرَدٌّ لِشَرِيعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَاللَّهُ حَسِيبُهُ ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ) اهـ

وقال أيضا : فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَوَاهُ الْعُلَمَاءُ ، وَاحْتَجَّ بِهِ الْأَئِمَّةُ الْعُقَلَاءُ ، فَلَا يُعَارِضْهُ بِرَأْيِهِ وَهَوَى نَفْسِهِ ، فَيُصِيبَهُ مَا تَوَعَّدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ ، فَإِنَّهُ قَالَ تَعَالَى : {**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: ٦٣] وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ هَاهُنَا ؟ هِيَ وَاللَّهِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَالْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ..)

روى الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٤٠) : قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني، أخبرنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدولي، سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول: كان أبو معاوية الضرير يحدث هارون الرشيد فحدثه بحديث أبي هريرة "احتج آدم وموسى" فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما ؟ قال فوثب به هارون وقال : يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم **وتعارضه بكيف** ؟ قال : فما زال يقول حتى سكت عنه)

قال الصابوني معلقا :هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا

الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح ، **الذي سمعه بكيف** ؟ على طريق الإنكار له ، والابتعاد عنه ، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن حامد في كتابه : فصل ومما يجب التصديق به أن لله حقوًا ... قال: فجملة هذه المسائل مذهب إمامنا فيها الإيمان والتصديق بها والتسليم والرضا وأن الله يضع كنفه على عبده تقريبًا له إلى أن يضع كنفه عليه وذلك صفة ذاته لا يدري ما التكييف فيها ولا ماذا صفتها وكذلك في الرحم تأخذ بحقو الرحمن صفة ذاته لا يدري ما التكييف فيها ولا ماذا صفتها وكذلك دعوة الله لعباده وهم في الأرض أموات بالخروج منها فيخرجون كل ذلك صفات ذاته من غير تكييف ولا تشبيه قال فأما الحديث في الرحم والحقو فحديث صحيح ذكره البخاري وقد سئل إمامنا عنه فأثبته وقال يمضي الحديث كما جاء) . [بيان تلبيس الجهمية (٦/٢١٠)].

وقال السجزي في رسالته لأهل زبيد (ص١٤٣) : لا خلاف بين العقلاء في أن سنّة الرسول عليه السلام لا تعلم بالعقل وإنما تعلم بالنقل) اهـ

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة (رقم١) : اعلم رحمك الله أن السنة دليل القرآن ، وأنها لا تدرك بالقياس ، ولا تؤخذ بالعقول ، وإنما هي في الإتباع للأئمة ، ولما مشى عليه جمهور هذه الأمة) اهـ

وقال ابن ابي زيد القيرواني في الجامع (١١٧) قال مالك : والتسليم للسنن ، لا تعارض بالرأي ، ولا تدافع بالقياس ، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه ، وما عملوا به عملناه ، وما تركوه تركناه ، ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ، ونتبعهم فيما بينوا ونقتدي به فيما استنبطوه وبينوه في الحوادث ، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله ، وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث، على ما بيناه..." .

[١٠] والكلام والخصومة والجدال والمراء محدث يقدح الشك في القلب ، وإن أصاب صاحبه الحق والسنة (١)

---

(١) وهذا أيضا من أصول السنة المتفق عليها ، فلن يكون المسلم على السنة المحضة حتى يترك الجدل والمناظرة مع أهل البدع والأهواء كما **قال الإمام أحمد في أصول السنة (ص٢١)** لا يكون صَاحبه [أي الجدال] وَإِن أصَاب بِكَلَامِهِ السّنة من أهل السّنة حَتَّى يدع الْجِدَال ويؤمن بالآثار) اهـ ومن أشد آية على المجادل في الدين والمناظر في ذلك فيما قال السلف قوله تعالى (**ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**) .

ومن أشد الأحاديث ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كفر**) [رواه الحاكم (٢/ ٢٢٣) وأحمد (٢/ ٢٥٨) وابن حبان (١٤٦٢) وغيرهم والحديث صحيح]

وروى ابن أبي عاصم في السنة (١٠١) بسند لابأس به عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجِدَالَ » ، ثُمَّ قَرَأَ {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا.} [الزخرف: ٥٨]

ومن أشد ما روى عن الأمم السابقة **ما رواه الآجري في الشريعة (١٢٢) عَنْ خُصَيْفٍ** ، قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ يَا مُوسَى لَا تُخَاصِمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَا مُوسَى لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، فَيَقَعْ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ ، فَيُرْدِيَكَ فَيُدْخِلَكَ النَّارَ .

ولقد تواترت الآثار عن السلف في شدة النهي عن الجدل والخصومات والمناظرات بإطلاق دون تفصيل أو شرط ومن ذلك :

روى الهروي في ذم الكلام (٧٨٥) عَنْ أَبِي إِيَاسَ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ سَمَّاهُ ابْنُ يَعْقُوبَ قَالَ : الْخُصُومَاتُ فِي الدِّينِ تُحْبِطُ الْأَعْمَالَ)

روى بن أبي الدنيا في الصمت (ص١١٦) : قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل"

روى ابن الجوزي في سيرة عمر (ص٢٩٣) أن عمر ابن عبد العزيز قال: "احذروا المراء فإنه لا تؤمن فتنة ولا تفهم حكمته" .

وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٥) عن إسحاق بن عيسى قال: " سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أرادنا أن نرد ما جاء به جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم".

وروى الآجري في الشريعة (١١٨) عَنْ هِشَامٍ ابْنَ حَسَّانَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ الْحَسَنُ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي ، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ)

أخرج أبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٤) عن الشافعي قال: "كان مالك بن أنس إذا جاءه بعض أهل الأهواء قال: أما إني على بيّنة من ربي وديني، وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ فخاصمه".

وأخرج ابن بطة في الإبانة لابن بطة (٢/٥٣٩) عن عبيد الله بن حنبل قال : "حدثني أبي قال : سمعت أبا عبد الله يقول: عليكم بالسنة والحديث وينفعكم الله به ، وإياكم والخوض والجدال والمراء فإنه لا يفلح من أحب الكلام ، وكل من أحدث كلاماً لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة ، لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال ، وعليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا ، ويجانبون أهل الكلام ، وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير أعاذنا الله وإياكم من الفتن وسلمنا وإياكم من كل هلكة "

وروى الخلال في السنة (١٧٩٣) قال : وَأَخْبَرَنِي يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ الْمُطَوِّعِيُّ، قَالَ: حَضَرْتُ بَابَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَجَاءَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ وَانِ الْقُطْنِ، فَقَالُوا: إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِهِ مَذْهَبُ ابْنِ الْأَشْعَثِ، وَقَالَ: إِنَّهُ مَا قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَأَنَا أَصِيرُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: «جِيئُوا بِهِ » فَجَاءَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ أَحْمَدُ: « مَا لَكُمْ وَلِلْجَدَلِ ؟ مَا لَكُمْ وَلِلْكَلَامِ ؟ مَا لَكُمْ وَلِلْخُصُومَةِ ؟ » ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، تَنْهَى عَنِ الْجِدَالِ وَعَنِ الْكَلَامِ وَعَنِ الْخُصُومَةِ. فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوا بِهِ : إِنَّ هَذَا السَّاعَةَ يَذْهَبُ فَيَقُولُ: ذَهَبْتُ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَنَهَانِي عَنِ الْجِدَالِ ، وَالْكَلَامِ ، وَالْخُصُومَةِ ، وَيَسْكُتُ عَلَى الشَّكِّ ، فَقَالَ أَحْمَدُ : مَنْ شَكَّ فَهُوَ كَافِرٌ)

وروى الآجري في الشريعة (١١٤) أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ أَبُو قِلَابَةَ يَقُولُ: " لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ ، أَوْ يُلْبِسُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ بَعْضَ مَا لُبِّسَ عَلَيْهِمْ)

وروى الآجري أيضا (١١٧) عن مَعْنُ بْنُ عِيسَى قَالَ : انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ : فَإِنْ غَلَبْتَنِي ؟ قَالَ : إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ : فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا ؟ قَالَ : نَتَّبِعُهُ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ)

وروى الآجري (١٢٣) عن عَبْدَ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيَّ يَقُولُ: (مَا خَاصَمَ وَرِعٌ قَطُّ فِي الدِّينِ)

وروى الآجري (١٢٤) عَنْ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ قَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَكَمِ: مَا اضْطَرَّ النَّاسَ إِلَى الْأَهْوَاءِ ؟ قَالَ : الْخُصُومَاتُ .

(قلت) والآثار في ذم الجدل وخطورته كثيرة لا تتسع لها هذه الحاشية ، ولقد استثنى السلف في هذا الاب (**المسترشد**) : وهو طالب الحق المتواضع له الذي لا يبغي الجدال إنما حصلت له شبهة يريد لها جوابا ولقد فصل الإمام بن بطة رحمه الله الكلام في هذا الإستثناء فأجاد غاية الجودة .

فقال في الإبانة (٦٨٢) : عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: " آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ؟ قَالَ: مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ .

قَالَ ابن بطة : صَدَقَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَهَكَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا إِمْرَةَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ ، فَإِذَا كَانَ السَّائِلُ لَكَ هَذِهِ أَوْصَافُهُ وَجَوَابُكَ لَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي قَدْ شَرَحْتُهُ ، فَشَأْنَكَ بِهِ ، وَلَا تَأْلُ فِيهِ جَهْدًا ، فَهَذِهِ سَبِيلُ الْعُلَمَاءِ الْمَاضِينَ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَعْلَامًا فِي هَذَا الدِّينِ ، فَهَذَا أَحَدُ الثَّلَاثَةِ ، وَرَجُلٌ آخَرُ يَحْضُرُ فِي مَجْلِسٍ أَنْتَ فِيهِ حَاضِرٌ تَأْمَنُ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَيَكْثُرُ نَاصِرُوكَ وَمُعِينُوكَ ، فَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ فِيهِ فِتْنَةٌ وَبَلِيَّةٌ عَلَى قُلُوبِ مُسْتَمِعِيهِ لِيُوقِعَ الشَّكَّ فِي الْقُلُوبِ لِأَنَّهُ هُوَ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ يَتْبَعُ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَالْبِدْعَةِ ، وَقَدْ حَضَرَ مَعَكَ مِنْ إِخْوَانِكَ وَأَهْلِ مَذْهَبِكَ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا حُجَّةَ عِنْدَهُمْ عَلَى مُقَابَلَتِهِ ، وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِقَبِيحِ مَا يَأْتِي بِهِ ، فَإِنْ سَكَتَّ عَنْهُ لَمْ تَأْمَنْ فِتْنَتَهُ بِأَنْ يُفْسِدَ بِهَا قُلُوبَ الْمُسْتَمِعِينَ ، وَإِدْخَالَ الشَّكِّ عَلَى الْمُسْتَبْصِرِينَ ، فَهَذَا أَيْضًا مِمَّا تَرُدُّ عَلَيْهِ بِدْعَتَهُ ، وَخَبِيثَ مَقَالَتِهِ ، وَتَنْشُرُ مَا عَلَّمَكَ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا يَكُنْ قَصْدُكَ فِي الْكَلَامِ خُصُومَتَهُ وَلَا مُنَاظَرَتَهُ ، وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ بِكَلَامِكَ خَلَاصَ إِخْوَانِكَ مِنْ شَبَكَتِهِ ، فَإِنَّ خُبَثَاءَ الْمَلَاحِدَةِ إِنَّمَا يَبْسُطُونَ شِبَاكَ الشَّيَاطِينِ لِيَصِيدُوا بِهَا الْمُؤْمِنِينَ ، فَلْيَكُنْ إِقْبَالُكَ بِكَلَامِكَ ، وَنَشْرِ عِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ ، وَبِشْرِ وَجْهِكَ ، وَفَصِيحِ مَنْطِقِكَ عَلَى إِخْوَانِكَ ، وَمَنْ قَدْ حَضَرَ مَعَكَ لَا عَلَيْهِ ، حَتَّى تَقْطَعَ أُولَئِكَ عَنْهُ ، وَتَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اسْتِمَاعِ كَلَامِهِ ، بَلْ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَقْطَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ بِنَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ تُحَوِّلُ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ عَنْهُ ، فَافْعَلْ ، فعن بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ ، سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَ هَؤُلَاءِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي مَوْضِعِ جِنَازَةٍ ، أَوْ مَقْبَرَةٍ ، فَيَتَكَلَّمُونَ ، وَيُعْرِضُونَ فَتَرَى لَنَا أَنْ نُجِيبَهُمْ ، فَقَالَ « إِنْ كَانَ مَعَكَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، فَرُدُّوا عَلَيْهِ لِئَلَّا يَرَى أُولَئِكَ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا يَقُولُونَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَهُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُمْ ، وَلَا تُجِيبُوهُمْ) فَهَذَانِ رَجُلَانِ قَدْ عَرَّفْتُكَ حَالَهُمَا ، وَلَخَّصْتُ لَكَ وَجْهَ الْكَلَامِ لَهُمَا ، وَثَالِثٌ مَشْئُومٌ قَدْ زَاغَ قَلْبُهُ ، وَزَلَّتْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ قَدَمُهُ ، فَعَشِيَتْ بَصِيرَتُهُ ، وَاسْتَحْكَمَتْ لِلْبِدْعَةِ نُصْرَتُهُ ، يُجْهِدُهُ أَنْ يُشَكِّكَ فِي الْيَقِينِ ، وَيُفْسِدَ عَلَيْكَ صَحِيحَ الدِّينِ» فَجَمِيعُ الَّذِينَ رُوِّينَاهُ ، وَكُلُّ مَا حَكَيْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَجْلِهِ وَبِسَبَبِهِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَأْتِيَ فِي بَابٍ حُصِرَ مِنْهُ ، وَوَجِيعُ مَكِيدَتِهِ أَبْلَغُ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ جَوَابِهِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ خَطَأٍ بِهِ ، لِأَنَّ غَرَضَهُ مِنْ مُنَاظَرَتِكَ أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ ، فَيَمَلَّكَ وَيَيْأَسَ مِنْكَ فَيُشْفِيَ غَيْظَهُ أَنْ يُسْمِعَكَ فِي دِينِكَ مَا تَكْرَهُهُ ، فَأَخْسِئْهُ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُ ، وَأَذِلَّهُ بِالْقَطِيعَةِ لَهُ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرْتُكَ بِقَوْلِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ لَهُ الْقَائِلُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: (أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَضْلَلْتَ دِينَكَ ، فَالْتَمِسْهُ) وَأَخْبَرْتُكَ بِقَوْلِ مَالِكٍ حِينَ جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، فَقَالَ لَهُ : (أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ ، فَاذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ) فَهَلْ يَأْتِي فِي جَوَابِ الْمُخَالِفِ مِنْ جَمِيعِ الْحُجَجِ حُجَّةٌ هِيَ أَسْخَنُ لِعَيْنِهِ ، وَلَا أَغْيَظُ لِقَلْبِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ ؟ وَالْجَوَابُ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ: لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ ،

[١١] واعلم – رحمك الله – أن الكلام في الرب محدث وهو بدعة وضلالة (١)

= وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ " وَأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ حِينَ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أُكَلِّمُكَ بِكَلِمَةٍ ، فَوَلَّى عَنْهُ ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ : وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ حِينَ قَالَ لِابْنِ أَبِي يَحْيَى: الْقَلْبُ ضَعِيفٌ ، وَلَيْسَ الدِّينُ لِمَنْ غُلِبَ ، قَالَ الْأَعْمَشُ: السُّكُوتُ جَوَابٌ ، فَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُرِيدُ الِاسْتِقَامَةَ ، وَيُؤْثِرُ طَرِيقَ السَّلَامَةِ ، فَهَذِهِ طَرِيقُ الْعُلَمَاءِ ، وَسَبِيلُ الْعُقَلَاءِ ، وَلَكَ فِيمَا انْتَهَى إِلَيْكَ مِنْ عِلْمِهِمْ وَفِعْلِهِمْ كِفَايَةٌ وَهِدَايَةٌ ، وَإِنْ كُنْتَ مِمَّنْ قَدْ زَاغَ قَلْبُهُ ، وَزَلَّتْ قَدَمُهُ ، فَأَنْتَ مُتَحَيِّزٌ إِلَى فِئَةِ الضَّلَالَةِ ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ ، قَدْ أَنِسْتَ بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْعُقَلَاءُ ، وَرَغِبْتَ فِيمَا زَهَدَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ ، قَدْ جَعَلْتَ لِقَوْمٍ بِطَانَتَكَ وَخِزَانَتَكَ قَدِ اسْتَبْشَرَتْ جَوَارِحُكَ بِلِقَائِهِمْ ، وَأَنِسَ قَلْبُكَ بِحَدِيثِهِمْ ، فَقَدْ جَعَلْتَ ذَرِيعَتَكَ إِلَى مُجَالَسَتِهِمْ ، وَطَرِيقَكَ إِلَى مُحَادَثَتِهِمْ ، إِنَّكَ تُرِيدُ بِذَلِكَ مُنَاظَرَتَهُمْ ، وَإِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَرَدَّ بَالَهُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ تَكُ بَهْرَجَتُكَ خَفِيَتْ عَلَى أَهْلِ الْغَفْلَةِ مِنَ الْآدَمِيِّينَ ، فَلَنْ يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) انتهى بتصرف يسير .

(١) رُوي في التحذير من الكلام في ذات الله والتفكر في ذلك عدة آثار اعتمد عليها المؤلف منها :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (**تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل ، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام ، والله عز وجل فوق ذلك**) [صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في العرش (١٦) والأصبهاني في الترهيب والترغيب (١٧٣/٢) وأبو الشيخ في العظمة (٢١٢/١) والبيهقي في الصفات (٨٨٧) وابن بطة في الإبانة (١١٨/١)]

وروى الهروي في ذم الكلام (٩٣٦) عن شُعْبَةَ قال : كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : يَبْغَضُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَيَنْهَى عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَشَدَّ النَّهْيِ وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْأَثَرِ وَإِيَّاكُمْ **وَالْكَلَامَ فِي ذَاتِ اللَّهِ** .

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٢٨) عن أَبِي نُعَيْمٍ الْفَضْلَ بْنَ دُكَيْنٍ يَقُولُ: « **أَدْرَكْتُ النَّاسَ مَا يَتَكَلَّمُونَ فِي هَذَا، وَلَا عَرَفْنَا هَذَا إِلَّا مِنْ بَعْدِ سِنِينَ** ، الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، لَا يَئُولُ إِلَى خَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ ، هَذَا الَّذِي لَمْ نَزَلْ عَلَيْهِ وَلَا نَعْرِفُ غَيْرَهُ » قَالَ : وَسَمِعْتُ شَرِيكًا يَقُولُ : « **كُفْرٌ بِاللَّهِ الْكَلَامُ فِي ذَاتِ اللَّهِ** »

(قلت) وقد نبه الإمام مالك أن الكلام في ذات الله محدث وهذه بعض نصوصه : **أخرج الهروي في ذم الكلام (٢٠٧ – ٢٠٨) وشرح السنة للبغوي (١/ ٢١٧)** من طريق عبد الرحمن بن مهدي قال : دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد : لعن الله عمرا ، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ، ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل. [ولابن الماجشون كلام متين في رد شبهة التفكر في ذات الله ، موجود نصه في السير (٣١١/٧)]

وجاء في ذم الكلام (٢٠٧) عن أشهب بن عبد العزيز قال : سمعت مالك بن أنس يقول: إياكم والبدع قيل يا أبا عبد الله وما البدع ؟ قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان) .

وفي السير (١٠/ ٣١ – ٣٢) **عن المزني** قال قلت : إن كان أحد يخرج ما في ضميري وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي فصرت إليه وهو في مسجد مصر فلما جثوت بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحدا لا يعلم علمك فمن الذي عندك؟ فغضب ثم قال : أتدري أين أنت ؟ قلت نعم قال : هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون ، أبلغك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمر بالسؤال عن ذلك، قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة ؟ قلت : لا، قال: تدري كم نجما في السماء؟ قلت : لا قال: فكوكب منها تعرف جنسه طلوعه أفوله مم خلق ؟ قلت : لا ، قال : فشيء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم في علم خالقه ؟ ثم سألني عن مسألة في الوضوء فأخطأت فيها ، ففرعها على أربعة أوجه ، فلم أصب في شيء منه ، فقال : شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات تدع علمه وتتكلف علم الخالق إذا هجس في

ضميرك ذلك فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: {**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** } فاستدل بالمخلوق على الخالق ، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك قال : فتبت) اهـ .

وَقَالَ إِسْحَاق ابن راهويه : لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في فعل المخلوقات، لقوله: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله بصفاته وفعاله بفهم ما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين ، وذلك أنه يمكن أن يكون الله عز وجل موصوفا بالنزول كل ليلة ، إذا مضى ثلثها إلى السماء الدنيا كما يشاء ، ولا يسأل كيف نزوله ؟ لأن الخالق يصنع ما شاء كما يشاء .. [السنة للكرماني (٣٥٥) ذم الكلام (ص.٢٦١)].

وقال ابن راهويه أيضا : ولا يجوز التفكر في الخالق ، ويجوز للعباد أن يتفكروا في المخلوقين بما سمعوا فيهم ، ولا يزيدون على ذلك ، لأنهم إن فعلوا ذلك تاهوا . [السنة لحرب (٤٣٤)] (**قلت**) بل حتى المخلوقات يجب التفكر فيها عند حدود السمع لا نتجاوز ذلك كما نبه على ذلك إسحاق ومما قاله أيضا : وكيف يستوسع من يدعي العلم الخوض في الأشياء المنهي عنها، قال اللَّه: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الإسراء ٤٤] فكيف يجوز لخلق أن يخوض في التسبيح من الشجب والأشياء المعمولة ، فيخوضوا كيف تسبح القصاع والأخونة والخبز المخبوز ، والثياب المنسوجة ، وكل هذا قد صح فيه العلم أنهم يسبحون فذلك إلى اللَّه أن يجعل تسبيحهم كيف شاء وكما شاء ، وليس للناس أن يخوضوا في ذلك إلا بما علموا ، ولا يتكلموا بشيء في هذا وشبهه إلا بما أمر اللَّه ، ولا يزيدون على ذلك ، واللَّه الموفق ، وعليه التوكل فاتقوا اللَّه ، ولا تخوضوا في هذِه الأشياء المتشابهة ، فإنه يردكم الخوض فيه عن سنن الحق. [مسائل حرب (ص ٤٢٧ – ٤٢٨)]

وسيأتي التفصيل أكثر في هذا الموضوع من هذا الكتاب .

وقال ابن رجب في بيان فضل علم السلف (ص٣) : ومن ذلك أعني محدثات الأمور : ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله وصفاته بأدلة العقول ، وهو أشد خطرا من الكلام في القدر ، لأن الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته .

ولا يتكلم في الرب إلا بما وصف به نفسه في القرآن وما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهو – جل ثناؤه– واحد {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(١) **ربنا أول بلا متى ، وآخر بلا منتهى** (٢) **يعلم السر وأخفى ، [وهو] على عرشه استوى** (٣)

---

(١) وَهُوَ قَول الْأَئِمَّة وإجماع السلف ، **قال الفضيل بن عياض** : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو ؟ لأن الله تعالى وصف نفسه فأبلغ فقال: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه).
قَالَ نعيم بن حَمَّاد شيخ الْبُخَارِيّ : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، وَمن أنكر مَا وصف بِهِ نَفسه فقد كفر ، وَلَيْسَ مَا وصف الله بِهِ نَفسه وَلَا رَسُوله تَشْبِيها"، [الْعُلُوّ للذهبي (ص١٢٦) واجتماع الجيوش الإسلامية لِابْنِ الْقيم (ص٨٦).]
قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا نتجاوز القرآن والسنة".
وروى ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٥) عن بن القاسم أنه قال : لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن، ولا يشبه يديه بشيء ولا وجهه بشيء، ولكن يقول له يدان كما وصف نفسه في القرآن وله وجه كما وصف نفسه، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب، فإنه تبارك وتعالى لا مثل له ولا شبيه، ولكن هو الله لا إله إلا هو كما وصف نفسه، ويداه مبسوطتان كما وصفهما: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} كما وصف نفسه) اهـ
وقال الآجري في الشريعة (٢/ ٥٢) : اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل ، وبما وصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – **وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم** ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع ، ولا يقال فيه : كيف ؟ بل التسليم له) اهـ .
وقال الترمذي في الجامع عَقب حديث أبي هريرة في النُزول: وهو على العرش كما وصفَ به نفسه في كتابه، كذا قال غيرُ واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات.
وقال في باب فضل الصدقة : قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهَّم ، ولا يُقال كيف ، كذا جاء عن مالك وابن عُيينة وابن المبارك أنَّهم أَمَرُّوها بلا كيف، وهذا قولُ أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأمَّا الجهميَّةُ فأنكروها، وقالوا هذا تشبيهٌ. وقال إسحاق بن راهويه: إنَّما يكون التشبيهُ لو قيل يدٌ كيَدٍ ، وسَمعٌ كسمعٍ.
ويقول الدارمي في الرد على الجهمية (٣– ٤) : نصفه بما وصف به نفسه أو وصفه به الرسول ، ثم ذكر طرفاً من أسماء الله وصفاته الواردة في الشرع ثم قال : فبهذا الرب نؤمن وإياه نعبد، وله نصلي ونسجد فمن قصد بعبادته إلى إله بخلاف هذه الصفات فإنما يعبد غير الله" .

(٢) **قال أحمد في الرد على الجهمية (ص١٦٧)** : فزعموا أن الله هو قبل الخلق فصدقوا وقالوا : يكون الآخر بعد الخلق ، فلا يبقى شيء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب ولا عرش ولا كرسي ، وزعموا أن شيئًا مع الله لا يكون ، هو الآخر كما كان فأضلوا بهذا بشرًا كثيرًا) . **وقال ابن جرير في تفسيره (١٦٨/٢٣)** : (هُوَ الأوَّلُ) قبل كل شيء بغير حدّ (وَالآخِرُ) يقول : والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك لأنه كان ولا شيء موجود سواه ، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها ، كما قال جلّ ثناؤه (**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ**)

(٣) وقد فُسِّرَ الاستواء وأُثبت له معنى ، فمن معانيه : **أولا** : فسر (**بالعلو**) قاله : مجاهد ، أبو عبيدة بن المثنى ، أبو العباس ثعلب بن محمد ، ثانيا : فسبر بمعنى (ارتفع) قاله : ابن عباس وأبو العالية والحسن البصري والربيع بن أنس والخليل بن أحمد وبشر

وعلمه بكل مكان ولا يخلو من علمه مكان (١) .

= الزهراني ، ونسبه البغوي إلى أكثر المفسرين. **ثالثا (استقر)** قاله : ابن عباس ، مجاهد ، الكلبي ، مقاتل ، ابن المبارك ، أبو الحسن الكرجي ، أبو أحمد القصاب وقال هذا في عقيدته التي كتبها للقادر بالله (وجمع الناس عليها) وذلك في صدر المائة الخامسة ، وأمر باستتابة من خرج عنها . **رابعا** : **(صعد)** قاله : ابن عباس ، أبو عبيدة بن المثنى وغيرهم .

خامسا (جلس) و**(قعد)** قاله: ابن مسعود، ابن عباس ، الحسن البصري ، عكرمة ، محمد بن كعب ، مجاهد ، خارجة بن مصعب ، الأعمش أحمد ابن حنبل ، عبد الوهاب الوراق ، الدارمي ، الدارقطني ، التيمي ، ابن حامد وغيرهم كثير .

(١) هذا مجمع عليه بين أهل السنة وهي من المسائل المعلومة بالعقل والفطرة ، والمخالف فيها يكفر بلا شك ، وهذه العبارة التي ذكرها المؤلف ذكرها قبله من السلف كثير ، وقد أخذها عنهم ، وفي هذا آثار نذكر منها : **وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال** : ما بين السماء القصوى والكرسي خمسمائة عام ، ويبن الكرسي والماء كذلك ، والعرش فوق الماء والله فوق العرش ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم .[اللالكائي في السنة (٦٥٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/١٨٦- ١٨٧) والدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٧٥) وابن خزيمة في التوحيد (١٤٩) والطبراني في الكبير (٩/٢٢٨) وأبو الشيخ في العظمة (٢٧٩)]

قال كعب الأحبار رحمه الله : قال الله في التوراة : أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق خلقي ، وأنا على عرشي ، أدبر أمر عبادي ، ولا يخفى علي شيء في السماء ، ولا في الأرض" . [أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٤٤) وابن بطة في الإبانة (١٣٧) وأبو نعيم في الحلية (٦/٧)]

عن علي بن الحسن بن شقيق قال : قلت لعبد الله ابن المبارك كيف نعرف ربنا ؟ قال : في السماء السابعة على عرشه". [رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٨)]

وفي لفظ : على السماء السابعة على عرشه ، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض ".

قال أصبغ بن الفرج المالكي : وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه وإحاطته" [إجتماع الجيوش (ص١٤٢)]

قال بشر الحافي رحمه الله (٢٢٧ هـ) : "والإيمان بأن الله على عرشه كما شاء ، وأنه عالم بكل مكان ، وأن الله يقول ، ويخلق ، فقوله كن ليس بمخلوق " [أوردها الذهبي في العلو (ص١٢٧) ، وفي الأربعين (ص٤٣) وفي العرش (٢١٦)]

وقال الإمام مالك رحمه الله : " اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ **{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ}** وَعَظَّمَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فِي هَذَا وَاسْتَشْنَعَهُ " [ذكره في السنة عبد الله بن أحمد (١١) والآجري في الشريعة (٧٢٠)]

قال حماد بن هنَّاد رحمه الله (٢٣٠ هـ) : هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه، وإيضاح مناهج العلماء وطرق الفقهاء وصفة السنة وأهلها أن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان" [العلو (ص١٥١)]

قال يوسف بن موسى القطان : وقيل لأبي عبد الله [أحمد بن حنبل] : الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه وعلمه وقدرته بكل مكان. قال : نعم". [أخرجه ابن بطة في الإبانة (١١٥) واللالكائي (٦٧٤).]

قول عبد الوهاب بن الحكم الورَّاق (٢٥١هـ) لما روى حديث ابن عباس (ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة ألاف نور وهو فوق ذلك) قال : "من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث ، إن الله فوق العرش ، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة ." [أورده الذهبي في العلو (ص١٤٢) وفي العرش (٢/٢٥٣ رقم ٢٢٦].

[ونقل ابن راهوية الإجماع على هذا كما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش(ص١٤٠)]

قال يحي بن معاذ الرازي رحمه الله (٢٥٨هـ) قال : "الله تعالى على العرش ، بائن من الخلق ، قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل هالك مرتاب ، يمزج الله بخلقه ويخلط الذات بالأقذار والأنتان" [مجموع الفتاوى (٥/٤٩) واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٧٠)]

سئل محمد بن يحي الذهلي (٢٥٨هـ) عن حديث عبد الله بن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم : ليعلم العبد أن الله معه حيث ما كان فقال : يريد أن الله علمه محيط بكل مكان والله على العرش". [أورده الذهبي في العلو ص ١٣٦.]

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار ، حجازاً وعراقاً ، ومصراً وشاماً ، ويمناً وكان من مذهبهم أن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف ، أحاط بكل شيء علماً ."

قال عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله في كتابه النقض على بشر المريسي (ص٤٠٨) : قد اتفقت الكلمة من المسلمين ، أن الله بكماله فوق عرشه ، فوق سمواته) .

وقال أبو عبد الله الزبيري الشافعي : وتصديق ذلك قوله عزوجل لموسى وهارون صلوات الله عليهما (**إنني معكما أسمع وأرى**) [طه ٤٦] يسمع الأشياء ويبصرها وهو على العرش . [الجامع لآل حمدان (ص٧٦٤)]

ذكر الذهبي في العرش (٤٣٧/٢) عن أبي نصر السجزي في كتاب الإبانة له أنه قال : وأئمتنا الثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ، وابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد ، وإسحاق ، متفقون على أن الله فوق عرشه بذاته ، وأن علمه بكل مكان ".

قال الحافظ أبو منصور معمر ابن أحمد : وأنَّ الله عز وجل استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فالاستواء معقول والكيف فيه مجهول ، والإيمان به واجب ، والإنكار له كفر ، وأنَّه – جلّ جلاله – مستوٍ على عرشه بلا كيف ، وأنَّه – جلَّ جلاله – بائنٌ من خلقه والخلق بائنون منه ، فلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لأنَّه الفرد البائن من خلقه ، الواحد الغني عن الخلق ، علمه بكلِّ مكان ولا يخلو من علمه مكان . [ذكره التيمي في الحجة (٢٣٢/١)]

[راجع اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم لمن أراد المزيد]

<u>مسألة حكم من أنكر العلو لله تعالى</u> : وعلو الله سبحانه ثابت في الكتاب والسنة والعقل والفطرة :

أما كتاب الله : فهو مملوء بالنصوص الدالة على علوه سبحانه وتعالى بذاته فوق جميع مخلوقاته بأساليب مختلفة وصيغ متعددة ..

أولا : التصريح باستوائه على عرشه جاء ذلك في سبعة مواضع في القرآن العزيز ..

ثانيا : التصريح بلفظ العلي والأعلى، قال تعالى {وهو العلي العظيم} وقال تعالى {له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم} وقال تعالى {سبح اسم ربك الأعلى} وقال تعالى {إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى} .

ثالثا : التصريح بلفظ الفوقية في عدة مواضع .. قال تعالى {وهو القاهر فوق عباده} وقال تعالى {يخافون ربهم من فوقهم} .

رابعا : التصريح بصعود الأشياء إليه سبحانه .. قال سبحانه وتعالى {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} وقال تعالى {وإذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى} وقال تعالى {بل رفعه الله إليه} وقال {تعرج الملائكة والروح إليه} .

خامسا : التصريح بنزول الأشياء من عنده قال تعالى {حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم} وقال تعالى {حم تنزيل من الرحمن الرحيم}.

سادسا : التصريح بأنه سبحانه وتعالى في السماء .. قال تعالى {ءأمنتم من في السماء} إلى قوله {أم أمنتم من في السماء}

فبعد هذه المقدمة في بيان ثبوت صفة العلة ، وهي تكشف نصف المسألة ، لكن إذا علمت أن من الأسباب التي كفر السلف بها الجهمية نفيهم العلو انجلى عنك النصف الآخر من المسألة وبيان ذلك أن نذكر بعض آثارهم :

عن حماد بن زيد سمعت أيوب السختياني ، وذكر المعتزلة وقال : إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء".

[أخرجه الذهبي في العلو (ص٩٨) والسير (٦/ ٢٤) ونسبه للطبراني في السنة وصحح إسناده]

عَن عباد بن الْعَوام يَقُول : كلمت بشر المريسي وَأَصْحَاب بشر فَرَأَيْت آخر كَلَامهم يَنْتَهِي إِلَى أَن يَقُولُوا: **لَيْسَ فِي السَّمَاء شَيْء** .[رواه عبد الله بن الإِمَام أَحْمد فِي السّنة (ص٣٢) والخلال في السنة (١١٣/٥ برقم١٧٥٣) وتَارِيخ بَغْدَاد (٥٨/٧)]

وروى عبد الله في السنة (٤١) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص١١٩) والخلال في السنة (١٦٩٦) وابن بطة في الإبانة (٣٢٩) قَالَ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ : وَذُكِرَ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةُ قَالَ : إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا **لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ** .

روى عبد الله (١٤٧) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ : وسئل عَنِ الْقُرْآنِ فَقَالَ : « يَا أَبَا يَحْيَى مَا لَكَ وَلِهَذِهِ الْمَسَائِلِ هَذِهِ مَسَائِلُ أَصْحَابِ جَهْمٍ إِنَّهُ لَيْسَ فِي أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ شَرٌّ مِنْ أَصْحَابِ جَهْمٍ يَدُورُونَ عَلَى أَنْ **يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ** ، أَرَى وَاللَّهِ أَلَّا يُنَاكَحُوا وَلَا يُوَارَثُوا »

روى الذهبي في العرش (١٦٤) وقال جرير بن عبد الحميد : كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم ، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله". [ذكره ابن تيمية في المراكشية (ص٦٥-٦٦) ، ودرء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٥)]

وهب بن جرير يقول : إياكم ورأي جهم ، فإنهم يجادلون أنه **ليس في السماء شيء** ، وما هو إلا من وحي إبليس ، **وما هو إلا الكفر**". [علقه البخاري في خلق أفعال العباد (٦) وأورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١١٨، برقم١٠١) وأورده الذهبي في العلو (ص١١٨) وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢١٧) ، وصححه وعزاه للذهبي]

عَن عَليّ بن الْحسن بن شَقِيق قَالَ قلت لعبد الله بن الْمُبَارك كَيفَ نَعْرِف رَبنَا عزوجل قَالَ فِي السَّمَاء السَّابِعَة على عَرْشه وَلَا نقُول كَمَا تَقول الْجَهْمِية أَنه هَاهُنَا فِي الأَرْض .[السنة لعبد الله (١١١/١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١١٢) بسند صحيح]

قال أبو معاذ خالد بن سليمان البلخي (١٩٩ هـ) : (كان جهم على معبر ترمذ ، وكان فصيح اللسان، ولم يكن له علم ولا مجالسة أهل العلم، فكلم السُمَنية [ديانة بوذية] فقالوا له : صف لنا ربك الذي تعبده. فدخل البيت لا يخرج، ثم خرج إليهم بعد أيام فقال: "هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء ، ولا يخلوا منه شيء."

قال أبو معاذ : "كذب عدو الله ، إن الله في السماء على العرش كما وصف نفسه.") [العرش للذهبي (٢٠١/٢) ونسبه للرد على الجهمية لابن أبي حاتم ورواه البيهقي بسند صحيح في كتابه الأسماء والصفات (٣٣٧/٢)]

قال سعيد بن عامر الضبعي (٢٠٨ هـ) وهو من شيوخ البخاري: « الجهمية شرٌّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان: أن الله تبارك وتعالى على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء » [رواه البخاري في خلق أفعال العباد (ج٢ ص١٧) ومن طريقه الذهبي في كتاب العرش (ج٢ ص٢٠٧)، والعلو للعلي الغفار" وفي كتابه الأربعين في الصفات (ج١ ص٤٢)]

<u>**(قلت) فهذه كمقدمة لتفهم**</u> أن أغلب ما وقع فيها الجهمية من الكفر أرجعه السلف لإنكار العلو واعتبروه أغلظ النواقض التي كفروا بها وارتدوا ، وسنبدأ بذكر من كفر من أنكر العلو من السلف وأهل الحديث : **قال محمد بن يوسف الفريابي (٢١٢ هـ)** وهو من شيوخ البخاري: «من قال: إن الله ليس على عرشه فهو كافر.» [خلق أفعال العباد للإمام البخاري (ج٢ ص٣٩)]

قال محمد بن مصعب الدَّعَّاء : « من زعم أنك لا تَتَكلَّم ولا تُرَى في الآخرة فهو كافر بوجهك لا يعرفك أشهدُ أنك فوق العرش فوق سبع سموات، ليس كما يقول أعداء الله الزنادقة ».[رواه عبد الله في السنة (١٧٣/١) والدارقطني في الصفات (ص٧٢-٧٣) والنجاد في الرد على من يقول القرآن مخلوق (ص٧١) والخطيب في تاريخ بغداد (٤٥٢/٤) وسنده صحيح]

وقال الحاكم في معرفة علوم الحديث (١٦١) سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول : « من لم يقر بأن الله تعالى على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته ، فهو كافر بربه يستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضربت عنقه ، وألقي على بعض المزابل حيث لا يتأذى المسلمون ، والمعاهدون بنتن ريح جيفته ، وكان ماله فيئا لا يرثه أحد من المسلمين ، إذ المسلم لا يرث الكافر كما قال صلى الله عليه وسلم »

وَقَالَ أَبُو عَاصِم خشيش بن أصرم : «من كفر بآية من كتاب الله فقد كفر به أجمع ، فمن أنكر العرش فقد كفر به أجمع ،

ومن أنكر العرش فقد كفر بالله وجاءت الآثار بأن لله عرشا وأنه على عرشه » [التنبيه للملطي (ص١٠٠)]

وروى عبد الله في السنة (١٢٢) عن يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ قال : مَنْ زَعَمَ أَنَّ {**الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**} [طه: ٥] عَلَى خِلَافِ مَا يُقَرُّ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ فَهُوَ جَهْمِيٌّ .

وقال ابن أبي حاتم في كتابه "الرد على الجهمية": أخبرني حرب بن إسماعيل الكرماني : « الجهمية أعداء الله ، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأنه لا يعرف لله مكان، وليس على عرش، ولا كرسي، وهم كفار فاحذرهم » [ذكره في كتاب العرش ذاك الذهبي (٢٦٢/٢)]

قال عثمان الدارمي (٢٨٠ هـ) : (فالله تبارك وتعالى فوق عرشه ، فوق سمواته ، بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبده) [نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي (ج١ ص٣٤٠)]

قال ابن بطة العكبري الحنبلي (٣٨٧ هـ) في كتابه الإبانة الكبرى : بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَعِلْمَهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَجَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى عَرْشِهِ، فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ، لَا يَأْبَى ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا مَنِ انْتَحَلَ **مَذَاهِبَ الْحُلُولِيَّةِ** ، وَهُمْ قَوْمٌ زَاغَتْ قُلُوبُهُمْ، وَاسْتَهْوَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ **فَمَرَقُوا مِنَ الدِّينِ** ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ذَاتَهُ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ بِذَاتِهِ حَالٌّ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَأَقَاوِيلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ) .

قال ذاك الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٩٦/١٤) :أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيْلُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ فِي كِتَابِهِ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ تَمِيْمٍ اللَّبْلِيُّ بِبَعْلَبَكَّ أَخْبَرَنَا أَبُو رَوْحٍ بِهَرَاةَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعِيْلَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بنُ أَحْمَدَ المَلِيْحِيُّ، أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الخَفَّافُ، حَدَّثَنَا أَبُو العَبَّاسِ السَّرَّاجُ إِمْلاَءً ، قَالَ :

مَنْ لَمْ يُقِرَّ بِأَنَّ اللهَ – تَعَالَى – يَعْجَبُ، وَيَضْحَكُ ، **وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**، فَيَقُوْلُ: (مَنْ يَسْأَلُنِي، فَأُعْطِيَهُ) ، **فَهُوَ زِنْدِيْقٌ كَافِرٌ** يُسْتَتَابُ ، فَإِنْ تَابَ ، وَإِلاَّ ضُرِبَتْ عُنُقه ، وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلاَ يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِيْنَ ."

وقد أقرَّ ابن تيمية بإجماع السلف على تكفير من أنكر العلو فقال : لهذا كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين والأمور المعلومة بالضرورة عند السلف والأئمة وعلماء الدين . [درء تعارض العقل والنقل (٢٧/٧)] لكن مشكلته أنه كعادته يأتي بتأصيلات غريبة لا تعرف في التفريق بين المعين وغيره !! فكيف يكون معلوم بالفطرة والعقل والإضطرار ثم يعذر بالجهل ؟؟

تنبيه : الكثير من الأشعرية ـ وهم جهمية في الأساس ـ لم يكتفوا بنفي العلو حتى كفروا من أثبت علو الله على خلقه ، منهم القرطبي صاحب المفهم ، والهيثمي في فتاويه ، وابن حجر العسقلاني في شرحه على البخاري ، فكيف يجرؤون على تكفيرك أيها الموحد ، وتجبن أنت في المقابل في نفس مسألة العلو !!

ولا يقول في صفات الرب : كيف ؟ ولم ؟ إلا شاك في الله تبارك وتعالى (١) .

(١) قد نهى السلف عن السؤال بكيف فيما يتعلق بذات الله وصفاته ، ووردت آثار اعتمد عليها البربهاري ، من ذلك :

عن سفيان بن عيينة قال : لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق") [أخرجه ابن بطة في الإبانة (١٢١)]

وروى الدارقطني في الصفات (٦١) عن سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ قُالُ: كُلُّ شَيْءٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيرُهُ لَا كَيْفَ وَلَا مِثْلَ .

وقال ابن وهب : كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى ؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه وقال : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كما وصف نفسه ، ولا يقال كيف ؟ وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه) [أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٨٦٦)]

عن الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية ؟ فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف. [أصول الاعتقاد (٣/ ٥٨٢/٩٣٠) والشريعة (٢/ ١٠٤ – ١٠٥/ ٧٦٥)]

وقال أحمد بن نصر : سألت ابن عيينة وجعلت ألح عليه فقال : دعني أتنفس فقلت : كيف حديث عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم : "**إن الله يحمل السماوات على إصبع**" وحديث "**إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن**" وحديث "**إن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق**" فقال سفيان : هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف. [ذكره في السير (٨/ ٤٦٦ – ٤٦٧)]

وروى عبد الله في السنة (٤٩٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ : نُسَلِّمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ **وَلَا نَقُولُ كَيْفَ كَذَا** وَلَا لِمَ كَذَا ، يَعْنِي مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ ، وَحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » وَنَحْوِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ "

روى ذاك الذهبي في العرش (٤٨٥) عن إِسْحَاق ابن راهوية قَالَ لِي ابْن طَاهِر : يَا أَبَا يَعْقُوب هَذَا الَّذِي ترويه ينزل رَبنَا كل لَيْلَة كَيفَ ينزل قلت : أعز الله الْأَمِير لَا يُقَال كَيفَ إِنَّمَا ينزل بِلَا كَيفَ) .

وقال الإمام أحمد في أصول السنة (ص١٧) : والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا لَا يُقَال لم وَلَا كَيفَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيق وَالْإِيمَان بهَا وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ فَعَلَيهِ الْإِيمَان بِهِ وَالتَّسْلِيم .

وجاء في لمعة الإعتقاد (ص٧) : وقال أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا » ، أو « إن الله يرى في القيامة » ، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها ، ونصدق بها بلا كيف، ولا معنى، ولا نرد شيئا منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ونقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه ، لا نتعدى ذلك ، ولا يبلغه وصف الواصفين ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ، ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتثبيت القرآن .

قال الدارمي في النقض على المريسي (١/ ٤٢٨) : أَخْبَرَنَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ ذُو سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَيَدَيْنِ ، وَوَجْهٍ ، وَنَفْسٍ ، وَعِلْمٍ ، وَكَلَامٍ وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، فَآمَنَّا بِجَمِيعِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ كَمَا وَصفه بِلَا كَيفَ وَنَفَيْتَهَا أَنْتَ عَنْهُ كُلَّهَا أَجْمَعَ بِعَمَايَاتٍ مِنَ الْحُجَجِ وَتَكْيِيفٍ) اهـ .

قال الآجري بعد روايته لحديث الصورة : هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال كيف ؟ ولم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصدق ، وترك النظر ، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين. [الشريعة للآجري (٢/ ١٠٦)]

[١٣] والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره وليس بمخلوق ، لأن القرآن من الله ، وما كان من الله فليس بمخلوق وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفقهاء قبلهما وبعدهما والمراء فيه كفر. (١)

---

(١) من قال أن القرآن مخلوق ، أو أنه عبارة عن كلام الله ، أو أنه بلا حرف وصوت ، أو حكاية ، ونحو هذا ، فكل هذا كفر وردة إجماعا ، نقله غير واحد من أهل السنة من ذلك :

قال قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ شيخ البخاري : (من زعم أن القرآن حكاية فهو والله الذي لا إله إلا هو زنديق كافر بالله) .[أخرجه الضياء المقدسي في اختصاص القرآن (١٦)]

قال عبد الله بن الإمام أحمد : سألت أبي عمن يقول لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت ، فقال أبي تكلم الله بصوت .. هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس . [السنة (٥١٨) والرد على المبتدعة لابن البناء (٢٣٩)] .

قال المروزي : سمعت أحمد قيل له إن عبدالوهاب قال من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو الله عدو الإسلام ، فقال ما أحسن ما قال) [ذكره في درء التعارض (٢/٣٩) .]

روى اللالكائي (١/١٧٦) عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك ؟ فقالا : أدركنا العلماء في جميع الأمصار –حجازا وعراقا وشاما ويمنا– فكان من مذهبهم : ... ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة ، ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر) اهـ .

وقال الكرماني وهو يحكي إجاعات عقدية في السنة (٦٦) : والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق ، فهو جهمي كافر .. قال : ومن لم يكفر هؤلاء القوم والجهمية كلهم فهو مثلهم) اهـ

[وممن حكى الإجماع السجزي في رسالة الحرف (ص١٥٥)]

قال اللالكائي : (وأنه القرآن على الحقيقة متلو في المحاريب مكتوب في المصاحف محفوظ في صدور الرجال ليس بحكاية ولا عبارة عن القرآن .. ومن قال غير هذا فهو كافر ضال) والأشعري يقول ضد ذلك فهو كافر بلا خلاف لأن عنده القرآن الذي في المصاحف وفي الصدور مخلوق وهو حكاية وعبارة عن كلام الله) اهـ .

وقال ابن الحنبلي الرسالة الواضحة (٦٨٤) : والجهمية لعنهم الله أصناف مختلفة ... وطائفة منهم تقول : إنه حكاية عن ذلك القرآن) اهـ

وقال القحطاني في النونية : (من قال فيه عبارة وحكاية فغدا يجرع من حميم آن) .

وقال الأصبهاني التيمي في الحجة في بيان المحجة (١/٢٢٣) : وَمن زعم أَن الْقُرْآن أَو بعضه ، أَو شَيْئا من مَخْلُوق ، فَلَا يشك فِيهِ عندنَا وَعند أهل الْعلم من أهل السّنة وَالْفضل وَالدّين أَنه كَافِر كفرا انْتقل بِهِ عَن الْملَّة ، وَمن زعم أَن الْقُرْآن كَلَام اللَّه ووقف وَلم يقل غير مَخْلُوق فَهُوَ جهمي أَخبث قولا من الأول وَشر مِنْهُ ، وَمن قَالَ : لَا أَقُول مَخْلُوق وَلَا غير مَخْلُوق فَهُوَ جهمي ، وَمن شكّ فِي كفر من قَالَ: الْقُرْآن مَخْلُوق بعد علمه وَبعد أَن سمع من الْعلمَاء المرضيين ذَلِك فَهُوَ مثله .

(قلت) ولا فرق بين هاته العبارات كلها فمعناها واحد ومؤداها الكفر بالله وتعطيل الصفات والدليل ولهذا بوب الإمام عبد الله في السنة (ص٩٦) فقال : **(من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام**) ثم روى آثار كثيرة في ذلك منها :

في السنة (١٩٥) عن هارون بن معروف قال : من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام .

وروى عبد الله (١٩٦) عن محمد بن مصعب يقول : من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى في الآخرة كافر بوجهك لا يعرفك .

ومما يدل على لا فرق بين تعبيرات الجهمية والأشعرية في نفي صفة الكلام :

ما قال عبد الله في السنة (٥٣٣) سَأَلْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ فَقَالَ أَبِي: « بَلَى إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ » وَقَالَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ : « حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ " قَالَ أَبِي : وَهَذَا الْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ وَقَالَ أَبِي: **هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ** يُرِيدُونَ أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى النَّاسِ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَتَكَلَّمْ فَهُوَ كَافِرٌ ، أَلَا إِنَّا نَرْوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ سَمِعْتُ أَبَا مَعْمَرٍ الْهُذَلِيُّ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَرْضَى وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلَى بِئْرٍ وَاقِفًا فَأَلْقُوهُ فِيهَا بِهَذَا أَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ تَعَالَى) اهـ

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٢١٤) : اعلموا أن صنفا من الجهمية اعقدوا بمكر قلوبهم وخبث آرائهم أن القرآن مخلوق فكنوا عن ذلك ببدعة اخترعوها تمويها وبهرجة على العامة ، ليخفى كفرهم ويستغمض إلحادهم على من قل علمه ، فقالوا إن القرآن الذي تكلم الله به وقاله غير مخلوق ، وهذا الذي نتلوه ونقرؤه بألسنتنا ونكتبه في مصاحفنا ليس هو القرآن الذي هو كلام الله هذا حكاية لذلك) اهـ

قال السجزي : (فقد بان بما قالوه – أي ابن كلاب والأشعري – أن القرآن الذي نفوا الخلق عنه ليس بعربي وليس له أول ولا آخر. ومنكر القرآن العربي كافر بإجماع ومثبت قرآن لا أول له ولا آخر كافر) [رسالة الحرف والصوت (ص ١٠٧)] .

قال ابن القيم عن توافق الأشاعرة والعتزلة في كلام الله : (فتأمل هذه الأخوة التي بين هؤلاء وبين المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل) [مختصر الصواعق (١٣٨٢/٤)].

قال الزنجاني في شرح منظومته : (فليتأمل الناظر هذا الفصل من كلامهم يتبين له تلاعب القوم ورقة دينهم ، فلم يقع الخلاف مع المعتزلة وغيرهم إلا فيما في الدنيا من القرآن المحفوظ في الصدور المقروء بالألسن المكتوب في المصاحف ولم يعرف الخلق بأسرهم قرآنا غيره) .

وقال الهروي في ذم الكلام : (مقررا أنه لا فرق بين قول الجهمية والأشاعرة في كلام الله والقرآن : (قال أولئك ليس له كلام إنما خلق كلاما ، وهؤلاء راوغوا وقالوا هذا حكاية عبر بها عن القرآن والله تكلم مره ولا يتكلم بعد ذلك وليس له صوت ولا حرف... وإنما اعتقادهم القرآن غير موجود ، لفظته الجهمية الذكور مرة ، والأشعرية الإناث عشر مرات) اهـ .

وكفرهم ابن قدامة في كتابة حكاية المناظرة في القرآن لأجل قولهم في القرآن وكلام الله وبين أن قولهم لا يخالف حقيقته قول المعتزلة الجهمية الذين كفرهم السلف بإجماع .

(**قلت**) إذن غاية نفي الكلام هو التعطيل لجميع الصفات وهذا كفر وردة محضة لا يجادل فيه من عرف مذهب السلف في الجهمية فلا تستغرب إذن من تكفير الإمام أحمد لمن نفى مجرد الصوت عن كلام الله !! .

وسيأتي في (ص١٥٩) فقرة (٧٣) من هذا الكتاب مزيد تفصيل في مسألة الحرف والصوت .

[١٤] والإيمان بالرؤية يوم القيامة يرون الله بأبصار رؤوسهم وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان (١).

---

(١) الإيمان بالرؤية ثابت بإجماع أهل السنة ، والنصوص والآثار فيها كثيرة متواترة لا يحصى جمعها ، وقد جمعها غير واحد من أهل الحديث ككتاب الرؤية للدارقطني والنحاس وغيرهم .

قال الطبري : فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسًا ، وطفق يُعَدِّدُهم ثم قال : وأما التابعون ونُزْل الإسلام وعصابة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل) اهـ. [حادي الأرواح (ص ٤٠٢–٤٧٧)]

وهذه من **المسائل الفارقة** بين أهل السنة والجهمية ، والأصل في هذا الباب قوله تعالى **{وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** [القيامة ٢٢،٢٣] احتج جميع السلف بهذه الآية على الرؤية وكلامهم فيها كثير لا يمكن حصره وجمعه في هذه الحاشية لكن يتمسك بعض أهل التجهم برواية عن مجاهد فسَّر بها هذه الآية بقوله (**إلى ربها ناظرة**) قال تنتظر ثوب ربها !!

والجواب على هذا أن يقال : **أولا** : أن هذا القول إن صح فهو شاذ لا يثبت لغة ومخالف لتفسير جماهير السلف .

قال ابن منده في الرد على الجهمية (ص١٠٢) : أجمع أهل التأويل كابن عباس وغيره من الصحابة ، ومن التابعين محمد بن كعب وعبد الرحمن بن سابط والحسن بن أبي الحسن وعكرمة وأبو صالح وسعيد بن جبير وغيرهم أن معناه : إلى وجه ربها ناظرة والآخرون نحو معناه ومن روى عنه أن معناه: أنها تنتظر الثواب فقول شاذ لا يثبت) اهـ .

قال ابن بطة رحمه الله في كتاب الإبانة (٧/٣–٧٤) : وقالت الجهمية : إنما معنى قوله: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة ٢٣] إنما أراد بذلك الانتظار ، فخالفت في ذلك بهذا التأويل جميع لغات العرب ، وما يعرفه الفصحاء من كلامها ، لأن القرآن إنما نزل بلسان العرب ، قال الله تعالى: {وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [النحل: ١٠٣] وقال: {قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ} [الزمر: ٢٨] فليس يجوز عند أحدٌ ممن يعرف لغات العرب وكلامها أن يكون معنى قوله {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} الانتظار ، ألا ترى أنه لا يقول أحد : إني أنظر إليك يعني : أنتظرك إنما يقول : أنتظرك فإذا دخل في الكلام : (إلى) فليس يجوز أن يعني به غير النظر ، يقول : أنظر إليك ، وكذلك قوله : **{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** ولو أراد الانتظار لقال: لربها منتظرة ، ولربها ناظرة ، وذلك كله واضح بين عند أهل العلم ممن وهب الله له علمًا في كتابه وبصرًا في دينه.

ثم قال رحمه الله : سمعت أبا بكر بن الأنباري النحوي يقول في قوله تعالى: **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}** ولو كان بمعنى منتظرة ما جاز أن تكون ناضرة؛ لأن المنتظر على وجهه الحزن ، لأنه متوقع شيئًا لم يحصل له ، والناضرة مسفرة مشرقة ضاحكة مستبشرة .

ووجه آخر : أنه لو أراد بالناظرة : منتظرة ، كان يقول : لربها ناظرة ، ولم يقل: إلى ربها ناظرة) .

ثانيا : تتم لكم هذه الشبهة إن كان مجاهد ينفي الرؤية ويعتقد عدم ثبوتها كيف وهو من روى عن ابن عمر حديث: **"إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكِه وسرره وخدمه مسيرة ألف سنة ، يرى أقصاه كما يرى أدناه ، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشية"** فهذا الحديث رواه مجاهد ونشره بين الناس ، وقد صرح بثبوت الرؤية فيما **روى عبد الله بن أحمد في كتاب السنة** عن مجاهد في قوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة قال : ضاحكة إلى ربها ناظرة .

وروى اللالكائي في السنة عن مجاهد (**للذين أحسنوا الحسنى**) قال : الحسنى الجنة ، والزيادة : النظر إلى الرب .

ثالثا : لا يلزم منه ينفي الرؤية ، فقد قال أحمد في الرد على الزنادقة (ص١٣١) فقال : إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربها)

فإن قالوا : قد رُوي عن مجاهد أنه قال في لفظ : (**يرى ولا يراه شيء**) **قلنا** : لا تثبت هذه اللفظة فإنها من رواية محمد بن حميد الرازي وهو متهم بالكذب .

ومن الآيات قوله تعالى (**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبوهم**) وقد احتج بها الشافعي رحمه الله على الرؤيا وقوله تعالى { **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**} [الأنعام ١٠٣] **عن عطية العوفي قال** : هم ينظرون إلى الله ، لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله : " لا تدركه الأبصار" الآية. [١٢/١٤]

وقوله تعالى (**تحيتهم يوم يلقونه سلام**) قال أبو العباس ثعلب : أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بالأبصار .

ومن الآيات قوله تعالى (**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**) قال ابن أبي حاتم في تفسيره : وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحذيفة بن اليمان ، وابن عباس ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الرحمن بن سابط ، وعكرمة ، وعامر بن سعيد ، والحسن ، ومجاهد وقتادة ، وأبي إسحاق ، والضحاك ، وأبي سنان و السدي : إن الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

وقال الدارمي في رده على المريسي الجهمي العنيد (**٣٦٧/١**) وقد سبق من الله القول بأنه: {**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**} أبصار أهل الدنيا، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وسؤالهم عما حظره الله على أهل الدنيا، ولو قد سألوه رؤيته في الآخرة كما سأل أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- محمدًا صلى الله عليه وسلم، لم تصبهم تلك الصاعقة، ولم يقل لهم إلا ما قال محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذ سألوه: هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال: "نعم، لا تضارون في رؤيته" فلم يعبهم الله ولا رسوله بسؤالهم عن ذلك، بل حسنه لهم وبشرهم به بشرى جميلة، كما رويت أيها المريسي عنه ، وقد بشرهم الله تعالى بها قبله في كتابه، فقال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} وقال للكفار: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} فقوم موسى سألوا نبيهم ما حظره الله على أهل الدنيا بقوله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} وسأل أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- نبيهم ما أخبر الله أنه سيعطيهم ويثيبهم به، فصعق قوم موسى بسؤالهم ما لا يكون، وسلم أصحاب محمد بسؤاله ما يكون. ومتى عاب الله على قوم موسى سؤال الرؤية في الآخرة، فتفتري بذلك عليهم ؟ تكذب على الله وعلى رسوله، والله لا يحب الكاذبين) اهـ .

وروى عبد الله في السنة (**٤١٩**) **والبخاري في خلق أفعال العباد** (**٧٤**) عن يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ، لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ، عَنْ جَرِيرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ » فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَالَ يَزِيدُ : مَنْ كَذَبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى الدارقطني في الصفات (**٦٤**) **وعبد الله في السنة** (**١٩٦**) وغيرهم بإسناد صحيح عن مُحَمَّدَ بنَ مُصْعَبٍ الْعَابِدَ يَقُولُ: « مَنْ زَعَمَ أَنَّكَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تُرَى فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ بِوَجْهِكَ وَلَا يَعْرِفُكَ ، أَشْهَدُ أَنَّكَ فَوْقَ الْعَرْشِ ، فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَات ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُ أَعْدَاؤُكَ الزَّنَادِقَةُ) اهـ [وقد صححه ابن القيم في الصواعق (١٠٨٥/٣) والذهبي في العرش (١٨٥)]

وروى أبو داود في مسائله (**١٧٠٠**) قال : سَمِعْتُ أَحْمَدَ وَذُكِرَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ شَيْءٌ فِي الرُّؤْيَةِ فَغَضِبَ وَقَالَ : مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فَهُوَ كَافِرٌ .

وقال ابن ابن بطة في الإبانة (**٣٨٧/٢**) : (قال أحمد : ومن قال إن الله لا يرى في الآخرى فهو جهمي وقد كفر) اهـ

قال أبو يعلى في إبطال التأويلات (**٢٨٥/١**) : وَقَالَ [أي أحمد]فِي رِوَايَةِ الْمَرُّوذِيِّ وَحَنْبَلٍ وَأَبِي دَاوُدَ: مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لا يُرَى فِي الآخِرَةِ فَقَدْ كَفَرَ فَقَدْ نَصَّ عَلَى صِحَّتِهَا وَالأَخْذِ بِهَا وَتَكْفِيرِ مَنْ رَدَّهَا) اهـ

قال ابن بطة في الإبانة (**٣٦٦/٢**) : إنما أرادوا بجحد رؤيته : إبطال ربوبيته لأنهم متى أقروا برؤيته أقروا بربوبيته) اهـ

وروى الآجري في الشريعة (**٥٧٧**) عن الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، وَبَلَغَهُ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ ، فَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا ثُمَّ قَالَ : " مَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ كَفَرَ ، عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ ، مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ ، أَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] وَقَالَ تَعَالَى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى) اهـ[ينظر الرد على الجهمية (ص٢٥٩) ومسائل ابن هانئ (١٨٥٠) وطبقات الحنابلة (١٩٣/٢) والرد على المبتدعة لابن البناء (ص١٥٣)]

قال الدارمي في النقض على المريسي (**٢٠٩/١**) مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا وَلَمْ يَرْجُهَا كَانَ مِنَ الْمَحْجُوبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الَّذِينَ قَالَ

[١٥] والإيمان بالميزان يوم القيامة (١) .

= تَعَالَى {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} لِأَنَّهُ يُقَالُ : "**مَنْ كَذَّبَ بِفَضِيلَةٍ لَمْ يَنَلْهَا**" وَقَدْ كَذَّبَتِ الْجَهْمِيَّةُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ .

روى اللالكائي في السنة (٨٠٨) قال أبو الأنصاري قيل لمالك : إنهم يزعمون أن الله لا يُرى ؟ فقال مالك : **السَّيفَ السَّيفَ** .

وقال الآجري في كتاب الشريعة (٩٧٩، ٩٨٠) : فإن قال الجهمي أنا لا أومن بهذا ، قيل له : كفرت بالله العظيم ، فإن قال : وما الحجة ؟ قيل : لأنك رددت القرآن والسنة وقول الصحابة –رضي الله عنهم– وقول علماء المسلمين ، واتبعت غير سبيل المؤمنين) ..

فضيحة ١ : الأشعرية لا تؤمن بالرؤية ، وهي تنافق وتموه كالعادة فيقولون بإثبات الرؤية ثم يقولون (بلا بصر) أو (بلا مقابلة) وزاد المتأخرون أنه يرى من غير جهة ، وهذا ما يسمى (برؤيا العلم) وهو قول المعتزلة وليس بينهم وبين قول المعتزلة فرق كما قال السجزي في رسالته التي فضح نفاق الأشعري فيها ، وقد اعترف الرازي أن الخلاف بينهما لفظي فقط ، فلعنة الله على المنافقين الزنادقة ، وعلى من دافع عنهم .

فضيحة ٢ : ما جاء في كتاب الفقه الأكبر (ص٥٣) لأبي حنيفة جاء فيه : " وَاللهُ تَعَالَى يرى فِي الْآخِرَة وَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ وهم فِي الْجنَّة بأعين رؤوسهم **بِلَا تَشْبِيه وَلَا كَيْفيَّة** !! وَلَا يكون بَينه **وَبَين خلقه مَسَافَة** !!) اهـ

(قلت) وهذا يشبه قول المعتزلة والأشعرية .

(١) الإيمان بالميزان من عقيدة أهل السنة والجماعة إجماعا خلافا للأهل الكفر والضلال من المعتزلة والجهمية والخوارج ، وجاءت فيه عدة نصوص وآثار اعتمد عليها المؤلف : فمن القرآن قوله تعالى {**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** } [الأنبياء: ٤٧] وقوله تعالى { **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**) [الكهف ١٠٥] ومن الأحاديث المرفوعة أذكر :

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الْجَمَّاءَ لَتَقْتَصُّ مِنَ الْقَرْنَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [الأنبياء ٤٧] الْآيَةُ . [أخرجه أحمد (١ / ٧٢) والطبراني في الأوسط (٩٥٨٢) وأبو يعلى كما في الزوائد (١٨٩٩) والدينوري في المجالسة (١٠٦٧) ورجح ابن معين وأبو زرعة والبزار والعقيلي وابن عدي والدارقطني أنه من رواية أبي السَّليل، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ ، عَنْ سلمان موقوفًا خلافا للمعاصرين الذين صححوا هذا الحديث مرفوعا عن عثمان كذاك الألباني !! أنظر : الدوري في التاريخ (٤/٢٥٧-٢٥٨) وعلل ابن أبي حاتم (٢١٦٦) والعقيلي في الضعفاء (١/٢٨٥-٢٨٦) وابن عدي في الكامل (٢/٢٣٢) والدارقطني في العلل (٣/٦٥)]

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : الْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ إِذَا شَاءَ أَقَامَهُ وَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » [رواه أحمد (١٧٦٣٠) وابن ماجه (١٩٩) وابن أبي عاصم (٢٢٦) وابن خزيمة في التوحيد (١٠٨) قال ابن منده في الرد على الجهمية (٦٩) : حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم) .

روى عبد الله في السنة (١٠٧٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « يُجَاءُ بِالنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْمِيزَانِ فَيُجَادِلُونَ عِنْدَهُ أَشَدَّ الْجِدَالِ »

يوزن فيه الخير والشر، له كفتان ولسان (١)

[١٦] والإيمان بعذاب القبر (٢) .

=**وروى الطبري في تفسيره** (١٠/٦٩) **واللالكائي** (٢٢٠٩) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : صَاحِبُ الْمَوَازِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : يَا جِبْرِيلُ ، زِنْ بَيْنَهُمْ ، فَرَدَّ عَلَى الْمَظْلُومِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حُمِّلَ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ ، فَيَرْجِعُ الرَّجُلُ عَلَيْهِ مِثْلُ الْجِبَالِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} [الأعراف ٨] .

وصح عن سلمان رضي الله عنه قال : يوضع الميزان يوم القيامة ولو وضعت السموات والأرض فيه لوسعهن قال : فتقول الملائكة : رب لمن نزن بهذا : قال : من شئت من خلقي) [أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣٥٧) والآجري (٨٩٥) وابن أبي زمنين في السنة (٩٣) واللالكائي (٢٢٠٨) والحاكم (٤/٥٨٦) وسنده صحيح وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه بن رجب في الفتح (٢/١٨) وهو موقوف له حكم الرفع ، وفي بعض ألفاظ رواياته (فتقول الملائكة : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك) .

قال الإمام أحمد : "والميزان حق توزن به الحسنات والسيئات كما يشاء الله أن توزن". [انظر رسالة السنة (ص٧٣)]

وختم البخاري جامعه الصحيح كتاب التوحيد باب (٥٨ ج٨/٢١٩) بقوله : باب قول الله تعالى : ونضع موازين القسط ليوم القيامة ، ثم قال : وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن ".

(١) وقد جاء بوصفه أن له كفتين ولسانا في عدة آثار : روى ابن أبي زمنين في السنة (ص١٦٦) والبيهقي في الشعب (٢٧٨) عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : (**الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ**) [لكنه من رواية الكلبي عن أبي صالح وهذا السند جد ضعيف].

وروى اللالكائي (٢٢١٠) والكرماني (٣٠٧) عن عبد الملك بن أبي سليمان قال : ذكر الميزان عند الحسن فقال : **له لسان وكفتان** وعلى هذا حكى غير واحد الإجماع على أن هذا معتقد أهل السنة والجماعة :

قال أبو إسحاق الزجاج : أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال ، وأنكرت المعتزلة الميزان ، وقالوا : هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنة .[الفتح (١٣/٥٣٨)]

[ينظر في الكفتان واللسان : الحجة في بيان المحجة (١/٢٣١) والرد على المبتدعة لابن البناء (ص١٧٢) وتفسير البغوي (٣/٢١٤) وتفسير السمعاني (٣/٣٧٣) وابن القيم في النونية (٢/٥٩٣) وابن قدامة في اللمعة (٦١)]

تنبيه : قد أنكر بعض المعاصرين أن يكون للميزان لسان كابن عثيمين وغيره ، فلينتبه لهذا ، ولا يقلدهم السني المتبع للأثر .

(٢) أجمع أهل السلف قاطبة على أن عذاب القبر ومنكرا ونكيرا حق ، والإيمان بذلك واجب ، بل إن حتى الكثير من اليهود يؤمنون بذلك ، كما في حديث اليهودية التي أخبرت عائشة بذلك ، وهذا خلافا للمعتزلة والجهمية والقدرية وبعض الخوارج وأهل البدع ، والزنادقة اليوم ، والأدلة على من الكتاب والسنة والإجماع :

أولا : وقد **أشار إليه القرآن في آيات منها** : قال الله عز وجل عن آل فرعون ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر ٤٦] فأتباع فرعونَ غرِقوا معه في البحر وقد أخبرنا الله أنهم يُعذَّبون في حياة البرزخ كلَّ يوم أول النهار وآخره ، وقد فَنيت أجسامهم ثم يوم القيامة يبعثهم الله ويُعيدهم كما كانوا بأبدانهم وأرواحهم

فيُدخلون أشد العذاب في نار جهنم .

وقال تعالى : (**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**) [الأنعام٩٣] فقال اليوم أي بعد القبض مباشرة تجزون العذاب وهذا قبل الآخرة أي في القبر . قال تعالى:[**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**] [سورة التوبة: ١٠١] فالعذاب الأول بالقبر والثاني بالأخرة ، قال مقاتل بن سليمان في تفسيره (١٩٣/٢) : سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ عند الموت تضرب الملائكة الوجوه والأدبار وفي القبر منكر ونكير ثُمَّ يُرَدُّونَ إلى عَذابٍ عَظِيمٍ .

قال تعالى:[**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا**] [سورة نوح (٢٥)] والفاء للتعقيب أي مباشرة بعد الغرق دخلوا النار ، ولا يكون هذا إلا في البرزخ .

ومنها قوله تعالى (**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**) [طه ١٢٤] فقد ثبت عن جمع من الصحابة والتابعين أنها نزلت في عذاب القبر .[أنظر تفسير الطبري (٢١٨/١٣) وتفسير مقاتل (٤٠٥/٢) والدر المنثور (١٤٩/٤) ونكت القرآن (٢٨/٢) والرسالة الواضحة (٩٨٣/٢) وأنظر كتاب الرد على المبتدعة لابن البناء (ص١٨٤ - ١٨٥)]

ثانيا : **أما الأحاديث والآثار الصريحة** في هذا الباب فكثيرة متواترة لا يمكن ذكرها هنا ، فإنها تسع مجلدا كاملا [جمعها ابن أبي الدنيا في كتابه **القبور** والبيهقي في (**كتاب إثبات عذاب القبر**) وألف فيها أيضا ابن رجب كتابه (**أهوال القبور**) وراجع (**السنة**) لعبد الله بن أحمد فقد عقد لها فصلا طويلا وبوب له (سُئِلَ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ) **والشريعة** للآجري (٨٤٠) وابن الحنبلي في (**الرسالة الواضحة**) (٩٨٣/٢)]

قال ابن أبي عاصم مبينا من روى من الصحابة في عذاب القبر **في السنة (٨٧٧)** : وَرَوَى فِي عَذَابِ الْقَبْرِ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو أَيُّوبَ وَعَلِيٌّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وأَنَسٌ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ وَأَبُو بَكْرٍ وابْنُ عَبَّاسٍ وعَائِشَةُ وأَسْمَاءُ وأُمُّ خَالِدٍ وَأَبُو رَافِعٍ وجَابِرٌ ،كُلُّ هَؤُلَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَصَحَّتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي اسْتِعَاذَتِهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَتَعَوُّذِهِ مِنْهُ ، وَثَبَتَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، وَهِيَ أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ تُوجِبُ الْعِلْمَ وَتَنْفِي الرَّيْبَ وَالشَّكَّ ، وَاللَّهَ نَسْأَلُ أَنْ يُعِيذَنَا مِنْ عَذَابٍ فِي قُبُورِنَا ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا عَلَيْنَا رِيَاضًا خَضْرَاءَ تُنَوَّرُ لَنَا فِيهَا) ".

وذكرها الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته (ص١٧٤) فليراجع .

أما الإجماع فقد حكاه أكثر أهل السنة ، وكل من تكلم عن العقائد وأصول السنة أذكر منهم : أحمد في أصول السنة (ص٣١) وابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١٥٠) والكرماني في السنة (٣٦) وابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٥٧)

من رده من أهلا البدع : **قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥/١)** وهو يرد على الخوارج والمعتزلة : (وجحدوا عذاب القبر ، وأن الكفار في قبورهم يعذبون ، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين) اهـ

قال الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص١٢٤) : وَأنكر جهم عَذَاب الْقَبْر ، ومنكرا ونكيرا ، وَقَالَ أَلَيْسَ يَقُول {لَا يذوقون فِيهَا الْمَوْت إِلَّا الموتة الأولى} وَقد أخبرنَا بِأَمْر مُنكر وَنَكِير فَمن أولى أَن يتبع النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أم جهم)

ومنكر ونكير (١)

=**وقال ابن البناء في كتابه الرد على المبتدعة (ص١٨٣)** : والمعتزلة تنكر عذاب القبر وإحياء الموتى في قبورهم وسؤال منكر ونكير) اهـ . [وراجع كتابه : المختار في أصول السنة له (ص.٨٧) فقد ذكر نحو هذا]

حكم من رده : **فمن أراد التوسع** في الأدلة فليراجع السنة لعبد الله بن أحمد فقد عقد لها فصلا كبيرا وجمع النصوص والآثار وحققها آل حمدان تحقيقا جيدا فأجاد وأفاد ، لكن يحسن منا هنا أن نبين موقف السلف ممن أنكر فتنة عذاب القبر :

قال ابن أبي زمنين (٨٦) عن عَبْد الْمَلِكِ ربن حبيبَ رَحِمَهُ اَللَّهُ قَالَ : وَفِتْنَةُ اَلْقَبْرِ وَعَذَابُهُ عِنْدَ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ وَالْإِيمَانُ بِاَللَّهِ قَوِيٌّ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فِيهِ شَكٌّ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِذَلِكَ **فَهُوَ مِنْ أَهْلِ اَلتَّكْذِيبِ بِاَللَّهِ** ، وَإِنَّمَا يُكَذِّبُ **بِهِ اَلزَّنَادِقَةُ** اَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ ، وَقَدْ طَلَعَ مِنْ كَلَامِهِمْ طَرَفٌ رَأَيْتُهُ دَبَّ فِي اَلنَّاسِ ، خِفْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ اَلضَّلَالِ فِي دِينِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ ، فَاحْذَرُوهُمْ فَهُمْ اَلَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اَلْأَرْوَاحَ تَمُوتُ بِمَوْتِ اَلْأَجْسَادِ ، إِرَادَةَ اَلتَّكْذِيبِ بِعَذَابِ اَلْقَبْرِ وَبِمَا بَعْدَهُ) اهـ .

قال ابن هانئ في مسائله (١٨٧٣) : حضرت رجلا عند أبي عبد الله وهو يسأله ، فجعل يقول : يا أبا عبد الله .. وسأله عن بعض عقائد أهل السنة ومنها قال : وعذاب القبر ومنكر ونكير ؟ قال أبو عبد الله : نؤمن بهذا كله **ومن أنكر واحدة من هذه فهو جهمي**) اهـ

قال المروذي كم في طبقات الحنابلة (١٤٩/١) : قال لنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل : عذاب القبر حق ، **ما ينكره إلا ضال مضل**) [مثله روى عنه صالح كما في طبقات الحنابلة (١٧٤/١)] .

وقال ابن أبي يعلى في الإعتقاد (٣٢/١) : مسائل في قبرك ومبعوث من بعد الموت فريضة لازمة ، **من أنكر ذلك فهو كافر**.

(قلت) ولا زال إنكار عذاب القبر إلى يومنا هذا موجود ، ويصدق على المكذب به قوله تعالى (**رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ**) [يونس ٨٨] وحريٌّ بمن أنكر عذاب القبر أن يعذب فيه .

(١) **أما تسمية الملكين بمنكر ونكير** فهي ثابتة باتفاق السلف ، ورويت فيهما أخبار كثيرة من الحديث والآثار ، من ذلك :

حديث رواه الترمذي (١٠٧١) وابن أبي عاصم في السنة (٨٦٤) والآجري في الشريعة (٨٥٨) والبزار في المسند (٨٤٦٢) واللالكائي (٢١٣٩) وابن حبان في صحيحه (٣١١٧) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥٦) والشجري كما في ترتيب الأمالي (٢٩٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ ، أَوْ قَالَ : أَحَدُكُمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، يُقَالُ لأَحَدِهِمَا : **الْمُنْكَرُ** ، **وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ**، فَيَقُولاَنِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : ...) الحديث .

قال الترمذي : حسن غريب مشيرا إلى أن فيه نكارة **(قلت)** شرح ذلك أنه مداره على عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد المقبري به ، وعبد الرحمن مختلف فيه جدا ، وأغلب الحفاظ جعلوه وسطا ، وقد وجدت الحفاظ في كتب العلل ينتقدونه كثيرا ويذكرون له مناكير وأخطاء كثيرة ، ويطالبونه بالمتابع ، من ذلك أن أحمد ذكر له حديثا تفرد به ثم قال : منكر ما رواه غيره يعني عبد الرحمن بن إسحاق) [علل المروذي (٦١)] ولهذا لا أظنه يحتمل التفرد بالحديث كما قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وهو قريب من ابن إسحاق صاحب المغازي" وأشار ابن عدي أن في حديثه بعض ما ينكر ، ولاَ يتابع عليه ، وقال ابن حبان لا يحتج به أي : إذا انفرد [انظر: تهذيب التهذيب (١٣٧/٦-١٣٩) الجرح والتعديل (٢/ق٢/٢١٢)] ولهذا استغرب الترمذي روايته لتفرد بحديث لم يروه غيره عن سعيد المقبري ، ولم يُصِبْ من حسنه أو صححه من المتأخرين كابن حبان والعراقي والألباني وغيرهم وهذا من تساهلهم المعروف في تحسين الأحاديث الشاذة المنكرة]

وفي حديث البراء بن عازب المشهور الطويل في قصة الجنازة وحكاية النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة عن خبر المؤمن والكافر بعد الموت أخرج الحديث جمع كثير من السلف وهو صحيح صححه ابن منده والبيهقي وغيرهم لمن فيه رواية أخرجها الطبري في تهذيب الآثار (٧٢٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٦) وفيه ذكر اسم الملكين : **منكر ونكير** .

وروى الحارث بن أسامة في مسنده (٢٨١) والآجري (٨٦١) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مرسلا . وفيه ذكر منكر ونكير ، وصحَّح هذا المرسلَ البيهقيُّ في الاعتقاد (ص٢٩١) وقال ذاك العسقلاني في المطالب العالية (٥/ ٩٧) رجاله ثقات مع إرساله.

وروى حديثا آخر (٧٣٠) بسند ضعيف عن عبادة بن الصامت مرفوعا وفيه ذكر **منكر ونكير** .

وروى ابن أبي عاصم في السنة (٨٦٧) وابن ماجه (٤٢٧٢) وابن حبان (٧٧٩) بسند فيه ضعف يسير عَنْ جَابِرٍ وذكرهما .

وروى البزار في مسنده (٢٦٥٥) عن معاذ بن جبل مرفوعا بسند فيه انقطاع وفيه ذكرهما .

وروى ابن الأعرابي في معجمه (١٨٧٠) والبيهقي في عذاب القبر (١١٦) بسند ضعيف عن عائشة مرفوعا وفيه ذكرهما .

وروى الطبراني في الأوسط (٤٦٢٩) بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا وفيه ذكرهما .

وروى البيهقي في عذاب القبر (١٠٤) بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعا وذكرهما .

ورواه في عذاب القبر عن عمر برقم (١٠٥) وفي الإعتقاد (ص٢٢٢) لكنه ضعيف أيضا . **وقد رواه عَبْدُ الرَّزَّاقِ في مصنفه (٦٧٣٨)** من مراسيل عمرو بن دينار . **ورواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب** «البعث» (ص ٣٥ – ٣٧ رقم ٧) **وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجَّة في بيان المحجَّة»** (رقم ٣٢٤، ٣٢٥) **وسِبط ابن الجوزي في «الجليس الصالح»** (ص ١٣٤) وأورده ابن كثير في مسند الفاروق أستنكره ، وأورده مستنكرا ذاك الذهبي في الميزان (٤/ ٥٣٧ رقم ٨٧٢٩)

ورواه الشجري كما في ترتيب الأمالي (٢٩١٥) بسند ضعيف عن أنس مرفوعا وذكرهما .

وروى فيه ابن المبارك في الزهد (١٥٩٠) عن محمد بن قيس يروي عن أبي الدرداء في أثر طويل جاء فيه : « وَيْحَكَ كَيْفَ بِكَ لَوْ قَدْ حُفِرَ لَكَ أَرْبَعُ أَذْرُعٍ مِنَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ غرِقْتَ فِي ذَلِكَ الْجُرُفِ الَّذِي رَأَيْتَ ، ثُمَّ جَاءَكَ فِيهِ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ ، **مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ** ، يَفْتِنَانِكَ وَيَسْأَلَانِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ ..) [وفي سنده أبو معشر المدني وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف لكنه تابعه عمرو بن دينار عند عبد الرزاق في مصنفه فارتفعت العهدة عنه بل وإن كان فيه ضعف فقد **جاء في سؤالات ابن أبي شيبة (١٠٦)** وَسَأَلت عليا عَن أبي معشر الْمدنِي فَقَالَ كَانَ ذَلِك شَيخا ضَعِيفا ضَعِيفا وَكَانَ يحدث عَن مُحَمَّد بن قيس وَيحدث عَن مُحَمَّد بن كَعْب **بِأَحَادِيث صَالِحَة** وَكَانَ يحدث عَن المَقْبُري وَعَن نَافِع بِأَحَادِيث منكره) اهـ قلت وهو هنا يروي عن محمد بن قيس فتكون روايته صالحة والدليل أنه متابع من ثقة ، أما محمد بن قيس الرواري فهو ثقة لكن رواية عمرو بن دينار بدون لفظ (**منكر ونكير**) ثم وجدت له متابعة تامة **عند ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٠٥١) والآجري في الشريعة (٢/ ٩١٥/١٨٨) والبيهقي في عذاب القبر** (٢٢٩) من طرق صحيحة أخرى عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ : وفيه ذكر تسمية (**منكر ونكير**) فدل على أنها لفظة محفوظة في أثر أبي الدرداء ، ولا يخفي أن له حكم الرفع فهو مما لا يقال بالرأي]

وروى الطبراني في الأوسط (٢٧٠٣) من طريق عِيسَى بْنُ مُوسَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : اسْمُ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ يَأْتِيَانِ فِي الْقَبْرِ : **مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ** ..) [**سنده جد ضعيف** لضعف بن كيسان]

وعليه الإجماع :كما حكاه أحمد في أصول السنة برواية عبدوس (ص٣١) وابن المديني في عقيدته كما في السنة للالكائي (٣١٨) والكرماني في السنة (٣٧) والإسماعيلي في اعتقاد أئمة الحديث (ص٧٠) وابن أبي يعلى في الإعتقاد (٣٢/١) وعبد الغني المقدسي في الإعتقاد (ص١٨٤) وغيرهم .

وقد ذكر الكثير من السلف منكر ونكير من ذلك : إبراهيم بن أدهم كما في الحلية (١٧/٨) ومحمد ابن السماك عند البيهقي في الشعب (٩٠٣) وعبيد بن عمير عند عبد الرزاق في المصنف (٦٧٦٠) وغيرهم كثير لا يتسع لهم هذا التعليق .

ولهذا لما سأل أحمد عن ثبوت الإسم تعجب من السائل **!! ففي طبقات الحنابلة (١/ ١٣٥)** قال أحمد بن القاسم : قلت: يا أبا عبد اللَّه تقر بمنكر ونكير وما يروى من عذاب القبر ؟ فقال : **نعم سبحان اللَّه !!** نقر بذلك ونقوله ، قلت : هذِه اللفظة : منكر ونكير ، تقول هذا أو تقول : ملكين ؟ قال : نقول : منكر ونكير ، وهما ملكان ، وعذاب القبر .

[١٧] والإيمان بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

=**وقال ابن أبي عاصم في السنة** (٨٦٧) : وَفِي الْمُسَاءَلَةِ أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ، وَالْأَخْبَارُ الَّتِي فِي الْمُسَاءَلَةِ فِي الْقَبْرِ **مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ** أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ **تُوجِبُ الْعِلْمَ** ، فَنَرْغَبُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُثَبِّتَنَا فِي قُبُورِنَا عِنْدَ مَسْأَلَةِ **مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ** {بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.} [إبراهيم: ٢٧] [راجع الشريعة للآجري (١٢٨٨/٣) (بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَسْأَلَةِ **مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ**) والسنة للالكائي (١١٩٩/٦) (سِيَاقُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا دُلُّوا فِي حُفَرِهِمْ يَسْأَلُهُمْ **مُنْكَرٌ، وَنَكِيرٌ**، وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَالْإِيمَانَ بِهِ وَاجِبٌ)]

ومن غرائب المرويات عن الإمام أحمد ما روى أبو طاهر السلفي في الطيوريات (١٥٠) سمعت أحمد يقول: سمعت عبد العزيز بن غلام الزجاج يقول: سمعت أبا الفرج الهَنْدَبانيّ يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: (رَأَيْتُ أَبِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ فقُلْتُ: يَا أَبَةِ أَتَاك مُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فقُلْتُ : فَمَا فَعَلْتَ مَعَهُمَا ؟ فقال : قَالاَ لِي : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَقُلْتُ : أَمَا تَسْتَحِيَانِ مِنِّي ، تَقُولاَنِ لِيْ هَذَا؟ فَقَالاَ : يَا أَحْمَدُ ، اعْذُرْنَا ، فَإِنَّا بِهَذَا أُمِرْنَا ، وَتَرَكَانِيْ وَمَضَيَا) اهـ **(قلت)** هذه حكاية منكرة ، في إسناده غلام الزجاج ، وأبو الفرج الهندباني لم أجد ترجمتهما ، والحكاية لم أجدها عند غير المصنف .

(١) الإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وسلم هو اعتقاد أهل السنة باتفاق ولم يخالفنا إلا المعتزلة الكافرة الزنادقة أعاذنا الله منهم والنصوص فيه متواترة كثيرة جمعها بقي بن مخلد في كتاب الحوض والكوثر ثم أضاف عليها ابن بشكوال ذيلا وزاد عليه وجمعها أحد المعاصرين في كتاب (مرويات الصحابة رضي الله عنهم في الحوض والكوثر) [وانظر الرد على المبتدعة لابن البناء (ص١٧٧ - ١٧٩) ورده على المعتزلة].

قال الإمام أحمد في رسالة أصول السنة (والإيمان بالحوض ، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة يرد عليه أمته ، عرضه مثل طوله مسيرة شهر ، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه) اهـ

قال ابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٤٦) : وأنكرت المعتزلة الحوض ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين بلا خلاف) [وذكر الإجماع أيضا الكرماني في السنة (٣٨) وانظر الشريعة للآجري (١٢٥٣/٣) فله كلام حسن في هذا الباب]

حكم من كذب بالحوض : من جحد بنصوص الحوض بعد البيان يكفر وهو أحرى ألا يشرب منه .

وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « إنه سيخرج بعدكم قوم يكذبون بالرجم ، ويكذبون بالدجال ، ويكذبون بالحوض ، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بقوم يخرجون من النار » [جامع معمر (٢٠٨٦٠) ومصنف عبد الرزاق (٥٨٨/٣) والشريعة للآجري (٨١١) وابن أبي عاصم في السنة (٦٩٧) وأصول السنة لابن زمنين (ص١٩٠) والسنة للالكائي (٢٠٨٤) والداني في الفتن (٦٢١/٣)].

وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (من كذّب بالحوض لم يشرب منه) [رواه البخاري (٦٥٨٠)]

وقال أنسُ أيضا : مَن كذَّبَ بالحوضِ فقد كذَّبَ بالحقِّ . [الإبانة الصغرى (٢٧١)]

وفي السنة لابن أبي عاصم (٧٠٣) عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ : شَكَّ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْحَوْضِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ ، وَإِلَى أَبِي بَرْزَةَ قَالَ أَبُو بَرْزَةَ : مَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ)

(قلت) ثم إنه صدق به بعدما حدثه أبو سبرة عن صحيفة عبد الله بن عمرو والحمد لله .

قال ابن أبي عاصم في آخر باب الحوض (٣٦٠/٢) : وَالْأَخْبَارُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي حَوْضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُوجِبُ الْعِلْمَ، أَنْ يَعْلَمَ كُنْهَ حَقِيقَتِهِ، أَنَّهَا كَذَلِكَ وَعَلَى مَا وَصَفَ بِهِ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْضَهُ، فَنَحْنُ بِهِ مُصَدِّقُونَ غَيْرُ مُرْتَابِينَ وَلَا جَاحِدِينَ، وَنَرْغَبُ إِلَى الَّذِي وَفَقَنَا لِلتَّصْدِيقِ بِهِ – وَخَذَلَ الْمُنْكِرِينَ لَهُ وَالْمُكَذِّبِينَ بِهِ عَنِ الْإِقْرَارِ بِهِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، لِيَحْرِمَهُمْ لَذَّةَ

ولكل نبي حوض (١)

=شُرْبِهِ – أَنْ يُورِدَنَا فَيَسْقِينَا مِنْهُ شَرْبَةً نَعْدَمَ لَهَا ظَمَأً الْأَبَدِ بِطُولِهِ ، وَنَسْأَلُهُ ذَلِكَ بِتَفَضُّلِهِ .

وروى ابن أبي عاصم (**٦٩٨**) عَنْ أَنَسٍ أَنَّ زِيَادًا أَوِ ابْنَ زِيَادٍ ذُكِرَ عِنْدَهُ الْحَوْضُ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَنَسًا ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَسُوءَنَّهُ غَدًا فَقَالَ : مَا أَنْكَرْتُمْ مِنَ الْحَوْضِ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَقَدْ أَدْرَكْتُ عَجَائِزَ بِالْمَدِينَةِ لَا يُصَلِّينَ صَلَاةً إِلَّا سَأَلْنَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُورِدَهُنَّ حَوْضَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وفي لفظ : والله ما شعرت أني أعيش حتى أرى أمثالكم تشكون في الحوض لقد تكرت عجائز ..)

رواه الآجري في الشريعة (**٨٣٨**) وعلق : ألا ترون إلى أنس رضي الله عنه يتعجب ممن شك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به العامة والخاصة يَسْأَلْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْقِيَهُنَّ مِنْ حَوْضِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْحَوْضِ ، وَيُكَذِّبُ بِهِ) اهـ

وروى المروزي في تعظيم قدر الصلاة (**٨٩٧**) عَنْ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِأَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ هَاهُنَا قَوْمًا يُكَذِّبُونَ بِالْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ وَيَشْهَدُونَ عَلَيْنَا بِالْكُفْرِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « بَيْنَ الْعَبْدِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ الْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ) .

(١) قد رويت في هذا المعنى أحاديث وفيها ضعف ظاهر ، وذكرها في أصول المعتقد فيه نظر ، وبالنسبة للروايات في هذا :

حديث سمرة : روى الترمذي في جامعه برقم (٢٤٤٣) وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٤٤/١/١) والطبراني في الكبير (٦٨٨١) ومسند الشاميين (٢٦٤٧) وأبو القاسم التيمي في الحجة (٢٩٣) وابن عساكر في تاريخه (١٠٩٦٩) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لكل نبي حوضاً وأنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة)

قال الترمذي معلقا : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رَوَى الأَشْعَثُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، هَذَا الحَدِيثَ عَنِ الحَسَنِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلاً وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ سَمُرَةَ وَهُوَ أَصَحُّ)

(قلت) وفي الموصول علة أخرى وهي ضعف سعيد بن بشير ، قال البخاري يتكلمون في حفظه ، وقال ابن نمير : منكر الحديث ليس بشيء يروي عن قتادة المنكرات ، وضعفه ابن معين والنسائي . .

أما المرسل : فقد رواه ابن المبارك في الزهد (١٢١/٢) وابن منده في فوائده (١٠٣٧) من طريق هِشَامٌ بن حسان عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَأَرْجُو لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَلَهُ وَارِدَةٌ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنْ أَكْثَرِهِمْ وَارِدَةً »

(قلت) وهذا سند صحيح عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا غير أنه تُكلمَ في رواية هشام عن الحسن لكن تابع هشام الأشعث بن عبد الملك ، وحزم ابن أبي حزم أخرجه ابن أبي الدنيا ، ولهذا صحح إسناده في الفتح (٤٦٧/١١) .

وقد قال ابن كثير في كتاب الفتن والملاحم (**٤١٢/١**) : وَهَذَا مُرْسَلٌ عَنِ الْحَسَنِ ، وَهُوَ حَسَنٌ ، صَحَّحَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ ، وَغَيْرُهُ وَقَدْ أَفْتَى شَيْخُنَا المزي بصحته من هذه الطرق) .

(قلت) وهذا أقوى ما روي في الباب ولعله يحتمل والله أعلم .

وله طريق آخر : أخرجه الطبراني في الكبير (٧٠٥٣) من طريق مُوسَى بْنُ هَارُونَ ثنا مَرْوَانُ بْنُ جَعْفَرٍ السَّمُرِيُّ ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خُبَيْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ ثنا جَعْفَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ خُبَيْبِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَمُرَةَ، قَالَ فذكر نحوه) قال في الفتح (٤٦٧/١١) : في إسناده لين .

(قلت) : وهو طريق منكر جدا في إسناده عدة علل :

١ـ مروان السمري جاء في الميزان (٨٤٢٣) مروان بن جعفر السمرى ، سمع منه أبو حاتم ومطين وقال ابن أبي حاتم : صدوق.

وقال أبو الفتح الأزدي يتكلمون فيه ، قال الذهبي : له نسخة عن قراءة محمد بن إبراهيم فيها ما ينكر)
(**قلت**) وهذا أحد المناكير منها .

٢ـ محمد بن إبراهيم بن خبيب قال ابن حبان في الثقات (٥٨/٩) : لا يعتبر بما انفرد به من الإسناد .

٣ ـ جعفر بن سعد وخبيب بن سليمان مجهولان ، قال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (١٣٨/٥) وهو يتكلم عن حديث روي بنفس هذا الإسناد : (حدِيث سَمُرَة فبإسناد مَجْهُول الْبَتَّةَ ، فِيهِ جَعْفَر بن سعد بن سَمُرَة ، وخبيب بن سُلَيْمَان بن سَمُرَة ، وَأَبوهُ سُلَيْمَان بن سَمُرَة ، ما من هؤلاء من يعرف حاله ، وقد جهد المحدثون فيهم جهدهم ، وهو إسناد يروى به جملة أحاديث ، قد ذكر البزار منها نحو المئة) اهـ

قال ذاك الذهبي في الميزان (١٥٠٤) : جعفر بن سعد بن سمرة ، عن أبيه ، وعنه سليمان بن موسى وغيره. ، رده ابن حزم فقال : هما مجهولان ، قلت : ابن عمه هو خبيب بن سليمان بن سمرة يجهل حاله عن أبيه ، قال ابن القطان: ما من هؤلاء من يعرف حاله ، وقد جهد المحدثون فيهم جهدهم ، وهو إسناد يروي به جملة أحاديث ، قد ذكر البزار منها نحو المائة .

وقال عبد الحق الأزدي : خبيب ضعيف ، وليس جعفر ممن يعتمد عليه. فى سنن أبي داود من ذلك ستة أحاديث بسند ، وهو حدثنا محمد بن داود، حدثنا يحيى بن حسان، عن سليمان بن موسى، عن جعفر ، عن ابن عمه خبيب، عن أبيه، عن جده ، فسليمان هذا زهرى من أهل الكوفة ، ليس بالمشهور ، وبكل حال هذا إسناد مظلم لا ينهض بحكم) اهـ

أورده ذاك الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٣) بلفظ أتم وهو : " إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحابا من أمته ، فأرجو أن أكون يومئذ أكثرهم كلهم نقلت واردة ، وإن كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن معه عصا ، يدعو من عرف من أمته ولكل أمة سيما يعرفهم بها نبيهم ". وقال : رواه الطبراني وفيه مروان بن جعفر السمري ، وثقه ابن أبي حاتم . وقال الأزدي : يتكلمون فيه وبقية رجاله ثقات) ".

٢ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعا بلفظ : " إن لي حوضا طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس ، أشد بياضا من اللبن ، آنيته عدد النجوم وكل نبي يدعو أمته، **ولكل نبي حوض** ، فمنهم من يأتيه الفئام ، ومنهم من يأتيه العصبة ، ومنهم من يأتيه النفر ، ومنهم من يأتيه الرجلان ، ومنهم من يأتيه الرجل ، ومنهم من لا يأتيه أحد ، فيقال: قد بلغت ، وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة ". [أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤١٠٤) مختصرا ، وعنه ابن ماجة (٤٣٠١) وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١١٠/١) وكذا ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال كما في ابن كثير (٣٦٣/١ و٣٦٩) واللالكائي في الإعتقاد (٢١١٨) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن عطية عن أبي سعيد . قال في الفتح (٤٦٧/١١) في سنده لين].

(**قلت**) **بل سنده جد منكر** فعطية هذا ضعيف ويدلس تدليس خبيث ، قال عبد الله في العلل (١٣٠٦) : سَمِعت أبي ذكر عَطِيَّة الْعَوْفِيّ فَقَالَ هُوَ ضَعِيف الحَدِيث قَالَ أبي بَلغنِي أَن عَطِيَّة كَانَ يَأْتِي الْكَلْبِيّ فَيَأْخُذ عَنهُ التَّفْسِير وَكَانَ يكنيه بِأبي سعيد فَيَقُول قَالَ أَبُو سعيد وَكَانَ هشيم يضعف حَدِيث عَطِيَّة) اهـ

والكلبي متهم وهنا في حديثنا قال عطية عن أبي سعيد وسكت فيخشى يكون الكلبي ، وذكر العقيلي في الضعفاء (١٣٩٢) عند ترجمته عن الثَّوْرِيَّ قَالَ : سَمِعْتُ الْكَلْبِيَّ قَالَ: كَنَّانِي عَطِيَّةُ بِأَبِي سَعِيدٍ) اهـ

٣ ـ حديث بن عباس : من طريق عباس بن محمد عن حسين بن محمد عن محصن بن عقبة اليماني عن الزبير بن شبيت (كذا) عن عثمان بن حاضر عن ابن عباس قال: "(سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء ؟ قال: إي والذي نفسي بيده ، إن فيه لماء ، إن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ، ويبعث الله سبعين ألف ملك في أيديهم عصا من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء) ". [أخرجه ابن أبي الدنيا كما في الفتن والملاحم (٣٧٠/١) وابن مردوية كما في تفسير بن كثير (٢٧٧/٣)]

وقال ابن كثير: " وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وليس هو في شيء من الكتب الستة "

(**قلت**) : السند مجهول ، فالزبير ومحصن لم أجد من ترجمهما .

إلا صالح النبي عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته (١) .

= **٤ ـ حديث عوف بن مالك : أخرجه بن حبان في الثقات (١١١/٤)** ثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْخَلِيلِ بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيُّ أَبُو الْخَلِيلِ بِحِمْصَ مِنْ كِتَابِهِ قَالَ ثَنَا نَصْرُ بْنُ خُزَيْمَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ مَحْفُوظِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْحَضْرَمِيُّ قَالَ ثَنَا أَبِي عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلْقَمَةَ عَنْ أَخِيهِ مَحْفُوظِ بْنِ عَلْقَمَةَ عَن بن عَايِذٍ قَالَ ثَنَا جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَيَتَكَاثَرُونَ بِأُمَّتِهِمْ وَبِكَثْرَتِهِمْ فَإِنِّي أَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ وَلَقَدْ أُعْطِيَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ خَصَلاتٌ لَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ إِنَّهُ مَكَثَ يُنَاجِي رَبَّهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَلا يَنْبَغِي لِمُتَنَاجِيَيْنِ أَنْ يَتَنَاجَيَا أَطْوَلَ مِنْ نَجْوَاهُمَا) [وذكر الحديث ذاك الذهبي في السير (٥٨١/١٧) وتذكرة الحفاظ (١١٠٩/٣)] **(قلت) سنده جد ضعيف** فالعباس بن جابر ضعيف ذكره ذاك الذهبي في الضعفاء (٣٠٧٤) وتاريخ الإسلام (٥١٨) والميزان (٤١٦٦) ونقل عن أبي أَحْمَد الْحَاكِم أنه قال : فِيهِ نظر) ، **وأيضا في سنده** نصر بن خزيمة : مجهول ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٤٧٣/٨) ولم يذكر فيه شيء .

الخلاصة : أن الحديث لا يصح رفعه موصولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فطرقه جد ضعيفة لا يصلح أن تقوي بعضها بعضا ، ولا يصح إلا مرسلا عن الحسن البصري رحمه الله كما قال الترمذي تماما ، وحقيقة صعب أن أجزم أنه لكل نبي حوض لأن الحديث من مراسيل الحسن وفيها اختلاف معروف ، والمشكل الذي يتركني أتردد في هذا الباب ، أنني لم أرى من السلف بعد البحث والتنقير في بطون الكتب المتقدمة شيئا من كلامهم في الباب نرجع إليه ، ولم أجد في مرويات الحوض ما يشير إلى تعدد الحياض ، بل ظاهرها يدل على خصوصية الحوض لنبينا صلى الله عليه وسلم ، وما يؤكد ذلك أنني لم أجد من أئمة السلف ومن صنف في أصول السنة والعقائد ، من أشار إلى غير حوض النبي صلى الله عليه وسلم خاصة على قول من جعل الكوثر هو نفسه الحوض ، فإن هذا يعزز القول بخصوصية الحوض للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا أعرض تلميذه البربهاري ابن بطة عن تضمينها في كتابه الإبانة الصغرى ، وهو من عادته يُضمن مقالات شيخه في كتابه بالمعنى أو باللفظ أحيانا ، لكنه أعرض عنه لما تكلم عن مسألة الحوض ، مما يشير إلى ضعفها عنده ، والله أعلم .

(١) أخذ المؤلف هذه الفقرة أيضا من أحاديث لا تصح ، وذكرها غيره أيضا ففي كتاب التذكرة في أحوال الآخرة (٧١٣/١) : قال البكري المعروف بابن الواسطي : لكل نبي حوض إلا صالحاً فإن حوضه ضرع ناقته ، والله سبحانه وتعالى أعلم) اهـ

والحديث هو ما رُوي عَنْ سُوَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي أَشْرَبُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ نَاقَةَ ثَمُودَ لِصَالِحٍ فَيَحْلُبُهَا فَيَشْرَبُهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ حَتَّى تُوَافِيَ بِهَا الْمَوْقِفَ مَعَهُ وَلَهَا رُغَاءٌ » قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَأَظُنُّهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْعَضْبَاءِ ؟ قَالَ: « لَا ، ابْنَتِي فَاطِمَةُ عَلَى الْعَضْبَاءِ ، وَأُحْشَرُ أَنَا عَلَى الْبُرَاقِ وَأَخْتَصُّ بِهِ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ» . قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَى بِلَالٍ فَقَالَ: " يُحْشَرُ هَذَا عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ فَيَقْدُمُنَا بِالْأَذَانِ مَحْضًا. فَإِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَتِ الْأَنْبِيَاءُ مِثْلَهَا: وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَإِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَمِنْ مَقْبُولٍ مِنْهُ وَمَرْدُودٍ عَلَيْهِ، فَيُتَلَقَّى بِحُلَّةٍ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ الشُّهَدَاءُ وَصَالِحُ الْمُؤَذِّنِينَ " [رواه العقيلي نحوه في الضعفاء (٦٤/٣) ومن طريقه ابن بشكوال في الذيل على كتاب الحوض والكوثر لبقي بن مخلد (٧٠) وتاريخ ابن عساكر (٤٥٧/١٠) ومن طريقهم ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٥/٣) وذكره في كنز العمال (٣٩١٧٩) والسيوطي في الجامع (١١٦٥٢) ونسبه لحميد بن زنجويه كلهم من طريق عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ كَيْسَانَ عن سويد] .

وقال العقيلي : عبد الكريم مجهول بالنقل ، وحديثه هذا غير محفوظ".

قال ذاك الذهبي :" قلت : هو موضوع" ، وأقره في "اللسان" .

وقال ابن الجوزي في موضوعات : " هذا حديث لا أصل له". ثم ذكر كلام العقيلي.

وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات (٩٤٧) : مُنْقَطع لَا يدْرِي من عبد الْكَرِيم، وَلَا شَيْخه ، وَأَبُو عَاصِم لَا يركن إِلَى حَدِيثه).
وقد تعقب ذاك السيوطي ابنَ الجوزي في اللآلي (٤٤٤/٢ -٤٤٥) بما رواه ابن عساكر في تاريخه من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس : حدثنا سلام بن سلم حدثنا جبلة بن عثمان عمن حدثه عن مكحول عن كثير بن مرة الحضرمي مرفوعاً ، وبما رواه أبو الشيخ في كتاب الأذان ، من طريق عمر بن صبح عن مقاتل بن حيان عن كثير بن مرة الحضرمي عن ابن أبي أوفى مرفوعاً ، نحو رواية العقيلي . (**قلت**) وتفصيل هذا التعقب جوابه كما يلي :

- **أول طريق عناه المتعقب** : هو ما أَخْرَجَهُ ابْن عَسَاكِر فِي تَارِيخه (٢٦٥٤) قَالَ أَنْبَأَنَا أَبُو عَبْد اللَّه الفُرَاوِيّ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر مُحَمَّد بْن عبد اللَّه بْن عُمَر العُمَرِي أَنْبَأنَا أَبُو مُحَمَّد بْن أَبِي شُرَيْح حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن عَبْد الخيري الرداني حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَد حُمَيد بْن زَنْجوَيْه حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن عَبْد اللَّه هُوَ ابْن يُونُس حَدَّثَنَا سَلام بْن سَلام حَدَّثَنَا جَبَلَة بْن عُثْمَان عَمَّن حدّثه عَنْ مَكْحُول عَنْ كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ الْحَضْرَمِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ...

(**قلت**) **وسنده ضعيف جدا بل منكر** : فيه عدة علل :

١ - : سلام بن سلم (هكذا الأصح لا سلام بن سلام) متروك ، قال ابن الجنيد (٨٢٦) سألت يحيى عن سلام بن سلم الطويل المدائني ، فقال: ليس بشيء) اهـ **وقالَ ابْن حبَان فِي كتاب الضُّعَفَاء** : سَلام بن سلم الطَّوِيل وَيُقَال سَلام ابْن سليم وَيُقَال سَلام بن سُلَيْمَان كنيته أَبُو سُلَيْمَان من أهل الْمَدَائِن رَوَى عَن حميد الطَّوِيل وَغَيره وَعنهُ أَبُو خَالِد الْأَحْمَر وَغَيره يروي عَن الثِّقَات الموضوعات كَأَنَّهُ كَانَ الْمُتَعَمد لَهَا قَالَ ابْن معِين لَيْسَ حَدِيثه بِشَيْء) اهـ وفي ضعفاء العقيلي (٦٦٤) نقل عن البخاري قال : تركوه) اهـ

٢ - : علة الجهالة في قوله عمن حدثه عن مكحول .

٣ - : علة الإرسال ، فكثير بن مرة تابعي .

ولهذا الطريق متابعة كما في اللآلئ المصنوعة (٣٧٠/٢) : قال أَبُو الشَّيْخ فِي كتاب الْأَذَان : حَدثنَا ابْن أسيد المدِينيّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْن بْن عَبْد الْمُؤْمِن اللؤْلؤِي حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن يَعْلَى زينور حَدَّثَنَا عُمَر بْن صبح عَن مقَاتل بْن حيان عَنْ كثير بْن مرّة الْحَضْرَمِيّ بْن أَبِي أَوْفَى قَالَ: حدث رَسُول الله بِحَدِيث الْحَوْض ..فذكره)

(**قلت**) وسنده أيضا منكر جدا يشبه الموضوع ، فعمر بن صبيح هذا كذاب جاء في الميزان (٦١٤٨) : قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث وقال الدارقطني متروك وقال الأزدي كذاب ، وفي سنده أيضا محمد بن يعلى واه كما قال الذهبي ، فالسند مظلم للغاية منكر جدا.

وثاني طريق للمتعقب : هو ما أحرج ابْن عَسَاكِر (٤٥٨/١٠) منْ طَرِيق أَبِي نُعَيم حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَن عَلِيّ بْن مُحَمَّد بْن الْحُسَيْن الْوَرَّاق الْمُؤَدب حَدَّثَنَا أَبُو صَالِح مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن الْمُهلب حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن عِيسَى الطرسوسي حَدَّثَنَا عَبْد الْعَزِيز بْن الخَطَّاب حَدَّثَنَا ابْن الْفَضْل بْن عَطِيَّة عَنْ أَبِيه عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَن أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله: يَبْعَثُ اللَّهُ تَعَالَى نَاقَةَ صَالِحٍ يَشْرَبُ مِنْ لَبَنِهَا هُوَ وَمَنْ آمن بِهِ مِنْ قَوْمِهِ وَلِي حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ عَدْنَ إِلَى عُمَانَ أَكْوَابُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ فَيَسْتَسْقِي الأَنْبِيَاءُ وَيَبْعَثُ اللَّهُ صَالِحًا عَلَى نَاقَتِهِ) . (**قلت**) **موضوع** ، وقد أشار أحمد إلى وضعه كما سيأتي في سنده محمد بن الفضل بن عطية كذاب ، قَالَ يحيى بن معين يقول: ليس بشيء وقال أبو حفص عمرو بن علي قال : كذاب ، وقال أبو عَلِيٍّ صَالِح بْن مُحَمَّد البغدادي : كان يضع الحديث ، وقال بن خراش : متروك الحديث ، وَقَالَ مرة أخرى : كذاب ، وقال النّسائيّ متروك الحديث ،وقال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل عَن أبيه : ليس بشيءٍ حديثه حديث أهل الكذب ، وَقَال إبراهيم بْن يعقوب الجوزجاني كان كذابا سألت ابن حنبل عَنْهُ ، فقال : ذاك عجب ، يجيئك بالطامات هو صاحب حديث ناقة ثمود وبلال المؤذن .

(**قلت**) قوله حديث الناقة أي حديثنا هذا أي أنه وضعه . [أنظر تهذيب الكمال (٥٥٤٦)].

فالخلاصة : حديث الناقة هذا كما أشار أحمد إلى أصله وهو البطلان ، ولا يصح في هذا الباب شيء ، ولم أجد من ذكره قبل البربهاري في كتب العقيدة والسنة ، أو اشار إليه بعد طول بحث ، فالظاهر أن البربهاري تفرد بذكره ، حتى أن القارئ يخيل

[١٨] والإيمان بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمذنبين الخاطئين ، [في] يوم القيامة وعلى الصراط ، ويخرجهم من جوف جهنم ، وما من نبي إلا وله شفاعة وكذلك الصديقون والشهداء والصالحون ولله بعد ذلك تفضل كثير فيمن يشاء والخروج من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما (١) .

= إليه أن هذه المسألة تتناولها الإجماع الذي انتهجه المؤلف في كتابه بذكر العقائد المجمع عليها ، وهذا ليس بصحيح ، فليت المؤبف أعرض عنه حتى لا يُعترضُ عليه في قوله بآخر الكتاب حين قال أنه يجِبُ على القارئ أن لا يشك في أي حرف من هذا الكتاب ، وقد استغل ذاك الألباني هذه الفرصة لتجهيل البربهاري في الحديث وقال لا يُعتمد عليه كما في سلسلته (٦٥٣٤)

فأقول ذبًّا عن المؤلف ، لا تنسى أنك يا ألباني احتججت وصححت مئات الأحاديث الضعيفة التي اتفق أهل الحديث المتقدمين على تضعيفها ، فمن أحق بهذا الوصف الذي رميتَ به المؤلف على هذا إذن ؟؟ .

(١) الإيمان بالشفاعة متفق عليه بين أهل السنة والجماعة ولم تخالف إلا الزنادقة من المعتزلة وغلاة الخوارج وأفراخهم ، والأحاديث الواردة فيها صحيحة متواترة ، وقد نقل غير واحد الإجماع على هذا المعتقد كالكرماني مثلا في السنة (٤٤) وابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٦٩) والرد على المبتدعة لابن البناء (١٩٠) وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني (٩٨) والسنة لابن أبي عاصم (٥٢٦/١) والشريعة (١١٩٨/٣) والسنة لابن أبي زمنين (ص١٧٢) وغيرهم .

قال سُفيانُ الثوري رحمه الله : أما المعتزلة فهم يُكذِّبون بالحوضِ والشَّفاعة ، ولا يرون الصَّلاة خلفَ أحدٍ مِن أهل القبلةِ إلَّا من كان على هواه) [السنة لابن شاهين (٣٦)]

روى اللالكائي في شرح أصول الإعتقاد (٢٠٩٠) عن حَنْبَلٌ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ : مَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّفَاعَةِ ؟ فَقَالَ : (هَذِهِ أَحَادِيثُ صِحَاحٌ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُقِرُّ ، وَكُلُّ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسَانِيدَ جَيِّدَةٍ نُؤْمِنُ بِهَا وَنُقِرُّ ، قُلْتُ لَهُ : وَقَوْمٌ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، إِذَا لَمْ نُقِرَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَدَفَعْنَاهُ رَدَدْنَا عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**} [الحشر: ٧] قُلْتُ : وَالشَّفَاعَةُ ؟ قَالَ : كَمْ حَدِيثٍ يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّفَاعَةِ وَالْحَوْضِ، فَهَؤُلَاءِ يُكَذِّبُونَ بِهَا وَيَتَكَلَّمُونَ ، وَهُوَ قَوْلُ صِنْفٍ مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ أَحَدًا بَعْدَ إِذْ أَدْخَلَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَدَلَ عَنَّا مَا ابْتَلَاهُمْ بِهِ) اهـ

(قلت) والشفاعة إنما هي فقط للمسلم من أهل الكبائر ، أما أهل الشرك والكفر عموما ، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين ، وروي في هذا المعنى عدة أحاديث نذكر منها :

حديث أنس بن مالك مرفوعا : "**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**" [صححه الترمذي (٢٤٣٥) ، وابن حبان (٦٤٦٨) والحاكم (٦٩/١) وأخرجه أبو داود (٤٧٣٩) ، وابن خزيمة في "التوحيد" وغيرهم]

وجاء في بعض الأحاديث : (**إن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**) [رواه أحمد (١٩٥٣٦) وابن أبي شيبة في "المصنف" (٤٣٣/١١) وغيرهم] والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

وحكم من كذب بالشفاعة وجحدها ، أنه يكفر إذا علم النصوص إن كان يجهلها ، أما المعاند فيكفر ، ولا ينال الشفاعة على لسان السلف .

روى اللالكائي (٢٠٨٨) عَنْ أَنَسٍ قَالَ : « مَنْ كَذَّبَ بِالشَّفَاعَةِ فَلَا نَصِيبَ لَهُ فِيهَا » وروى اللالكائي (٢٠٨٩) عن أَيُّوبَ يَقُولُ: « مَنْ كَذَّبَ الشَّفَاعَةَ فَلَا يَنَالُهَا »

وفي كتاب النقض على المريسي للدارمي (**٧٠**) روى عن عبيد الشونيزي أنه وقف على قبر المريسي وقال يدعو عليه فكان مما قال : اللَّهُمَّ عَبدك هَذَا كَانَ يُنكر الشَّفَاعَة ، اللَّهُمَّ فَلَا تشفع فِيهِ أحدا من خلقك يَوْم الْقِيَامَة) اهـ [وأنظر القصة كاملة في تَارِيخ بَغْدَاد للخطيب (٧/ ٦٦)]

(**قلت**) ومن السخافة بمكان ، أن يأتي أقوام من زعماء المرجئة والجهمية اليوم ، ويزعمون أن أهل التوحيد ممن خالفهم في تكفير المشركين وتُرَّاك الصلاة ، فيرمونهم بإنكار شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم **!!** تلبيسا على الرعاع من الناس والأغبياء من أتباعهم ، وإنما خالفهم أهل التوحيد في الشفاعة للمشرك من عُبَّاد الأوثان والقبور وتُرَّاك الصلاة ونحوهم من الكفرة ، فلما احتج المرجئة بلفظة (**من لم يعمل خيرا قط**) وليس لهم دليل آخر يشغبون به على أهل التوحيد والسنة سوى هذه اللفظة (**قط**) **!!** كما يقال في المثال صاروا كـ : (**عجوزٌ أمسكت سارقا**) **!!** ويقال عندنا أيضا مثلا شعبيا (**فلان أمسك معي قِطْ**) يضربون به المثل للعناد والجدال والإمساك بالشيء الواحد والدندنة حوله ، ولو وجدوا شيئا آخرا يحتجون به لما تركوه ، لكن حسبك بهذه المقدمة أن تعرف أن أقل ما يقال فيه أنه من المتشابهات ، وتركوا المحكمات الكثيرة ، لزيغٍ في قلوبهم ، وقد رد عليهم أهل التوحيد والسنة بعدة أمور ، ألخصها :

أولا : أن هذا أسلوبا عربيا محمولا على نفي الكمال في العمل كما ذكر غير واحد منهم **ابن خزيمة في كتابه التوحيد** (**٢/ ٧٢٩**) : هَذِهِ اللَّفْظَةُ لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي يَقُولُ الْعَرَبُ : يُنْفَى الِاسْمُ عَنِ الشَّيْءِ لِنَقْصِهِ عَنِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ ، فَمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ ، لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ ، عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ ، لَا عَلَى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ ، وَقَدْ بَيَّنْتُ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ مِنْ كُتُبِي) اهـ

(**قلت**) ثم إنَّ هذه اللفظة وردت في غير هذا الحديث في أناس لهم أعمال كحديث قاتل المئة الذي **تاب وهاجر** ، وحديث الرجل الذي كان **ييسر للناس البيع** ويأمر غلامنه بذلك ، فقيل فيهما (**لم يعملا خيرا قط**) وهناك مواضع أخرى لم أذكرها ، وردت في الأحاديث التي قيلت في أناس لهم أعمال كبيرة لكن المرجئة وأهل البدع عموما يكتبون ما لهم ويدعون ما عليهم كما قال الأوزاعي رحمه الله **!!**

ثانيا : وقد يحمل أيضا على قوم أسلموا وقبل التمكن من العمل عملوا بمعاصي ثم ماتوا عليها ولم يعملوا شيئا ، فيصح حينها أن يقال فيهم هذا ، وقد ذكر هذا الوجه سليمان بن عبد الوهاب في كتابه التوضيح (ص١٠٥) وهو توجيه جيد .

ثالثا : أنه وردت لفظة أن الذين يخرجون هم من لم تحترق منهم مواضع السجود أي المصلين ، فدل على المعنى الظاهر للحديث غير مراد .

رابعا : ورد الإجماع على أن الإيمان لا يصح بلا عمل وأن تارك العمل كافر لا ينفعه قوله ، وهذا يبطل الشبهة من أساسها .

خامسا : وقد أشار إليه ابن رجب في شرحه على البخاري ، وهو أنه قد يأتي المسلم يوم الحساب بأعمال فتذهب كلها بسبب المظالم ولا تبقى إلا سيئاته ، فلم يبق له عمل يستحق به الجنة ، فيدخل النار ثم لما يخرج بالشفاعة ، يصح أن يقال فيه لم يعمل خيرا قط ، وقد صحت بعض الآثار كما ذكر بن رجب أن المسلم الظالم لغيره ، تؤخذ منه كل حسنات أعماله إلا حسنة التوحيد لا يمكن أخذها ، فصح بهذا التوجيه أن يقال فيه بكل وضوح أنه (دخل الجنة بغير عمل) والحمد لله .

[١٩] والإيمان بالصراط على جهنم ، يأخذ الصراط من شاء الله ، ويجوز من شاء الله، ويسقط في جهنم من شاء الله ، ولهم أنوار على قدر إيمانهم (١)

= **سادسا** : قال الإمام أحمد (**إياك أن تقول قولا ليس لك في إمام**) ولا نعلم أحدا من السلف قد احتج بهذه اللفظة أو بغيرها من الشبَه على ما ادَّعته المرجئة اليوم !! ونتحداهم أن يأتوا بإمام من السلف من القرون الأولى ، أو حتى من أهل الحديث المتقدمين قال بقولهم !! .

سابعا : وهو دليل نأخذه من مجموع ما سبق ، وهو قول أهل الفقه : (أن الدليل إذا تطرق إليه الإحتمال بطل به الإستدلال) ويكفي احتمالا **واحدا قويا** لإبطال الإحتجاج بدليل كنص ، فكيف ونحن قد أوردنا على المرجئة ، **ستة احتمالات قوية** بل هي الصحيحة في توجيه الحديث عند السلف وأهل الحديث ؟

لكن نتنزل معهم ونقول هي احتمالات قوية فقط ، ولكنها في قواعد أهل الفقه وأصوله ، تبطل الإحتجاج بتلك اللفظة التي أوردتكم المهالك !! فقد يقال أن هذه القاعدة ليست على إطلاقها ولها ضوابط ؟

فنجيب : نعم نعلم ذلك ، وليس عليها الإعتماد أصلا فعندنا الوحي والأثر والإجماع ، فقط ذكرتها إلزاما لكم ، فأنتم تكثرون ذكرها ، وقد استعمالها بضوابطها وأكثر فالإحتمالات قوية ، وأيضا كثيرة ، ونص عليها السلف وأهل الحديث والتوحيد بل وعليها إجماع ، والمقصود أن تبطل كون الأمر الذي يحتج به ليس نصا في المسألة ، وهذا ما فعلناه ووقع موقعه جدا ، فلا يجوز أن تحتجوا بحديث ـ ليس بنص ، ودلالته ضعيفة جدا ، ويخالفكم السلف وأهل الحديث فيه ، وهو مخالف للمحكمات ـ على مسألة عقدية كبيرة ، وعلى تبديع أهل التوحيد والسنة ورميهم بمعتقد الخوارج ، والكذب عليهم بنسبة إليهم إنكار الشفاعة !! فالله المستعان على جهل أكثر أهل هذا الزمان .

(١) نقل حرب الكرماني الإجماع على هذا في السنة (٣٩) وابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٦٤) والسنة لابن أبي زمنين (ص١٦٨) وغيرهم ، وقد أنكرت الجهمية والمعتزلة الصراط كعادتها في الزندقة والكفر والجحود للبديهيات وعلى رأسهم عبد الجبار المعتزلي المارق الخبيث وبشر المريسي الكافر العنيد ، وتبعه العقلانيون اليوم . [أنظر الرد على المبتدعة لابن البناء (ص٢٢٥)] فحريٌّ بهم أن تتخطفهم كلاليب الصراط في جهنم خالدين ، وصدق يونس بن عبيد إذ يقول : يوشك لعينك أن ترى ما لم تر ، ويوشك لأذنك أن تسمع ما لم يسمع ، ولا تخرج من طبقة إلا دخلت فيما هو دونها ، حتى يكون آخر ذلك الجواز على الصراط . [الإبانة (١/ ١٨٢/١ – ١٨٣/ ١٧).]

ومن الأحاديث في هذا الباب كثيرة متواترة منها : **عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ** : سَأَلْتُ رَسُولَ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ أَيْنَ يَكُونُ النَّاس يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : عَلَى اَلصِّرَاطِ . [مسلم (٢٧٩١)]

ولهذا روى اللالكائي (٢٢٢٢) عن حَنْبَلٌ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ، يَقُولُ : « نُؤْمِنُ **بِالصِّرَاطِ** وَالْمِيزَانِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَالْحِسَابِ ، لَا نَدْفَعُ ذَلِكَ وَلَا نَرْتَابُ »

وقال الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص١١٠) :والْآثَار جَاءَت بتكذيب جهم فِي إِنْكَاره أَن الله يُجِيز على الصِّرَاط عباده) اهـ

وروى **اللالكائي في السنة (٣١٦)** عن سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : " السُّنَّةُ عَشَرَةٌ ، فَمَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ السُّنَّةَ ، وَمَنْ تَرَكَ مِنْهَا شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ : إِثْبَاتُ الْقَدَرِ ، وَتَقْدِيمُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَالْحَوْضُ ، وَالشَّفَاعَةُ ، وَالْمِيزَانُ ، **وَالصِّرَاطُ** ..) اهـ

واختلف السلف وأهل العلم في معنى الورود على أقوال :

الأول : قالوا : معناه الدخول ، وروي هذا عن جمع من الصحابة منهم ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن رواحة وجابر :

أما عبد الله ابن عباس ، فقد اشتهر رأيه بهذا وصح عنه ، في جوابه لنافع بن الأزرق في مساءلات نافع لابن عباس المشهورة ، فقد جاء نافع يسأل ابن عباس عن معنى الآية فقال ابن عباس : الورود : الدخول ، وقال نافع : لا ، فقرأ ابن عباس: (**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**) [الأنبياء: ٩٨] أورود هو أم لا ؟ وقال : (**يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ**) [هود: ٩٨] أورود هو أم لا ؟ أما أنا وأنت فسندخلها ، فانظر هل تخرج منها أم لا ؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك ، قال : فضحك نافع ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « فَفِيمَ الضَّحِكُ إِذًا ؟ » [تفسير عبد الرزاق (١٧٨٠) ومن طريقه الطبري (٢٣٠/١٨) وفي سنده انقطاع ، لكن له متابعات وذكره في الدر وزاد نسبته لسَعِيد بن مَنْصُور وهناد وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَالْبَيْهَقِيّ فِي الْبَعْث]

وفي رواية أخرى لعطاء بن أبي رباح قال: قال أبو راشد الحروري — يعني نافع بن الأزرق -: ذكروا هذا ، فقال الحروري : لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا [الأنبياء ١٠٢] قال ابن عباس : ويلك أمجنون أنت ؟ أين قوله تعالى : يقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ [هود ٩٨] وقوله : وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْدًا [مريم ٨٦] وقوله وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا [مريم ٧١] والله إن كان دعاء من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما و أدخلني الجنة غانما) [رواه الطبري (٢٣٠/١٨)].

(قلت) والروايات عن ابن عباس في هذا كثيرة وبطرق متعددة ، مما يدل على أن قوله هذا ثابت عنه . ولابن عباس قول ثاني سيأتي ذكره .

أما عبد الله ابن مسعود : فرواها الطبري (٢٣١/١٨) وابن عدي في الكامل (٤٤٨/١) بسند منكر فيه ابن الزبرقان لكنه متابع عند ابن عدي ، والترمذي في سننه (٣١٥٩) والحاكم (٣٧٥/٢) وبقيت العلة في أنه من طريق السُدّي فيه خلاف يسير فهو محتمل للتحسين لكن متنه ليس نصا في الدخول إذ قال (**يَرِدُونَهَا ثُمَّ يَصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ**) ومع ذلك ذكر الطبري أثره مع من قال بعنى الدخول ، وفيه نظر ، فإنه ليس بصريح ، ولهذا أعاد الطبري ذكره في القول الآخر الثاني .

ولكن ما جاء عنه صريحا هو أخرجه الحاكم (٨٧٤٢) عن ابن مسعود أنه سئل عن قوله : (**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**) قال : وإن منكم إلا داخلها ..) لكن **سنده منكر** فيه أيضا داود بن الزبرقان وهو منكر الحديث .

أما رواية عبد الله بن رواحة : رواها الطبري (٢٣١/١٨) ولها طريقان : **الأول** : من طريق ابن حميد الرازي وهو منكر الحديث بل متهم . **والثاني** طريق بسند صحيح عنه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٧٩) ومن طريقه الطبري ، وله شاهد رواه البيهقي في دلائل النبوة (٣٥٨/٤) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٦/٢) ، لكن متنه ليس واضح أيضا في معنى الدخول فإنه قال : (إني ذكرت قول الله (**وإن منكم إلا واروها**) فلا أدري أنجو منها ، أم لا ؟ ومع ذلك ذكر الطبري أثره أيضا مع من قال بعنى الدخول ، وفيه نظر !! .

أما رواية جابر بن عبد الله : رواها ابنُ حِبَّان في كتاب الثقات (٥٦٩/٥) والبخاري فِي التاريخ : قال سُلَيْمان بْن حرب: حَدَّثَنَا غالب بْن سُلَيْمان أَبُو صالح، عَن كثير بْن زياد، عَن أَبِي سمية، قال: سألت جابراً : فقلت: سَمِعْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ يقول: الورود الدخول" **(قلت)** غالب مجهول كما في الميزان (٤/ الترجمة ١٠٢٧٠) **فالسند ضعيف** .

وقد صرح بالدخول جمع من التابعين :

منهم :كعب الأحبار ، وعكرمة ، وخالد بن معدان ، وأبو ميسرة ، رواها الطبري عنهم .

(قلت) وقد يحتج لأصحاب هذا القول بحديث يُروى عَن أبي سميَّة قَالَ : اخْتَلَفْنَا فِي الْوُرُود فَقَالَ بَعْضنَا : لَا يدخلهَا مُؤمن

وَقَالَ بَعضهم: يدْخلُونَهَا جَمِيعًا {ثمَّ ننجي الَّذين اتَّقوا} فَلَقِيت جَابر بن عبد الله فَذكرت لَهُ فَقَالَ: وأهوى بِأُصْبُعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ صمتا إِن لم أكن سَمِعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُول: لَا يبْقى بر وَلَا فَاجر إِلَّا دَخلهَا فَتكون على الْمُؤمن بردا وَسلَامًا كَمَا كَانَت على إِبْرَاهِيم حَتَّى أَن للنار ضَجِيجًا من بردهمْ {ثمَّ ننجي الَّذين اتَّقوا وَنذر الظَّالِمين فِيهَا جثياً } [**سنده فيه ضعف لجهالة أبي سمية** وقد رواه الحاكم (٥٨٧/٤) وأحمد في مسنده (٣٢٨/٣-٣٢٩) والبيهقي في الشعب (٣٦٤) وقال : هذا إسناد حسن ، وقال المنذري في الترغيب (٣٠٦/٢) : رجاله ثقات ، وقال الهيثمي رواه أحمد ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ٥٥/٧) **قلت** وخفي عليهم جهالة أبي سمية هذا !!]

والقول الثاني : **أن الذي يَرِدُها هُمْ الكفار فقط** : وهي رواية عن ابن عباس وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ : قَالَ شُعْبَةُ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ، عَمَّنْ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا كَذَلِكَ : "وَإِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَارِدُهَا" يَعْنِي : الْكُفَّارَ .[رواه الطبري (٨٣/١٦) **وسنده منقطع**] وبه قال عكرمة كما روى عنه الطبري .

(**قلت**) وقد يحتج لهذا القول بما روى جابر ، عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد ، إن شاء الله ، أحد شهد بدرًا والحديبية ، قلت : يا رسول الله أليس قد قال الله عز وجل {وإن منكم إلا واردها} ؟ قال : أو لم تسمعي يقول : {**ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيًا**} [مسلم (٢٤٩٦)].

القول الثالث : **أنه مجرد الرؤية للنار فقط** : ويروى هذا عن ابن عباس وهو قوله لعمر وهو على فراش الموت لما طعن : فقال ابن عباس : والله إني لأرجو أن لا يراها إلا مقدار ما قال الله " وإن منكم إلا واردها ". (**قلت**) فهذا كأنه يثبت فقط الرؤية للنار ومثله ما روي عن سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ ، عن أَبِيهِ ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُتَطَوِّعًا لا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ لَمْ يَرَ النَّارَ إلا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا .

القول الرابع : **قالوا بل الورود عام لكلّ مؤمن وكافر** ، غير أن ورود المؤمن المرور، وورود الكافر الدخول.

وبه قال ابن زيد فيما رواه عنه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٨) .

القول الخامس : وقال آخرون : ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمًّى ومرض وبه قال مجاهد وروي في هذا حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَبْشِرْ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ **حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ** " [رواه أحمد (٩٦٧٦) وابن أبي شيبة (٣٤٥/١) والترمذي (٢٠٨٨) صحح إسناده الكثير من المتأخرين ، وصححه الحاكم وافقه الذهبي والألباني وشاكر ولا أدري كيف خفي عليهم ضعف عبد الرحمن بن يزيد ين تميم ، وقد بين الدارقطني علته في علله (١٩٨٧) وأنه موقوف على كعب هو الصحيح]

القول السادس : أن الصراط فوق جهنم والناس يمرون فوقه : ويروى هذا القول عن ابن مسعود وقتادة وبه قال البخاري في صحيحه : **أما رواية ابن مسعود** فله عنه طرق وقد صح عنه : فرواه الطبري (٢٣٢/١٨) **و**الدارمي في سننه (٢٨١٣) والحاكم في المستدرك (٣٧٥/٢) من طريق أبي الأحوص عن عبد الله في قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إلا وَارِدُهَا) قال : الصراط على جهنم مثل حدّ السيف ، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يمرّون والملائكة يقولون اللهمّ سلم سلم. [قال الحاكم : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.]

وله طريق آخر رواه سعيد بن منصور (١٧٤) والحاكم في المستدرك (٣٧٥/٢ – ٣٧٦) بلفظ آخر بسند ضعيف جدا عن مُرَّةَ الْهَمْدَانِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : الصِّرَاطُ عَلَى النَّارِ، يَمُرُّ أولهم مِثْلَ الْبَرْقِ ، ثُمَّ كَالطَّيْرِ ، ثُمَّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ ، وَآخِرُهُمْ يَمُرُّ حَبْوًا ، وَالْمَلَائِكَةُ قِيَامٌ مَعَهُمْ كَلَالِيبُ مِنْ نَارٍ ، يَخْطَفُونَ النَّاسَ يَمِينًا وَشِمَالًا ، حَتَّى يَقْذِفُوهُمْ فِي النار. [وله شاهد صحيح رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٤٦١١) والدارقطني في الرؤية (١٦٥) وشاهد آخر صحيح عند الحاكم في المستدرك (٤ / ٥٨٩ – ٥٩٢) والطبراني (٩٧٦٣)]

وله طريق ثالث عن أبي الزَّعْرَاء عن ابن مسعود موقوفًا عليه ، وهو حديث طويل في وصف بعض أحوال الآخرة ، وفيه: (ثم

يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمرّ الناس بقدر أعمالهم زمرًا، أوائلهم كلمح البرق، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، ثم كمرّ البهائم، حتى يمرّ الرجل سعيًا ثم يمر الرجل مشيًا، حتى يجيء آخرهم رجل يتلبّط على بطنه فيقول: يا رب لم أبطأت بي؟ قال: إني لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فيكون أو شافع: روح الله القدس: جبريل ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى، ثم يقوم نبيكم – صلى الله عليه وسلم – فلا يشفع أحد فيما يشفع فيه ...) الحديث. [أخرجه الطبراني في الكبير (٩٧٦١) والحاكم في (٤ / ٥٩٨ – ٦٠٠) والبيهقي في البعث والنشور (٥٩٨) سنده ضعيف لضعف أبي الزعراء وفي متنه نكارة !! فهو مخالف لحديث مسلم (**أنا أول الناس يشفع في الجنة**)]

وروى الطبري (٢٣٤/١٨) بسند جيد عمرو بن الحارث أن بكيرا حدّثه أنه قال لبسر بن سعيد : إن فلانا يقول : إن ورود النار القيام عليها ، قال بسر : أما أبو هريرة فسمعته يقول : إذا كان يوم القيامة ، يجتمع الناس نادى مناد : ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون ، فيقوم هذا إلى الحجر ، وهذا إلى الفرس ، وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله ، فيأتيهم الله ، فإذا رأوه قاموا إليه ، فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط ، وفيه عليق ، فعند ذلك يؤذن بالشفاعة ، فيمرّ الناس ، والنبيون يقولون : اللهمّ سلم سلم قال بكير : فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش ، ثم ناج.

(**قلت**) وبوب البخاري لمذهبه بقوله (بَابُ الصِّرَاطُ جَسْرُ جَهَنَّمَ) .

أما قول قتادة : روى الطبري (٢٣٢/١٨) بسند صحيح عنه قتادة في قوله (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا) قال : هو المرّ عليها .

<u>الترجيح بين الأقوال</u> : قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون ، فينجيهم الله ، ويهوي فيها الكفار وورودهم هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم ، فناج مسلم ومكدس فيها) اهـ .

(**قلت**) ترجيحه غير واضح !! لكن بعد عرض الأقوال والآثار ، تبين لي أن أغلب الأقوال ليس بينها تعارض كبير ، ويمكن الجمع بينها ، بأن يعتبر المرور فوقها من داخلها ، لأن جهنم مطبقة بالأسوار فيما يظهر من النصوص ، فالعبور فوقها يعني دخولها ، ويعني رؤيتها والمرور عليها فوق الجسر ، فبهذا الجمع لا تعارض ، إلا ما روي عن مجاهد فقط .

ومما يؤكد هذا ما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة وفيه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أنه قال : (ثم يؤتى **بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم** قلنا يا رسول الله وما الجسر ؟ قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم يمر آخرهم يسحب سحبا » [البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣)] (**قلت**) فقال أنه سيوضع جسر ، والجسر يكون عادة فوق الشيء ، ثم أكدها بلفظة (ظهراني) فظاهر الأحاديث المرفوعة أن الورود هو المرور من فوقها على جسر جهنم والله أعلم .

<u>ومن مواعظ الصراط</u> : **ما رواه الدينوري في المجالسة (١٥٩٣) عن بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ قال** :كَانَ عِمْرَانُ الْخَوَّاصُ يَمُرُّ عَلَى الْجِسْرِ فَيَقُولُ : سَلِّمْ سَلِّمْ ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ يَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ وَيُغْشَى عَلَيْهِ ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ عَلَى الْحَدَّادِينَ قَالَ : يَا مَالِكُ ! لا أَعُودُ ، وَيُغْشَى عَلَيْهِ .

وروى الطبري في تفسيره (٢٣٤/١٨) عن الحسن قال : قال رجل لأخيه : هل أتاك بأنك وارد النار ؟ قال : نعم ، قال: فهل أتاك أنك صادر عنها ؟ قال : لا قال : ففيم الضحك ؟ قال : فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله.

وروى في المجالسة (٣٥٧٥) عن يَحْيَى بْنُ الْمُخْتَارِ قَالَ : رَأَيْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ الْحَافِيَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا نَصْرٍ ؟ فَقَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ لَيْلا وَهُوَ يَبْكِي بِمَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبِّ ! أَعْرَيْتَنِي وَأَعْرَيْتَ عِيَالِي ، يَا رَبِّ ! أَجَعْتَنِي وَأَجَعْتَ عِيَالِي فَبِأَيِّ يَدٍ لِي عِنْدَكَ حتى فَعَلْتَ بِي هَذَا ؟ ثُمَّ بَكَى حَتَّى رَحِمْتَهُ ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ ! مَا هَذَا الْبُكَاءُ ؟ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا نَصْرٍ ! بَلَغَنِي أَنَّ الصِّرَاطَ مَسِيرَةُ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ ، خَمْسَةُ آلافٍ صُعُودٌ ، وَخَمْسَةُ آلافٍ نزول ، وخمسة آلاف

[٢٠] والإيمان بالأنبياء والملائكة (١)

=مستوى ، أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ، لا يَجُوزُهَا إلا كُلُّ ضَامِرٍ مَهْزُولٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَبَلَغَنِي فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَر، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ذَكَرُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ : هَلْ بَقِيَ أَحَدٌ عَلَى الصِّرَاطِ بَعْدَ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَامٍ ؟ فَيُقَالُ : بَقِيَ رَجُلٌ يَحْبُو ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ فَقَالَ : يَا لَيْتَنِي أَنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَأَنَا يَا أَبَا نَصْرٍ لا أَهْدَأُ مِنَ الْبُكَاءِ أَبَدًا .

(١) وهذان من الأصول الستة المتفق عليهما بين المسلمين ، بل حتى أهل الكتاب لا يخالفون في أكثر الرسل والملائكة ، وإنما كفروا ببعضهم كما كفرت اليهود بنبينا وبعيسى وسليمان عليهم الصلاة والصلاة ، وعادوا جبريل عليه السلام ، وصدقوا بالأغلب ، ولم يكفر بالجميع إلا الملحدين ، قال الله تعالى في آية البر {**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**} [البقرة ١٧٧] وفي حديث جبرائيل المشهور حين كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره) وهذا شيء لا يخالفنا فيه أهل البدع والضلال فإنه فضيحة ، لكن أذكر هنا أشياء في الملائكة خالف فيها أهل البدع وهو خلقهم : وهو أثر يروى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : **خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ الذِّرَاعَيْنِ وَالصَّدْرِ** ، **قُلْتَ** : **وَقَالَ بَعْضُهُمْ** : **مِنْ شعر الذراعين ، والصدر**" .

[أخرجه عبد الله فِي السّنة (ص١٥١) والدارمي في النقض (٦٤٨/٢) والْبَيْهَقِيّ فِي الْأَسْمَاء وَالصِّفَات (ص٣٤٣) وابْن مَنْدَه فِي الرَّد على الْجَهْمِية (ص٩٢) وأبو الشيخ في العظمة (٣١٥) والقاضي في إبطال التأويلات (٢١٤) **وسنده صحيح كالشمس**]

وقد أورده أئمة السنة في العقائد محتجين به على الجهمية وتلقوه بالقبول ولم يطعن فيه أحد ولم ينتقده أحد ،وبوبوا له كما فعل ابن المحب في كتابه الصفات (ق/٢٣٠/ب) (باب ما ذكر في الساعد والذراع والباع والصدر) إلا الجهمية والأشعرية ، حرفته كعادتها **فقال الدارمي في رده على المريسي حين حرف معناه** : فَادَّعَيْتَ أَنَّ مِنْ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتِ .. فذكر الأثر بطوله ثم قال : لَقَدْ أغربت بِهَذَا التَّفْسِير على جمع الْمُفَسِّرِينَ ، وَأَنْدَرْتَ وَكِدْتَ أَنْ تَقْلِبَ الْعَرَبِيَّةَ ظَهْرَهَا لِبَطْنِهَا إِنْ جَازَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْمُسْتَحِيلَاتُ ..) اهـ

<u>حتى جاء الألباني في هذا العصر</u> الأخير كعادته في عناده للسلف في كثير من الصفات ، وَقَالَ فِي الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة المجلد الأول ١٩٧/٥: "وَأما مَا رَوَاهُ عبد الله بن أَحْمد فِي السّنة ص"١٥١" عَن عِكْرِمَة قَالَ: "خلقت الْمَلَائِكَة من نور الْعِزَّة، وَخلق إِبْلِيس من نَار الْعِزَّة" وَعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: "خَلَقَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ مِنْ نُورِ الذراعين والصدر". قلت –أي الألباني–: فَهَذَا كُله من الْإِسْرَائِيلِيات الَّتِي لَا يجز الْأَخْذ بهَا، لأنها لم ترد عَن الصَّادِق المصدوق صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) اهـ !!!

(قلت) قد قلد الألباني في هذا ذاك البيهقي الأشعري وغيرهم من الأشاعرة الجهمية ، وللرد على هذا التخليط نقول :

أولا : اتهام الصحابي عبد الله بن عمرو أنه يروي الإسرائيليات في الدين ولا يبين !! خرافة ، بل قضية الإسرائيليات إنما هي أسطورة اخترعتها الأشعرية والجهمية وأول من اخترع قصة **(الزاملتين)** !! هو المريسي كما ذكر الدارمي ، ولا يوجد لتلك الخرافة أي أصل في كتب الحديث والأثر وأهل الحديث لا تجد عندهم أي شيء اسمه إسرائيليات ، ولا تجدهم ردوا أي حديث أو أثر بهذا ، إنما هذا من صنع الأشعرية فقط ، وقد جمعت الأدلة القاطعة على بطلان هذه الخرافة المسمى بـ (الإسرائيليات) التي ردوا بها مئات الأحاديث والآثار في جزء مفرد باسم : (**المليشيات في القضاء على جرائم الإسرائيلات**) يسر الله طبعه .

ثانيا : **قال القاضي أبو يعلى في إبطال التأويلات** (٢٢٢/١) : غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره في إثبات الذراعين والصدر إذ ليس في ذلك ما يُحيل صفاته ، ولا يخرجها عما تستحقه .... فإن قيل : عبد الله بن عمرو لم يرفعه ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو موقوف ، فلا يلزم الأخذ به ؟ قيل : إثبات الصفات لا يؤخذ إلا توقيفا ، لأنه لا مجال للعقل والقياس فيها ، فإذا روي عن بعض الصحابة فيه قول علم أنهم قالوه توقيفا) اهـ.

ثالثا : كيف ينقل صحابي أمرا في صفات الله تعالى للناس أخذا عن أهل الباطل ، ولا يبين ذلك ويضل الناس ، ويفسد عقائدهم !! هذا الظن به أصلا هو طعن فيه !! وفي السلف عامة ممن سكت عنه ، وتشكيك في عقائد السلف ومصادرها .
قال ابن أبي يعلى في إبطال التأويلات (٢٢٢/١) وهو يتكلم عن هذه الشبهة : هَذَا غلط لوجوه : أحدهما : أنه لا يجوز يظن به ذَلِكَ ، لأن فيه إلباس فِي شرعنا ، وهو أنه يروي لهم ما يظنوه شرعا لنا ، ويكون شرعا لغيرنا ، ويجب أن ننزه الصحابة عن ذَلِكَ) اهـ

رابعا : أهل الحديث والسلف عموما يأخذون ما ثبت عن الصحابة في العقائد والأحكام والتفسير ، على خلاف أهل البدع .
قال الآجري في الشريعة : اعلموا وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل أن أهل الحق يصفون الله عز وجل بما وصف به نفسه عز وجل ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبما وصفه به الصحابة رضي الله عنهم وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع) اهـ .
خامسا : فقد روى ذاك البيهقي في مناقب الشافعي (٣١٤/١) وأبو نعيم في الحلية (١٢٥/٩) : قال الشافعي في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: « حدِّثُوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج » أي لا بأس أن تحدِّثوا عنهم مما سمعتم ، وإن استحال أن يكون في هذه الأمة مثل ما رُوِي: من النّار التي تنزل من السماء فتأكل القُرْبَان ، ليس أَنْ يُحَدِّث عنهم بالكذب وما لم يُرْوَ) اهـ
(قلت) سبحان الله أين الطعَّانون على الآثار من هذا الكلام والتفسير من هذا الإمام ؟؟ فقد بيّن أن محل الإباحة لا يتناول رواية الكذب عنهم المخالف لديننا ، والذي لا ينبغي أن يُروى ، فهل بقيت شبهة بعد هذا ؟؟
سادسا : أن الصحابة أنفسهم حذروا من الرواية عن بني إسرائيل كابن عباس وغيره ومنهم عبد الله بن عمرو ، فعن عمرو بن قيس قال : وفدت مع أبي إلى يزيد بن معاوية بحوارين حين توفي معاوية رضي الله عنه ، نعزيه ونهنيه بالخلافة ، فإذا رجل في مسجدها يقول : ألا إن من أشراط الساعة أن يرفع الأشرار، ويوضع الأخيار. ألا إن « من أشراط الساعة ، أن يظهر القول ويخزن العمل ، ألا إن من أشراط الساعة ، أن تتلى المثناة فلا يوجد من يغيرها » قيل له : وما المثناة ؟ قال : ما استكتب من كتاب غير القرآن فعليكم بالقرآن فبه هديتم وبه تجزون ، وعنه تسألون » فلم أدر من الرجل ، فحدثت هذا الحديث بعد ذلك بحمص فقال لي رجل من القوم : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا قال : ذلك عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما) [رواه أبو عبيد في فضائل القران (٧١/١) والدارمي في سننه (٤٩٣) والطبراني في مسند الشاميين (٤٨٢) والحاكم (٨٦٦٠) تمام في فوائده (١٣٢٥) والبيهقي في الشعب (٤٨٣٤) بسند جيد وقد قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسنادين جميعا، ولم يخرجاه وعلق ذاك الذهبي : صحيح] وفي رواية ابن أبي شيبة (٣٧٥٤٩) : عن عمرو بن قيس الكندي قال: سمعت عبد الله بن عمرو العاص قال : من أشراط الساعة أن يظهر القول ويخزن ويرتفع الأشرار ويوضع الأخيار وتقرأ المثاني عليهم ، **فلا يعيبها أحد منهم** قال : قلت : **ما المثاني** ؟ قال: **كل كتاب سوى كتاب الله** .
(قلت) تأمل قوله فلا يعيبها أحد ..!! فهل هذا الكلام منه رضي الله عنه يوحي أنه كان يروي عن بني إسرائيل ما يخالف ديننا بل وكان يكثر !!
قال الحافظ الدارمي : وكذلك ادعيت على عبد الله بن عمرو بن العاص، وكان من أكثر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رواية عنه ، معروفا بذلك ، فزعمت أنه أصابت يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب !! فكان يرويها للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ! فكان يقال له : ألا تحدثنا عن الزاملتين !!. ويحك أيها المعارض ! **إن كان** عبد الله بن عمرو أصاب الزاملتين من حديث أهل الكتاب يوم اليرموك ، فقد كان مع ذلك **أمينا عند الأمة** على حديث النبي صلى الله عليه وسلم **إن لا يجعل ما وجد في الزاملتين** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، **ولكن كان يحكي عن الزاملتين ما وجد فيهما** ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما سمع منه، **لا يحيل ذاك على هذا ولا هذا على ذاك** ، كما تأولت عليه بجهلك **والله سائلك عنه**) اهـ .

(قلت) والقصة باطلة لا تصح أصلا ولهذا تنازل معه الدرامي فقال (**إن كان**) وأتحدى أي أحد يأتي بلفظة الزاملتين في كتب الحديث وأعطيه مهلا سنة !! وخير لهم لا يعتب نفسه .

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (١٠٧٥/٣) : وهب أن المعطل يكذب كعبا ويرميه بالتجسيم ، فكيف حدث به عنه هؤلاء الأعلام مثبتين له غير منكرين ؟!) اهـ

سابعا : أصول التوحيد والصفات لا تختلف باختلاف الشرائع ، حتى يقال حدث عنهم كأنه حدث عن المجوس ، فهم على افتراض أنهم رووا شيء عنهم لا يررون ما يخالف ديننا والأكاذيب كما قال الشافعي .

ثامنا : أكثر من الصحابة لا يحب رفع الحديث خاصة في الغيبيات والعقائد والتفسير لمخافة الزيادة والنقصان وهذا أمر مشهور عنهم وله أمثلة كثيرة ، فتجد أحدهم يروي خبرا يستغربه الناس فلما يسأل عمن سمعه يقول مستغربا : وممن أسمعه إذا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم !!! ويتعجب من سؤالهم . أعطيك مثالين :

المثال الأول : **قال أبو غالِب** : لَمَّا أُتِيَ بِرُءُوسِ الْأَزَارِقَةِ فَنُصِبَتْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقَ ، جَاءَ أَبُو أُمَامَةَ فَلَمَّا رَآهُمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ : كِلَابُ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، هَؤُلَاءِ شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلَاءِ ". قَالَ : فَقُلْتُ: فَمَا شَأْنُكَ دَمَعَتْ عَيْنَاكَ ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ : قُلْنَا : **أَبِرَأْيِكَ قُلْتَ** ؟ : هَؤُلَاءِ كِلَابُ النَّارِ، **أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ **قَالَ: إِنِّي لَجَرِيءٌ** !! بَلْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا اثْنَتَيْنِ وَلَا ثَلَاثٍ قَالَ: فَعَدَّ مِرَارًا . [رواه عبد الرزاق (١٨٦٦٣) ، ومن طريقه أحمد في مسنده (٢٢١٨٣) والطبراني في المعجم الكبير (٨٠٣٣) وعبد الله بن أحمد في "السنة" (١٥٤٣) والحميدي (٩٠٨) وابن أبي شيبة ٣٠٧/١٥-٣٠٨، وابن ماجه (١٧٦) ، والترمذي (٣٠٠٠) وغيرهم كثير وهو حديث صحيح]

المثال الثاني : روى مسلم (٢٩٩٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : " الْفَأْرَةُ مَمْسُوخَةٌ ، بِآيَةِ أَنَّهُ يُقَرَّبُ لَهَا لَبَنُ اللِّقَاحِ فَلَا تَذُوقُهُ ، وَيُقَرَّبُ لَهَا لَبَنُ الْغَنَمِ فَتَشْرَبُهُ – أَوْقَالَ : فَتَأْكُلُهُ – " فَقَالَ لَهُ كَعْبٌ : أَشَيْءٌ سَمِعْتَه مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : أَفَنَزَلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَيَّ ؟ . **(قلت)** وهكذا يقال اليوم لمن يتهم أبا هريرة برواية الأكاذيب عن بني إسرائيل .

ومن أراد المزيد في رد هذه الشبهات الضعيفة فليطلع على كتابي (المليشيات في القضاء على جرائم الإسرائيليات) ولعادل آل حمدان تعليق جيد على كتاب الرد على المبتدعة لابن البناء (ص٦٠) وللأخ إبراهيم الشمري مقالا مختصرا في هذا الباب سماه (الصحابة والإسرائيليات) فليراجع .

[٢١] والإيمان بأن الجنة حق والنار حق(١) والجنة والنار مخلوقتان(٢) الجنة في السماء السابعة ، وسقفها العرش ، والنار تحت الأرض السابعة السفلى (٣) .

(١) لحديث عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وقال : (من شهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله وَأَن عِيسَى عبد الله وَرَسُوله وكلمته أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَم وروح مِنْهُ **وَأَن الْجنَّة حق وَالنَّار حق** أدخلهُ الله الْجنَّة على مَا كَانَ من الْعَمَل) [البخاري (٣٤٥٣) ومسلم (٢٨)] والأحاديث في الباب كثيرة .

(٢) **قال الإمام أحمد في أصول السنة (ص٥٩)** : وَالْجنَّة وَالنَّار مخلوقتان كَمَا جَاءَ عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (دخلت الْجنَّة فَرَأَيْت قصرا وَرَأَيْت الْكَوْثَر واطلعت فِي الْجنَّة فَرَأَيْت أَكثر أَهلهَا كَذَا واطلعت فِي النَّار فَرَأَيْت كَذَا وَكَذَا فَمن زعم أَنَّهُمَا لم تخلقا فَهُوَ مكذب بِالْقُرْآنِ وَأَحَادِيث رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَلَا أَحْسبهُ يُؤمن بِالْجنَّةِ .

وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة بإجماع نقله غير واحد من السلف كالكرماني في السنة (٤٨) وعقيدة أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص٢٤) والإبانة الصغرى (٢٧٤) والشريعة للآجري (١٣٤٣/٣) وصحيح البخاري (باب ما جاء في الجنة وأنها مخلوقة) والرد على المبتدعة لابن البناء (ص٢٣٨) وللتوسع كتاب ابن القيم حادي الأرواح (٢٤/١)

حكم من كذب بخلق الجنة والنار : في طبقات الحنابلة (١٧٣/٢) : نقل عبدوس عن أحمد أنه قال : والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا ... فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) اهـ

ونقل ابن البناء في الرد على المبتدعة (ص٢٣٨) قال : الجنة والنار مخلوقتان ، نص عليه أحمد ، وقال : من قال لم يخلقا فهو كافر ، وقالت المعتزلة لم يخلقا ، والدليل على ذلك : الآيات الصادقة ، والأخبار الناطقة وقصة آدم وإبليس السابقة ، ومن رد ذلك فقد كذب القرآن فهو كافر) اهـ

وقال القصاب في نكت القرآن (١٠٧/١) : قوله (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) مخبر عن أن الجنة مخلوقة ، وأن من قال (لم تخلق بعد) زور وبهتان وتكذيب بالقرآن) اهـ

وقال ابن رجب في أهوال القبور (ص١٠٦) : قال أبو عبد الله [أي أحمد]: ولا نقول هما يفنيان بل هما على علم الله باقيتان يبلغ الله فيهما عمله نسأل الله التثبيت وأن يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وقوله : ولا نقول : هما يفنيان يعني الجنة والنار فإن في أول الكلام عن حنبل أن أبا عبد الله حكى قصة ضرار وحكايته اختلاف العلماء في خلق الجنة والنار وأن القاضي أهدر دم ضرار ولذلك استخفى إلى أن مات وأن أبا عبد الله قال : هذا كفر يعني القول بأنهما يخلقان بعد) اهـ .

(٣) أما الجنة فقد قال الله عز وجل: {**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى**} النجم آية (١٣-١٥) وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، وَمَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَقَالَ تَعَالَى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: ٢٢] قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ : هُوَ الْجَنَّةُ – وَتَلَقَّاهُ النَّاسُ عَنْهُ.

وثبت في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ". [أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (باب وكان عرشه على عرش الماء (١٠١/٩) من حديث أبي هريرة] .

فالآية والحديث يدلان على أن الجنة في السماء ويدل الحديث على أن سقفها عرش الرحمن. [أنظر حادي الأرواح (ص٦٥)]

أما النار وموضعها : فقد روي عن جمع من الصحابة القول بأنها تحت الأرض ، وإليك البيان :

ـ فقد روى أبو نعيم في صفة الجنة (١٣٢) حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَيَّانَ، ثنا الْهَرَوِيُّ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْمُنْذِرِ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَطِيَّةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، وَيَجْعَلُهَا حَيْثُ شَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، **وَجَهَنَّمُ**

فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ .

ـ وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ قال : (**الْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ وَالنَّارَ فِي الْأَرْضِ**) [رواه أسد بن موسى في الزهد (٤٤) والحارث في مسنده (٩٣٥) وابن أبي الدنيا في صفة النار (١٧٨) والدولابي في الكنى (١٤) وأبو نعيم في صفة الجنة (١٣١) والبيهقي في دلائل النبوة (٤٨٥/٥) والبعث (٤٤٩) والشعب (٣٦٠) والحاكم (٨٦٩٨) وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ وَلَيْسَ بِمَوْقُوفٍ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ عَلَى تَقَدُّمِهِ فِي مَعْرِفَةٍ قَدِيمَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ ، وَقَدْ أَسْنَدَهُ بِذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ » ووافقه الذهبي والعسقلاني والبوصيري وغيرهم **وسنده صحيح** وله طرق وقد احتج به النجاد والخلال والمروذي في قضية الإجلاس ، وقال ابن رجب في التخويف من النار (ص٦٣) أن ابن خزيمة خرجه وهذا يعني تصحيح منه له]

ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا ، وَالنَّارُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى**» [رواه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٠) وأبو نعيم في الحلية (١٠٣/٧) والبيهقي في البعث (٤٥٥) وذكره ابن القيم في الحادي الأرواح (ص٦٦) وونسبه لابن منده بالإسناد ، ومدراه على سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء به له طرق ، وفي إسناده محمد بن عبد الله الراوي عن سلمة بن كهيل ولم أقف على ترجمته وفي إسناده أبو الزعراء عبد الله بن هانئ. قال عنه البخاري وابن معين وابن المديني وأبو حاتم والنسائي ومسلم وغيرهم أنه لا يتابع في حديثه ولم يروي عنه إلا سلمة بن كهيل. وبسبب هذه الجهالة ذكره العقيلي في الضعفاء (٩٠٠) والذهبي في ضعفاءه (٣٤٠٧) ولكن وثقه العجلي وابن سعد وابن حبان وفي توثيقهم نظر : [انظر : التهذيب (٦١/٦)] ولهذا أشار ابن رجب في كتابه التخويف من النار (ص٦٢) إلى ضعف إسناده]

روي أبو نعيم في صفة الجنة (١٣٥) عن مجاهد قال : قلت لابن عباس: أين الجنة ؟ قال : فوق سبع سموات ، قلت : **فأين النار** ؟ **قال** : **تحت سبع أبحر مطبقة** . [وذكره ابن القيم في حادي الأرواح وابن رجب في التخويف من النار (ص٦٢) ونسبوه لابن منده] .

(**قلت**) وفي إسناده أبو يحيى القتات الكوفي الكناني قال ابن حبان : فحش خطؤه ، وكثر وهمه حتى سلك غير مسلك العدول في الروايات" وأيضا الراوي عنه إسرائيل قال أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : أَبُو يَحْيَى الْقَتَّاتُ ؟ قَالَ : رَوَى **عَنْهُ إِسْرَائِيلُ أَحَادِيثَ مَنَاكِيرَ جِدًّا** قَالَ : وَأَمَّا حَدِيثُ سُفْيَانَ عَنْهُ فَمُقَارِبَةٌ ، قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : فَهَذَا مِنْ قِبَلِ إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : أَيَّ شَيْءٍ أَقْدِرُ أَقُولُ لِإِسْرَائِيلَ ؟ ثُمَّ قَالَ : إِسْرَائِيلُ مِسْكِينٌ، مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ بِهَذِهِ ؟ ثُمَّ قَالَ: هُوَ ذَا حَدِيثُهُ عَنْ غَيْرِهِ، أَيْ أَنَّهُ قَدْ رَوَى عَنْ غَيْرِ أَبِي يَحْيَى، فَلَمْ يَجِئْ بِمَنَاكِيرَ، أَيْ هَذَا مِنْ قِبَلِ أَبِي يَحْيَى.. انظر : التهذيب (٢٧٨/١٢)]

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن قتادة قال : كانوا يقولون : إن الجنة في السموات السبع ، وإن جهنم لفي الأرضين السبع.

قال بن رجب في التخويف من النار (ص٦٣) وقال استدل بعضهم لهذا بأن الله تعالى أخبر أن الكفار يعرضون على النار غدواً وعشياً. يعني في مدة البرزخ ، وأخبر أنه لا تفتح لهم أبواب السماء ، فدل أن النار في الأرض) اهـ .

وهما مخلوقتان ، قد علم الله عدد أهل الجنة ومن يدخلها ، وعدد أهل النار ومن يدخلها ، لا تفنيان أبدا(١) **[بقاؤهما] مع بقاء الله تبارك وتعالى أبد الآبدين في دهر الداهرين .**

---

(١) القول بفناء النار هو مذهب الجهمية لا غير ، ولا يثبت خلافا بين السلف في بقاء الجنة والنار ، بل كلهم أجمعوا على أن الجنة والنار كلاهما باقيتان لا تفنيان ، خلافا للجهمية الذين قالوا بفناء الجنة والنار أو إحداهما بحجة أنها حادثة بعد أن لم تكن ، وهذا قول الجهم بن صفوان وشيعته الذي تبناه ونشره في تضليل الناس ، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار ، والمعتزلة أقرب قول منهم في ذلك ، وقد نصر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم القول بفناء النار !! وهو مذهب الجهمية وسيأتي الرد عليهم جميعا .
والإجماع أنفع سلاح في مثل هاته المواطن ، فأقول : قد نص غير واحد من العلماء والأئمة الأمناء ، على إجماع أهل السنة النجباء في رد هذا القول الواهي ، وكتب العقائد مشحونة بذلك لا يرتاب فيه من له اطلاع ، ونظر في كتبهم ومصنفاتهم ، وهذه جملة من أقوالهم في بيان ذلك تثبيتاً لأهل الحق وفضحاً لأهل الباطل :
١) **حكايةُ قتيبَة بْن سَعِيدٍ رحمه الله [٢٤٠ هـ]** روى أبو أحمد الحاكم في شعار أهل الحديث (١٧) : سمعت محمد بن إسحاق الثقفي قال : سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد قال : (هذا قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة : الرضا بقضاء الله ... والجنة والنار مخلوقتان ولا يفنيان ، والصلاة من الله فريضة ، واجبة بتمام ركوعها وسجودها والقراءة فيها) اهـ
٢) **أحمد بن حنبل رحمه الله** : في طبقات الحنابلة (١/٢٤) : قال أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بْن عَبْدِ اللَّهِ الفارسي الأصطخري قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أحمد بن محمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عَنْ منهج السنة وسبيل الحق ... ثم قال : وقد خلقت الجنة وما فيها والنار وما فيها خلقهما اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وخلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ "كُلُّ شيء هالك إلا وجهه وبنحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له: كل شيء مما كتب اللَّه عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدًا لأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قَالَ خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عَنْ سواء السبيل) اهـ .
٣) **محمد بن يحي الذهلي [٢٥٨هـ]** روى أبو نصر المقدسي في الحجة (ص٦٣١ . ط دار الأول) : قال الذهلي : (السنة عندنا الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .. وأن الجنة والنار مخلوقتان ... فمن زعم أنهما غير مخلوقتين أو إن كانتا مخلوقتين فإنهما يفنيان كما يفنى سائر الخلق فقد كذب من زعم هذا وأنكر الملة) .
وقال ابن النحاس في إعراب القرآن (٥/٥٧) : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السّلام سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول: (السّنّة عندنا وهو قول أئمتنا مالك بن أنس وأبي عبد الرّحمن بن عمر ، والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وأحمد بن حنبل وعليه عهدنا أهل العلم أنّ الله جلّ وعزّ يرى في الآخرة بالأبصار .. والنار والجنة أنّهما مخلوقتان غير فانيتين)
٤) **حكايةُ إسماعيلِ المزنيّ [٢٦٤هـ]** : قال في كتاب شرح السنة : وعقبى الْكَافرين النَّار وَأهل الْجحْد {عَن رَبهم يَوْمئِذٍ لمحجوبون} ..و{لَا يقْضى عَلَيْهِم فيموتوا وَلَا يُخَفف عَنْهُم من عَذَابهَا كَذَلِك نجزي كل كفور} الْآيَة خلا من شَاءَ الله من

الْمُوَحِّدين إخراجهم مِنْهَا .. هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الْأَولونَ من أَئِمَّة الْهدى وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضى) اهـ

٥) حكاية أبي حاتم وأبي زرعة الرازيان : روى اللالكائيّ في شرح أصول الإعتقاد (١٠/١٢) عن عبد الرحمنِ بن أبي حاتمٍ قَالَ : سألتُ أَبِي وأبَا زرعةَ عَنْ مذاهبِ أهلِ السنّة في أصولِ الدينِ، ومَا أدركَا عليهِ العلماءَ في جميعِ الأمصارِ، وما يعتقدانِ مِنْ ذلكَ فقالاَ : (أدركنَا العلماءَ في جميعِ الأمصارِ حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكانَ مِنْ مذهبهِمْ : – الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيدُ وينقصُ ... والجنّة حقٌ والنّار حقٌ ، وهمَا مخلوقانَ لا يفنيانَ أبداً ، والجنّة ثوابٌ لأوليائهِ ، والنّار عقابٌ لأهلِ معصيتهِ إلا مَنْ رحمَ اللهُ عزّ وجلّ) اهـ .

٦) حكاية حرب الكرماني ٢٨٠ هـ : قال في كتابه السنة (ص٤٨) : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أوعاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ... فكان من قولهم : ... ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار ، وقد خُلِقَت الجنة وما فيها ، وخُلِقَت والنار وما فيها خلقهما الله ثم خلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى من فيهما أبدًا ، فإن احتج مبتدع زنديق بقول الله تبارك وتعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} وبنحو هذا فقل له : كل شيء ما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خُلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا لأن الله تبارك وتعالى خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال بخلاف ذلك فهو مبتدع مخالف وقد ضل عن سواء السبيل) اهـ .

(قلت) ومن حكى الإجماع كثير سوى ما ذكرت هنا : ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١٣٩) والأجري في الشريعة (١٣٧١/٣) والملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص١٤١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٠٠/١ ـ ط آل حمدان) والصابوني في أعتقاد السلف أصحاب الحديث وغيرهم كثير ، وقد كان السلف يُجهمون ويضللون ، بل ويكفرون من قال بفناء الجنة والنار ، ولا يخفى أنه لا فرق بين من قال بفنائهما جميعا أو خاص واحدة :

روى عبد الله في العلل (٥٣٣١) قال : سَأَلت أبي عَن الحكم بن عبد الله أبي مُطِيع الْبَلْخِي فَقَالَ لَا يَنْبَغِي أَن يرْوى عَنهُ حكوا عَنهُ أَنه كَانَ يَقُول الْجنَّة وَالنَّار خلقتا فستفنيان وَهَذَا كَلَام جهم لَا يرْوى عَنهُ شَيْء) اهـ

وروى في السنة (٧٧) عن خَارِجَةَ يَقُولُ : كَفَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْفَدُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد: ٣٥] فَمَنْ قَالَ : لَا يَدُومُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨] فَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ : {لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٣] فَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ) اهـ

في طبقات الحنابلة (٣٤٤/١) كتب أحمد إلى مسدد بن مسرهد فقال : بسم اللَّه الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل فِي كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى وينهونه عَنِ الردى يحيون بكتاب اللَّه تعالى الموتى ، وبسنة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الجهالة والردى .. أوصيكم ونفسي بتقوى اللَّه العظيم ولزوم السنة ، فقد علمتم ما حل بمن خالفها وما جاء فيمن اتبعها ، بلغنا عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ : إن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها ... ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلا وعذابها دائم ..) اهـ

وفي السنة لعبد الله (٧٧) عن خَارِجَةَ يَقُولُ : كَفَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْفَدُ فَقَدْ كَفَرَ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} [الرعد: ٣٥] فَمَنْ قَالَ : لَا يَدُومُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨] فَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ : {لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة: ٣٣] فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ) .

وآدم [عليه السلام] ، كان في الجنة الباقية المخلوقة ، فأخرج منها بعدما عصى الله عزوجل (١) .

---

(١) ويقصد بهذه الجملة الرد على مذهب قديم قال به بعضُ أهل الزيغ من المعتزلة والفلاسفة والمتكلمين ، حيث قالوا : أن الجنة التي كان فيها آدم عليه السلام ، ليست هي جنة الخلد التي سيدخلها المؤمنون يوم القيامة ، وإنما هي جنة كانت بستانا بالأرض فأخرج منها ، وهو أيضا مذهب أبي حنيفة وأصحابه ، وهذا مذهب باطل بالقرآن والسنة والإجماع :

قال منذر بن سعيد : والقول بإنها جنة في الأرض ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه قال: وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولا ولا شاذا مشهورا . [حادي الأرواح لابن القيم (ص٥٠)] .

ولبيان الأدلة في هذا الأمر نقول :

أولا : **من القرآن** : قوله تعالى : (**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**) قال ابن ابن الحنبلي في الرسالة الواضحة (ص١٠٢٦) : " الجنة عرفها بالألف واللام ولو قال جنة لقال نكرة...فأراد به جنَّة المأوى) اهـ .

من ذلك قوله تعالى (**قلنا اهبطا منها جميعا**) قال ابن الحنبلي : فإن قال مخالف : الجنة كانت في الدنيا وأراد بستانا فيها ، فقال له : قد الله تعالى (اهبطا منها جميعا) والهبوط لا يكون إلا من السماء إلى الأرض ، ألا ترى ما قال نبي صلى الله عليه وسلم (هبط علي جبريل) أي : نزل من السماء إلى الأرض .. وقوله تعالى (**إنَّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**) وهذا لا يكون في الدنيا أصلا . [حادي الأرواح (ص٥٠)]

ثانيا : **ومن الأحاديث** : عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يجمع الله تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتَّى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ..) [مسلم (١٩٥)] فدل هذا أن الجنة التي طلبوا منه استفتاحها هي بعينها التي كان فيها .

وأيضا حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام وقول موسى : (**أخرجتنا ونفسك من الجنة**) [البخاري (٦٦١٤)] فلو كانت في الأرض فهم قدرجوا من بستانين فلم يخرجوا من الجنة . [راجع مفتاح دار السعادة (ص١١)]

أما دليل الإجماع : فقد حكى الإجماع على هذا غير واحد ، **قال الطلمنكي** في كتابه الوصول إلى معرفة الأصول : وأجمعوا على أن الجنة التي كان فيها آدم وأخرج عنها في جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فمن قال غير ذلك **فهو داخل في جملة الزائغين**" . وقد كان غير واحد من أهل العلم يشتدون على من ينفي هذا، قال أبوداود قال : حدثنا غسان بن المفضل كان من العلماء – قال عبدة بن أبي برزة : قال الله (**ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**) فمن زعم أن هذه الجنة ليست تلك الجنة التي يدخلها المؤمون فقد كفر .

ومن الآثار في هذا الباب : ما روى الطبري في تفسيره (٥٣٧) والحاكم في المستدرك (٥٤٣/٢) بسند صحيح عن قَسَامةَ عن أبي موسى الأشعري قال : إن الله لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلّمه صَنعةَ كل شيء ، فثمارُكم هذه من ثمار الجنة ، غيرَ أن هذه تغيَّرُ وتلك لا تغيَّرُ . [قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ، ووافقه الذهبي ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/٨ – ١٩٨) وقال : رواه البزار ، والطبراني ، ورجاله ثقات] فدل هذا الأثر الموقوفا رواية المرفوع حكما أن لو كان ما كان فيه آدم من بستان في الأرض ، لما فرق بينها وبين ثمارها وجعل ثمار الجنة التي كان فيها آدم لا تتغير .

وقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٣٤٦/٤) فقال : والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي : جنة الخلد ومن قال : إنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة ، أو غير ذلك ، فهو من **المتفلسفة والملحدين** ، أو من **إخوانهم المتكلمين المبتدعين** ، فإن هذا يقوله من يقوله من **المتفلسفة والمعتزلة**) اهـ .

[٢٢] والإيمان بالمسيح الدجال (١) .

(١) وهذا معتقد أهل السنة بالإجماع كما نقله الكرماني في السنة (٣٥) وابن بطة في الغبانة الصغرى (٢٨٩) والرد على المبتدعة لابن البناء (١٩) وينظر أخباره في [السنة لعبد الله بن أحمد (ماورد في الدجال وصفته) بتحقيق عادل آل حمدان والشريعة للآجري (١٣٠١/٣)] وأخبار الدجال متواترة كثيرة جدا لا يمكن حصرها في أوراق بل تحتاج إلى مجلد كبير قال ابن البناء في كتابه الرد على المبتدعة (ص٢٠٣) : (قد جمعت أخباره في كتاب مفرد) .

(**قلت**) وجمعها عبد الغني المقدسي في كتاب (أخبار الدجال) والأصل في هذا الباب حديث تميم .

وفي طبقات الحنابلة (٢٤٣/١) نقل عن رسالة عبدوس وفي أصول السنة للإمام أحمد قال : (والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر ، والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن) اهـ

وقد أنكر الزنادقة والخوارج والمعتزلة والجهمية خروج الدجال وجحدوا النصوص الواردة فيه ، فلم يصنعوا شيئا وقد لخص ابن كثير سيرة الدجال بتعليق جيد في البداية والنهاية (١٩٠/١٩) فقال : هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، لِيَكُونَ مِحْنَةً وَاخْتِبَارًا لِلنَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، فَيُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا، وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ... ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُ فِي الْخُرُوجِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَعْدَ فَتْحِ الْمُسْلِمِينَ مَدِينَةَ الرُّومِ الْمُسَمَّاةَ بِقُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَيَكُونُ بُدُوُّ ظُهُورِهِ مِنْ أَصْبَهَانَ مِنْ حَارَةٍ بِهَا يُقَالُ لَهَا : الْيَهُودِيَّةُ ، وَيَنْصُرُهُ مِنْ أَهْلِهَا سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ ، عَلَيْهِمُ الْأَسْلِحَةُ وَالسِّيجَانُ ، وَهِيَ الطَّيَالِسَةُ الْخُضْرُ، وَكَذَلِكَ يَنْصُرُهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ التَّتَارِ، وَخَلْقٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، فَيَظْهَرُ أَوَّلًا فِي صُورَةِ مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ الْجَبَابِرَةِ ، ثُمَّ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ ، فَيَتْبَعُهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَهَلَةُ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَالطَّغَامُ مِنَ الرَّعَاعِ وَالْعَوَامِّ ، وَيُخَالِفُهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هَدَاهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَحِزْبِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ ، وَيَتَدَنَّى فَيَأْخُذُ الْبِلَادَ بَلَدًا بَلَدًا وَحِصْنًا حِصْنًا ، وَإِقْلِيمًا إِقْلِيمًا ، وَكُورَةً كُورَةً ، وَلَا يَبْقَى بَلَدٌ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا وَطِئَهُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، غَيْرَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَمُدَّةُ مُقَامِهِ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِ النَّاسِ هَذِهِ ، وَمُعَدَّلُ ذَلِكَ سَنَةٌ وَشَهْرَانِ وَنِصْفٌ ، وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ خَوَارِقَ كَثِيرَةً ، يُضِلُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَيَثْبُتُ مَعَهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فَيَزْدَادُونَ بِهَا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَهُدًى إِلَى هُدَاهُمْ ، وَيَكُونُ نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، مَسِيحِ الْهُدَى فِي أَيَّامِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ مَسِيحِ الضَّلَالَةِ عَلَى الْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدِمَشْقَ ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ ، وَيَلْتَفِتُ مَعَهُ عِبَادُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ ، فَيَسِيرُ بِهِمْ قَاصِدًا نَحْوَ الدَّجَّالِ ، وَقَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقَ ، فَيَنْهَزِمُ مِنْهُ الدَّجَّالُ فَيَلْحَقُهُ عِنْدَ بَابِ مَدِينَةِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ بِحَرْبَتِهِ ، وَهُوَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا ، وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَفُوتَنِي ، وَإِذَا وَاجَهَهُ الدَّجَّالُ انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ ، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ ، فَتَكُونُ وَفَاتُهُ هُنَالِكَ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ) اهـ

حكم من كذب بالدجال : أحاديث الدجال متواترة رواها قرابة أربعين صحابي فكل من جحدها فهو ضال خبيث ، وقد ادعى بعض الضلال قديما أن الدجال كل رجل خبيث ، ولهذا بوب اللالكائي في كتابه شرح أصول الإعتقاد (٢٣/٤) : سياق ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في خروج الدجال والإيمان به خلاف ما قالت المبتدعة : إن الدجال كل رجل خبيث) .

[وانظر أخباره في السنة للكرماني في السنة (١٥٦) والسنة لعبد الله باب (ما ورد في الدجال وصفته) وكتاب الرد على المبتدعة لابن البناء (١٩/باب الإيمان بأن المسيح الدجال خارج) والإبانة الصغرى لابن بطة (٢٧٩)]

(**قلت**) ومن أنكره من المعاصرين : رشيد رضا ولا رشد ولا رضى ، ومن لم يؤمن بخروجه حريٌّ أن يكون تابع له عند خروجه

ففي ذم الكلام للهروي (٧٨٤) قال مُطَرِّف رحمه الله : (أكثر أتباع الدجال اليهود ، وأهل البدع) اهـ

قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩٠/١٩) : وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدَّجَّال

[٢٣] [والإيمان] بنزول عيسى ابن مريم ، ينزل فيقتل الدجال ، ويتزوج ، ويصلي خلف القائم من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ويموت ، ويدفنه المسلمون (١)

=بالكليَّة ، وردُّوا الأحاديث الواردة فيه ، فلم يصنعوا شيئًا وخرجوا بذلك عن حيّز العلماء ، لردِّهم ما تواترت به الأخبار الصَّحيحة) اهـ . (**قلت**) بل خرجوا من حيز الإسلام إلى الردة .

تنبيه : ورد في النصوص أن فتنة الدجال هي أعظ فتنة ستقع في الأرض في آخر الزمان ، وقد ورد حديث عند ابن ماجة (٤٢٠٤) : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ؟ » قَالَ : قُلْنَا : بَلَى ، فَقَالَ : الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ » (**قلت**) وهذا معارض لظاهر النصوص في أن فتنة الدجال أعظم الفتن ، لكن **سنده ضعيف لا يصح** في سنده كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن فيهما ضعف .

(١) أجمع أهل السنة على نزول عيسى في آخر الزمان وقتله المسيح الدجال ، وأن ذلك من علامات الساعة قال تعالى: {**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**} أي : ليؤمنن بعيسى قبل موته ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان وأحاديث نزول المسيح عليه سلام بلغت التواتر وقد جمع بعضهم كتابا في ذلك سماه (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) وألف ذاك السيوطي (كتاب عيسى بن مريم آخر الزمان) وما ورد في هذا صريحا :

وأصله ذكره في القرآن : كما روى ابن أبي زمنين (١١٥) فِي قَوْلِهِ : (**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ**) عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : يَعْنِي نُزُولَ عِيسَى فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا بِالسَّاعَةِ وَلَا تَشُكُّنَّ فِيهَا.

وروى الآجري في الشريعة (٨٩٢) عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**} قَالَ : ذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا آمَنَ بِهِ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤا إن شئتم {**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**} [الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ٤٩ ج٤/ ١٣٩، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٧١ ج١/١٣٥، ١٣٦] وقد نقل الإجماع غير واحد ، كابن أبي زمنين في السنة (١١٣) وابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٨٨) وراجع الشريعة للآجري (١٣٢٠/٣) (بَابُ الْإِيمَانِ بِنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)] .

حكم من كذب بنزول المسيح : سبق أن ذكرنا أن الأحاديث متواترة ، فعليه من جحدها بعد علمه بها فهو كافر ، وقد أنكرت المعتزلة والزنادقة قديما والقاديانية والمبتدعة حديثا ، نزول المسيح ثم تأثر بهم العقلانيون في زماننا المتمثلة في مدرسة محمد عبده ورشيد رضا العقلانية ، وقد شكك في ذلك رشيد رضا تبعا لشيخه في مجلة المنار ، ثم تبنى الأزهر من بعدهم تلك المقالة الخبيثة ونشروها إحياءً لمذاهب المعتزلة وعلى رأسهم محمد شلتوت شيخ الأزهر حينها ووافقه صاحبه مصطفى المراغي بعد أن أحال الفتوة إليه ، وردَّ للأحاديث التي وردت في الدجال ونزول المسيح عليه السلام ونشر مقالا في مجلة الرسالة (رقم ٤٦٢) وحرَّف معانيها وادعى أنها من أخبار بني إسرائيل وأنها من روايات كعب الأحبار وابن منبه !! وقد رد عليه حينها حتى الجهمية والأشعرية ، كالكوثري ، والغماري والفقي ومصطفى صبري ، وأشكالهم فبعضهم بدعه وبعضهم كفره ، لوضوح خبث هذه المقالة ، وكان ممن بين جهله أيضا حينها حمود التويجري في كتابه إتحاف الجماعة بما ورد من أشراط الساعة (١٢٨/٣) ، ومن لطائف الآثار في هذا الباب :

ما رواه معمر في جامعه (٢٠٨٤٦) بسند عَنْ يَزِيدَ بْنَ الْأَصَمِّ قَالَ : كُنْتُ أَسْمَعُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : « تَرَوْنِي شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ كَادَتْ تَرْقُوَتَايَ تَلْتَقِيَانِ مِنَ الْكِبَرِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُدْرِكَ عِيسَى ، وَأُحَدِّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَدِّقَنِي »

[٢٤] والإيمان بأن الإيمان قول وعمل ، وعمل وقول ونية وإصابة (١).

=وروى **نعيم بن حماد في الفتن** (١٥٦٧) بسند لابأس به **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ** : « يَزْعُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ ، وَيَقْتُلُ أَصْحَابَهُ » قَالَ أَبُو الزَّعْرَاءِ : مَا سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَذْكُرُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَدِيثًا غَيْرَ هَذَا .

وروى نعيم (**١٥٧١**) بسند جيد عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنِّي قَدْ بَلَوْتُ مِنْكَ صِدْقًا ، فَأَخْبِرْنِي عَنِ الدَّجَّالِ ، فَقَالَ : « وَإِلَهِ يَهُودَ لَيَقْتُلَنَّهُ ابْنُ مَرْيَمَ بِفِنَاءِ لُدٍّ »

وروى نعيم (**١٥٦٦**) عَنْ كَعْبٍ قَالَ : إِذَا سَمِعَ الدَّجَّالُ ، نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَرَبَ ، فَيَتْبَعُهُ عِيسَى فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ إِلَّا دَلَّ عَلَى أَصْحَابِ الدَّجَّالِ ، فَيَقُولُ : يَا مُؤْمِنُ هَذَا كَافِرٌ ."

(**قلت**) ومن أراد التوسع في أخبار نزول عيسى عليه السلام فإن أهل الحديث ممن ألف في السنن والصحاح أغلبهم بوَّبوا لذلك أبوابا ، ويطلع خاصة على كتاب الفتن لنعيم بن حماد والفتن للداني ، فقد توسعا في ذلك .

(١) أجمع السلف أهل السنة والحديث ، أن الإيمان قول وعمل لا يصح أحدهما إلا بالآخر ، خلافا للجهمية والأشعرية والمرجئة القديمة والمعاصرة ، الذين قالوا الأعمال ليست من الإيمان وإنما هي شرط كمال فيه فقط ، وقد نقل الإجماع على أن الإيمان لا يصح إلا بعمل غير واحد من السلف ونطق به الكثير منهم نذكر منهم : ممن نقل الإجماع : **اللالكائي** في شرح أصول الإعتقاد (١/ ١٠٨) **والكرماني** في السنة (١ ـ ١٤) **وابن بطة** في الإبانة الكبرى (١/٤٧٢ ـ تحقيق آل حمدان) **والآجري** في االشريعة (٢/٦١١) وغيرهم كثير .

ومن أصرح الإجماعات ما نقله الإمام الشافعي شجًى في خلوق المرجئة فيما روى اللالكائي (١٥٩٣) قال : كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية **لا يجزأ واحد من الثلاثة إلا بالآخر**) اهـ

روى اللالكائي (١٨) عن الْحَسَنَ البصري : لَا يَصِحُّ **الْقَوْلُ إِلَّا بِعَمَلٍ** ، وَلَا يَصِحُّ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا يَصِحُّ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِالسُّنَّةِ)

روى اللالكائي برقم (١٥٧٩) والبيهقي في الشعب (٦٩) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ يَقُولُ: « الْإِيمَانُ قَائِدٌ ، وَالْعَمَلُ سَايِقٌ ، وَالنَّفْسُ حَرُونٌ ، فَإِذَا وَنِيَ قَائِدُهَا لَمْ يَسْتَقِمْ سَايِقُهَا، وَإِذَا وَنِيَ سَايِقُهَا لَمْ يَسْتَقِمْ لِقَائِدِهَا ، **الْإِيمَانُ بِاللَّهِ مَعَ الْعَمَلِ ، وَالْعَمَلُ مَعَ الْإِيمَانِ ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا إِلَّا مَعَ هَذَا** حَتَّى يُقْدِمَانِ عَلَى الْخَيْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ »

وروى وابن أبي شيبة في المصنف (٦/١٧٢) والإيمان (١٣٦) واللالكائي (١٥٨٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: « لَا بُدَّ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ أَرْبَعٍ دُخُولٍ فِي دَعْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَتَصْدِيقٍ بِاللَّهِ وَبِالْمُرْسَلِينَ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، **وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا تُصَدِّقُ بِهِ إِيمَانَكَ**) .

وروى اللالكائي (١٥٨٦) والطبري في صريح السنة (٢٩) عن الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ وَيَقُولُونَ : « **لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ** »

وروى اللالكائي (٣١٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١١٨٥) عن سفيان الثوري في وصيته لشعيب بن حرب : (وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ ، **وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ** ، وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ وَالعَمَلُ إِلَّا

بِالنِّيَّةِ ، وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ وَالنِّيَّةُ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ)

وروى اللالكائي (٢٠) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: « **لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ** ، وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِقَوْلٍ ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ »

وفي السنة للخلال (٩٦٢) قال الإمام أحمد : (**الإيمان لا يكون إلا بالعمل**) وقد بوب ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/٤٧١) فقال : (باب بيان الإيمان وفرضه وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاث) وكان مما قال : (فَكُلُّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ أَوْ أَكَّدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجُحُودِ لَهَا ، وَالتَّكْذِيبِ بِهَا ، **فَهُوَ كَافِرٌ بَيِّنُ الْكُفْرِ لَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ عَاقِلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**. وَمَنْ أَقَرَّ بِذَلِكَ وَقَالَهُ بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ تَرَكَهُ تَهَاوُنًا وَمُجُونًا أَوْ **مُعْتَقِدًا لِرَأْيِ الْمُرْجِئَةِ** وَمُتَّبِعًا لِمَذَاهِبِهِمْ ، فَهُوَ تَارِكُ الْإِيمَانِ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ وَهُوَ فِي جُمْلَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ نَافَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِوَصْفِهِمْ وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ وَإِنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، نَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُرْجِئَةِ الضَّالَّةِ)

وبوب الآجري في الشريعة (٢/٦١١) : (باب القول بأن الإيمان وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، ولا يكون مؤمنا إلا بأن تجتمع فيه هذه الثلاث) ثم قال : اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِيءُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ ، حَتَّى يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالِ : كَانَ مُؤْمِنًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ .. ثم قال : فَالْأَعْمَالُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْجَوَارِحِ : تَصْدِيقٌ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقِ الْإِيمَانَ بِعَمَلِهِ وَبِجَوَارِحِهِ : مِثْلُ الطَّهَارَةِ ، وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَأَشْبَاهٌ لِهَذِهِ وَرَضِيَ مِنْ نَفْسِهِ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ ، **وَكَانَ تَرْكُهُ لِلْعَمَلِ تَكْذِيبًا مِنْهُ لِإِيمَانِهِ** وَكَانَ الْعَمَلُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ تَصْدِيقًا مِنْهُ لِإِيمَانِهِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ) اهـ

وقال المزني في شرح السنة برقم (٦) : وَالْإِيمَان قَول وَعمل مَعَ اعْتِقَاده بالجنان قَول بِاللِّسَانِ وَعمل بالجوارح والأركان وهما سيان ونظامان وقرينان لَا نفرق بَينهمَا لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل وَلَا عمل إِلَّا بِإِيمَان) اهـ

(قلت) وقد انتدب كثير من علماء السلف من أهل الحديث للرد على المرجئة في ادعائهم أن ترك الفرائض (العمل) لا يؤثر في صحة الإيمان وبينوا بالحجة والدليل أن تارك الفرائض (العمل) كافر وإن كان متكاسلا ، ومن أقوى ردود السلف على هذا القول ثلاثة أقوال قوية جدا وهي السهام القاتلة :

الأول : قول سفيان بن عيينة :

جاء في السنة لعبد الله بن أحمد (٧٤٥) عن سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَرَوِيُّ قَالَ: سَأَلْنَا سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ عَنِ الْإِرْجَاءِ فَقَالَ : يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ ، وَنَحْنُ نَقُولُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالْمُرْجِئَةُ أَوْجَبُوا الْجَنَّةَ لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُصِرًّا بِقَلْبِهِ عَلَى تَرْكِ الْفَرَائِضِ، وَسَمَّوْا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا بِمَنْزِلَةِ رُكُوبِ الْمَحَارِمِ وَلَيْسَ بِسَوَاءٍ لِأَنَّ رُكُوبَ الْمَحَارِمِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْلَالٍ مَعْصِيَةٌ، وَتَرْكُ الْفَرَائِضِ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ وَلَا عُذْرٍ هُوَ كُفْرٌ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي أَمْرِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِبْلِيسَ وَعُلَمَاءِ الْيَهُودِ، أَمَّا آدَمُ فَنَهَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَحَرَّمَهَا عَلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا مُتَعَمِّدًا لِيَكُونَ مَلَكًا أَوْ يَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ فَسُمِّيَ عَاصِيًا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ، وَأَمَّا إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ فُرِضَ عَلَيْهِ سَجْدَةٌ وَاحِدَةٌ فَجَحَدَهَا مُتَعَمِّدًا فَسُمِّيَ كَافِرًا، وَأَمَّا عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فَعَرَفُوا نَعْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولٌ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَأَقَرُّوا بِهِ بِاللِّسَانِ وَلَمْ يَتَّبِعُوا شَرِيعَتَهُ فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُفَّارًا، فَرُكُوبُ الْمَحَارِمِ مِثْلُ ذَنْبِ

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا تَرْكُ الْفَرَائِضِ جُحُودًا فَهُوَ كُفْرٌ مِثْلُ كُفْرِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَتَرْكُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ فَهُوَ كُفْرٌ مِثْلُ كُفْرِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ "

الثاني : الإمام أبو عمرو الأوزاعي :

وكلامه رحمه الله من أوضح الأقوال وأشدها على المرجئة وقد رواه الالكائي (١٠٥٩١) والخلال في السنة (٥٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١٤٤/٦) قال أبو إسحاق الفزاري كان الأوزاعي يقول : يَقُولُونَ [أي المرجئة]: إِنَّ فَرَائِضَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَإِنَّ الْإِيمَانَ قَدْ يُطْلَبُ بِلَا عَمَلٍ ، وَإِنَّ النَّاسَ لَا يَتَفَاضَلُونَ فِي إِيمَانِهِمْ ، وَإِنَّ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ فِي الْإِيمَانِ سَوَاءٌ "، وَمَا هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ، أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » وَقَالَ تَعَالَى: {**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**} [الشورى: ١٣] وَالدِّينُ : هُوَ التَّصْدِيقُ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ ، فَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الدِّينَ قَوْلًا وَعَمَلًا، فَقَالَ: {**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**} [التوبة: ١١] ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الشِّرْكِ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ ، وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ عَمَلٌ كَمَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ ، **وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ** ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ فَكَانَ مَنْ مَضَى مِمَّنْ سَلَفَ **لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، الْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ** ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ جَامِعٌ كَمَا جَمَعَ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمُهَا ، وَتَصْدِيقُهُ الْعَمَلُ ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ ذَلِكَ بِعَمَلِهِ ، فَذَلِكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ **وَلَمْ يُصَدِّقْ بِعَمَلِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ** ، وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) اهـ

الثالث : الإمام إسحاق بن راهوية : نقل حرب الركماني في السنة (١٧٩) عن إسحاق قال : غلت المرجئة حتى صار من قولهم : إن قوما يقولون : من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها لا نكفره ، يرجى أمره إلى الله بعد ، إذ هو مقر ، فهؤلاء الذين لا شك فيهم – يعني في أنهم مرجئة) قال ابن رجب معلقا عليه في الفتح (٢٣/١) : وظاهر هذا : أنه يكفر بترك هذه الفرائض " .

الرابع : الإمام الحميدي :

وروى اللالكائي (١٥٩٤) والخلال في السنة (٥٧٦) عن حنبل بن إسحاق أخبرنا الْحُمَيْدِيُّ قال : وَأُخْبِرْتُ أَنَّ نَاسًا يَقُولُونَ : " مَنْ أَقَرَّ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَلَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا حَتَّى يَمُوتَ ، أَوْ يُصَلِّي مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، مَا لَمْ يَكُنْ جَاحِدًا إِذَا عَلِمَ أَنْ تَرْكَهُ ذَلِكَ ، إِذَا كَانَ يُقِرُّ بِالْفَرَائِضِ وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ ، **فَقُلْتُ: هَذَا الْكُفْرُ الصُّرَاحُ وَخِلَافُ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِعْلِ الْمُسْلِمِينَ** قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} [البينة: ٥] قال حَنْبَلٌ بعد ذكر كلام الحميدي : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: « **مَنْ قَالَ هَذَا ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ وَعَلَى الرَّسُولِ مَا جَاءَ بِهِ**) اهـ

[ويراجع : رسالة أصول السنة (١٢) والسنة لابن أبي زمنين ( ) وشرح السنة للمزني (٦) السنة للكرماني (ص٧٤) والسنة للخلال (ص٥٦٢ ـ تحقيق آل حمدان) وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٢٧٣ ـ تحقيق آل حمدان) واللالكائي (١٠٨/٣) والحجة لبيان المحجة (٤٠٣/١) والشريعة (٢٧٤/١) والإبانة الكبرى (٤٧١/٢ ـ تحقيق آل حمدان) والرد على المبتدعة (ص٢٠٦ ـ تحقيق آل حمدان)]

(قلت) ومن حيل المرجئة قديما وحديثا على أغبياء الناس أنْ قالوا لهم أن الإيمان (قول وعمل) حتى لا يفتضحوا في مخالفة صريح عبارات السلف ، حتى إذا صدقهم الرعاع والجهال في أنهم لم يخالفوا السلف في الإيمان ، قالوا بعد ذلك إن الأعمال : (شرط كمال) فنقضوا قولهم الأول من حيث لم يتفطن لهم الجهال وأتباعهم المقلدة الرعاع ، وعادوا إلى قول المرجئة والجهمية في أن العمل ليس جزء من الإيمان ولا ركن ولا شرط على حد تعبيرهم **!** وصار زعماء المرجئة اليوم يستعملون هذا المذهب الخبيث ، وهذه حيلة قديمة وكما يقال : " **شنشنة نعرفها من أخزم** ". وقد كشفها بعض أهل العلم قديما :

قال سجزي في رسالته إلى زبيد في الحرف والصوت (ص٢٨٤) : وعند أهل الأثر أن الإيمان : قول وعمل يزيد وينقص وعلماء الآفاق المتبعون كلهم على هذا القول ، ومخالفونا هؤلاء يقولون معنا في الظاهر مثل ذلك ، وعندهم أن التصديق لا مدخل للزيادة والنقصان فيه وهو الإيمان) اهـ

(قلت) وهذه الأخلاق والنفاق معروفة عن أبي الحسن الأشعري الجهمي مع أتباعه الذين خدعهم بهذه الحيلة الخبيثة .

قال السجزي : (كذلك كثير من مذهبه ، يقول في الظاهر بقول أهل السنة مجملاً ، ثم عند التفسير ، والتفصيل يرجع إلى قول المعتزلة ، فالجاهل يقبله بما يظهره ، والعالم يجهره لما منه يخبره ، والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق نسأل الله السلامة من كل برحمته) اهـ .

قال ابن رجب في الفتح (١/١١٣) : وقد كان طائفة من المرجئة يقولون: الإيمان قول وعمل موافقة لأهل الحديث ، ثم يفسرون العمل بالقول ويقولون : هو عمل اللسان ، وقد ذكر الإمام أحمد هذا القول عن شبابة بن سوار وأنكره عليه وقال : هو أخبث قول ما سمعت أن أحدا قال به ولا بلغني ، يعني أنه بدعة لم يقله أحد ممن سلف) اهـ .

يزيد وينقص ، يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى منه شيء (١) .

---

(١) وقد ورد فيما ذكره المؤلف هنا ، مما اعتمد عليه في هذه الجملة ، عدة أقوال للسلف سأذكرها :
عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي –رحمه الله– (ت١٥٧هـ) : سئل عن الإيمان : أيزيد ؟ قال : « نعم حتى يكون مثل الجبال» قال: قلت : فينقص ؟ قال: « نعم حتى لا يبقى منه شيء ».[أخرجه أبو العباس الأصم في «حديثه» (ص١٥٣) ومن طريقه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠٣٠/٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/١١)].
العباس بن الوليد البيروتي –رحمه الله– (ت٢٦٩هـ) :سئل أليس تقول ما يقول الأوزاعي؟ فقال: «نعم». [المصادر السابقة].
سفيان بن عيينة –رحمه الله– (ت١٩٨هـ) قال : « الإيمان : قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقال له أخوه إبراهيم بن عيينة : يا أبا محمد تقول: ينقص ؟ فقال : اسكت يا صبي بلى ينقص ، حتى لا يبقى منه شيء ».[أخرجه الحميدي في «أصول السنة» (ص٤١) والصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٢٧٠) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠٣٢/٥) والعدني في «الإيمان» (ص٩٤) وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٥٥/٨٠٤/٢) والآجري في «الشريعة» (٦٠٧/٢) من طريقين عن سفيان به].
وقال محمد بن عبد الملك المصيصي: كنا عند سفيان بن عيينة في سنة تسعين ومائة، فسأله رجل عن الإيمان، فقال: «قول وعمل، يزيد وينقص»، قال: «يزيد ما شاء الله وينقص حتى ما يبقى منه، يعني مثل هذه»، وأشار سفيان بيده. [أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٥٦/٨٥٥/٢) و (٨١٧/٦٣٠/٢) والآجري في «الشريعة» (٥٥٣/٢)].
وقال عبد الله بن خالد، قاضي أصبهان: سئل سفيان بن عيينة عن الإيمان ، فقال : « قول وعمل، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى معك مثل ذي » وأشار بأصابعه. [أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢٤٣/٢)].
أبو عثمان بشار بن موسى الخفاف –رحمه الله– (ت٢٢٨هـ) قال: « الإيمان: قول وعمل ونية، يزيد وينقص، حتى يكون أعظم من الجبل، وينقص حتى لا يبقى منه شيء...». [أخرجه حرب الكرماني في مسائله (ص٣٧٠) قال: سمعت بشار بن موسى الخفاف فذكره].
علي بن عبد الله المديني –رحمه الله– (ت٢٣٤هـ) : سئل عن الإيمان فقال: «قول وعمل ونية» قلت : أينقص ويزداد ؟ قال: نعم يزداد وينقص حتى لا يبقى منه شيء ». [ذكره الثعلبي في «تفسيره (٢١٣/٣) ثم روى عن عمر الواسطي موافقه وهي]
عمرو بن عون الواسطي (ت٢٢٥هـ) : قال عثمان بن سعيد الدارمي : وسألت عمرو بن عون الواسطي عن الإيمان فقال : « مثل ذلك ».
إسحاق بن راهويه –رحمه الله– (ت٢٣٨هـ) : قال: الإيمان : قول وعمل، يزيد وينقص، ينقص حتى لا يبقى منه شيء». [أخرجه الكوسج في مسائله (٥٨٩/٢) ومن طريقه الخلال في السنة (٥٨٢/٣ و٥٩٣) قال: قال إسحاق فذكره].
إسحاق بن منصور الكوسج : قال بعد أثر إسحاق بن راهويه : « وأنا أقول بها » [مسائل الكوسج (٥٨٩/٢)].
أحمد بن حنبل –رحمه الله– (ت٢٤١هـ) قيل له : كان ابن المبارك يقول : يزيد ولا ينقص ، فقال: «كان يقول : الإيمان يتفاضل ، وكان سفيان يقول : ينقص حتى لا يبقى منه شيء» [أخرجه الخلال في السنة (٥٨٣/٣)]
(**قلت**) وهذا إقرار من الإمام أحمد لقول سفيان رحمه الله ، بل قال أحمد بن حنبل –رحمه الله– عندما سأله رجل عن زيادة الإيمان ونقصانه ، فقال : يزيد حتى يبلغ أعلى السماوات السبع ، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع ». [ذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢١٠/٢)]
محمد بن إسحاق ابن منده –رحمه الله– (ت٣٩٥هـ) قال: « ذكر خبر يدل على أن الإيمان ينقص حتى لا يبقى في قلب العبد مثال حبة خردل وأن المجاهدة بالقلب واللسان واليد من الإيمان ». [كتاب الإيمان (٣٤٥/١)]

[٢٥] [وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها](١) : أبو بكر وعمر وعثمان ، هكذا روي لنا عن ابن عمر قال : كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا : إن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر وعثمان ويسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فلا ينكره (٢) ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: علي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح ، وكلهم يصلح للخلافة (٣) ثم أفضل الناس بعد هؤلاء :أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، القرن الأول الذي بعث فيهم : المهاجرون الأولون والأنصار وهم من صلى القبلتين ثم أفضل الناس بعد هؤلاء من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أو شهرا أو سنة أو [أقل من ذلك أو كثر](٤).

---

(١) هذه الفقرة وقع فيها اختلاف كبير بين المخطوط وما عند ابن أبي يعلى في الطبقات وقد اخترت عبارة المخطوط لأنها في نظري أصوب .

(٢) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٥٣) و (٥٧) والبخاري (٣٦٥٥) وابن أبي عاصم (١١٩٢) وأبو يعلى (٥٦٠٣) والخلال (٥٨٠) وأبو داود (٤٦٢٧) والترمذي (٣٧٠٧) وغيرهم دون قوله (يسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره) وقد رواها الخلال في السنة (٤٧٧) بسند صحيح ، وفي السنة للكرماني (٥٠٧) عن أيوب قال : قدمت المدينة والناس بها متوافرون القاسم بن محمد وسليمان بن يسار وغيرهم فما اختلف على أحد منهم في تقدمة : أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ، قال حماد بن زيد : وذاك رأي أيوب وهو رأينا) .

في السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١٣٤٦) سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: « أَمَّا التَّفْضِيلُ فَأَقُولُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ» قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ كُنَّا نَعُدُّ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ فِي الْخُلَفَاءِ) اهـ

(٣) وهؤلاء هم الستة الباقون من العشرة المبشرين بالجنة ، وهم أصحاب الشورى الذين رشحوا للخلافة ، وقد انعقد إجماع الأمة على أفضليتهم بعد الخلفاء الأربعة ، **قال ابن أبي حاتم** : سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنّة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان مذهبهم : وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وهم الخلفاء الراشدون المهديون ثم العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة) [أنظر السنة للخلال (٥٠٧) والكوسج (٣٣٦٤)]

(٤) وهذه الفقرة أيضا أخذها المؤلف من أصول السنة للإمام أحمد (ص٣٥٣ جامع في عقائد لآل حمدان) فقد ذكر الإمام نحو هذا التقسيم بعبارة مقاربة تماما ، ونحوها تجده في طبقات الحنابلة (٢٧٢/٢) ، وقد ذكر أهل الحديث أن الصحابة فيهم طبقات على مراتب ، وكلٌ قسمها حسب تأليفه ، فابن سعد في (**الطبقات**) قسم الصحابة إلى خمس طبقات ، ثم مشى عليها بعض من صنف في التراجم عليها ، ولعل أوسع من فصل في المراتب هو **الحاكم في كتابه معرفة علوم الحديث (ص٢٣)** فقد قال : قوم أسلموا بمكة أصحاب دار الندوة ، المهاجرة إلى الحبشة ، أصحاب بيعة العقبة الأولى ، أصحاب بيعة العقبة الثانية ، أول المهاجرين الذين وصلوا والنبي في قباء قبل أن يدخلوا المدينة ويبنى المسجد ، أهل بدر ، المهاجرة الذين هاجروا بين بدر والحديبية

نترحم عليهم (١) ونذكر فضلهم ونكف عن [زللهم] .

= أهل بيعة الرضوان ، المهاجرة بين الحديبية والفتح ، الذين أسلموا يوم الفتح ، صبيان وأطفال رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرها وعدادهم في الصحابة . [راجع أصول السنة لابن أبي زمنين (١/٢٧٢) (فِي تَقَدُّمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ) وقد ابن أبي عاصم عدة أبواب في كتابه السنة ، والإبانة الكبرى (قسم الصحابة) (٩٢) والإبانة الصغرى لابن بطة (٢٣٥) والسنة للخلال (١/٢٩٧ ـ ٣١٨) وعقيدة أحمد وابن المديني كما في الجامع للعقائد لآل حمدان]

(١) وهذه هي السنة القديمة المنقولة في كتب أصول السنة : كما **ذكره ابن المبارك** في عقيدته كما في مختصر الحجة للمقدسي (ص٥٤٦) **والحميدي** رسالته في أصول السنة كما في الجامع لعقائد أهل السنة لآل حمدان (ص٢٦٩) **والشافعي** في عقيدته كما في الجامع (ص٢٤٨) **وأحمد بن حنبل** كما عند الخلال في السنة (٧٤٢) **وابن المديني** في عقيدته كما في الجامع (ص٤٤٥) **وأبو حاتم وأبو زرعة** الرازيان فيما نقلوه من الإجماعات العقدية كل هؤلاء يقولون : **الترحم** على جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله والكف عما شجر بينهم .

(**قلت**) مما جرت به العادة عند المتأخرين هو تخصيص الترضي على الصحابة والترحم على سائرهم من المسلمين ، وقد اشترط الحميدي وأحمد وابن المديني على من تنقص أحدا منهم أن يترحم عليه في توبته ، ولقد بحثت عن أصل هذه العادة عند المتقدمين فلم أجد لها أصلا عندهم ، ووجدت أن مِنْ أوائل مَنْ ابتدأ ذكر التفريق هم أهل المصطلح من المتأخرين ، ومن أوائلهم الخطيب في الجامع (٢/١٠٦) ثم تابعه النووي في التقريب ، ثم تطور الأمر فقال من بعدهم بسنيته ، وكراهة الترضي على غير الصحابي !! فالعجب كيف يكون الشيء سنة وخلافه مكروه بلا نص ولا أثر ولا يعرفه إمام من أئمة السلف !! ولو تأملت قليلا ستجد أنه لا فرق بين الرضوان والرحمة في هذا الباب ، خاصة إذا تعلق الأمر بالدعاء فقط ، أما من قالها في غير الصحابي من باب الخبر ، فهذا من التألي على الله وهو أكبر من أن يقال فيه مكروه ، ولقد وجدنا السلف ما عندهم مشكل في الترحم على الصحابي ، وكثير من التابعين يقولون عمر رحمه الله ، ونحوه ، فأكثر ما نجد عند ذكرهم للصحابة هو الترحم ، ونقل ابن أبي حاتم في عقيدة الرازيين الإجماع على هذا فقال : (والترحم على جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والكف عما شجر بينهم) وعندهم الترضي على غير الصحابي لا غبار عليه إلى قرون متأخرة فقد كان كبار تلاميذ الشافعي وأحمد يترضون عنهما ، **روى الخطيب في الجامع (١٣١٦) عن** الرَّبِيعَ بْنَ سُلَيْمَانَ ، وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ حَدَّثَكُمُ الشَّافِعِيُّ ، فَغَلَطَ الْقَارِئُ فَلَمْ يَقُلْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ الرَّبِيعُ : « وَلَا حَرْفٌ حَتَّى يُقَالُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »

ومن طالع طبقات الحنابلة ومسائل الكوسج وكتاب الرد على الزنادقة ، سيجد الكثير من الترضي عن الإمام أحمد من كبار طلابه ، ووجدنا الله تعالى يقول (**إن الذين آمنوا وعموا الصالحات .. رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**)

وقال أيضا (**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**)

فشمل الرضى من الله كل المؤمنين .

ولها لما سئل أحمد عما شجر بين الصحابة قال : (مَا أَقُولُ فِيهَا إِلَّا الْحُسْنَى **رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ**) [السنة اللخلال (٧١٣)]

فالخلاصة : من قال إنه مما جرت العادة والعرف التفريق فهذا لا إشكال فيه ، لكن أنْ يقال السنة كذا وخلافه مكروه !! فهذا ما أنزل الله به من سلطان .

ولا تذكر أحدا منهم إلا بخير (١) **لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)** (٢)

---

(١) نشر فضائل الصحابة ، والكف عن زلاتهم هو عمل السلف ولا يخالف في هذا إلا زائغ ، روى حرب في السنة (٤٦٦) وابن بطة في الإبانة (٢٢٠) عن العوام بن حوشب قال : أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض : أذكروا محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تأتلف عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتوحشوا الناس عليهم)

وقال الكرماني : سمعت عبد الله بن سوار العنبري قال : السنة عندنا وما أدركنا عليه حمادا وحمادا والناس الذين يقتدى بهم : " والكف عن ذكر مساوئهم وعظيم الرجاء لهم بصحبة رسول الله ثلى الله عليه وسلم . [تهذيب الكمال (٧١/١٥)]

وروى الخلال في السنة (٤٦١/٢) عن عمر بن عبد العزيز قال لما سئل عن صفين والجمل : أمر أخرج الله يدي منه لا أدخل فيه لساني . [رواه اللالكائي في السنة (١٧٦/١) وانظر ابن بطة في الإبانة الصغرى (٣٢٣) والصابوني في عقيدته (١٤٤) والآجري في الشريعة (٢٤٨٥/٥) والخلال في السنة (٤٦٠/٢) وسيأتي التفصيل أكثر في فقرة (١٢٤) حول ما شجر بين الصحابة فنرجئه إلى هناك]

(تنبيه) ولقد زل الطبري زلة شنيعة في كتابه التاريخ حين نشر روايات المشاجرة والقتال بين الصحابة ، بل إنه لم يتوقف حتى نشر روايات الكذابين والروافض الزنادقة ، فحكى في تاريخه روايات أبي مخنف إمام الرافضة الزنديق عدو الصحابة ، الذي نشر الأكاذيب عنهم !! ولعل شبهة الطبري في نشر ذلك مقولة (أن من أسندك فقد أحالك) !! وهذا تشيُّع من الطبري !! .

فإضافة إلى نهي السلف عن نشر هاته الأخبار ، أنه ليس كل ما يعلم يقال ، بل توقف بعض الصحابة عن نشر الحق خوفا أن يسبب إشكالات عن العوام ، كما حبس أبو هريرة رضي الله عنه أحاديث الفتن مئات الأحاديث لهذه العلة ، وهذا من العقل والحكمة ، فما بالك إذا كان بعضها كذب أو ضعيف ، فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » [رواه مسلم في مقدمته (٥)] .

وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: « **بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ** » وقال عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ : « **مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً** » وقَالَ أيضا : «**بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ** » وكان عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ: « **لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ** » ، وعن ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ لِي مَالِكٌ « اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » فإذا كان التحديث بالصحيح الذي ثبتت في الدين وصحته ، منع منه إذا سبب فتنة للناس ، فالتحديث بما شجر بين الصحابة بالمنع أولى ، وما بالك وإذا كان كثير منه ضعيفا أو مكذوبا !! وإلا فالدعاة والقصاصين اليوم لا يبالون بما يخرج من رؤوسهم إذا حصلوا الشهرة والأتباع ، ولو على حساب إيغار صدور العوام على الصحابة !! [وراجع أكثر في هذا : السنة للخلال (٤٤/ ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وأصول السنة للإمام أحمد رواية عبدوس ، وكلام الكرماني في السنة (٧٤)]

(٢) **روي في هذا الباب روايات** : عن بن مسعود وثوبان وابن عمر وأبي ذر والحسن وطاووس مرسلا ، وهي شديدة الضعف :

أما حديث ابن مسعود : رواه الحارث في مسنده (٧٤٢) وأبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤) والخرائطي في مساوئ الأخلاق

(٧٤٠) واللالكائي في شرح أصول الإعتقاد (٢١٠) وابن عساكر في تاريخه (٤٠/٤٩) وقوام السنة الأصبهاني في الترهيب والترغيب (٦٢٩) من طرق عن أبي قَحْذَمٍ النضر بن معبد ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مرفوعا **(قلت) ضعيف جدا** وفي سنده علتان : **الأولى** : أبو قحذم ضعيف ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما ، **والثانية** : الإنقطاع بين أبي قلابة وابن مسعود .

وله طريق آخر : رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٤٨) وأبو نعيم في تثبيت الإمامة (١٩٩) وفي الحلية (١٠٨/٤) والبيهقي في القضاء والقدر (٤٤٤) من طريق الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَسَوِيُّ ، ثنا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، ثنا مُسْهِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَلْعٍ الْهَمْدَانِيُّ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ مرفوعا . وقال ذاك العراقي في تخريج الإحياء (١١٢/١ ـ ط الحداد) : أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن . وقال ذاك الهيثمي في المجمع (٢٠٢/٧) : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَفِيهِ مُسْهِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ وَفِيهِ خِلَافٌ ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ) اهـ

(قلت) وهذا من تساهلات العراقي والهيثمي المعروفة عند المتأخرين **!!** فالحديث جدا ضعيف بل منكر وإليك البيان :

فأولا : الفسوي هذا ترجمه الخطيب (٧ / ٣٧٢) وروى عن الدارقطني أنه قال : لا بأس به "وليس من رجال الصحيحين ، ولا حتى من رجال لأصحاب السنن **!!**

ثانيا : قال البخاري : فيه نظر ، وقال النسائي : ليس بالقوي . **(قلت)** فمع قلة حديثه كما ذكر بن عدي ضعفه يزيد أكثر .

ثالثا : وقد تفرد بالرواية لهذا الحديث عن الأعمش ، وتفرده عنه منكر ، وقد أشار أبو داود في أن روايته عن الأعمش فيها نكارة كما في سؤالات الآجري (٣) : سئل أَبُو داود عن مسهر بْن عَبد المِلك حدث عَنِ الأعمش ؟ قال : أما الْحَسَن بْن علي الخلال فرأيته يحسن الثناء عليه ، وأما أصحابنا فرأيتهم لا يحمدونه)

(قلت) ولهذا قال أبو نعيم أن تفرد برواية هذا الحديث عن الأعمش غريب أي منكر فقال : غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْأَعْمَشِ ، تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ مُسْهِرٍ) وقال البيهقي : تَفَرَّدَ بِهِ مُسْهِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِإِسْنَادِهِ هَذَا ، وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَابِرٍ وَثَوْبَانَ كَذَلِكَ مَرْفُوعًا وَفِي أَسَانِيدِهِ ضَعْفٌ) **وبهذا يتلخص أن هذا الحديث منكر** .

أما حديث أبي ذر : رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى من طريق الحكم بن سنان عن داود بن الهند عن الحسن عن أبي ذر مرفوعا وفي سنده الحكم بن سنان ضعيف جدا [تهذيب الكمال (٩٦/٧)] وقال عنه ابن حبان في المجروحين (١/ ٢٤٤) : (فمن ينفرد عن الثقات بالأحاديث الموضوعات لايشتغل بروايته). وانظر: ميزان الاعتدال (٥٧١/١) **فالسند ضعيف جدا** .

أما حديث ثوبان : فرواه الطبراني في الكبير (١٤٢٧) وأبو طاهر الزيادي في الأمالي (٢/١٩١) من طريق يَزِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ ثنا أَبُو الْأَشْعَثِ ، عَنْ ثَوْبَانَ مرفوعا قال الهيثمي في المجمع (٢٠٢/٧) : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ ، وَفِيهِ يَزِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ)

(قلت) السند جد ضعيف فيزيد هذا متروك كما غير واحد من أهل الحديث بل نص الدارقطني أن أحاديثه عن أبي الأشعب منكرة وهو هنا في سند هذه الرواية يروي عنه فثبت أن هذا الحديث **منكر شديد الضعف** .

وأما حديث ابن عمر : فأخرجه ابن عدي (١/٢٩٥) وعنه السهمي في تاريخ جرجان (٣١٥) من طريق محمد بن فضل عن كرز بن وبرة عن عطاء عنه مرفوعا به **(قلت)** هذا سند مظلم في سنده محمد بن الفضل بن عطية متهم قال ابن عدي : محمد بن فضل عامة حديثه مما لا يتابعه الثقات عليه " وقال الفلاس : كذاب ، **فالسند منكر شبه موضوع** .

أما مرسل طاووس : رواه عبد الرزاق في الآمال (٥١) عن معمر عن بن طاووس عن أبيه مرسلا ، وسنده صحيح إلى طاووس .

أما مرسل الحسن : ورواه الحارث في مسنده (٧٤٣) من طريق داود بن المحبر عن صَالِحٌ الْمُرِّيُّ ، عَنِ الْحَسَنِ مرسلا ، وقد ذكره

وقال سفيان ابن عيينة من نطق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة فهو صاحب هوى (١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم (٢) **»**

= البوصيري في تحفة المهرة (٢٢١) وقال داود بن المحبر كذاب . **(قلت)** لكن رواه أبو القاسم البغوي في نسخة طالوت بن عباد (١٠٠) : قال حدثنا صالح المري عن الحسن لكن صالح المري ضعيف جدا عندهم قال ابن المديني : لَيْسَ بِشَيْء ضَعِيف ضَعِيف ، وقال ابن معين صَالح المري قاص لَيْسَ بِشَيْء وقال ابن عدي : عامة أحاديثه منكرات تنكرها الأئمة عليه **فالسند ضعيف جدا على إرساله** .

الخلاصة : لا يصح شيء في الباب وكل ما روي فيه شديد الضعف جدا لا ينجبر ، لكن مرسل طاووس صحيح ، والمرسل يحتج به جمع من السلف قبل الشافعي كما قال أبو داود ، فالمسألة لها وجهة نظر من المؤلف .

(١) لم يذكره إلا عبد القادر الجيلاني في كتابه "الغنية لطالبي طريق الحق (٧٩/١) ولم أجده عند غيرهما البربهاري والجيلاني ، وسيأتي الكلام عن حكم سب الصحابة أو شتمهم وذكر الآثار في ذلك .

(٢) رُوِيَ من حَدِيث ابْن عَبَّاس وَمن حَدِيث جَابر وَمن حَدِيث أبي هُرَيْرَة وَمن حَدِيث ابْن عمر ممن رواها عبد بن حميد في المنتخب من المسند (٧٨٣) وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٨٥- ٧٨٦) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٢٥/٢) وابن حزم في الأحكام (٦/ ٨٢) وأخرجه البيهقي في المدخل (١٥٣) وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٣٤٦) وغيرهم ، ولا حاجة للتطويل في تخريج هذا الحديث فهو منكر عند كثير من أهل الحديث :

نقل ابن عبد في الجامع (١٧٥٧) عن الحافظ أَبي بَكْرٍ البزار قال : سَأَلْتُمْ عَمَّا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا فِي أَيْدِي الْعَامَّةِ يَرْوُونَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ أَصْحَابِي كَمَثَلِ النُّجُومِ » أَوْ « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ فَأَيُّهَا اقْتَدَوْا اهْتَدَوْا » هَذَا الْكَلَامُ لَا يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ زَيْدٍ الْعَمِّيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُبَّمَا رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَسْقَطَ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ بَيْنَهُمَا وَإِنَّمَا أَتَى ضَعْفُ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ زَيْدٍ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ قَدْ سَكَتُوا عَنِ الرِّوَايَةِ لِحَدِيثِهِ ، وَالْكَلَامُ أَيْضًا مُنْكَرٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ » وَهَذَا الْكَلَامُ يُعَارِضُ حَدِيثَ عَبْدِ الرَّحِيمِ لَوْ ثَبَتَ فَكَيْفَ وَلَمْ يَثْبُتْ ؟ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُبِيحُ الِاخْتِلَافَ بَعْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، هَذَا آخِرُ كَلَامِ الْبَزَّارِ) اهـ

قَالَ الْبَيْهَقِيّ : هَذَا حَدِيث مَشْهُور وَأَسَانِيده كلهَا ضَعِيفَة لم يثبت مِنْهَا شَيْء .

وقَالَ ابْن عبد الْبر : وَهَذَا الْكَلَام لَا يَصح عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم . وقال بن كثير : ولا يصح شيء منها.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين : أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ عَنْ جَابِرٍ وَمِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ وَمِنْ طَرِيقِ حَمْزَةَ الْجَزَرِيِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَلَا يَثْبُتُ شَيْءٌ مِنْهَا) .[وانظر المدخل للبيهقي (ص١٦٢) والبدر المنير (حديث ١٨) والتلخيص الحبير (٢٠٩٨) وتحفة الطالب (ص١٦٥)]

[٢٦] والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى ومن ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين ، لا يحل لأحد أن يبيت ليلة ولا يرى أن [ليس]عليه إمام ، برا كان أو فاجرا (١).

(١) وهذا ما أجمع عليه أهل السنة ، بل هو شعارهم ، الذي بُنيت عليه الجماعة ، ولا يخالف في هذا الأصل إلا أهل البدع من الفرق كلها ، فهم كلهم خوارج في هذا الباب كما سيأتي تقريره في هذا الكتاب ، والنصوص من الوحيين في هذا الباب متواترة لا تحصى لا يمكن جمعها إلا في كتاب ضخم مفرد ، ولو لم يكن إلا قوله عَزَّ وَجَلَّ : (**أَطِيعُوا اَللَّهَ وَأَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَأُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ**) وحديث عبادة بن الصامت قال : (**بايعنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على السمع والطاعة ، في المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله**) [البخاري (٧٢٠٠) ومسلم (١٤٧٠)] لكان ذلك كافيا ، فكيف وفي هذا الباب مئات النصوص ! فهل ستحُكُّها الخوارج بأيديهم ؟ وقد قال أشقاهم (إن الدين الذي يقول : أطعْ الحاكم وإن جلد ظهرك وأخذ مالك ، أنا كافر به !!) فما أسرع أهل الأهواء إلى الردة !! لكن سننقل هنا من الإجماعات على ما دلت عليه النصوص والبربهاري كعادته يأخذ عبارات كثيرة عن الإمام أحمد من رسالته أصول السنة ويعيد صياغتها من جديد ، فقد قال أحمد : والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة ، واجتمع الناس عليه ، ورضوا به ، **ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين**) اهـ [الجامع لعقائد ورسائل أهل السنة لآل حمدان (ص٣٥٣) وقال نحوها علي بن المديني كما في عقيدته (الجامع (ص٤٤٣)]

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٧٥/١) : قَالَ مُحَمَّدٌ : وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلسُّلْطَانَ ظِلُّ اَللَّهِ فِي اَلْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرَ عَلَى نَفْسِهِ سُلْطَانًا بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا فَهُوَ عَلَى خِلَافِ اَلسُّنَّةِ). [وراجع الإجماعات في السنة للكرماني (٢٩) وعقيدة سفيان الثوري في الجماع لآل حمدان (ص١١٧) والسنة للخلال (٢٨/١) باب : جامع طاعة الإمام وما يجب عليه للرعية) وابن بطة في الإبانة الصغرى (ص١٧٤) والشريعة للآجري (٣٧٣/١) بَابٌ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِمَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ]

(قلت) وهذه النصوص تخصُّ الحاكم المسلم الذي يحكم بالشريعة ، أما الكافر فلا بيعة له ، وعندما نقول لا بيعة له أي لا يلزم عقد قلب لبيعته وتبييتها له ويجب عزله إن قدر على ذلك ، وهذا أمر مجمع عليه لقوله تعالى { **ولنْ يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** } وعلى هذا نقل الإجماع ابن المنذر كما نقله ابن القيم في أحكام أهل الذمة (٧٨٧/٢) بل ، ونقله حتى أهل الضلال كالقاضي عياض والنووي والماوردي وابن حزم ، أما قتاله والخروج عليه فهذا وإن كان كافرا ، فعادة يسبب الدماء .

وقد روى الخلال في السنة (٩٠) وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ عِيسَى قَالَ : سَمِعْتُ حَنْبَلًا يَقُولُ فِي وِلَايَةِ الْوَاثِقِ: اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، أَبُو بَكْرِ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَطْبَخِيُّ ، وَفَضْلُ بْنُ عَاصِمٍ ، فَجَاءُوا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُمْ فَقَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ هَذَا الْأَمْرُ قَدْ تَفَاقَمَ وَفَشَا ، يَعْنُونَ إِظْهَارَهُ لِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : فَمَا تُرِيدُونَ ؟ قَالُوا : أَنْ نُشَاوِرَكَ فِي أَنَّا لَسْنَا نَرْضَى بِإِمْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ، فَنَاظَرَهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَاعَةً، وَقَالَ لَهُمْ: «عَلَيْكُمْ بِالنَّكِرَةِ بِقُلُوبِكُمْ، وَلَا تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، وَلَا تَشُقُّوا عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَعَكُمْ، انْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، أَوْ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ» ، وَدَارَ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ لَمْ أَحْفَظْهُ وَمَضَوْا، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَمَا مَضَوْا، فَقَالَ أَبِي لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَمَا أُحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا، وَقَالَ أَبِي: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، هَذَا عِنْدَكَ صَوَابٌ، قَالَ: لَا، هَذَا خِلَافُ الْآثَارِ الَّتِي أُمِرْنَا فِيهَا بِالصَّبْرِ "، ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ. . . وَإِنْ فَاصْبِرْ » ، فَأَمَرَ بِالصَّبْرِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : وَذَكَرَ كَلَامًا لَمْ أَحْفَظْهُ ."

[٢٧] والحج والغزو مع الإمام ماض ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة (١)

(١) هذا ما أجمع عليه السلف وأهل الحديث ونقل عليه الإجماع غير واحد من السلف وأهل الحديث كالشافعي في عقيدته كما في الجامع لآل حمدان (ص٢٤٣) والكرماني في السنة (٢٧) وأحمد في أصول السنة رواية عبدوس (ص٣٥٤) جامع العقائد لآل حمدان ، والآجري في الشريعة (١٧٠٨/٤) وابن بطة في الإبانة الصغرى (ص١٧٤) والصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣٢) والرازيان في عقيدتهما [الجامع لآل حمدان (ص٢١)] ولم يخالف فيه إلا الخوارج وأهل البدع حتى **قال أرطاة بن المنذر** : إن واطينا أهل الرَّأي يوشك أن يخرجونا من جميع الفرائض ، وذلك أنهم قالوا : لا جهاد مع إمام جائر ، ولا صلاة جمعة ، ولا زكاة !! مَا بقي إلّا أن يقولوا : لا حَجّ ، ولا صِيامَ شهر رمضان معهم !!) [الحجة على تارك المحجة (٥٨١/٢)]

وفي هذا الباب عدة آثار : **أولا** : **بالنسبة للجهاد مع الأمراء** بروا أم فجروا ، ففي الباب آثار كثيرة عن السلف سنختار بعضها للإختصار : **والأصل في هذا الباب** : حديث عُرْوَةَ الْبَارِقِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ، وَ الْأَجْرُ ، وَالْمَغْنَمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " [رواه مسلم (١٨٧٣) (٩٩)]

قال الترمذي في سننه (١٦٩٤) بعد إخراجه : قال أحمد بن حنبل : (وفِقْهُ هذا الحديث أن الجهاد مع كل إمام إلى يوم القيامة) ، وقد بوب له البخاري في صحيحه باب : الجِهَادُ مَاضٍ مَعَ البَرِّ وَالفَاجِرِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ » وهذا من فقه البخاري في تراجمه .

عن قيس بن سعد قال : قيل لابن عمر : ما ترى في الغزو ؟ فإن الأمراء قد أحدثوا ما رأيت ! قال : اغز معهم وليس عليك من إحداثهم شيء . [رواه ابن أبي شيبة (٣٤٠٦٣) والكرماني في السنة (٢٦٨)]

وروى عبد الرزاق في المصنف (٩٦١٠) وابن أبي شيبة (٣٣٣٧٧) عَنْ أَبِي جَمْرَةَ الضُّبَعِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّا نَغْزُو مَعَ هَؤُلَاءِ الْأُمَرَاءِ، فَإِنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا قَالَ: «فَقَاتِلْ أَنْتَ عَلَى نَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ»

وروى ابن أبي شيبة (٣٣٣٧٨) عَنْ سُلَيْمَانَ الْيَشْكُرِيِّ عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : أَغْزُو أَهْلَ الضَّلَالَةِ مَعَ السُّلْطَانِ قَالَ : « اغْزُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ مَا حُمِّلْتَ وَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا » .

وقال أبو إسحاق : سألت هشاما عن الغزو مع هؤلاء الأئمة ؟ وذكرت له ما طعن في الغزو معهم ؟ فقال : كان الحسن وابن سيرين يقولان لك أجره ، وذخره ، وشرفه ، وعليهم مأثمهم . [رواه ابن أبي شيبة (٣٤٠٦٠) وسعيد بن منصور (٢٣٦٩) والكرماني في السنة (٢٦٦)]

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٩٦١٣) عَنْ كَهْمَسٍ قَالَ : قُلْتُ لِلْحَسَنِ : نَغْزُو مَعَ الْأُمَرَاءِ فَمَا يُطْلِعُونَا عَلَى أَمْرِهِمْ ، غَيْرَ أَنَّا نُسَالِمُ إِذَا سَالَمُوا وَنُحَارِبُ إِذَا حَارَبُوا ؟ قَالَ : « قَاتِلْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَدُوَّهُمْ »

وروى ابن أبي شيبة (٣٣٣٧٤) قال الْأَعْمَشِ : كَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ يَغْزُونَ زَمَانَ الْحَجَّاجِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ وَأَبُو سِنَانٍ وَأَبُو جُحَيْفَةَ.

وروى أيضا (٣٣٣٧٥) عَنِ الْأَعْمَشِ أيضا قَالَ : سَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ، كَانَ « يَغْزُو الْخَوَارِجَ فِي زَمَانِ الْحَجَّاجِ يُقَاتِلُهُمْ »

وروى أيضا (٣٣٣٨٠) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ النَّخَعِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي : يَا أَبَةِ ، فِي إِمَارَةِ الْحَجَّاجِ أَتَغْزُو؟ قَالَ : « يَا بُنَيَّ لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا أَشَدَّ بُغْضًا مِنْكُمْ لِلْحَجَّاجِ وَكَانُوا لَا يَدَعُونَ الْجِهَادَ عَلَى حَالٍ ، وَلَوْ كَانَ رَأْيُ النَّاسِ فِي الْجِهَادِ مِثْلَ رَأْيِكَ مَا أَرَى الْإِتَاوَةَ يَعْنِي الْخَرَاجَ » [يراجع للمزيد مصنف ابن أبي شيبة باب (مَنْ كَانَ يَحُثُّ عَلَى إِتْيَانِ الْجُمُعَةِ وَلَا يُرَخِّصُ فِي تَرْكِهَا) ومصنف عبد الرزاق باب (بَابُ الْغَزْوِ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ)]

ثانيا : أما بالنسبة للصلاة **خلفهم الجمعة وإن كانوا فجرة** فرويت عدة آثار منها :

ويصلي بعدها ست ركعات يفصل بين كل ركعتين ، هكذا قال أحمد بن حنبل (١) .

= **روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ** (**٣٨٠٣**) عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَنَجْدَةَ ، وَالْحَجَّاجَ ، وَابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : « يَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ كَمَا يَتَهَافَتُ الذِّبَّانُ فِي الْمَرَقِ ، فَإِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ ، يَعْنِي مُؤَذِّنَهُمْ فَيُصَلِّي مَعَهُ .

روى البخاري في التاريخ الكبير (**٤٧/١**) عن ابن عمر رضي الله عنه قال : أربع إلى السلطان : الجمعة والفيء والحدود .

وفيه (**٣٨٠١**) عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ : « أَنَّ حَسَنًا ، وَحُسَيْنًا ، كَانَا يُسْرِعَانِ إِذَا سَمِعَا مُنَادِيَ مَرْوَانَ ، وَهُمَا يَشْتُمَانِهِ يُصَلِّيَانِ مَعَهُ »

وفيه (**٣٨٠٢**) عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ قَالَ : سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ ، وَكَانَتِ الْخَوَارِجُ ظَهَرُوا عَلَيْنَا ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا نَصْرٍ ، كَيْفَ تَرَى فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ: « إِنَّ الْقُرْآنَ إِمَامُكَ ، صَلِّ مَعَهُمْ مَا صَلُّوهَا لِوَقْتِهَا »

روى ابن أبي شيبة (**٥٤٠٣**) عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ قَالَ : أَرَدْتُ الْجُمُعَةَ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ فَتَهَيَّأْتُ لِلذَّهَابِ ثُمَّ قُلْتُ : إِنْ أَذْهَبْ أُصَلِّ خَلْفَ هَذَا قَالَ : فَقُلْتُ مَرَّةً : أَذْهَبُ وَمَرَّةً : لَا أَذْهَبُ قَالَ : فَاجْتَمَعَ رَأْيِي عَلَى الذَّهَابِ قَالَ : فَنَادَانِي مُنَادٍ مِنْ جَانِبِ الْبَيْتِ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة: ٩]

روى ابن أبي شيبة (**٥٤٠٤**) والسنة للكرماني (٢٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ قَالَ : تَذَاكَرُوا الْجُمُعَةَ زَمَانَ الْمُخْتَارِ فَقَالَ : « ائْتُوهَا وَإِنْ بَلَغَ الْمَاءُ الْحَصَى » .

وكان الحسن يقول : أربع من أمر الإسلام إلى السلطان : الحكم والفيئ ، والجهاد ، والجمعة [رواه ابن أبي شيبة (٢٩٠٢٩) والكرماني (٢٦٦)]

وعن ابن محيريز قال : الجمعة والحدود والزكاة والفيء إلى السلطان . [ابن أبي شيبة ٢٩٠٣٠)] [ومن أراد المزيد من معرفة ما روي في هذا الباب من آثار فليراجع : مصنف بن أبي شيبة (في الصلاة خلف الأمراء) والسنن الكبري للبيهقي (باب الصلاة خلف من لا يحمد فعله) والسنة للكرماني (باب جامع في طاعة الإمام) والسنة للخلال (٢٨/١ - ٢٩) باب طاعة الإمام]

(**قلت**) ومن ترك الجمعة مطلقا فهو مبتدع ، فإنه لما ترك الحسن بن صالح الجمعة خلف أئمة الجور ضللوه وهجروه ، كم قال الثوري : الحسن بن صالح مع ما سمع من العلم وفقه يترك الجمعة ! ثم قام فذهب . وقال ابن إدريس : ما أنا وحي وابن حي لا يرى جمعة ولا جماعة ولا جهادا وكان زائدة ابن قدامة يستتيب من أتى حسن بن صالح لأجل ذلك [أنظر ضعفاء العقيلي (١٤١/٢) وأنظ : ما بوب الخلال في السنة لهذا الأمر بقوله باب (ترك الجمعة)] **وأقول** : بل حتى وإن كان الحاكم كافرا يصلى خلفه الجمعة خاصة وتعاد ، أما تركها مطلقا فليس من هدي السلف كما سيأتي ذكره ..

(١) **كما جاء في طبقات الحنابلة** (**١٢٣/١**) : بإسناده عن جَعْفَر بن محمد بْنِ معبد المؤدب قَالَ : رأيت أَحْمَد بن حنبل يصلي بعد الجمعة ست ركعات ويفصل فِي كل ركعتين وسألت أَحْمَد بن حنبل عَنِ القراءة خلف الإمام فقال: اقرأ إذا لم يجهر)

(**قلت**) وهو المروي عن جمع من السلف منهم : علي وابن عمر وأبي موسى رضي الله عنهم ومسروق ، وهو فعل أحمد في رواية وعند **ابن أبي شيبة** (**٥٣٧٠**) عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ صَلَّى بَعْدَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ ، رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَرْبَعًا »

وفيه (**٥٣٦٨**) بسند صحيح عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ مَسْعُودٍ فَكَانَ « يَأْمُرُنَا أَنْ نُصَلِّيَ بَعْدَ الْجُمُعَةِ أَرْبَعًا » فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ « أَمَرَنَا أَنْ نُصَلِّيَ سِتًّا » فَأَخَذْنَا بِقَوْلِ عَلِيٍّ ، وَتَرَكْنَا قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : «كُنَّا نُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَرْبَعًا »

وفيه (**٥٣٦٩**) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ : «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ ، يُصَلِّي أَرْبَعًا » فَلَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ صَلَّى سِتًّا ، رَكْعَتَيْنِ، وَأَرْبَعًا. "

وفيه (**٥٣٧١**) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ « أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ سِتَّ رَكَعَاتٍ »

وفيه (**٥٣٧٢**) عَنْ مَسْرُوقٍ كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ سِتًّا، رَكْعَتَيْنِ ، وَأَرْبَعًا »

(**قلت**) وهذه مسألة فقهية يذكرونها في قضية النوافل بعد الجمعة ، ورد في عدد الركعات التي تُصلى بعد الجمعة عدة أحاديث :

[٢٨] والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم [عليه السلام] (١) .

= **الحديث الأول** : أنها ركعتان ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (كَانَ لاَ يُصَلِّى بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ) رواه البخاري (٩٣٧) ، ومسلم (٨٨٢) وهو مذهب بعض السلف كعمران بن الحصين ورواية عن ابن عمر .

الحديث الثاني : أنها أربع ركعات ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا) [رواه مسلم (٨٨١)]

(قلت) وعمل به بعض الصحابة كابن مسعود وابنه عبد الرحمن وعلقمة والأسود والنخعي وأبي مجلز وحماد وهو اختيار الشافعي كما جاء في الأم (١٧٦/٧) حيث قال أما نحن فنقول : يصلي أربعا " .

فالظاهر أن أحمد كان يعمل بهذا وهذا كما هي عادته في إحياء الآثار الواردة عن الصحابة ، فقد ورد عنه أنه قال : " إن شاء صلى بعد الجمعة ركعتين وإن شاء صلى أربعا " [المغني (١٠٩/٢)]

ولفتة محمودة لأحمد تعد من مناقبه التي اختص بها رحمه الله ، وهذه الفقرة التي ذكرها المؤلف هنا لم يتبين لي وجه ذكرها في أصول السنة فإن المؤلف إذا ذكر مسألة فقهية ، عادة يكون فيها تشويش من بعض أهل البدع أو يكون خلافها شعارا لهم وقد يكون ذكرها على سبيل الفائدة والإستطراد ، كما يفعل ابن بطة في الإبانة الصغرى كثيرا ، ولكن كما قدمت أن البربهاري لا يذكر مسألة فقهية إلا وتجد فيها عادة تشويش من بعض أهل البدع ، ولم يتبين لي من هم !!

(١) وهذا الحكم مجمع عليه بين أهل السنة وعليه دلت النصوص : ونقل غير واحد الإجماع عليه ، ففي الصحيحين البخاري (٣٥٠١) ومسلم (٤٧٣١) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا : "**لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان**" .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ ، مُسْلِمُهُمْ تَبَعٌ لِمُسْلِمِهِمْ ، وَكَافِرُهُمْ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ** ." [رواه البخاري (٣٤٩٥) ومسلم (١٨١٨)]

عَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ** . [مُسلم (٤٧٣٠)]

روى ابن أبي عاصم في السنة (١١٠٩) وأحمد (١٧٨٠٨) والترمذي (٢٢٢٧) وصححه عبد الله بْنَ أَبِي الْهُذَيْلِ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : لَتَنْتَهِيَنَّ قُرَيْشٌ أَوْ لَيَجْعَلَنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ فِي جُمْهُورٍ مِنْ جَمَاهِيرِ الْعَرَبِ غَيْرَهَا ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : كَذَبْتَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :"**قُرَيْشٌ وُلاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**".

روى البخاري في صحيحه (٧١٣٩) من حديث معاوية رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ لا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ** ." **(قلت)** والأخبار في هذا كثيرة قد رواها قرابة أربعين صحابيا ، وقد صنف فيه غير واحد وجمعوا طرقه ، راجع التلخيص الحبير (٤٢/٤)

روى معمر في جامعه (١٩٩٠٣) قَالَ عَلِيٌّ : « الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَمُؤْمِنُ النَّاسِ تَبَعٌ لِمُؤْمِنِهِمْ ، وَكَافِرُ النَّاسِ تَبَعٌ لِكَافِرِهِمْ .

وروى ابن أبي شيبة (٣٢٣٩٣) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: « قُرَيْشٌ أَئِمَّةُ الْعَرَبِ ، أَبْرَارُهَا أَئِمَّةُ أَبْرَارِهَا ، وَفُجَّارُهَا أَئِمَّةُ فُجَّارِهَا »

روى الخلال في السنة (٣٣) عن مُهَنًّى أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَوْسِ بْنِ ضَمْعَجٍ، عَنْ سَلْمَانَ قَالَ : «**لَا يَؤُمُّكُمْ**» قَالَ : لَا يَكُونُ مِنْهُمْ إِمَامٌ " يَعْنِي الْمَوَالِيَ قُلْتُ : مَا يَعْنِي بِهِ : لَا يَؤُمُّكُمْ ، أَرَادَ أَنْ لَا يَؤُمَّ الرَّجُلُ الْمَوْلَى أَحَدًا ؟ قَالَ : لَا يُرِيدُ الْخِلَافَةَ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ** » فَلَا يَكُونُ فِي غَيْرِ قُرَيْشٍ خَلِيفَةٌ .

قال الكرماني في السنة الإجماع (٢٥) : والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان ليس لأحد أن ينازعهم فيها ولا يخرج عليهم ولا يقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة) اهـ

وقال أبو نعيم في الإمامة (١/٢٥٢) : لَا خلاف بَين الْمُسلمين ، أَن الْخلَافَة فِي قُرَيْش وَالْأَئِمَّة مِنْهُم أَلا ترى كَيفَ أذعنوا وانقادوا لما ذكر لَهُم الصّديق أَن الْعَرَب لَا تعرف هَذَا الْأَمر إِلَّا لهَذَا الْحَيّ من قُريْش الَّذين هم أَوسط الْعَرَب نسبا وداراً ، فَأَسْرعُوا إِلَى الْبيعَة وَكفوا عَمَّا اجْتَمعُوا لَهُ وولوا الْأَمر أَهله وعادوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ من الوزارة والنصرة فِي حَيَاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم طائعين مُطِيعِينَ مبايعين لَهُ مقرين بفضله وَقدره) اهـ .

(قلت) وهو يقصد الإمامة العظمى على جميع المسلمين ، وهذا على سبيل الحكم لا الخبر ، وإلا فالواقع خالف الحكم النبوي ، وأضاعت قريش لقرون عديدة الحكم ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

شبهة : وقد طعن بعض أهل البدع والضلال والخوارج في هذا العصر في أحاديث الخلافة في قريش وقالوا هذه عصبية **!!** ، وهذا كلام فارغ وردٌ لحكم الله ورسوله ، فهم يعلمون أن الأحاديث متواترة صحيحة بعضها في الصحيحين ، ولكنهم لم يسلموا للشرع ، وهذه نزعة يهودية قديمة حين طلبوا ملكا يقاتلون معه في سبيل الله ، فلما جاءهم الحكم من الله ، ونقل الملك عنهم اعترضوا على حكم الله ، ورفضوا الجهاد للعصبية التي عندهم لأنفسهم ورغبة في الملك .

وقد **روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٣٨٥)** عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **إِنَّ لِلْقُرَشِيِّ مِثْلَ قُوَّةِ رَجُلَيْنِ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ** » قِيلَ لِلزُّهْرِيِّ : مَا عَنَى بِذَلِكَ ؟ قَالَ : فِي نُبْلِ الرَّأْيِ .

(قلت) هذا أحد أسباب تقدمة قريش في الخلافة .

[ومن أراد المزيد في هذا الباب فليراجع السنة لابن أبي عاصم (٥٢٧/٢) (بَابُ مَا ذُكِرَ عَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي قُرَيْشٍ) والسنة للخلال (٤٢/١) (بَابُ ذِكْرِ الْأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ) والسنة للكرماني (ص١٣٣) (باب الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان) وكتاب الفتن لأبي عمرو الداني (٤٨١/٢) (بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَنَّ الْمُلْكَ لَا يَزَالُ فِيهِمْ) والسنن الكبرى للبيهقي (٢٤٣/٨) (بَابُ الْأَئِمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ) ومصنف ابن أبي شيبة (٤٠١/٦) (مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ قُرَيْشٍ) وعقيدة الشافعي كما في الجامع لعقائد أهل السنة (ص٢٤٨)]

[٢٩] ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي ، وقد شق عصا المسلمين وخالف الآثار ، وميتته ميتة جاهلية (١).

(١) وهذا أمر مجمع عليه بين السلف وقد حكى الإجماع الكثير من أهل الحديث **كالكرماني في السنة (٢٩) والرازيان في عقيدتهما كما في الجامع لآل حمدان (ص٥٢٢) وقد قال أحمد في أصول السنة رواية عبدوس (ص٤٥)** : وَمن خرج على إِمَام من أَئِمَّة الْمُسلمين وَقد كَانُوا اجْتَمعُوا عَلَيْهِ وأقروا بالخلافة بِأَيّ وَجه كَانَ بِالرِّضَا أَو الْغَلَبَة فقد شقّ هَذَا الْخَارِج عَصا الْمُسلمين وَخَالف الْآثَار عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَإِن مَاتَ الْخَارِج عَلَيْهِ مَاتَ ميتَة جَاهِلِيَّة وَلَا يحل قتال السُّلْطَان وَلَا الْخُرُوج عَلَيْهِ لأحد من النَّاس فَمن فعل ذَلِك فَهُوَ مُبْتَدع على غير السّنة) اهـ .

روى الخلال في السنة (١٠) قال : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ، أَنَّ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » مَا مَعْنَاهُ ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : " تَدْرِي مَا الْإِمَامُ ؟ الْإِمَامُ الَّذِي يُجْمِعُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ ، كُلُّهُمْ يَقُولُ: هَذَا إِمَامٌ، فَهَذَا مَعْنَاهُ ."

(قلت) فلا عبرة إذن بما قاله ذاك العسقلاني في تهذيب التهذيب (٢٨٨/٢) عن الخروج : هذا مذهب للسلف قديم **!!** وفي حرمة الخروج على الحكام المسلمين وإن جاروا وذم الخوارج في ذلك ، آثار وأخبار كثيرة :

وقال الإمام أحمد : صح الحديث فيهم عن النبي صلى الله عليه وسلم **من عشرة وجوه** . [الخلال (١١٠)]

وقال الأثرم في ناسخ الحديث ومنسوخه (ص٢٥٧) : ثم تواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فكثرت عنه ، وعن الصحابة والأئمة بعدهم رضي الله عنهم يأمرون بالكف ويكرهون الخروج وينسبون من خالفهم في ذلك إلى فراق الجماعة ومذهب الحرورية وترك السنة) اهـ .

وقصة عمر رضي الله عنه مع صبيغ وقوله له أن يكشف عن رأسه ثم قال : لو وجدتك محلوقا لضربت رأسك . [مخرجة عند ابن بطة في الإبانة (٤١٤/١ – ٤١٥) والآجري في الشريعة (٢١٠/١ – ٢١١) والدارمي (٥٤/١) واللالكائي (٧٠١/٤)] والسبب في أنه همَّ بقتله ، أن حلق الرأس من صفة الخوارج ، وهذا يبين أن الحكم على الخوارج شديد .

عن جنادة قال : قال لي عبادة بن الصامت : عليك بالسمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ولا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحا يعني خالصا. [أصول الاعتقاد (٧/ ١٣٠١/٢٣٠٢)]

وعن يزيد أخبرنا العوام بن حوشب : حدثني رجل عن شيخين من بني ثعلبة قالا : نزلنا الربذة ، فمر بنا شيخ أشعث أبيض الرأس واللحية، فقالوا : هذا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاستأذناه بأن نغسل رأسه ، فأذن لنا ، واستأنس بنا فبينما نحن كذلك إذ أتاه نفر من أهل العراق –حسبته قال : من أهل الكوفة– فقالوا : يا أبا ذر ، فعل بك هذا الرجل وفعل ، فهل أنت ناصب لك راية فنكملك برجال ما شئت ؟ فقال : يا أهل الإسلام ، لا تعرضوا علي ذاكم ولا تذلوا السلطان فإنه من أذل السلطان ، فلا توبة له ، والله لو صلبني على أطول خشبة أو حبل، لسمعت وصبرت ورأيت أن ذلك خير لي. [سير أعلام النبلاء (٢/ ٧١ - ٧٢)] ومن فسّق الخوارج سعد بن أبي وقاص فأدخلهم قوله تعالى: {**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**} [مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٩٢٥)]

وعن مصعب قال : سألت أبي {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} أَعْمَالًا هم الحرورية ؟ قال : لا ، هم اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا محمدا – صلى الله عليه وسلم – وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ}، وكان سعد يسميهم الفاسقين. [البخاري (٨/ ٥٤٣/٤٧٢٨)]

وفي المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٣٧٨٨٥/٥٥٣) عن عمير بن إسحاق قال : ذكروا الخوارج عند أبي هريرة قال : أولئك

شرار الخلق. وعن سعيد بن جمهان قال : أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه، قال لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان قال: فما فعل والدك ؟ قال : قلت : قتلته الأزارقة قال : لعن الله الأزارقة ، لعن الله الأزارقة ، حدثنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنهم كلاب النار قال : قلت : الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بل الخوارج كلها قال : قلت : فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم قال فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة ثم قال : ويحك يا ابن جمهان ، عليك بالسواد الأعظم ، عليك بالسواد الأعظم ، إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم ، فإن قبل منك وإلا فدعه ، فإنك لست بأعلم منه . [رواه أحمد (٤/ ٣٨٢ – ٣٨٣) والسنة لابنه (٢٨٦) والسنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٣٨/ ٩٠٥) والمسند للطيالسي (٨٢٢) وأصول الاعتقاد (٧/ ١٣٠٦/ ٢٣١٣).]

وجاء في الشريعة (١/ ١٤٢ – ١٤٣/) : عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن كعب الأحبار قال : (**للشهيد نوران ولمن قتله الخوارج عشرة أنوار له ، ولجهنم سبعة أبواب : باب منها للحرورية ، ولقد خرجوا على داود نبي الله في زمانه**) .

قال الآجري عقبه : هذه صفة الحرورية ، وهم الشراة الخوارج ، الذين قال الله تعالى : {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} الآية ، وقد حذر النبي – صلى الله عليه وسلم – أمته من هذه صفته .

وعن محمد بن سليم قال : سألت : أنس بن سرين : هل كان سمرة قتل أحدا ؟ [أي من الخوارج] قال : وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة ، وأتى الكوفة ، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له : هل تخاف أن تكون قد قتلت أحدا بريئا ؟ قال : لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت أو كما قال . [تاريخ الطبري (٣/ ٢٠٨)]

روى عبد الرزاق في المصنف (١٠/ ١٢٠/ ١٨٥٨١) عن معمر عن ابن طاوس قال : وذكرت الخوارج عند [عقبة] ابن عامر ، فذكر من اجتهادهم ، فقال : ليسوا بأشد اجتهادا من اليهود والنصارى ثم هم يُقتلون .

وجاء في السنة لعبد الله (ص. ٢٨٠) عن أبي إياس معاوية بن قرة قال : خرج حروري محكم فخرج إليه ناس من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مزينة بأسيافهم منهم عائذ بن عمرو.

وروى الآجري في الشريعة (٢/ ٤٣٤ – ٤٣٥) قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ما تقول في أمرائنا هؤلاء ؟ فقال الحسن : ما عسى أن أقول فيهم ، هم لحجنا ، وهم لغزونا ، وهم لقسم فيئنا ، وهم لإقامة حدودنا ، والله إن طاعتهم لغيظ ، وإن فرقتهم لكفر ، وما يصلح الله بهم أكثر مما يَفْسُد ، وقيل للحسن : يا أبا سعيد إن خارجيا خرج بالخريبة ، فقال : المسكين رأى منكرا فأنكره ، فوقع فيما هو أنكر منه. ثم **علق الآجري فقال** : فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام ، عدلا كان الإمام أو جائرا ، فخرج وجمع جماعة وسل سيفه ، واستحل قتال المسلمين ، فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن ، ولا بطول قيامه في الصلاة ، ولا بدوام صيامه ، ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج .

جاء في السنة للخلال (١/ ٨٦) أن أبا مسلم الخولاني قال : إنه مؤمر عليك مثلك ، فإن اهتدى فاحمد الله ، وإن عمل بغير ذلك فادع له بالهدى ولا تخالفه فتضل .

وجاء في البداية والنهاية (٧/ ٢٠٤ – ٢٠٥) : قال أبي مسلم الخولاني حين رأى الوفد الذين قدموا من قتله –أي عثمان–: إنكم مثلهم أو أعظم جرما ، أما مررتم ببلاد ثمود ؟ قالوا : نعم قال : فأشهد أنكم مثلهم ، لخليفة الله أكرم عليه من ناقته .

وعن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه في الخوارج : إن كان من رأي القوم أن يسيحوا في الأرض من غير فساد على الأئمة ، ولا على أحد من أهل الذمة ، ولا يتناولون أحدا ، ولا قطع سبيل من سبل المسلمين ، فليذهبوا حيث شاؤوا ، وإن كان رأيهم القتال ، فوالله لو أن أبكاري من ولدي خرجوا رغبة عن جماعة المسلمين ، لأرقت دماءهم ألتمس بذلك وجه الله والدار الآخرة. [ذكره في التمهيد (انظر فتح البر (١/ ٤٧٠ – ٤٧١).]

وفي الشريعة للآجري (١/ ١٤٤ – ١٤٥/ ٤٩) عن سليمان بن أبي نشيط ، عن الحسن –وذكر الخوارج– فقال : حيارى سكارى ، ليس بيهود ولا نصارى ، ولا مجوس فيعذرون . **(قلت)** رحم الله الحسن ما كان أشده على الخوارج حتى كثرت آثاره في التحذير منهم ومن الخروج ، حتى قال فيه قتادة : **والله لا يبغضه إلا حروري** . [الطبقات (٧/ ١٧٤)]

[٣٠] ولا يحل قتال السلطان و[لا] الخروج عليه وإن جاروا ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر [الغفاري]: « اصبر ، وإن كان عبدا حبشيا (١) » .

وقوله للأنصار: « اصبروا حتى تلقوني على الحوض (٢) » .

وليس من السنة قتال السلطان ، فإن فيه فساد الدين والدنيا (٣).

[٣١] ويحل قتال الخوارج (٤) إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهاليهم وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم ، ولا يجهز على جريحهم ولا يأخذ فيئهم ، ولا يقتل أسيرهم ، ولا يتبع مدبرهم (٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٣٧) وأحمد (٣/١٧١) وابن ماجة (٢٨٦٢) وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٢) ومسلم (١٨٤٥) وأحمد (٣/٥٧) من حديث أسيد بن الحضير ، وهو مروي عن جمع من الصحابة كأبي هريرة وأبي سعيد وأنس وغيرهم وأحاديث في الصحيحين وغيرهم .

(٣) وهذا الأمر جربه التاريخ ، وقد سبق كلام الإمام أحمد حين منع الخروج وقتال سلطان جهمي لما يجره من الدماء والفساد العام ، وهكذا كل خروج إلى يومنا هذا ما جر إلا فسادا في الدين والدنيا ، ولم ير الناس من الخروج إلا شرا وزيادة في الكفر ، وانظر إذا شئت بما سموه زورا وبهتانا (بالربيع العربي) وإنما حق له أن يسمى بـ (الدمار العربي) لتعلم أن الخروج لم يكن إلا مقتا ونحسا على الأمم ، فهاتوا خروجا واحدا من عهد الصحابة إلى اليوم استفاد منه المسلمون ؟ ولهذا تواترت كلمة السلف في النهي عن الخروج بالسيف واللسان وحذروا منه أشد التحذير ، ونقل الإجماع غير واحد من العلماء كالكرماني في السنة (٢٩) حتى إن الخلال رحمه الله بدأ كتابه السنة بهذا الموضوع الخطير فقال فيه (ص٧٣) أول كتاب المسند ما يبدأ به من طاعة الإمام وترك الخروج عليه وغير ذلك) ثم ذكر مسائل كثيرة عن إمامنا أحمد .

(٢) قتال الخوارج المفسدين في الأرض جائز بإجماع الأمة ولا يقتلون إلا إذا وصلوا للإفساد في الدماء والأموال ، فقد وروى عبد الرزاق في المصنف (١٨٥٧٦) بسنده إلى عيسى بن المغيرة قال : خرج خارجي بالسيف بخراسان فأخذ ، فكتب فيه إلى عمر بن عبد العزيز ، فكتب فيه : إن كان جرح أحدا فاجرحوه ، وإن قتل أحدا فاقتلوه ، وإلا فاستودعوه السجن ، واجعلوا أهله قريبا منه حتى يتوب من رأي السوء) . وقد بوب البخاري في صحيحه فقال: "باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} **وذكر ابن عبد البر (فتح البر ١/٤٧١)** عن إسماعيل بن إسحاق قال : رأى مالك قتل الخوارج وأهل القدر من أجل الفساد الداخل في الدين ، وهو من باب الفساد في الأرض ، وليس إفسادهم بدون فساد قطاع الطريق والمحاربين للمسلمين على أموالهم ، فوجب بذلك قتلهم ، إلا أنه يرى استتابتهم لعلهم يراجعون الحق ، فإن تمادوا قتلوا على إفسادهم لا على كفر .

(٤) قتال الخوارج له سنة ليست كقتال المشركين ، وهي سنة سنَّها الخليفة الراشد المهدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الخوارج ، وعليها سار الأئمة والأمراء من بعده حتى **قال إِبْرَاهِيمَ النخعي** : (لَوْلا أَنَّ عَلِيًّا قَاتَلَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ كَيْفَ يُقَاتِلُهُمْ) ومما روي من الآثار عنه وعن غيره من السلف في الباب :

ما رواه عبد الرزاق في المصنف (١٨٥٩٠) وابن أبي شيبة (٣٣٢٧٧) والبيهقي في الكبرى (١٦٧٤٧) بسنده عن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَمَرَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُنَادِيَهُ فَنَادَى يَوْمَ الْبَصْرَةِ : لَا يُتْبَعُ مُدْبِرٌ ، وَلَا يُذَفَّفُ عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يُقْتَلُ أَسِيرٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَتَاعِهِمْ شَيْئًا)

[٣٢] واعلم – رحمك الله – أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عز وجل(١) من كان من أهل الإسلام ، ولا يشهد على أحد ولا يشهد له بعمل خير ولا شر ، فإنك لا تدري بما يختم له [عند الموت]، ترجو له [رحمة الله] ، وتخاف عليه [ذنوبه]ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم ، وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام ترجو له رحمة الله ، وتخاف عليه ذنوبه ، وما من ذنب إلا وللعبد منه توبة (٢) .

= وروى عبد الرزاق (١٨٥٩١) والبيهقي (١٦٧٤٨) عَنْ يَزِيدَ بْنِ ضُبَيْعَةَ الْعَبْسِيِّ قَالَ: نَادَى مُنَادِي عَمَّارٍ ، أَوْ قَالَ: عَلِيٍّ ، يَوْمَ الْجَمَلِ ، وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ : أَلَا لَا يُذَافُّ عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يُقْتَلُ مَوْلًى ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَشَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ)
وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٢٧٨) والحاكم (٢٦٦٠) واللالكائي (٢٠١٤) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : « شَهِدْتُ صِفِّينَ فَكَانُوا لَا يُجْهِزُونَ عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا يَطْلُبُونَ مُوَلِّيًا وَلَا يَسْلُبُونَ قَتِيلًا) صحح الحاكم إسناده ووافقه ذاك الذهبي وهو كما قالا.
قال ابن القاسم : بلغني أن مالكا قال : الدماء موضوعة عنهم ، وأما الأموال فإن وجد شيء بعينه أخذ ، وإلا لم يتبعوا بشيء قال ذلك في الخوارج ، قال ابن القاسم : وفرق بين المحاربين وبين الخوارج ، لأن الخوارج خرجوا واستهلكوا ذلك على تأويل يرون أنه صواب ، والمحاربون خرجوا فسقا مجونا وخلاعة على غير تأويل ، فيوضع عن المحارب إذا تاب قبل أن يقدر عليه حد الحرابة ، ولا توضع عنه حقوق الناس – يعني في دم ولا مال . [ابن عبد البر (فتح البر (١/٤٧١ – ٤٧٢)]
وراجع تفاصيل قتال الخوارج في عقيدة أحمد برواية عبدوس العطار كما الجامع لعقائد أهل السنة (ص٣٥٥) وعقيدة ابن المديني في الجامع (ص٤٤٤) ففيهما تفصيل جيد]

(١) سيعقد المؤلف فقرة خاصة لهذا المعنى في آخر كتابه ، وسنرجئ التعليق عليه عند ذاك الموضع .

(٢) وهذه مسألة تعرف (**بالشهادة**) وهي تعتبر كالتألِّي على الله المنهي عنه في أحاديث كثيرة ، كما قال ابن مسعود : " **من يتألى عليَّ الله يكذبه** " [مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٥٢) والزهد لأبي داود (١٦٠)]
وقد تبع البربهاري في هذه الفقرة الإمام أحمد حيث قال في أصول السنة : ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث...، ولا نشهد على أحد أنه في الجنة بصالح عمله ، ولا بخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث..." اهـ [رسالة أصول السنة (ص٧٠،٧١)]
وفي هذا المعنى رويت آثار منها : ما في أصول السنة لابن أبي زمين (١٤٦) وأبو يعلى كما في الزوائد (٥١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا لَا نَقُولُ فِي رَجُلٍ شَيْئًا حَتَّى نَنْظُرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ يَمُوتُ ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ رَجَوْنَا أَنْ يُصِيبَ خَيْرًا، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ خِفْنَا عَلَيْهِ.
روى ابن جرير (١٢٢/٧) وابن أبي حاتم (٩٧١/٣) والبزار (٣٢٥٤) من طرق عن ابن عمر قال : كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس وآكل مال اليتيم وشاهد الزور وقاطع الرحم حتى نزلت هذه الآية (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) **فأمسكنا عن الشهادة**.".
وروى عبد الله في السنة (٦٤٢) والإبانة (١٢٦٩) والسنة للخلال (٤/ ١٢٢٨/٨٧) بسند جيد عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ : كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: **الشَّهَادَةُ بِدْعَةٌ** وَالْبَرَاءَةُ بِدْعَةٌ وَالْإِرْجَاءُ بِدْعَةٌ
روى أبو عبيد في الإيمان (٢٢) والخلال في السنة (١٣٦٦) بسند صحيح عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: اجْتَمَعَ الضَّحَّاكُ

وَمَيْسَرَةُ وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ، فَأَجْمَعُوا عَلَى **أَنَّ الشَّهَادَةَ بِدْعَةٌ** ، وَالْإِرْجَاءَ بِدْعَةٌ ، **وَالْبَرَاءَةَ بِدْعَةٌ** .

وعن شريك قال : الإرجاء بدعة ، **والشهادة بدعة** ، والبراءة بدعة .[الخلال (١٢٢٩)] **(قلت)** وتفسير ذلك أن **قولهم (الشهادة بدعة)** أي أن تشهد لمعين بجنة أو نار ، سواء كان مسلما أو كافر حي ، خلافا للمرجئة .

وأما (البراءة) فهي تقع من الروافض ومن الخوارج ، **فمن الخوارج** : أنهم كانوا يلزمون الناس بالبراءة من أشخاص يعدونهم ظلمة حتى يقبلون إيمانهم أو إسلامهم ، وفي هذا قصة طويلة لعمر بن عبد العزيز مع الخوارج ، حيث طلبوا منه البراءة من الحكام السابقين أو يكون مثلهم !! وقد فسر الإمام أحمد ذلك ، فيما رواه عنه ابن هانئ قال : سألت عبد الله قلت : الشراة يأخذون رجلاً فيقولون له : تبرأ من علي وعثمان وإلا قتلناك ، كيف ترى أن يفعل ؟ قال أبو عبد الله : إذا عذب وضرب فليصبر إلى ما أرادوا ، والله يعلم منه خلافه .[مسائل ابن هانيء (١٩٥٧)]

وعند الروافض : أن يلزمونك أن تتبرأ من أحد الصحابة قال أبو طالب قال : سألت أبا عبد الله عن البراءة بدعة والولاية بدعة والشهادة بدعة ؟ قال : البراءة : أن تبرأ من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. والولاية : أن تتولى بعضاً وتترك بعضاً. والشهادة : أن تشهد على أحد أنه في النار" . [السنة للخلال (٧٦٣)]

روى ابن وضاح عن زُهَيْرُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ : كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ اَلْمَشَايِخِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعِيسَى بْنِ يُونُسَ ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وعَبْد اللهِ بْنِ اَلْمُبَارَكِ وَوَكِيعِ بْنِ اَلْجَرَّاحِ وَغَيْرِهِمْ لَا يُكَفِّرُونَ أَحَدًا بِذَنْبٍ ، وَلَا يَشْهَدُونَ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي اَلْجَنَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَعْصِ اَللَّهَ وَلَا أَنَّهُ فِي اَلنَّارِ ، وَإِنْ عَمِلَ اَلْكَبَائِرَ ، وَمَنْ خَالَفَ هَذَا فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُبْتَدِعٌ.

قَالَ اِبْنُ وَضَّاحٍ : وَقَالَ لِي يُونُسُ بْنُ عَبْد الْأَعْلَى: اِلْزَمْ هَذَا وَلَا تَدَعْهُ ، وَقَالَ حُسَيْنُ بْنُ اَلْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ : نَعَمْ ، هَذَا هُوَ اَلْحَقُّ **وَلَا يَقُولُ خِلَافَهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ** . [ذكره ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٤)]

وقال أبو إسحاق : **وسألت الأوزاعي قلت** : هل ندع الصلاة على أحد من أهل القبلة وإن عمل بكل عمل ؟ قال : لا قال : وإنما كانوا يحدثون بالأحاديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تعظيما لحرمات الله ولا يعدون الذنب كفرا ولا شركا، وكان يقال: المؤمن حديد عند حرمات الله. [اللالكائي في السنة (٢٠٢٣)]

وقال ابن المديني في عقيدته : ولا يشهد على أحد من أهل القبلة بعمل عمله، بجنة ولا نار ، نرجو للصالح ، ونخاف على الطالح المذنب ونرجو له رحمة الله عز وجل ، ومن لقي الله بذنب يجب له بذنبه النار تائبا منه غير مصر عليه ، فإن الله يتوب عليه ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، ومن لقي الله وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته ، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجبت بها العقوبة فأمره إلى الله عز وجل ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، ومن لقيه مشركا عذبه ولم يغفر له. [اللالكائي (١/١٨٥) وهو في الجامع في العقائد لآل حمدان (٤٤٤)]

وممن نقل الإجماع في هذا الباب : إسحاق ابن راهوية نقله عنه الكرماني في السنة (٢٥٦) وابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٤) والكرماني في السنة (٢٣) والصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١/١٢٧) وأبو القاسم التيمي الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة (٢/٦٨٦) والشافعي في عقيدته كما في الجامع لعقائد أهل السنة (٢٤٢) والحميدي في أصول السنة الجامع (ص٢٧١)]

[مسألة في الشهادة للمشرك إذا مات بالنار] : كل هذا الكلام السابق يتنزل ويُقصد به المسلم ، أو الكافر الحي ، أما من مات على كفره فهو في النار ونشهد له بذلك ، وليس هذا من البدع بل هو نص الشارع وهدي السلف وعليه الإجماع ، وفي هذا مئات الأدلة من القرآن والسنة والآثار جمعتها في جزء مفرد باسم (**لفت الأنظار إلى الشهادة على المشرك بالنار**) وأختصر هنا الأدلة فأقول : **أما من القرآن** : يقول تعالى : { **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم من أصحاب الجحيم** }. وقال الضحاك :" من بعد ما تبين لهم "؛يقول تعالى أي إذا ماتوا مشركين كقوله تعالى "إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة" [رواه ابن جرير (١٢/٢٩)]

وقال تعالى : { **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** } قال مجاهد: فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، موته وهو كافر . [رواه سعيد بن منصور (٩٨٥) وابن أبي حاتم (١٠٩٨٠) وابن جرير (٣٠/١٢) بإسناد صحيح] يقول تعالى: {**وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا جاء أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما** }. روى ابن المنذر (١٤٨٩) عن ابن عباس قال في قوله تعالى : قال هم أهل الشرك) . قال تعالى { **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** } وقال تعالى { **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملئ الأرض ذهبا ولو لافتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** } ويقول تعالى : { **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** }روى ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٠/٣) رقم(٥٤٢٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور(٤٧٢/٤) إلى أبي داود في ناسخه عن ابن عباس رضي الله عنه قال في هذه الآية "إن الله حرم المغفرة على **من مات وهو كافر** وأرجأ أهل التوحيد إلى مشيئته فلم يئسهم من المغفرة."

قال تعالى : { **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** }وقوله تعالى أيضا { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** } وقال تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أولئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ** }.

ومن الأحاديث الصريحة في هذا الباب : ـ **عن ابن مسعود** عن النبيَ صلى الله عليه وسلم قال : **من مات** وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار".[رواه البخاري (٤٤٩٧) ومسلم (٩٣)]

ـ **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث صلح الحديبية " أليس قتلانا في الجنة **وقتلاهم في النار**؟ قال بلى .." [رواه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (٤٧٣٣)]

ـ **عن طارق بن شهاب قال:** لما صالح أبو بكر أهل الردة صالحهم على حرب مجلية أو سلم مخزية قالوا قد عرفنا الحرب المجلية فما السلم المخزية قال تشهدون أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار..." [رواه أحمد في كتاب فضائل الصحابة (١٦٩٨) وعبد الرزاق في المصنف (٤٣٧/٦) رقم (٣٢٧٣١) و(٣٢٧٣٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٤٠٠) والطبراني نحوه في المعجم الأوسط (١٩٥٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٤/٨) (رقم١٦٥٣٩) و(١٦٥٣٨) وأصل الحديث دون موضع الشاهد عند البخاري (٦٧٩٥) وقد رواه أيضا عن عاصم بن ضمرة مثله من طرق عن شعبة وسفيان وأيوب بن عائذ ثلاثتهم عن قيس بن مسلم وهذا إسناد صحيح إلى طارق بن شهاب]

ـ **وعن أبي سعيد الخدري** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة فليقطعنه نارا يريد أن يدخله الجنة قال فينادى :" **إن الجنة لا يدخلها مشرك إن الله قد حرم الجنة على كل مشرك** . [رواه البزار كما في مجمع الزوائد (١١٨/١) وأبو يعلى (١٠٤٩) وابن حبان (٢٥٢) والحاكم (٨٧٤٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (٦٠) وبن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٤٢) بسند صحيح]

ـ **وعن أبي الدرداء** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" **كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا** . [روى أبو داود (٤٢٧٠) وبن أبي عاصم في الديات (١٤) والنسائي (٦١/٧) وأحمد (٩٩/٤) وابنه عبد الله في السنة (٧٢٦) وابن حبان في صحيحه (٥١) والحاكم في مستدركه (٣٥١/٤) والطبراني في الأوسط (٩٢٢٨) وفي مسند الشاميين (١٣٠٨) البيهقي في السنن (٢١/٨) وسنده صحيح]

ـ **عن أبي سعيد الخدري** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يلقى إبراهيم أباه فيقول يا رب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون فيقول الله " **إني حرمت الجنة على الكافرين** ." [البخاري (٤٤٩١) وفي رواية الحاكم (٢٩٣٦) من المستدرك :

فينادي : إن الجنة لا يدخلها مشرك ألا إن الله قد **حرم الجنة على كل مشرك** "].

- **وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَضُرَّ مَعَهُ خَطِيئَةٌ كَمَا لَوْ لَقِيَهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ دَخَلَ النَّارَ وَلَمْ تَنْفَعْهُ مَعَهُ حَسَنَةٌ ». [أحمد (١٧٠/٢ رقم ٦٥٨٦) والطبري في تهذيب الأثار (١٩٣٨) والطبراني كما في مجمع الزوائد (١٩/١) وسنده لا بأس به]

- **عن أنس رضي الله عنه** أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : أبوك في النار فلما قفّى قال : إن أبي وأباك في النار. [رواه مسلم (٣٤٧) والعجب أن ذاك النووي على تجهمه يبوب عليه (بَابُ بَيَانِ أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَلَا تَنَالُهُ شَفَاعَةٌ ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَرَابَةُ الْمُقَرَّبِينَ) !! ولكن الأشعرية عموما لا يلتزمون بهذه الأقوال .]

- **عن جابر رضي الله عنه قال** : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار . [رواه مسلم (٣٨/١)]

- **عن الزهري عن عامر بن سعد** عن أبيه أن أعرابيًّا قال لرسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : أين أبي ؟ قال : (في النار) قال : فأين أبوك ؟ قال : (**حيثما مررت بقبر كافرٍ فبشره بالنار**). [أخرجه البزار (٢٧- مسند سعد) وابن ماجة (١٥٧٣) وابن السني في اليوم والليلة (٦٠٠) والطبراني في الكبير (ج١/ رقم ٣٢٦) ، والبيهقي في الدلائل (١٩١/١، ١٩٢) ، وأبو نعيم في المعرفة (١/ رقم ٥٤٠) والضياء المقدسي في المختارة (٣٣٣/١) وأعله أبو حاتم والدارقطني بالإرسال وله شاهد من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إذا مررتم بقبورنا وقبوركم من أهل الجاهلية فأخبروهم أنّهم من أهل النار**". [رواه ابن حبان في صحيحه (٨٤٧) وابن السني في اليوم والليلة (٥٨٧) ذكره في موارد الظمآن (٦٥) بسند ضعيف وله شاهد ثالث صحيح وهو الحديث الآتي :]

- **عن أبي رزين العقيلي في حديث مشهور طويل** والذي فيه..."قلت : يا رسول الله هل لأحد ممن مضى قبلنا من خير في جاهليتهم ؟ فقال رجل من عرض قريش-يعني رسول الله- : **والله ان أباك المنتفق لفي النار** قال : فكأنه وقع حر بين جلد وجهي ولحمه بما قال لأبي على رؤوس الناس وهممت أن اقول أين أبوك يا رسول الله ؟ فإذا الأخرى أجمل قلت واهلك يا رسول الله ؟ قال : وأهلي! **ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل ارسلني إليك محمد صلى الله عليه و سلم فأبشر بما يسوؤك تجر على وجهك وبطنك في النار** قلت يا رسول الله وما فعل ذلك بهم وكانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبون أنهم مصلحين ؟ قال : (ذلك لإن الله يبعث في آخر كل سبع أمم نبيا فمن أطاع نبيه كان من المهتدين ومن عصاه كان من الضالين) . [فرواه أبو داود في سننه (٣٢٦٦) وابن خزيمة في التوحيد (ص١٢٢ . ١٢٥) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣/٤) وفي السنة (١٠٩٧) وابن أبي عاصم في السنة (٦٣٦) وابن قانع في معجمه (٥٠٠) والدارقطني في الرؤية (١٤٢) وأبو نعيم في صفة الجنة (١٦٣) وأبو الشيخ في الأمثال (٢٤٥) والنحاس في الرؤية (٠٧) والطبراني في الكبير(٤٧٤) وذكر البخاري طرفاً منه بإسناده في التاريخ الكبير (٣/ ٢٤٩) ترجمة دلهم ، ورواه ابن عدي في الكامل (٢٨/٧) ترجمة النضر بن طاهر أبو الحجاج، وأبو يعلى في مسنده كما في المعتلى في زوائد أبي يعلى (٧٠١٤) والحديث صحيح تلقته الأمة بالقبول كما قال ابن منده وبن تيمية وابن القيم وصححه جمع من الحفاظ ، وحدث به العلماء وأهل الحديث ، ولم يرده إلا الجهمية ومن تفلسف على السلف ، **قال ابن القيم في زاد المعاد (٩٣/٢)** : وفيه دليلٌ على أنَّ مَن مات مشركاً فهو في النار .

وقد نُقلتْ إجماعات كثيرة في كتب العقائد المجمع على محتوياتها أنقل بعض منها اختصارا :

قال رحمه الله في رسالته في أصول السنة (ص٥٣) : "من لقي الله وهو كافر عذبه ولم يغفر له ."

قال الدارمي في النقض (ص١٢٨) : أوما علمت أيها المريسي أنه من مات ولم يعرف قبل الموت أن الله ربه في حياته حتى يعرفه بعد مماته فإنه يموت كافرا ومصيره النار أبدا ؟) اهـ

وقال ابن بطة رحمه الله في الإبانة الصغرى (ص ١٤٠) : وأما عذاب النار الدائم بدوام الله وأهلها فيها مخلدون خالدون : من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة) اهـ .

وقال أبوعثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٧٦) : باب من ختم له بشيء مات عليه ... " ثم قال : من مات والعياذ بالله على الكفر فمرده إلى النار لا ينجو منها ولا يكون لمقامه فيها منتهى) اهـ

ومن الآثار الواردة في هذا الباب :

ـ **عن موسى بن علي بن رباح** : أنه استأذن رجل عبى عمر فقال : استأذنوا لابن الأخيار فقال عمر : ائذنوا له فلما دخل قال : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان بن فلان فعد رجال من أشراف الجاهلية فقال له عمر : أنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال : لا قال ذاك من الأخيار وأنت في الأشرار **إنما تعد لي جبال أهل النار** . [أخرجه الحاكم (٣٣٢٥) وقال هو صحيح على شرط مسلم].

ـ **ورورى الطبري في تفسيره (١٩/٥٠٦ ـ ٥٠٧)** عند قوله : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) عن جمع من الصحابة والتابعين قالوا : من جاء بلا إله إلا الله ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ أي الشرك .**(قلت)** يعني من جاء بالشرك يوم القيامة ألقي في النار".

ـ **قال عمرو بن العاص** في أثر طويل جاء فيه : رأيتني على أطباق ثلاثة لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولا أحد أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته **فلو مت على تلك كنت في النار** . [مسلم (٧٨/١)]

[تنبيه] : وردت روايات في أهل الفترة أنهم يمتحنون يوم القيامة ، ورُوي في هذا أحاديث مرفوعة كلها ضعيفة لا تصح ولا يثبت في هذا الباب شيء إلا عن أبي هريرة موقوفا وله حكم الرفع ، ورويت أيضا بعض المرويات عن التابعين ولفظ أثر أبي هريرة كما **عند عبد الرزاق في تفسيره (١٤٩٧)** عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه ، والأصم ، والأبكم ، والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ، ثم يرسل رسولا إليهم أن يدخلوا النار قال : « فيقولون : كيف ولم يأتنا رسول ؟ قال : » وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما ثم يرسل إليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قال ثم قال أبو هريرة :فاقرءوا إن شئتم : (**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**) ."

(قلت) لكن ورد عن المفسر المتقدم **يحي بن سلام رحمه الله** ما يوجه هذا الأثر المرفوع حكما فقال **في تفسيره (٦٥٨/٢)** : بلغنا أنه من واقعها نجا من النار ومن لم يقعها دخل النار قال : نرى أن الذي ينجو من النار من ولدته أمه لا يسمع الصوت والذي يتخطبه الشيطان من المس والإثنان الآخران ليس لهما عذر : الذي مات قبل الإسلام ومن أدركه الإسلام وهو هرم قد ذهب عقله وهو قول الله عزوجل (**إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون**) [الصافات ٧٠] اهـ

[مسألة] : هل يجوز الشهادة لمن قُتِل في سبيل الله أنه شهيد له في الدنيا أم لا ؟ : وإذا علمت أنه قولك فلان شهيد مثل قولك فلان في الجنة ، علمت أن كلام السلف الأول في منع الشهادة للمعين بجنة يتناوله ، ومن أدلة المنع ما روى البخاري عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فُلانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ ، فَقَالُوا : فُلانٌ شَهِيدٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَلَّا ، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا ، أَوْ عَبَاءَةٍ) وقد بوب أيضا البخاري بقوله [**باب : لا يقول فلان شهيد**] وذكر حديث أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ »

[مسألة فرعية] هل إذا استفاض الثناء على رجل من أهل السنة يشهد له بالجنة ؟ ورد في هذا حديث الجنازة التي أثنى عليها الصحابة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت أي الجنة ، ومثلها أثر صحيح عن عمر ، وحديث الشهداء سبعة ، وشهد أبو ثور لأحمد بالجنة عملا بما سبق ، وأختار هذا القول بن تيمية ، وما يشكل على هذا أن الكثير من أهل السنة والحديث والسلف يقولون كما تقدم أن الشهادة بدعة !! ، لكن وردت عدة روايات وأقوال عن أهل الحديث عبارات تدل على الشهادة للمعين أحيانا ، كقولهم قتلانا في الجنة ، وقولهم شهداء القادسية ، وقول عبد الله بن جعفر رضي الله عنه في قثم بن عباس أنه استشهد وقول ابن معين في أحمد ابن نصر أنه ختم له بالشهادة لما قتل في المحنة ، ومثله قاله الدارقطني في النسائي لما مات حاجا ، فالله أعلم فهذه المسألة تحتاج إلى تحرير أكثر ، على خلاف من يظن أنها من بدع المعاصرين بإطلاق !! .

[٣٣] والرجم حق (١) .

---

(١) والرجم سنة ماضية مجمع عليها بين السلف ، وقد رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعز والغامدية واليهوديين وغير ذلك ورجم الخلفاء الراشدون والسلف بعدهم ، بل يقر به حتى أهل الكتاب ، بل حتى المعتزلة والرافضة والزيدية والإباضية كلهم يقرون بالرجم ، ولم ينكرها إلا الخوارج قديما ، ولهذا ذكرها المؤلف في عقيدته هذه ردا عليهم جميعا ، وهذا ما كان يخشاه عمر وتوقعه ، **قال ابن قدامة في المغني (٩/٣٥)** : ولا نعلم فيه مخالفاً إلا الخوارج فإنهم قالوا : الجلد للبكر والثيب) اهـ .

وتفاصيل إنكار الخوارج الأزارقة للرجم من ذلك :

ما جاء في الفرق بين الفرق (ص٦٤) : وَأنْكرت الْأزَارِقَة الرَّجْم وَاسْتَحَلُّوا كفر الْأَمَانَة الَّتِي أَمر الله تَعَالَى بأدائها وَقَالُوا إن مخالفينا مشركون فَلَا يلْزمنَا إذا أماناتنا إِلَيْهِم وَلم يقيموا الْحَد على قَاذف الرجل الْمُحصن وأقاموه على قَاذف الْمُحْصنَات من النِّسَاء وَقَطعُوا يَد السَّارِق فِي الْقَلِيل وَالْكثير وَلم يعتبروا فِي السّرقَة نِصَابا وأكفرتهم الْأمة فِي هَذِه الْبدع ."

(قلت) وقد ثبت أن محمد بن عبد الوهاب لما رجم زانية ، أنكر عليه زنادقة الأعراب وذلك في بداية ظهوره .

وقد ورد في الرجم أدلة كثيرة ، وقد روي فيها أكثر من عشرين حديث صحيح ، والأصل في ذلك ، كلمة قالها عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما **روى البخاري (٦٨٢٩)** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ عُمَرُ : لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ ، حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ : لاَ نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ ، أَلاَ وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى وَقَدْ أَحْصَنَ ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ – قَالَ سُفْيَانُ : كَذَا حَفِظْتُ – أَلاَ وَقَدْ « **رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ** »

وفي رواية الترمذي بلفظ : وَلَوْلاَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَزِيدَ فِي كِتَابِ اللهِ لَكَتَبْتُهُ فِي الْمُصْحَفِ ، فَإِنِّي قَدْ خَشِيتُ أَنْ تَجِيءَ أَقْوَامٌ فَلاَ يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللهِ فَيَكْفُرُونَ بِهِ .

وزاد عبد الرزاق وابن أبي شيبة وغيرهم : وَقَدْ قَرَأْتُهَا (**الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ**) رَجْمَ رَسُولِ اللَّهِ بَعْدَهُ .

وفي رواية عبد الرزاق (١٣٣٢٩) بلفظ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرَّجْمِ ، فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، وَإِنِّي خَائِفٌ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ الزَّمَانُ فَيَقُولَ قَائِلٌ: وَاللَّهِ، مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصَنَ، وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ أَوْ كَانَ الْحَمْلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ "

وفي رواية الآجري في الشريعة (٧٦٨) بلفظ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ فَلَا تُخْدَعُنَّ عَنْهُ ، وَإِنَّ آيَةَ ذَلِكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَمَ ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجَمَ ، وَأَنَّا قَدْ رَجَمْنَا ، **وَإِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ** وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجَّالِ ..) .

ومن أدلة الرجم أيضا ما **البيهقي في السنن الكبرى (١٦٩١١)** عن زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : قَالَ لِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كَأَيِّنْ تَعُدُّ أَوْ كَأَيِّنْ تَقْرَأُ سُورَةَ الْأَحْزَابِ ؟ قُلْتُ : ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ آيَةً ، قَالَ : أَقَطُّ لَقَدْ رَأَيْتُهَا وَإِنَّهَا لَتَعْدِلُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، وَإِنَّ فِيهَا : **الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ."

وروى البخاري (٦٨١٢) حديث علي رضي الله عنه حين رجم المرأة يوم الجمعة وقال : قد رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي جزء القراءات لحفص بن عمر (٨٧) بسند جيد عَنْ كَثِيرِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ : كَانَ ابْنُ الْعَاصِ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ يَكْتُبَانِ الْمَصَاحِفَ، فَمَرُّوا عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ ، فَقَالَ زَيْدٌ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُ : « الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ »

وروى عبد الرزاق (١٣٣٣١) بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُتِيَ بِيَهُودِيَّيْنِ

[٣٤] والمسح على الخفين سنة (١) .

= زَنَيَا، فَأَرْسَلَ إِلَى قَارِئِهِمْ، فَجَاءَهُ بِالتَّوْرَاةِ فَسَأَلَهُ : أَتَجِدُونَ الرَّجْمَ فِي كِتَابِكُمْ ؟ فَقَالُوا : لَا ، وَلَكِنْ يُجَبِّهَانِ وَيُحَمَّمَانِ قَالَ : فَقَالَ أَوْ قِيلَ لَهُ – اقْرَأْ ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ مَا حَوْلَهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : أَخِّرْ كَفَّكَ ، فَأَخَّرَ كَفَّهُ ، فَإِذَا هُوَ بِآيَةِ الرَّجْمِ ، فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَا ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمَا يُرْجَمَانِ ، وَإِنَّهُ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ . (**قلت**) وقد نقل الإجماع على أن الرجم حق وثابت وسنة ماضية العديد من السلف ، أذكر منهم على سبيل الإختصار : أحمد في أصول السنة (٢٧) وابن المديني كما في الجامع لعقائد أهل السنة (ص٣٣٠) والذهلي كما في الحجة لنصر المقدسي (ص٦٣٤) وقتيبة بن سعيد كما في كتاب الجامع لعقائد أهل السنة (ص٣١٦) وغيرهم كثير .

وحكم من أنكر الرجم أنه كافر لإنكاره حدًّا معلوما من الدين بالضرورة :

روى الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص١٩٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠٧/٦) عن حسان بن فروخ قال : سألني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : عما تقول الأزارقة ، فأخبرته ، فقال ما يقولون في الرجم ؟ فقلت : يكفُرون به فقال : الله أكبر **كفروا بالله ورسوله !** وحدَّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجم ماعز بن مالك فلما أصابته الحجارة صرخ ، فقال بعض القوم : أبعَدَه الله ، فزجره عليه السلام وقال : إنما كفارة له). اهـ.

قال الزجاج في معاني القرآن (١٧٨/٢) : وقوله : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) أي من زعم أن حكماً من أحكام اللَّه التي أتَتْ بها الأنبياءُ عليهم السلام باطل فهو كافر ، أجمعت الفقهاءَ أن من قال إن المحصَنَين لا يجب أن يرجما إذا زنيا وكانا حُرَّين – كافِرٌ ، وإنما كفر من رد حكماً من أحكام النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه مكذِبٌ له ، ومن كذب النبي فهو كافر ." (**قلت**) واليوم ظهرت شرذمة من الزنادقة والعلمانيين والمفكرين والعقلانيين واللبراليين ينكرون حد الرجم في الإسلام ويشوشون على المسلمين أمر دينهم ، وقد أضلوا كثيرا منهم : مصطفى محمود ويوسف أبا الخيل ومحمد آل الشيخ والشعراوي وقال به أبو زهرة بعدما خبأه في نفسه عشرين سنة وأقره القرضاوي ، ومحمد الشنقيطي ليس المفسر وعدنان إبراهيم والمسعري وجماعة من المخرفين ، والله المستعان على محنة الإسلام .

(١) المسح على الخفين متواتر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة ، والمجمع عليها ، ولم يخالف فيها إلا الروافض والخوارج ، واليهود لا يرون المسح علَى الخفين ، وكذلك الشيعة الاثنا عشرية ، ولهذا دونت في العقائد ونصوا أن خالف ذلك يبدع ويضلل ولا ينفعه مما اعتقد من السنة شيء ، وقد روى سبعون من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يمسح على الخفين .

قال الحسن : (روى المسح سبعون نفساً فعلاً منه عليه السلام ، وقولاً) [ذكره ابن المنذر في الأوسط (٤٢٦/١)]

وقال أحمد : ليس في قلبي من المسح على الخفين شيء ، فيه أربعون حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم . [المبدع (١١٢/١)] **وقال ابن المنذر في الأوسط (٤٣٨)** قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَقَدْ ذَكَرْتُ سَائِرَ الْأَخْبَارِ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ. وَمِمَّنْ رُوِّينَا عَنْهُ ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، وَأَمَرَ بِالْمَسْحِ عَلَيْهِمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ ، وَأَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ الزُّبَيْدِيُّ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَأَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَجَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، وَخَارِجَةَ بْنِ حُذَافَةَ ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، وَبِلَالٍ ، وَرُوِّينَا عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي سَبْعُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ .

روى ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٨٥) عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ : « مَسَحَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، فَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ رَغْبَةً عَنْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ »

وقال الامام ابن المبارك : لَيْسَ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ عِنْدَنَا خِلَافٌ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي عَنِ الْمَسْحِ فَأَرْتَابُ بِهِ أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ هَوًى [رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٨٧)]

وقال سفيان الثوري في وصيته لشعيب بعد ذكر له أصولا في السنة قال : يا شعيب بن حرب : لا ينفعك ما كتبت لك حتى ترى المسح على الخفين دون خلعهما أعدل عندك من غسل قدميك . [السنة للالكائي (٣١٤)]

قال سهل بن عبد الله التستري : وقيل له متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟ قال: إذا عرف من نفسه عشر خصال : ... ثم قال : ولا يترك المسح على الخفين . [أصول الاعتقاد (٣٢٤)]

عن أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم قال : ثلاث من أعلام السنة : المسح على الخفين ، والمحافظة على صلوات الجمع وحب السلف رحمهم الله. [جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧٩)]

وقد ذكرها أحمد رحمه الله في عقيدته التي كتبها إلى مسدد بن مسرهد كما في طبقات الحنابلة (٢/٤٣٢) ورواية الربعي عنه كما في الجامع (ص٣٧٥) ورواية الأندرابي عنه كما في الجامع (ص٣٨٠) والشافعي في عقيدته كما الجامع لعقائد أهل السنة (ص٢٤٣) وبشر الحافي في عقيدته كما نقلها نصر المقدسي في الحجة (ص٦٠٣) وقتيبة بن سعيد الجامع (ص٣١٤)] .

وقال المروذي : وسمعت أبا عبد الله وقيلَ له : قومٌ لا يرون المسح ، يعني : على الخفين ؟ فقال : هؤلاء خوارج قومٌ مِن الإباضية . [المسائل والرسائل (٢/٤٢١)] .

وذكر هذه المسألة ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٥٠٥) في كتاب الرد على أبي حنيفة .

قال المروزي في السنة (٣٨٤) : وَقَدْ أَنْكَرَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَزَعَمُوا أَنَّ ذَلِكَ خِلَافٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ لَزِمَهُ إِنْكَارُ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ السُّنَنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ نَذْكُرْ ، وَذَلِكَ خُرُوجٌ مِنْ جَمَاعَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ) اهـ.

[يراجع التنبيه والرد على أهل الأهواء للملطي (ص١٦٥) وشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص٣٢٣)]

وقال ابن بطة رحمه الله في الإبانة الصغرى (٣٤١) : ومن السنة المسحُ على الخُفَّينِ لمن أحدثَ ، وقد كان لبسِ خُفَّيهِ وهو كامِلُ الطَّهارةِ : إن كان مُسافرًا : ثلاثة أيَّامٍ ولياليها ، وإن كان مُقيمًا : يومًا وليلَةً ، هكذا سَنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفعلَهُ هو وأصحابُهُ وعلى ذلك مضَتْ سُنةُّ الأوَّلين المسلمين ، وأخذ به علماءُ الدِّينِ ، لايُنكرُ ذلك ولا يرُدُّهُ إلَّا مُبتدِعٌ مِن النَّاسِ ، مخالفٌ لرسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، راغبٌ عن سُنتِهِ ، رادٌّ لقولِهِ) اهـ . .

(**قلت**) وهنا شبهات يجب الجواب عنها :

الشبهة الأولى : فإنه قد يقول قائل أنه قد روي أن بعض الصحابة إنكار المسح على الخفين ، فلا يصح الإجماع الذي تدعونه فقد روي عن عائشة وأبي أيوب أبي هريرة وابن عباس إنكار المسح . روى الآثار عنهم ابن أبي شيبة في المصنف (**بَابُ مَنْ كَانَ لَا يَرَى الْمَسْحَ**) ؟؟؟ والجواب عن هذا أن نقول :

الجواب العام أن يقال أن جماعة من الصحابة في أول الأمر لم تصلهم النصوص في المسح على الخفين حتى نبهوا على ذلك فعملوا وعلى رأسهم عمر وابنه عبد الله وغيرهم ثم رجعوا عن ذلك بعد سماع الأحاديث وعملوا بها .

أما الجواب التفصيلي : **أولا** : بالنسبة لأبي هريرة رضي الله عنه فإنه لم يسمع أحاديث المسح فهو معذور ، ولو وصلته لكان سباقا إليها لشدة حبه للسنة رضي الله عنه **قال مسلم في كتابه التمييز (ص٢٠٩)** بعد ذكر حديث مرفوعا في المسح من رواية أبي هريرة قال : هَذِه الرِّوَايَة فِي الْمسْح عَن أبي هُرَيْرَة لَيست بمحفوظة وَذَلِكَ أَن أَبَا هُرَيْرَة لم يحفظ الْمسْح عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لثُبُوت الرِّوَايَة عَنهُ بإنكاره الْمسْح على الْخُفَّيْنِ وَسَنذكر ذَلِك عَنهُ إِن شَاءَ الله ... ثم روى بسنده عن يزِيد بن زَاذَان

قَالَ : سَمِعت أَبَا زرْعَة قَالَ سَأَلت أَبَا هُرَيْرَة عَن الْمسْح على الْخُفَّيْنِ قَالَ فَدخل أَبُو هُرَيْرَة دَار مَرْوَان بن الحكم فَبَال ثمَّ دَعَا بِمَاء فَتَوَضَّأ وخلع خفيه وَقَالَ مَا أمرنَا الله أَن نمسح على جُلُود الْبَقر وَالْغنم فقد صَحَّ بِرِوَايَة أبي زرْعَة وَأبي رزين عَن أبي هُرَيْرَة انكاره الْمسْح على الْخُفَّيْنِ وَلَو كَانَ قد حفظ الْمسْح عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ أَجْدَر النَّاس وأولاهم للزومه والتدين بِهِ فَلَمَّا أنكرهُ الَّذِي فِي الْخَبَر من قَوْله مَا أمرنَا الله أَن نمسح على جُلُود الْبَقر وَالْغنم وَالْقَوْل الآخر مَا أُبَالِي على ظهر حمَار مسحت أَو على خفي بَان ذَلِك أَنه غير حَافظ الْمسْح عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وان من أسْند ذَلِك عَنهُ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم واهي الرِّوَايَة أخطأ فِيهِ اما سَهوا أَو تعمدا) اهـ

ثانيا : وبالنسبة لابن عباس فقد روي عنه أنه قال : «**سَبَقَ الْكِتَابُ الْخُفَّيْنِ**» والجواب هذا في بداية الأمر ثم وصلته أحاديث المسح فعمل بها فقد **روى ابن أبي شيبة (١٩٥١)** عَنْ فِطْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : إنَّ عِكْرِمَةَ يَقُولُ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : « سَبَقَ الْكِتَابُ الْخُفَّيْنِ » فَقَالَ عَطَاءٌ : كَذِبَ عِكْرِمَةُ « أَنَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، **يَمْسَحُ عَلَيْهِمَا** »

(قلت) ويدل على ما قال عطاء أن ابن عباس يفتي به ، وآثاره في ذلك عديدة .

ثالثا : وروي عن عائشة إنكارها للمسح ولهذا الإنكار احتمالان .

١ - أن يقال أنه لا يصح عنها كما في الأباطيل للجوزقاني (٣٦٧) فقد ذكر أنه لا أصل له ، لكن السند الذي ذكره الجوزقاني عنه بسنده منكر ، لكن ما رواه ابن أبي شيبة سنده صحيح ، فلهذا يكون هذا الإحتمال ضعيف .

٢ - : أن يقال أنها لم تكن تعلم بالنص الوارد في المسح وهذا هو الواقع الصحيح فإنها رضي الله عنها لما سُألت عن المسح أحالت إلى علي رضي الله عنه وقالت هو أعلم مني به [أنظر الرواية عند ابن أبي شيبة (١٨٦٦)]

رابعا : قالوا أنكره أبو أيوب الأنصاري ، والجواب أن هذا الإدعاء باطل وكذب عليه ، وبمجرد سرد الرواية عنه ينفضح زيف هذا الإدعاء . **فقد روى ابن أبي شيبة (١٨٥٤)** عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ أَفْلَحَ مَوْلَى أَبِي أَيُّوبَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ « أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِالْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ » وَكَانَ هُوَ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ : كَيْفَ تَأْمُرُ بِالْمَسْحِ وَأَنْتَ تَغْسِلُ ؟ فَقَالَ : بِئْسَ مَا لِي إِنْ كَانَ مَهْنَأَةً لَكُمْ، وَمَأْثَمَةً عَلَيَّ ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ ، وَيَأْمُرُ بِهِ " وَلَكِنْ حُبِّبَ إِلَيَّ الْوُضُوءُ .

(قلت) فهذا واضح جدا أنه لم ينكره بل هو يدعوا إليه .

وأختم بما قال أبو بكر الأثرم : سمعت أحمد بن حنبل وقد قيل له : ما تقول فيما روي عن أبي هريرة ، وأبي أيوب ، وعائشة في إنكار المسح على الخفين فقال : إنما روي عن أبي أيوب أنه قال : حُبّب إليَّ الغسل فإن ذهب ذاهب إلى قول أبي أيوب الأنصاري : حُبّبَ إليَّ الغسل لم أعبْهُ ، قال : إلا أن يترك الرجل المسح ولا يراه كما صنع أهل البدع ، فهذا لا يُصلَّى خلفه. [ذكره ابن عبد البر في الاستذكار (٢/٢٤٠)]

وقال ذاك البيهقي في السنن الكبرى (١٢٨٧) وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ عُقَيْبَ هَذِهِ الْحِكَايَةِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَرِهَ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: وَإِنَّمَا بَلَغَنَا كَرَاهِيَةُ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ وَعَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ، أَمَّا الرِّوَايَةُ فِيهِ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: سَبَقَ الْكِتَابُ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ وَلَمْ يُرْوَ ذَلِكَ عَنْهُ بِإِسْنَادٍ مَوْصُولٍ يَثْبُتُ مِثْلُهُ، وَأَمَّا عَائِشَةُ فَإِنَّهَا كَرِهَتْ ذَلِكَ، ثُمَّ ثَبَتَ عَنْهَا أَنَّهَا أَحَالَتْ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَلِيٌّ أَخْبَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّخْصَةِ فِيهِ) اهـ

الشبهة الثانية : قالوا المسح منسوخ بسورة المائدة !! ولجواب هذا نذكر حديثين فيهما كفاية :

الأول : ممن روى المسح عن النبي صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي ، وهو ممن أسلم بعد المائدة فعَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : وَكَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ .

الثاني : حديث عوف بن مالك –رضي اللَّه عنه– أمرنا رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– بالمسح ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوم وليلة للمقيم [أخرجه أحمد ٦/ ٢٧] .**قال الإمام أحمد** : هذا الحديث أجود حديث في المسح على الخفين لأنه في غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها النبي –صلى اللَّه عليه وسلم– وهو آخر فعله. [المغني (٣٦٥/١)]

[٣٥] وتقصير الصلاة في السفر سنة (١) .

[٣٦] والصوم في السفر ، من شاء صام ومن شاء أفطر (٢).

(١) القصر في السفر سنة مجمع عليها بين السلف قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {**فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**} [النِّسَاء: ١٠١] وممن نقل الإجماع الكثير منهم : ابن المنذر في الأوسط (١٣١/٤) وإسماعيل المزني في عقيدته كما في الجامع لآل حمدان (ص٥٠٩) وذاك البغوي في شرح السنة (١٦٢/٤) وأول من أدخلها في باب المعتقد لما كثر الإنكار لها فيما أعلم هو عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، فإن بعضهم كان يستنكر قصر الصلاة لأنه ليس في القرآن **كما روى عبد الرزاق (٤٢٧٦)** عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عُمَرَ : نَجِدُ صَلَاةَ الْخَوْفِ وَصَلَاةَ الْحَضَرِ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا نَجِدُ صَلَاةَ الْمُسَافِرِ !! فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : « بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَنَحْنُ أَجْفَى النَّاسِ فَنَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » **وروى عبد الرزاق (٤٢٧٩)** عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ قَالَ : لَقِيتُ ابْنَ عُمَرَ فَقُلْتُ : الصَّلَاةُ فِي السَّفَرِ ، فَقَالَ: « رَكْعَتَيْنِ » قَالَ : قُلْتُ : فَكَيْفَ تَرَى هَا هُنَا بِمِنًى ؟ قَالَ : « وَيْحَكَ وَهَلْ سَمِعْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : **نَعَمْ ، وَآمَنْتُ بِاللَّهِ** قَالَ : « فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ، فَصَلِّ إِنْ شِئْتَ أَوْ دَعْ »

ثم بعد ذلك شدد على المستنكرين لما كثر السؤال عنها ، كما روى عبدالرزاق (٤٣٨١) وعبد بن حُميد في المنتخب (٨٣٠) والبزّار (٥٩٢٩) بسند صحيح عن مُوَرِّق العجلي قال: سُئل ابن عمر عن الصَّلاة في السَّفر ؟ فقال: ركعتين ركعتين ، **مَن خالفَ السُّنةَ كفرَ** . وفي بعض الألفاظ : **من ترك السُّنة كفر**. وكانت بداية مشاكل القصر في السفر قديمة ، كما في قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وذلك أنه كان لا يقصر في السفر ، فيقال له : أليس قصرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : بلى ! ولكني إمام الناس ، فينظر إليَّ الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين فيقولون : هكذا فرضت " .

وهكذا تتابع أهل السنة على ما قاله ابن عمر ، بذكر القصر في أصول السنة والبدع منهم :

بشر بن الحارث الحافي في عقيدته التي نقلها نصر المقدسي في كتابه الحجة على تارك المحجة (ص٦٠٣)

وأحمد بن حنبل في عقيدته نقلها نصر المقدسي في الحجة (ص٥٩٩) وفي رواية الأندرابي عنه كما في الجامع لآل حمدان (ص٣٨٠) **والعباس بن مشكويه الهمذاني** في عقيدته التي عرضها على الإمام أحمد وأمر أحمد أن تحفظ رواها ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٥٦) **والمزني** في كتابه شرح السنة (ص٨٩) **والقحطاني** في نونيته عند بيت رقم (٣٦٣)

(٣) لحديث الذي رواه البخاري (١٩٤٣) ومسلم (١١٢١) عن حَمْزَةَ بْنَ عَمْرٍو الأَسْلَمِيَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ وَكَانَ كَثِيرَ الصِّيَامِ فَقَالَ : « **إِنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ** » وذكر المؤلف هذه السنة وخصصها بالذكر مع أنها مسألة فقهية ، لأن بعض أهل البدع اختلفوا فيها على طرفين متناقضين : **فالأولى** : وهم الظاهرية المبتدعة على رأسهم داود الظاهري أنكروا وحرموا الصوم في السفر ، كما نبه على هذا ذاك البغوي في شرح السنة (٣٠٧/٦) وحرموا الفطر في الصفر ونشرها عنه كالعادة **ابن الحزم الجهمي في كتابه المحلى (٣٩٣/٤)** حتى أنه قال في قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**} [البقرة: ١٨٤] : قَدْ أَتَى كَبِيرَةً مِنْ الْكَبَائِرِ ، وَكَذَبَ كَذِبًا فَاحِشًا مَنْ احْتَجَّ بِهَا فِي إبَاحَةِ الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ لِأَنَّهُ حَرَّفُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ مَوْضِعِهِ) !! **والثانية** : العكس منهم وهو أن بعضهم قديما أنكر وحرم أن يفطر الرجل في السفر أصلا ولم يجز ذلك كما **روى الأثرم في الناسخ والمنسوخ (١٧١/١)** قال : روى سعيد بن أبي أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن كليب بن ذهل عن عبيد بن جبير عن أبي بصرة : أنه أنكر على من صام في السفر وقال : أيرغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : وروى ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن منصور الكلبي عن دحية الكلبي أنه أيضاً أنكر ذلك ، وقال : إن قوماً رغبوا عن هدي محمد صلى الله عليه وسلم . **(قلت)** فهذا ما جعل أهل الحديث يذكرونها في أصول السنة ، وركز البربهاري على قضية التخيير ، أي الوسطية في هذه المسألة ، لأنه عين مخالفة أهل البدع

[٣٧] ولا بأس بالصلاة في السراويل (١) .

= ممن حرم أحد الإختياريين .

(١) جاء في الفروع (٢/٨٠) قال : وَيُسَنُّ السَّرَاوِيلُ وَفِي التَّلْخِيصِ لَا بَأْسَ، قَالَ صَاحِبُ النَّظْمِ: وَفِي مَعْنَاهُ التُّبَّانُ ، وَجَزَمَ بَعْضُهُمْ بِإِبَاحَتِهِ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ خلافا للرعاية) اهـ ، وسرُّ ذكر المؤلف لهذه المسألة لأنها صارت من شعار الخوارج فإنهم أنكروا الصلاة في السروايل كما ذكر الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص٥٣) إذ قال : (وَلَا يصلونَ فِي السَّرَاوِيل وَيَقُولُونَ السَّرَاوِيل جب الفُقّاح) اهـ (**قلت**) الفقاح : جاء في تهذيب اللغة للأزهري (٤/٤٥) وَقَالَ اللَّيْث : الفُقَّاح : من العِطْر ، وَقد يُجعل فِي الدَّوَاء ، يُقال لَهُ : فُقَّاحُ الإِذْخِرِ الْوَاحِدَة فُقَّاحَة ، وَهُوَ من الْحَشِيش ، قلت [الأزهري] : هُوَ نَوْر الإِذْخِرِ إذا تَفَتَّحَ بُرْعومُه ، وكلُّ نَوْر تَفَتَّحَ فقد تَفَقَّح ، وَكَذَلِكَ الْوَرْد وَمَا أشبهه من براعِيم النَّور) اهـ

ويقال إن الأصل في لبس السراويل الإباحة ويقال إن أول من لبسها هو إبراهيم عليه السلام ، ففيما **روى الكرماني في مسائله (١٢٧٢)** عن ابن عَبَّاس قال : « لَمَّا اتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خَليلًا قيل : وارِ عن الأرض عَورَتَك » قال : « فاتَّخَذَ السَّراويلات ».

روى ابن أبي شيبة (٢٥٣٧٢) عَنْ وَاصِلٍ مَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ قَالَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ : إِنَّكَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيَّ ، فَإِذَا صَلَّيْتَ فَلاَ تُرِ الأَرْضَ عَوْرَتَكَ ، وَاتَّخِذْ سَرَاوِيلاً .

ومما يدل على الإباحة الحديث المشهور في الحاج قيل فيه "**إذا لم يجد إزار يلبس السراويل**" .

وروى النسائي (٩٠٩٢) وابن ماجه (٣٥٧٩) وغيرهم بسند جيد عَنْ سُوَيْدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : « **أَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاوَمَنَا سَرَاوِيلَ** » وبوب له ابن ماجه [بَابُ لُبْسِ السَّرَاوِيلِ] **وفي رواية النسائي** : فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِمِنًى، وَوَزَّانٌ يَزِنُ بِالْأَجْرِ فَاشْتَرَى مِنَّا سَرَاوِيلَ، فَقَالَ لِلْوَزَّانِ : زِنْ وَأَرْجِحْ .

وروى عبد الرزاق (١٤٦٧٣) وابن أبي شيبة (٢٥٣٦٨) عَنْ العلاء الحضرمي قَالَ : خَطَبَنَا عَلِيٌّ بِالْكُوفَةِ وَعَلَيهِ سَرَاوِيلُ.

وروى أيضا (٢٥٣٦٩) عَنْ الشعبي والحسن كانوا يلبسون السراويل .

وروى أبو عبيد في الطهور (٢٦) والبيهقي في السنن (٢٠٩) والشعب (٢٤٨٧) عن أبي هريرة لبسه وفي سنده ضعف .

وروى أبو يعلى (٥٦٧) بسند ضعيف عن ابن أبي ليلى قال : قَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيًّا كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ عَلَيْهِ سَرَاوِيلُ .

وروى البخاري في الأدب المفرد (٣٤٦) وأبو داود في الزهد (٢٥٥) وابن أبي الدنيا في التواضع (١٤٧) وأبو نعيم في الحلية عن سلمان كان يلبسه سراويل .

وروى ابن أبي شيبة (٢٥٣٧٣)عَنْ أَبِي خَلْدَةَ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ عَلَيهِ سَرَاوِيلُ قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ قَالَ : إِنَّهَا مِنْ لِبَاسِ الرِّجَالِ.

ويروى عن عمر شبه كراهة للسراويل **فقد روى ابن أبي شيبة (٢٥٣٦٦) عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ومن طريق أبي مجلز (٢٥٣٧١)** قَالَ : جَاءَ كِتَابُ عُمَرَ : أَنْ أَلْقُوا السَّرَاوِيلاَتِ ، وَالْبَسُوا الأُزُرَ .

وروى أحمد في فضائل الصحابة (٨٠٩) عن عثمان أنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا إسلام .

قَالَ الشافعي : وَأَقَلُّ مَا يَكْفِي مِنَ الْكِسْوَةِ كُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ كِسْوَةٍ مِنْ عِمَامَةٍ ، أَوْ سَرَاوِيلَ ، أَوْ إِزَارٍ ، أَوْ مُقَنَّعَةٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ) [وذكره في الأم (٧/٦٨) ومختصر المزني (٨/٤٠٠) والبيهقي في المعرفة (١٩٠٦٩)].

لكن الذي يشكل على هذا أن يقال أنه رويت أحاديث وآثار فيها كراهة الصلاة في السراويل وحدها خاصة من ذلك :

روى ابن أبي شيبة (٢٥٢١٨) وأبو داود (٦٣٦) بسند لابأس به عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ : نَهَى عَنْ لِبْسَتَيْنِ ، وَعَنْ مَجْلِسَيْنِ ، أَمَّا اللِّبْسَتَانِ **فَتُصَلِّي فِي السَّرَاوِيلِ لَيْسَ عَلَيْكَ شَيْءٌ غَيْرُهُ** .. "

ويشبهه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُصَلِّي أَحَدُنَا فِي الثَّوْبِ الواحد ؟ قال : إذا وسع اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَوْسِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ جَمَعَ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ صَلَّى رَجُلٌ فِي إِزَارٍ وَرِدَاءٍ فِي إِزَارٍ وَقَمِيصٍ فِي إِزَارٍ وَقَبَاءٍ فِي سَرَاوِيلَ

وَقَمِيصٍ فِي سَرَاوِيلَ وَرِدَاءٍ فِي سَرَاوِيلَ ...) [البخاري (٣٦٥)] .

وروى أحمد (٢٢٢٨٣) والطبراني في "الكبير" (٧٩٢٤) وغيرهم بسند صحيح عن أبي أمامة قال : قلنا يا رسول الله أن أهل الكتاب يسرولون ولا يأتزرون قال : تسرولوا واتزروا وخالفوا أهل الكتاب."

وروى عبد الرزاق في مصنفه (١٤٠١) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ قُلْتُ لَهُ : أَفَيُصَلِّي الرَّجُلُ فِي السَّرَاوِيلِ وَحْدَهَا ؟ فَقَالَ : لَا إِلَّا أَنْ لَا يَجِدَ غَيْرَهَا ».

وجاء في النوادر والزيادات للقيرواني (٢٠١/١) : ومن (المجْمُوعَة) قال أَشْهَبُ في بابِ الأذانِ : ومَنْ صَلَّى في تُبَّان أو سَراويل أعادَ في الوَقْتِ . وقال ابنُ القاسمِ : ومن صَلَّى بسراويلَ أو بمِئْزَرٍ قام على الثِّيابِ فلا يُعِيد .

وقال أَشْهَبُ في بابِ ما يُصَلَّى به : ومَنْ صَلَّى في مِئْزَر أو بِسَراوِيلَ أو قميصٍ قصيرٍ وهو إمامٌ أو غيرُ إمامٍ فصلاتُهُ تامَّةٌ إنْ كان صَفِيقًا ، فإنْ كان يَشِفُّ أعادَ في الوقْتِ ، وكذلك العُرْيَانُ ، وإنْ لم يَبْلُغِ القميصُ رُكْبَتَيْه أو يبلُغُهما إلاَّ أنَّه إذا سجدَ انكشفَتْ عورَتُه أو فَخِذَاهُ فَلْيُعِدْ في الوقْتِ) .

(**قلت**) ألتمس من ظاهر هذه الروايات كأن السروال في زمنهم كان فيه علة كأن يكون يكشف العورة أو شفافا أو ضيقا أو نحو هذا وإلا فما الذي كرهوه فيه !! وإلا أجازت الصلاة فيه ، أو أن الكلام عن التمام لا عن الإجزاء ، فإن أَحْمَدُ قال : السَّرَاوِيلُ أَسْتُرُ مِنْ الْإِزَارِ ، ولهذا قال الكرماني : قلت لإسحاق : فصلي في سراويل وحده ، هل يعيد ؟ قال : السراويل والإزار عندي واحد. [مسائل حرب (١٢٧٢)].

وفي المغني لابن قدامة (٤١٥/١) قال : وَذَكَرَ الْقَاضِي ، أَنَّهُ نُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ ، مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِشَرْطٍ ، وَأَخَذَهُ مِنْ رِوَايَةِ مُثَنَّى بْنِ جَامِعٍ ، عَنْ أَحْمَدَ فِيمَنْ صَلَّى وَعَلَيْهِ سَرَاوِيلُ ، وَثَوْبُهُ عَلَى إحْدَى عَاتِقَيْهِ ، وَالْأُخْرَى مَكْشُوفَةٌ : يُكْرَهُ. قِيلَ لَهُ: يُؤْمَرُ أَنْ يُعِيدَ؟ فَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ إعَادَةً) اهـ .

ومثله ما ذكره المزني في المختصر (١٠٩/٨) عن الشافعي قال : وَأُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ فِي قَمِيصٍ وَرِدَاءٍ وَإِنْ صَلَّى فِي إزَارٍ وَاحِدٍ ، أَوْ سَرَاوِيلَ أَجْزَأَ ، وَكُلُّ ثَوْبٍ يَصِفُ مَا تَحْتَهُ وَلَا يَسْتُرُ لَمْ تُجْزِئْ الصَّلَاةُ فِيهِ) اهـ .ويساعد هذا القول هذا ما رواه ابن أبي شيبة (٢٥٣٧٥) بسند جيد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : **كُلْ مَا شِئْتَ ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْك خلتان : سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ**) وروي مثل هذا مرفوعا بسند لا بأس به عن عبد الله ابن عمرو .

وإباحة الصلاة الصلاة بالسراويل مباحة على هذا التفصيل : بشرط أن يكون السروال فضفاضا واسعا لا ضيقا يحجم العورة وأن يسترها ، ويكون فوق الكعبين ، ولا يشبه لباس العجم ، لا كما هي سراويل الكثير من المصلين في هذه الأيام ، بل إن بعض أهل العلم أبطل صلاة من يصلي في سروال ضيق يكشف ويحجم عورة الرجل ساجدا راكعا.

ومما عجائب هذه المسألة أن أبا حنيفة أوجب الدم على من لبس السراويل في الحج ولو بعذر !! [راجع ما ذكره عبد الله في السنة (٢٩٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٢٥٩)]

[٣٨] والنفاق أن تظهر الإسلام [باللسان] وتخفي الكفر [بالضمير] (٢).

(٢) وهذا تعريف مشهور بين السلف وأهل الحديث ، وقد ردت عدة آثار تبين تعريف المنافق فمن أوائل من عرفه من الصحابة حذيفة رضي الله عنه وهو خبير في وصف النفاق والمنافقين :

روى الفريابي في صفة النفاق (٦٥) وأبو نعيم في صفة النفاق (١٢٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٢٨) عَنْ أَبِي الْمِقْدَامِ ثَابِتِ بْنِ هُرْمُزَ عَنْ أَبِي يَحْيَى قَالَ : سُئِلَ حُذَيْفَةُ : مَنِ الْمُنَافِقُ ؟ قَالَ : **الَّذِي يَصِفُ الْإِسْلَامَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ** .

وروى الفريابي في صفة المنافقين (٤٧) وابن بطة في الإبانة (٩١٠) عن الْحَسَنُ قال : مِنَ النِّفَاقِ اخْتِلَافُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَاخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَاخْتِلَافُ الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ)

وكلام البربهاري هذا اتبع فيه أحمد لما ذكره في عقيدته ، في رواية عبدوس العطار **في طبقات الحنابلة (١/٢٤٥)** قال أحمد : والنفاق هو الكفر أن **يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية** مثل المنافقين الذين كانوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ

وذكرها أيضا في رواية محمد بن عوف كما في **طبقات الحنابلة (١/٣١١)** إلا أنه زاد فيه : فمن أظهر منهم الكفر قتل)

وقد قال أبو نعيم في مقدمة كتابه صفة المنافقين (ص٣٢) عن المنافق : يدخل في الإسلام بلفظه من حيث يعلم وَيسمع وَيخرج منه بعقده وَطويته ، من حيث لا يرى وَلا يعلم ، كدخول اليربوع من باب يعرف وَيرى وَخروجه من باب لا يعلم وَلا يوقف عليه) اهـ . (**قلت**) واليوم عندنا نفاق في شكل آخر وانتشر بقوة مع خفاءه وهو أخطر أنواع النفاق : وهو أن يعمل الإنسان بما ظهر من شرائع الإسلام الظاهرة من التلفظ بالشهادة وإظهار الصلاة والفرائض مع جهله بمعنى الإسلام والكفر بالشرك وأهله بمعنى (لا يفهم معنى الكفر بالطاغوت الذي كلفه الله أن يكفر به) فهذا من أخطر أنواع النفاق الإعتقادي الخفي وقد أشار إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففي **كتاب صفة النفاق للفريابي (٢٦)** عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أَصَابِعِي هَذِهِ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُنَافِقُ الْعَلِيمُ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُنَافِقُ الْعَلِيمُ ؟ قَالَ: عَالِمُ اللِّسَانِ **جَاهِلُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ** . (**قلت**) فمن كان على هذا الوصف ، فهذا وإن أعطيناه في أحكام الدنيا اسم المسلم أي (الحكم الظاهر) فذلك إنما هو جُنّة له في الدنيا عن القتل والسلب ، لا ينفعه ذلك يوم القيامة ما دام على هذا الوصف ، كما روى أبو نعيم في صفة النفاق (١٣٧) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ جَابِرًا : " أَكُنْتُمْ تَعُدُّونَ الذُّنُوبَ شِرْكًا ؟ فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ **وَلَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مُنَافِقًا مُشْرِكًا ، وَلَمْ نَكُنْ نَرَى فِي الْمُصَلِّينَ شِرْكًا**) فنحن لا نحكم بالكفر ولا نسمي المنافق مشركا أو كافرا في أحكام الدنيا ما لم يظهر شيئا من النواقض ، ولكننا نعلم أنه لا ينفعه إسلامه الظاهر يوم القيامة إذا لم يفهم صفة الكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله ، وهذا الصنف جاء في الأثر أنه سيكثر في آخر الزمان الذي نحن فيه ووردت عدة آثار تبين ذلك منها :

فقد روى أبو نعيم في كتاب صفة النفاق برقم (١٠٨) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَسْتَخْفِي الْمُؤْمِنُ فِيهِمْ ، كَمَا يَسْتَخْفِي الْمُنَافِقُ فِيكُمُ الْيَوْمَ » .

وفيه أيضا (١٠٩) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُوشِكُ أَنْ يُصَلُّوا فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِي مَسَاجِدِهِمْ ، فَلَا يَكُونُ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ »

وروى الفريابي في كتاب صفة النفاق (٥٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٣٣) عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : اللَّهُمَّ أَهْلِكِ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : لَوْ هَلَكُوا مَا انْتَصَفْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ .

وروى ابن أبي شيبة (١٥/٨٨) عن حذيفة قال: (يأتي على الناس زمان لو اعترضتهم في الجمعة نَبْلٌ ما أصابت إلا كافراً) .

وروى ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (١٠١) والفريابي (١٠١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ)

وروى الفريابي (١٠٩) عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ : قِيلَ لِلْحَسَنِ : يَا أَبَا سَعِيدٍ الْيَوْمَ نِفَاقٌ ؟ قَالَ : لَوْ خَرَجُوا مِنْ أَزِقَّةِ الْبَصْرَةِ لَاسْتَوْحَشْتُهُمْ فِيهَا . **وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٣٧)** عن مَالِكَ بْنُ دِينَارٍ قال : « أُقْسِمُ لَوْ نَبَتَ لِلْمُنَافِقِينَ أَذْنَابٌ مَا وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ أَرْضًا يَمْشُونَ عَلَيْهَا »

وروى في الإبانة (٩٣٦) عن الشَّعْبِيِّ والحسن قَالَا : « لَوْلَا الْمُنَافِقُونَ لَاسْتُوحِشْتُمْ فِي الطُّرُقَاتِ »

(قلت) ولا يكثر عددهم بهذا الشكل إلا أن يظهروا الإسلام ويبطنوا الكفر ، ومن صوره اليوم ، الجهل بالكفر بالطاغوت فتأمل هذا الملحظ المهم ، **ومن أشكال المنافقين أيضا** : هؤلاء الأشعرية (الجهمية) التي تتزعم الإسلام وتخفي الزندقة والكفر بحيل الكلام الملفق ، مثل قولها بأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ، فإذا اغتر بها العوام أنها على السنة ، لفقت الكلام وقالت بكل نفاق وخبث : لكنه عبارة بلا صوت ، وقالوا إن الله في السماء بظاهر قول أهل السنة ثم قالوا بقهره فقط لا بذاته **!!** فأخفوا الكفر بأول كلامهم ، وأظهروا الزندقة في آخره ، وهذا هو النفاق الأكبر.

قال الدارمي في الرد على الجهمية (ص٢١٢) : وَالزِّنْدِيقُ مُعَطِّلٌ لِلَّهِ ، جَاحِدٌ بِالرُّسُلِ وَالْكُتُبِ ، وَمَا يُعْرَفُ فِي الْإِسْلَامِ زَنَادِقَةٌ غَيْرُ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ ، وَأَيُّ زَنْدَقَةٍ بِأَظْهَرَ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ الْإِسْلَامَ فِي الظَّاهِرِ، وَفِي الْبَاطِنِ يُضَاهِي قَوْلُهُ فِي الْقُرْآنِ قَوْلَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ الَّذِينَ رَدُّوا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالُوا : {**إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ**}وَ{**إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**} [الأنعام: ٢٥] وَ{**إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**} [المدثر: ٢٥] كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ سَوَاءٌ : **إِنْ هَذَا إِلَّا مَخْلُوقٌ** ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَيْضًا أَئِمَّةٌ سَوْءٍ أَقْدَمُ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ ، وَهُمْ عَادٌ قَوْمُ هُودٍ، الَّذِينَ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ، إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [الشعراء: ١٣٧] فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْجَهْمِيَّةِ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى نَجْبُنَ عَنْ قَتْلِهِمْ وَإِكْفَارِهِمْ ؟) اهـ .

جَاءَ فِي الْمُوَطَّأ (٧٣٦/٢) : معنى قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم فِيمَا نرى وَالله أعلم: "مَنْ غَيَّرَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ". قال مالك : أَنه من خرج عَن الْإِسْلَامِ إِلَى غَيْرِهِ ، مِثْلُ الزَّنَادِقَةِ وأشباههم، فَإِن أُولَئِكَ إِذْ ظهر عَلَيْهِم ، قتلوا وَلم يستتابوا لِأَنَّهُ لَا تُعْرَفُ تَوْبَتُهُمْ **وَأَنَّهُمْ كَانُوا يسرون الْكفْر ويعلنون الْإِسْلَام** ، فَلَا أَرَى أَنْ يُسْتَتَابَ هَؤُلَاءِ وَلَا يقبل مِنْهُم قَوْلهم ، وَأما مَنْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى غَيره وَأظْهر ذَلِك ، فَإِنَّهُ يُسْتَتَاب فَإِن تَابَ وَإِلَّا قتل".

ولي في باب النفاق مصنف خاص جمعت فيه كل أحاديث وآثار الواردة في النفاق بجميع تفاصيله وهو باسم : [**كتاب النفاق الكبير**] يسر الله إتمامه .

[٣٩] واعلم أن الدنيا دار إيمان وإسلام(١) فأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم [وذبائحهم] والصلاة عليهم ، ولا تشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بجميع شرائع الإسلام ، فإن قصر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتى يتوب ، واعلم أن إيمانه إلى الله تعالى : تام الإيمان أو ناقص الإيمان ، إلا ما ظهر لك من تضييع شرائع الإسلام (٢).

(١) ومناط الحكم على الديار هو الحكم الذي تحكم به في نظامها وحكمها ، ومما ورد في هذا الباب :

روى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا من المهاجرين ، لأنهم هجروا المشركين ، وكان من الأنصار مهاجرون ، لأن المدينة كانت دار شرك ، فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة)

وفي النوادر للقيرواني (٣/٣٨٣) عن مالك قال : وكره الخروج إلى أرض الحرب فى البر والبحر تجرى عليه أحكامهم.

قال الامام احمد بن حنبل : الدَّار إِذا ظهر فِيهَا القَوْل بِخلق الْقُرْآن وَالْقدر وَمَا يجْرِي مجْرى ذَلِك فَهِيَ دَار كفر) [إعتقاد الإمام المنبل أحمد بن حنبل (ص ١٠٩ – ١١١) ط ابن عفان]

وروى عبد الله في مسائله (٩١٣) حَدثنَا ابو عبد الرَّحْمَن عبد الله بن احْمَد بن مُحَمَّد بن حَنْبَل قَالَ : سَأَلت أبي هَل ترى قوما فِي سَعَة من السُّكْنَى فِي بلد بَينهم وَبَين مددهم من الْمُسلمين بَحر ، وعدوهم فِي جَزِيرَة إلا أنهم ظاهرون عَلَيْهِم فَقَالَ أبي : إن كَانَت أحكام الإسلام ظَاهِرَة عَلَيْهِم ، وَكَانُوا هم أقوى فأرجو أن لَا يكون بذلك بَأْس ، وَإِذَا لم يَكُونُوا كَذَلِك ، فَلَا يسكن بَين ظهراني قوم يحكمون بِغَيْر حكم الاسلام) .

قال ابن القاسم عن مكة قبل الفتح : وكانت الدار يومئذ دار حرب ، لأن أحكام الجاهلية كانت ظاهرة يومئذ ". [ذكره في المدونة (٢/٢٢٢) والبعض يظنه قول مالك وهو وهم منهم !! إنما هو ابن القاسم]

قال أبو يعلى : كل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهى دار الكفر" [المعتمد (ص ٢٧٦)].

وقال ذاك الإسماعيلي في عقيدة أهل الحديث (ص٧٦) : ويرون الدار دار الإسلام لا دار الكفر كما رأته المعتزلة ، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين ، وأهلها ممكنين منها آمنين) اهـ .

وقال ابن قدامة في المغنى (٩/١٨) : (ومتى ارتد أهل بلد وجرت فيه أحكامهم صاروا دار حرب في اغتنام أموالهم وسبي ذراريهم الحادثين بعد الردة وعلى الإمام قتالهم) اهـ .

قال ابن القيم : قال الجمهور دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون وجرت عليها أحكام الإسلام وما لم تجر عليه أحكام الإسلام لم يكن دار إسلام وإن لاصقها) اهـ [من أحكام أهل الذمة (٢/٧٢٨)]

روى أبو نعيم في الحلية (٧/٢١٨) عن ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : « أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ الْعِلْمِ ؟ مَثَلُ الْعِلْمِ مِثْلُ دَارِ الْكُفْرِ ، وَدَارِ الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ تَرَكَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْجِهَادَ جَاءَ أَهْلُ الْكُفْرِ فَأَخَذُوا الْإِسْلَامَ ، وَإِنْ تَرَكَ النَّاسُ الْعِلْمَ صَارَ النَّاسُ جُهَّالًا »

(٢) هذا الجملة وردت عن كثير من السلف تداولوها في كتب الإعتقاد ، وعليها إجماع ، يعني لقوله تعالى : **(يأ يها الذين آمنوا)** في الفرائض والنواهي، وإلا هم متفاوتون في الإيمان ، وملخصها أن الأحكام مبنية على الظاهر في الحكم على الناس إسلاما وكفرا ، ويعاملون بهذا الظاهر في أحكام مواريثهم ونكاحهم وذبائحهم ونحو ذلك ، فممن وردت عنه نحو هذا الكلام :

ما رواه عبد الله في السنة (٦٠٩) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٠٠) وأبو داود في مسائل الإمام أحمد (ص ٢٧٤) والآجري في الشريعة (ص ١٣٨) وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٧٢) عن سُفْيَانَ الثوري قال : « النَّاسُ مُسْلِمُونَ

مُؤْمِنُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَاةِ خَلْفَهُمْ لَا يُحَاسَبُ الْأَحْيَاءُ وَلَا يُقْضَى عَلَى الْأَمْوَاتِ فَنَسْمَعُ بِالشَّدِيدِ فَنَخْشَاهُ ، وَنَسْمَعُ بِاللَّيِّنِ فَنَرْجُوهُ ، وَنَكِلُ عِلْمَ مَا لَا نَعْلَمُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »

وفي رواية عبد الله : « النَّاسُ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ فِي الْأَحْكَامِ وَالْمَوَارِيثِ وَنَرْجُو أَنْ يَكُونُوا كَذَلِكَ وَلَا نَدْرِي مَا حَالُنَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » **وفي رواية الآجري** : ولا ندري كيف هم عند الله عز وجل ونرجو أن نكون كذلك ."

وقد ذكر ابن بطة في الإبانة الصغرى هذا الأثر وعلق عليه فقال : لأن الاستثناء واقع على ما يستقبل ، لأن قول العبد : أنا مؤمن إن شاء الله" معناه : إن قبل الله إيماني وأماتني عليه ، بمنزلة رجل صلى صلاة فقال : قد صليت وعلى الله القبول ، كذلك الحج ، وكذلك إذا صام أو عمل عملا ، فإنما يقع استثناؤه فيه على الخاتمة، وقبول الله إياه ، لا أنه قد شك فيما قد قاله وعمله وقد يرى الرجل يصلي ، فيقال له : صليت ، فيقول : نعم ، إن قُبِلَتْ . .

وروى صالح في مسائله (١٣٥٦) وأبو داود في مسائله (١٧٧٥) وحرب في مسائله (ص ٣٧٤) وعبد اللَّه في السنة (٦٠٩) والخلال في السنة (١٣٥١) والبيهقي في الشعب (٢١٩/١) عن وكيع قال : كان سفيان الثوري يقول أنا مؤمن وأهل القبلة كلهم مؤمنون في النكاح والدية والمواريث ، ولا يقول مؤمن عند الله عز وجل .

وقد وجَّهَ أبو عبيد القاسم بن سلام كلام الثوري وغيره في هذا الباب بقوله : مخافة ما أعلمتكم في الباب الأول من التزكية والاستكمال عند الله ، وأما على أحكام الدنيا فإنهم يسمون أهل الملة جميعاً مؤمنين ، لأن ولايتهم وذبائحهم وشهادتهم ومناكحتهم وجميع سننهم إنما هي على الإيمان . [الإيمان لأبي عبيد (ص:٦٨)]

وفي رواية الشالنجي قال : سألت الإمام أحمد عمن قال : أنا مؤمن عند نفسي من طريق الأحكام والمواريث ، ولا أعلم ما أنا عند الله قال: ليس بمرجئ) ، قال بن تيمية : وبه قال أبو خيثمة وابن أبي شيبة . [الفتاوى (٢٥٣/٧)]

وقال قتيبة بن سعيد : هَذَا قَوْلُ الْأَئِمَّةِ الْمَأْخُوذِ فِي الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ : ... قال وَنَقُولُ النَّاسُ عِنْدَنَا مُؤْمِنُونَ بِالِاسْمِ الَّذِي سَمَّاهُمُ اللَّهُ ، وَالْإِقْرَارُ وَالْحُدُودُ وَالْمَوَارِيثُ وَالْعَدْلُ . [شعار أصحاب الحديث للحاكم (ص٣٠) والبيهقي في الشعب (٢١٩/١)]

وفي زيادة للبيهقي : ولا نقول : حقاً ، ولا نقول : عند الله ولا نقول : كإيمان جبريل وميكائيل لأن إيمانهما متقبل .

روى اللالكائي (١٧٩٧) عن أبي إِسْحَاقَ قَالَ : سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ قُلْتُ : أَتَرَى أَنْ يَشْهَدَ الرَّجُلُ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ ؟ قَالَ : وَمَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قُلْتُ : وَكَيْفَ يَقُولُ ؟ قَالَ: وَيَقُولُ أَرْجُو وَلَكِنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ تَحِلُّ مُنَاكَحَتُهُمْ ، وَذَبَائِحُهُمْ وَتَجْرِي عَلَيْهِمُ الْحُدُودُ وَهُمْ فِي الِاسْمِ عِنْدَنَا مُسْلِمُونَ وَلَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِمْ ، وَلَا أَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجَاةِ ".

ونقل اللالكائي في أصول الإعتقاد (٣٢١) : نقلا عن عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة التي نقلوها عن السلف عامة : (والناس مؤمنون في أحكامهم ، ومواريثهم ، ما هم عند الله – عز وجل – فمن قال : إنه مؤمن حقاً ، فهو مبتدع ، ومن قال : هو مؤمن عند الله ، فهو من الكاذبين ، ومن قال : إني مؤمن بالله فهو مصيب) اهـ .

(**قلت**) وتُذكر عادة هذه المسألة في قضية الإستثناء في الإيمان فراجع فيها للمزيد : [الإبانة الكبرى (٢٦٩/٢) والسنة لعبد الله (٦٣٤) والرد على المبتدعة لابن البناء (٢٥٢) والسنة للخلال (٥٢٣/١) والشريعة (٦٥٦/٢)]

[٤٠] والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة : والمرجوم ، والزاني ، والزانية ، والذي يقتل نفسه ، وغيرهم من أهل القبلة والسكران وغيره ، الصلاة عليهم سنة (١)

---

(١) حكى فيه الإجماع غير واحد من السلف ، منهم ابن سيرين ، خلافا للخوارج والمعتزلة ، ورويت فيه آثار كثيرة من ذلك :

روى بن أبي شيبة في المصنف (١١٨٥٩) عَنْ جَابِرٍ قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنِ الْمَرْأَةِ تَمُوتُ فِي نِفَاسِهَا مِنَ الْفُجُورِ أَيُصَلَّى عَلَيْهَا ؟ فَقَالَ : صَلِّ عَلَى مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ " .

روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ في المصنف (٦٦١٤) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ سَأَلْتُ عَطَاءً عَنْ وَلَدِ الزِّنَا حِينَ يُولَدُ بَعْدَمَا اسْتَهَلَّ أَيُصَلَّى عَلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ قُلْتُ : كَيْفَ وَهُوَ كَذَلِكَ ؟ قَالَ : « مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ » قُلْتُ : فَكَبِرَ فَكَانَ رَجُلَ سُوءٍ ؟ قَالَ: « وَيُصَلَّى عَلَيْهِ » قُلْتُ : فَأُمُّهُ مَاتَتْ فِي نِفَاسِهَا ؟ قَالَ : « فَلَا أَدَعُهَا » وَهُوَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَقَالَ لِي عَطَاءٌ بَعْدَ ذَلِكَ : يُصَلَّى عَلَى وَلَدِ الزِّنَا إِذَا اسْتَهَلَّ ، وَعَلَى أُمِّهِ إِنْ مَاتَتْ مِنْ نِفَاسِهَا ، وَعَلَى الْمُتَلَاعِنَيْنِ ، وَعَلَى الَّذِي يُقَادُ مِنْهُ وَعَلَى الْمَرْجُومِ وَعَلَى الَّذِي يُزَاحِفُ فَيَفِرُّ فَيُقْتَلُ ، وَعَلَى الَّذِي يَمُوتُ مِيتَةَ السُّوءِ قَالَ: « لَا أَدَعُ الصَّلَاةَ عَلَى مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ : قُلْتُ : مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ؟ قَالَ : « فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ؟ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَسَأَلْتُ عَمْرَو بْنَ دِينَارٍ ، فَقَالَ : مِثْلَ قَوْلِ عَطَاءٍ

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٦٦١٥) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : « لَمْ يَكُونُوا يَحْجُبُونَ الصَّلَاةَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ »

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٦٦٢٣) عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : صَلِّ عَلَى مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِنْ كَانَ رَجُلَ سُوءٍ جِدًّا ، قُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ قَالَ : وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ اجْتَنَبَ الصَّلَاةَ عَلَى مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (٦٦٢٤) وابن أبي شيبة في المصنف (١١٨٦٥) واللالكائي (٢٠١٨) عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : مَا أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَا التَّابِعِينَ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ تَأَثُّمًا » **(قلت)** وهذا إجماع عالٍ وصريح .

وروى ابن أبي شيبة (١١٨٦٤) عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: « صَلِّ عَلَى مَنْ صَلَّى إِلَى الْقِبْلَةِ »

وقال أبو إسحاق : **وسألت الأوزاعي قلت** : هل ندع الصلاة على أحد من أهل القبلة وإن عمل بكل عمل ؟ قال : لا قال : وإنما كانوا يحدثون بالأحاديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تعظيما لحرمات الله ولا يعدون الذنب كفرا ولا شركا، وكان يقال: المؤمن حديد عند حرمات الله. [أصول الاعتقاد (٦/ ١١٥٠/٢٠٢٣)]

وَعَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ قَالَ : كَانَ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ يَرَوْنَ أَنْ لَا تُتْرَكَ الصَّلَاةُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ. [رواه في أصول السنة لابن أبي زمنين (ص٢٢٤)]

وقال سهل بن عبد الله التستري : وقيل له متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟ قال : إذا عرف من نفسه عشر خصال وذكر منها : ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب . [أصول الاعتقاد (١/ ٢٠٥/٣٢٤)]

قال ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٢٤) : عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : اَلسُّنَّةُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ ، وَإِنْ مَاتَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ ، وَإِنْ كَانَتْ كَبَائِرَ ، إِذَا كَانَ مُسْتَمْسِكًا بِالتَّوْحِيدِ مُقِرًّا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَإِثْمُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَحِسَابُهُ عَلَى رَبِّهِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا مُؤْمِنٌ بِذَنْبِهِ ، إِنْ شَاءَ اَللَّهُ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ، وَلَا نُخْرِجُهُ بِالذُّنُوبِ مِنْ اَلْإِسْلَامِ ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ بِهَا اَلنَّارَ حَتَّى يَكُونَ اَللَّهُ اَلَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ بِعِلْمِهِ، وَيُصَيِّرُهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، إِلَّا أَنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنَخْشَى عَلَى الْمُسِيءِ اَلْمُذْنِبِ ، بِهَذَا نَدِينُ اَللَّهَ وَبِهِ نُوصِي مَنْ اِقْتَدَى بِنَا وَأَخَذْنَا بِهَدْيِنَا وَهُوَ اَلَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ وَجُمْهُورُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ.) اهـ .[يراجع الآثار في سنن الدارقطني (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠٥) والسنة للالكائي (٣/٣٥٥) والشعب للبيهقي (١١/٤٤٣) والحجة للأصبهاني (٢/٢٨٦) والأوسط لابن المنذر (٥/٤٠٦ ـ ٤٠٨) والمحلى (٣/٤٠١) والمغني (٢/٤١٧) وممن نقل الإجماع أحمد في أصول السنة (ص٦٠) رواية عبدوس وابن المديني في عقيدته كما في الجامع لآل حمدان (ص٤٤٧)]

[٤١] ولا نخرج أحدا من أهل القبلة من الإسلام حتى يرد آية من كتاب الله (١) أو يرد شيئا من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢)

(١) إنَّ ردَّ القرآن أو آية منه أو حرفا منه يعتبر ردة عن الإسلام ، وعلى هذا إجماع الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وفيه آثار كثيرة منها :

روى عبد الرّزّاق في المصنف (٤٧٢/٨) والطبري في مقدمة تفسيره (٢٣/١) واللالكائي في السنة (٣٧٩) والهروي في ذم الكلام (١٧٩) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ وَعِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ عَلَى حَرْفٍ فَلَا يَتَحَوَّلْ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ فَإِنَّهُ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ .

وروى الهروي في ذم الكلام (**١٨١**) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ .

روى سعيد بن منصور في سننه (٩٣٦) وأبو عبيد في الفضائل (رقم ١٤ – ٥٤) وابن أبي شيبة (١٠١٨٥) وابن جرير الطبري في تفسيره (رقم ٥٦) والبيهقي في الشعب (٢٠٧٧) عَنْ شُعَيْبِ بْنِ الْحَبْحَاب عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ : قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَهُ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسٌ إِيمَانُهَا} فَلَمْ يُغَيِّرْ، وَكَانَ لَا يُغَيِّرُ عَلَى أَحَدٍ قِرَاءَةً يَقْرَؤُهَا ، ثُمَّ قَالَ هُوَ:{يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِإِبْرَاهِيمَ ، فَقَالَ: أَحْسَبُ صَاحِبَكُمْ قَدْ بَلَغَهُ أَمْرٌ أَوْ سَمِعَ : أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كلّه.

وروى أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث (**١٠٩/١**) : قال عبد الله بن المبارك : من كفر بحرف من القرآن فقد كفر بالقرآن ، ومن قال : لا أومن بهذه اللام فقد كفر .

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (**٤٩٧**) عن الإمام أحمد قال : من رد آية من كتاب الله فقد كفر .

ونقل الإجماع على هذا غير واحد من أهل العلم من ذلك : ما نقله أبو سعيد خلف بن عمر المعروف بمعلم الفقهاء : إجماع العلماء على أن من ردّ حرفاً من القرآن فقد كفر. [انظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٤٩٠/٢)].

وقال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد (**ص١٥٥**) : ومنكر القرآن العربي وأنه كلام الله كافر بإجماع الفقهاء) اهـ

(**قلت**) ومن هذا تعلم أن الشيعة كفار زنادقة مرتدين لا يشك في كفرهم من شم رائحة الإيمان لكفرهم بالقرآن واعتقادهم التحريف فيه ، وأن من دعا إلى التقارب مع من كفر بالقرآن مثل من دعا للتقارب مع أهل اليهود بل شر منه ، ومن هنا أيضا تعلم سبب تكفير العلماء قديما للقذافي الهالك الطاغية الذي كفر ببعض حروف القرآن وجحدها فكفره أهل العلم بذلك .

(٢) من رد حديثا صحيحا وهو يعلم صحته فرده فهو كافر كما قال غير واحد من السلف ، لأنه تكذيب لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ورد لأمر الله تعالى ، قال تعالى: {**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**} [النساء: ٦٥]. وعلى هذا الإعتقاد درج السلف وورد كلامهم من ذلك :

وسبق ذكر ما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " **من رد السنة كفر** ".

عن الهيثم ابن جميل قال : قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله إن عندنا قوما وضعوا كتبا يقول أحدهم ثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا وفلان عن إبراهيم بكذا، ويأخذ بقول إبراهيم، قال مالك: وصح عندهم قول عمر؟ قلت: إنما هي رواية كما صح عندهم قول إبراهيم، فقال مالك: هؤلاء يستتابون، والله أعلم. [إعلام الموقعين (٢/ ٢٠١)]

(**قلت**) هذا في من عارض قول عمر بمن دونه ، فكيف بمن رد الحديث بلا شيء ؟

وفي ذم الكلام (**١٣/٣**) **عن الشافعي رحمه الله** أنه ذكر يوماً حديثاً عن النبي عليه السلام فقال له إنسان : يا أبا عبد الله ، أتأخذ بهذا الحديث فقال له الشافعي : أرأيت يا هذا علي زناراً خارجاً من كنيسة تسمعني أحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم

وتقول لي : تأخذ به وما لي لا آخذ به إذا صح الحديث عن رسول الله فهو ديني وقولي .

(قلت) يعني من رد الحديث فهو كالنصراني الكافر .

عن الربيع بن سليمان قال سأل رجل الشافعي عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل فما تقول؟ فارتعد وانتفض وقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت بغيره. [الحلية (٩/ ١٠٦) ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧٥) والفقيه والمتفقه (١/ ٣٨٨)]

وقال الربيع : سمعت الشافعي روى حديثا فقال له رجل : نأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال : متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحا ولم آخذ به ، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب وأشار بيده على رؤوسهم. [ذم الكلام (١٠٨) وآداب الشافعي (٦٨و٩٣) والحلية (٩/ ١٠٦) والفقيه والمتفقه (١/ ٣٨٨ - ٣٨٩) ومناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٧٤)]

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٧) واللالكائي في شرح أصول الإعتقاد (٧٣٣) عن أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قال : نَظَرْتُ فِي الْمُصْحَفِ فَوَجَدْتُ فِيهِ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعًا، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣] وَجَعَلَ يُكَرِّرُهَا وَيَقُولُ : وَمَا الْفِتْنَةُ الشِّرْكُ ، لَعَلَّهُ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَزِيغَ فَيُهْلِكَهُ ، وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء : ٦٥] وَقَالَ : وَسَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : « مَنْ رَدَّ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ »

وقال أحمد : كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إسناد جيد أقررنا به ، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره قال الله تعالى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[الروح (ص١٠٤)]

وفي طبقات الحنابلة (١٣٥/٢) عن ابن شاقلا قال : "من خالف الأخبار التي نقلها العدل عن العدل ، موصولة بلا قطع في سندها ولا جرح في ناقليها ، وتجرأ على ردها، فقد تهجم على رد الإسلام لأن الإسلام وأحكامه منقولة إلينا بمثل ما ذكرت".

وذكر محمد بن نصر عن إسحاق بن راهويه أنه قال : من سب رسول الله أو ترك صلاة فرضاً متعمداً حتى خرج وقتها بلا عذر أو رد حديثاً مسنداً صحيحاً بلغه عن رسول الله ، فهو كافر مشرك .

وفي ذم الكلام للهروي (٣٢٣) عن محمد ابْن إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ قَالَ قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ وَحَدَّثَ بِخَبَرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَأْخُذُ بِهِ ؟ فَقَالَ أَتَرَى عَلَى وَسَطِي زِنَارًا !! لَا تَقُلْ لِخَبَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَأْخُذُ بِهِ وَقُلْ أَصَحِيحٌ هُوَ ذَا ؟ فَإِذَا صَحَّ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ بِهِ شِئْتُ أَوْ أَبَيْتُ .

ومن عجائب الآثار ما رواه أبو نعيم في الحلية (٣٢/٦) عن كعب الأحبار قَالَ : أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْرَاةِ .. وذكر كلاما طويلا جاء فيه : (يا مُوسَى بَلِّغْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ رَدَّ عَلَى أَحْمَدَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ وَإِنْ كَانَ حَرْفًا وَاحِدًا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ مَسْحُوبًا) .

(قلت) والأمثلة على رد الأحاديث التي من ردها كفر كثيرة : كرد أحاديث الشفاعة والرؤية والنزول والحوض وعذاب القبر وغيرها كثير مما سبق بيان كفر من ردها في بداية تعليقاتنا على الكتاب وأمرها واضح ، لكن الأخطر هو أنه توجد بعض الآثار التي لها حكم الرفع ، ويحسبها الجاهل هينة ، ومن ردها اعتبره السلف جهميا بل كفروه مثل : حديث مجاهد في الإجلاس فقد **روى الخلال في السنة (٢٤٣)** عن مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ وَاصِلٍ قَالَ: مَنْ رَدَّ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ) ثم روى عن أَبِي بَكْرِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَنْ رَدَّهُ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِفَضِيلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ قال : وَأَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُزَنِيُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَقَالَ: « مَنْ رَدَّ هَذَا فَهُوَ مُتَّهَمٌ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ ، وَزَعَمَ أَنَّ مَنْ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ ثَنَوِيٌّ ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ وَالتَّابِعِينَ ثَنَوِيَّةٌ ، وَمَنْ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ زِنْدِيقٌ يُقْتَلُ »

وفي كتاب الحجة للأصبهاني (٢٠٧/١) عن بَقِيَّة قَالَ لي الْأَوْزَاعِيّ: يَا أَبَا يحمد: مَا تَقول فِي قوم يبغضون حَدِيث نَبِيّهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؟ قَالَ : قلت : قوم سوء قَالَ: لَيْسَ من صَاحب بِدعَة تحدثه عَن رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِخِلَاف بدعته إِلا أبْغض الحَدِيث." **ثم روى عن مخلد ابْن الْحُسَيْن قَالَ** : قَالَ لي الْأَوْزَاعِيّ : يَا أَبَا مُحَمَّد : إِذا بلغك عَن رَسُول الله صَلَّى

أو يذبح لغير الله ، أو يصلي لغير الله ، فإذا فعل شيئا من ذلك ، فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام (١) .

= اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حَدِيث فَلَا تَظن غَيره، فَإِن مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ مبلغا عَن ربه ".

(قلت) ومما ننبه عليه هنا أنه مما يدخل في التكذيب بالآية أو الحديث تأويله وتحريفه عن معناه الظاهر بغير حجة ، كما ذكر أبو القاسم عبد الرحمن ابن منده في رده على الجهمية ، **أن التأويل عند أصحاب الحديث : نوع من التكذيب** .[ذيل طبقات الحنابلة (١/٦٤)]

وقال البخاري في كتاب رفع اليدين (ص٣٢) : فَلْيَحْذَرِ امْرُؤٌ **أَنْ يَتَأَوَّلَ** أَوْ يَتَقَوَّلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]

(قلت) سوى بين الكذب والتأويل .

(١) أخذ هذه الفقرة من أثر لابن مسعود رضي الله عنه **رواه أبو عبيد في الإيمان (٢٩)** وسنده ضعيف قَالَ : **لَا يَبْلُغُ بِعَبْدٍ كُفْرًا وَلَا شِرْكًا حَتَّى يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِهِ**".

وعلى هذا دلت الآيات والنصوص النبوية وعليه كلام أهل العلم فإليك البيان :

وأصل هذا الباب قوله تعالى حين أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : (**قل يا أيها الكافرون**) وقال تعالى : **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة والوثقى** " [البقرة ٢٥٦] ففيه وجوب تكفير من وقع في الشرك الأكبر .

ومثله قوله تعالى أيضا :" **قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار** ".

ومن السنة : روى سعيد بن منصور في سننه برقم [١٢٥] وبن أبي شيبة في المصنف (٦٥٨٠) والبخاري في التاريخ الكبير(٥/٣٥٧) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٣٠٤) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن نوفل الأشجعي عن أبيه قال : قلت : **يا رسول الله ، إني حديث عهد بشرك فمرني بأمر يبرئني من الشرك قال : اقرأ : قل يا أيها الكافرون » فما أخطأها أبي من يوم ولا ليلة حتى فارق الدنيا** . وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٠٤) عن فروة الأشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل : إقرأ " **قل يا أيها الكافرون**" عند منامك فإنها براءة من الشرك .

[قلت] فدله النبي صلى الله عليه وسلم على تكفير المشركين ، من خلال قراءة سورة البراءة من الشرك وأهله ليبرأ من الشرك عامة فمن لم يكفر الكافر المشرك لم يبرأ من الشرك فلينتبه لهذا الأمر الخطير !! .

وروى سعيد بن منصور في تفسيره (١٢٩) وبن الضريس (ص١٢٨) والنسائي في فضائل القرآن (٥٣) وفي عمل اليوم والليلة (٧٠٤) عن أبي الحسن التيمي قال : سمعت رجلا يقول : كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء ، فسمع قارئا يقرأ : قل يا أيها الكافرون ، **فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم** : « **أما هذا فقد برئ من الشرك** »

وروى ابن أبي شيبة وأحمد عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال : **من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه فقد حرم دمه وحسابه على الله** ". وفي لفظ مسلم :" **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله** ..."

وروى عبد الله في السنة (٩٥٧) واللالكائي في السنة (٤/ ٧٧٢ – ٧٧٣/ ١٢٩٢) قَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ خَالِقًا أَوْ رَازِقًا أَوْ قَاضِيًا أَوْ يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا أَوْ نَفْعًا، فَأَخْرَسَ اللَّهُ لِسَانَهُ ، وَجَعَلَ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ هَبَاءً ، وَقَطَّعَ بِهِ الْأَسْبَابَ وَأَكَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ .

وجاء في الإبانة الكبرى (١٦٤٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : من كان يزعم أن مع الله قاضيا أو رازقا أو يملك لنفسه ضرا أو نفعا ، فأخرس الله لسانه وجعل صلواته هباء ، وقطع به الأسباب ، وأكبه على وجهه في النار ، وقال : إن الله عز وجل خلق الخلق وأخذ منهم الميثاق وكان عرشه على الماء .

وإذا لم يفعل شيئا من ذلك ، فهو مؤمن مسلم بالإسم لا بالحقيقة (١) .

= **روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦٩٢)** : قال أبو سليمان : سألت سلمة بن شبيب عن علم الحلواني فقال يرمى في الحش ثم قال : من لم يشهد بكفر الكافر فهو كافر ."

ونقل **بن تيمية في الصارم المسلول (ص٣٣٥) عن محمد بن سحنون المالكي قال** :" أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المنتقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الأئمة القتل ومن شك في كفره كفر ." اهـ

قال السمعاني في قواطع الأدلة (٢/٣٠٨) : إن الدلائل القطعية قد قامت لأهل السنة على ما يوافق عقائدهم فثبت ما اعتقدوه قطعا فحكم ببطلان ما يخالفه قطعا وإذا حكمنا ببطلان ذلك قطعا ثبت أنهم ضلال ومبتدعة ونذكر مشروع هذا الكلام ومدخله على وجه آخر فنقول : إن الاختلاف بين الأمة على ضربين اختلاف يوجب البراءة ويوقع الفرقة ويرفع الألفة واختلاف لا يوجب البراءة ولا يرفع الألفة فالأول كالاختلاف في التوحيد ، من خالف أصله كان كافرا وعلى المسلمين مفارقته والتبرؤ منه وذلك لأن أدلة التوحيد كثيرة ظاهرة متواترة قد طبقت العالم وعم وجودها في كل مصنوع فلم يعذر أحد بالذهاب عنها وكذلك الأمر في النبوة لقوة براهينها وكثرة الأدلة الباهرة الدالة عليها وكذلك كل ما كان من أصول الدين فالأدلة عليها ظاهرة باهرة والمخالف فيه معاند مكابر والقول بتضليله واجب والبراءة منه شرع ، ولهذا قال ابن عمر حين قيل له : إن قوما يقولون : لا قدر فقال : بلغوهم أن ابن عمر منهم برئ وأنهم منى براء وقد استجار مثل هذا التعنيف في الفروع .

ذكر صاحب الإقناع الحنبلي (٤/٢٨٧. ٢٨٩) قال : من لم يكفر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر " .

(**قلت**) وهذا من النواقض المجمعة عليها بين العلماء ، ونقلها ابن عبد الوهاب بحرفها في رسالة نواقض الإسلام العشرة .

وأختم بما في الإبانة الصغرى (٢٢٨) وقال سُليمانُ بنَ قَرْمٍ الضَّبِّيُّ : كنت عند عبد الله بن الحُسين بن الحسن ، فقال له رجُلٌ : أصلحكَ اللهُ ، مِن أهل قبلتِنا أحدٌ **ينبغي أن نشهدَ عليه بشِركٍ** ؟ قال : نعم ، الرَّافضةُ ، أشهُد أنَّهم لمشركون ، وكيف لا يكونوا لقالوا : نعم ؟ مُشرِكين ولو سألتهم : أذنبَ النَّبيُّ وقد غفرَ اللهُ له ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ وما تأخَّرَ ، ولو قلتَ لهم: أذنبَ عليٌّ ؟ لقالوا : لا !! .

(١) هناك فرق بين (الإسلام الحكمي أو الظاهر أو الإسمي) وهي عبارات متقاربة وبين الإسلام الحقيقي كما هو الفرق بين الإسلام والإيمان في النصوص وعند السلف ، وبينهما تشابه كبير ، ولهذا سيقترن الكلام بهذين الموضوعين كثيرا ، والعلة في التشابهة أن الإسلام لما يقترن بالإيمان يصير معناه يتناول الأعمال الظاهرة فقط ، أي الإسلام الظاهر الحكمي ، دون الإعمال الباطنة التي تتناول الكفر بالطاغوت وهو (اعتقاد بطلان عبادة غير الله وبغض الشرك وأهله) وهي أعمال قلبية .

أما التصريح للكفار بتكفيرهم إنما يتعلق بالقدرة لا بأصل الدين ، ومن لم يعرف هذا التقسيم والفرق بين النوعين اختلطت عليه الأحكام والأسماء ، فتجده يحرّف كل النصوص التي وردت في الحكم بالإسلام الظاهر بمجرد الشرائع الظاهرة المتعلقة بالأحكام الدنيوية فقط ، فيصير محرفا للنصوص كالأشعرية والجهمية ، بل أحيانا يكون تحريفا يشبه الجحود للنص !!

ونحن نتكلم عن الحكم الدنيوي فقط (الإسلام) فإن كان المسلم قد أتى بالشرائع الظاهرة لا يكفي للنجاة حتى يدخل الإيمان بالله قلبه ، ويكفر بالطاغوت كما سيأتي في الأدلة التي سأذكر بعضها هنا في هذا الفصل :

١ ـ قال تعالى : (**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**) [الحجرات ٤٩]

قال الشَّافِعِي رحمه الله كما في تفسيره (١٢٨١/٣) : وأخبر اللَّه – عز وجل – عن قوم من الأعراب : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) فأعلم أنه لم يدخل الإيمان في قلوبهم وأنهم أظهروه ، وحقن به دماءهم ، قال مجاهد رحمه اللَّه في قوله : (أَسْلَمْنَا قال : أسلمنا مخافة القتل والسِّباء ، قال : ثم أطلع اللَّه رسوله على قوم يُظهرون الإسلام وُيسرون غيره ، ولم يجعل له أن يحكم عليهم بخلاف حكم الإسلام ، ولم يجعل له أن يقضي عليهم في الدنيا

بخلاف ما أظهروا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) الآية قال : أسلمنا يعني : أسلمنا بالقول بالإيمان مخافة القتل والسباء ثم أخبر أنه يجزيهم إن أطاعوا اللّه ورسوله ، يعني : إن أحدثوا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال مقاتل بن سليمان : فنزلت فيهم قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا يعنى صدقنا ، قل لهم: يا محمد لَمْ تُؤْمِنُوا لم تصدقوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا يعني قولوا أقررنا باللسان واستسلمنا لتسلم لنا أموالنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ يعني ولما يدخل التصديق فِي قُلُوبِكُمْ) اهـ **(قلت)** فسمى الله الإقرار باللسان ـ أي التلفظ بالشهادة ـ إسلاما ، فدل هذا على أنه إسلاما اسمي فقط ، يكون جنة لأنفسهم وأموالهم كما هو حال إسلام المنافقين ، أما الإسلام الحقيقي الذي يتعلق بالنجاة يوم القيامة ففيه أمور إضافية لابد يأتي بها المسلم إسلاما ظاهرا سيتأتي .

٢ ـ : من أوضح الأدلة حديث جبريل المشهور فإنه نص قاطع على أن اسم الإسلام الظاهر يتناول فقط الأعمال الظاهرة ، (الشرائع) الشهادة والصلاة الظاهرة فقط ، ولما سأله عن الإيمان ذكر الأعمال القلبية ، وهذا يدل على التقسيم .

٣ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ الَّذِي أَسَرَ الْعَبَّاسَ أَبُو الْيَسَرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ أَبُو الْيَسَرِ رَجُلًا مَجْمُوعًا وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلًا جَسِيمًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ : يَا عَبَّاسُ افْدِ نَفْسَكَ وَابْنَيْ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ أَحَا أَبِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ ، فَإِنَّكَ ذُو مَالٍ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا وَلَكِنَّ الْقَوْمَ اسْتَكْرَهُونِي ، قَالَ : « اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ ، إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِهِ ، فَأَمَّا ظَاهِرُكَ فَكَانَ عَلَيْنَا ، فَافْدِ نَفْسَكَ » وفي لفظ : وَقَالَ لِلْعَبَّاسِ: " يَا عَبَّاسُ ، افْدِ نَفْسَكَ ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ " أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ، قَالَ: فَأَبَى، وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِي ، قَالَ : " اللهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ ، إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِي حَقًّا ، فَاللهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا ، فَافْدِ نَفْسَكَ "..) [رواه أحمد في مسنده (٣٣١٠) وابن سعدٍ في الطبقات (١٢/٤) والطبري في التاريخ (٤٦٣/٢) وفي تفسيره (٤٩/١٠) والطبراني (١١٣٩٨) والفسوي في المعرفة والتاريخ (٥٠٦/١) وأخرجه الحاكم (٣٢٤/٣) وعنه البيهقي في السنن (٣٢٢/٦) والبيهقي في الدلائل (٤٠٩) وله طرق كثيرة فيها ضعف يشد بعضها بعضا]

٤ ـ عن عبيد اللّه بن عدي ابن الخِيار : أن رجلا سارَّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلم ندر ما سارَّه به حتى جهر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فإذا هو يستأمره (يستأذنه) في قتل رجل من المنافقين فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : « أَلَيْسَ يَشْهَدْ أَنْ لاَ الهَ الاَّ اللّه ؟ » قال : بلى ولا شهادة له قال : أَلَيسَ يُصَلِي ؟ قال : بلى ، ولا صلاة له ، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم : « أُولئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ » [رواه مالك في الموطأ (٥٩٢) وهو متفق عليه]

(قلت) أقره النبي صلى الله عليه وسلم أنه شهادته باطلة قالها بلا فهم ولا اعتقاد لمعناها ومع ذلك أخذ بظاهرها ما دام لم يظهر شركا ، فحكم الصحابي بكفره بسبب جهله بمدلول الشهادة مع أنه لم يظهر شركا ، وحكم النبي صلى الله عليه وسلم بالظاهر (الشهادة والصلاة) وإن كان لا يفهم الشهادة ولا يعلم مقتضاها باطنا ، وهذا يدل على التقسيم .

٥ ـ عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : أعطى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رجالا ولم يعط رجلا منهم شيئا ، فقال سعد : يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ، ولم تعط فلانا شيئا ، وهو مؤمن فقال النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : أو مُسْلِمٌ ؟ حتى أعادها سعد ثلاثا والنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول أوْ مُسْلِمٌ ..) [البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠)]

(قلت) فرق النبي صلى الله عليه وسلم بين الإسمين ، لأن هناك من أسلم ظاهرا ولم يدخل التوحيد في قلبه بعد فدل على الإسلام الحكمي .

٦ ـ قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلِ النَّاس حتى يَقُولُوا لا إلَهَ إلا اللهُ ، فإذَا قالُوا لا إلَهَ إلا اللهُ ، عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُمْ وأمْوالَهُمْ إلا بِحَقِّها وَحِسابُهُمْ على اللهِ" .[متفق عليه]

(قلت) فلاحظ عبارة (حتى يَقُولُوا) و(**فإذا قالوا**) وفي بعض الروايات (**فإذا قالوها**) فعلق الإسلام الظاهر بالقول والإقرار باللسان في الشهادة فقط كما في آية الأعراب التي علقت الإسلام الظاهر الإسمي بالتلفظ بالشهادة ، ثم ذكر الصلاة بعد ذلك

وليست هي محل نزاع بيننا وبين الخوارج ، فعاملهم النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام الإسمي الظاهر في الدنيا مما يدل على أن الإسلام باللسان والظاهر له حكم وتأثير ، لا كما تدعي الخوارج أنه لا شيء حتى يصرح بأشياء !!

ولا يقال إن هذا في العربي الذي يفهم معنى الشهادة باللغة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الحكم في الناس جميعا كما لفظ الحديث (**أمرت أن أقاتل الناس**) والناس لفظ عام يدخل فيه كل أجناس البشر عجما وعربا يهودا كانوا أو نصارى أو مجوس أو وثنين في كل العالم ، لأن رسالته عامة كما هو معلوم ، وهذا الحديث دلالاته قطعية ظاهرة ، فكل من تلفظ بالشهادة يقبل منه الظاهر أيا كانت جنسيته ومكانه ومقامه حتى يظهر عكس ذلك بشيء ظاهر يقين .

٧ - وفي الحديث الصحيح : **مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ** » [أخرجه البخاري (٣٩١)] **في رواية عند أحمد** : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَإِذَا شَهِدُوا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا ، وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا ، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ .

وفي رواية : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَصَلَّى صَلاَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ، فَهُوَ المسْلِمُ ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى المسْلِمِ »

٨ - وورى ابن زنجويه في الأموال (١٠٨) بسند صحيح عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ : مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا وَدَعَا دَعْوَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ ، فَلَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ ، وَمَنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ : عَلَى كُلِّ حَالِمٍ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ دِينَارُ وَافٍ أَوْ قِيمَتُهُ مِنَ الْمَعَافِرِ فِي كُلِّ عَامٍ ."

(**قلت**) هذا الحديث يعتبر أصلا من أصول الإسلام في هذا الباب ، فقد عرف النبي صلى الله عليه المسلم تعريفا شرعيا واضحا لا مقيد ولا مخصص له ، وجعله الحكم الجاري في الشريعة ظاهرا حتى لا يختلف الناس بعده في بيان من هو المسلم ، وقد علق اسم المسلم بالعمل الظاهر فقط .

٩ - وَفِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ « النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلِيًّا يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ وَقَالَ : امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ، ثُمَّ وَقَفَ فَصَرَخَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : قَاتِلْهُمْ عَلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، فَقَدْ عَصَمُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »

قال ابن رجب معلقا كما جامع العلوم والحكم (ص٢٣٠) : فَجَعَلَ مُجَرَّدَ الْإِجَابَةِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ عِصْمَةً لِلنُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَمِنْ حَقِّهَا الِامْتِنَاعُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ بَعْدَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ كَمَا فَهِمَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١٠ - ومن الأحاديث العظيمة في هذا الباب حديث جارية معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أفلا أعتقها ؟ قال : ائتني بها فأتيته بها فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فإنها مؤمنة) **وقال أبو بكر الأثرم** أنه قال لأبي عبد اللّه في الحديث الذي يروى "أعتقها فإنها مؤمنة" قال : ليس كل أحد يقول فيه إنها مؤمنة ، يقولون : أعتقها ، قال : ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال بن علي لا يقول : فإنها مؤمنة ، قال : وقد قال بعضهم : فإنها مؤمنة فهي حين تقر بذلك، فحكمها حكم المؤمنة هذا معناه . [السنة للخلال (١/ ٤٥٥ – ٤٥٦) (٩٩٠ – ٩٩٣)] (**قلت**) هذه الأحاديث تدل على التقسيم دلالة صريحة جدا إلا من عاند وتكبر .

ومن الآثار الجليلة في هذا الباب :

روى الطبري (٣١٤/٢٢) والخلال في السنة (١٠٨٥) بسند صحيح عن الزهري قال : إن الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل .

وروى أبو إسحاق الفزاري في السير (١١٧) قَالَ : وَسَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ عَنِ السَّبْيِ مِنَ الرُّومِ وَالصَّقَالِبَةِ يُصَابُونَ صِغَارًا أَوْ كِبَارًا ، فَقَالَ : مَنْ أُصِيبَ مِنْ سَبْيِ الرُّومِ صَغِيرًا فَلَا يَبِعْهُ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، وَمَنْ أُصِيبَ مِنْ عَبِيدِهِمْ قَدْ بَلَغَ ، وَعَرَفْتَ أَنَّكَ إِنْ أَمَرْتَهُ

بِالْإِسْلَامِ أَسْلَمَ فَمُرْهُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَا تَبِعْهُ مِنْهُمْ. وَمَنْ أُصِيبَ مِنْ عَبِيدِهِمْ قَدْ بَلَغَ، وَلَا يُسْلِمُ إِنْ أَمَرْتَهُ، لَمْ يَلْزَمْكَ أَنْ تَدْعُوَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَبِعْهُ مِنْهُمْ إِنْ شِئْتَ. وَمَنْ أُصِيبَ مِنَ الصَّقَالِبَةِ، أَوِ الْحَبَشِ ، أَوِ التُّرْكِ ، أَوْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ ، أَوْ غَيْرِهِمْ مَنْ لَيْسَ لَهُ دِينٌ يَعْرِفُهُ وَلَا يُفْصِحُ ، وَإِنَّمَا دِينُهُ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْكَ أَجَابَكَ إِلَيْهِ فَهُوَ مُسْلِمٌ ، فَإِذَا مَلَكْتَهُ فَلَا تَبِعْهُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ أُصِيبَ مِنَ الْكِبَارِ فَادْعُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَعَلِّمْهُ ، فَإِنْ أَبَى فَبِعْهُ إِنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَإِسْلَامُهُ أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قُلْتُ : فَإِنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ ذَلِكَ بِقَلْبِهِ ؟ قَالَ : إِذَا قَالَهَا فَهُوَ مُسْلِمٌ ، ثُمَّ تُعَلِّمُهُ بَعْدُ "

(**قلت**) وهذا كلام واضح من الأوزاعي أن هؤلاء الروم والصقالبة يتلفظون بالشهادة دون فهم ، ولا اعتقاد الكفر بالطغوت فيعطى حكم الإسلام الظاهر ابتداءً مادام نطق الشهادة ، ثم بعد إسلامه الظاهر هذا ، يُعلم الإسلام الحقيقي .

وقد أشار الكثير من السلف إلى تقسيم الإسلام إلى حقيقي (ظاهر) وسأذكر بعضهم حتى لا يقال أنه تقسيم مخترع منا :

وسبق معنا قول الْأَوْزَاعِيِّ : .... وَلَكِنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ تَحِلُّ مُنَاكَحَتُهُمْ ، وَذَبَائِحُهُمْ وَتَجْرِي عَلَيْهِمُ الْحُدُودُ وَهُمْ **فِي الِاسْمِ عِنْدَنَا مُسْلِمُونَ** وَلَا نَدْرِي مَا يَصْنَعُ اللَّهُ بِهِمْ وَلَا أَشْهَدُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّجَاةِ ".

(**قلت**) فأشار الأوزاعي على الإسلام الظاهر (الإسمي) الذي تجري عليه الأحكام ظاهرا.

وسبق قول قتيبة بن سعيد : وَنَقُولُ النَّاسُ عِنْدَنَا **مُؤْمِنُونَ بِالِاسْمِ** الَّذِي سَمَّاهُمُ اللَّهُ ، وَالْإِقْرَارُ وَالْحُدُودُ وَالْمَوَارِيثُ وَالْعَدْلُ .

روى أبو بكر المقرئ في ذم الكلام عن مُحَمَّدَ بْنَ عَقِيلِ بْنِ الْأَزْهَرِ الْفَقِيهَ يَقُولُ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمُزَنِيِّ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَكْرَهُ هَذَا ، بَلْ أَنْهَى عَنْهُ ، كَمَا نَهَى عَنْهُ الشَّافِعِيُّ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ : (سُئِلَ مَالِكٌ عَنِ الْكَلَامِ وَالتَّوْحِيدِ فَقَالَ مَالِكٌ : مُحَالٌ أَنْ يُظَنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَلَّمَ أُمَّتَهُ الاسْتِنْجَاءَ وَلَمْ يُعَلِّمْهُمُ التَّوْحِيدَ !! ، وَالتَّوْحِيدُ مَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) فَمَا عُصِمَ بِهِ الدَّمُ وَالْمَالُ **فَهُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ**) اهـ

وبوب البخاري في صحيحه (١٩) : [**باب اذا لم يكن الإسلام على الحقيقة** وكان الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره (إن الدين عند الله الإسلام)] (**قلت**) فهذا تقسيم واضح من البخاري للإسلام إلى حقيقي واسمي ، ثم بوب بقوله (باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يُكَفَّرُ صاحبها إلا بارتكاب الشرك .

وقال الحافظ ابن منده مبوبا في كتابه الإيمان (١/١٩٨) : [ذكر ما يدل على أن قول لا إله إلا الله ، **يوجب اسم الإسلام** ويحرم مال قائلها ، ودمه].

(**قلت**) وبدَّع أهلُ الحديث مَنْ أنكر الإسلام الظاهر ولم يُثبت التعامل مع الناس إلا بالإسلام الحقيقي وهذه بعض النقول عن الإمام أحمد وإسحاق في هذه القضية المهمة جدا :

فهذه نقول نقلها الخلال في كتاب أحكام أهل الذمة والرد على الزنادقة وهي نقول في غاية الأهمية ، سأنقلها بتمامها :

قال الخلال : - حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن علي ، قَالَ : حَدَّثَنَا مهنا ، قَالَ : سألت أحمد عن رجل من أهل الذمة يهودي أو نصراني ، أو غير ذلك من الأديان يقول : أنا مسلم ، وإن محمدا نبي ؟ قَالَ : هو مسلم ، ثم قَالَ : أما أنا فكنت أجبره عَلَى الإسلام ، وَقَالَ: عجبا لأبي حنيفة بَلَغَنِي عنه أنه يقول : لا يكون مسلما حتى يقول : أنا بريء من الكفر الَّذِي كنت فِيهِ ، وإلا فلا يكون مسلما ولا يجبر عَلَى الإسلام حتى يقول : وإني بريء من الكفر .

قال : أَخْبَرَنِي محمد بن أبي هارون ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن أبي هاشم ، قَالَ : دفع إلي فوزان شيئا من مسائل أبي عبد الله ، قَالَ سألته ، قَالَ : قُلْتُ : اليهود يقول بعضهم : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فَقَالَ : إذا لم يرد الإسلام ، أما إذا جاء ليسلم ، فشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وصلى ، فأي إسلام أتم من هذا ؟ أليس يروى عن النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قَالَ" : **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم** " ؟

قال الخلال : بسنده عن إسحاق بن منصور ، قَالَ : سألت أحمد عن الرجل يعرض عَلَيْهِ الإسلام ، يقر ويشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، أيرثه وارثه من الإسلام ؟ قَالَ : نعم ، ومن نقل غير هذا ، هؤلاء فِي مذهبهم لا ينبغي أن يكون هكذا ، ولكن العجب ، أي ، لا يدفعون..

قال الخلال : أَخْبَرَنَا أبو بكر المروذي قَالَ : دخلت عَلَى أبي عبد الله وعنده يهودي ، قد أسلم عَلَى يديه ، فقلت له : ما قلت يا عبد الله ؟ قَالَ : قُلْتُ : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتؤمن بالبعث ، والجنة والنار . **ثم قَالَ أبو عبد الله** : هؤلاء أصحاب أبي حنيفة ، يقولون : لا يكون مسلما حتى يقول : إني خارج من اليهودية ، داخل الإسلام .

وَقَالَ أبو عبد الله : النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعمه " : أدعوك إلى كلمة أشهد لكبِهَا عند الله : لا إله إلا الله ، وأني رسول الله " واحتج بأحاديث ليس فِيهَا ما ذكره ، يعني ، أصحاب أبي حنيفة – وأخرج أحاديث.

وَقَالَ المروذي فِي موضع آخر : سمعت أبا عبد الله يقول : كنت عند أبي معاوية ، فَقَالَ له رجل : إن أبا حنيفة يقول : إذا أسلم الذمي لا يكون مسلما حتى يقول : إني خارج من الكفر ، داخل فِي الإسلام !! فأنكر أبو معاوية ، وجعل لا يصدق ، وأراه قَالَ : فأرسل إلى رجل من أصحاب أبي حنيفة فإذا هو كما قَالَ الرجل)

قال الخلال : فقلنا له : قَالَ ذاك عندنا رجل بطرطوس ، فقال فِيهِ ابن شيبويه : رأيته قد أسلم ، وَقَالَ غيره : لا حتى يقول : برئت من النصرانية ، وتركت ديني ، فَقَالَ :سبحان الله ! لقد قَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لرجل : قل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله فأسلم بذاك .ثم قَالَ :كل من نظر فِي رأي أبي حنيفة إلا كان دغل القلب يذهب إليه.

قال الخلال : أَخْبَرَنِي عبد الله بن مُحَمَّد ، قَالَ : حَدَّثَنَا بكر بن مُحَمَّد ، عن أبيه ، قَالَ : قَالَ أبو عبد الله : أصحاب أبي حنيفة يقولون : وهو بريء من دينه ، وإلا فلا يكون مسلما.

قَالَ أبو عبد الله : إذا قَالَ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، إذا جاء يريد الإسلام فهو مسلم ، وأما إذا قَالَ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وهو لا يريد الإسلام لم أجبره.

قال : أَخْبَرَنِي محمد بن أبي هارون ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن أبي هاشم ، قَالَ : دفع إلي فوزان شيئا من مسائل أبي عبد الله ، قَالَ سألته ، قَالَ : قُلْتُ : اليهود يقول بعضهم : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .فَقَالَ : إذا لم يرد الإسلام. أما إذا جاء ليسلم ، فشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وصلى ، فأي إسلام أتم من هذا ؟ أليس يروى عن النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أنه قَالَ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم ؟

قال الخلال : حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن علي ، قَالَ : حَدَّثَنَا مهنا ، قَالَ : سألت أحمد عن رجل من أهل الذمة يهودي ، أو نصراني ، أو غير ذلك من الأديان يقول : أنا مسلم ، وإن محمدا نبي ؟ قَالَ : هو مسلم ، ثم قَالَ : أما أنا فكنت أجبره عَلَى الإسلام.

وَقَالَ : عجبا لأبي حنيفة بَلَغَنِي عنه أنه يقول : لا يكون مسلما حتى يقول : أنا بريء من الكفر الَّذِي كنت فِيهِ ، وإلا فلا يكون مسلما ولا يجبر عَلَى الإسلام حتى يقول : وإني بريء من الكفر.

قال الخلال أيضا : بسنده عن إسحاق بن منصور قَالَ : قلت لإسحاق بن راهويه : جاء رجل من أهل الذمة ، فَقَالَ : اعرض علي الإسلام قَالَ : فإن السنة فِي ذلك أن يعرض عَلَيْهِ يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأقر بما جاء من عند الله ، وبرئت من كل دين سوى دين الإسلام ، فهذا العرض التام الَّذِي أجمع العلماء عَلَى قبول ذلك ، وصيروه دخولا فِي الإسلام ، وبراءة من الشرك ، فإذا اقتصر العارض عَلَى المشرك الإسلام عَلَى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فهذا دخول فِي الإسلام ، وإذا كان ذلك عَلَى معنى الدخول فِي الإسلام كما قَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حين دخل عَلَيْهِ مدارس اليهودي ، فعرض عَلَى اليهودي الإسلام قَالَ هذا فلما قَالَ مات اليهودي ، قَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " صلوا عَلَى صاحبكم."

وإنما احتطنا أن يكون الَّذِي يعرض عَلَى الذمي الإسلام يعرض عَلَيْهِ الخصال الأربع ، لأن لا يكون عَلَيْهِ خلاف من العلماء ، وَقَالَ أبو عبد الله : النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول لعمه أبي طالب : " أدعوك إلى كلمة : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله."وَقَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، للغلام اليهودي : " يا غلام ، قل : لا إله إلا الله ، وأني رسول الله " وجعل أبو عبد الله ينكر قول أبي حنيفة ، وكذلك المروذي ، ثم بين عنه المشكاني وفوزان أنه إذا قَالَ هذا وقد جاء يريد الإسلام ، فهو المعمول بِهِ إن رجع قبل ، وصحح إسلامه بمجيئه يريد الإسلام إذا قَالَ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله. وأما قول أبي حنيفة يقول : إني خارج من كذا ، داخل فِي كذا ، وأنكره أبو عبد الله ، واحتج بالأحاديث فِي الإنكار عَلَيْهِ ، فعلى هذا مذهب أبي عبد الله ، وإليه أذهب ، وأما إذا صلى وشهد قَالَ : أنا مسلم ، فهذا أوكد ، فإن أبى استتيب ثلاثا ، فإن تاب وإلا قتل) اهـ .

(**قلت**) هذا ما نقله الخلال في كتاب أحكام أهل الذمة من نصوص عن أحمد وإسحاق وهي واضحة إلا من أبى واستكبر وركب رأسه وهواه ، ومن أراد مزيدا من التوسع والتفصيل في مذاهب السلف وأهل الأثر فقد جمعت كل ما ورد في هذا الباب في كتابي [**الجواب الباهر ورد بدعة التكفير بالعموم بقبول الإسلام الظاهر**] وهو منشور بالقناة لمن أراده .

[٤٢] وكل ما سمعت من الآثار [شيئا] مما لم يبلغه عقلك(١) نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن (٢) » وقوله إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا (٣) » وينزل يوم عرفة (٤) ، وينزل يوم القيامة (٥) ، وأن جهنم لا تزال يُطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه (٦).

---

(١) **سبق الكلام عن مثل هذه الفقرة وأضيف هنا ما نقله الأصبهاني في الحجة (١/ ٣٢٠ – ٣٢٢) عن أبي المظفر السمعاني أنه قال** : واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول ، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول ، وأما أهل السنة قالوا : الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي ، وعن الأنبياء ، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء ، ولو كان الدين بني على المعقول لجاز للمؤمنين أن لا يقبلوا شيئا حتى يعقلوا ، ونحن إذا تدبرنا عامة ما جاء في أمر الدين من ذكر صفات الله، وما تعبد الناس به من اعتقاده، وكذلك ما ظهر بين المسلمين، وتداولوه بينهم، ونقلوه عن سلفهم، إلى أن أسندوه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ذكر عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، وصفات الجنة ، وصفات النار وتخليد الفريقين فيهما، أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها، فإذا سمعنا شيئا من أمور الدين، وعقلناه، وفهمناه، فلله الحمد في ذلك والشكر ، ومنه التوفيق ، وما لم يمكنا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به ، وصدقنا ، واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته ، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته، وقال الله تعالى في مثل هذا: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** } وقال تعالى {**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**}.اهـ

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤) وأحمد (١٦٨/٢) من حديث عبد الله بن عمرو .

(٣) البخاري (٢٩/٣ . الفتح) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة .

(٤) التوحيد لابن منده (١٤٧/١) وأبو الفرج الثقفي في الفوائد (٩٢/١ ـ ٧٨/٢) واللالكائي (٧٥١) والبغوي في شرح السنة (١٥٩/٧) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢٨/٢) وابن حبان في صحيحه (٢٤٨) – موارد) ، وأخرجه أبو يعلى في المسند (٦٩/٤–٧٠) وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح (٢٦٣/٤) وابن حبان في صحيحه (٣٨٥٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٧٧٤) وفي فضائل الأوقات (١٨١) والبغوي في شرح السنة (١٥٩/٧) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٧٧) وابن عبد البر في التمهيد (١٢٠/١) جميعهم من طريق عن أبي الزبير عن جابر. ولفظه " إذا كان يوم عرفة ، إن الله ينزل إلى سماء الدنيا .. " الحديث . **قال ابن منده** : (هذا إسناد متصل حسن من رسم النسائي) اهـ . ونقله بن رجب في اللطائف (٢٨١) وأقره .
قال أبو الفرج الثقفي بعد تخريجه : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيِّ ، وَإِسْنَادُهُ مُتَّصِلٌ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ أَثْبَاتٌ. وَمَرْزُوقٌ هَذَا هُوَ أَبُو بَكْرٍ مَرْزُوقٌ مَوْلَى طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَاهِلِيُّ ثِقَةٌ ، رَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ ، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ، وَمَعْمَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الأَئِمَّةِ ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ تَدْرُسَ الْقُرَشِيُّ الْمَكِّيُّ، ثِقَةٌ مُحْتَجٌّ بِهِ فِي الصَّحِيحِ، وَأَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ السُّلَمِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، الصَّحَابِيِّ ابْنِ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مِنْ شَرْطِ مُسْلِمٍ) اهـ (**قلت**) وقد تداوله أهل الحديث في كتب العقائد وتلقوه بالقبول ولم يتكلموا في ابن الزبير أو في عنعنته هنا كما فعل ذاك الألباني الذي أفسد الكثير أحاديث العقائد وضعفها !! فقال عن هذا الحديث ضعيف لعنعنة ابن الزبير هكذا بسهولة وبدون تعب !! وهل كل عنعنة لابن الزبير يعتبر ضعفا !؟ .

(٥) ورد هذا بالقرآن والسنة كنصوص مجيئ الله وإتيانه يوم القيامة في القرآن ، أما نزوله فراجع الرد على الجهمية (ص٧٢ ـ ٧٥)

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٥٩٤/٧ ـ فتح) ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس .

وقول الله تعالى للعبد: «إن مشيت إليّ هرولت إليك (١) **»**

وقوله « إن الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) رقم (٧٥٣٧) تعليقا ووصله مسلم في صحيحه (٢٦٧٥) هذا الحديث من أحاديث الصفات عند كثير من أهل الحديث ، ولهذا أثبه على ظاهره جمع منهم :

قال أبو إسحاق الحربي في غريب الحديث (٢/٦٨٤) بعد أن أورد حديث أبي هريرة: (قوله : هَرْوَلَة) : مشيٌ سريع) اهـ.

قال الإمام الدارمي في كتابه النقض (١/٥٦١) : "**وقد أجمعنا** على أن الحركة والنزول والمشي **والهرولة** والاستواء على العرش وإلى السماء قديم، والرضى، والفرح والغضب والحب، والمقت ، **كلها أفعال في الذات للذات** ، وهي قديمة ."

قال أبو إسماعيل الهروي في الأربعون في دلائل التوحيد (ص٧٩) : (باب الهَرْوَلَةِ لله عزَّ وجلَّ) ثم أورد الحديث .

وقال أبو موسى المديني في المجموع المغيث (٣/٩٦) في الحديث عن الله تبارك وتعالى : (من أتاني يمشي ، أتيته هَرْوَلَة) وهي مشي سريع بين المشي والعدو) اهـ.

(**قلت**) وهو ظاهر صنيع البخاري رحمه الله حيث أورد الحديث في كتاب التوحيد من صحيحه وهذا الكتاب ذكره مقرراً صفات الباري سبحانه ، ويؤكد هذا إيراده له في الرد على أهل التعطيل ، وقد تأول ابن قتيبة في تأويل هذه الصفة في كتابه تأويل مختلف الحديث (١/٢٢٤) ونقل الترمذي كلاما غريبا بصيغة التمريض عن الأعمش أنه فسر الحديث بالمغفرة والرحمة **!!** قال الترمذي : "ويروى عن الأعمش في تفسير هذا الحديث: من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً يعني : بالمغفرة والرحمة ، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا : إنما معناه يقول إذا تقرب إلي العبد بطاعتي وما أمرت أسرع إليه بمغفرتي ورحمتي) اهـ

روى الآجري في شريعة الفرقة الناجية (٣/٣٣٧) قال ابن نمير : فقلت للأعمش من يستشنع هذا الحديث فقال إنما أراد في الإجابة) وذكرها البيهقي في الأسماء والصفات وعلق عليها بقوله : والذي في آخر روايتنا أظنه من قول الأعمش . اهـ

(**قلت**) والأعمش أحد رجال السند ، لو ثبت هذا لا يستلزم نفي أصل الصفة ، إنما زاد عليه معنى أثر الصفة والله أعلم ، وهذا مثل ما قال حرب الكرماني في مسائله عن أحمد وإسحاق : "سمعت إسحاق يقول في حديث النبي عليه السلام: (من تقرب إلى الله شبرًا تقرب الله إليه باعًا) قال : يعني من تقرب إلى الله شبرًا بالعمل تقرب الله إليه بالثواب باعًا "

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص١٣١) : ومن فهم من شيء من هذه النصوص تشبيها أو حلولا أو اتحادا ، فإنما أتي من جهله ، وسوء فهمه عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله بريئان من ذلك كله .."

(٢) ذكر المؤلف عدة أحاديث في صفة النزول وهو من الفوارق بين أهل السنة والجهمية ، وفي إثبات هذه الصفة آثار منها :

روى الذهبي في العرش (١٦٧) عن عن حماد بن سلمة : أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل فقال : من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه .

وسأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال : يا أبا إسماعيل ، الحديث الذي جاء « ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا » قال : حق كل ذلك كيف شاء الله) اهـ [سنده صحيح أخرجه العقيلي (١/١٤٣) والخلال كما في درء التعارض (٢/٢٤) والذهبي في العرش (ص٢٢٩)]

قال الفضيل بن عياض : (وكل هذا : **النزول** ، والضحك ، وهذه المباهاة ، وهذا الإطلاع ، **كما يشاء أن ينزل** ، وكما يشاء أن يباهي وكما يشاء أن يضحك ، وكما يشاء أن يطلع ، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف ، فاذا قال الجهمى : أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل : بل أومن برب يفعل ما يشاء) اهـ.[اللالكائي (ص٤٥٢) وعلقه البخاري في خلق أفعال العباد (٦١)]

روى ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١١٣) عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ : كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ اَلْمَشَايِخِ : مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَعِيسَى وَابْنِ اَلْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ كَانُوا يَقُولُونَ : **اَلنُّزُولُ حَقٌّ** .

قال يحيى بن معين : إذا قال لك الجهمي : كيف ينزل ؟ فقل : كيف صعد) اهـ. [رواه ابن بطة في الإبانة (١٦١) واللالكائي في السنة (٧٧٦)]

وقال ابن وضاح : (سألت يحيى بن معين عن التنزل ؟ فقال : أقر به ولا تحد فيه بقول . [رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١١٣)]

روى الحاكم بإسناده عن أحمد بن سعيد بن إبراهيم بن عبدالله الرباطي قال : (حضرت مجلس الأمير عبدالله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق ابن إبراهيم، يعني ابن راهويه ، فسئل عن حديث النزول : أصحيح هو ؟ قال : نعم فقال له بعض قواد عبد الله : يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ قال : نعم قال : كيف ينزل ؟ فقال له إسحاق : أثبته فوق حتى أصف لك النزول ، فقال الرجل : أُثبته فوق ، فقال إسحاق : قال الله عز وجل: { **وجاء ربك والملك صفا صفا** } [الفجر٢٢] فقال الأمير عبد الله : يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة !! فقال إسحاق : أعز الله الأمير ، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ [عقيدة السلف للصابوني (٤٤) والذهبي في العلو (ص١٣٢)]

قال الكوسج في مسائله (٣٢٩٠) : قلت لأحمد : ينزل ربنا وجل كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا" أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ قال أحمد : صحيح ، وقال إسحاق بن راهويه : ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي) .

وقال أحمد بن الحسين بن حسان : قيل لأبي عبد الله : إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ؟ قال : نعم ، قيل له : وفي شعبان كما جاء الأثر ؟ قال : نعم. [إبطال التأويلات (١/٢٦٠)]

في الإبانة الكبرى (١٨٤) قال حنبل بن إسحاق : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي : « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا » فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ونصدق بها ولا نرد شيئا منها إذا كانت أسانيد صحاح ، ولا نرد على رسول الله قوله ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، حتى قلت لأبي عبد الله «ينزل الله إلى سماء الدنيا» قال : قلت : نزوله بعلمه أم بماذا ؟ فقال لي : اسكت عن هذا مالك ولهذا ، أمض الحديث على ما روي بلا كيف ولا حد ، إنما جاءت به الآثار ، وبما جاء به الكتاب قال الله عز وجل: {فلا تضربوا لله الأمثال} [النحل٧٤] ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شيء علماً، لا يبلغ قدره واصف ولا ينأى عنه هرب هارب) اهـ.

قال الدرامي في "الرد على المريسي" في تحقيق نزول الله بنفسه : (فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته ... إلى أن قال : وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان) اهـ

قال والد أبي حفص بن شاهين : حضرت أبا جعفر الترمذي ، فسئل عن حديث النزول ، فقال : (النزول معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) اهـ [تاريخ بغداد (١/٣٦٥) والسير (١٣/ ٥٤٧) مختصر العلوّ (ص٢٣٢)]

قال ابن خزيمة : (باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة ، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه، من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح : أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا، الذي أخبرنا نبينا أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل) اهـ.

(**قلت**) ونقل الإجماع على هذا غيرهم مثل الآجري وابن بطة والصابوني وابن أبي زمنين وعبد العني المقدسي وغيرهم كثير من أهل الحديث .

[مسألة خلو العرش] جماهير السلف على أن الله تعالى ينزل ولا يخلو منه العرش ، وعلى هذا توارد كلام السلف من ذلك :

سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال : "يا أبا إسماعيل ، الحديث الذي جاء "**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**" يتحول من

وقوله « إن الله خلق آدم على صورته » (١) .

= مكان إلى مكان ؟ فسكت حماد بن زيد ، ثم قال : هو في مكانه يقرب من خلقه كيف يشاء" [العقيلي في الضعفاء (١٤٣/١) **بسند صحيح**]

وقال أحمد في رسالته إلى مسدد : إن الله عز وجل ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا ولا يخلو منه العرش) [ذكره في إبطال التأويلات لابن أبي يعلى (٢٦١/١)]

عن إسحاق بن راهويه : دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث ؟ تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ؟ قلت : نعم ، رواها الثقات الذين يروون الأحكام ، فقال: ينزل ويدع عرشه ؟ فقلت : يقدر أن ينزل من **غير أن يخلو منه العرش** ؟ قال: نعم ، قلت : فلم تتلكم في هذا ؟) [ورواه اللالكائي (٤٥٢/٣) البيهقي في الصفات (٣٨٦/٢) والذهبي في العلو (ص١٣٢) **بسند صحيح**]

(قلت) وقد زلَّ في هذه المسألة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق بن منده ، فقال ينزل ويخلو منه العرش ، ولم يقل بهذا القول غيره وقد هُجِر بسببه حتى قال ذاك الذهبي في السير (١٣/ ٤٦٠) : أَطلق عِبَارَاتٍ بَدَّعهُ بَعْضُهم بِهَا)

وهناك قول ثالث في هذه المسألة غريب ، قال أصحابه : نثبت نزولاً ، ولا نعقل معناه هل هو بزوال (خلو عرش) أو بغير زوال وهذا ظاهر قول ابن بطة وعبد الغني المقدسي وغيرهما .[راجع الروايتين والوجهين (ص٥٢-٥٧) والإبانة الصغرى (ص٢٤٠) والإقتصاد للمقدسي (ص١١٢) وشرح حديث النزول (ص١٦١) مختصر الصواعق (٢٥٤/٢)] .

(١) لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** » [أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٦٧٤٨)]

(قلت) كان فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام أن الله خلق آدم على صورة الرحمن ، فأهل التوحيد والسنة استقبلوا هذا الحديث بمحبة وتسليم وانقياد ، وأثبتوا معناه دون تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وأجروه مجرى أحاديث الصفات ، وليس هو بأعجب من إثبات القدم والأصابع والساق وغير ذلك لرب العالمين على ما يليق بجلاله ، وقد قال ابن تيمية : هذا الحديث لم يكن بين السلف في القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله ، فإنه مستفيض من طرق متعددة من عدة من الصحابة ، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك . [بيان تلبيس الجهمية (٣٥٦/٢)] وهذا الحديث كان ولا يزال فتنة للعلماء قبل طلبة العلم ، وقد كان قديما عند السلف لا يرده إلا جهمي ، واليوم صار من أثبته يعتبرا مشبها كما يدعي زعماء الإرجاء والتجهم !! ولقد زل فيه الكثير من أهل السنة قبل أهل التجهم والأشعرية ، وكان أهل الحديث والأثر من السلف يتداولون هذا الحديث في كتب العقائد والسنة دون تأويل أو تحريف ، حتى زل فيه من زل فاغتر بهم بعض من لا يفهم سبب تأويل الجهمية لهذا الحديث ، وإليك ما قاله السلف في هذا الحديث الخطير فنقول باختصار :

روى عبد الله في السنة (١٠٥٣) حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : سَمِعْتُ الْحُمَيْدِيَّ ، وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ: هَذَا الْحَقُّ وَهَذَا الْحَقُّ وَيَتَكَلَّمُ بِهِ وَابْنُ عُيَيْنَةَ سَاكِتٌ ، قَالَ أَبِي : مَا يُنْكِرُ قَوْلَهُ كَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ "

وروى الخلال عن المروذي قال : سمعت أبا عبد الله يقول :لقد سمعت الحميدي بحضرة سفيان بن عيينة ، فذكر هذا الحديث "**خلق الله آدم على صورته**" فقال : من لا يقول بهذا فهو كذا وكذا ، يعني من الشتم ، وسفيان ساكت لا يرد عليه) .اهـ

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٩٨) عن أبي طالب قال : سمعت أبا عبد الله – يعني أحمد بن حنبل– يقول :من قال : إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهميٌّ ، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه) .اه

وقال المروذي : أظن أني ذكرت لأبي عبد الله عن بعض المحدِّثين بالبصرةِ أنه قال : قول النبي : "خلق الله آدم على صورته " قال : صورة الطين قال : هذا جهميٌّ ، وقال: نسلِّم الخبر كما جاء) اهـ

وروى ابن بطة برقم (١٩٧) عن إسحاق بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ : قُلْتُ لِأَحْمَدَ : **لَا تُقَبِّحُوا الْوُجُوهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ** أَلَيْسَ تَقُولُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ ؟ قَالَ أَحْمَدُ : صَحِيحٌ ، قَالَ ابْنُ رَاهَوَيْهِ : صَحِيحٌ وَلَا يَدَعُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ) اهـ

روى الآجري في الشريعة (٦٩٧) وَحَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ الطَّيَالِسِيُّ ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ الْكَوْسَجُ قَالَ : قُلْتُ لِأَحْمَدَ يَعْنِي ابْنَ حَنْبَلٍ: يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ ، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، أَلَيْسَ تَقُولُ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ ؟ وَيَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَعْنِي رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ ؟ وَلَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى وَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ ، وَإِنَّ مُوسَى لَطَمَ مَلَكَ الْمَوْتِ قَالَ أَحْمَدُ : «كُلُّ هَذَا صَحِيحٌ » ، قَالَ إِسْحَاقُ: « هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَا يَدْفَعُهُ إِلَّا مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَعِيفُ الرَّأْيِ »

وروى الآجري أيضا (٧٢٦) حَدَّثَنَا أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ كُرْدِيٍّ قَالَ: نا أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَرُدُّهَا الْجَهْمِيَّةُ فِي الصِّفَاتِ وَالْإِسْرَاءِ وَالرُّؤْيَةِ وَقِصَّةِ الْعَرْشِ ؟ فَصَحَّحَهَا وَقَالَ : « قَدْ تَلَقَّتْهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ ، تُسَلَّمُ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْمَرْوَزِيُّ : وَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُثْمَانُ ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَسْتَأْذِنَانِهِ أَنْ يُحَدِّثَا بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَرُدُّهَا الْجَهْمِيَّةُ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: حَدِّثُوا بِهَا ، قَدْ تَلَقَّتْهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: تُسَلَّمُ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قِيلَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ كَمَا جَاءَتْ ، وَنُؤْمِنُ بِهَا إِيمَانًا ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَكِنْ نَنْتَهِي فِي ذَلِكَ إِلَى حَيْثُ انْتُهِيَ لَنَا ، فَنَقُولُ مِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ كَمَا جَاءَتْ) اهـ .

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٤٤/٧) : بَابُ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ بِلَا كَيْفٍ قَالَ الشَّيْخُ : وَكُلُّ مَا جَاءَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَصَحَّتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَفَرْضٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَبُولُهَا، وَالتَّصْدِيقُ بِهَا، وَالتَّسْلِيمُ لَهَا، وَتَرْكُ الِاعْتِرَاضِ عَلَيْهَا، وَوَاجِبٌ عَلَى مَنْ قَبِلَهَا، وَصَدَّقَ بِهَا أَنْ لَا يَضْرِبَ لَهَا الْمَقَايِيسَ، وَلَا يَتَحَمَّلَ لَهَا الْمَعَانِيَ وَالتَّفَاسِيرَ لَكِنْ تَمُرُّ عَلَى مَا جَاءَتْ وَلَا يُقَالُ فِيهَا: لِمَ؟ وَلَا كَيْفَ؟ إِيمَانًا بِهَا وَتَصْدِيقًا، وَنَقِفُ مِنْ لَفْظِهَا وَرِوَايَتِهَا حَيْثُ وَقَفَ أَئِمَّتُنَا وَشُيُوخُنَا، وَنَنْتَهِي مِنْهَا حَيْثُ انْتَهَى بِنَا، كَمَا قَالَ الْمُصْطَفَى نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَا مُعَارَضَةٍ، وَلَا تَكْذِيبٍ، وَلَا تَنْقِيرٍ، وَلَا تَفْتِيشٍ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَإِنَّ الَّذِينَ نَقَلُوهَا إِلَيْنَا هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا إِلَيْنَا الْقُرْآنَ وَأَصْلَ الشَّرِيعَةِ، فَالطَّعْنُ عَلَيْهِمْ، وَالرَّدُّ لِمَا نَقَلُوهُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ طَعْنٌ فِي الدِّينِ، وَرَدٌّ لِشَرِيعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَالْمُنْتَقِمُ مِنْهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ) اهـ

قال الآجري في الشريعة (١٠٦/٢) بعد روايته لحديث الصورة : هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ، ولا يقال كيف ؟ ولم ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصدق، وترك النظر ، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين) اهـ

ويقول ابن قتيبة : (والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصورة ليست بأعجب من اليدين، والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد) [تأويل مختلف الحديث ص: ٢٦١]

(قلت) ومما يخنق الجهمية أكثر ، هي آثار بن عباس التي طالما أزعجتهم فمما روي عنه في هذا الباب :

ما رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٩١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : غَضِبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَتْلُونَهُ مِنْهُ فَلَمَّا نَزَلَ الْحَجَرُ قَالَ: « اشْرَبُوا يَا حَمِيرُ » فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : " أَنْ يَا مُوسَى تَعَمِدُ إِلَى خَلْقٍ مِنْ خَلْقِي خَلَقْتُهُمْ عَلَى مِثْلِ صُورَتِي فَتَقُولُ لَهُمْ : يَا حَمِيرُ ؟ " فَمَا بَرِحَ مُوسَى حَتَّى أَصَابَتْهُ عُقُوبَةٌ .

روى أبو يعلى في إبطال التأويلات (٦٩) وقد روي عن ابن عباس ما دل أن الهاء راجعة عَلَى الرحمن ، ذكره إسحاق بن بشر القرشي فِي كتاب المبتدأ بإسناده ، عن ابن عباس ، أن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن مسائل منها : أخبرني عن أكرم رجل عَلَى الله ، فانفذ بها معاوية إلى ابن عباس فقال : أكرم رجل عَلَى الله آدم خلقه بيده ، ونحله صورته ، ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته .

وفي طبقات الحنابلة أيضا (٢/٩٠) قال عبد الوهاب الوراق : من لم يقل أن الله خلق آدم على صورة الرحمن فهو جهمي) .
الأجيال الثلاثة المتعاقبة على رد الحديث : قبل أن تأتي فرقة من أهل الحديث يحرفون الحديث ويؤولونه على طريقة الجهمية وقع وهم صغير عند الإمام مالك في هذا الحديث ، فإنه لم يصله بسند صحيح عنده فلما وصله من طريق واحدة وهي رواية بن عجلان وكان لا يرضى به مع أنه ثقة حافظ ، توقف في صحة الحديث ورده متوهما أن ابن عجلان تفرد به !! فصار هو أول من يقع عنده إشكال في سند هذا الحديث قبل أن تنبت فئة تثبته وتحرفه وإليك حقيقة ما جرى :
حديث بن عجلان الذي في الصحيحين الذي اتفق الحفاظ على صحته ، وظن مالك أن ابن عجلان تفرد به ، وغلط رحمه الله كما سيأتي ، لكن لم يضعف الحديث من باب التأويل والتحريف الذي سلكته الجهمية في رد الحديث ، إنما رده من باب ضعف السند عنده فقط ، فهو معذور ، وإلا لو صح عنده لما تأخر في قبوله ، فلا حجة في هذا للجهمية والمرجئة اليوم ، أما جواب عن تضعيف الإمام مالك رحمه الله الذي لا شك في وهمه وغلطه باتفاق الحفاظ لأنه تفرد بتضعيف حديث الصحيحين فنقول : **أما عن توثيق كلام مالك عنه** : **قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ العُقَيْلِيُّ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللهِ بنِ ذَكْوَانَ في الضعفاء (٣/٢١٩ - ٢٢٠) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٢٨/٦١) وابن عدي كما في السير (٧/١٧٣)** : قال حَدَّثَنَا مِقْدَامُ بنُ دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا الحَارِثُ بنُ مِسْكِيْنٍ ، وَابْنُ أَبِي الغَمْرِ ، قَالاَ: حَدَّثَنَا ابْنُ القَاسِمِ قَالَ: سَأَلْتُ مَالِكاً عَمَّنْ يُحَدِّثُ بِالحَدِيْثِ الَّذِي قَالُوا: "**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُوْرَتِهِ**" فَأَنْكَر ذَلِكَ إِنْكَاراً شَدِيْداً ، وَنَهَى أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ أَحَدٌ فَقِيْلَ إِنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَتَحَدَّثُوْنَ بِهِ قَالَ : مَنْ هُم ؟ قِيْلَ : ابْنُ عَجْلاَنَ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ فَقَالَ : لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ابْنُ عَجْلاَنَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ وَلَمْ يَكُنْ عَالِماً ، وَلَمْ يَزَلْ أَبُو الزِّنَادِ عَامِلاً لِهَؤُلاَءِ حَتَّى مَاتَ ، وَكَانَ صَاحِبَ عُمَّالٍ يَتْبَعُهُم) اهـ .
وروى ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٥) وَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَد اَلْعتْبِي عَنْ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ عَنْ عبد الرحمن بْنِ اَلْقَاسِمِ أَنَّهُ قَالَ : وَكَانَ مَالِكٌ يُعَظِّمُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدٌ بِهَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ اَلَّتِي فِيهَا: أَنَّ اَللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ وَضَعَّفَهَا) اهـ
(قلت) قد كفانا الجواب ذاك الذهبي عن جوابه فقال في السير (٦/١٦٤) عند ترجمة أبي الزناد قال في جوابه عن مالك : قُلْتُ : الخَبَرُ لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ ابْنُ عَجْلاَنَ ، بَلْ وَلاَ أَبُو الزِّنَادِ ، فَقَدْ رَوَاهُ : شُعَيْبُ بنُ أَبِي حَمْزَةَ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، وَرَوَاهُ: قَتَادَةُ ، عَنْ أَبِي أَيُّوْبَ المَرَاغِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَرَوَاهُ : ابْنُ لَهِيْعَةَ ، عَنِ الأَعْرَجِ ، وَأَبِي يُوْنُسَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَوَاهُ : مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَصحَّ أَيْضاً مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ وَقَدْ قَالَ إِسْحَاقُ بنُ رَاهُوْيَه عَالِمُ خُرَاسَانَ : صَحَّ هَذَا ، عَنْ رَسُوْلِ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَذَا الصَّحِيْحُ مُخَرَّجٌ فِي كِتَابَيْ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ، فَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنُفَوِّضُ ، وَنُسلِّمُ ، وَلاَ نَخُوضُ فِيْمَا لاَ يَعْنِيْنَا ، مَعَ عِلْمِنَا بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيْعُ البَصِيْرُ) اهـ .
وقال أيضا في السير (٧/١٧٣) ردا على مالك : (قُلْتُ) : أَنْكَرَ الإِمَامُ ذَلِكَ ، لأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ ، وَلاَ اتَّصَلَ بِهِ ، فَهُوَ مَعْذُورٌ ، كَمَا أَنَّ صَاحِبَي "الصَّحِيْحَيْنِ" مَعْذُورَانِ فِي إِخرَاجِ ذَلِكَ – أَعْنِي : الحَدِيْثَ الأَوَّلِ وَالثَّانِي– لِثُبُوتِ سَنَدِهِمَا ، وأما الحديث الثالث ، فلا أعرفه بِهَذَا اللَّفْظِ فَقَوْلُنَا فِي ذَلِكَ وَبَابِهِ : الإِقرَارُ وَالإِمْرَارُ وَتَفْوِيضُ مَعْنَاهُ إِلَى قَائِلِه الصَّادِقِ المَعْصُومِ) .[يراجع الفتاوى (٦/٦٢٠) فيه نفس هذا الجواب]
الجيل الأول ممن تأول حديث الصورة : ومن أوائل من ضل في هذا الحديث أبو ثور وقد رموه السلف بالتجهم بعدما أوّله مع أن أبا ثور فقيه من كبار أصحاب الشافعي : روى أبو طالب قال : قال لي أحمد بن حنبل: صح الأمر على أبي ثور. من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟!
وروى الخلال عن أبي طالب من وجهين قال : سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول: من قال إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟! [أنظر إبطال التأويلات (١/٩٣) وميزان الإعتدال (١/٦٠٣)]
وروى الخلال عن المروذي قال : أظن أني ذكرت لأبي عبدالله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال: على صورته أي صورة الطين قال: هذا جهمي نسلم الخبركما جاء .

وقال محمد بن جعفر سألت عبد الوهاب الوراق – من كبار أصحاب أحمد – عن أبي ثور فقال : أتدّين فيه بما حدثني أبو طالب عن أبي عبدالله أنه قال : يُجفى وُيجفى من أفتى برأيه. وقال عبدالوهاب غير مرة : أبو ثور جهمي ، وقال مرة : ما أدين فيه إلا بقول أحمد يُهجر أبو ثور ومن قال بقوله.

وفي طبقات الحنابلة (١/٢٣٦) : إِبْرَاهِيم بْن أبان الموصلي عنده عَنْ إمامنا مسائل: منها قَالَ: سمعت أبا عبد اللَّه وجاءه رجل فقال: إني سمعت أبا ثور يقول إن اللَّه خلق آدم عَلَى صورة نفسه فأطرق طويلا ثم ضرب بيده عَلَى وجهه ثم قَالَ: هذا كلام سوء هذا كلام جهم هذا جهمي لا تقربوه .

(**قلت**) لكن صحت توبة أبي ثور من تأويل حديث الصورة والحمد لله :

ففي كتاب نفح الطيب (**٥/٢٩٠**) **وقوت القلوب** (**١/٢٨٧**) نقل من كتاب المحاضرات للمقرئ قال : بلغ أحمد أن أبا ثور قال في الحديث " خلق الله آدم على صورته " إن الضمير لآدم ، فهجره ، فأتاه أبو ثور ، فقال أحمد : أي صورة كانت لآدم يخلقه عليها كيف تصنع بقوله " خلق الله آدم على صورة الرحمن " فاعتذر إليه ، وتاب بين يديه.

(**قلت**) ويدل على صحة هذه التوبة ، أن أبا ثور لما مات ، حضر جنازته عبد الله بن أحمد فلما سأله أحمد أين كنت قال : رجعت من جنازة ابي ثور فقال أحمد رحمه الله كان فقيها ...

الجيل الثاني ممن تأول حديث الصورة : ثم أظهر ابن خزيمة تحريف حديث الصورة وهو دون أبي ثور في العلم والمنزلة وأنكر ذلك عليه علماء عصره وعدوا ذلك من زلاته الكبار وإن لم يبلغوا في الإنكار عُشر إنكار السلف لأنه ما يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه.

وقد نقل بن تيمية في (**أجوبة الفتوة المصرية**) عن الشيخ أبي الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي أنه قال في كتابه {الفصول في الأصول} قوله :" فأما تأويل من لم يُتابعه عليه الأئمة فغير مقبول ، وإن صدر ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول ، نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن خزيمة تأويل الحديث " خلق آدم على صورته ...) اهـ .

ونقل بن تيمية أيضاً عن الحافظ أبي موسى المديني فيما جمعه من مناقب الإمام الملقب بقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي صاحب كتاب {الترغيب والترهيب} قال : سمعته يقول :أخطأ محمد بن إسحاق بن خزيمة في حديث الصورة ، ولا يطعن عليه بذلك ، بل لا يؤخذ عنه فحسب ، قال أبو موسى أشار بذلك إلى أنه قلَّ من إمام إلا وله زلة ، فإذا تُرك ذلك الإمام لأجل زلته تُرك الكثير من الأئمة وهذا لا ينبغي أن يفعل) اهـ

(**قلت**) بل ينبغي التشديد على ابن خزيمة وتلامذته جدا فإنهم فتقوا في السنة مدخلا ـ وإن كان بلا قصد ـ للتمييع في من بعدهم ، فهو ارتكب ثلاث محذورات في هذا الحديث أكثر مما جاء به أبو ثور ، مع أن القصاب الذي نقل عنه ابن تيمية حاول أن يشكك في نسبته لابن خزيمة وأن مزور عليه ، لكن تتابع مدرسة ابن خزيمة على هذا يقوي نسبته إليه ، وعلى كل حال سواء ثبت عنه ذلك أم لا ، فهو كلام خطير من ثلاث أوجه هي :

أولا : تضعيفه لحديث بن عمر الذي صححه السلف فهذه أول مخالفة .

ثانيا : تحريف معنى الحديث الذي في الصحيحين على طريقة الجهمية .

ثالثا : لم يكتفي بذلك كله حتى طعن فيمن أثبته وقال بما يقتضيه من الصفة ، أي أنه طعن في جميع السلف وهو لا يشعر .

(**ثم انقطع الحبل**) وتتابع بعض من لم يعرف مذهب السلف وشدة تعاملهم مع من حرَّفه على طريقة الجهمية.

فتأوله ابن منده في كتابه التوحيد ، وادعى خلاف السلف في تأويله ثم حرفه بكلام سيئ جدا على طريقة الجهمية في تحريفه ولم أر من تصدى للرد عليه وبيان أنه ضل في هذا الحديث !! .

ثم وقع فيه أبو الشيخ الأصبهاني من أهل الحديث ، حيث نقل فتوة شاذة مقلوبة عن أحمد نسب إليه أنه حرف حديث الصورة !! حتى هجره بعض أهل الحديث بسبب نشره لتلك الرواية المكذوبة على أحمد وقد تصدى للرد عليه أبو طالب المكي فيما حكاه أبو يعلي الحنبلي **قال أبو يعلى في إبطال التأويلات** (**٧٦**) : وقد ذكر أَبُو مُحَمَّد بن حيان الأصبهاني فِي مجموع له

فِي التفسير فِي سورة حم عسق بخط أَبِي مالك المكي ، فقال صاحب الكتابة ، عن حمدان بن الهيثم المديني، سمعت أَبَا مسعود يَقُول: قَالَ أَحْمَد بن حنبل: معنى قَالَ أَبُو طالب المكي: هَذَا توهم عن أَحْمَد إنما هَذَا قول أَبِي ثور فذكر ذَلِكَ لأحمد فأنكر عليه وَقَالَ : ويله وأي صورة كانت لآدم حتى خلقه عليها يَقُول : إن الله خلق عَلَى مثال ، ويله فكيف يصنع بالحديث الآخر: " **أن الله خلق آدم عَلَى صورة الرحمن** " فهذا هو المحفوظ من قول أَحْمَد ، وإنما التبس القولان فنسب ذَلِكَ إلى أَحْمَد لأن أَبَا ثور كان سئل عن قوله : **خلق آدم عَلَى صورته** " فقال: الهاء عائدة عَلَى آدم فإن قيل: الزيادة المذكورة فِي حديث ابن عمر: " **خلق آدم عَلَى صورة الرحمن** " غير صحيحة ، وقد قَالَ أَحْمَد فِي رواية المروذي : الأعمش يَقُول: عن حبيب بن أَبِي ثابت، عن عطاء، عن ابن عمر: " **إن الله خلق آدم عَلَى صورة الرحمن** "، وأما الثوري فيوقفه يعني حديث ابن عمر، وقد رواه أَبُو الزناد، عن الأعرج عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**عَلَى صورته**) فيقول كما جاء فقد بين أَحْمَد أن بعضهم وقفه وبعضهم وصله ، قيل هَذِهِ الزيادة صحيحة ثابتة ، حَدَّثَنَا بها أَبُو القسم عبد العزيز من الطريق الذي ذكرنا ، وذكرها أَبُو الحسن الدارقطني فيما خرجه من أخبار الصفات ، وذكرها أَبُو بكر أَحْمَد بن سلمان النجاد فِي السنة ، وذكرها أَبُو عبد الله بن بطة فِي كتاب الإبانة ، ولا يجوز أن يتطابق هَؤُلاءِ الحفاظ عَلَى نقل باطلة أو ضعيفة ، والذي حكاه أَحْمَد عن الثوري وأنه وقفها لا يدل عَلَى ضعفها ، لأنه لا يجوز أن لا تقع له هَذِهِ الزيادة وتقع لغيره ، ومثل هَذَا لا ترد به الأخبار) اهـ

وقال ذاك الذهبي في ميزان الإعتدال عند ترجمته (٢٢٨٧) : أتى بشئ منكر عن أحمد ، عن أحمد بن حنبل في معنى قوله عليه السلام : (**إن الله خلق آدم على صورته**) ، زعم أنه قال صور الله صورة آدم قبل خلقه، ثم خلقه على تلك الصورة ، فأما أن يكون خلق الله آدم على صورته فلا ، فقد قال تعالى: (**ليس كمثله شيء**) ، قال يحيى بن مندة في مناقب أحمد : قال المظفر بن أحمد الخياط في كتاب السنة : وحمدان بن الهيثم يزعم أن أحمد قال : صور الله صورة آدم قبل خلقه ، وأبو الشيخ فوثقه في كتاب الطبقات ، ويدل على بطلان روايته ما رواه حمدان بن علي الوراق الذي هو أشهر من حمدان بن الهيثم وأقدم. أنه سمع أحمد بن حنبل ، وسأله رجل عن حديث خلق آدم على صورته على صورة آدم ، فقال أحمد : فأين الذي يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم على صورة الرحمن ، ثم قال أحمد : وأى صورة لآدم قبل أن يخلق .

قال الطبراني : سمعت عبد الله بن أحمد يقول : قال رجل لأبي: إن فلانا يقول في حديث رسول الله : إن الله خلق آدم على صورته ، فقال : على صورة الرجل ، فقال أبي : كذب ، هذا قول الجهمية ، وأي فائدة في هذا **!!**) وقيل : إن أبا عمر بن عبد الوهاب هجر أبا الشيخ لمكان حكاية حمدان وقال : إن أردت أن أسلم عليك فأخرج من كتابك حكاية حمدان بن الهيثم) اهـ

(**قلت**) ولا غرابة أن يقولوا هذا ، فإنهم خريجي مدرسة ابن خزيمة وهم تلاميذه ، فلابد أن يتأثروا به ، لأنه ألقى شبهات قوية عليهم في هذا الحديث ، ثم تصدى لنشر هذه الفضيحة البيهقي الأشعري ، وطورها بزخارفه ، وزاد في تحريفها ونشرها في كتابه (**الأسماء والصفات**) على أنها مذهب لأهل السنة **!!** ، وهذا الجهمي خطير جدا ، يدس السم بالعسل ولا يتفطن له أغبياء السلفية المرجئة اليوم بل ويعظمونه ويعتقدون أنه من أئمة أهل السنة الكبار **!!**

(**مناظرة**) : ثم جرت مناظرة مشهورة بين أبي إسحاق ابن شاقلا الحنبلي وأبي سليمان الدمشقي في هذا الحديث ، ففيما حكى **أبو يعلى في إبطال التأويلات (٧٩) قال** : وقد ذكر أَبُو إسحاق بن شاقلا فِي جملة ما جرى له فِي مناظرته لأبي سُلَيْمَان الدمشقي عَلَى قول النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " خلق آدم عَلَى صورته " وأن الهاء غير راجعة عَلَى آدم ، فقال أَبُو سُلَيْمَان : قد جاء فِي الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أن الله خلق آدم عَلَى صورة آدم "، فقال أَبُو إسحاق : هَذَا كذب عَلَى رسول الله **!!** ، فقال الدمشقي: بلى قد جاء فِي الحديث : " طوله ستون ذراعا " فعلمت أنه آدم ، فقال له أَبُو إسحاق : قد روى هَذَا وليس هو الذي ادعيت عَلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لأنك قلت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إن الله خلق آدم عَلَى صورة آدم " ثم قَالَ أَبُو إسحاق: إن كانت هَذِهِ الزيادة محفوظة كان قوله : " خلق آدم عَلَى صورته " تم الكلام، ثم قَالَ: " طوله ستون ذراعا " إخبارا عن آدم بدلالة ما روي جرير عن الأعمش عن حبيب بن أَبِي ثابت عن عطاء عن ابن عمر عن رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " **لا تقبحوا الوجوه فإن الله خلق آدم عَلَى صورة**

الرحمن " قَالَ أَبُو إسحاق: هَذَا الحديث يذكر إسحاق بن راهويه أنه صحيح مرفوع وأما أَحْمَد فذكر أن الثوري وقفه عَلَى ابن عمر وكلاهما حجة لأنه إن كان مرفوعا فقد سقط العذر، وإن كان من قول ابن عمر فهو أولى) اهـ

(**انفلاتة**) ثم انفلت الحبل فصار من بعدهم يحكيه خلافا بين السلف ، وأنه هو الحق ومذهب السلف شاذ !! وقد لخص ابن تيمية الكلام في هذا الجيل ، فقال في تلبيس الجهمية (٣/٣٧٦) : (لما انتشرت الجهمية في المئة الثالثة جعل طائفة الضمير عائدا إلى غير الله تعالى) اهـ

الجيل الثالث ممن تأول حديث الصورة : وفي عصرنا أظهر بعض المرجئة المعاصرين كالألباني وغيره تحريف حديث الصورة وكان التعامل مع هذا التحريف أضعف بكثير من التعامل مع ابن خزيمة فضلاً عن تعامل السلف مع أبي ثور حاشا ما كتبه حمود التويجري وإخوانه من بقايا أهل التوحيد والسنة ، **فمن العجائب** والعجائب جمة ، أن يقول ذاك الألباني في تعليقه على كتاب الأدب المفرد (**١/٣٧٢**) : لقد أساء الشيخ التويجري رحمه الله إلى العقيدة والسنة الصحيحة معا بتأليفه الذي أسماه (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن) .. الخ !! وقال : إن من أعاد الضمير على الله وقع في التشبيه !! وقال : إن من قال (الضمير يعود على آدم هو جهمي) فقوله من التشدد والتحمس والحرارة !! ثم وصف نقل بن تيمية إجماع السلف على عدم تأويل هذا الحديث : بأنه تناقض !! [أنظر سلسلة الهدى والنور شريط ٢٩٥)]

(**قلت**) يقول هذا وهو الذي أتى في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم بأعجب من هذا التناقض ، فإنه عندما روى ابن أبي عاصم في السنة (٤٨٥) ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى ثنا ابْنُ ثَوْرٍ عَنْ مَعْمَرٍ عن ابن طاووس عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : حَدَّثَ رَجُلٌ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فَانْتَفَضَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَا بَالُ هَؤُلاءِ يَجِدُونَ عِنْدَ محكمه ويهلكون عند متشابهه)

قال الألباني في تعليقه على هذا الموضع عند ابن ابي عاصم في تخريجه : (ولم أقف على من نبه على المراد بهذا الحديث ، ويغلب على الظن أنه حديث (**إن اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**) " (**قلت**) يقول هذا وهو بنفسه قد انتفض منه ثم حرفه !!

وقد رد عليه التويجري وقصده بكتابه : (**عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن**) وأفحمه بالحجج الدامغة فلم يرتدع بل قرأ كتابه وأنكره !! وهلك في هذا الحديث عن بينة وجحود !! ثم بعد ذلك رد عليه عبد الله الدويش بكتاب سماه : (**دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن**) حيث قال في مقدمة كتابه (ص٥) عن تحريف الألباني للحديث : (ولما تأملته وجدته عاريا عن التحقيق والبرهان ، بعيدا عن قول أهل السنة والجماعة ، موافقا لقول أهل الضلال الجهمية ، فنبهت عليه نصحا للأمة ، وخوفا من الإغترار به ...) إلخ وعادة المتأخرين المعاصرين إذا فاجأتهم المسائل الكبار التي لم يتعودوا عليها ولا يريدون الانقياد لها رغم وضوحها أن يستقبلوها بالأمور التالية : أن يزعموا أن المسألة خلافية بين العلماء ولا يشدد فيها الإنكار ثم يؤول بهم الأمر إلى أن يكون مذهب الصحابة والتابعين هو الشاذ الضعيف ومذهب الأكثر هو التحريف كما صنع ابن حجر في شرحه للبخاري فقد قال: في المسألة ثلاثة أقوال : الأول : قول الأكثر أن الضمير يعود على المضروب أي خلق آدم على صورة المضروب. القول الثاني: أن الضمير يعود إلى آدم وهذا محتمل. القول الثالث: أعاد بعضهم الضمير على الله متمسكاً بما ورد في بعض طرقه (**أن الله خلق آدم على صورة الرحمن**) انتهى. واللفظ الأخير الذي وهنه ابن حجر ، صححه أحمد وإسحاق وغيرهم ممن لا يقترب ابن حجر من عشر معشارهم في العلم بالتصحيح والتضعيف ، والعجيب من ابن حجر أنه لم يحك سوى ثلاثة أقوال فقط !! لأن عادته أن تصل الأقوال في بعض المسائل إلى أربعين قولاً فكل ما قيل من القرون الفاضلة إلى وقته ينصبه قولاً ولو كان من زبالات الأراء ونتائج الأذهان الكليلة ، حتى يخرج القارئ من هذه الكتب وهو لا يعرف شيئاً من الدين قد أُجمع عليه ، حتى وصل الأمر إلى عصرنا فأصبح الشرك وتكفير المشرك من المسائل الخلافية ، وترك الصلاة من المسائل الخلافية بل يقولون : الجمهور على عدم تكفير تاركها ، وإجماع الصحابة والتابعين على كفره هو القول الشاذ الذي ينسب إلى بعضهم !!! والقول بأن العمل ليس من الإيمان بل هو من الكمال هذا يعد من أقوال أهل السنة في عصرنا وهكذا يهدم الدين ويضل الناس ، وما أحسن قال **محمد تقي الدين الهلالي** عفا الله عنه : تضمن هذا الحديث الشريف ثلاث صفات لله عز وجل ، أولها : إتيان الله تعالى. وثانيها : الصورة. وثالثهما : رؤيتهم له بأبصارهم ، وقد

غص بذلك نفاة الصفات المعطلة الجهمية وتخطفتهم شياطينهم فأخذوا يهرفون ويهذرون بأنواع من التأويلات الباطلة التي تضحك الثكلى وتكشف عن تمكن البدعة من قلوبهم وسريانها في عروقهم ودمائهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شبه البدعة بداء الكلب لا يترك عرقًا ومفصلًا إلا سرى فيه) .

ومن لطائف ما يروى في هذا الباب ما ذكره أبو يعلى في إبطال التأويلات (٨٠) قال : ورأيت فِي أخبار أَبِي الحسن بن بشار الشيخ الزاهد رواية أَبِي حفص عمر بن أَحْمَد بن إبراهيم البرمكي عن أبيه قَالَ كنت أسمع الشيخ إذا دعا يَقُول فِي دعائه : اللهم صل عَلَى أبينا آدم الذي خلقته بيدك وأنحلته صورتك وأسجدت له ملائكتك ، وزوجته حواء أمتك ، فسبق عليه قضاؤك وقدرك فأكل من الشجرة وأهبطته إلى أرضك) [أنظر للمزيد : كتاب السنة لعبد الله (ص٢٣٠) تحقيق آل حمدان وكتاب إثبات الحد للدشتي (٤٥) تحقيقه والرد على المبتدعة لابن البناء (٧٤) تحقيقه فيها وكتاب الصفات للدارقطني (ص٥٩) بتعليق الفقيهي وكتاب عقيدة أهل الإيمان في إثبات أن الله خلق آدم على صورة الرحمن للشيخ حمود التويجري ، وكتاب عبد الله الدويش الذي سماه : دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمن]

[مسألة] وهنا شبهة ينبغي تحريرها ، تخص حديث ابن عمر الذي ورد فيه التصريح بصورة الرحمن ، وقد ركز عليه المخالفون كثيرا يظنون أنه إذا تم تضعيفه ، فقد تم لهم رد حديث الصورة الذي أزعجهم فوق العادة ، ولهذا سأخصه بتخريج أبين فيه حكمه فأقول : **عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ** : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ » [رواه عبد الله في السنة (٤٩٨) و (١٠٧٦) ابن أبى عاصم في السنة (٢٢٩/٢) والحارث ابن أبي أسامة في مسنده (٨٧٢) والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٣٠/١٣٥٨٠) والحاكم (٢/ ٣١٩) والدارقطني في الصفات (٤٨) و الأفراد كما في الأطراف (٣٠٨٦) والعلل (٣٠٧٧) واللالكائي (٣/ ٧١٦/٤٧٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٣٧١) وابن خزيمة في التوحيد (٤١) والآجري في الشريعة (ص٣١٥) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٥) وأبو بكر البخاري الكلاباذي في معاني الأخبار (٧٨/١) والحكيم الترمذي في المنهيات (ص١٤٦) وابن عساكر في تاريخه (١٠١/١٤) وقد ذكره ابن تيمية في بيان التلبيس (٤١٥/٦) وعزاه للخلال في **السنة** كلهم من طرق عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن ابن عمر به]

ذكر من صححه من أهل الحديث المتقدمين :

١ ـ الإمام أحمد : قال أبو بكر المروذي : قلت لأبي عبد اللّه : كيف تقول في حديث النبي –صلى اللّه عليه وسلم–: خلق اللّه آدم على صورته" ؟ قال : أما الأعمش فيقول : عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عطاء ، عن ابن عمر ، عن النبي –صلى اللّه عليه وسلم–: **إن اللّه عَزَّ وَجَلَّ خلق آدم على صورة الرحمن"** فنقول كما جاء الحديث) [والإبانة الكبرى (١٩٦)]

علق ابن أبي يعلى في إبطال التأويلات (٧٦) فقال : قد بين أَحْمَد أن بعضهم وقفه وبعضهم وصله ، قيل هَذِهِ الزيادة صحيحة ثابتة حَدَّثَنَا بها أَبُو القسم عبد العزيز من الطريق الذي ذكرنا ، وذكرها أَبُو الحسن الدارقطني فيما خرجه من أخبار الصفات ، وذكرها أَبُو بكر أَحْمَد بن سلمان النجاد فِي السنة ، وذكرها أَبُو عبد الله بن بطة فِي كتاب الإبانة ، ولا يجوز أن يتطابق هَؤُلاءِ الحفاظ عَلَى نقل باطلة أو ضعيفة والذي حكاه أَحْمَد عن الثوري وأنه وقفها لا يدل عَلَى ضعفها ، لأنه لا يجوز أن لا تقع له هَذِهِ الزيادة وتقع لغيره ومثل هَذَا لا ترد به الأخبار) اهـ

قال أبو طالب المكي: ... قول أبي ثور ، فذكر ذلك لأحمد فأنكر عليه وقال : ويله ! وأي صورة لآدم حتى خلقه اللّه عليها ؟ يقول : إن اللّه خلق على مثال ، ويله ! فكيف يصنع بالحديث الآخر "**إن اللّه خلق آدم على صورة الرحمن**" ؟!

قال حمدان بن علي: سمعت أحمد يقول وسأله رجل عن الحديث الذي روي عن النبي –صلى اللّه عليه وسلم–: "إن اللّه خلق آدم على صورته": على صورة آدم ؟ فقال الإمام أحمد : فأين الذي يروى عن النبي صلى اللّه عليه وسلم :"**إن اللّه خلق آدم على صورة الرحمن** ؟! [إبطال التأويلات (٨٩،٩١/١) والميزان (٦٠٣/١)]

قال محمد بن عوف الحمصي : أَمْلَى عليَّ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ : فذكر جملة من العقائد ثم قال أحمد : وأَنَّ آدَم –صلى اللّه عليه وسلم– خلِقَ على صُوْرَةِ الرَّحْمَن ، كَما جاءَ الخَبَرُ عَنْ رَسُوْلِ اللّه –صلى اللّه عليه وسلم–، رَواه ابن عُمَرَ عَنْ رَسُوْلِ اللّه –صلى

اللَّه عليه وسلم- ["طبقات الحنابلة" (٢/ ٣٣٩ – ٣٤٣)] **وفي منخب من علل الخلال (١٦٨)** وَأَخْبَرَنَا الْمَرُّوذِيُّ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ تَقُولُ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "**خُلِقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**" ؟ قَالَ : الأَعْمَشُ يَقُولُ : عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: "**أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرحمن**" ، فأما الثوري فأوقفه يَعْنِي : حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ ، وَأَبُو الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم "**على صورته**". فنقول كَمَا فِي الْحَدِيثِ) اهـ .

قَالَ أَبُو إسحاق بن شاقلا : وأما أَحْمَد فذكر أن الثوري وقفه عَلَى ابن عمر وكلاهما حجة لأنه إن كان مرفوعا فقد سقط العذر، وإن كان من قول ابن عمر فهو أولى) اهـ [إبطال التأويلات (٧٩)] **(قلت)** فهْمُ ابن شاقلا لهذا الكلام غلط ، فأحمد يقصد أن الثوري لم يجاوز به عطاء فأوقفه عليه ، فلم يعني أحمد أنه أوقفه على ابن عمر ، كما هو واضح من طرقه ، وعلى هذا وضحه الدارقطني في علله وابن خزيمة .

٢ ـ الإمام إسحاق بن راهوية : قال الخلال : أخبرني حرب بن إسماعيل : سمعت إسحاق بن راهويه يقول : قد صح عن النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- قال : " **إن اللَّه خلق آدم على صورة الرحمن**" إنما عليه أن ينطق بما صح عن النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- أنه نطق به.[المنتخب من علل الخلال (١٦٨)]

قَالَ أَبُو إسحاق بن شاقلا : هَذَا الحديث يذكر إسحاق بن راهويه أنه صحيح مرفوع . [إبطال التأويلات (٧٩)]

(قلت) نقل التصحيح عنهما ذاك الذهبي في «الميزان» (٢/٤٢٠) وذاك ابن حجر في «فتح الباري» (١٨٣/٥) لكن ما يتعقب عليهما أن أحمد لم ترد عنه عبارة (**حديث صحيح**) !! قالها في رواية ابن عمر ، فهذا وهْمٌ ، لم أر من تعقبهما عليه !! وإنما يؤخذ تصحيح أحمد له من كثرة الإحتجاج به وذكره في أصول السنة وفي ذلك تصحيح ضمني واضح كما لا يخفى .

وممن قال به وصرح واحتج به : أبو العباس بن سريج في عقيدته ، كما نقلها ابن القيم في اجتماع الجيوس الإسلامية (١٧٣/٢) وابن شاقلا كما سبق ، وأبو محمد البربهاري في شرح السنة ، وابن بطة في الإبانة الصغرى ، والآجري في الشريعة ، والحاكم في مستدركه .

حجج من ضعفه : وذكروا للحديث ثلاث علل ذكرها ابن خزيمة :

إحداهن : أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر. وهذه العلة التي ذكرها ابن حزيمة ، ووافقه عليها الدارقطني في علله (٣٠٧٧) ورجح إرساله بعد ذكر طرقه عن حبيب والاختلاف عنه ، وهذه أقوى شبهة الباقي ليست بشيء .

والثانية : أن الأعمش مدلس، لم يذكر أنه سمع من حبيب بن أبي ثابت.

والثالثة : أن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس ، لم يعلم أنه سمع من عطاء ، سمعت إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد يقول : ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال : قال حبيب بن أبي ثابت : لو حدثني رجل عنك بحديث لم أبال أن أرويه عنك ، يريد لم أبال أن أدلسه.

والجواب عن هذه الإعتراضات أن يقال :

أولا : أحمد وإسحاق أعلم بالعلل والحديث ممن ضعفه ، وأيضا لا يعلم من انتقد هذه الرواية إلا في القرن الرابع .

ثانيا : مخافة تدليس الأعمش عن حبيب انتفت بمتابعة الثوري وكامل بن العلاء السعدي عند ابن عدي (٢٢٦/٧) مع خلاف في متنه .

ثالثا : ليس كل مدلس يرد حديثه هكذا بلا مبرر خاصة الأعمش ، فالأصل فيه قبول روايته عند الحفاظ ، ولم يتشرطوا في كل ما يرويه أن يصرح بالتحديث وقد عدد ابن أبي حاتم وغيره في المراسيل من يروي عنه الأعمش ويرسل فلم يذكروا منهم حبيب .

رابعا : أما مخالفة الثوري للأعمش فالثوري ليس حجة على الأعمش فهو ثقة ضابط ، خاصة عن حبيب بل رأيت الترمذي في كتابه العلل الكبير (٦٠٣) ذكر خلافا وقع بين الأعمش والثوري وشعبة عن حبيب فقال : حَدِيثُ الْأَعْمَشِ أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ

سُفْيَانَ وَشُعْبَةَ .

خامسا : أما عن حبيب ابن أبي ثابت فلا يخشى أنه روى شيئا منكرا سوى أن ابن معين ذكر علة في مروياته عن عطاء ولم أر من أشار إليها في هذا الباب بها العقيلي فقال في ضعفاء : وله عن عطاء أحاديث لا يتابع عليها) لكن لم يعمم كل مروياته عن عطاء ، وما يدفع هذه العلة أنه قد قِيْلَ لِيَحْيَى : حَبِيْبٌ ثَبْتٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّمَا رَوَى حَدِيْثَيْنِ ثُمَّ قَالَ: أَظُنُّ يَحْيَى يُرِيْدُ مُنْكَرَيْنِ: حَدِيْثَ: (تُصَلِّي المسْتَحَاضَةُ ، وَإِنْ قَطَرَ الدَّمُ عَلَى الحَصِيْرِ ، وَحَدِيْثَ: القُبْلَةِ لِلصَّائِمِ.) [السير (٥/٢٩٠)]

وقد احتج ابن خزيمة بأنه مدلس بما رواه أبو بكر بن عياش عن الأعمش قال قال لي حبيب بن أبي ثابت لو ان رجلا حدثني عنك ما باليت أن أرويه عنك . [وذكره في جامع التحصيل (٨) والعراقي في الدلسين (ص٤٠) والتبين لأسماء المدلسين (ص٢٠)] وليس في هذا حجة ، فحبيب لم يرو هذا الحديث عن الأعمش ، وإنما رواه عن عطاء ولم يذكروا تدليسا عنه إنما استغربوا كيف نزل سنده فروى عن عطاء أحاديث بلا متابعة كما في علل عبد الله بن أحمد (٤٩٤٨) حَدثنِي بْن خَلاد قَالَ سَمِعت يحيى يَقُول حبيب بْن أَبِي ثَابت عَن عَطاء لَيْسَ مَحْفُوظًا سمعته يَقُول إِن كَانَت مَحْفُوظَة لقد نزل عَنْهَا يَعْنِي عَطاء نزل عَنْهَا) فلم يجزم يحي بأنها ليست محفوظة لاحتمال النزول وهو وارد جدا ، ولقد تتبعت مرويات حبيب عن عطاء فوجتها كما قال العقيلي ، أكثرها مما تكون العلة ممن روى عنه ،وأحيانا تكون الوهم منه في الوصل أو الإرسال ، وله عن عطاء مرويات مقبولة .

سادسا : لأنه قد شهد للرواية المرفوعة حديث أبي هريرة ، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢٥١) من طريق ابن لهيعة عن أبي يونس سليم بن جبر عن أبي هريرة يرفعه. كما رواه الدارقطني في الصفات (٦٥/ح٤٩) من طريق ابن لهيعة أيضاً عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعاً. وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو سيئ الحفظ ، لكنه يصلح في الشواهد والمتابعات ولهذا عقب به الدارقطني بعد رواية الأعمش مشيرا أنه شاهد .

سابعا : أن هذه الرواية متلقاة بالقبول والتحديث والرواية قبل ما ينتقدها ابن خزيمة والدارقطني كما في طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٨ – ١٣٨) قال ابن شاقلا مناظرته للجهمية بعد ذكره له : هذه الأحاديث تلقاها العلماء بالقبول ، فليس لأحد أن يمنعها ولا يتأولها ولا يسقطها) اهـ .

الخلاصة : أن الحديث من حيث الإسناد فيه أخذ ورد بين أهل الحديث وتداجب في علله المحتملة ، لكن هذا لا يتمشى على قاعدة أهل الحديث في التلقي بالقبول ، فقد حدَّث به العلماء في كتب السنة قديما ، ورووه ونشروه دون نقد ، فالراجح قبوله كما هو صنيع كبار أئمة الحديث ، والله أعلم .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إني رأيت ربي في أحسن صورة » (١) .

(١) هذا أحد الأحاديث التي أزعجت الجهمية قديما ، فهلك فيه المريسي زعيمهم ، ثم جاءت المرجئة والأشعرية وأهل البدع عموما اليوم فهلكوا فيه مرة أخرى ، قال الخلال : "إنما نروي هذا الحديث ، وإن كان في إسناده شيء ، تصحيحاً لغيره ، **ولأن الجهمية تنكره**". فإرغاما وإغاضة لمن ضعفه وحرفه من أهل الضلال ، سأبين تخريج وتصحيح هذا الحديث عند السلف ونكشف مواقف الزائغين فيه من الجهمية والمرجئة وأهل البدع ببيان مختصر مفيد فأقول :

وقد روي عن عدة من الصحابة فروي عن : ثوبان ، وأنس ، وأبي أمامة ، وعبد الله بن عباس ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وأبي رافع ، وجابر بن سمرة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن عائش ، ومعاذ ، وأبي هريرة ، وأم الطفيل ، وعمران بن حصين ، وغيرهم وطرقه كثيرة استوعبها الدارقطني في كتابة الرؤية ، وجمعها أيضا ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية وبين الكلام فيها .

ومختصره : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ": **أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ فَقُلْتُ: لَا عِلْمَ لِي يَا رَبِّ فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ فِي صَدْرِي ، فَتَجَلَّى لِي مَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض**".... إلخ الحديث .[رواه أحمد (٢٣٢١٠ و ٢٢١٠٩ و ١٦٦٢١ و٣٤٨٤) والترمذي (٣٢٣٥) وابن خزيمة (٣٢١) والدارقطني في الرؤية (٢٥٥ . ٢٥٩) وعبد الله في السنة (١٠٩٨) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٢ ـ ٧٥) وغيرهم كثير]

من صححه من المتقدمين : وقد صحح الحديث مثلا : سفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي وعلي بن المديني وأحمد والبخاري وأبو زرعة والترمذي وابن عدي والطبراني وابن منده وأبو سعيد الدارمي وأبو بكر بن صدقة والخلال والأثرم وعبد الله بن أحمد وغيرهم ، وناهيك بهذه الأسماء العظيمة القدر .

جاء في تفسير سفيان الثوري في سورة (ص) عند قوله تعالى **(ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون)** (الآية ٦٩) قَال سفيان الثوري : يَتَجَلَّى رَبُّكَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى فَيَقُولُ يَا رَبِّ لاَ أَدْرِي فَيَضَعُ كَفَّهُ عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يَجِدَ بَرْدَهَا بين كتفيه فلا يسئله عن شيء الا أخبره) اهـ .

قَالَ الترمذي في سننه : "هَذَا حَدِيث حسن صَحِيح ، سَأَلت مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل عَن هَذَا الحَدِيث فَقَالَ: هَذَا صَحِيح ، وَقَالَ: هَذَا أصح من حَدِيث الْوَلِيد بن مُسلم بِسَنَدِهِ عَن عبد الرَّحْمَن بن العائش الْحَضْرَمِيّ) ".

وقال في علله الكبير (٦٦١) : سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَائِشٍ لَمْ يُدْرِكِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدِيثُ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ غَيْرُ صَحِيحٍ ، وَالْحَدِيثُ الصَّحِيحُ مَا رَوَاهُ جَهْضَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ حَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ هَذَا) اهـ

قَالَ ابْن مَنْدَه فِي الرد على الجهمية ص (٩١) : رُوِيَ هَذَا الحَدِيث عَن عشرَة مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم، ونقلها عَنْهُم أَئِمَّة الْبِلَاد ، من أهل الشرق والغرب)".

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل ، قال: رأيت أبي يصحح هذه الأحاديث ، ويذهب إليها ، وجمعها ، وحدثناها.

وقال عبد الوهاب الوراق سمعت أسود بن سالم يقول في هذه الأحاديث التي جاءت في الرؤية قال : نحلف عليها بالطلاق والعتاق أنها حق) .

بداية الإنحراف في الجيل الأول : دائما في مثل هاته القضايا تجد ناسا من أهل الحديث يشذ بقول مجهول !! وقد شذ ابن

خزيمة كعادته **مع أحاديث الصور** من بين كل السلف ، فأعل الحديث **!!** وأعل الدارقطني في علله طرق رواية معاذ الذي صححها كل من قبله من الأئمة الكبار كالبخاري وأحمد والترمذي وغيرهم ، ولم يبين موقفه من باقي الطرق ، وظاهر صنيعه في كتاب الرؤية أنه يمشيها ، فإنه قد استوعب جمع الروايات في كتاب الرؤية دون نقدها ، فمن احتج بالدارقطني بسبب أنه أعل رواية معاذ فقط ، فقد تسرع وتهور .

(**الجيل الثاني والخطوة المشؤومة**) : ثم قفز الإنكار من السند إلى المتن ، فأراد المتأخرون من الأشعرية أن يضعفوا متنه أيضا فما فعلوا شيئا ، إنما فقط أبانوا عوار تجهم مناهجهم وجهالاتهم ، كالبيهقي في كتبه ، وابن الجوزي في موضوعاته ، والعسقلاني في تهذيبه ، فقالوا متنه منكر **!** وليس فيه شيء منكر ، إنما النكارة في معتقداتهم الجهمية الفاسدة ، وهم قصدوا بالمنكر ألفاظ الصفات التي فيه والتي قد أظلمت قلوبهم بها مثل (**أتاني ربي في أحسن صورة**) وهم ينكرون أن لله صورة ، وفيه **(الإتيان)** وهم ينكرونه ، ومثل (**فوضع كفيه على كتفيه**) فيه تحقيق **(صفة اليد)** وهم ينكرونها ، فماذا تنتظر من جهمي وأشعري أن يقول في هذا الحديث ؟ أكيد الحديث منكر عنده **!!**

(**الجيل الثالث**) : ثم جاء المعاصرون ، فأخذوا يألفون في رد الحديث ما فعل ذاك الجهمي (حسن السقاف) عفوا بل : (السخّاف) فألف رسالة سماها " **أقوال الحفاظ المأثورة لبيان وضع حديث: (رأيت ربي في أحسن صورة)** **!** وهو كذاب يفتري على الأئمة المتقدمين ، فهل رأيت كيف أن الحديث أقض مضاجعهم **!!**

ومن الجهالات في هذا الجيل ، صنيع ذاك المدخلي في كتابه (عون الباري ببيان ما تضمنه شرح السنة للإمام البربهاري) يقول عن هذا الحديث (ص٣١٢) : هذا الحديث جاء من عدة طرق حكم عليها بعض الأئمة بالإضطراب ..) ثم راح يعدد بعضهم ممن سبق ذكرهم وتغافل عن تصحيح الكبار من المتقدمين الذين يضرب كلام مخالفهم عرض الحائط أيا كان **!!** .

[وَانْظُر بسط الْكَلَام على هَذَا الحَدِيث وَفَوَائِده فِي كتاب : "اخْتِيَار الأولى فِي شرح حَدِيث اختصام الْمَلأ الْأَعْلَى" لِابْنِ رَجَب]

[مسألة] (**حديث رأيت ربي في صورة الشاب الأمرد**) : هذه الرواية وقع فيها خلاف متأخر ، فقد صححها أحمد وأبو زرعة وابن المديني والطبراني وبن عدي وابن منده وغيرهم ، وقد ضعفها الدارمي ، وتضعيفه جاء متأخرا ، وتابعه أكثر المتأخرين **!!** وللحديث طرق كثيرة ، ليس هذا محل تخريجها وبيان طرقها والأختلاف ، فإن ذلك يطول ، وما يهمنا هنا هو كلام الحفاظ عليه وإليك تفصيل ذلك : **قال أبو بكر المروذي** : قرأت على أبي عبد الله : حدثكم شاذان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه : (**رأيت ربي عز وجل شاب أمرد جعد قطط عليه حلة حمراء**) **قلت** لأبي عبد الله : إنهم يقولون : ما رواه إلا شاذان **!** فغضب وقال : من قال هذا ؟ ثم قال : أخبرني عفان : حدثنا عبدالصمد بن كيسان ، حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت ربي عز وجل) فقلت : يا أبا عبدالله إنهم يقولون : ما روى قتادة عن عكرمة شيئاً فقال : من قال هذا ؟ أخرج خمسة ، ستة أحاديث ، أو سبعة ، عن قتادة ، عن عكرمة) ".

وقال علي بن المديني : "حضرت أبا عبدالله بن مهدي ، وحضر عند جماعة ، فتذاكروا حديث عكرمة ، وأنكره بعضهم، وكنت قد حفظته فحدثت به بطوله ، فقام إلي أبو عبد الله وقبل رأسي ودعا لي".

(**قلت**) وهذا الإنكار يدل دلالة واضحة على صحته عندهما .

وقال : " قرئ على أبي عبدالله : شاذان ثنا حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: (إن محمداً رأى ربه)

قلت : إنهم يقولون: ما رواه غير شاذان ؟ فقال : بلى قد كتبته ، عن عفان.

وقرئ على أبي عبد الله : عفان ثنا عبد الصمد بن كيسان : ثنا حماد بن سلمة عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربي). قلت: إنهم يقولون: إن قتادة لم يسمع من عكرمة قال : هذا لا يدري الذي قال وغضب ،وأخرج إلي كتابه فيه أحاديث مما سمع قتادة من عكرمة ، فإذا ستة أحاديث : سمعت عكرمة ، وقال أبو عبد الله : قد ذهب من يحسن هذا ، وعجب من قوم يتكلمون بغير علم ، وعجب من قول من قال : لم يسمع **!!** وقال : سبحان الله ، فهو قدم إلى البصرة فاجتمع عليه الخلق)".

وقال مهنا بن يحيى الشامي : سألته – يعني أحمد – عن حديث أم الطفيل امرأة أبي بن كعب ، أنها قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر أنه رأى ربه في المنام في صورة شاب موفر رجلاه في خضر عليه نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذهب ، فحول وجهه عني وقال : هذا حديث منكر ، وقال : لا نعرف هذا رجل مجهول يعني مروان بن عثمان)".

قال أبو يعلى : "يجوز أنه لم يقع لأحمد معرفة مروان بن عثمان في حال ما سأله مهنا ، ثم وقع له معرفة نسبه فيما بعد".

وقال ابن تيمية : "وأما حديث أم الطفيل ، فإنكار أحمد له لكونه لم يعرف بعض رواته ، لا يمنع أن يكون عرفه بعد ذلك ، ومع هذا فأمره بالتحديث به ، لكون معناه موافقاً لسائر الأحاديث ، كحديث معاذ وابن عباس وغيرهما ".

(**قلت**) لكنه يصححه من رواية ابن عباس ، واستنكره من رواية أم الطفيل فقط ، وقد أعل ابن معين رواية أم الطفيل أيضا . فقد قال عبد الخالق بن منصور : رأيت يحي بن معين كأنه يهجن نعيم بن حماد في خبر أم الطفيل في الرؤية ويقول : ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا) لكن لم يرد عنه كلام في رواية ابن عباس التي حكى أحمد عنها أنها متلقاة بالقبول .

وقال أبو بكر عبد العزيز : "حديث أم الطفيل فيه وهاء ، ونحن قائلون به ، وظاهر رواية إبراهيم بن هانئ تدل على صحته ، لأن أحمد قال لأحمد بن عيسى في منزل عمه : حدثهم به ، ولا يجوز أن يأمره أن يحدثهم بحديث يعتقد ضعفه لا سيما فيما يتعلق بالصفات"

نقل ابن تيمية قول أبي بكر عبد العزيز قال : فيه وهاء ونحن قائلون به ، أي لأجل ما ثبت من موافقته لغيره الذي هو ثابت ، لا أنه يقال بالواهي من غير حجة ، فإن ضعف إسناد الحديث لا يمنع أن يكون متنه ومعناه حقاً ، ولا يمنع أيضاً أن يكون له من الشواهد والمتابعات ما يبين صحته ، ومعنى الضعيف عندهم أنا لم نعلم أنه رواية عدل ، أو لم نعلم أنه ضابط ، فعدم علمنا بأحد هذين ، يمنع الحكم بصحته ، لا يعنون بضعفه : أنا نعلم أنه باطل ، فإن هذا هو الموضوع ، وهو الذي يعلمون أنه كذب مختلق ، فإذا كان الضعيف في اصطلاحهم عائداً إلى عدم العلم ، فإنه يطلب له اليقين والتثبيت ، فإذا جاء من الشواهد بالأخبار الأخرى وغيرها ما يوافقه ، صار ذلك موجباً للعلم بأن روايه صدق فيه ، وحفظه) اهـ ".

وقال أبو يعلى : "ولأنه إجماع أهل الأعصار ، وذلك أن عصراً بعد عصر من لدن التابعين ومن بعدهم ، يخبر أنه رأى ربه ، ولا ينقل عن أحد من أهل العصر الإنكار عليه ، فدل سكوتهم على جواز ذلك".

وقال أبو زرعة الدمشقي : "حدثنا أحمد بن صالح قال : حدثنا ابن وهب أخبره ، أن مروان بن عثمان أخبره عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبي بن كعب ، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يذكر أنه (**رأى ربه عز وجل في النوم في صورة شاب ذي وفرة قدماه في أخضر عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب**) وكل هؤلاء لهم أنساب قوية بالمدينة ، فأما مروان بن عثمان ، فهو مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري ، وأما عمارة فهو ابن عامر بن عمرو

بن حزم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن الحرث وسعيد بن أبي هلال ، فلا يشك فيهما ، وحسبك بعبدالله بن وهب محدثاً في دينه وفضله".

قال أبو يعلى : ظاهر الكلام من أبي زرعة ، إثباتاً لرجال حديث أم الطفيل ، وتعريفاً لهم ، وبياناً عن عدالتهم ، وهو ظاهر ما عليه أصحابنا لأن أبا بكر الخلال ذكر حديث أم الطفيل في سننه ، ولم يتعرض للطعن عليه".

وقال الطبراني : "حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم **في الرؤية صحيح ،** ومن زعم أني رجعت عن هذا الحديث بعد ما حدثت به فقد كذب ، وهذا حديث رواه جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجماعة من التابعين ، عن ابن عباس ، وجماعة من تابعي التابعين عن عكرمة ، وجماعة من الثقات عن حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم". وذكر أسماءهم بطولها) اهـ .

قال ابن منده : سمعت مشايخنا ممن يعتمد عليهم ، يقولون : أملى أبو القاسم الطبراني حديث عكرمة في الرؤية عن قتادة ، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(رأيت ربي تبارك وتعالى)** فأنكر عليه ابن طباطبا العلوي ، ورماه بداوة كانت بين يديه فلما رأى الطبراني ذلك واجهه بكلام اختصرته ، وقال في أثناء كلامه : ما تسكتون وتشتغلون بما أنتم فيه ، حتى لا يذكر ما جرى يوم الحرة ، فلما سمع ذلك ابن طباطبا ، قام واعتذر إليه ، وندم) ".

قال ابن عدي في الكامل (٦١/٨) : وهذا لَهُ طرق قوله رأيت ربي فِي أحسن صوره واختلفوا فِي أسانيدها فرأيت أَحْمَد بْن حنبل صحح هَذِهِ الرواية الَّتِي رواها مُوسَى بْن خلف ، عَن يَحْيى بْن أَبِي كثير حديث معاذ بْن جبل قَالَ هذا أصحها) اهـ .

فقال ابن عبد البر في "التمهيد" (٣٢٥/٢٤) : " معناه عند أهل العلم : في منامه ، وهو حديث حسن ، رواه الثقات ".

وقد أطال بن تيمية في جمع طرقه في كتاب بيان تلبيس الجهمية (٣٢٥/٧) وقال في الأخير : فهذه الروايات يصدق بعضها بعضا إذ قد رواه عن كل شخص أكثر من واحد) وقال : (وهذه الطرق مع ما فيها من الإضطراب لمن يتدبر الحديث ، ويحسن معرفته يدل دلالة واضحة على أن الحديث محفوظ ، صحيح الأصل ، لا ريب في ذلك بل يوجب له القطع بذلك) اهـ

حكم من أنكر هذا الحديث عند بعض الحفاظ : وقد اشتد بعض الحفاظ على من أنكر حديث ابن عباس هذا فمما قيل :

وقال ابن صدقة الحافظ : من لم يؤمن بحديث عكرمة ، فهو **زنديق**".

وقال أبو زرعة الرازي : "حديث عكرمة عن ابن عباس في الرؤية ، صحيح ، رواه شاذان ، وعبد الصمد بن كيسان ، وإبراهيم بن أبي سويد، لا ينكره إلا **معتزلي**".

(**قلت**) لأن رواية ابن عباس وقع عليها شبه إجماع ولا أعرف من أعلها أو من لم يحتج بها من المتقدمين إلى أن جاء الدارمي وأعلها ، وخلافه متأخر عمن قبله ، ولعله لم يصله كلام من سبقه من أهل الحديث .

وقال الخلال : "إنما نروي هذا الحديث ، وإن كان في إسناده شيء ، تصحيحاً لغيره ، ولأن **الجهمية تنكره**"

وقال الأثرم : سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل ، عن حديث حماد بن سلمة ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيت ربي) الحديث ؟ فقال أحمد بن حنبل: هذا حديث رواه الكبر عن الكبر عن الصحابة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن شك في ذلك أو في شيء منه ، **فهو جهمي لا تقبل شهادته ، ولا يسلم عليه ، ولا يعاد**

وأشباه هذه الأحاديث ، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضى ، ولا تفسر شيئا [من هذه] بهواك فإن الإيمان بهذا واجب ، فمن فسر شيئا من هذا بهواه أو رده فهو جهمي (١).

= في مرضه".

وقال البربهاري هنا في كتابنا عن حديث الصورة وغيره : (فإن الإيمان بهذا واجب ، فمن فسر شيئاً من هذا بهواه ، أو رده **فهو جهمي**).[أنظر هاته النقولات في : الكامل لا بن عدي (٤٩/٣) وطبقات الحنابلة (٤٦/٢) والمنتخب من علل الخلال (١٨٣) وإبطال التأويلات (١٤٦) وفي بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية فصل كبير لهذه المسألة]

تنبيه : **قال الدارمي في الرد على المريسي (٧٣٨/٢)** : (وَإِنَّمَا هَذِهِ الرُّؤْيَةُ كَانَتْ فِي الْمَنَامِ ، وَفِي الْمَنَامِ يُمكن رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَال وَفِي كل صُورَة ، رَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّيْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ اللَّيْلِ ثُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي ، فَأَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ" ، فَحِينَ وُجِدَ هَذَا لِمُعَاذٍ كَذَلِكَ صُرِفَتِ الرِّوَايَاتُ الَّتِي فِيهَا إِلَى مَا قَالَ مُعَاذٌ ، فَهَذَا تَأْوِيلُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، لَا مَا ذَهَبْتَ إِلَيْهِ مِنَ الْجُنُونِ وَالْخُرَافَاتِ ، فَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُورَةً فِي الْيَقَظَةِ كَلَّمَتْهُ فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَبِّ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّكَ لَوْ دَرَيْتَ أَنَّهُ يُخْرِجُكَ تَأْوِيلُكَ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الضَّلَالَاتِ لَأَمْسَكْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْهَا ، غَيْرَ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ عَلَى حَدِّ الْحِوَارِ آمِنًا مِنَ الْجَوَابِ غَارًّا أَنْ يُنْتَقَدَ عَلَيْكَ) اهـ .

(١) وهذا معتقد مجمع عليه بين السلف ، خلافا للجهمية والمعتزلة والأشعرية وأفراخهم ممن تأثر بهم ، فالنصوص في هذا الباب تمرر كما جاءت ويسلم لها ، ولا يقال كيف ولا تحرف ، ومن أول صفة واحدة فهو جهمي ، ولا ننتظر أن يحرفها جميعا فهذا إنما هو زيادة في الكفر فقط ، وممن حكى الإجماع الكرماني في السنة (٥٨ - ٥٩) والآجري في الشريعة (١٠٥١/٢) والصابوني في عقيدة أصحاب الحديث (ص٢١) وابن أبي يعلى في إبطال التأويلات (٤٤/١) والحجة للأصبهاني (٤٧٢/١) وجاء في كتاب السنة لعبد الله بن أحمد (٤٩٥) حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ : نُسَلِّمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ وَلَا نَقُولُ كَيْفَ كَذَا وَلَا لِمَ كَذَا ، يَعْنِي مِثْلَ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ وَحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « قَلْبُ ابْنِ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » وَنَحْوِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ .

روى الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث (ص٢٠ - ٢١) بعض الآثار في هذا الباب منها باختصار :

عن أشهب بن عبد العزيز قال سمعت مالك بن أنس يقول : إياكم والبدع ! قيل : يا أبا عبد الله ، وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته ، وكلامه وعلمه وقدرته لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون .

وعن سفيان بن عيينة قال : كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه.

وقال الوليد بن مسلم : سألت الأوزاعي وسفيان ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث في الصفات والرؤية ؟ قال : أمروها كما جاءت بلا كيف.

قال الإمام الزهري إمام الأئمة في عصره وعين علماء الأمة في وقته : على الله البيان ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، وعن بعض السلف : قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم) انتهى باختصار .

روى الدارقطني في الصفات (٥٩) آثار جليلة نختصر منها : عن مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ لُوَيْنٌ قَالَ : قِيلَ لِابْنِ عُيَيْنَةَ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تُرْوَى فِي الرُّؤْيَةِ ، قَالَ : حَقٌّ عَلَى مَا سَمِعْنَا مِمَّنْ نَثِقُ بِهِ وَنَرْضَاهُ »

وروى أيضا عن وَكِيعًا يَقُولُ : وَحَدَّثَنَا بِحَدِيثٍ فِي الرُّؤْيَةِ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ : مَنْ رَأَيْتُمُوهُ يُنْكِرُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ فَاحْسِبُوهُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ .

وعن بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : « كُلُّ شَيْءٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ فَقِرَاءَتُهُ تَفْسِيرُهُ لَا كَيْفَ وَلَا مِثْلَ »

وعن أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ وَأَنَا فِي مَنْزِلِهِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ ، فَجَعَلْتُ أُلِحُّ عَلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ: «دَعْنِي أَتَنَفَّسُ» فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: «لَا تَسْأَلْ» فَقُلْتُ: لَابُدَّ مِنْ أَنْ أَسْأَلَكَ، إِذَا لَمْ أَسْأَلْكَ فَمَنْ أَسْأَلُ؟ فَقَالَ : هَاتِ سَلْ فَقُلْتُ : كَيْفَ حَدِيثُ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ السَّمَوَات عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ» وَحَدِيثُ « إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » وَحَدِيثُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْجَبُ وَيَضْحَكُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ فِي الْآفَاقِ ، فَقَالَ سُفْيَانُ : هِيَ كَمَا جَاءَتْ نُقِرُّ بِهَا وَنُحَدِّثُ بِهَا بِلَا كَيْفٍ "

عَن يَحْيَى بْن معِين قَالَ : شهِدت زَكَرِيَّاء بْن عدي وكيعا عَن أَحَادِيث الصِّفَات، فَقَالَ أدركنا إِسْمَاعِيل بْن أَبِي خَالِد وسُفْيَان ومسعراً يحدثُونَ هَذِه الْأَحَادِيث وَلَا يفسرون شَيْئا .

وعن عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ : قَدِمَ عَلَيْنَا شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقُلْنَا: إِنَّ عِنْدَنَا قَوْمًا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ يُنْكِرُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» « وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ » حَدَّثَنِي شَرِيكٌ بِنَحْوٍ مِنْ عَشَرَةِ أَحَادِيثَ فِي هَذَا وَقَالَ: « أَمَّا نَحْنُ فَأَخَذْنَا دِينَنَا عَنْ أَبْنَاءِ التَّابِعِينَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُمْ عَمَّنْ أَخَذُوا »

عن أبي عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّامٍ وَذَكَرَ الْبَابَ الَّذِي ، يَرْوِي فِيهِ الرُّؤْيَةَ وَالْكُرْسِيَّ وَمَوْضِعَ الْقَدَمَيْنِ ، وَضَحِكِ رَبِّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ ، وَأَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ ، وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ فِيهَا فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ ، وَأَشْبَاهَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ ، فَقَالَ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ صِحَاحٌ ، حَمَلَهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وهِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ لَا نَشُكُّ فِيهَا ، وَلَكِنْ إِذَا قِيلَ كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ وَكَيْفَ ضَحِكَ ؟ قُلْنَا لَا يُفَسَّرُ هَذَا وَلَا سَمِعْنَا أَحَدًا يُفَسِّرُهُ) انتهى .

وروى الهروي في ذم الكلام (٤٨٨) عَنْ قَتَادَةَ {**وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لرب الْعَالمين**} قَالَ خُصُومَةٌ عَلَّمَهَا اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ يُخَاصِمُونَ بِهَا أَهْلَ الضَّلَالَةِ .

وروى الداني في الرسالة الوافية (ص١٣٧) عن الأوزاعي قال: كان مكحول والزهري يقولان : أمر الأحاديث كما جاءت.

وروى في إبطال التأويلات (٧) وَقَالَ أحمد فِي رِوَايَةِ الْمَرُّوذِيِّ : أَحَادِيثُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ كَمَا جَاءَتْ .

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي تُرْوَى : إِنَّ اللَّهَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا " وَاللَّهُ يُرَى " وَأَنَّهُ يَضَعُ قَدَمَهُ " وَمَا أَشْبَهُ بِذَلِكَ ، نُؤْمِنُ بِهَا وَنُصَدِّقُ بِهَا وَلا كَيْفَ وَلا مَعْنَى وَلا نَرُدُّ شَيْئًا مِنْهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ إِذَا كَانَتْ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ .

روى الآجرى عن بكر المروزي قال : سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والأسماء فصححها وقال : تلقتها العلماء بالقبول وتسليم الأخبار كما جاءت .

وقال الآجري : سمعت أبا عبد الله الزبيري وقد سئل عن معنى هذا الحديث فذكر مثل ما قيل فيه ، ثم قال أبو عبد الله : نؤمن بهذه الأخبار التي جاءت كما جاءت ، ونؤمن بها إيمانًا ولا نقول كيف ولكن ننتهى في ذلك إلى حيث انتهى بنا فنقول في ذلك ما جاءت به الأخبار كما جاء) اهـ [أنظر الشريعة (٢/ ٥٢) وأصول الإعتقاد للالكائي (٥٨١/٣)]

[٤٣] ومن زعم أنه يرى ربه في دار الدنيا فهو كافر بالله (١).

= **تنبيه** : المقصود بالتفويض في كلام السلف هو تفويض حقيقة الصفة وكيفيتها ، لا معناها الظاهر المعروف من لغة العرب ، فهذا لا يخطر في بال أحد من السلف وهو يتلفظ بهذه العبارة ، ثم جاءت فرقة من الجهمية المتأخرة وتبنت تفويض المعاني للصفات وفرغت الأسماء من محتوياتها وجعلتها بلا معنى ، فقط هي مجرد طلاسم وألغاز زعموا أنه مذهب السلف !! وهذا التفويض ردة وكفر لا يفترق عن التعطيل في شيء ، بل يقول ابن تيمية على تمييعه في التكفير أن المفوض شر من المعطل وأكفر ، فمن المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن ، وحضنا على عقله وفهمه ، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ؟ وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا : أنه لم يبين الحق ، ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده ، أو ما خطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه ، بل دل ظاهره على الكفر والباطل ، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه وكل هذا كفر وزندقة يعلم بالإضرار بطلان ذلك .

(**تنبيه**) قول البربهاري (**ولا تفسر شيئا بهواك**) ومثل هذه العبارات قالها الكثير من السلف والمقصود منها أي لا تفسر كيفيتها أما معانيها فهي معلومة عند العرب والسلف ، كما هو مذهب أهل السنة ومثلها قوله (**التفويض**) أي تفويض كيفيتها وإرجاع الأمر إلى الوحي ، أما تفويض المعاني فهو مذهب المعطلة من الأشعرية الجهمية وغيرهم كما سبق بيانه هنا ، وهو شر من التأويل (التعطيل) وهم كفرة ملاعين .

(١) أجمع السلف قاطبة أنه لن يرى أحد ربه بالدنيا ، **قال الدارمي في النقض (٢/٧٣٨)** : (وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**} يَعْنُونَ أَبْصَارَ أَهْلِ الدُّنْيَا) اهـ ، خلافا للصوفية الحلولية الإتحادية الزنادقة ، ومثلها الشيعة الذين يدَّعون رؤية الله في الدنيا وهم كفار بهذا القول وبغيره ولا كرامة ، وأصل هذا القول مأخوذ من دين النصاري الذين قالوا عيسى عليه السلام هو الله ، وعيسى رآه الناس وعايشوه ، فالفكرة أصلها نصرانية ، ثم تتكرر أصل هذه العقيدة في زمن علي رضي الله عنه حينما ادعى الزنادقة أنه هو الله !! فحرقهم بالنار ثم تعود في آخر الزمان لما يدَّعي الدجال أنه هو الله فيراه الناس وقد ذكر ابن تيمية خرابيط الصوفية الحلولية وأخبارهم في هذا الكفر الإلحاد في ادعائهم رؤية الله في [منهاج السنة (٢/٦٢٢-٦٢٥) وابن القيم في مدارج السالكين (٣/٢٢٩-٢٣٠)]

والحجة عليهم في الكتاب والسنة والإجماع والآثار :

أولا : من القرآن : فقد قال تعالى (**لا تدركه الأبصار**) **روى عبد الله (٥١١)** عن إِسْمَاعِيلَ بْنَ عُلَيَّةَ يَقُولُ : {**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**} [الأنعام: ١٠٣] قَالَ : هَذَا فِي الدُّنْيَا ."

وعن زكريا بن يحيى بن حمدويه الحلواني قال : سمعت رفيق نعيم بن حماد يقول : لما صرنا إلى العراق وحبس نعيم بن حماد ، دخل عليه رجل في السجن من هؤلاء فقال لنعيم : أليس الله قال: {لا تدركه الْأَبْصَارُ وَهُوَ يدرك الْأَبْصَارَ} فقال نعيم : بلى ذاك في الدنيا قال : وما دليلك ؟ فقال نعيم : إن الله هو البقاء ، وخلق الخلق للفناء ، فلا يستطيعون أن ينظروا بأبصار الفناء إلى البقاء ، فإذا جدد لهم خلق البقاء فنظروا بأبصار البقاء إلى البقاء . [أصول الاعتقاد (٣/ ٥٦٢ - ٥٦٣/ ٨٩٠)] [أنظر كلام الدارمي في النقض على المريسي (ص٣٦٦)]

(**قلت**) هذا أن الله تعالى قال لما قال بني إسرائيل لموسى عليه السلام (**أرنا الله جهرة**) قال (**فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ وهم ينظرون**}

[النساء: ١٥٣] وَلما قَالُوا (**لولا أنزل علينا الملائكة أَوْ نَرَى رَبَّنَا**) قال الله (**لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً**)

قال الإمام أحمد في الرد على الزنادقة (ص٧٨) : وأما قوله :{لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} **يعني في الدنيا** دون الآخرة ، وذلك أن اليهود قالوا لموسى {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ} فماتوا وعوقبوا لقولهم {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} وقد سألت مشركو قريش النبي– صلى الله عليه وسلم– فقالوا: {أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً} فلما سألوا النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه المسألة قال الله تعالى: {أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ} حين قالوا: {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ} الآية فأنزل الله سبحانه يخبر أنه {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} أي أنه لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة فقال : {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} يعني في الدنيا ، أما في الأخرة فإنهم يرونه ، فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة) اهـ .

ثانيا من السنة : فقد روى مسلم (٩٧) عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه لما ذكر الدجال قال :

واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت"

وفي صحيح مسلم (١٧٨) عن أبي ذر ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك ؟ فقال : رأيت نوراً .

وفي لفظ قال : نور أنى أراه ؟

وفي صحيح مسلم (١٧٧) عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة ، فقالت : يا أبا عائشة ، ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئاً فجلست ، فقلت : يا أم المؤمنين ، أنظريني ولا تعجليني ، أ لم يقل الله عزَّ وجلَّ : {**وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ**} {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض" ، فقالت : أو لم تسمع أن الله عزَّ وجلَّ يقول: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} أو لم تسمع أن الله عزَّ وجلَّ يقول: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً...} إلى قوله : {عَلِيٌّ حَكِيمٌ} .

وقال الإمام مالك : أما سمعت قول موسى (رب أرني أنظر إليك) .. قال (لن تراني) في الدنيا لأنها دار فناء ولا ينظر ما يفنى إلى من يبقى فإذا صاروا إلى دار البقاء نظر من يبقى إلى من يبقى . [أنظر الشريعة (٥٧٤) واللالكائي (٨٧٠)]

ومثله **قال إسحاق بن راهويه** واحتج بقول عائشة (من زعم أن محمدا رأى ربه فقد كذب لأن الله لا تدركه الأبصار ...) أي في الدنيا [راجع كلامه في مسنده (٦٧٢/٣)]

[مسألة] يستثنى من هذه المسألة الخلاف السلفي الحاصل في **مسألة هل ثبتت رؤية النبي لربه أم لا ؟**

وملخص هذه المسألة ما يلي : اختلفت الرواية عن السلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه على ثلاث أقوال :

القول الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه ليلة المعراج ، وهو قول عائشة وابن مسعود ، وبه قال الدارمي وغيره .

القول الثاني : **وهو إثبات الرؤية القلبية فقط** ، وروي هذا عن أبي ذر وابن عباس ومجاهد وأبو العالية ، وأبو صالح والربيع بن أنس ، وهو رواية عن كعب ، ورجحه أحمد في رواية ، ورجح هذا القول الكثير من المتأخرين كالسمعاني وابن تيمية وابن القيم وأرجعوا الخلاف إليها ، وهذا الجمع غير جيد ، فالخلاف بين السلف لو كان لفظيا لما اشتد بينهم الإنكار حتى قالت عائشة ما قالت ، ووقع فيها جدل ونقاش بينهم ، وحتى كان الحسن يحلف عليها ، ويشتد على عروة قول عائشة وغير ذلك ، بل الخلاف الحقيقي ، والذي ورد عن السلف من الروايات ، إما أثبتت الرؤية مطلقًا ، أو قيدتها بالرؤية القلبية أو نفتها مطلقًا .

القول الثالث : **هو إثباتها مطلقا** : وهو المروي عن أبي هريرة وأنس وابن عباس ، والحسن وعروة بن الزبير إثباتها وبه قال سائر أصحاب ابن عباس كعكرمة ، وجزم به كعب الأحبار ، والزهري ومعمر وآخرون ، وبه الإمام أحمد في رواية مطلقة ، والآجري .

القول الرابع : وهو التوقف ويُروى هذا عن سعيد بن جبير ، واختياره بعض الأشعرية كالقرطبي وعياض والذهبي ، وهو غريب .

القول الخامس : **أنها رؤية بصرية بالعين** : ويقال تفرد بهذا القول الصريح ابن جرير وابن خزيمة في التوحيد ، تابعهم بعض المتأخرين كأبي عبد الله بن حامد وأبو بكر النجاد والقاضي أبو يعلى والأصبهاني التيمي ، والجيلاني وآخرون ، وقد اعتبرتُ هذا القول قولا مفردا ، لأنه صريح جدا في إثبات الرؤية بالعين على خلاف القول الثالث ، فإن فيه إطلاق محتمل ، مع أنه ظاهره يفهم منه إثبات الرؤية بالبصر ، لكن احتطتُ في التفريق بينهما للتدقيق ، وقد نسب القاضي أبو يعلى هذا القول رواية عن أحمد ، واعترض عليه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والله أعلم بصحة ذلك ، ولكن وجدت الأصبهاني التيمي أيضا ينسبها لأحمد وقالها بها ورجحها عنده ، كما **في كتابه الحجة (٢/٢٦٨) فقال** : وَرُوِيَ عَن أَحْمَد بن حَنْبَل رَحمَه الله قَالَ : رَآهُ بِعَين رَأسه. وَرُوِيَ عَنهُ أَنه رَآهُ بِعَين قلبه ، وَالصَّحِيح أَنه رَآهُ بِعَين رَأسه ، وَعين قلبه) اهـ .

(**قلت**) والذي جاء في رسالة أصول السنة عنه إثبات الرؤية مطلقا ، ثم قال ما في معناه : لا نفسرها ولا نناظر فيها ، فالظاهر أن مذهبه مطلق الرؤية دون تفسير لهذا اختلفوا عنه .

والترجيح : **القول الثاني** الذي عليه الكثير من السلف هو **الأقرب والله أعلم لأن عليه ظواهر النصوص** ، ومن نفى مطلق الرؤية لم ينف الرؤية القلبية ، **ويُحتج له بحديث أَبِي ذَرٍّ قَالَ** : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ قَالَ : **نُورٌ أَنَّى أراه** . [رواه مسلم (٢٦١)] ومِمَّا يستأنس به أيضا لهذا القول حديثُ أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهار وعَمَلُ النَّهارِ قبل عَمَلِ اللَّيلِ ، حجابه النور –وفي رواية أبي بكر : النَّار– لو كَشَفَهُ لأحرقتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انتهى إليه بصرُه من خَلْقِه** ". [يراجع في نسبة هذه النقولات : التوحيد لابن خزيمة (١/٤٧٧) والدارقطني في الرؤية ، وتفسير ابن جرير (٢٧/٤٤) والشريعة اللآجري (٣/١٥٤١-١٥٥١) الرد على المريسي (ص٥٢٣) وعقيدة عبد الغني المقدسي (١٣٨) وإبطال التأويلات (١/١١٣) والروايتين والوجهين (ص ٦٣-٦٤) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٥٢-٢٥٣) والشفا (١/٢٦١) والغنية (١/٦٦) ومجموع الفتاوى (٦/٥٠٩) واجتماع الجيوش الإسلامية (١/١٢) وزاد المعاد لابن القيم (٣/٣٦) والعرش للذهبي (٤٨) والعلو (ص٨١) والبداية والنهاية (٣/١١٢) والتفسير لابن كثير (٧/٤٤٨) والدر المنثور (٦/١٦٠)]

[٤٤] والفكرة في الله تبارك وتعالى بدعة ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الله(١)فإن الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب

---

(١) روي هذا الحديث عن جمع من الصحابة منهم : أبو هريرة وأبو ذر وعبد الله بن سلام وبن عمر ويونس بن ميسرة وأبو أمامة الباهلي وابن عباس موقوفا وعن الحسن وعمرو بن مرة مرسلا لكن أسانيدها ضعيفة وأحسنها إسنادا أثر بن عباس موقوفا فهو يحتمل التحسين ، وهي صحيحة المعنى وقد تكلم بمحتواها السلف كما مضى في فقرة (١١) ويدل على صحة معناها أيضا حديث أبي هُرَيْرَةَ : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقُولَ لَهُ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ** " ، وإليك تخريجها باختصار :

أما حديث عبد الله بن سلام : رواه ابو نعيم في الحلية الحلية (٦٦/٦) والجماعيلي في جزء (٤٢) وأبو الشيخ (رقم ٢١) والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (١٣) من طريق عَبْدُ الْجَلِيلِ بْنُ عَطِيَّةَ عَنْ شَهْرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ فذكر نحوه (**قلت**) سنده جد ضعيف لأن عبد الجليل وشهر ضعيفان .

أما أثر بن ابن عباس موقوفا : فرواه ابن أبي شيبة في العرش (١٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٨) والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٣/٢) وأبو الشيخ في العظمة (١) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٣٠) وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٦-١٠٧) عن خالد بن عبد الله عَنْ عَطَاءِ بن السائب ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال : "فكروا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ ، فَإِنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى كُرْسِيِّهِ أَلْفَ نُورٍ ، وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ".

وذكره ابن تيمية في تلبيس الجهمية (١٢٩/١) وزاد نسبته للحافظ العسال في كتاب المعرفة ، وقد حسن إسناده ذاك الذهبي في كتابه العرش وابن الحجر الأشعري في الفتح ، ولكن الحق أن في إسناده ضعيف ، فعطاء كان قد اختلط ، والراوي عنه اثنان عاصم بن علي بن عاصم وخالد بن عبد الله عنه ، وكلاهما روى عنه بعد الإختلاط ولهذا الحديث متابعة عند ابن شاهين في فوائده (٤) من طريق شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ورواه أبو الشيخ في العظمة (٥) مرفوعا ولا يصح .

أما حديث أبي هريرة : فقد رواه الهروي في ذم الكلام (٧٦/١) وأخرجه ابن عساكر في المجلس (١٣٩) والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٢٨٠/١) والخطيب في تاريخه (١٤٧/١٨) **وهو منكر جدا** روي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي وهو متهم بالكذب ، [وانظر الحديث في: مجمع الزوائد ٨١/١. واتحاف السادة المتقين ١٦٢/١، ٥٣٦/٦. وكشف الخفا ٣٧١/١]

أما حديث ابن عمر : رواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩) وابن عدي في الكامل (٣٨٥/٨) والبيهقي في الشعب (١٢٠) وابن حبان في المجروحين (٨٢/٣) والأصبهاني في الترغيب (٦٧١) وأبو إسماعيل الهروي في دلائل التوحيد (٣٧) أبو الشيخ في العظمة (١) واللالكائي (٩٢٧) كلهم من طريق وازع عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : فذكره ، **وإسناده ضعيف جدا** لضعف وازع ، قال أبو حاتم والنسائي : لا يعتمد على روايته لأنه متروك ، وقال البخاري منكر الحديث وقال الحاكم روى أحاديث موضوعة ، [أنظر اللسان (٢١٣/٦)] قال ابن حبان عن حديثه هذا في المجروحين : (لا تخلوا أن تكون نسخة موضوعة أو مقلوبة) ولهذا استنكر هذا الحديث ابن طاهر في ذخيرة الحفاظ (١٦٧/١) وذاك الذهبي في تاريخه (٣٢٤/٩) .

أما حديث أبي ذر : فقد رواه أبو الشيخ في العظمة (٤) **بسند موضوع** ، فيه سَيْفُ ابْنُ أُخْتِ سُفْيَانَ قال أبو داود كذاب كما

عند الخطيب في تاريخ بغداد (٣/٣١٢)

أما حديث يونس بن ميسرة : فرواه أبو الشيخ أيضا (٢٠) **بسند ضعيف** فيه معاوية بن يحيى الصدفي أبو روح الدمشقي ، قال ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة عنه فقال: ليس بقوي أحاديثه كلها مقلوبة ما حدث بالري ، والذي بالشام أحسن حالا" [تهذيب التهذيب (١٠/٢١٩) وميزان الاعتدال ٤/١٣٨] وقد أشار العقيلي في الضعفاء (٤/١٨٢) إلى نكارة هذه الرواية فقال نقلا عن البخاري عند ترجمته (١٧٥٨) يروي عن إسحاق بن سليمان أحاديث مناكير) اهـ

أما حديث أبي أمامة : فذكره الدارقطني في الأفراد كما في الأطراف (٤٥٨٨) وقال بأنه قد تفرد به علي بن يزيد الصدائي عن أبي سعيد الشامي عن مكحول عنه وهو **سنده منكر** لضعف علي هذا وأيضا لم يسمع من أبي أمامة كما قال أبو حاتم في المراسيل (٧٩١) لابن أبي حاتم .

أما مرسل الحسن : فرواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٦) مرفوعا عن الحسن ورواه موقوفا على الحسن هناد في الزهد (ص٤٦٩) بسند ضعيف فيه إسماعيل بن مسلم المكي ضعيف .

أما مرسل عمرو بن مرة : فرواه حرب الكرماني في السنة (٤٣٤) وهناد في الزهد (ص٤٦٩) وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب (٢/١٧٤) وهو ضعيف ومعضل ووصله بسند منكر أبو الشيخ في العظمة (٥) والأصبهاني (٢/٧٣) عن عمرو بن مرة عن رجل حدثه عن بن عباس موقوفا عليه ، وفيه ضعف وجهالة وقد أورده في الدر المنثور (٢/١١٠) ونسبه لابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والإعتبار .

(**قلت**) وقد توارد هذا المعنى عن السلف وقد سبق الكلام عن ذلك في الفقرة (١١) وهنا كأن المؤلف كرر الكلام ، ثم سيعود مرة أخرى ليكرر الكلام قريبا منه في الفقرة رقم (٩٥) ، ونزيد هنا بعض النقولات حتى لا نخلي هذه الفقرة من فائدة ، ففي النهي عن التفكر في ذات الله شأن عظيم ، لأن ذلك طريق ومدخل شيطاني للإلحاد والكفر والزندقة في الغالب :

روى أبو الشيخ في العظمة (٦) عَنْ سُفْيَانَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} قَالَ : لَا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ .

وروى أبو المظفر السمعاني في كتاب الإنتصار لأهل الحديث (ص٩) **وجمع الجيوش والدساكر لابن المبرد** (٤٧) :

وَكَانَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ يبغض أهل الْأَهْوَاء وَينْهى عَن مجالسهمْ أَشد النَّهْي وَيَقُول عَلَيْكُم بالأثر وَإِيَّاكُم وَالْكَلَام فِي ذَات الله) .

روى ابن بطة في الإبانة (٩٢٩) **عن أَبِي نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ قَالَ** : " حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِجَمِيعِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَيَتْرُكَ التَّفَكُّرَ فِي الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَتْبَعَ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ» قَالَ نُعَيْمٌ : {**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**} [الشورى: ١١] وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ)."

في السنة للكرماني (٤٣٤) : **قال إسحاق بن راهويه** : لا يجوز التفكر في الخالق ، ويجوز للعباد أن يتفكروا في المخلوقين بما سمعوا فيهم ولا يزيدون على ذلك ، لأنهم إن فعلوا تاهوا ، حدثنا أحمد بن الأزهر قال : حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال: مر النبي – صلى الله عليه وسلم – على قوم يتفكرون قال: (تفكروا في الخلق ، ولا تفكروا في الخالق)

(**قلت**) وسبب التجهم وبدايته هي التفكر في ذات الله وإليك قصته : **قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣١٧)** عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ : وَكَانَ مِمَّا عَلِمْنَا مِنْ أَمْرِ عَدُوِّ اللَّهِ جَهْمٍ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ مِنْ أَهْلِ التِّرْمِذِ ، وَكَانَ صَاحِبَ خُصُومَاتٍ وَكَلَامٍ ، وَكَانَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ فِي اللَّهِ ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » فَلَقِيَ جَهْمٌ نَاسًا يُقَالُ لَهُمُ : السُّمَنِيَّةُ فَعَرَفُوا جَهْمًا ، فَقَالُوا لَهُ: نُكَلِّمُكَ فَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُنَا عَلَيْكَ دَخَلْتَ فِي دِينِنَا،

[٤٥] واعلم أن الهوام والسباع والدواب كلها ، نحو الذر [والذباب] والنمل كلها مأمورة لا يعملون شيئا إلا بإذن الله تبارك وتعالى (١).

= وَإِنْ ظَهَرَتْ حُجَّتُكَ عَلَيْنَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ، فَكَانَ مِمَّا كَلَّمُوا بِهِ جَهْمًا أَنْ قَالُوا لَهُ: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ إِلَهًا ؟ قَالَ جَهْمٌ: نَعَمْ. فَقَالُوا: هَلْ رَأَيْتَ إِلَهَكَ ؟ قَالَ: لَا قَالُوا : أَسَمِعْتَ كَلَامَهُ ؟ قَالَ: لَا قَالُوا : فَسَمِعْتَ لَهُ حِسًّا ؟ قَالَ : لَا قَالُوا : فَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ إِلَهٌ ؟. قَالَ: فَتَحَيَّرَ جَهْمٌ ، فَلَمْ يُصَلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ حُجَّتَهُ مِثْلَ حُجَّةِ زَنَادِقَةِ النَّصَارَى ، وَذَلِكَ أَنَّ زَنَادِقَةَ النَّصَارَى تَزْعُمُ أَنَّ الرُّوحَ الَّتِي فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ رَوْحُ اللَّهِ مِنْ ذَاتِهِ كَمَا يُقَالُ : إِنَّ هَذِهِ الْخِرْقَةَ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ فَدَخَلَ فِي جَسَدِ عِيسَى فَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِ عِيسَى ، وَهُوَ رَوْحٌ غَائِبٌ عَنِ الْأَبْصَارِ ، فَاسْتَدْرَكَ جَهْمٌ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ ، فَقَالَ لِلسُّمَنِيَّةِ : أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ فِي أَجْسَادِكُمْ أَرْوَاحًا ؟ قَالُوا : نَعَمْ قَالَ : هَلْ رَأَيْتُمْ أَرْوَاحَكُمْ ؟ قَالُوا : لَا قَالَ : أَفَسَمِعْتُمْ كَلَامَهَا ؟ قَالُوا : لَا قَالَ: أَفَشَمَمْتُمْ لَهَا رَائِحَةً ؟ قَالُوا : لَا قَالَ جَهْمٌ : فَكَذَلِكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَى فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لَا يَكُونُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ ، وَوَجَدْنَا ثَلَاثَ آيَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلَهُ : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] وَقَوْلَهُ {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} وَقَوْلَهُ {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] فَبَنَى أَصْلَ كَلَامِهِ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ الْآيَاتِ ، وَوَضَعَ دِينَ الْجَهْمِيَّةِ ، وَكَذَّبَ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَأَوَّلَ كِتَابَ اللَّهِ عَلَى تَأْوِيلِهِ ، فَاتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، وَأُنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ فَأَضَلَّ بِكَلَامِهِ خَلْقًا كَثِيرًا) اهـ

(١) والمؤلف يرد على مذهب المعتزلة والقدرية ، الذين ضلوا وابتدعوا أقوالا خبيثة في أفعال الحيوانات على رأسهم النظام المعتزلي الذي قال أن أفعال الحيوانات مجرد حركة وسكون خارجة عن قدرة الله تعالى ! وذلك بناءً على معتقدهم في القدر والمشيئة وأفعال المخلوقات ، وَالْحق الَّذِي عَلَيْهِ أهل السّنة أَن أَفعَال الْحَيَوَانَات تنْسب إِلَى الله عز وَجل على أنه خَالِقهَا وموجدها كَمَا قَالَ تَعَالَى {**وَالله خلقكُم وَمَا تَعْمَلُونَ**}وهذه مسألة مستحدثة لا أجد للسلف فيها كلاما ، وأغلب من رد عليهم هم من المتأخرين ، **وَقَالَ ابْن الْقيم فِي قصيدته النونية** استِدْلَالا على شُمُول الْقدر الإلهي لأفعال الْعباد وَغَيرهَا من الْمَخْلُوقَات :

وَهُوَ الْقَدِير فَكل شَيْء فَهُوَ … مَقْدُور لَهُ طَـوْعًا بِلَا عصيان
وَعُـمُوم قدرته تـدل بِأَنَّـهُ … هُـوَ خَالق الْأَفْعَال للحيوان
هِيَ خلقه حَقًّا وأفعال لَهُم … حَـقًّـا وَلَا يتنـاقض الْأَمْـرَانِ
لَكِن أهل الْجَبْر والتكذيب … بالأقدار مَا فـتحت لَهُم عينان

(**قلت**) وقد نسب هذا القول للمعتزلة والقدرية غير واحد من المتأخرين: أنظر شفاء العليل (ص١٠٩) والفرق بين الفرق (١٢١/١) وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٨/١) والرد على المعتزلة الأشرار (٣٣٧/٢) والتبصير في الدين (ص٦٥) ونسب ابن تيمية هذا المعتقد أيضا للإمامية كما في المنتقى من منهاج الإعتدال لذاك الذهبي (ص٢٣)]

[٤٦] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى قد علم ما كان من أول الدهر ، وما لم يكن مما هو كائن ثم أحصاه وعده عدا ومن قال : إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم (١).

---

(١) وهذا المعتقد متفق عليه بين السلف والأئمة ، خلافا للقدرية الأولى الكافرة نفاة العلم ، التي أنكرت أن يكون الله متفرد بعلم الغيب والشهادة في الأزل ، وما هو كائن مما لم يكن بعد ، ولما خرجت القدرية نفاة العلم وعلى رأسهم معبد الجهني بالبصرة ، وبدأت الكلام في نفي القدر وجحود العلم ، كفرهم السلف وتبرؤوا منهم وشددوا في النكير عليهم واستتابوهم من الزندقة ، وفي هذا الباب عدة آثار منها :

عن أبي هريرة -رضي اللَّه عنه- قال : جاء مشركو قريش إلى النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- يخاصمونه في القدر فنزلت {**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خلقناهُ بِقَدَرٍ**} في أهل القدر .[رواه مسلم (٢٦٥٦)]

عن محمد بن كعب قال : نزلت هذه الآية {**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خلقناهُ بِقَدَرٍ**} في أهل القدر . [رواه الفريابي في القدر(٢٤٦) والسنة لعبد اللَّه (٩١٨ - ٩١٩) والطبري في تفسيره (٣٢٨٣٩) والآجري في الشريعة (٤٤٧) وابن بطة في الإبانة (١٥٣٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٢٦٠)]

وعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمُرَ قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ بِالْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَقِينَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُلْنَا : إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ، وَيَتَّبِعُونَ الْعِلْمَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ ، قَالَ : فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ **فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ** ، **وَهُمْ مِنِّي بَرَآءٌ** ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ ابْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ ، **مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ** حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. [أخرجه مسلم : كتاب الإيمان: ج ١.]

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَرَى فِيهِ الْمَوْتَ فَقَالَ : يَا أَبَتِ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ قَالَ : اجْلِسْ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قُلْتُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ ؟ قَالَ : تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: " إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ : اجْرِ ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، **فَإِنْ مِتَّ وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ** ، **دَخَلْتَ النَّارَ**) [أخرجه أحمد (٢٢٧٦٨) وابن أبي عاصم في السنة (١٠٧) والبزار في مسنده (٢٦٨٧) وابن جرير في تفسيره (٢٩/١٧) وابن بطة في الإبانة (١٣٦٢، ١٤٤٨) والآجري في الشريعة (١٨٠) وغيرهم بسند صحيح]

روى الزبير بن بكار في أخبار مكة (**١١**) عن بن سيرين قَالَ : مَا يُنْكِرُ قَوْمٌ أَنَّ اللهَ عَلِمَ شَيْئًا فَكَتَبَهُ .

روى مالك في الموطأ (**٢/٩٠٠**) والدارمي في النقض على المريسي (٢/٩٠٤) وعبد الله في السّنة (ص١٢٩) وَابْن أبي عَاصِم فِي السّنة (١/٨٨) عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلٍ قَالَ : كُنْتُ أُسَايِرُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ لِي : مَا تَرَى فِي هَؤُلَاءِ الْقَدَرِيَّةِ ؟ فَقُلْتُ : أَرَى أَنْ تَسْتَتِيبَهُمْ فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا عَرَضْتَهُمْ عَلَى السَّيْفِ ، فَقَالَ عُمَرُ : ذَلِكَ رَأْيِي ، قَالَ الْقَعْنَبِيُّ : قَالَ مالك : ذَلِك رَأْيِي .

وروى عبد الله في السنة (**٨**) **وابن بطة في الإبانة الكبرى** (**٣٤٠**) عن سُلَيْمَانَ التَّيْمِيُّ قَالَ : « لَيْس قَوْمٌ أَشَدَّ نَقْضًا لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ ، فَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَقَدْ بَارَزُوا اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَمَّا الْقَدَرِيَّةُ فَإِنَّهُمْ قَالُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »

وروى الفريابي في القدر (٢٣٩) وعبد الله في السنة (٨٤٨) والآجري في الشريعة (صـ ٢٠٤) وابن بطة في الإبانة (١٥٥٢) واللالكائي: (١١٦٧) عن عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَسَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ « يَلْعَنَانِ الْقَدَرِيَّةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِقَدَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ » **وفي لفظ** : فقلت لهما : من القدرية يرحمكما الله ؟ قالا : الذين يقولون الزنا ليس بقدر.

وروى أيضا (٨٥٠) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٢٩٨) عن عِكْرِمَةُ قَالَ : سَأَلْنَا يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ عَنِ الْقَدَرِيَّةِ فَقَالَ: « **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُقَدِّرِ الشَّرَّ** »

وعن الحسن قال : **من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن** . [رواه معمر في جامعه (٢٠٠٨٥) وعبد اللَّه في السنة (٩٣٤) والآجري في الشريعة (٤٣٠) وابن بطة في الإبانة (١٦٦٦) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٢٥٤)]

وروى عبد الله (٨٥٢) عن رَبِيعَةُ بْنُ كُلْثُومٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ أَصْحَابُ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ: كَانَ مُسْلِمٌ يَقْعُدُ إِلَى هَذِهِ السَّارِيَةِ فَقَالَ : إِنَّ مَعْبَدًا يَقُولُ بِقَوْلِ النَّصَارَى .

وروى عبد الله (٨٣٧) عَنْ حَوْثَرَةَ بْنِ أَشْرَسَ قَالَ : سَمِعْتُ سَلَّامًا أَبَا الْمُنْذِرِ ، غَيْرَ مَرَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ : سَلُوهُمْ عَنِ الْعِلْمِ ، هَلْ عَلِمَ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ ، فَإِنْ قَالُوا : قَدْ عَلِمَ ، فَلَيْسَ فِي أَيْدِيهِمْ شَيْءٌ ، وَإِنْ قَالُوا : لَمْ يَعْلَمْ ، فَقَدْ حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ ."

وروى عبد الله في السنة (٨٥٣) عن عُمَارَةَ بْنَ زَاذَانَ يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْقَدَرِيَّةَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ ، فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ ، قَالَ : وَبَلَغَنِي أَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَنْتُمْ خُصَمَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ."

وقال الإمام مالك : ومن قال من القدرية : إن الله عزوجل لم يعلم ما العباد عاملون حتى يعملوا فإنهم يستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا . [ذكره اللالكائي (٧٠١/٤) وأبو نعيم في الحلية (٣٢٦/٦)]

وروى عبد الله في السنة (٨٣٥) والخلال في السنة (٨٤٩) سَمِعْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَسَأَلَهُ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ عَنْ مَنْ قَالَ : بِالْقَدَرِ يَكُونُ كَافِرًا ؟ قَالَ : إِذَا جَحَدَ الْعِلْمَ ، إِذَا قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا حَتَّى خَلَقَ عِلْمًا فَعَلِمَ فَجَحَدَ عِلْمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ كَافِرٌ ."

قال أحمد : ولأصحاب البدع ألقاب وأسماء، لا تشبه أسماء الصالحين، ولا العلماء من أمة محمد صلى اللَّه عليه وسلم، فمن أسمائهم : .... القدرية : وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر ، والضر والنفع ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال ، وأن العباد يعملون بدءًا ، من غير أن يكون سبق لهم ذلك من اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أو في علمه ، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية ، وهو أصل الزندقة. [طبقات الحنابلة (٦٦/١)] .

والآثار في هذا الباب كثيرة يراجع : [السنة لحرب الكرماني (٩٣) والسنة لعبد الله (ص٣٥٦) (سئل عن القدرية والصلاة خلفهم وما جاء فيهم) والسنة للخلال (٤٣٩/١) (باب القدرية التي ترد على الله) واللالكائي في السنة (٧٨١/٤) (سِيَاقُ مَا رُوِيَ مِنَ الْمَأْثُورِ فِي كُفْرِ الْقَدَرِيَّةِ وَقَتْلِهِمْ، وَمَنْ رَأَى اسْتِتَابَتَهُمْ) والشريعة (٩٥٨/٢) (بَابُ الرَّدِّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ) وفي (بَابُ مَا ذُكِرَ فِي الْمُكَذِّبِينَ بِالْقَدَرِ) وذم الكلام للهروي (١١٠/٥) الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٤/ باب ذكر الأئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر)] **(قلت)** كل هذا التكفير فيمن جحد العلم وأنكره ، أما من لم يجحد العلم ففي تكفيرهم نظر فقد كان الإمام أحمد وكثير من السلف لا يكفر من يثبت العلم ، كما **روى الخلال في السنة (٨٥٩)** عن المروذي سألت أحمد

[٤٧] ولا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل .(١)

= عن القدري فلم يكفره إذا أقر بالعلم .

وللفائدة في رد شبه القدرية الغلاة نفاة العلم ، يُنظر رسالة عمر ابن عبد العزيز للقدرية في الحلية (٥/٣٤٦) وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص٨٨ - ٨٩) وهي طويلة وماتعة ، وموجودة في الجامع لعقائد أهل السنة لآل حمدان (ص٤٥) ففيها حجج رائعة في رد شبههم بالأدلة القرآنية ، [وينظر للمزيد في الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٨٤١) (مذهب عمر بن عبد العزيز في القدر وسيرته في القدرية) وترتيب المدارك (٢/٤٨) والشريعة (٥٠٨) وإرشاد السالك (ص٣٤٩)]

(١) خلافا لأهل الرأي من الأحناف والرافضة اللذين أجازوا للمرأة أن تتزوج بلا ولي ولا شهود ، ففتحوا بابا عظيما للسفاح كما فتحوا قبله بابا للكفر في باب الحيل حين أباح الأحناف لها أن ترتد حتى تفتك من زوجها فإذا انفسخ العقد تعود إليه !! وهم يتفاخرون بهذه الحيلة الخبيثة ، وقد اشتد السلف معهم ، وضللوهم وتبرؤوا منهم ومن مذاهبهم الدنيئة وحذروا منها .

أولا بالنسبة لاشتراط الولي : فقد ثبت في هذا الباب : الحديث الصحيح : (**لا نكاح إلا بولي**) [أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) والترمذي (١١٠١) والدارمي (٢/١٣٧) وأحمد (٤/٣٩٤، ٤١٣) والطيالسي (١٥٥٤) وابن ماجة (٨١) وابن الجارود في المنتقى (رقم ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤) وأبو يعلى (٧٢٢٧) وابن حبان (١٢٤٣ - موارد) والدارقطني (٣/٢١٨-٢١٩) والحاكم (٢/١٧٠) والبيهقي (٧/١٠٧) وابن حزم في المحلى (٩/٤٥٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٢/٢١٤) (٦/٤١) (١٣/٨٦) والبغوي في شرح السنة (٥/٣٢) من طريق أبي إسحاق عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه مرفوعا ، وصححه جمع من أهل الحديث كابن المديني وأحمد وبن معين والترمذي والدارقطني وغيرهم وكفى بهم حجة على من خالفهم من المتعالمين وقد رواه ثلاثين صحابيا فيما ذكره الحاكم في مستدركه وعدد طرقهم ، وقد لخص الترمذي في سننه (٢/٤٠١) الباب كله فقال : وفي البَاب عَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَأَنَسٍ) ثم قال : وَالعَمَلُ فِي هَذَا البَابِ عَلَى حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (**لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ**) عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ بَعْضِ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا : لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ مِنْهُمْ : سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ وَشُرَيْحٌ ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ وَغَيْرُهُمْ وَبِهَذَا يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَالأَوْزَاعِيُّ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ) اهـ .

وفي هذا الباب عدة شواهد من الأحاديث والآثار ، منها :

ثانيا : **في اشتراط الشهود** : **قال الإمام أحمد** : لم يثبت عن النبي –صلى اللَّه عليه وسلم– في الإشهاد على النكاح شيء .

[ذكره في تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي (٣/١٦٣) والفتاوى لابن تيمية (٣٢/١٢٨) والتحقيق لابن الجوزي (٧/١٥١)

]**وقال مرة** : ليس فيه حديث صحيح . [الفتاوى لابن تيمية (٣٣/٩٣) وأنظر الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٥/٥٢)]

(**قلت**) ولكن سيأتي الكلام في حديث عائشة وأن أحمد خولف في تضعيفه له ، وهو نص في الإشهاد .

وما جاء في هذا المعنى : روى معمر في جامعه (٢٣٩) والروياني في مسنده (٨٣) وفيه سنده ضعف عن الحسن عن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**لا يحل نكاح إلا بولي وصداق وشاهدي عدل**) وقد رواه بعض الرواة مرسلا .

وأصح شيء في الباب : عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا نُكِحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهَا ،

فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَإِنْ أَصَابَهَا ، **فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا** فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ . [رواه أحمد (٢٤٢٠٥) والدارمي (٢/١٣٧) وأبو داود (٢٠٨٣) والترمذي (١١٠٢) وابن ماجه (١٨٧٩) وابن حبان (١٢٤٨) والحاكم (٢/١٦٨)]

(**قلت**) وهذا الحديث أصل كبير في إبطال نكاح بلا ولي ، وفيه كلام وخلاف في تصحيحه ملخصه :

[أن الحديث مختلف في سنده ومتنه ، وقد ذكر الخلاف وأطال في تعداد طرقه الدارقطني في علله (١٢/١٥ ـ ٢٧) وقد خالف الإمام أحمد في تصحيحه وضعفه كما في مسائل حرب (ص ٤٦٣) بعلة أن الزهري الذي رُويَ عنه هذا الحديث أنكر أنه رواه بعدما سئل عنه ، ولكن خالفه في هذا التعليل ابن معين وبين أن الزهري لم ينكره وأن من ورى عنه أنه أنكره تفرد بذلك وشذ بها ، فيما نقله عنه الخطيب في الكفاية (٣٨٢/١) وذاك الذهبي في الميزان (٢٢٥/٢) عند ترجمة سليمان بن موسى ، ومال إلى قول ابن معين وصححه الدارقطني في علله ، وابن عدي في الكامل (٢٥٥/٤) ثم قال : (وهذا حديث جليل في هذا الباب في باب لا نكاح إلاَّ بولي وعلى هذا الاعتماد في إبطال نكاح بغير ولي) وصححه ابن خزيمة وابن حبان الحاكم والبيهقي والخطيب وابن حزم والذهبي ، وأرجوا أن يكون هذا هو الصواب ، وقد قال أبو موسى المديني في كتابه اللطائف (ص٢٨٢) : هذا حديث ثابت مشهور يحتج به] وروي في معنى (**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**) أحاديث مرفوعة : عن علي وجابر وأبي هريرة وعمران وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وأبي موسى وعبد الله بن عمرو ، والمسور بن مخرمة ، وأنس بن مالك ومعاذ بن جبل وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود و وعائشة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش رضى الله عنهم أجمعين ولكن في زيادة : (**وشاهدي عدل**) في أسانيدها فيها مقال ولا يثبت فيها شيء ، لكن ثبتت آثار صحيحة في معناها ، منها :

روى البيهقي في السنن الصغير (٢٣٨٣) عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ » [وصححه أحمد كما في مسائل حرب (ص ٤٦٤) والمغني لابن قدامة (٣٤٥/٩)] .

روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٨٥) وابن أبي شيبة (١٥٩٢١) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ : رَدَّ نِكَاحَ امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا .

وروى سعيد بن منصور في سننه (٥٣٧) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: « لَا يُزَوِّجُ النِّسَاءَ إِلَّا الْأَوْلِيَاءُ ، لَا تُنْكِحُوهُنَّ إِلَّا مِنَ الْأَكْفَاءِ »

وروى سعيد بن منصور في سننه (٥٣٠) وعَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٨٦) عن عِكْرِمَةَ بْنِ خَالِدٍ قال : « أَنَّ الطَّرِيقَ جَمَعَتْ رَكْبًا فَجَعَلَتِ امْرَأَةٌ ثَيِّبٌ أَمْرَهَا إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرِ وَلِيٍّ ، فَأَنْكَحَهَا رَجُلًا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَجَلَدَ النَّاكِحَ ، وَالْمُنْكِحَ وَرَدَّ نِكَاحَهَا »

روى البيهقي في الكبرى (١٣٦٤٥) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ ، وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بِشُهُودٍ ." [صححه أحمد كما في مسائل حرب" (ص ٤٦٤) وصححه البيهقي نفسه بعد تخريجه]

روى عبد الرزاق (١٠٤٧٦) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ : « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ يَأْذَنُ »

وروى ابن أبي شيبة (١٥٩٢٢) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « مَا كَانَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ فِي النِّكَاحِ بِغَيْرِ وَلِيٍّ مِنْ عَلِيٍّ حَتَّى كَانَ يَضْرِبُ فِيهِ »

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٨٠) عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّ عُمَرَ ، وَعَلِيًّا ، وَابْنَ مَسْعُودٍ ، وَشُرَيْحًا : « لَا يُجِيزُونَ النِّكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ »

وروى الشافعي كما في مسنده (٢٢٠/١) والبيهقي في سننه الكبرى (١٣٦٥٠) والصغير (٢٣٧٥) وصححه وهو بسند جيد

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ مُرْشِدٍ وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ . [وقد صحح هذا الأثر أحمد كما في مسائل حرب (ص٣٦٣)]

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٩٠) عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « فَرْقٌ بَيْنَ النِّكَاحِ ، وَالسِّفَاحِ الشُّهُودُ »

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٨٩) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : قُلْتُ لَهُ : رَجُلٌ تَزَوَّجَ بِشَهَادَةِ نِسْوَةٍ قَالَ : يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا ، وَإِنِ اطُّلِعَ عَلَيْهِ كَانَتْ عُقُوبَةٌ ، أَدْنَى مَا كَانَ يُقَالُ : خَاطِبٌ وَشَاهِدَانِ ."

(قلت) بل جعلوا النكاح بلا ولي زنا وسفاحا ، وجلدوا في ذلك الحد ، وردوا النكاح وفرقوا بينهما .

وروى سعيد بن منصور (٥٣٣) وعَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٨١) عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: « الْبَغَايَا اللَّائِي يَتَزَوَّجْنَ بِغَيْرِ وَلِيٍّ » أَحْسَبُهُ قَالَ : " لَا بُدَّ مِنْ أَرْبَعَةٍ : خَاطِبٍ ، وَوَلِيٍّ ، وَشَاهِدَيْنِ "

روى عبد الرزاق (١٠٤٩٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَال : « لَا تُنْكِحِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ تُنْكِحُ نَفْسَهَا »

وروى سعيد بن منصور في سننه (٥٣٢) عن هَارُونُ السُّلَمِيُّ قَالَ : جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ ، وَهُوَ يُوَلِّي جَدْوَلًا لَهُ فَقَالَتْ : أَنْتَ أَبُو الشَّعْثَاءِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقَالَتِ : امْرَأَةٌ زَوَّجَتْ نَفْسَهَا ؟ فَقَالَ : تِلْكَ امْرَأَةٌ تُسَمِّيهَا الْعَرَبُ الْبَغِيَّ ، فَقَالَتْ : مَا أَفْحَشَكَ يَا شَيْخُ فَقَالَ : الَّذِي جَاءَ بِالْفَاحِشَةِ أَفْحَشُ ."

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٩٨) عَنِ الثَّوْرِيِّ قَالَ : سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ ، عَنِ امْرَأَةٍ لَهَا جَارِيَةٌ ، أَتُزَوِّجُهَا ؟ قَالَ : « لَا ، وَلَكِنْ لِتَأْمُرْ وَلِيَّهَا فَلْيُزَوِّجْهَا »

وروى عبد الرزاق (١٠٤٨٣) وابن أبي شيبة (١٥٩٢٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِإِذْنِ وَلِيٍّ أَوْ سُلْطَانٍ »

وروى عبد الرزاق (١٠٤٨٤) عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ : نَكَحَتِ ابْنَةُ أَبِي أُمَامَةَ ، امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ مِنْ كِنَانَةَ بْنِ مُضَرِّسٍ ، فَكَتَبَ عَلْقَمَةُ بْنُ أَبِي عَلْقَمَةَ الْعُتَوَارِيُّ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِذْ هُوَ بِالْمَدِينَةِ : « إِنِّي وَلِيُّهَا وَإِنَّهَا أُنْكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِي » فَرَدَّهُ عُمَرُ وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ أَصَابَهَا.

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٩٠) عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: « فَرْقٌ بَيْنَ النِّكَاحِ ، وَالسِّفَاحِ الشُّهُودُ »

روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٠٤٩١) عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: نَكَحَتْ بِنْتُ حُسَيْنٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا ، أَنْكَحَتْ نَفْسَهَا فَكَتَبَ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَكَتَبَ: « أَنْ فَرِّقْ بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ كَانَ دَخَلَ بِهَا ، فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْهَا ، وَإِنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا خَطَبَهَا مَعَ الْخُطَّابِ»

روى سعيد بن منصور في سننه (٥٣١) وعبد الرزاق (١٠٤٩٢) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : لَيْسَ لِلنِّسَاءِ مِنَ الْعَقْدِ شَيْءٌ قَالَ: لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ ».

روى سعيد بن منصور (٥٣٨) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : سَأَلْتُ عَنِ امْرَأَةٍ لَيْسَ لَهَا وَلِيٌّ أَتُزَوِّجُ نَفْسَهَا؟ فَقَالَ: " لَا يُزَوِّجُهَا إِلَّا الْوَلِيُّ قُلْتُ: إِنَّهُ لَا وَلِيَّ لَهَا قَالَ: فَالسُّلْطَانُ ، وَأَبَى إِلَّا ذَلِكَ "

وروى ابن أبي شيبة (١٥٩٣٤) عَنْ الْحَسَنَ يَقُولُ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، وَشَاهِدَيْ عَدْلٍ، وَبِصَدَقَةٍ مَعْلُومَةٍ، وَمَشْهُودٍ عَلَانِيَةً»

وفي مسائل حرب (٣٩٨) عن ابن المبارك أنه قال: لا نكاح إلا بولي، وأرى أن يفرق بينهما.

وفي مسائل أبي داود (٢٢٨) : سَمِعْتُ أَحْمَدَ وَسُئِلَ : "كَمْ أَدْنَى مَا يَكُونُ فِي النِّكَاحِ ؟ قَالَ : الْخَاطِبُ وَالَّذِي يُزَوِّجُ وَالشَّاهِدَانِ سَمِعْتُ أَحْمَدَ يَقُولُ: « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَلِيٌّ فَالسُّلْطَانُ » .

وصداق قل أو كثر(١) ومن لم يكن لها ولي ، فالسلطان ولي من لا ولي له (٢) .

---

(١) **أما دليل الصداق** : قَول اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** } [النساء ٤] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {**فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**} [النساء: ٢٥] وَقَالَ {**أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً**} [النساء: ٢٤] وَقَالَ {**وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**} [النساء: ١٩] وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ {**وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا**} [النساء: ٢٠] وفيه الحديث المشهور (**التمس ولو خاتما من حديد**) .

(٢) إنَّ ثبوت الولاية في النّكاح لكلِّ من لا وليّ لها بالسلطان من المتفق عليها بين أهل العلم ، فإنَّ للسلطان ولاية عامَّة على الأنفس والأموال ، ولم يخالف في هذا إلا أهل الرأي والبدع من الأحناف ومن وافقهم في شذوذهم ، والدليل **على هذا من السنة والإجماع والآثار** :

فمن السنة : **أولا** : فيه نص صريح سبق ذكره وهو حديث عَائِشَةَ (إِذَا نُكِحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَإِنْ أَصَابَهَا ، فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا فَإِنْ اشْتَجَرُوا **فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ**).

وقد سبق أنه فيه خلاف يسير وأن الأقرب أنه صحيح ، صححه جماهير أهل الحديث .

ثانيًا : قوله صلى الله عليه وسلم لمن خطب منه المرأة التي وهبت نفسها للنَّبيِّ : "زوّجناكها بما معك من القرآن" متفق عليه .

وممن استدل بهذا الحديث على ثبوت ولاية السلطان في النكاح الإمام البخاري في صحيحه ، حيث كانت إحدى تراجمه عليه . [باب السلطان وليّ ، لقوله صلى الله عليه وسلم : زوّجناكها بما معك من القرآن]

ثالثًا : حديث أمّ حبيبة رضي الله عنها : أنَّ النجاشي زوّجها النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وهي عنده بأرض الحبشة ."

أما الإجماع : فقال ابن عبد البر في الإستذكار (٥/٣٩٣) : أَجْمَعُوا أَنَّ السُّلْطَانَ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ .

أما الآثار الواردة في هذا المعنى ، نذكر منها :

قول عمر رضي الله عنه : "لا تنكح المرأة إلاَّ بإذن وليّها ، أو ذي الرأي من أهلها ، أو السلطان . [صحيح : رواه مالك في الموطا (١٩١٥) والشافعي في الأم (٧/ ٢٢٢) والدارقطني في سننه (٣٥٤٢) والبيهقي في سننه (١٣٦٤٠)]

(قلت) وأمّا المراد بالسلطان هنا فهو : إمام المسلمين العامَّ الذي له الأمر والولاية على الكافّة ، ويقوم مقامه نائبه أو قاضيه أو من يفوّضه إليه.

وروى الطحاوي في مشكل الآثار (٤٤٨/١٤) : عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ : هَلْ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ إِلَّا بِإِذْنِ وَلِيٍّ ، أَوِ السُّلْطَانِ قَالَ قُلْتُ : لَيْسَ لَهَا مَوْلًى ، أَوْ هَلَكَ مَوْلَاهَا قَالَ : فَالسُّلْطَانُ ، قَالَ : فَرَجَعْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى غَضِبَ .

والخلاصة : أن النكاح له أربعة شروط لخصها **الإمام الشافعي في الأم (٢٣/٥)** فقال : يَجْمَعَ النِّكَاحُ أَرْبَعًا : **أَنْ تَرْضَى** الْمَرْأَةُ الْمُزَوَّجَةُ وَهِيَ بَالِغٌ وَالْبُلُوغُ أَنْ تَحِيضَ أَوْ تَسْتَكْمِلَ خَمْسَ عَشَرَةَ سَنَةً ، **وَيَرْضَى الزَّوْجُ الْبَالِغُ** ، وَيُنْكِحُ الْمَرْأَةَ **وَلِيٌّ** لَا أَوْلَى مِنْهُ أَوْ **السُّلْطَانُ** ، **وَيَشْهَدُ** عَلَى عَقْدِ النِّكَاحِ شَاهِدَانِ **عَدْلَانِ** ، فَإِنْ **نَقَصَ** النِّكَاحُ **وَاحِدًا** مِنْ هَذَا كَانَ **فَاسِدًا** .

[٤٨] وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثا ، فقد حرمت عليه ، ولا تحل له ، حتى تنكح زوجا غيره (١) .

(١) وهذه من المسائل التي تعرضت للتخليط العريض ، وذكرها المؤلف ردا على أهل الرأي ، وقد كان السلف مجمعون على أن الطلاق الثلاث يقع ثلاثا ، سواء كان الطلاق بلفظة واحدة كأن يقول (أنت طالق ثلاثا) أو يكرر الطلاق ثلاث مرات فيقول مثلا (أنت طالق طالق طالق) وعلى هذا مضى الزمن الأول ، وقد وردت أدلة كثيرة تبين هذا ، أذكر بعضها هنا :

والأصل في هذا الباب ما قَالَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ٢٢٩]

وَقَالَ: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} [البقرة: ٢٣٠]

في السنن الكبرى للبيهقي (٥٤٤/٧) : قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : فَالْقُرْآنُ وَاللهُ أَعْلَمُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ طَلَّقَ زَوْجَةً لَهُ دَخَلَ بِهَا أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا ثَلَاثًا لَمْ تَحِلَّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) اهـ

أما الآثار فهي كثيرة أقتصر على ما يلي :

روى الشافعي كما في مسنده (١١٢) بسند صحيح عن محمد بن إياسٍ بنِ البكيرِ قال: طلّق رجل امرأتَهُ ثلاثاً قبل أن يدخل بها ثم بدا له أن ينكِحَها فجاء يستفْتي فسأل أبا هُرَيْرَةَ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ رضي اللَّه عنهم فقالا : لا نرى أن تَنكحها حتى تتزوجَ زوجاً غيرَكَ فقال : إنما كان طلاقي إياه واحدةً فقال ابنُ عباسٍ : إنك أرسلت عن يَدِك ما كان لك من فَضْلٍ .

روى عبد الرزاق (١١٠٧٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوْبَانَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ، وَعِنْدَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِحْدَى الْمُعْضَلَاتِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : « وَاحِدَةٌ تُبِينُهَا، وَثَلَاثٌ تُحَرِّمُهَا » فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «زَيَّنْتَهَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، أَوْ قَالَ: «نَوَّرْتَهَا»، أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا. يَعْنِي: أَصَابَ .

روى أبو داود في سننه (٢١٩٧) بسند صحيح عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّهُ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ رَادُّهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " يَنْطَلِقُ أَحَدُكُمْ ، فَيَرْكَبُ الْحُمُوقَةَ ثُمَّ يَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: {**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**} [الطلاق: ٢] ، وَإِنَّكَ لَمْ تَتَّقِ اللَّهَ فَلَمْ أَجِدْ لَكَ مَخْرَجًا ، عَصَيْتَ رَبَّكَ ، وَبَانَتْ مِنْكَ امْرَأَتُكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: {**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ**} [الطلاق: ١] فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ .

وروى ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٧٩٩) وسعيد بن منصور في سننه (١٠٩٣) عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ مِائَةَ تَطْلِيقَةٍ قَالَ : « حَرَّمَتْهَا ثَلَاثٌ وَسَبْعَةٌ وَتِسْعُونَ عُدْوَانٌ »

وروى أبو داود (٢١٩٨) **وعبد الرزاق** (١١٠٧١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِيَاسٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، سُئِلُوا عَنِ الْبِكْرِ يُطَلِّقُهَا زَوْجُهَا ثَلَاثًا ؟ فَكُلُّهُمْ قَالُوا: « لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ».

وروى البيهقي في السنن الكبرى (١٤٩٥٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنِّي طَلَّقْتُ امْرَأَتِي يَعْنِي الْبَتَّةَ وَهِيَ حَائِضٌ قَالَ: عَصَيْتَ رَبَّكَ وَفَارَقْتَ امْرَأَتَكَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حِينَ فَارَقَ امْرَأَتَهُ أَنْ يُرَاجِعَهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَمَرَهُ أَنْ يُرَاجِعَ امْرَأَتَهُ لِطَلَاقٍ بَقِيَ لَهُ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَكَ مَا تَرْتَجِعُ بِهِ امْرَأَتَكَ ."

وروى **ابن أبي شيبة (١٧٨٠١)** والبيهقي (١٤٩٥٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ أَنَّ بَطَّالًا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَطَلَّقَ امْرَأَتَهُ أَلْفًا فَرُفِعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ أَلْعَبُ فَعَلَاهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالدِّرَّةِ وَقَالَ: " إِنْ كَانَ لَيَكْفِيكَ ثَلَاثٌ ".

وروى **ابن أبي شيبة (١٧٧٩٠)** والبيهقي (١٤٩٥٨) عَنْ شَقِيقٍ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الرَّجُلِ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا قَالَ: " هِيَ ثَلَاثٌ لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ " وَكَانَ إِذَا أُتِيَ بِهِ أَوْجَعَهُ .

وروى **البيهقي (١٤٩٦١)** عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: طَلَّقْتُ امْرَأَتِي أَلْفًا قَالَ: ثَلَاثٌ تُحَرِّمُهَا عَلَيْكَ وَاقْسِمْ سَائِرَهَا بَيْنَ نِسَائِكَ ."

وروى **ابن أبي شيبة (١٧٨٠٠)** والبيهقي (١٤٩٦٢) عن مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلْقَمَةُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ إِنَّ رَجُلًا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ الْبَارِحَةَ مِائَةً قَالَ: " قُلْتَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً ؟ " قَالَ: نَعَمْ قَالَ: " تُرِيدُ أَنْ تَبِينَ مِنْكَ امْرَأَتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ: هُوَ كَمَا قُلْتَ ، قَالَ: وَأَتَاهُ رَجُلٌ فقال رجل طَلَّقَ امْرَأَتَهُ الْبَارِحَةَ عَدَدَ النُّجُومِ قَالَ : قُلْتَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : تُرِيدُ أَنْ تَبِينَ مِنْكَ امْرَأَتُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : هُوَ كَمَا قُلْتَ ، قَالَ مُحَمَّدٌ : فَذَكَرَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ كَلِمَةً لَا أَحْفَظُهَا قَالَ : قَدْ بَيَّنَ اللهُ أَمْرَ الطَّلَاقِ فَمَنْ طَلَّقَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُ وَمَنْ لَبَسَ عَلَيْهِ جَعَلْنَا بِهِ لُبْسَهُ وَاللهِ لَا تَلْبَسُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَنَتَحَمَّلُهُ عَنْكُمْ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ .

روى **عبد الرزاق (١١٠٧٤)** وسعيد بن منصور (١٠٩٥) والبيهقي (١٤٩٦٧) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَفْتِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا فَقَالَ عَطَاءٌ فَقُلْتُ : إِنَّمَا طَلَاقُ الْبِكْرِ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو : " إِنَّمَا أَنْتَ قَاصٌّ الْوَاحِدَةُ تُبِينُهَا وَالثَّلَاثُ تُحَرِّمُهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) .

روى **ابن أبي شيبة (١٧٧٨٨)** عَنْ وَاقِعِ بْنِ سَحْبَانَ قَالَ : سُئِلَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ، عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فِي مَجْلِسٍ قَالَ « أَثِمَ بِرَبِّهِ وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ »

وروى **البيهقي (١٤٩٧٠)** عن قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : سَأَلَ رَجُلٌ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ وَأَنَا شَاهِدٌ ، عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ مِائَةً قَالَ : " ثَلَاثٌ تُحَرِّمُ وَسَبْعٌ وَتِسْعُونَ فَضْلٌ . "

روى **البيهقي (١٤٩٧١)** عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: كَانَتْ عَائِشَةُ الْخَثْعَمِيَّةُ عِنْدَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَتْ: لِتَهْنِئْكَ الْخِلَافَةُ، قَالَ: بِقَتْلِ عَلِيٍّ تُظْهِرِينَ الشَّمَاتَةَ اذْهَبِي فَأَنْتِ طَالِقٌ ، يَعْنِي ثَلَاثًا قَالَ: فَتَلَفَّعَتْ بِثِيَابِهَا وَقَعَدَتْ حَتَّى قَضَتْ عِدَّتَهَا فَبَعَثَ إِلَيْهَا بِبَقِيَّةٍ بَقِيَتْ لَهَا مِنْ صَدَاقِهَا وَعَشَرَةِ آلَافٍ صَدَقَةً، فَلَمَّا جَاءَهَا الرَّسُولُ قَالَتْ: مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مَفَارِقٍ، فَلَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُهَا بَكَى ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ جَدِّي أَوْ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ سَمِعَ جَدِّي يَقُولُ: " أَيُّمَا رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا عِنْدَ الْأَقْرَاءِ أَوْ ثَلَاثًا مُبْهَمَةً لَمْ تَحِلَّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ " لَرَاجَعْتُهَا ".

وروى **عبد الرزاق (١١٠٦٦)** عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: « إِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ الْبِكْرَ ثَلَاثًا فَلَا تَحِلُّ لَهُ، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ »

روى **سعيد بن منصور (١٠٩٢)** عَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أَلْفًا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا قَالَ: «بَانَتْ مِنْهُ بِثَلَاثٍ وَسَائِرُهُنَّ مَعْصِيَةٌ »

(**قلت**) والآثار في الباب كثيرة ، وهذا مذهب الأئمة الفقهاء من بعدهم كالشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وأهل الحديث عامة إلا ما يشذُّ أحيانا الواحد تلو الواحد في القرن ، ممن يُغرب بقوله ويخالف عامة السلف ، ثم جاء ابن تيمية فنفخ في ذاك القول الشاذ فأحياه مرى أخرى ، وسجن لأجله ، ومع ذلك انتشر من بعده خاصة اليوم من مقلديه دون نظر في عمل السلف .

واحتجوا في هذه المسألة الخطيرة بحديث الذي رواه أحمد (٢٨٧٥) "ومصنف عبد الرزاق" (١١٣٣٦) عن مَعْمَرٌ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " كَانَ الطَّلَاقُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبِي بَكْرٍ وَسَنَتَيْنِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، طَلَاقُ الثَّلَاثِ : وَاحِدَةً " فَقَالَ عُمَرُ : " إِنَّ النَّاسَ قَدِ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أَنَاةٌ ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ. فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ " . ومن طريق عبد الرزاق أخرجه مسلم (١٤٧٢) (١٥) ، والطبراني (١٠٩١٦) والدارقطني (٦٤/٤) والحاكم (١٩٦/٢) والبيهقي (٣٣٦/٧) ، وأخرجه عبد الرزاق (١١٣٣٧) ، ومسلم (١٤٧٢) (١٦) ، وأبو داود (٢٢٠٠) والنسائي (١٤٥/٦) والطبراني (١٠٩١٧) والدارقطني (٤٦/٤-٤٧ و٤٨-٤٩ و٥٠- ٥١) والبيهقي (٣٣٦/٧) عن ابن جريج عن ابن طاووس عن أبيه : أن أبا الصهباء قال لابن عباس : أتعلم أنما كانت الثلاث تُجعل واحدة على عهد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر ، وثلاثاً من إمارة عمر ؟ فقال ابن عباس : نعم .

والجواب عن هذا الحديث أن نقول :

قال ابن رجب في "مشكل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث واحدة "- نقله عنه يوسف بن عبد الهادي في كتابه "سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث "-: فهذا الحديث لأئمة الإسلام فيه طريقان : **أحدهما** : مسلك الإمام أحمد ومن وافقه، وهو يرجع إلى الكلام في إسناد الحديث لشذوذه ، وانفراد طاووس به ، فإنه لم يُتابَعْ عليه ، وانفراد الراوي بالحديث مخالفاً للأكثرين هو عِلة في الحديث يوجب التوقف فيه ، وأنه يكون شاذاً أو منكراً إذا لم يُرْوَ معناه من وجه يصح ، وهذه طريقة المتقدمين كالإمام أحمد ، ويحيى القطان ، ويحيى بن معين ، ومتى أجمع علماء الأمة على اطِّراح العمل بحديث ، وَجَبَ اطِّراحُه وتركُ العمل به ... **ثم قال ابن رجب** : وقد صح عن ابن عباس- وهو راوي الحديث- أنه أفتى بخلاف هذا الحديث ، ولزوم الثلاثة المجموعة ، وقد عَللَ بهذا أحمد والشافعي كما ذكره الموفق ابن قدامة في "المغني" وهذه أيضاً علة في الحديث بانفرادها ، فكيف وقد انضم إليها علة الشذوذ والإنكار) اهـ .

قال ذاك البيهقي (في سننه ٣٣٧/٧) : هذا الحديث أحد ما اختلف فيه البخاري ومسلم ، فأخرجه مسلم وتركه البخاري ، وأظنه إنما تركه لمخالفته سائر الروايات عن ابن عباس- وساق الروايات عنه- ثم قال: فهذه رواية سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وعكرمة وعمرو بن دينار ومالك بن الحارث ومحمد بن إياس بن البكير ، ورويناه عن معاوية بن أبي عياش الأنصاري، كلهم عن ابن عباس، إنه أجاز الثلاث وأمضاهن، قال ابن المنذر: فغير جائز إن نظن بابن عباس أنه يحفظ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً، ثم يفتي بخلافه. وقال الشافعي: فإن كان، يعني قول ابن عباس: "إن الثلاث كانت تحتسب على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدة"، يعني أنه بأمر رسول اللُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فالذي يشبه- والله أعلم- أن يكون ابن عباس قد علم أن كان شيء فنسخ) .

ونقل ذاك البغوي في شرح السنة (٢٢٩/٩) عن أبي العباس بن سريج قال : يمكن أن يكون ذلك إنما جاء في نوع خاص من الطلاق الثلاث ، وهو أن يفرق بين اللفظين ، كأن يقول : أنت طالق ، أنت طالق ، وكان في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعهد أبي بكر والناس على صدقهم وسلامتهم ، لم يكن ظهر فيهم الخب والخداع ، فكانوا يصدقون أنهم أرادوا به التوكيد ، ولا يريدون الثلاث ، ولما رأى عمر رضي الله عنه في زمانه أموراً ظهرت وأحوالًا تغيرت ، منع من حمل اللفظ على التكرار فألزمهم الثلاث . وقال بعضهم : إن ذلك إنما جاء في غير المدخول بها ، وذهب إلى هذا جماعة من أصحاب ابن عباس ، ورووا أن الثلاث لا تقع على غير المدخول بها، لأنها بالواحدة تَبِين، فإذا قال: أنت طالق بانت وقوله: ثلاثاً وقع بعد البينونة ، ولا يُعتد به وهذا مذهب إسحاق بن راهويه) .

وقال في السنن الصغير (٢٦٦٧) وَرِوَايَةُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَعِكْرِمَةَ ، وَعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، وَمَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِيَاسَ بْنِ بُكَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : « أَنَّهُ أَجَازَ الطَّلَاقَ الثَّلَاثَ وَأَمْضَاهُنَّ » ولو كان حديث طاوس علي ظاهره لم يخالفه ابن عباس) اهـ

[٤٩] ولا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ويشهد أن محمدا رسول الله عبده ورسوله إلا بإحدى ثلاث : زان بعد إحصان ، أو مرتد بعد إيمان ، أو قتل نفسا مؤمنة بغير حق فيقتل به ، وما سوى ذلك فدم المسلم على المسلم حرام [أبدا] حتى تقوم الساعة (١).

---

(١) وهذا أمر مجمع عليه بين السلف وأهل السنة والجماعة خلافا للخوارج وأهل البدع عامة الذين رفعوا السيف واستحلوا دماء المسلمين بغير حق ، وكالرافضة الذين يستحلون دماء أهل السنة بكُفرهم ، ويُبين هذا الأمر عدة أدلة ستأتي ، والمؤلف أخذ كلامه من حديث ابن مسعود رضي الله عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : **لا يحلّ دم امرئٍ مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** ". [أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٧٧٦)] بوب له أبو عوانة في مستخرجه فقال (بَابُ الْخَبَرِ الموجِبِ قَتْلَ الثَّيِّبِ الزَّانِي، وَقَتْلِ قَاتِلِ النَّفْسِ، وَقَتْلِ التَّارِكِ دِينَهُ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ، وَحَظْرِ قَتْلِ غَيْرِ هَؤُلَاءِ) وروي نحو هذا عن عائشة وابن عباس ، ولا زال السلف وأهل الحديث ، يحتجون بهذا الحديث على من أستباح الدماء بغير حق :

فاحتج بهذا الحديث عثمان رضي الله عنه على الخوارج لما أرادوا قتله .

فعن أبي إمَامَة بن سَهْل قال : (كُنَّا مَعَ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ فِي الدَّارِ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ يَتَوَعَّدُونِي بِالْقَتْلِ، قُلْنَا: يَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ : وَلِمَ يَقْتُلُونَنِي ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : **لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ أَوْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ أَوْ قَتَلَ نَفْسًا فَيُقْتَلُ بِهَا** ، فَوَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنَّ لِي بِدِينِي بَدَلاً مُنْذُ هَدَانِي اللَّهُ ، وَلاَ زَنَيْتُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ قَطُّ وَلاَ قَتَلْتُ نَفْسًا ، فَبِمَ يَقْتُلُونَنِي ؟ [صحيح : رواه أحمد (٤٣٧) وأبو داود (٤٥٠٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/١٨)]

وروى ابن أبي شيبة (٢٧٩٠٥) عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ : أَنَّ عُثْمَانَ أَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الدَّارِ ، فَقَالَ: « أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ قَتَلَ فَقُتِلَ ، أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَمَا أُحْصِنَ ، أَوْ رَجُلٌ ارْتَدَّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ ، أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ »

واحتج به الأوزاعي على السفاح لما قتل بني أمية بغير حق وخالف هذا الحديث :

عن الفريابي قال : اجتمع سفيان والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة فقال سفيان : يا أبا عمرو حدثنا حديثك مع عبد الله بن علي -يعني عم السفاح- فقال: لما قدم الشام وقتل بني أمية جلس يوما على سريره وعبى أصحابه أربعة أصناف ، صنف بالسيوف المسللة وصنف معهم الجرزة ، وصنف معهم الأعمدة وصنف معهم الكافركوب ، ثم بعث إلي ، فلما صرت إلى الباب أنزلوني عن دابتي ، وأخذ اثنان بعضدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني بحيث يسمع كلامي ، فقال لي : أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ؟ قلت نعم ، أصلح الله الأمير. قال : ما تقول في دماء بني أمية ؟ قلت : قد كان بينك وبينهم عهود ، وكان ينبغي أن تفوا بها ، قال : ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا ؟ فأجهشت نفسي وكرهت القتل ، فذكرت مقامي بين يدي الله فلفظتها فقلت : دماؤهم عليك حرام ، فغضب وانتفخت أوداجه واحمرت عيناه ، فقال لي ويحك ولم ؟ قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، ثيب زان، ونفس بنفس وتارك لدينه**" قال : ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة ؟ قلت : كيف ذاك ؟ قال : أليس كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أوصى لعلي ؟ قلت : لو أوصى إليه لما حكم الحكمين ، فسكت ، وقد اجتمع غضبا ، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي ، فقال بيده هكذا أومى أن أخرجوه ، فخرجت ، فما أبعدت حتى لحقني فارس ، فنزلت وقلت : قد بعث ليأخذ رأسي ، أصلي ركعتين ، فكبرت فجاء وأنا أصلي فسلم وقال : إن الأمير ، بعث إليك هذه الدنانير ، قال ففرقتها قبل أن أدخل بيتي . [تذكرة الحفاظ (١/

١٨٠ - ١٨١).] **قال الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص٤٨)** ردا على الخوارج : وَيُقَال لَهُم لَا يحل دم مُؤمن يهرق إِلَّا بِثَلَاثَة خلال إِمَّا زنى بعد إِحْصَان أَو ارتداد بعد إِيمَان أَو أَن يقتل نفسا عمدا فَيقْتل بِهِ ثمَّ لم يُطلق قتل أحد من أهل الْقبْلَة فَبِمَ استحللتم قتل النَّاس فَإِن حاولوا حجَّة لم يجدوها وَإِن مروا على جهلهم بِغَيْر حجَّة بَان خطؤهم .

واحتج به أحمد على ذاك المأمون الكافر لما أراد قتله :

فقد جاء في معرض القصة وفيها طول قال الإمام أحمد : .. وجيء بالعقابين والسياط وأنا أنظر ، وكان معي شعرات من شعر النبي – صلى الله عليه وسلم – مصرورة في ثوبي، فجردوني منه وصرت بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين، الله، الله إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال: **لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث"** وتلوت الحديث ، وأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال : **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم"** فبم تستحل دمي ولم آت شيئا من هذا ؟ يا أمير المؤمنين : اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك ، فكأنه أمسك .) [البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٦ - ٣٤٩) والسير (٢٥١/١١)]

وروى ابن أبي شيبة (٢٧٩٠٤) بسند جيد عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : « مَا حَلَّ دَمُ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقِبْلَةِ ، إِلَّا مَنِ اسْتَحَلَّ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ قَتْلَ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ ، وَالثَّيِّبَ الزَّانِي ، وَالْمُفَارِقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ ، أَوِ الْخَارِجَ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ »

روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٧٩٠٠) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « مَا قُتِلَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا عُمَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مِنْ زِنًا أَوْ قَتْلٍ أَوْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »

قال الشافعي بعد ذكر حديث الباب في الأم (١٦٨/٦) : فَلَمْ يَجُزْ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ» : إحْدَاهُنَّ الْكُفْرُ بَعْدَ الْإِيمَانِ إلَّا أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ تُحِلُّ الدَّمَ كَمَا يُحِلُّهُ الزِّنَا بَعْدَ الْإِحْصَانِ أَوْ تَكُونَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ تُحِلُّ الدَّمَ إلَّا أَنْ يَتُوبَ صَاحِبُهُ .

(**قلت**) ففي هذا كله رد على الخوارج والدواعش الذين يقيمون الحدود بالقتل على المسلم والكافر دون ضوابط ، فقط بالهوى والشبه ، وفيه رد على من جهة أخرى على العلمانيين واللبراليين الذي ينكرون الحدود الشرعية والقصاص ، بل وقد رأيت للمدعو بن عاشور في بعض كتبه أنه أنكر أن حد الردة يكون لأجل ترك الرجل للإسلام وردته ، لقوله بحرية الأديان **!!** وقال إنما يقتل لخيانته عهد المسلمين فقط لا لارتداده **!!** وهذه زندقة علمانية ليست بغريبة منه ، فهو أشعري جهمي لا يفقه التوحيد هو وأمثاله من الأشاعرة ، ولهم شبهة غبية في إنكار حد قتل المرتد وهو حديث الأعرابي الذي نكث بيعته ونصه :

روى البخاري برقم (٧٣٢٢) عن جابر بن عبدالله السلمي : أن أعرابيا بايع رسول الله على الإسلام ، فأصاب الأعرابي وعكٌ بالمدينة ، فجاء الأعرابي إلى رسول الله فقال : يا رسول الله ، أقلني بيعتي ، فأبى رسول الله ، ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبى ، ثم جاءه فقال : أقلني بيعتي ، فأبى ، فخرج الأعرابي ، فقال رسول الله : إنما المدينة كالكير ، تنفي خبثها وينصع طيبها .

قالوا : أنه صلى الله عليه وسلم لم يقم عليه حد الردة وقد ارتد وأقال بيعته .

والجواب : هذا الأعرابي بايع على الإسلام والبقاء في المدينة (أي الهجرة) فلما لم يقدر على جو المدينة الصعب طلب إقالة بيعته ليرجع لبدوه فقط ، لا أنه يرتد عن دينه ، وقد قال أهل العلم في شرحه : إنما لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم بيعته لأنه لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام ، ولا لمن هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره ، قالوا : وهذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على المقام معه ، ومما يدل على ذلك حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يشترط الهجرة في بيعة الإسلام ، والمبايعة على الإسلام تحتها عدة شروط منها الهجرة والجهاد ، فطلب الأعرابي إقالة بيعته إنما كانت لصعوبة الهجرة ليس على الاسلام

قال ابن عبد البر في التمهيد : قد كانت البيعة على وجوه ، منها أنها كانت أولا على القتال وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه

أنفسهم وأبناءهم ونساءهم ، وعلى نحو ذلك كانت بيعة العقبة الثانية قبل الهجرة ، ثم لما هاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة بايع الناس على الهجرة وقال (أنا بريء من كل مسلم مع مشرك) ، فكان على الناس فرضا أن ينتقلوا إلى المدينة إذ لم يكن للإسلام دار ذلك الوقت غيرها ، ويدعوا دار الكفر ، وعلى هذا – والله أعلم – كانت بيعة هذا الأعرابي المذكور في هذا الحديث عن الإسلام والهجرة ، فلما لحقه من الوعك ما لحقه تشاءم بالمدينة وخرج عنها منصرفا إلى وطنه من أهل الكفر ، ولم يكن ممن رسخ الإيمان في قلبه ، وربما كان من جنس الأعراب الذين قال الله – عز وجل – فيهم الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله .

(قلت) ألا ترى إلى عن عبد الله بن مسعود قال : آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهداه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوي الصدقة والمرتد أعرابيا بعد هجرته ملعونون على لسان محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم القيامة ، وحديث عقبة بن عامر الجهني قال : بلغني قدوم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة وأنا في غنيمة لي فرفضتها ثم أتيته فقلت : جئت أبايعك ، فقال : بيعة أعرابية أو بيعة هجرة ؟ قلت : بيعة هجرة ، قال : فبايعته وأقمت .

وتأمل ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج فقال يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تعربت ؟ قال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو) ، فاعتبر الحجاج رجوع سلمة للبدو من الإرتداد يعني نكث البيعة والوقوع في الكبيرة لا معنى ردة عن الإسلام فاعتذر سلمة أنها كانت رخصة خاصة له من النبي صلى الله عليه وسلم ، وليست لأي أحد بعده .

إذن : هناك بيعة النساء وفيها شروط ، وهناك بيعة الإسلام والهجرة ، وهناك بيعة للأعراب على سكن المدينة وعدم الرجوع للبدو ، وهناك بيعة على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وبيعة على عدم سؤال الناس شيئا ، وهناك بيعات أخرى فمن لم يفرق بينها اشتبه عليه حديث الأعرابي وتاه كما تاه فيه هؤلاء العلمانيون ومن يفتي لهم كابن عاشور وأمثاله .

[٥٠] وكل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى ، إلا الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور ليس يفنى شيء من هذا أبدا (١)

(١) القول بفناء الجنة والنار وما خلق للبقاء كالعرش والكرسي والقلم وحور العين وخدام الجنة ، واللوح والصور ، هو مذهب الجهمية ، ويضاف إلى ما ذكره المؤلف الأرواح وعجب الذنب ، فمن قال بفناء هذه أو أحدها فهو جهمي ، ولا يثبت خلافا بين السلف في بقاء الجنة والنار وما ذكرناه ، والسلف أجمعوا على أن الجنة والنار كلاهما باقيتان لا تفنيان ، خلافا للجهمية الذين قالوا بفناء الجنة والنار أو إحداهما بحجة أنها حادثة بعد أن لم تكن ، وهذا قول الجهم بن صفوان وشيعته الذي تبناه ونشره في تضليل الناس ، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار ، والمعتزلة أقرب قول منهم في ذلك ، وليست المشكلة في هؤلاء بل الغرابة في ما ثبت عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، من الميل بالقول بفناء النار خاصة ، وقد نقله عنه **ابن القيم في حادي الأرواح** (ص ٤٣٣ - ٤٤٢) **وفي شفاء العليل** (ص **٤٣٥**) **وفي كتاب الروح أيضا** ، وقد طبعت رسالة ابن تيمية التي نقل منها ابن القيم كلام شيخه باسم (**الرد على من قال بفناء الجنة والنار**) بتحقيق السمهري ، وهذا العنوان فيه تلبيس ، لأنه خلاف محتواها الذي قال فيه بن تيمية بفناء النار ، فكيف يرد على نفسه بالعنوان !! وقيل أن عنوانها الأقرب كما في بعض المخطوطات (**تصنيف في فناء النار**) أو نحو هذا ، وقد احتجا فيه ببعض الآثار الضعيفة جدا ، والتي ليست واضحة في نفس الوقت !! وبظواهر بعض الآيات المتشابهة ، وتركا المحكمات القرآنية وكلام السلف الواضح الصحيح السند والإجماعات الصريحة كما سيأتي ، ولا داعي لتكثير الأدلة والآثار فهي واضحة ، وبعضهم يشكك في نسبة ذلك إليهما وهو تعبٌ لا طائل منه !! فهناك عشرات الأدلة على ثبوت هذا المذهب إليهما ، ويكفي أن ابن القيم أثبت رسالة شيخه ، ونقل معظمها مباشرة في حادي الأرواح وشفاء العليل ونصر مذهبه ، وهي نفسها الرسالة التي رد عليها معاصره وعدوه السبكي ذاك الجهمي العنيد في كتابه الذي سماه : بـ (**الإعتبار ببقاء الجنة والنار**) ونفسها الرسالة التي رد عليها ذاك الصنعاني في كتابه (**رفع الأستار في الرد على أدلة القائلين بفناء النار**) وسأكتفي هنا بنقولات إجماع أهل السنة القاطعة للشغب في مثل هذه المسألة الخطيرة وإلا فالرد على شبهاتهم يطول ، لكن الإجماع أنفع سلاح في مثل هاته المواطن ، فأقول :

قد نص غير واحد من العلماء على إجماع أهل السنة ، في رد هذا القول الواهي ، وكتب العقائد مشحونة بذلك لا يرتاب فيه من له اطلاع ، ونظر في كتبهم ومصنفاتهم ، وهذه جملة من أقوالهم في بيان ذلك تثبيتاً لأهل الحق وفضحاً لأهل الباطل :

١) **حكايةُ قتيبَة بْن سَعِيدٍ رحمه الله [٢٤٠ هـ]** روى أبو أحمد الحاكم في شعار أهل الحديث (١٧) : سمعت محمد بن إسحاق الثقفي قال : سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد قال :(هذا قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة : الرضا بقضاء الله ...والجنة والنار مخلوقتان ولا يفنيان ، والصلاة من الله فريضة ، واجبة بتمام ركوعها وسجودها والقراءة فيها) اهـ

٢) **أحمد بن حنبل رحمه الله** : في طبقات الحنابلة (٢٤/١) وتاريخ دمشق (٣١٠/١٢) :قال أبو العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب بْن عَبْدِ اللَّهِ الفارسي الأصطخري قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أحمد بن محمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب

قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عَنْ منهج السنة وسبيل الحق ... ثم قال : وقد خلقت الجنة وما فيها والنار وما فيها خلقهما اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وخلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا ، فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ " كُلُّ شيء هالك إلا وجهه وبنحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له: كل شيء مما كتب اللَّه عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبدًا لأن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قَالَ خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عَنْ سواء السبيل) اهـ

٣) **محمد بن يحي الذهلي [٢٥٨هـ]** روى أبو نصر المقدسي في الحجة (ص٦٣١ . ط دار الأول) : قال الذهلي : (السنه عندنا الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .. وأن الجنة والنار مخلوقتان ... فمن زعم أنهما غير مخلوقتين أو إن كانتا مخلوقتين فإنهما يفنيان كما يفنى سائر الخلق فقد كذب من زعم هذا وأنكر الملة) .

وقال النحاس في إعراب القرآن (٥/٥٧) : حدّثنا عبد الله بن أحمد بن عبد السّلام سمعت محمد بن يحيى النيسابوري يقول: (السّنّة عندنا وهو قول أئمتنا مالك بن أنس وأبي عبد الرّحمن بن عمر، والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وعليه عهدنا أهل العلم أنّ الله جلّ وعزّ يرى في الآخرة بالأبصار ..والنار والجنة أنّهما مخلوقتان غير فانيتين)

٤) **حكايةُ إسماعيلِ المزنيّ [٢٦٤هـ]** : قال في كتاب شرح السنة : قال عَليّ بن عبد الله الْحلْوانِي قَالَ كنت بطرابلس الْمغرب فَذكرت أَنا وَأَصْحَاب لنا السّنة إِلَى أَن ذكرنَا أَبَا إِبْرَاهِيم الْمُزنِيّ رَحمَه الله ... فكتبنا إِلَيْهِ كتابا نُرِيد أَن نستعلم مِنْهُ يكْتب إِلَيْنَا شرح السّنة ... فَكتب إِلَيْنَا : (بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم ...فَإِنَّك أصلحك الله سَأَلتنِي أَن أوضح لَك من السّنة أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل وزيغ محدثات الضَّالّين وَقد شرحت لَك منهاجا موضحا منيرا لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا ...وعقبى الْكَافرين النَّار وَأهل الْجحْد **{عَن رَبهم يَوْمئِذٍ لمحجوبون}** ..و **{لَا يقْضى عَلَيْهِم فيموتوا وَلَا يُخَفف عَنْهُم من عَذَابهَا كَذَلِك نجزي كل كفور}** الْآيَة خلا من شَاءَ الله من الْمُوَحّدين إخراجهم مِنْهَا .. هَذِه مقالات وأفعال اجْتمع عَلَيْهَا الماضون الْأَولونَ من أَئِمَّة الْهدى وبتوفيق الله اعْتصمَ بهَا التابعون قدوة ورضى) اهـ

٥) **حكاية أبي حاتم وأبي زرعة الرازيان** : روى اللالكائيّ في السنة (١٠/١٢) عن عبد الرحمنِ بن أبي حاتمٍ قَالَ : سألتُ أَبي وأبَا زرعةَ عَنْ مذاهبِ أهلِ السنّة في أصولِ الدينِ ، ومَا أدركَا عليهِ العلماءَ في جميعِ الأمصارِ ، وما يعتقدانِ مِنْ ذلكَ فقالاَ : أدركنَا العلماءَ في جميعِ الأمصارِ حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكانَ مِنْ مذهبهِمْ :- ... والجنّة حقٌ والنّار حقٌ ، وهمَا مخلوقانَ لا يفنيانَ أبداً ، والجنّة ثوابٌ لأوليائهِ ، والنّار عقابٌ لأهلِ معصيتهِ ، إلا مَنْ رحمَ اللهُ عزّ وجلّ) .

٦) **حكاية حرب الكرماني ٢٨٠ هـ** : قال حرب بن إسماعيل الكرماني في كتابه السنة (ص٤٨) قال :(هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أوعاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور ، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فكان من قولهم : ... وقد خُلِقَت الجنة وما فيها وخُلِقَت والنار وما فيها خلقهما الله ثم خلق الخلق لهما لا يفنيان ولا يفنى من فيهما أبدًا، فإن احتج مبتدع زنديق بقول الله تبارك وتعالى: **{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ}** وبنحو هذا فقل له: كل شيء ما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خُلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا ، والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ، ولا أبدًا لأن الله تبارك وتعالى خلقهن للبقاء لا

للفناء ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال بخلاف ذلك فهو مبتدع مخالف وقد ضل عن سواء السبيل) اهـ .

(**قلت**) ومن حكى الإجماع كثير ، ومنهم سوى البربهاري في كتابنا هذا ، نذكر ممن لم ننقل كلامه هنا بتمامه على سبيل الإختصار : [ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١٣٩) والأجري في الشريعة (١٣٧١/٣) والملطي في كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص١٤١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٠٠/١ ـ طبعة آل حمدان) والصابوني في أعتقاد السلف أصحاب الحديث وغيرهم كثير] وقد كان السلف يجهمون ويضللون من قال بفناء الجنة والنار ويأمرون بهجره ، ولا يخفى أنه لا فرق بين من قال بفنائهما جميعا أو قال بفناء النار لوحدها :

روى عبد الله في العلل (٥٣٣١) – قال : سَأَلت أبي عَن الحكم بن عبد الله أبي مُطِيع الْبَلْخِي فَقَالَ لَا يَنْبَغِي أَن يرْوى عَنهُ حكوا عَنهُ أَنه كَانَ يَقُول الْجنَّة وَالنَّار خلقتا فستفنيان وَهَذَا كَلَام جهم لَا يرْوى عَنهُ شَيْء) اهـ

وروى في السنة (٧٧) عن خَارِجَةَ يَقُولُ : كَفَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْجَنَّةَ تَفْنَى ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {**إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ**}[ص: ٥٤] فَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا تَنْفَدُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {**أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا**} [الرعد: ٣٥] فَمَنْ قَالَ : لَا يَدُومُ فَقَدْ كَفَرَ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ {**عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**} [هود: ١٠٨] فَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ وَقَالَ : {**لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ**} [الواقعة: ٣٣] فَمَنْ قَالَ : إِنَّهَا تَنْقَطِعُ فَقَدْ كَفَرَ) اهـ "

في طبقات الحنابلة (٣٤٤/١) كتب أحمد إلى مسدد بن مسرهد فقال : (بسم اللَّه الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل فِي كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى وينهونه عَنِ الردى يحيون بكتاب اللَّه تعالى الموتى ، وبسنة رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أهل الجهالة والردى.. أوصيكم ونفسي بتقوى اللَّه العظيم ولزوم السنة ، فقد علمتم ما حل بمن خالفها وما جاء فيمن اتبعها ، بلغنا عَنِ النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قَالَ : " إن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها "... ومن زعم أنه يبيد من الجنة شيء فهو كافر وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلا وعذابها دائم ..) اهـ

تهوين المتاخرين والمعاصرين لهذه المسألة الخطيرة :

ولقد استهان أكثر المتأخرين بهذه القضية فمنهم من جعلها مجرد خلاف عقدي لا يبدع ولا يفسق ولا يخطأ فيه المخالف !! فضلا من أن يرمى بكفر ، وزعم ابن تيمية في مقدمة رسالته أنها مسألة فيها خلاف بين السلف مشهور !! وقال ابن القيم : وقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام لا خبرة له بمقالات بني آدم وآراءهم واختلافهم !!) اهـ [حادي الأرواح (ص٣٥٦)]

وحاول بن تيمية وابن القيم أن يجدوا فرقا بين قولهما وبين قول الجهمية فقالا : إن قول الجهمية هو القول بفناء الجنة والنار جميعا لا النار وحدها !! وهذا الكلام ظاهر الضعف جدا ، ومثاله كمن يقول إن السلف أجمعوا علو وجوب اتباع الكتاب والسنة فإذا أنا اتبعت الكتاب فقط وتركت السنة فلا حرج لأن إجماعهما كان فقط على كلاهما !! وبهذا المثال تتضح المغالطة في قولهم !! وقال ابن القيم أيضا في حادي الأرواح وهو يحاول أن يجد فرقا فلم يفعل شيئا :" أن الجهمية قالت أن النار تفنى بنفسها ونحن نقول الله هو من يفنيها !! وهذا الفرق أضعف من الأول ، والواقع أن هذا المذهب ملتصق بمذهب الجهمية عند السلف عامة ويكفي في بطلانه أنه مخالف لصريح النصوص والإجماع ، وهذا ضلالة شنيعة تخرجهما من السنة .

وقال ذاك الفوزان : وغاية ما يقال أنه قول خطأ !! ، أو رأي غير صواب !! ولا يقال بدعة !! ولكن ليس قصدي الدفاع عن هذا القول ، لكن قصدي بيان أنه ليس بدعة ، ولا ينطبق عليه ضابط البدعة ، وهو من المسائل القديمة !!) اهـ [من كتابه نظرات وتعقيبات (ص٥٠)]

(قلت) هذا ولابن تيمية قول آخر من يراه يظن أنه قول آخر يوافق ما عليه السلف في هذا الأمر ذكره في فتاويه وبعض كتبه . لكنه في الحقيقة ليس قول ثاني ، لأنه إثبات عام لبقاء الجنة والنار كلاهما ، لا إثبات فناء النار لوحدها فهو يعتبر أن القول بفناءهما جميعا هو قول الجهمية بهذا الجمع ، أما بالإفراد يقول هو أحد أقوال السلف كما صرح في رسالته بالنص وكما قاله أيضا ابن القيم لما فرق بين مذهبه وبين قول الجهمية ، وفي هذه الرسالة الأخيرة لابن تيمية التي كتبها بالسجن في آخر أيامه قبل موته يخص النار بكلامه فقط ، وجاءت رسالته هاته بعد توقفه في المسألة لعدة سنوات كما أخبر بن القيم في شفاء العليل (ص٤٣٥) حيث قال : (وكنت سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه ، فقال لي هذه المسألة عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشيء ، فمضى على ذلك زمن ، حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد بعض تلك الآثار التي ذكرت ، فأرسلت إليه الكتاب ، **وهو في مجلسه الأخير** ، وعلمت على ذلك الموضع ، وقلت للرسول : قل له : هذا الموضع يشكل عليه ولا يدري ما هو !! فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله عليه) اهـ

(قلت) وكنت في الأول ، أظن أن له قولين ولا أدري آخر أقواله في هذه المسألة ، ثم تبين لي أن رسالته في فناء النار كتبها في آخر حياته كما ذكر بن القيم هنا ، ثم بعد ذلك تأكدت أن له قول واحد من البداية ، ونفس الشيء بالنسبة لابن القيم في النونية ينص على عدم فناء الجنة والنار بالعموم ، لكن إذا أتى بالكلام في فناء النار خاصة كما في بحوثه المبثوثة في كتبه كحادي الأرواح وشفاء العليل وكتاب الروح وغيرها ، يرجح هذا المذهب وينتصر له وينقل قول شيخه ويدعي أنه قول السلف !! وإذا عاد للكلام العام ، يقول ببقاءهما كما في النونية فتظن أن له قولا ثانيا ، والواقع أن كلاهما لهما قول واحد من البداية ، وهو القول بفناء النار خاصة دون الجنة ، وهذا المذهب خطير ضلل فيه السلف وشددوا ورموا قائله بالعظائم ، ولم يفرقوا بين من قال بفناءهما كلاهما أو من خص واحدة ، وهذا من اتباع المتشابهات وتركا المحكمات !! .

ثم يبعث الله الخلق على ما ماتوا عليه يوم القيامة (١) **، فيحاسبهم بما شاء ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، ويقول لسائر الخلق [ممن لم يخلق للبقاء] كونوا ترابا** (٢).

---

(١) وروي في هذا المعنى أحاديث وآثار نذكر منها : عن جَابِرٌ فقال سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ ، الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ" [رواه أحمد (٣/٣٤٦) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١٦) وأخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط كما في الدر المنثور (٥/ ٣٤) وأخرج مسلم الجزء الأخير قوله : "**يبعث كل عبد على ما مات عليه** (٢٨٨٧) وفي لفظ آخر : **مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ** "]

وفي كتاب القضاء والقدر للبيهقي (**١٢١**) عن مُحَمَّدَ بْنَ كُنَاسَةَ قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَسُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن: ٢] .... فذكر حديث جابر واحتج به .

وأخرج ابن ماجه (**٤٢٣٠**) من طريق شريك بن عبد الله عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يحشر الناس على نياتهم .

روى البيهقي في القضاء والقدر (**١٢٢**) عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَاتَ عَلَى مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بُعِثَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

وروى البيهقي في القدر (**١٢٣**) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**} [الأعراف: ٢٩] {**فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ**} [الأعراف: ٣٠] قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَدَأَ خَلْقَ ابْنِ آدَمَ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا كَمَا قَالَ: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ**} [التغابن: ٢] ثُمَّ يُعِيدُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا "

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ في مصنفه (**٦٧٤٦**) عَنِ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ ، الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ »

وفي تفسير الثوري (**١/١١٢**) **وتفسير الطبري** (**١٤٤٩١**) عن عَنْ مُجَاهِدٍ (**كَمَا بدأكم تعودون**) قَالَ يُبْعَثُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا وَالْكَافِرُ كافرا . **وفي لفظ الطبري** : قال : يبعث المسلم مسلمًا ، والكافر كافرًا .

(٢) كما جاء في النصوص والآثار من ذلك : قوله تعالى : (**وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**) عن سفيان في قوله : (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) قال : إذا قيل للبهائم : كونوا ترابًا ، قال الكافر : يا ليتني كنت ترابًا.

وتفسير عبد الرزاق (**٣٤٧٣**) **والطبري** (**٢٤/١٨٠**) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّ اللَّهَ يَحْشُرُ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مِنْ دَابَّةٍ ، وَطَائِرٍ وَالْإِنْسَانَ ثُمَّ يَقُولُ لِلْبَهَائِمِ وَالطَّيْرِ وَالدَّوَابِّ كُونُوا تُرَابًا ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: ٤٠] وزاد نسبته في الدر المنثور (٧/٤٠١) لعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَالْبَيْهَقِيّ فِي الْبَعْث والنشور .

(**قلت**) وهذا له حكم الرفع قطعا ، وقد روي مرفوعا أيضا.

وَأخرج ابْن الْمُنْذر عَن مُجَاهِد قَالَ : تقاد المنقورة من الناقرة والمركوضة من الراكضة والجلحاء من ذَات الْقُرُون وَالنَّاس ينظرُونَ ثمَّ يَقُول: كوني تُرَابا لَا جنَّة وَلَا نَار فَذَلِك حِين يَقُول الْكَافِر: {**يَا لَيْتَني كنت تُرَابا**}

وروى ابن أبي الدنيا في الأهوال (**١٨٢**) **والطبري** (**٢٤/١٨٠**) : عن عبد الله بن عمرو قال : إذا كان يوم القيامة ، مُدّ الأديم ، وحُشِر الدوابّ والبهائم والوحش ، ثم يحصل القصاص بين الدوابّ ، يقتصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء نطحتها ، فإذا فرغ من القصاص بين الدوابّ ، قال لها : كوني ترابا قال : فعند ذلك يقول الكافر : يا ليتني كنت ترابًا ". [أنظر في تفسير ابن وهب (٣٢٧)]

وروى ابن أبي الدنيا في الأهوال (١٨٣) عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَزَّةَ فِي قَوْلِهِ {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام: ٣٨] قَالَ: " يُؤْتَى بِهِمْ وَالنَّاسُ وُقُوفٌ فَيُقْضَى بَيْنَهُمْ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُؤْخَذُ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ لِقَهْرِهَا إِيَّاهَا، وَحَتَّى يُقَادُ لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: كُونُوا تُرَابًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ الْكَافِرُ: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: ٤٠] "

وروى ابن أبي الدنيا (١٨٦) عن أبي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ يَقُولُ حُدِّثْتُ " أَنَّ الْبَهَائِمَ إِذَا رَأَتْ بَنِي آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَدْ تَصَدَّعُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيِ اللَّهِ صِنْفًا إِلَى الْجَنَّةِ وَصِنْفًا إِلَى النَّارِ إِنَّ الْبَهَائِمَ تُنَادِيهِمُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا بَنِي آدَمَ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْنَا الْيَوْمَ مِثْلَكُمْ، فَلَا جَنَّةَ نُرِيدُ، وَلَا عِقَابًا نَخَافُ .

(**قلت**) وقال بعض السلف أن الجن مسلمي الجن يدخلون في هذا الأمر ، ورويت في ذلك بعض الآثار عنهم من ذلك :

وَأخرج الدينَوَرِي فِي المجالسة (٣١٠٣) عَن يحيى بن جعدة قَالَ : إِن أول خلق الله يُحَاسب يَوْم الْقِيَامَة الدَّوَابّ والهوام حَتَّى يقْضِي بَينهَا حَتَّى لَا يذهب شَيْء بظلامته ثمَّ يَجْعَلهَا تُرَابا ثمَّ يبْعَث الثقلَيْن الْجِنّ وَالإِنس فيحاسبهم فَيَوْمئِذٍ يتَمَنَّى الْكَافِر { **يَا لَيْتَني كنت تُرَابا** }

وروى هناد في الزهد (٤٢٦/٢) ابن أبي الدنيا في الإشراف (٣٨٧) عَنْ لَيْثٍ فِيمَا بَلَغَهُ : أَنَّ مُسْلِمِي الْجِنِّ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ لَهُمْ : كُونُوا تُرَابًا ، وَإِنَّ إِبْلِيسَ فِي قُبَّةٍ مِنْ نَارٍ لَيْسَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقُبَّةِ قَالَ : وَيَحْشُرُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صُوَرِ الذَّرِّ يُصَغِّرُهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَكَبَّرَ " يَعْنِي الْجِنَّ .

وروى الطبري (١٨٠/٢٤) وَعبد بن حميد وَابْن شاهين فِي كتاب الْعَجَائِب الغرائب كما في الدر المنثور عَن أبي الزِّنَاد قَالَ : إِذا قضى بَين النَّاس وَأمر بِأَهْل الْجنَّة إِلَى الْجنَّة وَأهل النَّار إِلَى النَّار قيل لسَائِر الْأُمَم ولمؤمني الْجِنّ عودوا تُرَابا فيعودوا تُرَابا فَعِنْدَ ذَلِك يَقُول الْكَافِر حِين يراهم قد عَادوا تُرَابا (**يَا لَيْتَني كنت تُرَابا**) . [وذكره بالسند في آكام المرجان (٧٧/١)]

وَروى ذاك القرطبي في تفسيره (٢١٨/١٦) عن الْحَسَنُ أنه قال : لَيْسَ لِمُؤْمِنِي الْجِنِّ ثَوَابٌ غَيْرَ نَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى :" يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ".

(**قلت**) لكن لم يتفق السلف على هذا القول والظاهر أن الأكثر على خلافه فقد قال ذاك **البغوي في تفسيره (٢٠٦/٤)** :

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حُكْمِ مُؤْمِنِي الْجِنِّ ، فَقَالَ قَوْمٌ : لَيْسَ لَهُمْ ثَوَابٌ إِلَّا نَجَاتُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَتَأَوَّلُوا قَوْلَهُ : (**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ**) وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ . وَحَكَى سُفْيَانُ عَنْ لَيْثٍ قَالَ : الْجِنُّ ثَوَابُهُمْ أَنْ يُجَارُوا مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ كُونُوا تُرَابًا ، وَهَذَا مِثْلُ الْبَهَائِمِ.

وَعَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: إِذَا قُضِيَ بَيْنَ النَاس قبل لِمُؤْمِنِي الْجِنِّ عُودُوا تُرَابًا فَيَعُودُونَ تُرَابًا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ : الَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً .

وَقَالَ الْآخَرُونَ : يَكُونُ لَهُمُ الثَّوَابُ فِي الْإِحْسَانِ ، كَمَا يَكُونُ عَلَيْهِمُ الْعِقَابُ فِي الْإِسَاءَةِ كَالْإِنْسِ ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وابن أبي ليلى . وقال جويبر عَنِ الضَّحَّاكِ : الْجِنُّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ ، وَذَكَرَ النَّقَّاشُ فِي تَفْسِيرِهِ حَدِيثَ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَقِيلَ : هَلْ يُصِيبُونَ مِنْ نَعِيمِهَا؟ قَالَ: يُلْهِمُهُمُ اللَّهُ تَسْبِيحَهُ وَذِكْرَهُ، فَيُصِيبُونَ مِنْ لَذَّتِهِ مَا يُصِيبُهُ بَنُو آدَمَ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ.

وَقَالَ أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْذِرِ: سَأَلْتُ ضَمْرَةَ بْنَ حَبِيبٍ هَلْ لِلْجِنِّ ثَوَابٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ وَقَرَأَ : (**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**) قَالَ فَالْإِنْسِيَّاتُ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّيَّاتِ لِلْجِنِّ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : إِنَّ مُؤْمِنِي الْجِنِّ حَوْلَ الْجَنَّةِ فِي رَبَضٍ وَرِحَابٍ وَلَيْسُوا فِيهَا) اهـ .

(**قلت**) وزاد ذاك القرطبي في تفسيره (٢١٨/١٦) نسبة القول بأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب : وَإِلَيْهِ ذَهَبَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى وَالضَّحَّاكُ) اهـ .

[٥١] والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم ، بني آدم والسباع والهوام حتى للذرة من الذرة حتى يأخذ الله لبعضهم من بعض ، لأهل الجنة من أهل النار وأهل النار من أهل الجنة ، وأهل الجنة بعضهم من بعض ، وأهل النار بعضهم من بعض (١) .

---

(١) ملخص هذا الكلام هو الإيمان بيوم الحساب ، أو باليوم الآخر كما هو التعبير المشهور ، والكلام في الفقرة السابقة حول محاسبة البهائم وصيرورتها للتراب قريب من هذا أيضا ، والإيمان بيوم الحساب لا يكفر به إلا ملحد أو مجوسي أو وثني ونحوه .
أما المسلمين وأهل الكتاب عموما يؤمنون به ، وأدلته لا تحصر في القرآن والسنة منها :
قال تعالى : (**وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**) [الزمر: ٦٩] وقال تعالى : (**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ**) [البقرة: ٢١٠] وقال أيضا (**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**) [الكهف: ٤٩] وقال تعالى (**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ، لِيَجْزِي اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) [إبراهيم: ٤٩-٥١] قال الله تعالى: {**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**} [سورة الغاشية الآيتين: ٢٥-٢٦] وقال تعالى : (**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) [الجاثية: ٢٨] وقول الله تعالى: {**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**} [المطففين :٦]
وفي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من نوقش الحساب عُذِّب ، فقلت : أليس يقول الله تعالى: {**فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**} [الانشقاق: ٨] قال : ذلك العرض » والأحاديث في هذا كثيرة .
وعلى هذا الإجماع المنقول في كتب العقائد والسنة ، من ذلك :
ما قاله المزني في شرح السنة (١١) : وبعد البلى منشورون وَيَوْم الْقِيَامَة إِلَى رَبهم محْشُورُونَ ولدى الْعرض عَلَيْهِ محاسبون بِحَضْرَة الموازين وَنشر صحف الدَّوَاوِين أَحْصَاهُ الله ونسوه فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خمسين ألف سنة لَو كَانَ غير الله عز وَجل الْحَاكِم بَين خلقه لكنه الله يَلِي الحكم بَينهم بعدله بِمِقْدَار القائلة فِي الدُّنْيَا وَهُوَ أسْرع الحاسبين كَمَا بدأه لَهُم من شقاوة وسعادة يَوْمئِذٍ يعودون فريق فِي الْجنَّة وفريق فِي السعير .
وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص١١٧) : وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَيَسْأَلُهُمْ مُشَافَهَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (**يَوْمَ يَجْمَعُ اَللَّهُ اَلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ**) وَقَالَ : (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**) وَقَالَ (**فَلَنَسْأَلَنَّ اَلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ اَلْمُرْسَلِينَ**) وَقَالَ : (**أَلَا لَهُ اَلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ اَلْحَاسِبِينَ**) وَقَالَ : (**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ**) وَهَلْ يُحَاسِبُ اَلْعِبَادَ إِلَّا اَلَّذِي خَلَقَهُمْ وَتَعَبَّدَهُمْ وَأَحْصَى أَعْمَالَهُمْ وَحَفِظَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَسْأَلَهُمْ عَنْهَا ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْقَدِيرُ.
أما بالنسبة لمحاسبة الدواب والهوام : **فقد روى أحمد في مسنده (٢١٤٣٨) والطيالسي (٤٨٠)** بسند جيد إلى مُنْذِرٍ الثَّوْرِيِّ عَنْ أَشْيَاخٍ لَهُمْ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ تَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ ؟ قَالَ : لَا قَالَ : لَكِنَّ اللهَ يَدْرِي ، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا " [**قلت** سنده جيد لولا أنه فيه جهالة أشياخ بن المنذر ، فعليه فالسند ضعيف ، وقد أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى في مسنديهما كما في "إتحاف الخيرة (٣٥٤) و (٣٥٥)].

[٥٢] وإخلاص العمل لله (١) والرضا بقضاء الله ، والصبر على حكم الله (٢).

=**وعن عثمان بن عفان** أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : **إن الجمَّاء لتُقَصُّ من القَرْناءِ يوم القيامة** ". [أحمد (٥٢٠) سنده ضعيف] **وعن أبي هريرة مرفوعاً** : "لتُؤَدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقتصَّ للشاة الجَمَّاء من الشاةِ القرناء نطحتها" [مسلم (٢٥٨٢)] .

ونقل ابن أبي زمنين المالكي في أصول السنة (رقم٨) الإجماع على ما مضى فقال : ومن قول أهل السنة : أن الله عزوجل يحاسب عباده يوم القيامة ، ويسألهم مشافهة منه إليهم ، قال تعالى (**فَلَنَسْأَلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ**) [الأعراف٦] ..) اهـ

(١) أدلة الإخلاص ووجوبه لا يحتاج لتسويد الصفحات فيه ، فهو مما أجمع عليه الناس سنيهم وبدعيهم ، والآيات في القرآن الكريم على وجوبه كثيرة منها قوله تعالى قوله تعالى: {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**} [البينة ٥] {**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ**} [الزمر٢] {**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ**} [الزمر١١] {**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي**} [الزمر٢، ١١، ١٤] {**وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**} [الأعراف٩] ، وقال {**فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**} [غافر١٤] ، وقال {**هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**} [غافر٦٥] وقوله تعالى (**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) ومن الأحاديث في هذا الباب ، يكفي فيه حديث **الأعمال بالنيات** ، وحديث **إن الله لا يقبل إلا طيبا** .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه " [البخاري ١/٢٣٣ ـ فتح] وأذكر من الآثار الجليلة في هذا :

ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص (٧) عن ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : طُوبَى لِمَنْ أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ وَدُعَاءَهُ لِلَّهِ وَلَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ ، وَلَمْ يُنْسِهِ ذِكْرُهُ مَا تَسْمَعُ أُذُنَاهُ ، وَلَمْ يُحْزِنْ نَفْسَهُ مَا أُعْطِيَ غَيْرُهُ .

وروى (٨) عن عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ : الْإِجَابَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْإِخْلَاصِ لَا فُرْقَةَ بَيْنَهُمَا .

وروى أيضا (١٣) عن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَتَّابٍ قَالَ : رَأَيْتُ عَامِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسٍ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ : أَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ ؟ قَالَ : مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ .

وروى أيضا (٢١) قِيلَ لِعَطَاءٍ السَّلِيمِيِّ : مَا الْحَذَرُ ؟ قَالَ : الِاتِّقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ أَلَّا يَكُونَ لِلَّهِ .

وعن الفضيل بن عياض في قوله تعالى : (**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**) قال : أخلصه وأصوبه ، قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ، قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ، لم يقبل حتى يكون خالصاً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة . [الحلية (٨/٩٥) ورواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص (٢٢) من كلام إبراهيم بن الأشعث أيضا] والآثار في هذا الباب كثيرة فمن شاء التوسع يراجع كتاب الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا ، وكتاب تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي .

(٢) وهذا أيضا مما أدرج في العقائد وأجمع عليها أهل العلم ، وعليها أدلة من القرآن والسنة والإجماع والآثار :

فمن القرآن : قوله تعالى في الصبر على أقداره : {**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**} وقال تعالى في الصبر على طاعته {**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**} وقال تعالى في الصبر على أحكامه : { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً، فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ**} .

أما من السنة من ذلك : فعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا . ومنه قول رسول لإحدى بناته : **مرها فلتصبر ولتحتسب** .[البخاري

(٣٩٥/١) ومسلم (٦٣٥/٢)] **وقال النبي صلى الله عليه وسلم** : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ." [رواه مسلم (٢٦٦٤)] [يراجع الأحاديث : الزهد لابن المبارك (٢٤/٢) (فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ) وصحيح مسلم (٤ / ١٩٩٣) (باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك) والترمذي في سننه (٥٧/ باب ماجاء في الصبر على البلاء) وابن ماجه في سننه (٢٣/- باب (الصبر على البلاء) وسنن البيهقي (٣ /٣٧٣) باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه]. **أما الإجماع** : فقد نقل فيه إجماعات كثيرة عن أهل الحديث والسلف من ذلك :

روى أبو أحمد الحاكم في شعار أهل الحديث (١٧) : سمعت محمد بن إسحاق الثقفي قال: سمعت أبا رجاء قتيبة بن سعيد قال: هذا قول الأئمة المأخوذ في الإسلام والسنة : .. والرضا بقضاء الله وَالِاسْتِسْلَامُ لَأَمْرِهِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِهِ ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

قال الحسن بن إسماعيل الرَّبعي : قال لي أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة الصابر تحت المحنة : أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين ، وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على أن السُّنة التي توفي عليها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أولها : **الرضا بقضاء اللَّه والتسليم لأمره والصبر على حكمه** . [طبقات الحنابلة (٣٤٩/١) وابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد (ص ٢٢٨) والمشيخة البغدادية (٥٣/١)]

قَالَ أَبُو الْحُسَيْن الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص١٥) : وَالَّذِي ثَبت عَن مُحَمَّد بن عكاشة : أَن أصُول السّنة مِمَّا اجْتمع عَلَيْهِ الْفُقَهَاء وَالْعُلَمَاء مِنْهُم عَليّ بن عَاصِم وسُفْيَان بن عُيَيْنَة وَمُحَمّد بن يُوسُف الْفرْيَابِيّ وَشُعَيْب وَمُحَمّد بن عمر الْوَاقِدِيّ وشابة بن سوار وَالْفضل بن دُكَيْن الْكُوفِي وَعبد الْعَزِيز بن ابان الْكُوفِي وَعبد الله بن دَاوُد ويعلى بن قبيصَة وَسَعِيد بن عُثْمَان وازهر وابو عبد الرَّحْمَن المقرى وَزُهَيْر ابْن نعيم وَالنضْر بن شُمَيْل وَأحمد بن خَالِد الدِّمَشْقِي والوليد بن مُسلم الْقرشِي والرواد بن الْجراح الْعَسْقَلَانِي وَيحيى بن يحيى وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وَيحيى بن سعيد الْقطَّان وَعبد الرَّحْمَن بن مهْدي وَأَبُو مُعَاوِيَة الضَّرِير كلهم يَقُولُونَ رَأينَا أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانُوا يَقُولُونَ : **الرِّضَا بِقَضَاء الله وَالتَّسْلِيم لأمر الله وَالصَّبْر على حكم الله** ..) اهـ

والآثار في هذا الباب كثيرة نختار منها :

روى المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٤٤) وابن بشران في أماليه (١٦٠٩) عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ بَعْضِ ، أَصْحَابِهِ قَالَ: « عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ كَثْرَةُ ذِكْرِهِ، وَعَلَامَةُ الدِّينِ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ ، وَعَلَامَةُ الْعِلْمِ الْخَشْيَةُ لِلَّهِ ، **وَعَلَامَةُ الشُّكْرِ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ وَالتَّسْلِيمِ لِقَدَرِهِ** »

روى ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٤٨٢) قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ : الْفَقْرُ : الْمَوْتُ ، وَيَرَوْنَ الْفَقْرَ هُوَ قِلَّةُ الشَّيْءِ الْفَقْرُ الَّذِي جَاءَ فِيهِ مَا جَاءَ: قِلَّةُ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَسْمِهِ ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسَ فَبَدَأَ بِهِمْ فَقَالَ: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ}

عن أبي ظبيان قال : كنا عند علقمة فقرئ عليه هذه الآية **{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}** قال : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم . [رواه ابن جرير في تفسيره (١٢/٢٣) والجهضمي في أحكام القرآن (٣٨٦) وذكره في الدر المنثور (١٨٣/٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وَابن الْمُنذر وَالْبَيهقي فِي شعب الإِيمان]

وروى الدينوري في المجالسة (١٥٥٩) قَالَ عامر ابْنُ ضُبَارَةَ : إِنَّا نَظَرْنَا فَوَجَدْنَا الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ أَهْوَنَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى عَذَابِ اللهِ .

وروى أبو نعيم في الحلية (١٦٣/١) عن عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: مَنْ نَوَى الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ صَبَّرَهُ اللهُ عَلَيْهَا وَقَوَّاهُ لَهَا وَمَنْ نَوَى الصَّبْرَ عَنْ مَعَاصِي اللهِ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَصَمَهُ مِنْهَا .

[٥٥] والإيمان بما قال الله عز وجل (١).

[٥٦] والإيمان بأقدار الله كلها ، خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، قد علم الله ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون ، لا يخرجون من علم الله ، ولا يكون في الأرضين ولا في السماوات إلا ما علم الله عز وجل (٢) .

---

(١) التصديق لما قال الله تعالى لا يصح كل شيء من الدين إلا به ، فكل ما آمنا به إنما منبعه هو كلام الله ، وما أنزله في كتابه فأهل السنة يؤمنون بما الله نفيا وإثباتا عن أسماءه وصفاته وربوبيته ورسالته وشرعه وفي خلقه وأمره عامة ، ولهذا لما عرف الزنادقة هذا الأمر ، حاربوا صفة الكلام لله تعالى ، وأقر زعيمهم المريسي بهذا كما ذكر الدارمي ، ولهذا ذكر التصديق والإيمان بما قال الله في العقائد : من أدلته في القرآن : قوله تعالى (**وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) [الزمر (٣٣)] عن قتادة وابن زيد في قوله تعالى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) قالا : هذا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جاء بالقرآن ، وصدّق به المؤمنون.[الطبري (٢١/٢٩٠)]

وقال الحسن البصري في تفسير النفس المطمئنة : **قَالَ هي المصدقة بِمَا قَالَ الله** . [الروح (ص٢٢٣)]

قال بشر الحافي : ونشهد أن الله يقول ويخلق وقوله قول وخلقه خلق وقوله بائن من خلقه وخلقه بائن من قوله وقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [آل عمران ٥٩] وقوله (كن) ليس بمخلوق .[الجامع لعقائد أهل السنة والأثر لآل حمدان (ص٢٨٠)]

وقد ضمن تلميذ المؤلف ابن بطة هذه الفقرة في كتابه الإبانة الصغرى وشرحها فقال بعد ذكر وجوب الإيمان بالله تعالى : ومعناه التصديق بما قاله وأمر به ، وافترضه ونهى عنه من كل ما جاءت به الرسل من عنده ونزلت فيه الكتب .

وقال أيضا : وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل وبجميع ما قال الله عزوجل فهو حق لازم .

(٢) وهذا مجمع عليه كما نقل الإجماع ، خلافا للقدرية ،وكل فرقة ضلت إنما كان مدخلها التكذيب بالقدر ، حتى المرجئة اليوم ، لو تأملت للاحظت أن إيمانهم بالقدر فيه دخن ، وهي سبب ضلالهم في مسألة العذر بالجهل وفهم الحجة ، وأدلتة هذه الفقرة من القرآن كثيرة منها : قَولَه تَبَارَكَ وَتَعَالَى (**أَلَا لَهُ اَلْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**) وَقَالَ (**وَكَانَ أَمْرُ اَللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**) وَقَالَ: (**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**) وَقَالَ (**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اَللَّهُ لَنَا**) وَقَالَ (**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**) وَقَالَ: (**وَاعْلَمُوا أَنَّ اَللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ اَلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**) وَقَالَ: (**إِنَّ اَلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ**) وَقَالَ (**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**) وَقَالَ : (**إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اَللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ**) ومِثْلُ هَذَا فِي اَلْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

ومن الأحاديث كثيرة أيضا منها وهي أصول هذا الباب :

حديث جبريل المشهور وفيه : **وتؤمن بالقدر خيره وشره** . وحديث : **احتجاج موسى وآدم** ، وحديث : **أول ما خلق القلم** . وحديث **الميثاق ومسح ظهر آدم** . وحديث : **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** .

وروى أحمد (٦٧٠٣) وابنُ أبي عاصم في السنة (١٣٤) واللالكائي في الاعتقاد (١٣٨٧) بسند صالح عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **لَا يُؤْمِنُ الْمَرْءُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** "

روى ابن أبي زمنين في أصول السنة (١١٧) عَنْ طَاوُسٍ اَلْيَمَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : أَدْرَكْتُ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ . قَالَ طَاوُسٌ : وَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ

شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى اَلْعَجْزِ وَالْكَيْسِ أَوْ اَلْكَيْسِ وَالْعَجْزِ . [ويراجع للمزيد من الأحاديث والآثار : كتاب القدر للفريابي وكتاب القدر لابن وهب فقد جمعا أغلب أحاديث الباب وآثاره].

وللقدر مراتب وهي باختصار : أربع مراتب :

المرتبة الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبة الثانية : كتابته لها قبل كونها .

المرتبة الثالثة مشيئته لها .

المرتبة الرابعة : خلقه لأفعال العباد . [راجع تفاصيلها في جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٠٣/١) وشفاء العليل (٢٩/١) (الباب العاشر: في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر) ففيه تفصيل موسع في بيان المراتب وأدلتها] وعلى هذه المراتب وقع الإجماع بمعناها عند أهل السنة من ذلك :

قال ابن أبي زمين في أصول السنة (ص١٩٧) : وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ : أَنَّ اَلْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرَهَا وَشَرَّهَا حُلْوَهَا وَمُرَّهَا مِنْ اَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ خَلَقَ اَلْخَلْقَ وَقَدْ عَلِمَ مَا يَعْمَلُونَ وَمَا إِلَيْهِ يَصِيرُونَ، فَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ ..) اهـ

<u>**ونقل الإجماع على هذا الكثير من السلف منهم**</u> : ومن أقدم من حكاه عمر بن العزيز في رسالته للقدرية [سنن أبي داود (٤٦١٤) والشريعة (١١٩٦/١)] وذكر أنه ممن أثبته أهل الجاهلية والإسلام ، وسفيان الثوري كما في السنة للالكائي (٣١٤) وابن الماجشون كما في الإبانة الكبرى (١٨٦٨) وقتيبة بن سعيد كما في شعار أهل الحديث (١٧) وأحمد في عقيدته كما في طبقات الحنابلة (٣٤٩/١) ومحمد بن عكاشة كما نقله الملطي في كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص١٥) والبخاري في عقيدته رواها اللالكائي (٣٢٠) والكرماني في السنة (١٥) وله كلام حسن في (ص٣٦ - ٣٩) وابن بطة في الإبانة الصغرى (٢٥٤) حتى أنه قال : (وفي هذا مِن صحَّةِ الدَّلائلِ ، وثبوتِ الحجَّةِ في جميع القرآنِ ، وأخبارِ المصُطفى صلَّى الله عليهِ وسلَّم ما لُا يمكُن دفعُهُ ، ولا يُقدرُ على ردِّهِ إلَّا بالافتراءِ على الله عزَّوجلَّ ، ومُنازعتِهِ في قُدرتِهِ ...وإلى ما وصفنا دعتِ الرُّسلُ وأُنزلتِ الكتبُ ، وعليه اتَّفقَ أهلُ التَّوحيدِ)]

[٥٧] وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك (١).

(١) روي في هذا المعنى عدة أحاديث وآثار من ذلك : **فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له** : يَا غُلَامُ ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، وَلَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا تَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِغَيْرِ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، مَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ" قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ لِي بِمِثْلِ هَذَا مِنَ الْيَقِينِ حَتَّى أَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : **تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لم يكن ليصيبك**". [ابن وهب في القدر (٢٨) وأحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) وأبو يعلى (٢٥٥٦) والطبراني في الكبير (١٢٩٨٨) والدعاء (٤٢) والآجري في الشريعة (ص ١٨٤) وابن السني (٤٢٥) وابن بطة (١٥٠٥) وابن منده في التوحيد (٢٥١) والبيهقي في الاعتقاد (ص١١٠) وله طرق كثيرة فيها نظر بهذا اللفظ ، ولكن أصله ثابت]

عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قَالَ : وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ : أَبَا الْمُنْذِرِ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُ دِينِي وَأَمْرِي ، حَدِّثْنِي عَنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْفَعُنِي بِهِ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، **وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**، وَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ ، وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَتَسْأَلَهُ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، كَانَ أَبُو سِنَانٍ يَقْتَصُّ الْحَدِيثَ قَالَ : وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَتَسْأَلَهُ ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَوْ كَانَ لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ **وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَإِنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ** ، وَأَنَّكَ إِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ » [أحمد (٥/ ١٨٢ - ١٨٣) وأبو داود (٥/ ٧٥/٤٦٩٩) وابن ماجة في المقدمة (١/ ٢٩ - ٣٠/ ٧٧) وابن حبان (٢/ ٥٠٥ - ٥٠٦/ ٧٢٧) وعبد الله بن أحمد في السنة (١٢١ - ١٢٢) وهو حسن قال المنذري في مختصر سنن أبي داود (٤٥٣٤) وأخرجه ابن ماجه وفي إسناده أبو سنان سعيد بن سنان الشيباني وثقه يحي بن معين وغيره وتكلم فيه الإمام أحمد وغيره.]

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ ، وَهُوَ مَرِيضٌ ، يُرَى فِيهِ أَثَرُ الْمَوْتِ ، فَقَالَ : يَا أَبَتِ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ قَالَ : اجْلِسْ قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ ، وَلَنْ تَبْلُغَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ ، حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قُلْتُ : كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : أَوَّلُ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمُ فَقَالَ لَهُ : اجْرِ ، فَجَرَى تِلْكَ السَّاعَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ ، فَإِنْ مُتَّ ، وَأَنْتَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ. [أخرجه أحمد (٢٢٧٦٨) وابن أبي عاصم في السنة (١٠٧) والفريابي في القدر (٧٢) والبزار (٢٦٨٧) وابن جرير (٢٩/١٧) وابن بطة (١٣٦٢) وهو حديث صحيح]

عَنْ أَبِي حَجَّاجٍ الْأَزْدِيِّ عَنْ سَلْمَانَ قَالَ : لَقِيتُهُ بِمَاءِ سَبَذَانَ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَا تَقُلْ : لَوْلَا كَذَا لَكَانَ كَذَا ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا لَكَانَ كَذَا. [رواه عبد الرزاق (٢٠٠٨٣) والآجري (٤٠١) وعبد الله في السنة (٩٢٣) والطبراني (٦٠٦٠) واللالكائي (١٢٤٠) والبيهقي (٢٠٤/١٠) وذكره الهيثمي في المجمع (١٩٩/٧) وقال : رواه الطبراني ، وأبو الحجاج لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح. **(قلت)** وأنا أيضا لم أهتدي إليه ترجمته ولم أجده في الرواة عن أبي إسحاق السبيعي الراوي عنه ، فالسند فيه ضعف يسير]

[٥٨] ولا خالق مع الله (١).

[٥٩] والتكبير على الجنائز أربع ، وهو قول مالك بن أنس وسفيان الثوري والحسن بن صالح(٢) **وأحمد بن حنبل والفقهاء وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** (٣)

---

(١) وهذا ما يُسمى بالإيمان بتوحيد الربوبية ، وقد قرنه المؤلف بالقدر ، لأنه يتضمنه ويستلزمه فالقدر قدرة الله ، وأيضا له تعلق مباشر بمسألة خلق أفعال العباد ، وهي مسألة في القدر ، خلافا للجهمية والمعتزلة والقدرية ، الذين خالفونا في هذا .

قال التيمي في الحجة (١/٤٢١) باب الرد على الجهمية والمعتزلة : أفعال العباد وليست بفعل الله وإنما هي مخلوقة له " .

وقال الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٧٥ - ٨٩): ومن قول أهل السنة والجماعة في إكساب العباد أنها مخلوقة لله تعالى لا يمترون فيه ، ولا يعدون من أهل الهدى ودين الحق من ينكر هذا القول وينفيه) اهـ [انظر اعتقاد أئمة أهل الحديث (ص٦٠)]

(٢) لا أدري هل خفي على المؤلف حال الحسن بن صالح فذكره بين أئمة الإسلام والسنة أم علمه وتأول له أم أخذ بما روي عنه أنه رجع عن مذهبه وصحح هذا الرجوع !! ، لأن البربهاري يبدع من ترك الجمعة ويرى السلف على الأئمة كما في كتابه هذا ، وهو مذهب الحسن هذا إن صح أنه لم يرجع ، فذكره قبيح بين الفقهاء ، وممن ضلل الحسن هذا يوسف بن أسباط وحفص بن غياث وزائدة بن قدامة وغيرهم من السلف راجع ترجمته من كتب التراجم [تهذيب الكمال (٦/١٨٠) والجرح والتعديل (ت ٦٨) والسير (٧/٣٦١) وقد حكي أنه صلى الجمعة وحضر الصلاة في آخر أمره فالله أعلم به .] .

(٣) هذه المسألة فقهية وقد أدرجت في العقائد بسبب أنها صارت شعارا للشيعة فهم يكبرون خمسا ، خلافا لما استقر عليه عمل الصحابة ، ولهذا ذكرها بشر الحافي في عقيدته كما في مختصر الحجة لنصر المقدسي (ص٦٠٣) وأحمد في عقيدته كما في طبقات الحنابلة (٢/٢٩٣– ٢٩٥) ومختصر الحجة لنصر المقدسي (ص٥٨٧ - و٦٠٠) .

وفيما قال أحمد : والتكبير على الجنائز أربع تكبيرات ، فإن كبر خمسا فكبر معه قال ابن مسعود كبر ما كبر إمامك ، قال أحمد خالفني الشافعي فقال إن زاد على أربع تكبيرات أعاد الصلاة ، واحتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على النجاشي فكبر أربعا) اهـ . **(قلت)** والأصل فيه الحديث المتفق على صحته عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « **نَعَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّجَاشِيَّ لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ فَصَفُّوا خَلْفَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا** »

روى الحارث بن أسامة في مسنده (٢٧٢) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ : « آخِرُ مَا كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى فَاطِمَةَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ الْحَسَنُ عَلَى عَلِيٍّ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ الْحُسَيْنُ عَلَى الْحَسَنِ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ عَلِيٌّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُكَفَّفِ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى أَبِيهِ عُمَرَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى آدَمَ أَرْبَعًا ، وَكَبَّرَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ أَرْبَعًا » **وروى ابن أبي شيبة في مصنفه (١١٤٢٥)** عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ عَنِ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ فَقَالَ : «كُلُّ ذَلِكَ قَدْ صُنِعَ وَرَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَرْبَعٍ » . أي كانت في خلافة الصديق الناس يختلفون في التكبير على الجنائز ثم أجمعوا بعد ذلك على أربع .

وقد رويت زيادة على الأربع عن بعض الصحابة لكن لما جمعهم عمر ورأى الإختلاف جمعهم على أربع تكبيرات ، فصار الإجماع حجة . **قال ابن عبد البر في الجامع (١٧١٨)** : وَقَطَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اخْتِلَافَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ وَقَصَرَهُمْ عَلَى أَرْبَعٍ .

كما روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ في مصنفه (٦٣٩٥) وابن المنذر في الأوسط (٣١٣٧) عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانُوا يُكَبِّرُونَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا وَخَمْسًا وَأَرْبَعًا حَتَّى كَانَ زَمَنُ عُمَرَ فَجَمَعَهُمْ فَسَأَلَهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بِمَا رَأَى، فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَرْبَعِ تَكْبِيرَاتٍ كَأَطْوَلِ الصَّلَاةِ، يَعْنِي الظُّهْرَ ."

قال ابن المنذر معلقا : هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَابْنُ أَبِي أَوْفَى وَابْنُ عُمَرَ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَالْأَوْزَاعِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَإِسْحَاقُ) اهـ [والآثار في الباب كثيرة تراجع في مصنف عبد الرزاق (٤٧٩/٣) (بَابُ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجِنَازَةِ) ومصنف ابن أبي شيبة (٤٩٣/٢) (مَا قَالُوا فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجِنَازَةِ مَنْ كَبَّرَ أَرْبَعًا) والمعرفة للبيهقي (٢٩١/٥) (بَابُ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ) والسنن الكبرى (٥٦/٤) (جُمَّاعُ أَبْوَابِ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ وَمَنْ أَوْلَى بِإِدْخَالِهِ الْقَبْرَ) وتاريخ المدينة لابن شبة (٤٣٦/٢) (جَمْعُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ عَلَى التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ) وشرح معاني الآثار (بَابُ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ كَمْ هُوَ؟) والأوسط لابن المنذر (٤٢٨/٥) (ذِكْرُ عَدَدِ التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَائِزِ)]

(فائدة) حكم من يكبر ثلاثا يعني بالنقصان : **قال ابن قدامة** مبينا حال من يتعمد التكبير ثلاثا : وروي عن ابن عباس أنه كبر على الجنازة ثلاثا ولم يعجب ذلك أبا عبد الله وقال قد كبر أنس ثلاثا ناسيا فأعاد ولأنه خالف ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولأن الصلاة الرباعية إذا نقص منها ركعة بطلت كذلك ها هنا فإن نقص منها تكبيرة عامدا بطلت كما لو ترك ركعة عمدا . [المغني (١٩٧/٢) ونقل روايات النقصان ابن المنذر في الأوسط (٤٢٩/٥) وأجاب عنها] .

ويرد على الشيعة الذين احتجوا بعلي أنه كبر خمسا بما رواه الطحاوي روى في **شرح معاني الآثار (٢٨٤٩)** عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَعْقِلٍ قَالَ : صَلَّيْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَى جِنَازَةٍ ، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا خَمْسًا ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَقَالَ : « إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ » ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَ عَلِيٍّ عَلَى جَنَائِزَ ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ يُكَبِّرُ عَلَيْهَا أَرْبَعًا " .

وعَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ : « كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُكَبِّرُ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ سِتًّا ، وَعَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمْسًا ، وَعَلَى سَائِرِ النَّاسِ أَرْبَعًا » [الطحاوي (٢٨٥٠) وابن المنذر (٣١٤٥)]

(قلت) فالزيادة إذن خاصة بأهل بدر على خلاف سائر الناس ، فلا حجة لهم إذن في فعل علي رضي الله عنه بل هو عليهم .

وروى الطحاوي (٢٨٥١) عنَ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ : وَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّاسَ عَلَى أَرْبَعٍ إِلَّا عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُكَبِّرُونَ عَلَيْهِمْ خَمْسًا ، وَسَبْعًا ، وَتِسْعًا " .

علق ذاك الطحاوي فقال : فَدَلَّ مَا ذَكَرْنَا أَنَّ مَا كَانُوا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ عَدَدِ التَّكْبِيرِ الْأَرْبَعِ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ بَدْرٍ ، وَتَرَكُوا حُكْمَ أَهْلِ بَدْرٍ عَلَى مَا فَوْقَ الْأَرْبَعِ) اهـ.

قال ابن القطان الفاسي في الإقناع في الإجماع (١٠٣٣) وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكبر على الجنائز أربعًا وخمسًا ، وستًا ، وسبعًا ، وثمانيًا ، حتى مات النجاشي فكبر عليه النبي صلى الله عليه وسلم أربعًا ، وثبت عليها حتى توفي عليه السلام ». واتفق على ذلك فقهاء الأمصار ، وغير ذلك شذوذ لا يعرج عليه ، ولا أعلم أحدًا من فقهاء الأمصار قال : يكبر الإمام خمسًا إلا ابن أبي ليلى ، فإنه قاله على حديث ابن أرقم) اهـ .

(قلت) ولهذا كله لما استقر عمل السلف الذي جمعهم عليه عمر بن الخطاب قال مَالِكٌ فِي هَذَا: « **قِفْ حَيْثُ وَقَفَتِ السُّنَّةُ أَنْ لَا تُكَبِّرَ الْخَامِسَةَ** » وقول المؤلف : (**وهكذا قال رسوله الله صلى الله عليه وسلم**) رويت أحاديث كثيرة اختصر ابن المنذر الكلام عنه فقال كما في الأوسط (٤٣٥/٥) : وَالْأَخْبَارُ الَّتِي رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَبَّرَ أَرْبَعًا أَسَانِيدُ أَجْيَادٌ صِحَاحٌ لَا عِلَّةَ لِشَيْءٍ مِنْهَا : الزُّهْرِيُّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ، وَأَبُو سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

وَسُلَيْمُ بْنُ حَيَّانَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مِينَاءٍ ، عَنْ جَابِرٍ .

وَأَبُو قِلَابَةَ، عَنِ أَبِي الْمُهَلَّبِ ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ .

وَعُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ عَمِّهِ ، يَزِيدَ بْنِ ثَابِتٍ .

وَالزُّهْرِيُّ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الَّذِينَ كَبَّرُوا مِنَ الصَّحَابَةِ أَرْبَعًا ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ عَنْهُمْ) اهـ .

[٦٠] والإيمان بأن مع كل قطرة ، ملك ينزل من السماء ، حتى يضعها حيث أمره الله عز وجل (١) .

(١) والأصل في هذا قوله تعالى (**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**) وقد اعتمد المؤلف في هذا على آثار لبعض التابعين منقولة عن الحسن والحكم بن عتيبة ، وكلام التابعين في هذا حجة لأنه في حكم الرفع ، وإليك التفاصيل : فقد روى وأبو الشيخ في العظمة (٤٩٣) وابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد (١٠) والطبري في تفسيره (٨٤/١٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٣٥٤) والدينوري في المجالسة (٢٦٤٩) بسند جيد عَنِ الْحَكَمِ بن عتيبة {**وَمَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ معلوم**} قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّهُ يُنَزَّلُ مَعَ الْقَطْرِ مِنَ الْمَلائِكَةِ أَكْثَرُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَوَلَدِ إِبْلِيسَ يُحْصُونَ كُلَّ قَطْرَةٍ ، وَأَيْنَ تَقَعُ ، وَمَنْ يُرْزَقُ ذَلِكَ النَّبَاتَ .
وروى أبو الشيخ في العظمة (١٢٧٤/٤) بسند جيد عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ} قَالَ : مَا مِنْ عَامٍ بِأَمْطَرَ مِنْ عَامٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْبَحْرِ يَنْزِلُ مَعَ الْمَطَرِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَيَكْتُبُونَ حَيْثُ يَقَعُ ذَلِكَ الْمَطَرُ ، وَمَنْ يُرْزَقُهُ ، وَمَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ كُلِّ قَطْرَةٍ »
وقد روي حديث مرفوعا ولا يصح أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣٨٠) عن عكرمة بن خالد أن رجلا قال : يا رسول الله أي الملائكة أكرم على الله ؟ قال : لا أدري فعرج جبريل ثم هبط فقال : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، فأما جبريل فصاحب الحرب ، وصاحب المرسلين ، وأما ميكائيل : فصاحب كل قطرة تسقط ، وكل ورقة تنبت ، وكل ورقة تسقط ، وأما ملك الموت : فهو موكل بقبض روح كل عبد في بر ، أو بحر ، وأما إسرافيل : فأمين الله بينه وبينهم) **سنده مرسل** وفي عكرمة بن خالد ضعف .. وقد ثبت أيضا أن للسحاب والمطر ملائكة تعمل عليه بأمر الله ، وأن رئيسهم ميكائيل عليه السلام :
يقول ابن كثير كما في البداية والنهاية (٥٠/١) : ميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب، كما يشاء الرب جلّ جلاله ، ومن الملائكة ما هو موكل بالسحاب ، ففي سنن الترمذي عن ابن عباس: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله) ، وقد يسقي بلاداً دون بلاد، أو قرية دون أخرى ، وقد يؤمر بأن يسقي زرع رجل واحد دون سواه ، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءَه في حرّة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته ، يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله، ما اسمك ؟ قال: فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له : يا عبد الله ، لِمَ تسألني عن اسمي ؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان ، لاسمك ، فما تصنع فيها ؟ قال : أمّا إذ قلت هذا ، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه) اهـ
[مسألة] من أين وكيف ينزل المطر ؟ : الآثار على خلاف تفسيرات الجغرافيين ومن تأثر بهم من المعاصرين ، الذين يعتقدون أن المطر يتكون من تبخر ماء البحر الذي في الأرض !! وللرد على هذه الإنحرافات نسوق ما ورد عن السلف :
خرج أبو الشيخ في العظمة (١٢٧٢/٤) عن الحسن أنه سئل : المطر من السماء أم من السحاب ؟ قال : **من السماء** ، إنما السحاب علم ينزل عليه الماء من السماء . [وذكره في الدر المنثور (٨٦/١)]
روى ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦١٧٨) وابن أبي الدنيا في المطر والرعد (٣٨) من طريقين يشد بعضها بعضا عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْمَطَرَ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَجَلَسَ ، وَيَقُولُ : « **حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْعَرْشِ** »
علق ابن رجب فقال : وهذا يدل على أن عليا كان يرى أن المطر ينزل من البحر الذي تحت العرش .

عن كعب الأحبار قال : السحاب **غربال المطر** ولولا السحاب حين ينزل الماء من **السماء** لأفسد ما يقع عليه من الأرض والبذر ينزل من السماء .[وأخرج ابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق (٥) ابن أبي حاتم (١٤٧٠٦) وأبو الشيخ وتاريخ ابن عساكر (٣١/١١) وتهذيب الكمال (٣١٥/٤) نسبه لابن وهب **وسنده جيد** وله طرق]

وروى ابن أبي الدنيا في المطر (٦) **وابن أبي حاتم** (**١٤٧٠٨**) **بسند جيد** عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُثِيرُ السَّحَابَ فَمَا كَانَ مِنْهُ أَسْوَدَ فَهِيَ الثَّمَرَةُ الَّتِي قَدْ نَضِجَتْ ، وَهِيَ الَّتِي تُمْطِرُ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ أَبْيَضَ ، فَهِيَ الثَّمَرَةُ الَّتِي لَا تَنْضُجُ وَهِيَ الَّتِي لَا تُمْطِرُ »

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (**٢٢٥**) **وأبو الشيخ** (**١٢٧٥/٤**) **وابن أبي الدنيا في المطر** (**٣**) **بسند صحيح عن خالد بن معدان** قال : المطر ماء يخرج من تحت العرش، فينزل من سماء إلى سماء حتى يجتمع في السماء الدنيا فيجتمع في موضع يقال له : الأبزم ، فتجيء السحاب السود فتدخله فتشربه مثل شرب الإشفنجة فيسوقها الله حيث يشاء .

وأخرج ابن أبي الدنيا في المطر (**٤**) **وابن أبي حاتم** (**١٤٦٩**) **وأبو الشيخ في العظمة** (**١٢٥٨/٤**) **بسند حسن** عن عكرمة قال : ينزل الماء من السماء السابعة فتقع القطرة منه على السحابة مثل البعير .

قال الإمام الدارمي في رده على الجهمية (**٣٠**) : عن أنس ، رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مطر ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عنه ثوبه حتى أصابه ، فقلنا : يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال : « **لأنه حديث عهد بربه** ». قال أبو سعيد : ولو كان على ما يقول هؤلاء الزائغة في كل مكان ، ما كان المطر أحدث عهدا بالله من غيره من المياه والخلائق) اهـ .

علق ابن رجب في الفتح الباري (**٣٣٤/٩**) : وكذلك قاله عكرمة وخالد بن معدان وغيرهما من السلف : المطر ينزل من تحت العرش ، وروي عن ابن عباس من وجوه ما يدل عليهِ ، وأما من قالَ : أن المطر كله من ماء البحر ، فإنه ما لا علم لهُ به ، فإن استدل بأنه يشاهد اغتراف السحاب من البحر ، فقد حكم حكما كليا بنظر جزئي ، ومن أين لهُ أن كل السحاب كذلك ؟

[يراجع : العظمة لأبي الشيخ باب (ذِكْرُ الْمَطَرِ وَنُزُولِهِ) والدر المنثور (٨٦/١) وكتاب ابن أبي الدنيا المطر والرعد والبرق]

[فائدة] روى مسلم (٨٩٨) عَنْ أَنَسٍ قَالَ : مُطِرْنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَحَسَرَ عَنْ ثَوْبِهِ حَتَّى أَصَابَهُ الْمَطَرُ ، فَقُلْتُ : لِمَ صَنَعْتَ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ** »

(**قلت**) هذا الحديث يفسره الآثار السابقة وأوضحها قول علي رضي الله عنه فإنه فسر هذا الحديث قولا وفعلا فإِنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْمَطَرَ خَلَعَ ثِيَابَهُ وَجَلَسَ وَيَقُولُ : « **حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْعَرْشِ** » وروي عنه عبد الله بن نجي قالَ : كانَ علي – رضي الله عنه – إذا مطرت السماء خرج فإذا أصاب صلعته الماء مسح رأسه ووجهه وجسده وقال : (**بركة نزلت من السماء لم تمسها يد ولا سقاء**) **وهنا تعلم الحكمة** في تسابق السلف لأول القطرات تنزل من السماء يتمسحون بها للبركة ، فالمطر في معتقدهم ينزل من تحت العرش فهو مبارك ، وقريب من الله ، بل احتج السلف بحديث أنس على علو الله تعالى ، وقد بوب لها ابن أبي شيبة (**مَنْ كَانَ يَتَمَطَّرُ فِي أَوَّلِ مَطْرَةٍ**) وبوب لها البخاري في الأدب المفرد (**باب من استمطر في أول المطر**) .

وبوب لها البيهقي (**البروز للمطر**) ومما روي عنه أنه تأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم : عثمان وعلي وابن عباس وسعيد بن المسيب وجمع من السلف ، **قال الإمام الشَّافِعِيُّ** : بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ « يَتَمَطَّرُ فِي أَوَّلِ قَطْرَةٍ حَتَّى يُصِيبَ جَسَدَهُ » [المعرفة للبيهقي (٧٢٣٠)]

روى البيهقي في المعرفة (**٧٢٣٢**) أثرا حسنا عن ابن عباس أَنَّ السَّمَاءَ ، مَطَرَتْ فَقَالَ لِغُلَامِهِ : أَخْرِجْ فِرَاشِي وَرَحْلِي يُصِيبُهُ الْمَطَرُ فَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ لِابْنِ عَبَّاسٍ : لِمَ تَفْعَلْ هَذَا يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ فَقَالَ : أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ : {**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا**} فَأُحِبُّ أَنْ يُصِيبَ الْبَرَكَةُ فِرَاشِي وَرَحْلِي."

[٦١] والإيمان بأن النبي صلى الله عليه وسلم حين كلم أهل القليب يوم بدر - [أي] المشركين - كانوا يسمعون كلامه (٢)

= [**تنبيه**] : ومما يدل على هذا من القرآن أن كل آية فيها أن الله (نزل من السماء ماءً) أنَّ لفظة السماء تشمل كل السموات ولو كان ينزل من السحاب لجاء (ينزل من السحاب) ولهذا لما سأل الرجل الحسن عن هذه المسألة قال : (المطر من **السماء** أم من **السحاب** ؟ قال : من **السماء** ، إنما السحاب عَلَمٌ ينزل **عليه** الماء من السماء). ومثله في أثر كعب الأحبار حين ذكر السحاب أنه مجرد غربال وأن الماء ينزل من السماء ، فدل هذا أن القرآن والسنة كما في حديث أنس تتوافق مع الآثار ولا يجرؤ على رد الآثار بما في عقله أنها تخالف القرآن إلا جاهل بالوحي والأثر واللغة ، وبهذا أفتى المدعو بالرملي في فتاويه (٣٤٣/٤) وقال بأن الآثار هي على ظاهر القرآن ، وغلَّط من خالف ذلك .

[**فائدة**]: ورى أبو عوانة في مستخرجه (٢٠٢٨) والخطابي في غريب الحديث (٣٣٦/١) من حديث عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَسْقِي ... وفيه : اللَّهُمَّ فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا ، وَاصِلْ بِالْغَيثِ وَاكِفًا **مِنْ تَحْتِ عَرْشِكَ**) [**قلت** في سنده المسيب بن شريك ضعيف متروك كما قال أحمد وأبو حاتم ورواه ابن عساكر في تاريخه (٧٨/٨٣) عن عباس ورجاله ثقات ، وهو في كنز العمال (٢٣٥٤٦)]

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٨٧٤) **وهذه مسالة سماع الموتى الشهيرة** ، والتي أنكرها الكثير ممن يزعم أنهم من العلماء !! قبل أن ينكرها ممن يدعي أنه من طلبة العلم !! : ومختصر الكلام فيها أن السلف ثبت عندهم ورروا أنه يصح سماع الموتى لكلام الأحياء في مواضع كثيرة منها : قرع النعال كما في الحديث المشهور ، والسلام كما سيأتي ، والتبشير بالنار وغير ذلك ووردت أحاديث وآثار عن الصحابة في سماع الميت كلام أهل الجنازة وحاله قبل الدفن ، أختصر وألخصها هنا :

خرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (٧) : من طريقِ سالمِ بنِ أبي الجعدِ قال : قال حذيفةُ : الروحُ بيدِ ملَكٍ ، وإن الجسدَ ليغسَّلَ ، وإنَّ الملَكَ ليمشِي معه إلى القبرِ، فإذا سُوي عليه سلَكَ فيه ، فذلكَ حين يخاطبُ)

وروى أيضا فيه برقم (٧) عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي ليلى قال : الروحُ بيد ملَكٍ يمشي مع الجنازةِ ، يقولُ : اسمعْ ما يقالُ لك ، فإذا بلغ حفرتَهُ دفنَ معه).وروى من طريقِ داودَ العطارِ، عن أبي نجيح ، قال : ما مِنْ ميِّت يموتُ إلا روحُهُ في يد مَلَكٍ ينظرُ إلى جسدِهِ ، كيف يغسلُ ويكفَّنُ، وكيف يُمشَى به إلى قبر، ثم تُعاد إليه روحُه، فيجلسُ في قبره)

وروى فيه عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ فَمَلَكٌ قَابِضٌ نَفْسَهُ ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهُ عِنْدَ غُسْلِهِ وَعِنْدَ حَمْلِهِ ، حَتَّى يَصِيرَ إِلَى قَبْرِهِ »

وروى فيه عنْ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ : سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيَّ يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّهُ مَا مِنْ مَيِّتٍ إِلَّا وَرُوحُهُ بِيَدِ مَلَكِ الْمَوْتِ ، فَهُمْ يُغَسِّلُونَهُ وَيُكَفِّنُونَهُ ، وَهُوَ يَرَى مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ ، فَلَوْ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْكَلَامِ لَنَهَاهُمْ عَنِ الرَّنَّةِ، وَالْعَوِيلِ »

وروى فيه أيضا : عن يَحْيَى الْحِمَّانِيَّ قَالَ : دَخَلَ حَمَّادُ بْنُ مُغِيثٍ عَلَى ابْنِ السَّمَّاكِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَيَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ يَعْنِي الْمَيِّتَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُنَاشِدُ غَاسِلَهُ بِاللَّهِ أَلَا خَفَّفْتَ غَسْلِي »

وفيه عن ابْنُ السَّمَّاكِ أَوْ ثني عَنْهُ غَيْرُهُ قَالَ : غَسَّلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَبِي، فَلَمَّا غَسَّلَهُ قَالَ : « أَمَا إِنَّهُ الْآنَ يَرَى مَا نَصْنَعُ بِهِ »

والآثار في هذا المعنى كثيرة جمعها أيضا ابن رجب في أهوال القبور وبوب لها بقوله (فصل : معرفة الموتى بحالهم في الدنيا قبل الدفن) فراجعها هناك ، وقد روى ابن أبي الدنيا منامات كثيرة لأناس من السلف ماتوا ثم رأوا بعد ذلك ، وأنهم حكوا سماع كلام الأحياء من الناس ، وأيضا رويت آثار كثيرة تدل على أن أعمال الأحياء تعرض على أمواتهم من أقاربهم ، ومنها ما يدل على أنهم يعلمون بزيارتهم في مقابرهم ، من أوضح الآثار **في الباب ما رواه في المنامات** (٢١) عن سعيد بن المسيب قال : الْتَقَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَّامٍ ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: " إِنْ مُتَّ قَبْلِي فَالْقَنِي فَأَخْبِرْنِي مَا لَقِيتَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ

مِتُّ قَبْلَكَ لَقِيتُكَ فَأَخْبَرْتُكَ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: وَهَلْ يَلْقَى الْأَمْوَاتُ الْأَحْيَاءَ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، أَرْوَاحُهُمْ فِي الْجَنَّةِ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ ، قَالَ: فَمَاتَ فُلَانٌ فَلَقِيَهُ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ: تَوَكَّلْ وَأَبْشِرْ ، فَلَمْ أَرَ مِثْلَ التَّوَكُّلِ قَطُّ "

وروي أيضا في رد السلام وسماع الميت كلام الزائر ، عن عائشة رضي الله عنها بسند ـ فيه نظر ـ قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم) [رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور كما نسبه إليه ذاك العراقي في تخريج الإحياء ، ورواه ابن عبد البر في الأستذكار (١٨٥/١) من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الإشبيلي) اهـ (**قلت**) في سنده متروك وقد قال ابن رجب في أهوال القبور (ص٨٦) معقبا على هذا التصحيح : قال عبد الحق الإشبيلي إسناده صحيح يشير إن رجاله ثقات إلا أنه غريب بل منكر) اهـ

وروي هذا أيضا من حديث أبي هريرة كما في فوائد تمام (١٣٩) وأبو العباس الأصم في مجموع أجزاءه (٢١٤) والهكاري في كتابه هداية الأحياء للأموات (٢٥) والخطيب في تاريخه (١٣٧/٦) وابن عساكر (٣٨٠/١٠) وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية (١٥٢٣) : لا يصح وقال ابن رجب فب أهوال القبور (ص٨٧) : عبد الرحمن بن زيد: فيه ضعف وقد خولف في إسناده) . (**قلت**) لكن يشهد لكل هذا **ما في صحيح مسلم** (١٢١) عن عبد الله بن شماسة المهري أن عمرو بن العاص لما حضر الموت قال في وصيته : إذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنيس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي .

والآثار كثيرة لا يسعني نقلها كلها في هذه التعليقة ، وقد عقد لها الأصبهاني في كتاب الحجة فصلا فقال (**فصل فِيمَن يُنكر أَن الْأَمْوَات يعلمُونَ بأخبار الْأَحْيَاء ويسمعون**).

ومن الأدلة أيضا حديث أبي رزين العقيلي المشهور الطويل الذي قال فيه : لَعَمْرُ اللهِ مَا أَتَيْتَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْرِ عَامِرِيٍّ ، أَوْ قُرَشِيٍّ مِنْ مُشْرِكٍ، فَقُلْ : أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ مُحَمَّدٌ ، فَأُبَشِّرُكَ بِمَا يَسُوءُكَ، تُجَرُّ عَلَى وَجْهِكَ، وَبَطْنِكَ فِي النَّارِ ..)

ومثله حديث الأعرابي الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أيما قبر مشرك مررت عليه فبشره بالنار) ونحوه هذه الأحاديث التي تدل على أن هذا التقريع ليس خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الأدلة أيضا ما في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق .

[راجع للمزيد : كتاب الزهد لابن المبارك فقد بوب له الآثار وتهذيب الآثار للطبري مباحث طويلة في إثبات السماع ، وكتاب القبور وكتاب المنامات كلاهما لابن أبي الدنيا ، و كتاب أهوال القبور لابن رجب ، والروح لابن القيم ، والتذكرة لذاك القرطبي وغيرهم ، قد ألفت في ذلك جزءًا سميته (**الإحياء لآثار سماع الموتى من الأحياء**) يسر الله من يطبعه] .

وأقول :كل هذه الآثار بمجموعها تدل على أن للموتى سماعا لكلام الأحياء ، ولم يحسن من أنكر سماعهم بإطلاق فقط لمجرد فراره من معتقد وشبهات الصوفية **!!** فليس من العقل دفع شيء من الحق فرارا من الباطل ، فإن هذا السماع لا يفيد المشركين في شيء إثباته ، لأنه سماع مقيد بعدم قدرة بنفع ، لحديث إن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث ، أما قوله تعالى (**وما أنت بمسمع من في القبور**) وقوله (**إنك لا تسمع الموتى**) فقد فسرها السلف بأن معناها تشبيه المشرك الذي أضله الله بالميت الذي لا يفهم ما يقال له وما يسمعه من الحق ولم يقل أحد من السلف عند تفسير هذه الآية أنها على ظاهرها ، إلا ما روي عن عائشة رضي الله عنها من أنها أنكرت سماع الموتى لظاهر هاته الآيات ، ويحكى عنها أنها تراجعت عن ذلك ، وقد قال الطبري ملخصا كلام السلف في مثل هاته الآيات من تفسيره (٤٩٠/١٩) : وقوله: (**إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**) يقول : إنك يا محمد لا تقدر أن تُفهِم الحقّ من طبع الله على قلبه فأماته ، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه (**وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ**) يقول : ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصمّ الله عن سماعه سمعه (**إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**) يقول : إذا هم أدبروا معرضين عنه ، لا

[٦٢] والإيمان بأن الرجل إذا مرض يأجره الله على مرضه (١).

= يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوهم ، ولا يُصغون للحقّ، ولا يتدبرونه ، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به ، والاستماع له) اهـ وقد رد الطبري على من احتج بهذه الآيات بفصل طويل في كتابه تهذيب الآثار فراجعه فهو مهم ، وحكى ابن رجب في تفسيره (٢/٩٦) أن الجمهور أجازوا سماع الموتى وحكى كلام بن عبد البر أنه قالَ : ذهبَ إلى ذلكَ جماعة من أهلِ العلم – وهم الأكثرونَ – وهو اختيارُ الطبريِّ وغيره ، وكذلكَ ذكرَهُ ابنُ قتيبة وغيرُه من العلماءِ) اهـ

(**قلت**) بل لم أر خلافا بين السلف في ثبات سماع الأموات من حيث الجملة ، وما يلحقه من مباحث ، وقد ظنَّ بعض من لا يهتم بالآثار من المعاصرين ، أن ابن القيم هو من أتى بهذه المسألة في كتاب الروح فراحوا يشنعون عليه ، ومن عجائب ما احتجوا به في ردهم عليه أنهم قالوا : لعل بن القيم كتبه في أول حياته لما كان صوفيا !! فيا قوم متى تشتغلون بالآثار ؟

(١) لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**مَا يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا همٍّ ولا حَزَن ولا أذًى ولا غمٍّ ، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفرّ الله بها من خطاياه**) [رواه البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣) ومثله روي عن أبي سعيد عند مسلم (٢٥٧٣)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** » [وروي قريب منه عن عائشة رضي الله عنها عند البخاري (٥٦٤٠) ومسلم (٢٥٧٢)]

روى البخاري في الأدب المفرد (٤٩٥) والنسائي في الكبرى (٧٤٩١) وابن حبان (٢٩١٦) وغيرهم بسند حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « هَلْ أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَمٍ ؟ » قَالَ: وَمَا أُمُّ مِلْدَمٍ ؟ قَالَ: «حَرٌّ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ» قَالَ : لَا ، قَالَ : « فَهَلْ صُدِعْتَ ؟ » قَالَ : وَمَا الصُّدَاعُ ؟ قَالَ: « رِيحٌ تَعْتَرِضُ فِي الرَّأْسِ، تَضْرِبُ الْعُرُوقَ» ، قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَمَّا قَامَ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ » أَيْ : فَلْيَنْظُرْهُ .

وروى معمر في جامعه (٢٠٣١٣) وابن المبارك في الزهد (١١٦٣) عَنِ الرَّبَابِ الْقُشَيْرِيِّ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَا لِأَمِيرِكُمْ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمَئِذٍ أَمِيرٌ قَالَ: قُلْنَا: هُوَ شَاكٍ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا اشْتَكَيْتُ قَطُّ أَوْ قَالَ: وَاللَّهِ مَا صُدِعْتُ قَطُّ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «أَخْرِجُوهُ عَنِّي لِيَمُتْ بِخَطَايَاهُ ، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكُلِّ وَصَبٍ وَصِبْتُهُ ، حُمْرَ النَّعَمِ إِنَّ وَصَبَ الْمُؤْمِنِ يُكَفِّرُ خَطَايَاهُ »

وروى البخاري في الأدب المفرد (٤٩١) عن غُطَيْفَ بْنَ الْحَارِثِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ وَجِعٌ، فَقَالَ : كَيْفَ أَمْسَى أَجْرُ الْأَمِيرِ ؟ فَقَالَ : هَلْ تَدْرُونَ فِيمَا تُؤْجَرُونَ بِهِ ؟ فَقَالَ : بِمَا يُصِيبُنَا فِيمَا نَكْرَهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا تُؤْجَرُونَ بِمَا أَنْفَقْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَاسْتُنْفِقَ لَكُمْ، ثُمَّ عَدَّ أَدَاةَ الرَّحْلِ كُلَّهَا حَتَّى بَلَغَ عِذَارَ الْبِرْذَوْنِ ، وَلَكِنَّ هَذَا الْوَصَبَ الَّذِي يُصِيبُكُمْ فِي أَجْسَادِكُمْ يُكَفِّرُ اللَّهُ بِهِ مِنْ خَطَايَاكُمْ .

وروى البخاري أيضا (٤٩٣) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ ، وَعَادَ مَرِيضًا فِي كِنْدَةَ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : أَبْشِرْ ، فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا ، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ . "

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة جدا يراجع كتاب (**المرض والكفارات**) لابن أبي الدنيا .

[٦٣] والشهيد يأجره الله على القتل (١) .

[٦٤] والإيمان بأن الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون ، وذلك أن بكر ابن أخت عبد الواحد قال: لا يألمون ، وكذب (٢) .

---

(١) من العقائد المطروحة في السنة أن تعتقد أن أجر الشهيد وفضل القتل في سبيل الله عظيم جدا ، ومن أجره : أن يغفر له كل ذنوبه ويجار من فتنة القبر ولا يجد من ألم الموت إلا كما يجد الحي من ألم القرصة ، وفضله القتل في سبيل الله والشهادة لا يحصر في حاشية ولا أوراق ، وأذكر مما ورد في أجر الشهادة : ويكفي فيه قول الله عز وجل: {**وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**} [آل عمران ١٧١].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، صَابِراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ ، أَيُكَفِّرُ اللهُ عَنِّي خَطَايَايَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « نَعَمْ » فَلَمَّا أَدْبَرَ الرَّجُلُ ، نَادَاهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، أَوْ أَمَرَ بِهِ ، فَنُودِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : «كَيْفَ قُلْتَ ؟ » فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : « نَعَمْ ، إِلاَّ الدَّيْنَ كَذَاكَ قَالَ لِي جِبْرِيلُ ». [الموطأ (١٦٧٦)]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ** " [مسلم (١٨٨٦)]

[والأحاديث والآثار في فضائل الشهادة كثيرة يراجع : كتاب (**الجهاد**) لابن المبارك ، (**والجهاد**) لابن أبي عاصم ، وكتاب (**سبعون حديثا في الجهاد**) لابن بطة ، وكتاب (**الإنجاد في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه**) لمحمد بن أصبغ أبو عبد الله القرطبي ، وكتاب (**الأربعون في الحث على الجهاد**) لابن عساكر وكتاب (**فضل الجهاد**) لأحمد بن عبد الواحد المقدسي]

(٢) خلافا للمعتزلة والبكرية الضالة ، المنسوبة لذاك البكري الزائغ والعجيب أن عِداده في الخوارج ، وله أتباع يعروفون باسم البكرية ، وقد ذكر **ابن قتيبة في تأويل مختلف الأحاديث (٤٦ – ٤٧)** نص كلامه عنه حين قال : (وكان يقول : إن الأطفال لا تألم ، فإذا سئل ، فقيل له : فما باله يبكي إذا قرص أو وقعت عليه شرارة ؟ قال : إنما ذلك عقوبة لأبويه والله تعالى أعدل من أن يؤلم طفلا لا ذنب له ، فإذا سئل عن البهيمة وألمها ، وهي لا ذنب لها ؟ قال : إنما آلمها الله تعالى لمنفعة ابن آدم لتنساق ولتقف ، ولتجري إذا احتاج إلى ذلك منها) . **قال ابن حزم على تجهمه** : وَهَذَا القول منهم قول سمج ولجاج فِي الْبَاطِل قَبِيح وَدفع للعيان والحس وكل أحد منا قد كَانَ صَغِيرا ويوقن أننا كُنَّا نألم الْأَلَمَ الشَّدِيد الَّذِي لَا طَاقَة لنا بِالصبرِ عَلَيْهِ ، وَقد خَالف هَذَا القَول بعض المعتزلة فجاؤوا بالنقيض العجيب فَقَالُوا : أَن أَرْوَاح الْأَطْفَال وأرواح الْحَيَوَان كَانَت فِي أجساد قوم عصاة فعوقبت بِأَن ركبت فِي أجساد الْأَطْفَال وَالْحَيَوَان لتؤلم عُقُوبَة لَهَا) اهـ !!

(**قلت**) أكثر من يتطرق لهذه المسألة ، بتشقيق الكلام فيها هم الأشعرية الذين كتبوا في الفرق والملل ، كما ذكرها أبو الحسن ذاك الأشعري الجهمي في الإبانة والباقلاني في تمهيده ، وابن حزم الجهمي في الفصل والبغدادي في الفرق ، والشهرستاني الجهمي في الملل وابن الوزير اليماني الظاهري الزيدي في الروض الباسم ونسبوها أيضا للمعتزلة ، وممن تكلم فيها من رؤساهم الكفرة عبد الجبار المعتزلي وعقد فصلاً عن الآلام والأعواض في كتابه شرح الأصول الخمسة (ص٤٨٣) وعلل إيلام الأطفال والبهائم فلعنه الله من تائه **!!** وممن نسب هذا القول لبكر بن أخت عبد الواحد ذاك الرازي المعتزلي الجهمي في كتابه اعتقاد فرق المسلمين (ص٦٩) فسبحان من شغل أعداءه بالسخافات ليضلهم !!.

قال السمعاني في تفسيره (٥/٧٨) : عن قوله تعالى (**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**) : وَتعلق بِهَذِهِ الْآيَة

[٦٥] واعلم أنه لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله (١) ولا يعذب الله أحدا إلا بذنوبه ، بقدر ذنوبه ، ولو عذب الله أهل السماوات وأهل الأرضين برهم وفاجرهم عذبهم غير ظالم لهم (٢) لا يجوز أن يقال لله تبارك وتعالى : إنه يظلم وإنما يظلم من يأخذ ما ليس له (٣) والله جل ثناؤه له الخلق والأمر الخلق خلقه ، والدار داره ، لا يسأل عما يفعل بخلقه ، ولا يقال : لم وكيف ؟ لا يدخل أحد بين الله وبين خلقه .

= أَيْضا من يَقُول إِن الْأَطْفَال لَا يألمون أصلا فَكَذَلِك الْبَهَائِم ، وَإِنَّمَا صياحهم لأذى قُلُوب الْوَالِدين ، وكلا الْقَوْلَيْنِ بَاطِل ، وَيجوز عِنْد أهل السّنة أَن يُوجد الله الْأَلَم إِلَى مَا يَشَاء من عباده بِغَيْر ذَنْب سبق مِنْهُ ، وَكَذَلِكَ على جَمِيع الْحَيَوَانَات ، وَأما وَجه الْآيَة قد بَينا ، وَكَذَلِكَ قَول من يَقُول: إِن الْأَطْفَال لَا يألمون بَاطِل ، لِأَنَّهُ دفع الْحس والعيان) اهـ . [انظر : الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٤٨٧/٢) لذاك العمراني ، والفتاوى لابن تيمية (٥٠٥/٨) وكتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٩٥ ـ ٢٠٤)] (**قلت**) ومن الآثار الدالة على وجود الألم عن الأطفال : دعاء أبي هريرة لصبي مات أن يقيه عذاب القبر ، وبكاء عائشة على طفل مات وخافت عليه من ألم ضمة القبر ، [راجع كتاب الروح (ص٨٨)] فهذه آثار صريحة أن الطفل يشعر بالألم ، وتبا لقوم جعلونا نتكلم فيما يضحك علينا السلف لو سمعونا نرد عليهم في هذا الغباء والسخافات !!

(١) وهذا مأخوذ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنَجِّيهِ عَمَلهُ قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي رَبِّي مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا . [وأخرجه مسلم (٢٨١٦) وروي هذا عن عائشة وأبي سعيد وجابر وأبي موسى وغيرهم]

(٢) وهذا المعنى قاله جمع من الصحابة ، وورد فيه أثر عن وهب بن خالد عن ابن الديلمي قال : أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ أَنْ يَذْهَبَ مِنْ قَلْبِي فقَالَ **إِنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ** وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنَّ مَا أخطئك لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ ، قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ .[**قلت** : **إسناده قوي** ، وهو موقوف من حديث أبي بن كعب وابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، ومرفوع من حديث زيد بن ثابت ، أبو سنان : هو سعيد بن سنان الشيباني البرجمي وابن الديلمي : هو أبو بسر عبد الله بن فيروز وأخرجه أبو داود (٤٦٩٩) وأحمد (١٨٢/٥) و(١٨٩/٥) و (١٨٥/٥) وابن ماجه (٧٧) وابن أبي عاصم في السُّنة (٢٤٥) والبيهقي في السُّنن (٢٠٤/١٠) والطبراني في الكبير (٤٩٤٠) والآجري في الشريعة (ص ١٨٧)]

(٤) هذا أحد معاني الظلم أخذه مما روى الفريابي (٤٧٩) في القدر وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٩٤٦) والآجري (ص ٢٠١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨٩٩) واللالكائي في السنة (١٢٨٠) والآجري (٤٧٨) والبيهقي في الإعتقاد (١٥٠/١) والقضاء والقدر (٣٥٠) **بسند صحيح** عن حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ قَالَ : جَاءُوا بِرَجُلٍ إِلَى إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالُوا : هَذَا يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ ، فَقَالَ إِيَاسُ : مَا تَقُولُ ؟ قَالَ : أَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ وَنَهَاهُمْ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْعِبَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ إِيَاسُ : أَخْبِرْنِي عَنِ الظُّلْمِ ، تَعْرِفُهُ أَمْ لَا تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : بَلَى أَعْرِفُهُ قَالَ: مَا الظُّلْمُ ؟ قَالَ : أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلَ مَا لَيْسَ لَهُ قَالَ : فَمَنْ أَخَذَ مَا لَهُ ظَلَمَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ إِيَاسُ : الْآنَ عَرَفْتَ الظُّلْمَ ؟) . وراجع معنى الظلم في كلام العرب في **تفسير الطبري (٥٢٤/١)** عند قوله تعالى (**ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين**) [البقرة ٣٥] **وابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن** (ص٢٥٨) **ومعاني القرآن للزجاج (١٣٥/١)** ونسبه ابن القيم لأهل السنة جميعا في **الفوائد** (ص٢٥) فلا إشكال إذن =

[٦٦] وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، [ولا يقبلها أو ينكر شيئا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم] فاتهمه على الإسلام ، فإنه رجل رديء القول والمذهب ، وإنما طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، [لأنا] إنما عرفنا الله وعرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفنا القرآن وعرفنا الخير والشر والدنيا والآخرة بالآثار (١)

= في تعريف الظلم بهذا فهو يشمله في اللغة ، وإن أراد بعض الأشعرية أن يستغله فيما يخدم زندقته ، فإن ذلك لا ينفعه ، كما فعل المرجئة اليوم مع تعريف الإيمان لغة ، استغلوه للدفع في إدخال الأعمال فيه ، وهو استغلال فاضح لجهلم فقط .

(**قلت**) ولكن أصل الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، هكذا عرفه الأئمة العارفين بلغة العرب كالأصمعي فيما نقله عنه أبو عبيد القاسم في كتابه الأمثال (ص٢٥٩) والأصمعي الذي قال عنه الشافعي : (ما عبر أحد عن العرب بأحسن مما عبر عنه الأصمعي) ولهذا تبعه على ذلك أهل اللغة كالحسن بن مسعود والفراء وأبو عبيد وغيرهم ، والظلم المنفي عن الله هو أن يحمل الله على العبد سيئات غيره عليه .

(١) وهذا هو معنى عقيدة أهل السنة والجماعة ، لا يأخذون النصوص بمجرد أفهامهم لظاهر النصوص دون الرجوع لفهم السلف وهو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث وعن الصحابة والتابعين من آثار تؤكد الفهم الصحيح حتى لا نزيغ في المعنى المراد ، فهذه هي السلفية التي يدعيها من يزعمون العلم من المتأخرين والمعاصرين اليوم ثم تراهم إلى أهل الرأي أنسب ، بحيث يطعنون في الآثار ولا يقبلون إلا ما يفسر النصوص بفهمهم فقط !! وهذه في حقيقتها تهمة على الإسلام كما قال البربهاري رحمه الله ، لأن من يفعل هذا يريد دينا على حسب فهمه هو ، لا الذي تعبد السلف به الله عزوجل ، ولهذا تواتر عن السلف ذم واتهام من رد الأحاديث والآثار وطعن عليها ، ولم يقبلها ولم يحتج بها ، وهذا شأن كل الفرق والمبتدعة ، وأكثر الناس طعنا في الآثار وتهمة في دينهم أهل الرأي من الأحناف وغيرهم ، فإنهم لما تركوا الآثار وفسروا الدين على فهمهم ضلوا ، وكلما وجدوا أثرا أو حديثا يخالف أهواءهم وآراءهم طعنوا عليه ، إما في المتن أو في السند ، ومما كثر في هذا العصر الطعن في آثار الصحابة والتابعين الموقوفة التي لها حكم الرفع ، بشكل رهيب ، فمرة يقولون إسرائيليات ، و تارة بحجة أنها رأي ، وتارة بحجة أنها تخالف القرآن !! والجميع ترك وصية الصحابة حين قالوا : (**لن تضوا ما اتبعتم الأثر**) وكان بن سيرين يقول : **كانوا يرون أنه على الطريق ما كان على الأثر** . [رواه اللالكائي (١٤٠)] ولهذا ترى كل فرقة تطعن فيما يخالف مذهبها من الأحاديث والآثار : فتجد مثلا الخوارج تعطن على أحاديث السمع والطاعة ، والجهمية والأشعرية ترد وتطعن في كل حديث أو أثر يخالف عقيدة التعطيل عندهم ، وليس هذا بعجب ! بل العجب ممن يدعون مذهب السلف من المتأخرين والمعاصرين كالألباني ومن تبعه من المرجئة ، تجدهم يردون بعض أحاديث الصفات كحديث خلق آدم على صورة الرحمن ، وحديث رأيت ربي في أحسن صورة ، وأثر مجاهد في الإجلاس ويطعنون في آثار التفسير بكثرة ، كآثار قصة هاروت وماروت ، وآثار قصة الغرانيق ، وآثار تسمية آدم ابنه عبد الحارث ، وآثار خطيئة داود عليه السلام ، وآثار سماع الموتى ، وغيرها كثير جمعتها في كتابي (**الإحتجاج بالإثر**) إرغاما لأعداء الحديث والأثر ، ولهذا اتفق السلف على اتهام أبي حنيفة في دينه لما طعن في الحديث والأثر : **روى الخطيب في تاريخه** (**١٥**/٥٤٤) عن مالك بن أنس قال : كانت فتنة أبي حنيفة أضر على هذه الأمة من فتنة إبليس في

الوجهين جميعا : في الأرجاء وما وضع من **نقض السنن** .

وقال الأوزاعي والثوري وابن عون ومالك : عمد أَبُو حنيفة إلى عرى الإسلام ، فنقضها عروة عروة .

وروى عبد الله في السنة (٣٩٢) عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَحَدَّثَهُ فِيهَا ، بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ : قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بِخِلَافِ هَذَا ، فَغَضِبَ ابْنُ الْمُبَارَكِ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ: « أَرْوِي لَكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَأْتِينِي بِرَأْيِ **رَجُلٍ يَرُدُّ الْحَدِيثَ** لَا حَدَّثْتُكُمُ الْيَوْمَ بِحَدِيثٍ ، وَقَامَ »

وقد صرح مالك بأن من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يستتاب ، فكيف بمن ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله أو لرأيه ؟!. قال جعفر الفريابي : حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي حدثني الهيثم بن جميل قال: قلت لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله إن عندنا قوماً وضعوا كتباً يقول أحدهم ، حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب بكذا وكذا وفلان عن إبراهيم بكذا ، ويأخذ بقول إبراهيم قال مالك : وصحّ عندهم قول عمر ؟ قلت : إنما هي رواية كما صح عندهم قول إبراهيم ، **فقال مالك هؤلاء يستتابون**) . [إعلام الموقعين (٢/ ٢٠١)]

ويشبه قول الإمام أحمد رحمه الله : عجبت لقوم عرفوا الأستاذ وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النور: ٦٣].

وروى الخلال في السنة (٥/ ١٠٤) : عن أحمد بن حنبل حدثهم : سمع أبا نعيم الفضل بن دكين قال له رجل : يا أبا نعيم هذا بشر المريسي فقال : لعن الله أهل الزيغ والضلالة ، من بشر المريسي ؟ إنما يتكلم في هذا التافه من الناس ، لا يعرف ، نسأل الله لنا ولكم اليسر والعافية ، عليكم بالآثار والعلم ما كان عليه من مضى من السلف .

وفي مجلس بن فاخر كما في مجموع الأجزاء الحديثية (٦١٨) عَنْ أَبِي بكر المرادي عَنْ أَحْمَد بْن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ما الناس إلا أصحاب الْحَدِيث ، فإذا رأيت الرجل قد كتب الْحَدِيث ثُمَّ تركه فاتهمه) اهـ

وفي تاريخ بغداد (٦١١/٨) قال أحمد عن الجهمية : .. إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وأقبلوا عَلَى هذه الكتب) اهـ

وقال في أصول السنة وهو يحذر الخصومة : (ولا يكون صَاحبه وَإِن أصَاب بِكَلَامِهِ السّنة من أهل السّنة حَتَّى يدع الْجِدَال ويؤمن بالآثار) اهـ

قال الدارمي في النقض (ص٦٦٨) وَالِاقْتِدَاءُ بِالْآثَارِ تَقْلِيدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ فِي دَعْوَى الْمَرِيسِيِّ أَنْ يَقْتَدِيَ الرَّجُلُ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، فَمَا مَوْضِعُ الِاتِّبَاعِ الَّذِي قَالَه اللَّهُ تَعَالَى {**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**} ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِآثَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَا يَسَعَ الرَّجُلُ اسْتِعْمَالَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا اسْتَنْبَطَهُ بِعَقْلِهِ فِي خِلَافِ الْأَثَرِ ؟ إِذَا بَطَلَتِ الْآثَارُ وَذَهَبَتِ الْأَخْبَارُ ، وَحُرِّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَلَزِمَ النَّاسُ الْمَعْقُولَ، مِنْ كُفْرِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ مِنْ تفاسيرهم ، فقد عرضنَا كَلَامهم عل الْكتاب وَالسّنة فأخطأوا فِي أَكْثَرِهَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَلَمْ يُصِيبُوا السّنة) .

قال أبو القاسم التيمي في الحجة (٤٦٠/٢) : قَالَ أهل السّنة من السّلف : إِذا طعن الرجل عَلَى الْآثَار يَنْبَغِي أَن يتهم عَلَى الْإِسْلَام ، وَأهل السّنة يتركون الْبَحْث عَمَّا لم تحط عُقُولهمْ بِهِ من المشكلات الَّتِي لم يتَكَلَّم فِيهَا المتقدمون ، وَالْأَئِمَّة الماضون ، وَلم يخوضوا فِيهِ ، وهم أعلم بالتنزيل والتأويل ، وَمِنْهُم أَخذ الْعلم وبهم يَقْتَدِي) اهـ .

أما الرد المباشر للحديث الصحيح بعلم ، فلا شك أنها زندقة وعدم تصديق ، قال عز وجل : (**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى**

فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن (١) .

[٦٧] والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه [عند] جميع الفرق ، لأن القدر سر الله (٢)

= **يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**) [النساء/٦٥]

قال الإمام إسحاق بن راهويه رحمه الله : من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يُقرُّ بصحته ثم رده بغير تقية فهو كافر".[أنظر مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة (ص١٤)]

يقول الإمام أحمد : " **من رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة** " [طبقات الحنابلة (٢/ ١٥)]

وقال الإمام أحمد أيضًا : كل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إسناد جيد أقررنا به ، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه ، رددنا على الله أمره ، قال الله –تعالى-: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}[الروح (ص١٠٤)]

وعن إبراهيم بن شاقلا أنه قال : من خالف الأخبار التي نقلها العدل عن العدل موصولة ، بلا قطع في سندها ولا جرح في ناقليها ، وتجرأ على ردها ، فقد تهجم على رد الإسلام ، لأن الإسلام وأحكامه منقولة إلينا بمثل ما ذكرت ". [طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٨ - ١٣٨)] راجع للمزيد كتابي في القناة باسم : [**الإحتجاج بالأثر وحجية فهم السلف**]

(١) أصل هذا الكلام في كتاب الله عند قوله تعالى (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**) وتفسيره ما رواه الدرامي (٦٠٨) عَنْ حَسَّانَ بن عطية قَالَ : « **كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ** » وبهذا المعنى روي عن جمع من السلف منهم : مكحول كما عند : [الخطيب في الكفاية (ص١٣) والجامع لابن عبد البر (١٩٥/٢) والحازمي في الناسخ والمنسوخ (ص٢٥)] **ويحي بن أبي كثير** [رواه الدارمي في سننه (١٧/١) وبوب قبله بقوله (بَابٌ السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى) والإبانة (١/ ٢٠٤/١/ ٨٩) والهروي في ذم الكلام (٥٧/٢) وابن عبد البر في الجامع (١٩٢/٢) **والأوزاعي** في ذم الكلام (٢٠٩)]

وروى الهروي في ذم الكلام (٢١٣) وابن عبد البر في الجامع (ص٩١) عن الْفَضْلُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَسُئِلَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي رُوِيَ أَنَّ السُّنَّةَ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ فَقَالَ مَا أَجْسُرُ عَلَى هَذَا وَلَكِنَّ السُّنَّةَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ.

(٢) روي في هذا المعنى أحاديث وآثار ، منها ما روي مرفوعا من حديث أبي الدرداء عند الآجري في الشريعة (ص٢٣٦) وابن بطة في الإبانة (١٩٩٣) ولكنه موضوع في سنده كذاب ، ورد بنحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً ، أخرجه ابن عدي في الكامل (٧ ١٨٦) في ترجمة يحي بن أبي أنيسة ، وهو ضعيف ، وأخرجه بنحوه عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً الخطيب البغدادي في تاريخه (٢ ٣٨٦) في ترجمة محمد بن عبد بن عامر السمرقندي وقال عنه : يحدث المناكير على الثقات ، يتهم بالكذب وأخرجه بنحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً اللالكائي (١١٢٢) وفيه الهيثم بن جماز الحنفي البصري ، متروك الحديث، ترجمه ابن حجر في اللسان (٦ ٢٠٤) وذكر الحديث من روايته . **ورُوي من قول علي رضي الله عنه** فقد روي أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه -: يا أبا الحسن ما تقول في القدر ؟ فقال : طريق مظلم لا تسلكه ، فقال له : ما تقول

ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر (١) ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخصومة في القدر(٢) [وكرهه أصحاب رسول الله صلى لله عليه وسلم والتابعون] وكرهه العلماء وأهل الورع .

= في القدر ؟ قال : بحر عميق فلا تلجه قال : ما تقول في القدر ؟ قال : سر الله فلا تكلفه". [أخرجه اللالكائي (٤/٦٢٩) والآجري في الشريعة (ص٢٠٢) والإبانة (٢/ ٩/ ١٤٠ - ١٤١/ ١٥٨٣)]

وروى الطبراني في الكبير (١٠٦٠٦) وابن بطة في الكبرى (١٩٩٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما ذكر في أثر طويل جاء فيه : فجَمَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبِعَتَهُ فَقَالَ : **الْقَدَرُ سِرُّ اللهِ ، فَلَا تَكَلَّفُوهُ** "

عن يحيى بن معاذ الرازي قال : من أحب أن يفرح بالله ويتمتع بعبادة الله فلا يسألن عن سر الله يعني القدر.[ذكره ابن بطة في الإبانة (١٢٨٢).]

قال الآجري في الشريعة (ص١٤٩) : لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر ، **لأن القدر سر من سر الله عز وجل** بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر : واجب على العباد أن يؤمنوا به ، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق " .

وقال أبو المظفر السمعاني : (سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل ، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب ، **لأن القدر سر من أسرار اللّٰه تعالى** اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة ، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب) اهـ [الحجة للتيمي (٢/٣٠)]

(١) ما قاله المؤلف وإن كان معناه صحيح لا غبار عليه ، لكن لعله يشير إلى أثر ابن عباس الذي أشرت إليه آنفا والذي جاء فيه أن موسى وعزير وعيسى عليهم السلام سألوا الله تعالى عن القدر في قصة طويلة ، فنهاهم الله عزوجل عن السؤال فيما يخص القدر . لكنه لا يصح في سنده كذاب كما نبهت عليه ، ويمكن أخذ نهي الله تعالى من قوله {**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**} [القمر: ٤٩] فإنها نزلت في من أنكر القدر من كفار قريش .

(٢) أما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر فكثير منه : حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ **وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْقَدَرِ** ، قَالَ : وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ : فَمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ أَشْهَدْهُ بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ " [رواه أحمد (٦٦٦٨) وابن ماجه (٨٥) ومثله يروى عن أبي هريرة عند الترمذي (٢١٣٣) وله طرق يشد بعضها قال الترمذي : وفي الباب عن عمر ، وعائشة ، وأنس وبوب له بقوله (بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّشْدِيدِ فِي الخَوْضِ فِي القَدَرِ)] .

ونهوا عن الجدال في القدر(١) **فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان ، واعتقاد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة الأشياء وتسكت عما سوى ذلك.**

---

(١) الجدل والمراء والخصومات في القدر هو بداية الزندقة والإلحاد والشرك ، ولهذا اشتد النهي فيه جدا وروي في هذا المعنى عدة أخبار منها : **ما روي بسند ضعيف عن أبي هريرة** عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ ، إِلَّا كَانَ أَصْلُهَا التَّكْذِيبُ بالقدر ."[رواه الفريابي (٤٣٠) والآجري في الشريعة (صـ ١٨٠) وابن بطة في الإبانة (١٥٤٣)]

وروى الطبراني (٥٩٤٤) بسند ضعيف عن سهل بن سعدٍ مرفوعا قال: ما كان زندقة إلاَّ بين يديها التكذيب بالقدر .

وقد روي في هذا المعنى عدة أحاديث مرفوعة وفي أسانيده ضعف لكن معانيها صحيحة ، جاءت بها الآثار عن الصحابة والتابعين من ذلك : ما روى الفريابي في كتاب القدر (٢٤٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٤٤) والآجري في الشريعة (٤٢٦) **عن بن مسعود قال** : « مَا كَانَ كُفْرٌ بَعْدَ نُبُوَّةٍ إِلَّا كَانَ مِفْتَاحُهُ التَّكْذِيب بِالْقَدَرِ »

وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٩٣٠) والفريابي في القدر (٢٤٤) وابن بطة في: الإبانة (١٦٤٥) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ قَالَ : بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَقُولُ: « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُكْفَأُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِقَوْلِ النَّاسِ فِي الْقَدَرِ »

وروى الآجري في الشريعة (٤٠٦) واللالكائي في السنة (٤/٦٩٦) والإبانة (١٦٢٣) عنِ ابْنِ **عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ** : (بَابُ شِرْكٍ فُتِحَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ : التَّكْذِيبُ بِالْقَدَرِ ، فَلَا تُجَادِلُوهُمْ ، فَيَجْرِي شِرْكُهُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ)

وروى اللالكائي في أصول الاعتقاد (٤١١٢٧) عن أبي رجاء قال : سمعت ابن عباس وهو يخطب على المنبر بالبصرة يقول : لا يزال أمر هذه الأمة مقاربا أو قواما ما لم ينظروا في الولدان والقدر .

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦٢٧) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ شِرْكٌ فُتِحَ عَلَى أَهْلِ ضَلَالَةٍ فَلَا تُجَادِلُوهُمْ فَيَجْرِيَ شِرْكُهُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ »

روى الفريابي في القدر (٢٣٨) وابن بطة في الكبرى (١٨١٢) عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قال : الكلام في القدر أبو جاد الزندقة . ورواه الروياني في مسنده (٧٣٨) أيضا عن مسعر بن كدام قال : التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة .

روى ابن بطة في الإبانة الإبانة (١٩٤٨) عن داود بن أبي هند قال : اشتق قول القدرية من الزندقة وهم أسرع الناس ردة.

وروى اللالكائي أصول الاعتقاد (٤/ ١٣١٤/٧٨٤) عن الزهري قال : القدر رياض الزندقة فمن دخل فيه هملج .

وقال بن بطة في الإبانة الصغرى (ص١٣٣) : جاءت الأخبار أن القدر أبو جاد الزندقة .

(قلت) وتعلق القدر بالشرك والزندقة فسره ابن عباس رضي الله عنه فقال : الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ كَانَ تَكْذِيبُهُ لِلْقَدَرِ نَقْضًا لِلتَّوْحِيدِ ، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَآمَنَ بِالْقَدَرِ ، كَانَتِ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى) [الشريعة (٤٠٦)]

وروى ابن بطة الإبانة (٢/ ٢٢١/١٠/ ١٨٠٠) عن الزهري قال : القدر نظام التوحيد ، فمن وحد ولم يؤمن بالقدر، كان كفره بالقدر نقضا للتوحيد ، ومن وحد وآمن بالقدر ، كانت عروة لا انفصام لها .

ولهذا السبب نهى السلف وأهل الورع عن الكلام في القدر ورويت فيه عدة آثار جليلة أختار منها :

روى معمر في جامعه (٢٠٠٧٥) عَنِ طَاوُسٍ قَالَ: « اجْتَنِبُوا الْكَلَامَ فِي الْقَدَرِ ، فَإِنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ يَقُولُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ »

[٦٨] والإيمان بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسري به إلى السماء وصار إلى العرش وكلمه الله تبارك وتعالى ، [وسمع كلام الله] ودخل الجنة واطلع إلى النار ورأى الملائكة ونشرت له الأنبياء ، ورأى سرادقات العرش والكرسي وجميع ما في السماوات وما في الأرضين في اليقظة ، حمله جبريل على البراق حتى أداره في السماوات وفرضت عليه الصلاة في تلك الليلة ورجع إلى مكة في تلك الليلة وذلك قبل الهجرة (١).

= وروى **أحمد في فضائل الصحابة** (١٩) عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : ثَلَاثٌ ارْفُضُوهُنَّ : سَبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالنَّظَرُ فِي النُّجُومِ، **وَالنَّظَرُ فِي الْقَدَرِ**. [والآثار في هذا المعنى كثيرة جدا ، وسيأتي المزيد منها خلال الكتاب ، ومن أراد التوسع فعليه بكتاب القدر للفريابي والقدر لابن وهب ففيهما مئات الأخبار في النهي عن هذا الأمر الخطير]

(١) وهذا يسمى حديث الإسراء والمعراج المشهور وهي عقيدة أهل السنة والجماعة باتفاق ، خلافا للزنادقة من المعتزلة والجهمية وغيرهم من العقلانيين المعاصرين ، ممن أنكروا الحادثة ورأوا أنها ضعيفة أو مدسوسة في كتب الحديث والسنة !! وبعض المعتزلة والجهمية يثبتون الإسراء وينكرون المعراج !! وهذا غباء زيادة على كفرهم ، أما أهل السنة والجماعة يؤمنون بها ويصدقون بالأحاديث ويسلمون بكل ما ورد في أحاديث الإسراء والمعراج من صفات وأخبار ، وهي متواترة ، وأنها يقظة ورؤيا عين لا مناما كما يزعم من غلط ، ولهذا قال المؤلف (**في اليقظة**) ردا على قال أنه منام .

روى أبو يعلى في إبطال التأويلات (٨٧) وَقَالَ يعقوب بن بختان : سألت أَبَا عبد الله عن المعراج فقال : رؤيا الأنبياء وحي فقد أثبت ليلة الإسراء وأنكر قول من قَالَ إنها منام ، وقوله : رؤيا الأنبياء وحي معناه : أنها لو كانت مناما لكانت وحيا لأنهم أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام والدلالة عَلَى صحته وإثباتها وجوه أحدها : قوله تَعَالَى: {**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى**} اهـ

وقد بوب الأصبهاني في الحجة (٥٢٦/١) فيمن أنكر المعراج ورد على شبهات الزنادقة .

وقال عبد الغني المقدسي في عقيدته (١٣٥) : بعد نقله الإجماع على حقيقة الإسراء والمعراج بالروح والجسد ثم قال : ومن قال إنه منام ولم يسر بجسده فقد كفر .

ومن حيل بعض الأشعرية في رد حديث المعراج بالتأويل ما قاله السجزي في رسالته لأهل زبيد (ص٢٠٥) : وأنكرت المعتزلة وقال الأشعري : إنه ثابت ، ثم قال : الله لا يجوز أن يوصف أنه فوق !! فكذَّبَ بما في حديث المعراج ، فصار موافقاً لهم مع إظهاره الخلاف) اهـ .

[٦٩] واعلم أن أرواح الشهداء [في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل تحت العرش] تسرح في الجنة (١) وأرواح المؤمنين تحت العرش (٢) وأرواح الكفار والفجار في برهوت ، [وهي في سجين] (٣)

---

(١) **لما روى مسلم (١٢١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ مَسْرُوقٍ** قَالَ : سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : {**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**} [آل عمران: ١٦٩] إِلَى {**يُرْزَقُونَ**} [آل عمران : ١٦٩] قَالَ : أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ كَطَيْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ قَالَ : فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدُكُمُوهُ ؟ فَقَالُوا : رَبَّنَا أَلَسْنَا نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ فِي أَيِّهَا شِئْنَا ثُمَّ اطَّلَعَ عَلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ مِنْ شَيْءٍ فَأَزِيدُكُمُوهُ ؟ قَالُوا : تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا فَنُقَاتِلُ فِي سَبِيلِكَ ، فَنُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى قَالَ : فَسَكَتَ عَنْهُمْ) وروي هذا المعنى مرفوعا وموقوفا في كثير من الأحاديث والآثار كأنس وأبي سعيد وبن عباس وأبي الدرداء وغيرهم .

(٢) **روي في هذا المعنى أخبار منها** : ما روى أحمد (١٥٧٧٦) وعبد الرزاق في تفسيره (١/١٣٩-١٤٠) ومن طريقه أخرجه عبد ابن حميد في المنتخب (٣٧٦) والطبراني في الكبير (١٩/ (١١٩) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَتْ أُمُّ مُبَشِّرٍ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ شَاكٍ : اقْرَأْ عَلَى ابْنِي السَّلَامَ، تَعْنِي مُبَشِّرًا ، فَقَالَ : يَغْفِرُ اللهُ لَكِ يَا أُمَّ مُبَشِّرٍ ، أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " قَالَتْ : صَدَقْتَ ، فَأَسْتَغْفِرُ اللهَ .

وأصرح منه : ما روى ابن المبارك في الزهد (٢/٤٢) : عن مَنْصُورَ بْنَ أَبِي مَنْصُورٍ حَدَّثَهُ قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَرْوَاحِ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْنَ هِيَ حِينَ يَمُوتُونَ ؟ قَالَ : « مَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي قَالَ : فَإِنَّهَا فِي صُوَرِ طَيْرٍ بِيضٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ ، وَأَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ ..) .

(**قلت**) وهذا ما يؤمن به أهل السنة والجماعة ، في أن الأرواح لا تموت بل تحيا بعد مفارقتها الجسد إما روح مؤمن في الجنة ، أو روح كافر تعذب في سجين وبقبرها ، وقد جاء **في مسائل عبد الله بن أحمد (٥٤٦)** قَالَ سَأَلت أبي عَن أَرْوَاح الْمَوْتَى : أتكون فِي أقبية قبورها أم فِي حواصل طير أم تَمُوت كَمَا تَمُوت الأجساد ؟ فَقَالَ قد رُوِيَ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أنه قَالَ نسمَة الْمُؤمن طَائِر يعلق بشجر الْجنَّة حَتَّى يرجعه الله إِلَى جسده يَوْم يَبْعَثهُ ، وَقد رُوِيَ عَن عبد الله بن عمر وَقَالَ إِن أَرْوَاح الْمُؤمنِينَ فِي أجواف طير خضر كالزائر يتعارفون فِيهَا وَيُرْزَقُونَ من ثَمَرهَا وَقَالَ بعض النَّاس أرواح الشُّهَدَاء فِي أجواف طير خضر تأوي إلى قناديل فِي الْجنَّة معلقة بالعرش). **وقال أحمد أيضا** : أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ وَأَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْأَبْدَانُ فِي الدُّنْيَا ، يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ بِعَفْوِهِ مَنْ يَشَاءُ. [الفتاوى (٤/٢٢٤)]

(٣) **هذه مسألة مستقر أرواح الكفار أين هي : وللسلف في هذا الباب أقوال** :

الأول : منها مذكره المؤلف في قوله (أرواح الكفار في برهوت وهو السجين) فقد رويت في ذلك آثار عن الصحابة من ذلك :

وروى في الزهد (٤٢٩) والزهد لأبي داود (٢٨٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ : الْتَقَيَا سَلْمَانُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنْ مِتَّ قَبْلِي فَالْقَنِي وَأَخْبَرَنِي مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ ، وَإِنْ أَنَا مِتُّ قَبْلَكَ لَقِيتُكَ فَأَخْبَرْتُكَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : يَا

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، كَيْفَ هَذَا ؟ أَوَ يَكُونُ هَذَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَرْزَخٍ مِنَ الْأَرْضِ تَذْهَبُ حَيْثُ شَاءَتْ ، وَنَفْسَ الْكَافِرِ فِي سِجِّينٍ »

روى ابن حبان في صحيحه (٢٨٤/٧) وابن عساكر في تاريخه (٣٤٤/٢) بسند ضعيف عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ تُجْمَعُ بِالْجَابِيَتَيْنِ وَأَرْوَاحُ الْكُفَّارِ تُجْمَعُ **بِبُرْهُوتَ** سَبِخَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ .

(قلت) وروي عن عبد الله ابن عمرو خلاف هذا وأنه قال أرواح الكفار في الأرض السابعة كما رواه ابن المبارك في الزهد (٤٢/٢) وهو أصح عنه .

وروى عبد الرزاق في المصنف (٩١١٨) وابن ابي حاتم في تفسيره (١٨٥٧٤) والأزرقي في أخبار مكة (٥٠/٢) بسند صحيح عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَيْرُ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ وَادِي مَكَّةَ وَوَادِي إِرَمَ بِأَرْضِ الْهِنْدِ ، وَشَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ وَادِي الأحقاف ، وواد بحضرموت يدعى برهوت ، يلقي في أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ ، وَخَيْرُ بِئْرٍ فِي النَّاسِ زَمْزَمُ ، وَشَرُّ بِئْرٍ فِي النَّاسِ **بَرْهُوتُ** ، وَهِيَ فِي ذَاكَ الْوَادِي الَّذِي بِحَضَرَمَوْتَ . [وذكره ابن قتيبة في غريبه (١١٣/٢) مختصرا وجزم بنسبته إليه]

(قلت) وهذا حجة في الباب وله حكم الرفع .

قال ابن رجب في أهوال القبور (ص١١٩) روى ابن منده قال : حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف عن ابن مهران عن ابن عباس عن علي قال: أبغض بقعة في الأرض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار وفيه بئر ماؤه في النار أسود كأنه قيح تأوي إليه الهوام.

وبإسناده عن سفيان عن أبان بن تغلب قال قال رجل: بت فيه يعني وادي برهوت كأنما حشدت فيه أرواح الكفار وهم يقولون: يا دومة فحدثنا رجل من أهل الكتاب: هو الملك الذي على أرواح الكفار) قال سفيان:وسألنا الحضرميين فقالوا لا يستطيع أن يبيت فيه أحد بالليل) اهـ .

وقال ابن قتيبة في كتابه غريب الحديث (١١٣/٢) : ذكر الأصمعي عن رجل من أهل برهوت – يعني البلد الذي فيه هذا البئر – قال : تجد الرائحة المنتنة الفظيعة جدا ، ثم نمكث فيأتينا الخبر بأن عظيما من عظماء الكفار قد مات فنرى أن تلك الرائحة منه ، قال ابن عيينة : أخبرني رجل أنه أمسى ببرهوت فكأن فيه أصوات الحاج قال وسألت أهل حضرموت فقالوا : لا يستطيع أحدنا أن يمسي فيه.

وروى البغوي في تفسيره (١٧/٥) وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : فيما لَا تَعْلَمُونَ يَعْنِي فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ سُودٍ تَكُونُ بِبَرَهُوتَ كَأَنَّهَا الْخَطَاطِيفُ وبَرَهُوتُ وَادٍ بِالْيَمَنِ .

قال هشام بن محمد الكلبي في كتاب الأصنام (ص٥٠ - ٥١) : وَيُقَال أمرع من نوذ وأجدب من بَرَهُوتَ وَبَرَهُوتُ وادٍ بِحَضْرَمَوْتَ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا تِنْعَةُ ، حَدَّثَنَا الْعَنَزِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بن الصَّباح قَالَ قَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ فَأَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَابِيَةِ بِالشَّامِ وَأَرْوَاحُ الْمُشْرِكِينَ بِبَرَهُوتَ .

(قلت) وهشام متهم ورواية أبي صالح عن ابن عباس فيها كلام لكن يستأنس بهذه الحكاية .

ونقل ابن القيم في الروح (ص٩١) : وَقَالَ أَبُو عبد الله بن مَنْدَه : وَقَالَ طَائِفَة من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ أَرْوَاح الْمُؤمنِينَ عِنْد الله عز وَجل ، وَلم يزِيدُوا على ذَلِك ، قَالَ : روى عَن جمَاعَة من الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ أَرْوَاح الْمُؤمنِينَ بالجابية ، وأرواح الْكفَّار ببرهوت بِئْر بحضرموت) اهـ .

وقال مقاتل في تفسيره (٥٦١/٤) : وتخرج أرواح الكفار من الأرض السفلى سود إلى واد بحضرموت يقال له برهوت) .

القول الثاني : وهو الذي عليه ظواهر النصوص الكثيرة أن مستقر أرواح الكفار بعد الموت في النار ،كما قال أحمد : أَرْوَاحُ الكُفَّارِ فِي النَّارِ ، وَأَرْوَاحُ المؤْمِنِينَ فِي الجَنَّةِ ، وَالْأَبْدَانُ فِي الدُّنْيَا ، يُعَذِبُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَرْحَمُ بِعَفْوِهِ مَنْ يَشَاءُ. [الجامع لعلوم أحمد (٢٤١/٤) ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٤)]

القول الثالث : أن مستقرها في الأرض السابعة وهي سجين وفيها عدة روايات محكية عن السلف : وقد حكى الطبري في تفسيره عند قوله تعالى (كتاب الفجار لفي سجين) أنه قول : رُوي عن عبد الله بن عمرو وابن عباس والبراء ، وسمي بن مغيث وكعب وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد واختاره الطبري واحتجوا بحديث مرفوع في ذلك رواه البراء .

إشكال : هل يمكن الجمع بين كل هذه الأقوال ؟

الجواب : ما قال ابن رجب كما في تفسيره (١٥٩/١) : ورجَّحت طائفةٌ من العلماء أن أرواحَ الكفارِ في بئر برهوت ، منهم القاضي أبو يعْلَى من أصحابِنا في كتابِه : "المعتمد" وهو مخالفٌ لنص أحمدَ : أنَّ أرواح الكفارِ في النارِ ، ولعلَّ لبئر برهوت اتصالاً في جهنَّم في قعرِها ، كما رُوي في البحرِ أنَّ تحته جهنَّم ، واللَّه أعلمُ) اهـ .

[٧٠] والإيمان بأن الميت يقعد (١) في قبره ، وترسل فيه الروح (٢) حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه ، ثم يسل روحه بلا ألم (٣) .

---

(١) سبق الكلام مسألة الإيمان عذاب القبر كما في **الفقرة (١٦)** وقد ثبت في الأخبار أن الملكان يقعدانه قبل السؤال كما ثبت مثلا في حديث البراء بن عازب عن الرسول صلى الله عليه وسلم : فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ، **ويجلسانه** ، فيقولان له : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ وفي أحاديث أخرى : (**مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ** ..) راجع السنة لعبد الله (١٤٦١) .

(٢) ويدل على عليه حديث البراء بن عازب الطويل المشهور في عذاب القبر وجاء فيه : قَالَ : " **فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ** ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ ..) [رواه أحمد (١٨٥٣٤) وابن أبي شيبة (٣/٣١٠) و(٣٧٤ و٣٨٠-٣٨٢، و١٠/١٩٤) وهناد في الزهد (٣٣٩) والمروزي في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية (ص٢٩) وأبو داود (٤٧٥٣) والطبري في التفسير (٢٠٧٦٤) وفي تهذيب الآثار (٧٢١) وابن خزيمة في التوحيد (ص١١٩) وأبو عوانة كما في إتحاف المهرة (٢/٤٥٩) والآجري في الشريعة (ص٣٦٧-٣٧٠ و٣٧٠) وابن منده في الإيمان (١٠٦٤) والحاكم في المستدرك (١/٣٧-٣٨) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢١٤٠) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢١) (٤٤) وفي شعب الإيمان (٣٩٥) من طريق أبي معاوية بهذا الإسناد. **قال البيهقي في الشعب**: هذا حديث صحيح الإسناد ، **وقال ابن منده** : هذا إسناد متصل مشهور ، رواه جماعة عن البراء ، ... وهو ثابت على رسم الجماعة . **وأورده المنذري** في الترغيب والترهيب (٥٢٢١) وقال : حديث حسن ، رواتُه محتج بهم في الصحيح.]

قال ذاك الجهمي ابن حزم في المحلّى (١/٢٢) : لم يروِ أحد أن في عذاب القبر ردَ الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو ، وليس بالقوي) فتعقبه **ابن القيم في الروح (ص٧٦)** بقوله : هذا من مجازفته ، وقال : الحديثُ صحيحٌ لا شكَّ فيه .

وقد روي حديثا يشير إلى رد الروح : وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذَكَر فتَّاني القبر ، فقال عمرُ بن الخطاب: أتُردَّ إلينا **عقولُنا يارسولَ الله** ؟ قال : « نعم ، كهيئتِكُمُ اليومَ » قال عمرُ: بِفِيْهِ الحَجَرُ. [أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٨٤ رقم ٣١١٥ - الإحسان) والآجرى في «الشريعة» (٣/ ١٢٩٢ رقم ٨٦٢) والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٤٤ رقم ١٠٦) وابن عدي (٢/ ٤٥٠)وأحمد (٢/ ١٧٢ رقم ٦٦٠٣) وجوَّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (رقم ٥٢١٧) ولكن ابن عدي، أورد هذا الحديث في ترجمة حُييّ بن عبد الله، مع جملة أحاديث أخر، ثم قال: عامَّتها لا يُتابَع عليها]

<u>تنبيه</u> : **<u>وقد أخطأ الطبري</u>** خطأ فاحشا في هذا الباب لما ذكر في كتابه التبصير (ص٤٥) أن الميت يعذب في قبره من غير أن ترد فيه الروح ويحس بالألم وإن كان غير حي **!!** وقد بين خطأه ابن البناء في الرد على المبتدعة (ص١٨٤) ونبه على أن الميت ترد إليه الروح في قبره والطبري محجوج بالإجماع أن الروح والبدن ينعمان أو يعذبان في القبر كما ذكره ابن تيمية في الفتاوى (٤/٢٨٢) وذكر أن الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان قالت أن العذاب والنعيم لا يكون إلا على الروح فقط ، وأن البدن لا يعذب ولا ينعم ، وهو قول باطل . [وراجع الروح (١/١٤٦)]

(٣) وقوله (**وتسل روحه بلا ألم**) أي المؤمن ، وأخذ هذه من حديث البراء المشهور : ثم يجيء ملك الموت عليه السلام ، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: **فتخرج تسيل كما تسيل القطرة** من فيِّ السقاء ، فيأخذها . [رواه أبو داود (٤٧٥٣) وأحمد (١٨٥٥٧) والحاكم (١/٩٣) وغيرهم وهو حديث صحيح أصل من أصول أهل السنة والجماعة]

[٧١] ويعرف الميت الزائر إذا زاره (١) **ويتنعم في القبر المؤمن ويعذب الفاجر كيف شاء الله.**

[٧٢] واعلم أن [الشر والخير] بقضاء الله وقدره (٢) .

---

(١) وهذا ورد في عدة أحاديث وآثار صحيحة كثيرة عن السلف ، وعلى هذا المعتقد المتقدمون بخلاف المتأخرين وأهل الرأي الذين أنكروا ذلك ، وأنكروا سماع الأموات جملة ، ومن الآثار في معرفة الزائر من أتاه ، نذكر منها :

ما رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ الْقُبُورِ والبيهقي في الشعب (٨٨٥٧) من طريق عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ ، وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ .

وَرَوَى عبد الرزاق في المصنف (٦٧٢٣) والبيهقي في الشعب (٨٨٦٨) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ الْمَوْتَى يَعْلَمُونَ بِزُوَّارِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمًا قَبْلَهُ وَيَوْمًا بَعْدَهُ.

وروى البيهقي (٨٨٦٣) عن سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ قَالَ بَلَغَنِي عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ زَارَ قَبْرًا يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَلِمَ الْمَيِّتُ بِزِيَارَتِهِ قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لِمَكَانِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ " وروىَ عَنِ الضحاك قَالَ : مَنْ زَارَ قَبْرًا يَوْمَ السَّبْتِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ عَلِمَ الْمَيِّتُ بِزِيَارَتِهِ قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : لِمَكَانِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

(قلت) وقد لخصت وجمعت الآثار الواردة في هذا الباب في بحث مستقل باسم (**الإحياء بآثار سماع الأموات من الأحياء**) وهو منشور في مدونتي على النت وفي قناتي على التلجرام .

(٢) وهذا مجمع عليه بين السلف يخالف فيه إلا القدرية وأفراخهم من العقلانيين ومن تأثر فيهم ، الذين يعتقدون أن للشر خالقا غير الله ! وهذا مثل اعتقاد المجوسية ، والأصل في هذا الحديث المشهور الذي قال فيه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، وَحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ** »

قال الحسن بن إسماعيل الرَّبعي : قال لي أحمد بن حنبل ، إمام أهل السنة الصابر تحت المحنة : أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين ، وأئمة السلف ، وفقهاء الأمصار على أن السُّنة التي توفي عليها رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– أولها : الرضا بقضاء اللَّه والتسليم لأمره والصبر على حكمه ، والأخذ بما أمر اللَّه به ، والانتهاء عما نهى عنه ، **والإيمان بالقدر خيره وشره** . [طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٩) ومناقب الإمام أحمد (ص ٢٢٨)].

وأغلب الضلالة تأتي من نفي نسبة خلق الشر لله تعالى والتخليط في هذا الباب ، بل حتى المرجئة أوتوا من باب القدر ونسبة الشر والإضلال لله تعالى ، فدائما يحاولون إلصاق هذه الأفعال بالمخلوق ، وأن الله لا دخل له بالشر والإضلال ، وهذا أصل القدر ، ولهذا روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٦٤١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : **مَا تَكَلَّمَ أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ** .

ومن شبهات القدرية في نفي خلق الشر عن الله حديث (**والشر ليس إليك**) وهذا فهم سقيم من جهلهم بلغة العرب ، ومعناه عند أهل الحديث : **قال حرب الكرماني في مسائله (٨٤)** : قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : (**والشر ليس إليك**) معناه عندي إن شاء الله : أنه لا يتقرّب به إليك ، وكذلك بلغني عن النَّضْر بن شُمَيْل) اهـ

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : بلغنا عن إسحاق بن راهويه عن النضر بن شميل أنه قال : في هذا الحديث (والشر ليس إليك) قال : لا يتقرب بالشر إليك . [أنظر : أحمد مسند الإمام أحمد (١٨٥/٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (٦٩٥/٢)] .

وهذا أقدم تفسير للسلف لهذه اللفظة ، والتي تبع النضرَ فيها الأئمةُ بعده أحمد وإسحاق والكرماني وغيرهم ، وهناك أقوال للمتأخرين ذكرها ابن القيم وبن تيمية ، تخالف هذا التفسير ولا توافق التركيب للغوي لهاته اللفظة ، فنحن في غُنْية عن ذكرها ويكفينا كلام أهل الأثر .

ومما يرد على القدرية في نفي نسبة خلق الشر لله تعالى ما **رواه الفريابي في كتاب القدر (٤٠٢)** حَدَّثَنَا سُوَيْدٌ حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ سَهْلٍ الْوَاسِطِيُّ قَالَ : حَجَجْتُ ، فَسَمِعْتُ رَجُلًا يُلَبِّي يَقُولُ فِي تَلْبِيَتِهِ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، **وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ** ، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَكَّةَ ، لَقِيتُ سُفْيَانَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي سَمِعْتُ ، فَمَا زَادَنِي عَلَى أَنْ قَالَ: {**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**} .

ومن خرابيط ذاك الألباني في هذا الباب ما قاله حمود التويجري في كتابه التنبيهات على رسالة الألباني في الصلاة : ... أما الألباني فانه نفى أن يكون الشر من أفعال الله تعالى و هذا هو قول القدرية بعينه .. وقال : ثم إن قول الألباني : و الشر ليس إليك إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إلى الله تعالى بالكلية فلا يقال إنه خالق الشر ولا أنه يفعل الشر بأحد من خلقه ، وهذا هو قول القدرية بعينه ، والذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق الشر كما أنه خالق الخير ، و أنه يفعل بمن شاء خيراً ، و بمن شاء شراً ، فالأمران معاً مضافان إليه خلقاً و إيجاداً كما قال تعالى (**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**) وغيرها من الآيات التي تقدم ذكرها) اهـ .

[٧٣] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور (١) وموسى يسمع من الله الكلام بصوت (٢) وقع في مسامعه منه لا من غيره ، فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيم .

---

(١) وهذا الأمر مما كفرت به الجهمية في أوائل أمرها ، فانزعجت جدا النصوص الواردة في تكليم الله لموسى عليه السلام ، ولم يجدوا لها تحريفا مناسبا فتورطوا معها ، فكان أغلب كلامهم وكتاباتهم إلى يومنا هذا حول تحريف كلام الله تعالى لموسى عليه السلام ، لأن النصوص في هذا هي من أصرحها في إثبات حقيقة صفة الكلام ، فكانت الحرب عليها أولا ، ولهذا تجد أئمة أهل السنة والأثر يجعلون لهذه المسألة حيزا خاصا في كتب العقائد ويخصونها بفقرة مفردة ، **ويذكرونها في أصول السنة** ، فممن بوب لها الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة (**بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى**) وبوب عبد الله بن أحمد في السنة (ص٢٤٤) بابا في صفة الكلام فقال (**سُئِلَ عَمَّا جَحَدَتْهُ الْجَهْمِيَّةُ الضُّلَّالُ مِنْ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّ وَجَلَّ موسى بن عمران**) وخصها **الكرماني في السنة بفقرة (٧٠)** مع أنه تكلم في صفة الكلام وتكفير من قال بخلق القرآن ، وخصها **ابن أبي زمنين** في السنة (ص.٣٠٨) **وابن بطة** بوب لها في الإبانة الكبرى بقوله (**بَابُ التَّصْدِيقِ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّمَ مُوسَى ، وَبَيَانِ كُفْرِ مَنْ جَحَدَهُ وَأَنْكَرَهُ**) وغيرهم كثير جدا من أفردها بباب خاص ، وكان من أوائل من أنكر تكليم الله لموسى عليه السلام الجعد بن درهم ، فذبحه خالد بن عبد الله القسري وضحى به في يوم العيد ، ثم تبعه ذاك الهجم الكافر في إنكار كلام الله لموسى فقتله سلم بن أحوز كما في السير (٦/ ٢٦ – ٢٧). أما النصوص في تكليم الله لموسى عليه السلام فمتواترة جدا ، نقل عبد الله في كتاب السنة الكثير منها فلتراجع هناك بتحقيق آل حمدان .

ويدل على ما سبق ذكره ما **روى الهروي في ذم الكلام (ص٦٠٦)** حيث قال : قال عثمان بن سعيد : أن جهما بنى زندقته على نفي الكلام لله عزوجل .

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: "إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى ، وأن يكون على العرش ، نرى أن يستتابوا ، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم" [خلق أفعال العباد (ص١٧) وعبد الله في السنة (٤٨) وابن بطة في الإبانة (٣٢٧) والحلية (٩/٧-٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٥٤٦، ٦٠٨)]

قال أبو عبد الله الزبيري الشافعي في عقيدته : ومن ادعى أنه مسلم ثم زعم أن الله عزوجل لم يكلم موسى ، فقد كفر ، يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل . [الجامع للعقائد لآل حمدان (ص٨٠٧)]

قال ابن بطة في الإبانة (١/٣٤٨) : اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ جَحَدَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى ، فَقَدْ أَبْطَلَ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ، وَكَذَبَ فِي قَوْلِهِ : إِنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ قَوْلَهُ وَكَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَدَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ .

(٢) وهذه مسألة الحرف والصوت الشهيرة ، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيها سلفا وخلفا أن الله تعالى يتصف بصفة الكلام ، ويتكلم متى شاء وكيف شاء بصوت وحرف ، لا ينكر هذا إلا زنديق كافر من الجهمية والأشعرية .

قال تعالى {**يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**} [القصص: ٣٠] وقد قال {**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا** } [النساء: ١٦٤] وقال: { **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** } [الأعراف: ١٤٣] وقال { **إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي**} [الأعراف: ١٤٤] [راجع النكت للقصاب (٢/٢٨٢)] والآيات كثيرة ويكفي فيه حديث عدي بن حاتم الطائي: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان"** [أخرجه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦).]

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية (ص١٣٦) فأما ما قالوا : إن الله لا يتكلم ، فكيف يصنعون بحديث الأعمش ، عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي.. وذكره ، ثم قال : وأما قولهم : إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات ، أليس الله قال للسموات والأرض : {**ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**} [فصلت: ١١] تراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات ؟ وقال: {**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ**} [الأنبياء: ٧٩] أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين ؟ والجوارح إذ شهدت على الكفار فقالوا {**لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**} [فصلت: ٢١] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان ؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء ، وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان..) اهـ

روى عبد الله في السنة (٥٣٥) وابن منده في التوحيد (١٠٠١) وابن النجاد في الرد على من قال القرآن مخلوق (٤) عن أَبِي مَعْمَرٍ الْهُذَلِيُّ قالُ: « مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَرْضَى – وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ – فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلَى بِئْرٍ وَاقِفًا فَأَلْقُوهُ فِيهَا بِهَذَا أَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، لِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ تَعَالَى »

قال عبد الله في السنة (٥٣٣) وهو في طبقات الحنابلة (١/ ١٨٥) : سَأَلْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَوْمٍ ، يَقُولُونَ : لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى **لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ** فَقَالَ أَبِي : بَلَى إِنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ **تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ** هَذِهِ الْأَحَادِيثُ نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ » وَقَالَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ : « حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ قَالَ أَبِي : وَهَذَا **الْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ** وَقَالَ أَبِي: هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ يُرِيدُونَ أَنْ **يُمَوِّهُوا عَلَى النَّاسِ** ، مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ **لَمْ يَتَكَلَّمْ فَهُوَ كَافِرٌ**، أَلَا إِنَّا نَرْوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ) .

وقال عبد الله بن أحمد (٥٣٣) : قلت لأبي : إن ههنا من يقول : إن الله لا يتكلم بصوت ، فقال : يابني هؤلاء جهمية زنادقة ، إنما يدورون على التعطيل .)

(قلت) ومثله في الحكم من قال : هو عبارة عن كلام ، لا صيغة له ، وهو حكاية ، ونحو هذه من التمويهات ، ولهم عبارات كثيرة في هذا الباب فضحها السجزي في رسالته إلى أهل زبيد ، كلها كفر بالله .

قال اللالكائي في السنة (٢/٤٣) : سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعال وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة ، وأنه أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم ،وأمره أن يتحدى به ، وأن يدعو الناس إليه ، وأنه القرآن على الحقيقة . متلوفي المحاريب ، مكتوب في المصاحف ، محفوظ في صدور الرجال ، **ليس بحكاية ولاعبارة عن قرآن** ، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغير مجعول ومربوب ، بل هو صفة منصفات ذاته ، لم يزل به متكلما **ومن قال غير هذا فهو كافر** ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة) .

قال ابن قدامة في كتابه حكاية القرآن (ص٤٠) : عن تحايل الأشعرية : ويظهرون أن موسى سمع كلام الله من الله ، ثم يقولون ليس بصوت ، وليس في أهل البدع كلهم من يتظاهر بخلاف ما يعتقدونه غيرهم ، وغير الزنادقة) اهـ وصرح بتكفيرهم في المناظرة على القرآن (ص٥٠) : وَهَذَا حَال هَؤُلَاءِ الْقَوْم لَا محَالة **فهم زنادقة بِغَيْر شكّ** فَإِنَّهُ لَا شكّ فِي أَنهم يظهرون تَعْظِيم الْمَصَاحِف إيهاما أَن فِيهَا الْقُرْآن ويعتقدون فِي الْبَاطِن أَنه لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْورق والمداد ويظهرون تَعْظِيم الْقُرْآن ويجتمعون لقراءته فِي المحافل والأعرية ويعتقدون أَنه من تأليف جِبْرِيل وَعبارَته ويظهرون أَنمُوسَى سمع كَلَام الله من الله ثمَّ يَقُولُونَ لَيْسَ بِصَوْت)".

قال السجزي في رسالته لأهل زبيد (ص٢٥٩) بعد نقل كلام أحمد هذا : فقول خصومنا : إن أحداً لم يقل إن القرآن كلام الله حرف وصوت كذب وزور ، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك صار كالإجماع) اهـ.

وقال ابن الحنبلي في الرسالة الواضحة في الأشاعرة (٢/٤٥١) : "فهؤلاء الأصناف كلها جهمية وهم كفار زنادقة."

ولهذا قال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٨٢) وهو يتكلم عن الأشعرية : "فتأمل هذه الأخوة التي بين

[٧٤] والعقل مولودٌ ، أُعطي كل إنسان من العقل ما أراد الله يتفاوتون في العقول مثل الذرة في السماوات ، ويُطلب من كل إنسان من العمل على قدر ما أعطاه من العقل ، وليس العقل باكتساب ، إنما هو فضل من الله تبارك وتعالى (١) .

= هؤلاء وبين المعتزلة الذين اتفق السلف على تكفيرهم ، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل ."

[ومن أراد المزيد من التوسع في مسألة الحرف والصوت فليقرأ : **رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت** ، فهي فضيحة للأشعرية ، **وكتاب الرد على المبتدعة** لابن البناء (ص١٣٩)].

وننبه هنا أن الأشعرية تنفي صفة الكلام بنفيها الحرف والصوت ، وبه قال إمامهم الزنديق ذاك الأشعري الجهمي ، ففيما نقل عنه السجزي في **رسالته لأهل زبيد (ص١٢٤)** : فقال في بعض كتبه : كلام الله ليس بحرف ولا صوت كما أن وجهه ليس بتنضيد وكلام كلّ متكلم سواه حرف وصوت".وقال في غير ذلك من كتبه : " الكلام معنى قائم بنفس المتكلم كائناً من كان ليس بحرف ولا صوت)" اهـ **(قلت)** فهذا الجهمي بهذا الكلام كافر عند السلف جميعا بتعطيله صفة الكلام وإن رغم أنف أغلب المتأخرين والمعاصرين في جعله إماما لهم ! والظالم لا يكون إماما (**قال لا ينال عهدي الظالمين**)

أما تكفير من قال بخلق القرآن فهو يحتوي أيضا على تكفير من نفى الحرف والصوت ، وممن نقل الإجماع على تكفيره : الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة كما في السنة للالكائي (٣٢١) والكرماني في السنة (٦٦) والسنة للخلال (٦٣/٢) واللالكائي في السنة (٤٦٦/١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٤٧/١) وغيرهم كثير جدا .

(١) العقل أصله فطري يولد مع الإنسان ولا يكتسب ، إنما يُنمَّى ويُلقح بالتجارب والعلوم فقط .

فعن إبراهيم القرشي قال : سئل بعض العرب عن العقل فقال : لبّ أعنته بتجريب . [العقل لابن أبي الدنيا (٣٥)]

ما قال عبد الله ابن مسعود : (**إن الرجل لا يولد عالما وإنما العلم بالتعلم**) [رواه ابن أبي شيبة (٢٦١٢٣) بسند صحيح]

أما الأحمق لو سافر في طلب العلم عشرين سنة لم يحصل عليه ، ولهذا كانت مجالسة الأحمق تنقص من العقل كما قيل ، فالعقل من أعظم النعم من الله على عبده بعد الإسلام بل لا يستطيع المحافظة على دينه بدونه ، فهما متلازمان العقل والدين وعلى هذا وردت الآثار ، وأخذ المؤلف فقرته من قول أحمد (**العقل غريزة والحكمة فطنة والعلم سماع**) [السير (١١٠/١٢)]

وقد ورد في هذا المعنى عدة آثار منها :

روى ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله (١٧) **وتاريخ بن عساكر** (**٢٨٠/٤٠**) عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ الْعِبَادُ فِي الدُّنْيَا الْعَقْلُ وَأَفْضَلُ مَا أُعْطُوا فِي الْآخِرَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » [وروي مرفوعا عن عائشة ولا يصح] .

وروى ابن أبي الدنيا في العقل (١٨) **وابن حبان في روضة العقلاء (ص١٩)** عن الْحَسَنَ يَقُولُ « مَا يَتِمُّ دِينُ الرَّجُلِ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ » **(قلت)** وروي بمعناه مرفوعا ولا يصح أيضا .

وروى ابن أبي الدنيا (٨٥) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : قِوَامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ »

وفي قول البربهاري (**يتفاوتون بالعقول**) روى ابن أبي الدنيا في كتاب العقل (٣٢) عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : « كَمَا تَتَفَاضَلُ الشَّجَرُ بِالْأَثْمَارِ كَذَلِكَ تَتَفَاضَلُ النَّاسُ بِالْعَقْلِ » **وروى (٨٤)** عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : « أَعْلَمُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ أَعْقَلُهُمْ »

وروى ابن حبان في روضة العقلاء (ص٢١) عن معاوية ابن قرة يقول : إن القوم ليحجون ويعتمرون ويجاهدون ويصلون ويصومون وما يعطون يوم القيامة إلا على قدر عقولهم .

وفي قوله (**العقل مولود**) : روى ابن أبي الدنيا (٣٤) قَالَ مُعَاوِيَةُ « الْعَقْلُ عَقْلَانِ ، عَقْلُ تَجَارِبَ وَعَقْلُ نَحِيزَةٍ فَإِذَا اجْتَمَعَا فِي

[٧٥] واعلم أن الله فضل العباد بعضهم على بعض (١) في الدين والدنيا عدل منه ، لا يقال : جار ولا حابى ، فمن قال : إن فضل الله على المؤمن والكافر سواء فهو صاحب بدعة (٢) بل فضل الله المؤمنين على الكافرين ، والطائع على العاصي ، والمعصوم على المخذول عدل منه هو فضله يعطي من يشاء ويمنع من يشاء (٣) .

= رَجُلٍ فَذَاكَ الَّذِي لَا يُقَامُ لَهُ وَإِذَا تَفَرَّدَا كَانَتِ النَّحِيزَةُ أَوْلَاهُمَا » النحيزة أي فطري مولود مع الإنسان يوم ولد .

وروى أيضا (٧٢) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقْلٌ يَسُوسُهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِكَثْرَةِ رِوَايَاتِ الرِّجَالِ »

وروى ابن أبي الدنيا (٣٥) عن سعد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الرَّحْمَن بن عَوْف قَالَ : سُئِلَ بَعْضُ الْعَرَبِ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ: « لُبٌّ أَعَنْتَهُ بِتَجْرِيبٍ »

وروى (**٦٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبِيقٍ الْأَنْطَاكِيِّ قَالَ** : كَانَ يُقَالُ : الْعَقْلُ سِرَاجُ مَا بَطَنَ وَمِلَاكُ مَا عَلَنَ وَسَائِسُ الْجَسَدِ وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ فَلَا تَصْلُحُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ »

(١) قال تعالى (**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرادِّي رِزْقِهِمْ عَلى مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**) (النحل٧١) وقال تعالى (**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**) (الزخرف٣٢) واختار تعالى للرسالة والنبوة أنبياء {**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ**} [القصص:٦٨] فهذا تفضيل في الدين ، فالرسل أفضل الناس ، وأفضلهم أولو العزم الخمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وأفضل أولو العزم الخليلان إبراهيم ومحمد ، وأفضل الخليلين نبينا صلى الله عليه وسلم ، ثم يليه جده إبراهيم ، ثم يليه موسى ، ثم بقية أولي العزم ، ثم بقية الرسل ، ثم بقية الأنبياء ، ثم فضل سبحانه وتعالى الصديقين بعد الأنبياء ، وفي مقدمتهم الصديق الأكبر ، ثم فضل الشهداء ثم فضل سائر الصالحين وهم المؤمنون ، وهم طبقات ، فأفضلهم السابقون الأولون ، ثم أصحاب اليمين ثم الظالمون لأنفسهم الذين يقصرون في بعض الواجبات أو يفعلون بعض المحرمات ، فقد فضلهم الله على الكفار في الدين وفي الدنيا ، وكذلك فرّق بينهم فجعل هذا ملكاً وهذا مملوكاً ، وهذا وزيراً وهذا عالماً وهذا جاهلاً ، وهذا غنياً وهذا فقيراً ، وهذا حليماً وهذا غير حليم وهكذا.

(٢) وفي عدة آيات منها قوله تعالى (**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَواءً مَحْياهُمْ وَمَماتُهُمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ**) [الجاثية٢١] عن قتادة قال : (لعمري لقد تفرّق القوم في الدنيا ، وتفرّقوا عند الموت فتباينوا في المصير) . وقال (**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**) [سورة ص ٢٨] وقَالَ تَعَالَى (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**) [٦٨/٣٥ - ٣٦] وقوله (**أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون**) وقال تَعَالَى (**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ**) **قال مقاتل في تفسيره (٧١٨/٣)** : وما يستوي في الفضل المؤمن المحسن ولا الكافر المسيء قَلِيلًا ما تَتَذَكَّرُونَ .

(٣) وهو يرد بهذا الفقرة على طوائف كثيرة كالفلاسفة وغلاة الجهمية والباطنية والحلولية الإتحادية ، وكثير من غلاة المتصوفة وأغلب الزنادقة في جميع الأمم ، وكذلك الأمم الدهرية والمشركة والقدرية الجبرية ، ومن يحتج بالقدر على المعاصي والشرك ، فيساوي بين الناس ، ويدعى أن التفريق بينهم في الفضل ظلم وجور !! ، ويمثل هذا الاتجاه بشكل واضح ابن عربي الزنديق الكافر ، فإنه لا يرى لمؤمن على كافر فضلاً ، ولا يرى أن هناك تمييزاً بين المسلم والمجرم ، فزعم هذا المجرم الزنديق ، أن مصير البشر في الآخرة سواء ، وأن فضل الله على الجميع سواء ، وفسر عذاب النار بأنه عذاب شكلي وأن الكافرين يتلذذون بالعذاب كما يتلذذ أهل الجنة بالجنة ، فالمؤلف كأنه يريد الرد على أصحاب هذه المقولة .

[٧٦] ولا يحل أن تكتم النصيحة [أحدا من المسلمين] برهم وفاجرهم في أمر الدين ، فمن كتم فقد غش المسلمين ، ومن غش المسلمين فقد غش الدين ، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين (١) .

= **ويرد بهذه الفقرة أيضا** على الأحناف والمرجئة الذين قالوا بعد التفاضل بين الناس في الإيمان وقولهم أن إيمانهم كإيمان جبريل والعياذ بالله ، وأن ترك الفرائض لا يضر شيئا وقد **قال أبو عبد الله الزبيري (٣١٨هـ)** وقد ذكر عقائدهم في هذا ثم علق عليها بقوله : فهذا قول يشهد العقل عند حكايته على إغفال قائله ويستغني بوصفه عن الإحتجاج عليه ... ثم ذكر بعض الآيات التي سبق ذكرها في أول هذه الفقرة محتجا بها عليهم . [راجع كتاب الجامع لعقائد أهل السنة لآل حمدان (ص٧٤٩ ـ ٧٥٠)]

(١) وهذا أخذه البربهاري رحمه الله من مجموع نصوص الوحي ، من ذلك قَوْلِهِ تَعَالَى {**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ**} [التوبة ٩١] قال تعالى (**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون**) وقال تعالى (**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**) ولحديث تميم الداري (**الدين النصيحة**) وحديث معقل (**مَا مِنْ رَجُلٍ يَسْتَرْعِي رَعِيَّةً يَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**) وحديث جَرِيرٍ (**بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**) وحديث : (**من غشنا فليس منا**) ومن حديث أبي هريرة (**إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّى اللَّهُ أَمْرَكُمْ**) ومن الآثار في هذا المعنى : **قال ابن المبارك** : إذا كتم العالم علمه ابتلي إما بموت القلب أو ينسى أو يتبع السلطان [الآداب الشرعية (٢/٢٥٢)]

روى البيهقي في المعرفة (٢٠٥) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ أَنَّهُ قَالَ : مَرَرْتُ مَعَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ – أَوْ قَالَ: شُعْبَةَ – بِرَجُلٍ فَقَالَ : كَذَّابٌ ، وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَسْكُتَ عَنْهُ لَسَكَتُّ عَنْهُ .

روى الخلال في كتاب الأمر بالمعروف (٧٢) بسنده عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ قَالَ قَالَ حُذَيْفَةُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْخُلُ الْمَدْخَلَ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ لِلَّهِ فَلَا يَتَكَلَّمُ ، فَلَا يَعُودُ قَلْبُهُ إِلَى مَا كَانَ أَبَدًا » قَالَ يُوسُفُ : فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا إِسْحَاقَ الْفَزَارِيَّ حِينَ قَدِمَ مِنْ عِنْدِ هَارُونَ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ سُفْيَانَ ؟

قال إسحاق بن أحمد العلثي رحمه الله . في إنكاره على ابن الجوزي : فلا يخفى أن : الدين النصيحة ... فلستَ بأعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث قال له الإمام عمر : أتصلي على ابن أُبَيّ ؟! فأُنزل القران {ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم} ولو كان لا يُنْكِرِ من قل علمه على من كَثُرَ علمه إذاً لتعطل الأمر بالمعروف ، وصرنا كبني إسرائيل حيث قال تعالى {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه} بل ينكر المفضول على الفاضل ، وينكر الفاجر على الولي ، على تقدير معرفة الولي) [ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/١٦٤ – ١٦٥)]

(**قلت**) واليوم يكتمون تعليم التوحيد على الناس ويكتمون علم الولاء والبراء ووجوب تكفير المشرك ومعاداته ، ويخفونه إما بجهل أو بعلم ، ويسكتون عن المبتدعة ويكتمون أمر فضحهم وبيان أمرهم للناس رهبة ورغبة ، ويكتمون بيان كفر الأشعرية للناس

[٧٧] والله تبارك وتعالى سميع بصير ، سميع عليم ، يداه مبسوطتان ، قد علم الله أن الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم (١) علمه نافذ فيهم ، فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام ، ومنَّ به عليهم كرما وجودا وتفضلا فله الحمد (٢) .

= ووجوب البراءة منهم ، ومن الخبث أن يدعون أن هذا من السياسة الشرعية !! فهذا من أعظم الغش لله ولسوله وللمسلمين على الإطلاق ، ومن جميل ما قاله أهل الحديث في هذا ما **ذكره أبو بكر الخلال في السنة عند رقم (٢٦٠)** أن مشايخ الحديث بغداد كتبوا للخلال رسالة انتشرت بين أهل السنة في ذلك الحين ونسخها الناس وتداولوها لما أنكر شخص يدعي السنة أثر مجاهد في المقام المحمود فمما جاء فيها : أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّهُ بَلَغَنَا مَا حَدَثَ بِبَلَدِكُمْ مِنْ نابغ نَبَغَ بِالزَّيْغِ وَقِيلِ الْبَاطِلِ ، فَأَحْدَثَ عِنْدَكُمْ بِدْعَةً اخْتَرَعَهَا ، وَشَرَعَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ، فَفَرَّقَ جَمَاعَتَكُمْ بِخَبِيثِ قَوْلِهِ ، وَسُوءِ لَفْظِهِ ، فَلَوْلَا مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ **النُّصْحِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَخَاصَّتِهِمْ** ، وَحَضَّ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ **لَوَسِعَنَا السُّكُوتُ** ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ **أَخَذَ مِيثَاقَ الْعُلَمَاءِ لَيُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ** وَذَلِكَ بِمَا رُوِيَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **الدِّينُ النَّصِيحَةُ** » قَالُوا : لِمَنْ ؟ قَالَ « لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلِجَمَاعَتِهِمْ » والرسالة بطولها في غاية الأهمية تنبأ عن مدى نصح العلماء في زمن أهل الحديث قديما ، وقوة بيانهم بخلاف التميع الحاصل في هذا الزمن الأخير والله المستعان ، فاللهم جنبنا مواضع الفتن واجعلنا من الناصحين لك يا منان .

(١) وقد سبق أن من نفى العلم يكفر عند جميع السلف ، وهو هنا يرد على القدرية نفاة العلم .

(٢) ويدل على هذه الفقرة عدة نصوص وآثار : قَوْلِهِ تَعَالَى: {**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**} [البقرة: ١٠٥] قال الطبري عندها : قَوْلُهُ: {**وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**} [البقرة: ١٠٥] فَإِنَّهُ خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَهُ عِبَادُهُ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَإِنَّهُ مِنْ عِنْدِهِ ابْتِدَاءً وَتَفَضُّلًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ .) اهـ

وقال يحي بن سلام في تفسيره (٥٣/١) : قَالَ: {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [النحل: ٩] مِثْلَ قَوْلِهِ: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} [يونس: ٩٩] وَكَقَوْلِهِ {أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الرعد: ٣١] أَفَلَمْ يَتَبَيَّنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا {أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد ٣١] وقال تعالى {**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**} [الحجرات:١٧]

(**قلت**) ولو شاء الله أن يُعصى لما خلق إبليس ، ولما خلق أسباب المعصية للبشر ، ومن هداه للسعادة إنما محض فضل من الله تعالى حين شاء أن يكون في قضبته اليمين لما أخرجهم من ظهر آدم وأخذ عليه الميثاق ، ومن الآثار في هذا الباب :

ما رواه الفريابي في القدر (٣١٥) وعبد الرزاق (٢/١٥٨) والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٧) واللالكائي في السنة برقم (١٢٤٥) وابن بطة في الإبانة برقم (١٨٤٦) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (رقم ٩٣٦) بسند صحيح عَنْ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ قَالَ : جَلَسْنَا إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَتَكَلَّمَ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ ، فَعَظَّمَ اللَّهَ ، وَذَكَّرَ بِآيَاتِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَ ، تَكَلَّمَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ، وَقَالَ لِلْمُتَكَلِّمِ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا عَظَّمْتَ ، وَكَمَا ذَكَرْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ أَرَادَ أَنْ لَا يُعْصَى ، لَمْ يَخْلُقْ إِبْلِيسَ ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ ، عَلِمَهَا مَنْ عَلِمَهَا ، وَجَهِلَهَا مَنْ

[٧٨] واعلم أن البشارة عند الموت ثلاث بشارات يقال : أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنة ويقال : أبشر يا عدو الله بغضب الله والنار ويقال : أبشر يا عبد الله بالجنة بعد الانتقام ، هذا قول ابن عباس (١) .

= جهلَهَا ثُمَّ قَالَ {**فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ**} ومنَّا رَجُلٌ يَرَى رَأْيَ الْقَدَرِ ، فَنَفَعَهُ اللَّهُ بِقَوْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ .

وروى الفريابي (٣١٧) وابن بطة في الإبانة (١٨٧٢) عن أبي ضمرة قَالَ : وَقَفَ غَيْلَانُ ، عَلَى رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : يَا رَبِيعَةُ أَيْنَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْصَى ؟ فَقَالَ له ربيعة : ويلك يا غيلان ، أو يعصى اللَّهُ قَسْرًا قَالَ : فَكَأَنَّمَا أَلْقَمَهُ حَجَرًا .

وروى الفريابي (٣٢٥) والآجري (ص ٢١١) عن عَمْرِو بْنَ مُهَاجِرٍ يَقُولُ : أَقْبَلَ غَيْلَانُ ، وَهُوَ مَوْلَى لِآلِ عُثْمَانَ ، وَصَالِحُ بْنُ سُوَيْدٍ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمَا يَنْطِقَانِ فِي الْقَدَرِ ، فَدَعَاهُمَا فَقَالَ : هَلْ عِلْمُ اللَّهِ نَافِذٌ فِي عِبَادِهِ أَمْ مُنْتَقِضٌ ؟ فَقَالَ : بَلْ نَافِذٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: فَفِيمَ الْكَلَامُ ؟ فَخَرَجَا فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ مَرَضِهِ بَلَغَهُ أَنَّهُمَا قَدْ أَسْرَفَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا وَهُوَ مُغْضَبٌ فَقَالَ : أَلَمْ يَكُنْ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ حِينَ أَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجُودِ، أَلَّا يَسْجُدَ ؟ قَالَ عَمْرٌو : فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِمَا بِرَأْسِي قَوْلًا : نَعَمْ فَقَالَا : نَعَمْ فَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِمَا وَبِالْكِتَابِ إِلَى الْأَجْنَادِ بِخِلَافِ مَا قَالَا ، فَمَاتَ عُمَرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفُذَ تِلْكَ الكتب.

(١) ومعنى هذا أن البشارات تكون حسب عمل العبد وإيمانه وهي ثلاث :

فالبشارة الأولى : تتعلق بالمؤمن الذي لم يخلط عملا صالحا بسيىء ، فيبشر بالجنة ودخولها بلا عذاب سابق كما قال تعالى : (**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) والقبر أول منازل الآخرة وجاءت مفسرة تلك البشارة في قوله تعالى : (**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنَّتي**) وقَالَ تَعَالَى {**إِن الَّذين قَالُوا رَبنَا الله ثمَّ استقاموا تتنزل عَلَيْهِم الْمَلَائِكَة أَلا تخافوا وَلَا تحزنوا وَأَبْشِرُوا بِالْجنَّةِ الَّتِي كُنْتُم توعدون**}

وجاء في حديث البراء المشهور : (... **ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ** ..)

والبشارة الثانية : تتعلق بالضد من ذلك وهو الكافر ففيه قَوْله تَعَالَى (**وَلَو ترى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَات الْمَوْت وَالْمَلَائِكَة باسطو أَيْديهم أخرجُوا أنفسكُم الْيَوْم تُجْزونَ عَذَاب الْهون**) وجاء في نفس حديث البراء (.. **ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَغَضَبٍ** ..)

أما البشارة الثالثة : والتي نسبها المؤلف لابن عباس رضي الله عنه فلم أرَ من خرَّجها أو ذكر سندها بعد طول بحث ، ولكن وقفت عليه بلا سند في **كتاب الفردوس للديلمي (٩٧٩) ونقله عنه في شرح الصدور (١٠٩)** عَن إِبْنِ عَبَّاس : (إِذا أَمر الله ملك الْمَوْت بِقَبض أَرْوَاح من اسْتوْجب النَّار من مذنبي أمتِي قَالَ بشرهم بِالْجَنَّةِ بعد إنتقام كَذَا وَكَذَا على قدر مَا يحبسون فِي النَّار) وهذه أحد الأحاديث التي فقدت أسانيدها ولم تصلنا ولم يقف عليها إلا البربهاري والديلمي ولم يذكرا لنا سنده للنظر فيه هل صح ، فالله أعلم به ، مع أن الظنُّ ضعفُها وإلا وصلتنا حفظا للدين ، والله أعلم .

[٧٩] واعلم أن أول من ينظر إلى الله في الجنة الأضراء (١)

(١) الأضراء جمع ضرير وهو منْ ذهب بصره كما في القاموس (١٩/٣ ـ ترتيبه) وقد ورد في هذا المعنى حديثين مرفوعين لا يصحان ، وآخر عن الحسن ، وإليك التفاصيل : **الحديث الأول** : رواه الديلمي في الفردوس (٣٥) عن سَمُرَة بن جُنْدُب (**أول من ينظر إِلَى الله عز وَجل يَوْم الْقِيَامَة من كَانَ ضريرا**) فالله أعلم بصحته فلم أقف على سنده ، وغالبا ما يتفرد به الديلمي لا يكون صحيحا !! والحجة في السند .

الحديث الثاني : وأخرجه اللالكائي في السنة (٩٢٣) وابن حبان في الثقات (٤/٩) من طريق عُفَيْرَةُ بِنْتُ وَاقِفٍ قَالَتْ : حُمَيْدَةُ حَدَّثَتْنِي تَعْنِي بِنْتَ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ ، قَالَتْ : أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبِي :كَانَ أَنَسٌ وَأَبُو ظِلَالٍ فِي بَيْتِ ثَابِتٍ ، فَقَالَ أَنَسٌ : يَا أَبَا ظِلَالٍ مَتَى فَقَدْتَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : وَأَنَا صَبِيٌّ لَا أَعْقِلُ قَالَ : فَهَلْ أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ جِبْرِيلَ، وَجِبْرِيلُ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ : يَا جِبْرِيلُ مَا جَزَاءُ مَنْ سَلَبْتُ كَرِيمَتَيْهِ ؟ قَالَ {**سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**} [البقرة: ٣٢] قَالَ « جَزَاؤُهُ الْخُلُودُ فِي دَارِي وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِي » [**وهذا سند منكر لا يصح** ، وخرجه البيهقي في الشعب (٩٩٥٩) من طريق حماد ابن سلمة عن أبي ظلال به وذكره العجلوني في كشف الخفا (٧٧/١) وأصل الحديث من طريق أبي ظلال عن أنس مرفوعا : رواه الترمذي (٢٤٠٠) ولفظه : (**إن الله يقول إذ أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة**) وعلى ضعفه ونكارته سندا لم ترد فيه تلك الزيادة (**والنظر إلى وجهي**) قال الترمذي : (حديث حسن غريب من هذا الوجه وأبو ظلال اسمه هلال) =

(**قلت**) وهذه العبارة (حسن غريب) معناها التعليل عند الترمذي فأبو هلال منكر الحديث جدا ، وقد بوب اللالكائي في السنة له بقوله : (**في أن أول من ينظر إلى الله العميان**) اعتمادا على هذا الحديث لا غير .

أما أثر الحسن البصري : فقد ورواه اللالكائي في السنة (٩٢٤) : عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابن أبي حاتم قَالَ : ثَنَا أَبِي قَالَ : نَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ الْمُؤَدِّبُ قَالَ: **حُدِّثْتُ** عَنْ أَبِي الْأَشْهَبِ عَنِ الْحسن رَضِيِ الله عَنهُ قَالَ : (**أول من ينظر إِلَى الله تبَارك وَتَعَالَى الْأَعْمَى**) . وذكر في الدر المنثور (٣٥٨/٨) أنه قد أخرجه أَبُو الشَّيْخ أيضا ولم أجده فيما طبع بين أيدينا من كتبه ، وهذا السند رجاله ثقات متصل لولا الإنقطاع في قول المؤدب (حُدِّثْتُ) **لكن وصله الخطيب في كتابيه تجريد الأسماء والكنى** (**٣١٠/٢**) **والمتفق والمفترق** (**١٧٦٥**) **قال** : أنا بحديثه القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد الأثرم ثنا الحسن بن يزيد الجَصَّاص ثنا أحمد بن غَسَّان ثنا يحيى بن سعيد العَبْشَمي، عن أبي حسان عن أبي الأشهب عن الحسن قال : « **أول من ينظر إلى الله يوم القيامة الأعمى** ».

(**قلت**) السند إلى الجصاص رجاله ثقات لكن فيه علل بعد ذلك :

١ ـ **أحمد بن غسان** عابد زاهد كما وصف لكن لم أجد من وثقه في الحفظ .

٢ ـ العبشمي هذا ضعيف ، قال فيه **العقيلي في الضعفاء** (**٢٠٢٧**) لَا يُتَابَعُ عَلَى حَدِيثِهِ ، وَلَيْسَ بِمَشْهُورٍ بِالنَّقْلِ .

وَقَالَ ابْنُ حِبّان في (**المجروحين ٣/ ١٢٩**) : لَا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

٣ ـ أبو حسان لم أعرف من هو !!

ثم الرجال ثم النساء ، بأعين رؤوسهم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته والإيمان بهذا واجب وإنكاره كفر (١) .

= **فالخلاصة** : أن أصح شيء ورد في هذا الباب هو أثر الحسن على انقطاع فيه ، وليتنا وقفنا على إسناد أبي الشيخ لننظر فيه لعل فيه جبرا لتلك العلة ، فالله أعلم بصحة هذا الباب ، وبأي شيء اعتمد عليه البربهاري لوضع هذه الفقرة جازما بها !! مع أنه من المعلوم أن هذا مرتبط بالإيمان والعمل ، والأكثر قربا من الله ، من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

أما قوله : (**ثم الرجال ثم النساء**) بهذا الترتيب فلم أجد نصا على ذلك فالله أعلم بهذا الترتيب فإنه يحتاج إلى نص أو أثر .

(١) وأما قوله رحمه الله (**بأعين رؤوسهم**) فهذا مجمع عليه بين أهل السنة والجماعة خلافا للجهمية التي أنكرت حقيقة الرؤية وحرفت النصوص المتواترة في ذلك ، وكل من أنكر هذا فقد كفر بالقرآن كقوله تعالى (**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**) وكفر بالسنة كحديث جرير بن عبد الله الذي أشار إليه المؤلف والذي جاء فيه (**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**) [البخاري (٥٧٣) مسلم (٢٣١٩)] ومن فعل ذلك خرج عن حدِّ الإسلام والعياذ بالله ، وسيأتي فقرة خاصة بحكم إثبات الرؤية وحكم من أنكرها ، ونؤجل الكلام إلى حينه ليكون أنسب .

[فائدة] :

قال أحمد بن حنبل : كان بشر بن السري رجلا من أهل البصرة ، ثم صار بمكة ، سمع من سفيان نحو ألف ، وسمعنا منه ثم ذكر حديث {**نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَة**} فقال : **ما أدري ما هذا ؟ أيش هذا** ؟ فوثب به الحميدي وأهل مكة وأسمعوه كلاماً شديداً .

وقال عبد الله بن أحمد : سمعت أبي يقول : بشر بن السري تكلم بمكة بشيء ، فوثب عليه حمزة بن الحارث بن عمير والحميدي ، فلقد ذل بمكة حتى جاء فجلس إلينا مما أصابه من الذل ، قال عبد الله : يعني تكلم في القرآن.[راجع ترجمته من السير]

(**قلت**) ومع هذا فقد تجنبوه ، ولم يكتبوا عنه ، قال أحمد بن حنبل : اعتذر بعد ، فلم يقبل منه ، وزهد الناس فيه ، فكان يجيئ إلينا ، فلا نكتب عنه ، وجعل يتلطف ، فلا نكتب عنه حتى قال الحميدي : بشر بن السري جهمي لا يحل أن يكتب حديثه فهذا رجل من العباد حافظ متقن ، قال كلاماً زل فيه ، أو فهم منه خلاف ما أراده ، فهجره الأئمة ، وزهدوا فيه ، وقارن صنيع المعاصرين والمتأخرين عموما وتمييعاتهم للسنة والتوحيد ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

[٨٠] واعلم – رحمك الله– أنها ما كانت زندقة قط ، ولا كفر ولا شك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأصحاب الكلام والجدل والمراء والخصومة ، والعجب وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال والله تعالى يقول { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا } فعليك بالتسليم والرضى بالآثار وأهل الآثار والكف والسكوت (١).

---

(١) أخذ البربهاري هذه العبارة من إبراهيم الخواص فقد ثبت عنه فيما رواه أبو بكر المقرئ في جزء أحاديث في ذم الكلام (ص٩٠) ونصر المقدسي في كتاب الحجة (ص١٩١) قال : (مَا كَانَتْ زَنْدَقَةٌ وَلَا كُفْرٌ ، وَلَا بِدْعَةٌ ، وَلَا جُرْأَةٌ فِي الدِّينِ ، إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْكَلَامِ ، وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْعُجْبِ ، وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَى الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَاللَّهُ يَقُولُ: {**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلا الذين كفروا** } وهذا الذي قاله المؤلف وقبله الخواص ، دلت عليه النصوص من القرآن والسنة والآثار فمن القرآن ما احتج به الخواص في قوله تعالى (**ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا**) . وقبله ما روى ابن بطة في الإبانة (١٩٥) والهروي في ذم الكلام (١٩٢) عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ آيَتَانِ فِي الْقُرْآنِ مَا أَشَدُّهُمَا عَلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ {**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ الله**} {**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**} .

ومن الأحاديث : ما روي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**) فدل على أن أحد أسباب هلاك الأمم السابقة الكلام والخصومات والجدل .

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ** {**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**} [الزخرف: ٥٨] [أخرجه أحمد (٢٢١٦٤) وابن ماجه (٤٨) ، والترمذي (٣٢٥٣) وابن أبي عاصم في السنة (١٠١) والطبري في التفسير (٢٥/٨٨) والعقيلي في الضعفاء (١/٢٨٦) والطبراني (٨٠٦٧) والآجري في الشريعة (ص ٥٤) وابن عدي ٤/١٦١٣) والحاكم (٢/٤٤٧-٤٤٨) والسهمي في تاريخ جرجان (ص ٧٤) والبيهقي في الشعب (٨٤٣٨) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٦-٩٧) وله طرق يشد بعضها وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه ذاك الذهبي]

ومن الآثار نذكر منها : روى الْبُخَارِيّ فِي التَّارِيخ الْكَبِير (٢/٢٣٥) والهروي في ذم الكلام (٥٧) عَنْ زَيْدِ بْنِ رُفَيْعٍ قَالَ (بَعَثَ اللَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرَعَ لَهُ الدِّينَ فَكَانَ النَّاسُ فِي شَرِيعَةِ نُوحٍ فَمَا أَطْفَأَهَا **إِلَّا الزَّنْدَقَةُ** ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرَعَ لَهُ الدِّينَ فَكَانَ النَّاسُ فِي شَرِيعَةٍ فَمَا أَطْفَأَهَا **إِلَّا الزَّنْدَقَةُ** ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَرَعَ لَهُ الدِّينَ فما أطفأها **إِلَّا الزندقة**.

روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٥٩٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ « لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلًا حَتَّى نَشَأَ فِيهِمْ أَبْنَاءُ سَبَايَا الْأُمَمِ ، فَقَالُوا **فِيهِمْ بِالرَّأْيِ** فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » وقال مثله عروة بن الزبير كما عند الدارمي (١٢٢) وغيره ، وعمر بن عبد العزيز كما في السنن المأثورة عن الشافعي (٣٩٩) والبهقي في المعرفة (٣٣٣) وغيرهم ، وروي مرفوعا ولا يصح .

روى الهروي في ذم الكلام (٧١٤) بسند ضعيف عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا}** قَالَ (هُمْ أَصْحَابُ الْخُصُومَاتِ وَالْمِرَاءِ فِي دين الله)

عن عمر بن عبد العزيز قال : من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل. [رواه الدارمي (٣١٠) واللالكائي (٢١٦) وابن بطة (٥٤٤)]

وعن معاوية بن قرة قال : الخصومات في الدين تحبط الأعمال .[عبد الله (٩٨) اللالكائي (٢٢١) وابن بطة (٥٤١)]

وروى عبد الله في السنة (٩٧) قَالَ رَجُلٌ لِلْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ : مَا حَمَلَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ : **الْخُصُومَاتُ** .

وروى عبد الله في السنة (٩٩) قَالَ أَبُو قِلَابَةَ وَكَانَ أَدْرَكَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ » أَوْ قَالَ (أَصْحَابَ **الْخُصُومَاتِ**) فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ »

روى الهروي في ذم الكلام (٣١٢/٤) عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ فِي قَوْلِهِ **{إِنَّ الَّذين فرقوا دِينَهُمْ}** قَالَ : هُمْ أَصْحَابُ الْخُصُومَاتِ والمراء فِي دين الله)

عن العوام بن حوشب : سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله عز وجل : {فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ} قال : أغرى بعضهم ببعض في الخصومات والجدال في الدين. [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٣/٥٠٠/ ٥٥٨) وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٢).]

جاء في الإبانة (٢/ ٥٢٤/٣/ ٦٣٠) قال أبو بلال القسملي : سألت أنس بن مالك : هل كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يذكرون القدر ؟ قال : إنه لم يك شيء أكره إليهم من **الخصومات** ، وكانوا إذا ذكر لهم شيء من ذلك نفضوا أرديتهم وتفرقوا .

روى أبو بكر المقرئ في أحاديث في ذم الكلام (ص٩٨) قال عبد الرحمن ابن مهدي : من طلب الكلام فآخر أمره الزندقة.
والآثار في هذا الباب كثيرة لا يمكن استعابها في هذه التعليقة .

تنبيه : المقصود بالكلام كل ما سوى الوحي والآثار سواء ، كانت ذلك المنطق والفلسفة وهذا دخوله في الكلام من باب أولى وليس هذا ما يركز عليه السلف لوضوحه لأن المنطق والفلسفة أغلبها زندقة وكفر محض ، وإنما غالبا كانوا يقصدون الفتوة في الدين بالرأي والفهم الخاص والقواعد والأصول المستحدثة والتفريعات والقياسات ونحوها مما ليس مبناه على الأثر ، وإنما هو شرح لنوصوص الوحي بالرأي الخاص .

كما قال شُعْبَةَ في ما رواه ابن الجعد (٣٠) وأبو نعيم في الحلية (١٤٩/٧) والهروي في ذم الكلام (١٨٦/٥) : (**كُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ سَمِعْتُ فَهُوَ خَلٌّ وَبَقَلٌ**)

وجاء في شرف أصحاب الحديث (ص٦) عن الثوري قال : إنما الدين بالآثار ليس بالرأي)

روى ابن بشران في أماليه (٥٦٧) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٦٥) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ يَقُولُ : **لَيْسَ الدِّينُ بِالْكَلَامِ ، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ.**

روى الهروي في ذم الكلام (٣٢٤) عن عِصَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ: **عَلَيْكُمْ بِالْآثَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ** .

وروى ابن عبد البر في جامع البيان (١٤٢٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: « **مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ** »

وجاء في المدخل للبيهقي (٢٣٥) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ : سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : **إِنَّمَا الْعِلْمُ كُلُّهُ الْعِلْمُ بِالْآثَارِ** .

[٨١] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى يعذب الخلق في النار وفي الأغلال والأنكال والسلاسل ، والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم ، وذلك أن الجهمية منهم هشام الفوطي (١) قال : [إنما] يعذب عند النار ، رد على الله وعلى رسوله (٢) .

= وروى في جامع البيان (٢٠١٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « **إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ، وَأَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ** »

وذكر ابن القيم في الطرق الحكمية (ص٢٣٤) قَالَ الْخَلَّالُ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ وَاصِلٍ الْمُقْرِي قَالَ : سَمِعْت أَبَا عَبْدِ اللَّهِ – وَسُئِلَ عَنْ الرَّأْيِ ؟ – فَرَفَعَ صَوْتَهُ قَالَ : **لَا يَثْبُتُ شَيْءٌ مِنْ الرَّأْيِ، عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالْآثَارِ**.

وفي كتاب مناقب أحمد لابن الجوزي (ص٢٦٥) بإسناده إلى حنبل بن إسحاق قال : **رأيت أبا عبد الله يكره أن يكتب شيء في رأيه أو فتواه .**

والآثار في هذا كثيرة ، وهذا المعنى **هو إجماع أهل السنة** القديم كما قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وأبا زرعة : يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع ، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ **وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار** ، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين . [اللالكائي (١/١٧٩)]

(١) هشام بن عمرو الفوطي هذا رجل زنديق كافر بالقرآن ، يتلاعب بالتعطيل والتحريف كما يشاء فيما ذكر عنه في كتب الفرق ، وهو من رؤوس المعتزلة توفي سنة ٢٢٦هـ وهو من أصحاب أبي الهذيل العلاف والنظام ، وله تنسب فرقة الهشامية ، وهو من اخترع القول بعد خلق الجنة والنار الآن عند المعتزلة وكفر من قال بوجودهما ، ولهذا قال عنه البربهاري في آخر الكتاب أنه مرتد . [أنظر : معتقده الخبيث في الوافي بالوفيات (٢٧/٢١٢) وتاريخ للإسلام (١٦/٤٤١) وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٧ رقم ١٧٧) والتنبيه والرد على أهل الأهواء للملطي (ص٣٩) والملل والنحل (١/٧٢)]

(٢) هذه من المسائل المستحدثة التي أحدثتها المعتزلة بحجة أنه يوجب القدح في التوحيد !! وهذه معاندة ومكابرة للحس والمشاهدة والعقل والشرع وقد تبعتهم في هذا الأشعرية وجعلوا أن اعتقاد تأثير السبب في المسبب شرك !! وقد صرح بهذا ذاك الشاطبي الجهمي في الموافقات (١/٣٢١) وهو خلاف ما عليه أهل السنة ، فإنهم يثبتون تأثير الأسباب في المسببات ولا ينكر هذا إلا ضال أو مجنون !! ويكفي في الرد عليهم قوله تعالى (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**) فبين أنه المعذب ، وأن أيدينا أسباب وآلات وأوساط وأدوات في وصول العذاب إليهم .[أنظر شفاء العليل (١/١٨٩) ففيه مزيد تفصيل عن هذه الضلالة]

[٨٢] واعلم أن الصلاة الفريضة خمس [صلوات] لا يزاد فيهن ولا ينقص في مواقيتها ، وفي السفر ركعتان إلا المغرب ، فمن قال : أكثر من خمس ، فقد ابتدع ومن قال : أقل من خمس فقد ابتدع (١) لا يقبل الله شيئا منها إلا لوقتها (٢)

---

(١) والدليل ما رواه مسلم (١٢) من حديث أنس بن مالك قال : « سألَ رجل نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كم فرَضَ الله على عِباده من الصَّلَوات ؟ قال افْتَرَضَ الله على عباده صَلَوات خمْساً قال : يا رسولَ الله هل قَبْلَهُنَّ أو بَعْدَهُنَّ من شيء ؟ قال : افْتَرَضَ الله على عباده صلوات خمساً ، فحلف الرجل لا يَزِيدُ عليه شيئاً ، ولا ينقصُ منه شيئاً قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إن صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجنَّة » **أما من قال الصلوات اثنان فقط** : **فهم القرآنية المرجئة** ، وهذا ما أشار إليه حذيفة رضي الله تعالى عنه حين قال : إني لأعرف أهل دسر أهل ذلك الدسر في النار قوم يقولون: الإيمان كلام وإن زنى وقتل وقوم يقولون: إن أولية الضلال ما قال خمس صلوات وإنما هما صلاتان قال تعالى : (**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**) [رواه بسند صحيح أبو عبيد في الإيمان (٢١) وابن أبي شيبة (٣٠٤١٥) والحاكم (٨٢٩٤) والخلال في السنة (١٣٥٦) والآجري في الشريعة (٢٩٨) واللالكائي (١٧١٧) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٢٢٩) وغيرهم] .

أما من زاد في فرض الصلوات : فهو قول للرافضة ، فقد قَالَ بعضهم أن صَلَاة الْفَرِيضَة خَمْسُونَ صَلَاة كَمَا فرضت لَيْلَة الاسراء ، ولكن المؤلف لا أظنه يقصدهم بكلامه لأنه مذهبهم واضح البطلان ، ولكن الظاهر أنه يقصد به أبا حنيفة حين جعل الوتر فرضا فصارت عنده ستة فروض !! فقد روى ابن أبي شيبة (٣٦٣٦٧) عَنْ عَطَاءٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَا « الْأَضْحَى وَالْوِتْرُ سُنَّةٌ » وَذُكِرَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ : الْوِتْرُ فَرِيضَةٌ . **(قلت)** وقد ذكروا قصة مضحكة في الرد عليه ذكرت في المعرفة والتاريخ للفسوي (٧٩٣/٢) وابن حبان في الثقات (١٢٢٢٢) وابن خزيمة في صحيحه (١٣٦/٢) من طريق حَمَّاد بن زيد قَالَ سَمِعت أَبَا حنيفَة يَقُول الْوتر فَرِيضَة !! قَالَ : قلت : كم الصَّلَوَات ؟ قَالَ خمس قلت : فالوتر قَالَ فَرِيضَة !! قلت :كم الصَّلَوَات قَالَ خمس ، قلت : فالوتر قَالَ فَرِيضَة قال : **أنت لا تحسن العدد**) . وفي هذه النكتة قال ابن خزيمة في صحيحه مشيرا إليها : بَابُ ذِكْرِ الْأَخْبَارِ الْمَنْصُوصَةِ وَالدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْوِتْرَ لَيْسَ بِفَرْضٍ لَا عَلَى مَا زَعَمَ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ الْعَدَدَ ، وَلَا فَرَّقَ بَيْنَ الْفَرْضِ وَبَيْنَ الْفَضِيلَةِ ، فَزَعَمَ أَنَّ الْوِتْرَ فَرِيضَةٌ فَلَمَّا سُئِلَ عَنْ عَدَدِ الْفَرْضِ مِنَ الصَّلَاةِ زَعَمَ أَنَّ الْفَرْضَ مِنَ الصَّلَاةِ خَمْسٌ ، فَقِيلَ لَهُ : وَالْوِتْرُ ؟ فَقَالَ: فَرِيضَةٌ ، فَقَالَ السَّائِلُ : أَنْتَ لَا تُحْسِنُ الْعَدَدَ . **(قلت)** ولهذا لما كان هذا القول ضُحكة خالفه صاحباه أبو يوسف ومحمد في قوله هذا ، واكتفيا بقولهما أنه سنة مؤكدة كما ذكر ذاك السرخسي.

(٢) كأن المؤلف يشير إلى أن من ترك صلاة متعمدا حتى يخرج وقتها بلا عذر أنها لا تقبل ، وهذه مسألة فيها نزاع بل حكي الإجماع على العكس فقد قال ابن قدامة : لا نعلم بين المسلمين خلافاً في أن تارك الصلاة يجب عليه قضاؤها ولو كان مرتداً لم يجب عليه قضاء صلاة ولا صيام . [المغني لابن قدامة (١٥٨/٢)] . **وممن نقل الإجماع المروزي في تعظيم قدر الصلاة (ص ٩٧٥)** ولم يعترض عليه بعدما نقله عن الفقهاء . **(قلت)** وصرح ابن المبارك الشافعي وأحمد وإسحاق بأنه يعيد من تركها عمدا ، مما يفيد أن احتمال صحة الإجماع قوي ، ولكن حكى بعضهم خلافا بعض التابعين كالحسن ، ولهذا حكى إسحاق أنه قول الجمهور فقط ، **روى المروزي (١٠٧١) قَالَ إِسْحَاقُ بن راهويه** : وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى إِعَادَةِ الصَّلَاةِ إِذَا تَابَ مَنْ

تَرَكَهَا وَالِاحْتِيَاطِ فِي ذَلِكَ ، فَأَمَّا مَنْ مَالَ إِلَى مَا قَالَ الْحَسَنُ : إِذَا تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا لَا يَقْضِيَهَا فَهُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : الْإِعَادَةُ لَا تَسْتَقِيمُ عَلَى الْحَدِيثِ ثُمَّ تَرَكَ الْقِيَاسَ فِي ذَلِكَ فَاحْتَاطَ فِي الْقَضَاءِ ، وَقَالَ فِيهِ كَمَا قَالَ فِي النِّكَاحِ بِغَيْرِ وَلِيٍّ : إِنَّهُ فَاسِدٌ يُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا.

قَالَ إِسْحَاقُ : وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِذَا ارْتَدَّ الرَّجُلُ عَنِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ أَسْلَمَ أَعَادَ كُلَّ صَلَاةٍ تَرَكَهَا فِي رِدَّتِهِ ، وَكُلَّ زَكَاةٍ وَجَبَتْ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلَا أَجْعَلُهُ كَالْمُشْرِكِ الَّذِي لَا قَضَاءَ عَلَيْهِ إِذَا أَسْلَمَ ، لِأَنَّ الْمُشْرِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي شِرْكِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ وَأَهْلِ دِينِهِ صَلَاةٌ وَلَا شَيْءَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ أَسْلَمَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَحْكُمِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَضَاءِ مَا قَدْ مَضَى مِنَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيمَنْ كَانَ مُسْلِمًا ثُمَّ ارْتَدَّ .

ونقل ابن حزم الجهمي قولا آخر عن السلف أنه لا يقضي فقال : وممن قال بقولنا في هذا عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وسعد ابن أبي وقاص وسلمان (صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وابن مسعود والقاسم بن محمد بن أبي بكر وبديل العقيلي ومحمد بن سيرين ومطرف بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز وغيرهم . **وبه قال الحسن البصري** : إذا ترك الرجل صلاة واحدة متعمدا فإنه لا يقضيها . ثم قال : {**ما نعلم لمن ذكرنا من الصحابة رضي الله عنه مخالفا منهم !!** }. [أنظر المحلى (٢/٢٣٥ - ٢٤٤)] **(قلت)** هذه النقولان فيها نظر ولم ينقل لنا هذا الجهمي الآثار لننظر في ذلك ، والظاهر أنه أخذها بالفهم لا بالنص سوى ما روي عن الحسن وبعض التابعين ، والدليل أن إسحاق لم يحكها ، وأيضا قد رد عليه ابن عبد البر في هذه النقولات والمذهب فقال أنه مذهب شاذ لا دليل عليه تفرد به بعض التابعين [الاستذكار (١/٧٨)]

قال المروزي : كَانَ إِسْحَاقُ يُكَفِّرُهُ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ عَلَى مَا حَكَيْنَا عَنْهُ ، وَيَرَى عَلَيْهِ الْقَضَاءَ إِذَا تَابَ ، وَقَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي رِزْمَةَ **عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ** أَنَّهُ شَهِدَهُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ رَجُلٍ تَرَكَ صَلَاةَ أَيَّامٍ وَقَالَ : فَمَا صَنَعَ ، قَالَ : نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : لِيَقْضِي مَا تَرَكَ مِنَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ هَذَا لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى الْحَدِيثِ .

قَالَ إِسْحَاقُ : يَقُولُ الْقِيَاسُ عَلَى الْأَصْلِ أَنْ لَا يَقْضِي وَرُبَّمَا بَنَى عَلَى الْأَصْلِ ، ثُمَّ يُوجَدُ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ نَفْسِهِ خِلَافُ الْبِنَاءِ فَمِنْ هَاهُنَا خَافَ ابْنُ الْمُبَارَكِ أَنْ يَقِيسَ أَمْرَ تَارِكِ الصَّلَاةِ فِي الْإِعَادَةِ عَلَى مَا جَاءَ أَنَّهُ كَفَرَ فَيَجْعَلَهُ كَالْمُشْرِكِ وَرَأَى أَحْكَامَ الْمُرْتَدِّينَ عَلَى غَيْرِ أَحْكَامِ الْكُفَّارِ رَأَى قَوْمٌ أَنْ يُوَرِّثُوا الْمُسْلِمِينَ مِنْ مِيرَاثِ الْمُرْتَدِّ فَأَخَذَ بِالِاحْتِيَاطِ فَرَأَى الْقَضَاءَ عَلَى تَارِكِ الصَّلَاةِ عَمْدًا وَكَانَ يُكَفِّرُهُ إِذَا تَرَكَهَا عَمْدًا حَتَّى يَذْهَبَ وَقْتُهَا وَإِنْ كَانَ مُقِرًّا بِهَا ، قَالَ : أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ.

أما قول الحسن البصري فرواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٠٧٨) قال إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا النَّضْرُ ، عَنِ الْأَشْعَثَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : إِذَا تَرَكَ الرَّجُلُ صَلَاةً وَاحِدَةً مُتَعَمِّدًا فَإِنَّهُ لَا يَقْضِيَهَا »

إلا أن يكون نسيان فإنه معذور ، يأتي بها إذا ذكرها (١) أو يكون مسافرا فيجمع بين الصلاتين إن شاء (٢) .

[٨٣] والزكاة من الذهب والفضة والتمر والحبوب والدواب (٣) على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قسمها فجائز ، وإن أعطاها الإمام فجائز (٤).

---

(١) لقوله تعالى (**إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا**) وقوله تعالى (**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**) وقد روى المروزي في **تعظيم قدر الصلاة** (**٩٣٨**) عن عَنِ الْقَاسِمِ وَالْحَسَنِ بْنِ سَعْدٍ قَالَا : قِيلَ لِابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكْثِرُ ذِكْرَ الصَّلَاةِ فِي الْقُرْآنِ: {**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**} {**عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**} قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : ذَلِكَ عَلَى مَوَاقِيتِهَا قَالُوا : مَا كُنَّا نَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَّا عَلَى تَرْكِهَا ؟ قَالَ : «**تَرْكُهَا الْكُفْرُ**» (**قلت**) ومن نسيها أو نام عنها فهو معذور لحديث « **مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاتِهِ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا انْتَبَهَ لَهَا وَمَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا** » وفي هذا الباب أحاديث وآثار كثيرة راجعها في مصنف عبد الرزاق فقد بوب لها (بَابُ مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَ فَاسْتَيْقَظَ أَوْ ذَكَرَ فِي وَقْتِ تُكْرَهُ الصَّلَاةُ) وابن أبي شيبة في المصنف (الرَّجُلُ يَنْسَى الصَّلَاةَ أَوْ يَنَامُ عَنْهَا) وغيرهم .

(٢) لحديث أنس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخّر الظهر إلى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما وإذا زاغت قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب .[متفق عليه] وفي الباب عن معاذ وابن عباس وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَالْجُمْهُور ..

(٣) والأصل في ذلك حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ « **لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ** » [البخاري (١٤٠٥) ومسلم: كتاب (٩٧٩)] وأغلب من خرج هذا الحديث يبوب له بقوله (**باب ما تجب فيه الزكاة**) وتعداد ما ذكره البربهاري خمس أجناس ، ويمكن اختصارها في ثلاث كما في الحديث وقد ذكر مالك في الموطأ (٥٣٤) أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى دِمَشْقَ فِي الصَّدَقَةِ إِنَّمَا الصَّدَقَةُ فِي **الْحَرْثِ وَالْعَيْنِ وَالْمَاشِيَةِ** . ثم قَالَ مَالِكٌ : (وَلَا تَكُونُ الصَّدَقَةُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ فِي الْحَرْثِ وَالْعَيْنِ وَالْمَاشِيَةِ) أما عند التفصيل فنقول هي أكثر من خمس كما **قال ابن المنذر في الإقناع** (**١/١٦٥**) : أجمع أهل العلم عَلَى أن الزكاة تجب في تسعة أشياء في: الإبل ، والبقر ، والغنم ، والذهب والفضة ، والبر والشعير ، والتمر والزبيب إذا بلغ من كل صنف منها مَا تجب فِيهِ الزكاة .

(٢) هذه المسألة أصلها فقهية ، وأدرجت في العقائد بسبب تخليط بعض الخوارج وأهل الرأي فيها ، وما ذكره المؤلف هو الأمر الذي استقر عليه الأمر بعد مقتل عثمان ، لأنه في أول الأمر كان واجبا إعطاء الزكاة للإمام ولا تصح إلا بذلك ثم لما اختل أمر الصدقات بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، واختلفوا ، فصار الأمر مخيرا للمتصدق بين أن يدفعها للسلطان أو يتولى توزيعها للفقراء بنفسه ، وإليك ما جاء في هذا الباب من الأحاديث والآثار :

أما أول الأمر : روى عبد الرزاق (٦٩٢٢) وأبو عبيد (١٧٩١) ونحوه البيهقي في السنن الكبرى (٧٣٨٥) عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه قال : اجتمع عندي مال قال : فذهبت إلى ابن عمر وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وسعد بن أبي

وقاص ، فأتيت كل رجل منهم وحده فقلت : إنه اجتمع عندي مال وإن هؤلاء يضعونها حيث ترون وإني قد وجدت لها موضعا ، فكيف ترى ؟ فكلهم قالوا : أدها إليهم).

روى البيهقي في السنن الكبرى (٧٣٨٠) عن هُنَيْدٌ مَوْلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَكَانَ عَلَى أَمْوَالِهِ بِالطَّائِفِ قَالَ: قَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: " كَيْفَ تَصْنَعُ فِي صَدَقَةِ أَمْوَالِي ؟ قَالَ : مِنْهَا مَا أَدْفَعُهَا إِلَى السُّلْطَانِ وَمِنْهَا مَا أَتَصَدَّقُ بِهَا فَقَالَ : مَا لَكَ وَمَا لِذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ يَشْتَرُونَ بِهَا الْبِزُوزَ وَيَتَزَوَّجُونَ بِهَا النِّسَاءَ وَيَشْتَرُونَ بِهَا الْأَرَضِينَ ، قَالَ : فَادْفَعْهَا إِلَيْهِمْ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا أَنْ نَدْفَعَهَا إِلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ حِسَابُهُمْ "

روى أبو عبيد في الأموال (١٨١١) والبيهقي في السنن الكبرى (٧٣٨٣) عن جعفر بن برقان قال : قلت لميمون بن مهران : بلغني أن ابن عمر كان يقول : « أدوا الزكاة إلى الولاة وإن شربوا بها خمرا » فقال ميمون : أتعرف فلانا النصيبي ؟ فإنه كان صديقا لابن عمر ، أخبرني أنه قال لابن عمر : ما ترى في الزكاة فإن هؤلاء لا يضعونها مواضعها ؟ فقال: « ادفعها إليهم » . قال فقلت: أرأيت لو أخروا الصلاة عن وقتها ، أكنت تصلي معهم ؟ قال: لا. قال: فقلت : هل الصلاة إلا مثل الزكاة ؟ فقال: لبسوا علينا لبس الله عليهم .

وروى أبو عبيد برقم (١٧٩٢) عن ابن عون قال : سألت مجاهدا عن الصدقة فقال: حدثني عبد الله بن عبيد بن عمير وهو يطوف معنا أن رجلا أتى ابن عمر بصدقة ماله ، فقال: يا أبا عبد الرحمن ، إن هذه صدقة مالي ، فأين تأمرني أن أضعها ؟ فقال: **ادفعها إلى من بايعت** . [**والآثار في هذا الباب كثيرة** : أنظرها في كتاب الأموال لأبي عبيد (ص٥٩٨) (**باب دفع الصدقة للأمراء**) وعند عبد الرزاق (٦٩٢٥) و (٦٩١٧) ومصنف ابن شيبة (٣٨٤/٢) باب (مَنْ قَالَ: تُدْفَعُ الزَّكَاةُ إِلَى السُّلْطَانِ) والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٢/٤) : (باب بَابُ الِاخْتِيَارِ فِي دَفْعِهَا إِلَى الْوَالِي) وبوب لها ابن زنجويه في الأموال (**السُّنَّةُ فِي دَفْعِ الزَّكَاةِ لِلسُّلْطَانِ**) وهو مروي أيضا عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وغيرهم] .

ثم صار الأمر ـ بعد الفتن وجور السلاطين في أكلها ـ إلى الخيار ، في أن تؤدى إليهم أو يوزعها صاحبها بنفسه لمن يستحق أو تدفع فقط لمن أدى العطاء من السلطان على خلاف في ذلك بين السلف ، وفي هذا الباب مرويات كثيرة بوب لها أهل الحديث بعدة أبواب من ذلك : ما بوبه ابن أبي شيبة بقوله (**مَنْ رَخَّصَ فِي أَنْ لَا تُدْفَعَ الزَّكَاةُ إِلَى السُّلْطَانِ**) وبوب لها البيهقي في سننه (**بَابُ الِاخْتِيَارِ فِي قَسْمِهَا بِنَفْسِهِ إِذَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ لِيَكُونَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ أَدَائِهَا**) وبوب لها ابن زنجويه في كتاب الأموال (**بَابٌ مَنْ لَمْ يَرَ بَأْسًا أَنْ يُوَلَّى صَاحِبُ الصَّدَقَةِ قَسْمَهَا**) رُوِيَ في هذا المعنى عَنْ علي وأبي هريرة وسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وابن جبير وابن سيرين ومجاهد وسالم وَالْحَسَنِ وَطَاوُسٍ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وغيرهم من التابعين وأكثر السلف بعدهم ، وأشهر ما في هذا :

روى عبد الرزاق (٦٩٢٦) وابن أبي شيبة (١٠١٩٥) وأبي عبيد في الأموال (١٧٨٦) وابن زنجويه (٢١٣٠) عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ : «كَانَتْ الصَّدَقَةُ تُدْفَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ ، وَإِلَى أَبِي بَكْرٍ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ ، وَإِلَى عُمَرَ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ وَإِلَى عُثْمَانَ وَمَنْ أَمَرَ بِهِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى أَنْ يَدْفَعَهَا إِلَيْهِمْ ، وَمِنْهُمْ مِنْ رَأَى أَنْ يَقْسِمَهَا هُوَ » قَالَ مُحَمَّدٌ : « فَلْيَتَّقِ اللَّهَ مَنِ اخْتَارَ أَنْ يَقْسِمَهَا هُوَ ، وَلَا يَكُونَ يَعِيبُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا يَأْتِي مِثْلُ الَّذِي يَعِيبُ عَلَيْهِمْ »

(قلت) وقد روي عن علي وأبي هريرة كما عند عبد الرزاق وأبي عبيد في الأموال ، أنه يعطيها للأمراء لمن يعطي العطاء منهم فقط ، وهو ما مال إليه أبو عبيد القاسم في كتابه ، وروي عن عمر وابن عباس وجماعة كبيرة من التابعين أن الأمر لا يشترط فيه دفع العطاء أولا ، وهو آخر قول رجع إليه ابن عمر وأبو هريرة كما ثبت عنهما بعد ذلك ، وقال الحسن والشعبي وأيوب

والنخعي أيما فعلت دفعتها إليهم أو قسمتها بنفسك أجزأك ذلك وبرئت ذمتك ، ورجح مالك أنه إن كان الحاكم عادلا وجب دفعها له ، وإلا فلا ، وهو قول حسن جدا ، وقد جوده ابن زنجويه .

تنبيه مهم :

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ القاسم بن سلام في الأموال (ص٦٠٤) : فَكُلُّ هَذِهِ الْآثَارِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنْ دَفْعِ الصَّدَقَةِ إِلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ ، وَمِنْ تَفْرِيقِهَا هُوَ مَعْمُولٌ بِهِ ، وَذَلِكَ فِي زَكَاةِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ خَاصَّةً ، أَيُّ الْأَمْرَيْنِ فَعَلَهُ صَاحِبِهِ كَانَ مُؤَدِّيًا لِلْفَرْضِ الَّذِي عَلَيْهِ ، **وَهَذَا عِنْدَنَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ** وَالْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، وَالْعِرَاقِ ، وَغَيْرِهِمْ فِي الصَّامِتِ ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ مُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ كَمَا ائْتُمِنُوا عَلَى الصَّلَاةِ ، وَأَمَّا الْمَوَاشِي وَالْحَبُّ وَالثِّمَارُ ، **فَلَا يَلِيهَا إِلَّا الْأَئِمَّةُ** ، وَلَيْسَ لِرَبِّهَا أَنْ يُغَيِّبَهَا عَنْهُمْ ، وَإِنْ هُوَ فَرَّقَهَا وَوَضَعَهَا مَوَاضِعَهَا ، فَلَيْسَتْ قَاضِيَةً عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ إِعَادَتُهَا إِلَيْهِمْ ، فَرَّقَتْ بَيْنَ ذَلِكَ السُّنَّةُ وَالْآثَارُ ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ إِنَّمَا قَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَلَى مَنْعِ صَدَقَةِ الْمَوَاشِي ، وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ؟ وَكَذَلِكَ إِذَا مَرَّ رَجُلٌ مُسْلِمٌ بِصَدَقَتِهِ عَلَى الْعَاشِرِ ، فَقَبَضَهَا مِنْهُ ، فَإِنَّهَا عِنْدَنَا جَازِيَةٌ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، كَذَلِكَ أَفْتَتِ الْعُلَمَاءُ .

فإن قلت : لماذا صارت هذه المسألة وهي فقهية تدرج في كتب العقيدة كما فعل البربهاري ؟؟

قلنا : نعم وحق له ذلك ، وهذا بسبب الخوارج الذين أنكروا بإطلاق أن تدفع الزكاة إلى الأمراء وليس الأمر هكذا بإطلاق ، ولهذا أدرجها كثير من الأئمة في كتب العقيدة ردا عليهم ، من ذلك :

ما قاله الكرماني في السنة (٢٨) : ودفع الخراج والصدقات والأعشار والفيء والغنيمة إلى الأمراء عدلوا فيها أم جاروا) .

وقال ابن أبي زمنين في السنة (ص٢٨٥) : (ومن قول أهل السنة أن دفع الصدقات إلى الولاة جائز ، وأن الله قد جعل ذلك إليهم في قوله : أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وفي قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها).

وأصل هذه العبارات التي في كتب العقائد ، قالها السلف الأوائل من قبل ثم أخذها أهل الحديث عنهم بعد ذلك وليست جديدة : ففيما رواه ابن زنجويه في الأموال (٢١٤٣) والطحاوي في مختصر اختلاف العلماء (٢٩٩/٣) والمحلى (٨٦/١٢) : عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مُسْلِمٌ كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْخُذَ عَنْهُ قَالَ : هُوَ عَالِمٌ فَخُذُوا عَنْهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : **الزَّكَاةُ وَالْحُدُودُ وَالْفَيْءُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى السُّلْطَانِ**)

وروى ابن زنجويه (٢١٤٤) والطحاوي (٢٩٩/٣) والمحلى (٨٦/١٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَيْرِيزٍ قَالَ **الْحُدُودُ وَالْفَيْءُ وَالْجُمُعَةُ وَالزَّكَاةُ إِلَى السُّلْطَانِ** »

روى بن زنجويه (٢١٦٧) والطحاوي في اختلاف العلماء (٢٩٨/٣) وفي المحلى (٨٦/١٢) عَن الحسن أنه قَالَ : **أَرْبَعٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِإِمَامٍ : الْحُدُودُ ، وَالْقَضَاءُ ، وَالْجُمُعَةُ ، وَالزَّكَاةُ** .

[٨٤] واعلم أن أول الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (١).

(١) خلافا للخوارج وأهل الرأي والأشعرية كما سيأتي ، وهذا أول واجب على العبد إذا أراد أن يسلم ، ويُعطى الإسم الظاهر ويكون بذلك جُنَّة له وحصانة تحميه وأمواله ، وله ما للمسلمين وما عليهم ، وفي هذا عدة أدلة واضحة من السنة منها : الحديث الذي يعتبرا أصلا في هذا الباب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى**) وحديث أسامة بن زيد حينما قتل رجلا تلفظ بالشهادة خوفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : **يَا أُسَامَةُ ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟؟** [البخاري (٤٢٦٩) و (٦٨٧٢) ، ومسلم (٩٦)] **علق عليهما الشافعي في الأم (٦/١٧٠)** : وَهَذَا مُوَافِقٌ مَا كَتَبْنَا قَبْلَهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَبَيَّنَ أَنَّهُ إنَّمَا يَحْكُمُ عَلَى مَا ظَهَرَ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَلِيُّ مَا غَابَ لِأَنَّهُ عَالِمٌ بِقَوْلِهِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَكَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا ذَكَرْنَا وَفِي غَيْرِهِ فَقَالَ {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ٥٢] وَقَالَ عُمَرُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لِرَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ بِمَا شَاءَ اللَّهُ فِي دِينِهِ " أَمُؤْمِنٌ أَنْتَ ؟ " قَالَ نَعَمْ قَالَ " إنِّي لَأَحْسِبك مُتَعَوِّذًا " قَالَ أَمَّا فِي الْإِيمَانِ مَا أَعَاذَنِي؟ فَقَالَ عُمَرُ بَلَى «وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي رَجُلٍ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَخَرَجَ أَحَدُهُمْ مَعَهُ حَتَّى أَثْخَنَ الَّذِي قَالَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَآذَتْهُ الْجِرَاحُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ» . وَلَمْ يَمْنَعْ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَا اسْتَقَرَّ عِنْدَهُ مِنْ نِفَاقِهِ وَعُلِمَ إنْ كَانَ عَلِمَهُ مِنْ اللَّهِ فِيهِ مِنْ أَنْ حَقَنَ دَمَهُ بِإِظْهَارِ الْإِيمَانِ. ...) اهـ

روى اللالكائي في السنة (٢٣١٤) عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ قُرْطٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِلْخَوَارِجِ حِينَ أَخَذُوهُ بِالْأَهْوَازِ : ارْضُوا مِنِّي بِمَا رَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَسْلَمْتُ ، قَالُوا : وَمَا رَضِيَ بِهِ مِنْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : أَتَيْتُهُ **فَشَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ: فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنِّي** ، قَالَ : فَأَبَوْا ، فَقَتَلُوهُ .

روى البخاري (٤٠١٩) ومسلم (١٥٠) عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِ اخْتَلَفْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ضَرْبَتَيْنِ فَقَطَعَ يَدِي ، فَلَمَّا أَهْوَيْتُ إِلَيْهِ لِأَضْرِبَهُ **قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** أَأَقْتُلُهُ أَمْ أَدَعُهُ ؟ قَالَ: «**بَلْ تَدَعُهُ**» قُلْتُ: فَإِنْ قَطَعَ يَدِي ؟ قَالَ : «وَإِنْ فَعَلَ» فَرَاجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **إِنْ قَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَنْتَ مِثْلُهُ** قَبْلَ أَنْ يَقُولَهَا ، وَهُوَ مِثْلُكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ " وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي زُهْرَةَ .

(قلت) ومثله رويت قصص عن عمران بن حصين وقبيصة بن ذؤيب بنفس العلة ، **علق الإمام الشافعي في الأم على هذا الحديث (٦/١٧٠)** : فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ دَمَ هَذَا بِإِظْهَارِهِ الْإِيمَانَ فِي حَالِ خَوْفِهِ عَلَى دَمِهِ وَلَمْ يُبِحْهُ بِالْأَغْلَبِ أَنَّهُ لَمْ يُسْلِمْ إلَّا مُتَعَوِّذًا مِنْ الْقَتْلِ بِالْإِسْلَامِ .

روى مالك في الموطأ (٥٩٢) عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ « أَنَّ رَجُلًا سَارَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَلَمْ نَدْرِ مَا سَارَّهُ بِهِ حَتَّى جَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَإِذَا هُوَ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنْ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ بَلَى وَلَا شَهَادَةَ لَهُ قَالَ : أَلَيْسَ يُصَلِّي ؟ قَالَ بَلَى وَلَا صَلَاةَ لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْهُمْ » **علق الشَّافِعِيّ في الأم (٦/١٧١)** : فَأَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْتَأْذِنَ فِي قَتْلِ الْمُنَافِقِ إذَا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ أَنَّ اللَّهَ نَهَاهُ عَنْ قَتْلِهِ وَهَذَا مُوَافِقٌ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّ الْإِيمَانَ جُنَّةٌ وَمُوَافِقٌ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحُكْمَ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ.

وروى **ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٣٨١/١٦٦)** عن سوار بن شبيب قال : جاء رجل إلى ابن عمر فقال : إن ههنا قوما يشهدون علي بالكفر، فقال : ألا **تقول لا إله إلا الله فتكذبهم** .

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة ، وليس كما تقول الأشعرية الكافرة أن أول واجب على الناس النظر كما هو قول الأشعري فيما ذكره السجزي في رسالته لأهل زبيد (ص٢٠٨) ، ومن الغريب أن رسالة الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب في أولها عبارة مشتبهة بقول الأشعرية حين قال : **أول واجب على العبيد هو معرفة الرب !!** وأعجب من هذا قول الطبري في كتابه التبصير بنحو هذا أيضا حين ذكر أن أول واجب هو المعرفة بالأدلة **!!** فلينتبه السني لمثل هذه الإطلاقات المشبوهة .

وليس كما يقول أبو حنيفة وتلقته عنه الخوارج اليوم أنه يجب على كل من دخل في الإسلام أن يصرح بالكفر بكل دين باطل أوبالدين الذي كان عليه من اليهودية أو النصرانية وغير ذلك وأنه لا يكفي الإسلام الظاهر (الشهادتين) للدخول إلى الإسلام **!!**

ففيما **روى الخلال في أحكام أهل الذمة (٨٤٢)** عن إسحاق بن منصور قَالَ : سألت أحمد عن الرجل يعرض عَلَيْهِ الإسلام يقر ويشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، أيرثه وارثه من الإسلام ؟ قَالَ : نعم ، ومن نقل غير هذا ، هؤلاء فِي مذهبهم لا ينبغي أن يكون هكذا ، ولكن العجب ، أي ، لا يدفعون..

روى الخلال عن المروذي قَالَ : دخلت عَلَى أبي عبد الله وعنده يهودي ، قد أسلم عَلَى يديه ، فقلت له : ما قلت يا عبد الله ؟ قَالَ : قُلْتُ : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتؤمن بالبعث ، والجنة والنار ، ثم قَالَ أبو عبد الله : هؤلاء أصحاب أبي حنيفة ، يقولون : لا يكون مسلما حتى يقول : إني خارج من اليهودية ، داخل الإسلام **!!**

قال الخلال وعن مهنا قَالَ : سألت أحمد عن رجل من أهل الذمة يهودي ، أو نصراني ، أو غير ذلك من الأديان يقول : أنا مسلم ، وإن محمدا نبي ؟ قَالَ : هو مسلم ، ثم قَالَ : أما أنا فكنت أجبره عَلَى الإسلام ، وَقَالَ : عجبا لأبي حنيفة بَلَغَنِي عنه أنه يقول : لا يكون مسلما حتى يقول : أنا بريء من الكفر الَّذِي كنت فِيهِ ، وإلا فلا يكون مسلما ولا يجبر عَلَى الإسلام حتى يقول : وإني بريء من الكفر **!!** وَقَالَ أبو عبد الله : النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعمه : **أدعوك إلى كلمة أشهد لك بِهَا عند الله : لا إله إلا الله ، وأني رسول الله** " واحتج بأحاديث ليس فِيهَا ما ذكره يعني أصحاب أبي حنيفة وأخرج أحاديث ...

وَقَالَ المروذي فِي موضع آخر : سمعت أبا عبد الله يقول : كنت عند أبي معاوية ، فَقَالَ له رجل : إن أبا حنيفة يقول : إذا أسلم الذمي لا يكون مسلما حتى يقول : إني خارج من الكفر ، داخل فِي الإسلام ، فأنكر أبو معاوية ، وجعل لا يصدق **!!** وأراه قَالَ : فأرسل إلى رجل من أصحاب أبي حنيفة فإذا هو كما قَالَ الرجل..**!!**) اهـ

قال الخلال :.... فقلنا له : قَالَ ذاك عندنا رجل بطرطوس ، فقال فِيهِ ابن شيبويه : رأيته قد أسلم ، وَقَالَ غيره : لا ، حتى يقول : برئت من النصرانية وتركت ديني ، فَقَالَ : سبحان الله **!** لقد قَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لرجل : قل : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فأسلم بذاك ، ثم قَالَ : كل من نظر فِي رأي أبي حنيفة إلا كان دغل القلب يذهب إليه .

روى الخلال (٨٤٦) عن إسحاق بن منصور قَالَ : قلت لإسحاق بن راهويه : جاء رجل من أهل الذمة ، فَقَالَ : اعرض علي الإسلام ، قَالَ : فإن السنة فِي ذلك أن يعرض عَلَيْهِ يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأقر بما جاء من عند الله ، وبرئت من كل دين سوى دين الإسلام ، **فهذا العرض التام الَّذِي أجمع العلماء عَلَى قبول ذلك ،** وصيروه دخولا فِي الإسلام ، وبراءة من الشرك ، فإذا اقتصر العارض عَلَى المشرك **الإسلام عَلَى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فهذا دخول فِي الإسلام** ، وإذا كان ذلك عَلَى معنى الدخول فِي الإسلام كما قَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

[٨٥] وأن ما قال الله كما قال ، ولا خلف لما قال ، وهو عند ما قال (١).

[٨٦] والإيمان بالشرائع كلها (٢).

= وَسَلَّمَ ، حين دخل عَلَيْهِ مدارس اليهودي ، فعرض عَلَى اليهودي الإسلام ، قَالَ هذا ، فلما قَالَ مات اليهودي ، قَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **صلوا عَلَى صاحبكم** " وإنما احتطنا أن يكون الَّذِي يعرض عَلَى الذمي الإسلام يعرض عَلَيْهِ الخصال الأربع ، لأن **لا يكون عَلَيْهِ خلاف من العلماء** ، وَقَالَ أبو عبد الله : النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعمه أبي طالب : " أدعوك إلى كلمة : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله " وَقَالَ النبي ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للغلام اليهودي : **يا غلام ، قل : لا إله إلا الله ، وأني رسول الله** " وجعل أبو عبد الله ينكر **قول أبي حنيفة** .

(**قلت**) وسيأتي مزيد تفصيل في الفقرة (١٤٢) عند مسألة المحنة التي ذكرها المؤلف ، ولي في هذا الباب كتاب كبير باسم : [**الجواب الباهر في الرد على بدعة التكفير بالعموم وقبول الإسلام الظاهر**] راجعه في قناتي على التلجرام والمدونة ، فإن فيه جمع للأحاديث والآثار وكلام أهل الحديث المتقدمين في هذا .

[**تنبيه**] هناك عبارة مربكة في في رسالة الأصول الثلاثة ظاهرها موافقة الأشعرية في أصلهم المتعلق بأول واجب هو النظر والأدلة وهي عبارة : (**ويجب علينا تعلم** أربع مسائل: الأولى : العلم ، وهو : **معرفة الله** ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام **بالأدلة**) !! وهذه عبارة مشكلة فليعاد تحريرها ، فإنها تكاد تشبه كلام الأشعرية السابق **!!** .

(١) هذه الفقرة تحتمل معنيين : **الأول** : أن معناه فيه إشارة لقضية الوعد والوعيد التي عند المعتزلة ، والمؤلف أراد الرد عليهم في ذلك وأن من وعد الله ثوابا على عمل عمله بفضل من الله ونعمة ولا يوصف الله بأنه يخلف وعده لقوله تعالى : { **إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**} لكن لم يبين المؤلف أن من أوعده عذابا على ذنب أذنبه بأنه تحت المشيئة ، وأن الوعيد حق له ، وترك الوفاء بالوعيد كرم وجود ، وربنا موصوف بالجود والكرم ، وكيف لا يحسن من الله العفو عن الذنب وقد أمرنا به وحظنا عليه ومدح فاعله قال الله تعالى {**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا**} وقال تعالى {**وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**} قال {**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**} وأخبر عن نفسه بالعفو فقال {**وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ**} وفي ذلك قصة مشهورة بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد المعتزلي ذكرها بطولها ذاك العمراني في كتابه الإنتصار في الرد على المعتزلة (٣/٦٨٦).

والاحتمال الثاني : أن البربهاري يقصد أنه يجب على المسلم أن يعلم أن ما قاله الله فهو كما قال ، خاصة في باب الأخبار من العقائد والتوحيد والصفات ونحوها ، فلا يحرف كلام الله ولا ينبغي لأحدٍ أن يخلف ما قال الله ، وهو بهذا يرد على الجهمية التي حرفت النصوص ولم تمرها كما جاءت ، **وقد روى الخلال في السنة (١٠٢٦)** **قِيلَ لِلْحَسَنِ**: يَا أَبَا سَعِيدٍ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تُصَدِّقَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا قَالَ »

(٢) وهذا أيضا يحتمل معنيين : **الأول** : أنه يقصد بالشرائع أي الديانات السماوية كلها التي نزلن في الكتب السابقة على الرسل لقوله تعالى {**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**} فلا يكفي الإيمان بشريعة محمد صلى الله إليه وسلم حتى يؤمن ويصدق بالشرائع التي أنزلها كلها إجمالا ، وبشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بالتفصيل الذي يجب عليه من

[٨٧] واعلم أن الشراء والبيع حلال إذ ما بيع في أسواق المسلمين حكم الكتاب والإسلام والسنة (١) من غير أن يدخله تغيير أو ظلم أو جور أو خلاف للقرآن أو خلاف للعلم (٢) .

= القدر الذي لا يتم إسلامه إلا به ، **ففي شعب الإيمان (٢١٥٥)** عَن الْحسن قَالَ : أنزل الله مائَة وَأَرْبَعَة كتب أودع علومها أَرْبَعَة مِنْهَا التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل ..) .

الثاني : يحتمل أنه يقصد بالشرائع أي الفرائض والواجبات التي فرضها الله على عباده من صلاة وزكاة وحج وصوم وغير ذلك ، وهذا تعبير مستعمل كثيرا في زمن السلف كما هو عند أبي عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان ، والشافعي في الأم ويستعمله أيضا الطبري والمروزي كثيرا في كتبهم وإسحاق بن راهوية فيما ينقل عنه المروزي ، وابن بطة في الإبانة ، وكل ذلك يذكرونه حينما يتكلمون عن الإيمان ونزول الفرائض ، وقد روي حديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عليا لليمن وقال (**علمهم الشرائع واقض بينهم**) [رواه الحاكم (٧٠٠٣) وصححه ونحوه الآجري من طريق آخر (١٥٥٣)]

ومثل ذلك أيضا ما روى **أبو نعيم في الحلية (٣٧٦/١٠)** عن أبي عَمْرٍو الزَّجَّاجِيَّ يقال «كَانَ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَتَّبِعُونَ مَا تَسْتَحْسِنُهُ الْعُقُولُ وَالطَّبَائِعُ فَرَدَّهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى **اتِّبَاعِ الشَّرَائِعِ** ، فَالْعَقْلُ الصَّحِيحُ مَا يَسْتَحْسِنُ مَحَاسِنَ الشَّرِيعَةِ وَيَسْتَقْبِحُ مَا تَسْتَقْبِحُهُ » ولعل البربهاري هذا ما يقصد ، بدليل أنه لم يفصل في كلامه ، لأنه لو قصد الإحتمال الأول لاضطر للتفصيل في الكلام فيكون معنى كلامه على هذا (أنه يجب الإيمان بجميع ما أنزله الله من الفرائض بداية من الشهادتين والصلاة إلى غير ذلك مما افترضه الله علينا وأوجبه في كتابه وسنة رسوله) فيكون بهذا يقصد به الرد على طوائف الزنادقة والمرتدين ممن أنكروا بعض الفرائض أو امتنعوا عنها كما وقع لمانعي الزكاة وغيرهم .

(١) وهذه العبارة متداولة بين السلف بكثرة في الكتب التي تحكي أصول أهل السنة ، وحكاها إجماعا كل من :

الإمام الشافعي في عقيدته قال : والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة .[صفة العلو لابن قدامة (٩٢) واجتماع الجيوش (ص٢٤٠)] **والإمام أحمد في** رواية الأندراني قال : والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة على حكم الكتاب والسنة.[طبقات الحنابلة ٢٩٣/٢، ٢٩٥)] **وقال حرب الكرماني في عقيدته (٨٥)** التي نقل فيها إجماع من لقيهم من أهل العلم: ومن حَرَّمَ المكاسب والتجارات ، وطلب المال من وجوهها فقد أخطأ وخالف، بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلَّه الله ورسوله والعلماء من الأمة) اهـ .

وقال ابن بطة في الإبانة الصغرى (٥٢٥) أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أباحَ الكسبَ والصِّناعةَ والتجّارةَ على حُكمِ الكتاب والسُّنةَّ إلى أن تقومَ السَّاعةُ . [ونقله إجماعا أيضا الأصبهاني التيمي في الحجة (٢٨٦/٢) بنفس العبارة تقريبا] .

(٢) هذا الأصل مأخوذ من قوله تعالى (**وأحل الله البيع**) فالأصل في بيوع المسلمين هو الحل واللزوم ، ما لم يختل فيه شرط من الشروط المفسدة للعقد ، والأصل في البيوع الصحيحة **ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله** ـ في كلمة جامعة ـ **في الأم (٣/٣)** : وجماع ما يجوز به البيع عاجلاً وآجلاً أن يتبايعا عن تراضٍ منهما ، ولا يعقداه بأمر منهي عنه ، ولا على أمر منهي عنه ، فإذا تفرقا عن تراضٍ منهما ، فقد لزم البيع ، وليس لأحدهما ردُّه إلا بخيار ، أو عيب يجده ، أو شرط يشرطه ، أو خيار الرؤية ، إن

جاز بيعُ خيار الرؤية) اهـ .

قال المروزي في السنة (١٦٤) قال الشافعي : وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : {**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**} وَقَالَ : {**لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**} فَأَجْمَلَ اللَّهُ إِحْلَالَ الْبَيْعِ وَتَحْرِيمِ الرِّبَا فِي كِتَابِهِ) اهـ

وقد تتم كل شروط البيع إلا أنه يكره بسبب البدعة **كما روى المروذي في الورع (١٧١١)** قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : أَمُرُّ بِقَرْيَةِ جَهْمِيٍّ وَلَيْسَ مَعِي زَادٌ ، تَرَى أَنْ أَطْوِيَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، اطْوِ وَلَا تَشْتَرِ مِنْهُ شَيْئًا» وَقَالَ الْمَرُّوذِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قُلْتُ : أَبِيعُ الثَّوْبَ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي أَكْرَهُ كَلَامَهُ وَمُبَايَعَتَهُ ، أَعْنِي الْجَهْمِيَّ ؟ قَالَ : « دَعْنِي حَتَّى أَنْظُرَ » . فَلَمَّا كَانَ بَعْدَمَا سَأَلْتُهُ عَنْهَا، قَالَ: « تَوَقَّ مُبَايَعَتَهُ » قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : فَإِنْ بَايَعْتُهُ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ. قَالَ: « إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُرَدَّ الْبَيْعَ ، فَافْعَلْ » قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يُمَكِّنِّي ، أَتَصَدَّقُ بِالثَّمَنِ ؟ قَالَ: «أَكْرَهُ أَنْ أَحْمِلَ النَّاسَ عَلَى هَذَا، فَتَذْهَبَ أَمْوَالُهُمْ» قُلْتُ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟ قَالَ: «مَا أَدْرِي ، أَكْرَهُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فِيهِ بِشَيْءٍ » قُلْتُ: إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ مَذْهَبَكَ قَالَ : «أَلَيْسَ بِعْتَ وَلَا تَعْرِفُهُ ؟» قُلْتُ نَعَمْ قَالَ: «أَكْرَهُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فِيهِ بِشَيْءٍ ، وَلَكِنْ أَقَلُّ مَا هَاهُنَا أَنْ تَتَصَدَّقَ بِالرِّبْحِ ، وَتَوَقَّى مُبَايَعَتَهُمْ »

غير أن هناك ما يستثنى من هذا الأصل كالذبائح فالأصل فيها الحرمة حتى تستم الشروط لأنها أمرها يتعلق بعدة أشياء :

أولها الذابح فلابد يكون مسلما موحدا يكفر بالشرك وأهله خاصة في هذه الأزمان الأخيرة التي كثر فيها الشرك والمشركون في أوساط المسلمين خاصة في الأسواق من المذابح منها ، **ثانيا** أن يكون ذبح باسم الله على الطريقة الشرعية ، فإن اختل شرط فلا يصح أكلها ، وحال الذابح في أسواق المسلمين اليوم على ثلاث أنواع : **الأول** : معلوم الحال إما مسلم سني أو مشرك كافر فهذا النوع واضح المعاملة **الثاني** : مجهول الحال لا يعرف بإسلام ولا بكفر ، فهذا يجب التوقف في ذبيحته حتى يعلم حاله .

الثالث : مستور الحال : مسلم علمنا منه الظاهر فقط من الشهادة والصلاة ولا نعرف شيئا آخرا إلا الإسلام الظاهر ، فهذا في هذه الأزمان الأخيرة مع كثرة الجهل بالإسلام والشرك وانتشار النواقض فالمستحب التورع عن ذبيحته دون إنكار على من أكل منها إنما هو ورع خاص ، وقد ثبت الآثار في الورع لهذه النوع من الذابح عن عمر بن الخطاب وعامر بن عبد الله من الصحابة ، وجماعة من التابعين منهم طاووس وغيرهم وقد جمعت آثارهم في الباب في مقال اسمه : (**المأثور في ما رود من الآثار في ذبيحة المجهول والمستور**) ، كما أنه قد غلت الخوارج في هذا الباب وتجافوا عن أسواق المسلمين وزعموا أن الحرام طبق الأرض وشككت في بيوع المسلمين ، واحتج بعضهم بحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهِ الرِّبَا** » قَالَ : قَالُوا : النَّاسُ كُلُّهُمْ ؟ قَالَ : **مَنْ لَمْ يَأْكُلْهُ مِنْهُمْ نَالَهُ مِنْ غُبَارِهِ** » [رواه البزار في المسند (٩٥٦٢) وأبو عمرو الداني في الفتن (٢٤٠) **وهو حديث باطل** مسلسل بالعلل لا يحل الإحتجاج به]

وتساهلت بعض المرجئة في هذا أيضا وأباحت كل بيع بلا ضابط ، وميعوا البيوع ، والبربهاري رد على كل منهما ببيان أصل البيع وشروطه . [وللمزيد : راجع الأوسط لابن المنذر في أنواع المكاسب المباحة (٦٣٥/١٠)]

[٨٨] واعلم – رحمك الله – أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبدا ما صحب الدنيا ، لأنه لا يدري على ما يموت ، وبما يختم له ، وعلى ما يلقى الله ، وإن عمل كل عمل من الخير ، وينبغي للرجل المسرف على نفسه أن لا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت ، ويحسن ظنه بالله تبارك وتعالى ويخاف ذنوبه ، فإن رحمه الله فبفضل ، وإن عذبه فبذنب (١).

---

(١) وعلى هذا يدور المؤمن بين مخافتين ، مخافة اليأس والقنوط من رحمة الله ، ومخافة الأمن من مكر الله وبما يختم له ، وقُرنت هاتين المخافتين مع الشرك والكبائر ، ولهذا ذكرت في كتب العقائد قال تعالى (**فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون**) وفي المقابل قال تعالى (**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**) وفي كل ذلك لا يترك حسن الظن بالله تعالى ، فقد روى البخاري (٧٤٠٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ كُلَّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رَحْمَتِهِ **لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الرَّحْمَةِ** ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ **لَمْ يَأْمَنِ النَّارَ** »

وقد روى معمر في جامعه (١٩٧٠١) وعَبْدُ الرَّزَّاقِ في تفسيره (٥٥٦) والطبري في تفسيره (٩١٩٠) وغيرهم من طرق وبسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : « أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ » وثبت مثل هذا **عن ابن عباس** فيما روى الطبراني في الكبير (١٣٠٢٣) والبيهقي في الشعب (٢٨٧) **ومحمد بن كعب القرظي** عند أبي نعيم في الحلية (٣/٢١٦)

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤١٣) عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بلغني إِنَّ نوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ لابنه سام : يا بني ، لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من الشرك بالله فإنه من يأت الله عزّ وجل مشركًا فلا حجة له ، ويا بني لا تدخل القبر وفي قلبك مثقال ذرة مِنَ الكبر فإن الكبر رداء الله ، فمن ينازع الله رداءه يغضب الله عليه ، ويا بني لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من القنوط **فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا ضال.**

روى ابن المبارك في الزهد (٣٠٤) والبيهقي في الشعب (١٠٠٩٧) وابن أبي الدنيا في قصر الأمل (١٩٠) عنِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : طَلَبْتُ خُطَبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجُمُعَةِ فَأَعْيَتْنِي فَلَزِمْتُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لَكُمْ عِلْمًا فَانْتَهُوا إِلَى عِلْمِكُمْ ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ ، **فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ** بَيْنَ **أَجَلٍ قَدْ مَضَى** ، لَا يَدْرِي كَيْفَ صَنَعَ اللَّهُ فِيهِ ، وَبَيْنَ **أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا** يَدْرِي كَيْفَ اللهُ بِصَانِعٍ فِيهِ ، فَلْيَتَزَوَّدِ الْمَرْءُ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنَ الشَّبَابِ قَبْلَ الْهَرَمِ، وَمِنَ الصِّحَّةِ قَبْلَ السَّقَمِ ، فَإِنَّكُمْ خُلِقْتُمْ لِلْآخِرَةِ وَالدُّنْيَا خُلِقَتْ لَكُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ وَمَا بَعْدَ الدُّنْيَا دَارٌ إِلَّا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ. [**قلت** سنده فيه انقطاع ، ولكن بابه الزهد الذي لا يشتدد فيه مع رواية ابن المبارك له في كتبه بلاغا وهو قد كان لا يروي ما لا أصل له كما صرح ، وقد روي مثله أبو نعيم في الحلية (٢/١٣٢) عن الْحَسَنُ من كلامه أيضا]

روى مسلم (٢٦١٩) قَالَ الزُّهْرِيُّ وَحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ ."

قَالَ الزُّهْرِيُّ : ذَلِكَ **أَنْ لَا يَتَّكِلَ رَجُلٌ ، وَلَا يَيْأَسَ رَجُلٌ** . "

روى اللالكائي (٢٠١٣) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُطَرِّفٍ قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَيْنَ الَّذِي يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ ثُمَّ يُذْنِبُ فَيَسْتَغْفِرُنِي، ثُمَّ يُذْنِبُ فَيَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ، وَلَا هُوَ يَتْرُكُ ذَنْبَهُ وَلَا **هُوَ يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَتِي** أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ »

وروى ابن الضريس فس فضائل القرآن (٦٩) وأبو نعيم في الحلية (٧٧/١) عَنْ عَلِيٍّ قَالَ « أَلَا إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ الَّذِي لَا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَلَا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، وَلَا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ ، وَلَا يَدَعُ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ » وروى (٢٩٨/٧) سُئِلَ سُفْيَانُ عَنْ قَوْلِ عَلِيٍّ فَقَالَ : صَدَقَ لَا يَكُونُ التَّرْخِيصُ إِلَّا فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَلَا التَّقْنِيطُ إِلَّا فِيمَا مَضَى ".

روى البيهقي في الشعب (٨٤١) وأبو نعيم في الحلية (٣١١/٩) عن إِسْحَاقَ بْنَ خَلَفٍ يَقُولُ : لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لِظَهْرِ إِبْلِيسَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ آدَمَ لَيْتَ شِعْرِي بِمَا يُخْتَمُ لِي؟ قَالَ: عِنْدَهَا يَيْأَسُ مِنْهُ وَيَقُولُ: مَتَى يُعْجَبُ هَذَا بِعَمَلِهِ "

وروى أبو نعيم في الحلية (١٢١/١٠) والبيهقي في الشعب (٨٤٠) والخطيب في الزهد والرقائق (٩٥) وتاريخ بن عساكر (١٩١/٢٠) عن السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ يَقُولُ : قُلُوبُ الْأَبْرَارِ مُعَلَّقَةٌ بِالْخَوَاتِيمِ وَقلوبُ الْمُقَرَّبِينَ مُعَلَّقَةٌ بِالسَّوَابِقِ أُولَئِكَ يَقُولُونَ مَاذَا مِنَ اللهِ سَبَقَ لَنَا ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ بِمَا يُخْتَمُ لَنَا ."

وروى أبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢٩٥/٢) والبيهقي في الشعب (٨٣٩) وتاريخ الإسلام (٣٨٠/١٤) عن مُحْسِنَ بْنَ مُوسَى يَقُولُ : كُنْتُ عَدِيلَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ إِلَى مَكَّةَ فَرَأَيْتُهُ يُكْثِرُ الْبُكَاءَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، بُكَاؤُكَ هَذَا خَوْفًا مِنَ الذُّنُوبِ ؟ قَالَ : فَأَخَذَ عُودًا مِنَ الْمَحْلِ فَرَمَى بِهِ فَقَالَ : إِنَّ ذُنُوبِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ هَذَا ، وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أُسْلَبَ التَّوْحِيدَ "

وروى البيهقي في الشعب (٨٣٥) والقضاء والقدر (٥٦٦) وتاريخ دمشق (٤٣٧/٣٢) والسير لذاك لذهبي (٨/ ٣٥٩) وتاريخ الإسلام (٢٢٨/١٢) عن ابْنُ الْمُبَارَكِ قال : إِنَّ الْبُصَرَاءَ لَا يَأْمَنُونَ مِنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ الرَّبُّ فِيهِ ، وَعُمْرٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَاذَا فِيهِ مِنَ الْهَلَكَاتِ ، وَفَضْلٍ قَدْ أُعْطِيَ لَعَلَّهُ مَكْرٌ وَاسْتِدْرَاجٌ وَضَلَالَةٌ وَقَدْ زُيِّنَتْ لَهُ فَيَرَاهَا هُدًى وَمَنْ زَيَّغَ الْقَلْبَ سَاعَةً سَاعَةً أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ قَدْ يُسْلَبُ دِينَهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ."

وروى البيهقي (٨٢٥) عن الْجُرَيْرِيَّ يَقُولُ : سُئِلَ الْجُنَيْدُ هَلْ يَسْقُطُ الْخَوْفُ عَنِ الْعَبْدِ ؟ قَالَ : لَا مَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْلَمَ بِاللهِ كَانَ لَهُ أَشَدَّ خَوْفًا وَالْخَائِفُونَ عَلَى طَبَقَاتٍ : خَائِفٌ مِنَ الْأَجْرَامِ وَخَائِفٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَنْ لَا تُقْبَلَ وَخَائِفٌ مِنَ الْعَوَاقِبِ قَالَ تَعَالَى {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} **روى البيهقي (٨٢٣)** عن يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ قال : كَيْفَ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُ فِي دَارِ الدُّنْيَا ، إِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً خَافَ أَنْ يُؤْخَذَ بِهَا وَإِنْ عَمِلَ حَسَنَةً ، خَافَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ إِمَّا مُسِيءٌ وَإِمَّا مُحْسِنٌ ."

وقال حاتم الأصم : من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر فلا يأمن الشقاء : **الأول**: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي ، فلا يعلم في أي الفريقين كان. **والثاني** : حين خلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملَك بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء ، **والثالث** : ذكر هول المطلع، فلا يدري أيُبَشَّر برضا الله أم بسخطه. **والرابع** : يوم يصدر الناس أشتاتًا، فلا يدري أي الطريقين يسلك به . [التبصرة (٨٣/١)]

فائدة : وقد ضمن ابن بطة كلامه شيخه في الإبانة الصغرى فقال : وأجمعت الأمة لا خلاف بينهم : أن الله عزوجل قد افترض على الخلق : الخوف والرجاء ، وأنه دعا عباده بالرغبة والرهبة) اهـ

[٨٩] والإيمان بأن الله تبارك وتعالى ، أطلع نبيه على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة (١).

[٩٠] واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي (٢)

---

(١) **وذلك لحديث حُذَيْفَةَ قَالَ** : (قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا **فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ** فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ) [مسلم (٢٨٩١) والبخاري (٦٦٠٤)]

وأخرجه أبو داود (٤٢٤٣) عن حذيفة بن اليمان قال : والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا ؟ والله ما ترك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قائد فتنة **إلى أن تنقضي الدنيا** يبلغ من معه ثلاث مئة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

وفي لفظ البزار (٢٨١٦) : (ثُمَّ عَادَ إِلَى مَقَامِهِ **فَحَدَّثَنَا بِمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ لَدُنْ مَقَامِهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ** مَا مِنْ أَمِيرٍ عَلَى مِائَةٍ فَأَعْلَى ضَلَّ وَلَا اهْتَدَى إِلَّا وَقَدْ سَمَّاهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَفِظَ مَنْ حَفِظَ ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ) .

ولحديث اختصام الملأ والكفارات والدرجات الذي رواه ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ **فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ..) الحديث [رواه تفسير عبد الرزاق (٢/١٦٩) وأحمد (٣٤٨٤) وأخرجه عبد بن حميد (٦٨٢) ، والترمذي (٣٢٣٣) وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٩) وأبو يعلى (٢٦٠٨) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٣٢٠) والآجري في الشريعة (ص٤٩٦) وغيرهم وفي سنده اضطراب واختلف في صحته كثيرا وقد صححه بعض أهل الحديث]

ولحديث عائشة : يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَاللهِ **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ** ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » [رواه مالك في الموطأ (١٩٨) وقد رواه جمع من الصحابة منهم أنس وأبو الدرداء وأبو هريرة وأبو ذر وغيرهم] وفي رواية أبي ذر : (**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ**) **ولحديث جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ قَالَ** : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَقَالَ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ** » ... الحديث [رواه ابن المبارك في الزهد (٤٩٨) والدارمي في سننه (٧٩) وغيرهم بسند جيد]

وقد بلغني أن ذاك النجمي لما شرح البربهاري ووصل عند هذه الفقرة أنكرها وقال : كيف وهل يعلم النبي صلى الله عليه وسلم الغيب !! **(قلت)** ما هذا الفهم السقيم !! فالمقصود واضح جدا كما ذكرت في الأخبار التي مضت .

(٢) والحديث صحيح مشهور تلقته الأمة من أهل الحديث بالقبول ولا يطعن فيه إلا من في قلبه غل على أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر كما فعل ابن حزم الجهمي وقلده من قلده ، وقد روى الحديث جمع من الصحابة منهم : ابن مسعود وأنس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو هريرة وعوف بن مالك وأبو أمامة ومعاوية وأبو سعيد [رواه أحمد وأبو داود

والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن أبي عاصم وابن حبان والطبراني وابن بطة واللالكائي .

وقد قال الحاكم في المستدرك (٦/١) عن حديث افتراق الأمة : **"هذا حديث كبير في الأصول"** .

وقال أيضاً (١٢٨/١) : "هذه أسانيد تُقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث" .

ولهذا الحديث أصل من القرآن يدل عليه ، من ذلك قوله تعالى : (**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**) [١٠٦ آل عمران] وقول الله عزَّ وجلَّ {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**} [الأنعام: ١٥٣]. وَقَوْلِهِ {**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا**} [الأنعام: ١٥٩] وقوله تعالى { **إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ (٩٣)** } [الأنبياء: ٩٣] وقوله تعالى (**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**) (المؤمنون ٥٣)

وقد بوب ابن بطة لهذا الحديث في الإبانة الكبرى بقوله : (بَابُ ذِكْرِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ فِي دِينِهِمْ وَعَلَى كَمْ تَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَإِخْبَارُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا بِذَلِكَ قَالَ : « قَدْ ذَكَرْتُ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ مَا قَصَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ مِنَ اخْتِلَافِ الْأُمَمِ، وَتَفَرُّقِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَتَحْذِيرِهِ إِيَّانَا مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَذْكُرُ الْآنَ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ ، وَمَا أَعْلَمَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَوْنِ ذَلِكَ لِيَكُونَ الْعَاقِلُ عَلَى حَذَرٍ مِنْ مُسَامَحَةِ هَوَاهُ وَمُتَابَعَةِ بَعْضِ الْفِرَقِ الْمَذْمُومَةِ ، وَكَيْ يَتَمَسَّكَ بِشَرِيعَةِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ ، فَيَعَضَّ عَلَيْهَا بِنَوَاجِذِهِ ، وَيَضُمَّهَا بِجَنْبَيْهِ ، وَيَلْزَمَ الْمُوَاظَبَةَ عَلَى الِالْتِجَاءِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ ، فِي تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ ، وَمَعُونَتِهِ وَكِفَايَتِهِ ، فَإِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَلَّ مَنْ يَسْلَمُ لَهُ فِيهِ دِينُهُ ، وَالنَّجَاةُ فِيهِ مُتَعَذِّرَةٌ مُسْتَصْعَبَةٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ وَأَحْيَاهُ بِالْعِلْمِ) اهـ ، **ومن الأحاديث الآثار في هذا المعنى** :

حديث ابن مسعود قَالَ : خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا فَقَالَ: « **هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ** » ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: « هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا**} [الأنعام: ١٥٣]

[**صحيح** : أخرجه أحمد (٤١٤٢) والدارمي (٦٧/١) والنسائي في الكبرى (١١١٧٤) وغيرهم]

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٧٤) عَنْ زَاذَانَ قَالَ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى بِضْعٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، كُلُّهَا فِي الْهَاوِيَةِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ »

وروى ابن وضاح في البدع (٢٤٩) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٧٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَالنَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَنْتُمْ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، وَإِنَّ مِنْ أَضَلِّهَا وَشَرِّهَا وَأَخْبَثِهَا الشِّيعَةَ الَّذِينَ يَشْتِمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا »

وروى ابن بطة في الكبرى (٢٨١) والهروي في ذم الكلام (٧٢٠) وابن المبرد في جمع الجيوس والدساكر (١٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « مَنْ أَقَرَّ بِاسْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُحْدَثَةِ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ »

وروى أبو نعيم في الحلية (٩٢/٤) وابن بطة في الكبرى (٢٨٢) عَنْ مَيْمُونٍ قَالَ : إِيَّاكُمْ وَكُلَّ هَوًى يُسَمَّى بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ »

وقال مالك بن مِغْوَل : إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة ، فألحقه بأي دين شئت .[الإبانة ابن بطة (ص١٣٧)]

روى ابن البر في كتاب الانتقاء (ص٣٥) وترتيب المدارك (١/ ١٧٢) وسير السلف الصالحين للأصبهاني (١٠٤٦/١)

قال : جاء رجل إلى مالك فقال : يا أبا عبد الله ، أسألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ، قال مالك :

وهكذا كان الدين إلى خلافة عمر [الجماعة كلها] وهكذا كان في زمن عثمان ، فلما قتل عثمان جاء الاختلاف والبدع ، وصار الناس أحزابا وصاروا فرقا (١) فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير (٢) وقال به [وعمل به] ودعا الناس إليه ، فكان الأمر مستقيما حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة بني فلان (٣)

= ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، سل : قال : من أهل السنة ؟ قال : أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به ، لا جهمي ، ولا قدري ولا رافضي".

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : سُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ السُّنَّةِ ؟ قَالَ : هِيَ مَا لَا اسْمَ لَهُ غَيْرُ السُّنَّةِ ، وَتَلَا {**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**} [ذكره في الإعتصام للشاطبي (٨٤/١) ومدارج السالكين (١٧٩/٣)]

(١) وذلك لما رواه حُذَيْفَةَ قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ كَمَا قَالَ؟ فَقُلْتُ : أَنَا قَالَ فَقَالَ : إِنَّكَ لَجَرِيءٌ ، وَكَيْفَ ؟ قَالَ: قُلْتُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَجَارِهِ يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ». فَقَالَ عُمَرُ : لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ، قَالَ : قُلْتُ : مَالَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا ، قَالَ : فَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، بَلْ يُكْسَرُ ، قَالَ : ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَقَ أَبَدًا " قَالَ: قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ مَنِ الْبَابُ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا أَعْلَمُ أَنَّ غَدًا دُونَ اللَّيْلَةِ ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ قَالَ : فَهِبْنَا حُذَيْفَةَ أَنْ نَسْأَلَهُ مَنِ الْبَابُ ، فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ : سَلْهُ ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ : عُمَرُ .[رواه البخاري (٥٢٥) ومسلم (١٤٤)]

(**قلت**) وهذا الأثر يشعر أن الإختلاف سبق مقتل عثمان رضي الله عنه لا كما قال المؤلف رحمه الله ، فالإختلاف هو أحد أسباب قتل عثمان ، وكسر الباب بعد موت عمر رضي الله عنه ، لكن لعل المؤلف يقصد ، بداية الأفتراق الكبير والشر الواسع.

(٢) وهؤلاء هم أهل الحق والإخلاص واليقين أهل السنة الذين ينكرون الفتنة في أولها وهم المذكورين في رواه مسلم (١٤٤) عن حذيفة عن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا ، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا **فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ** مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ »

ومثله حديث أَنَسٍ المشهورَ : « **الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ الصَّدْمَةِ** » [رواه البخاري (١٢٨٣) ، ومسلم (٦٢٦)]

وروى نعيم في الفتن (١٢٣) عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ قَالَ : أَبْشِرُوا بِدُنْيَا عَرِيضَةٍ ، تَأْكُلُ إِيمَانَكُمْ ، **فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّهِ أَتَتْهُ فِتْنَةٌ بَيْضَاءُ مُسْفِرَةٌ** ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ عَلَى شَكٍّ مِنْ رَبِّهِ أَتَتْهُ فِتْنَةٌ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ ثُمَّ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ الْأَوْدِيَةِ سَلَكَ »

(٣) وأول تغيير كان في بني أمية الذين أحدثوا في الدين أشياء كثيرة منها إماتة الصلاة وظهرت عندهم فتن كثيرة ويكفي أنَّ منهم الحجاج ، حتى روى نعيم بن حماد (٣١٣) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قال : إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً تُفْسِدُهُ وَآفَةُ هَذَا الدِّينِ بَنُو أُمَيَّةَ »

انقلب الزمان وتغير الناس جدا ، وفشت البدع (١) وكثرت الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة ، ووقعت المحنة في شيء لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أصحابه ، ودعوا إلى الفرقة ونهى رسول الله عن الفرقة ، وكفر بعضهم بعضا ، وكل داع إلى رأيه ، وإلى تكفير من خالفه فضل الجهال والرعاع ومن لا علم له ، وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا ، فاتبعهم الخلق على خوف في دنياهم ورغبة [في] دنياهم ، فصارت السنة وأهلها مكتومين ، وظهرت البدعة وفشت ، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى (٢) ووضعوا القياس وحملوا قدرة الرب في آياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم [وآرائهم]

---

(١) ويقصد به خلافة بني العباس ابتداء من خلافة المعتصم (المنقصم) والواثق (الفاسق) وذاك المأمون (المأفون) ممن فتنوا الناس بالتجهم والمحنة والكفر الصريح ، وتُرجمت فيها كتب الفلسفة والمنطق وانتشر الرأي والإعتزال والعقليات والأهواء وسيطرت الجهمية في خلافتهم ، وانتشر الزنادقة ، وقامت دولة بني عبيد القرامطة الكافرة ، وظهرت المشاهد والقبب حول القبور وطغى الشرك والتصوف ، وانتشر السب والتكفير للصحابة والرفض والتشيع ، وصار فيه أهل السنة والحديث غرباء مطرودين ، قتل فيها من أهل الحديث ما الله به عليم ، بل البربهاري اضطهدوه وضايقوه وهددوه وعاش مطاردا ، حتى مات مختفيا في بيته والله المستعان ، وفي هذا يقول الدارمي عن كيفية تمكن الجهمية من السيطرة فقال **في كتاب النقض على المريسي** (ص٥٣٤) : فَلم يزالوا أَذِلَّةً مَقْمُوعِينَ ، لَا يُقْبَلُ لَهُمْ قَوْلٌ وَلَا يُلْتَفَتُ لَهُمْ إِلَى رَأْيٍ ، حَتَّى رَكَنُوا إِلَى بَعْضِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَمْ يُجَالِسُوا الْعُلَمَاءَ وَلَمْ يُزَاحِمُوا الْفُقَهَاءَ فَاخْتَدَعُوهُمْ بِهَذِهِ المحنة الملعونة حَتَّى أَكْرَهُوا النَّاسَ عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَالسِّيَاطِ ، فَلَمْ تَزَلِ الْجَهْمِيَّةُ سَنَوَاتٍ يَرْكَبُونَ فِيهَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِقُوَّةِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ الْمُحَادِّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ حَتَّى اسْتُخْلِفَ الْمُتَوَكِّلُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَطَمَسَ اللَّهُ بِهِ آثَارَهُمْ وَقَمَعَ بِهِ أَنْصَارَهُمْ حَتَّى اسْتَقَامَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى السُّنَّةِ الْأُولَى ، وَالْمِنْهَاجِ الْأَوَّلِ) اهـ

(٢) وقد كفرت الجهمية بعدة نواقض منها : تحريف الصفات ، ونفي العلو ، وقولهم أن لا كفر إلا بالجحود ، وبالقول بخلق القرآن وبفناء النار ، وبنشر الشرك ، وغيرها من النواقض ، ولهم كما قال الإمام أحمد سبعين مقالة كفرية وقد جمعتها في مقال مختصر باسم (**السبعينية في مسائل الجهمية**) نشرتها في قناة البحوث ، فلتراجع هناك .

وقد قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤١١) فَاحْذَرُوا يَا إِخْوَانِي رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَذَاهِبَ الْجَهْمِيَّةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ شِرْكٍ وَكُفْرٍ صُرَاحٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَذَاهِبَهُمْ قَدِ **اشْتَمَلَتْ عَلَى صُنُوفٍ مِنَ الْكُفْرِ** وَأَحَاطَتْ **بِأَنْوَاعٍ مِنَ الزَّنْدَقَةِ** مُفْرِطَةٍ قَبِيحَةٍ) اهـ

(**قلت**) ولهذا أجمع السلف على تكفيرهم بل وكفر من توقف فيهم ، حتى أتى ابن تيمية وأحدث بدعة المعين فيهم وخرق الإجماع القديم ، وجعل المتأخرين يدورون في دوامة (**المعين**) التي جعلت الشرك هواء لا يتجسم في شيء !! والله المستعان .

فما وافق عقولهم قبلوه وما لم يوافق عقولهم ردوه ، فصار الإسلام غريبا ، والسنة غريبة وأهل السنة غرباء في جوف [ديارهم] (١) .

[٩١] واعلم أن المتعة – متعة النساء – والاستحلال حرام إلى يوم القيامة (٢).

---

(١) ومن شاء أن يعرف صفة الغرباء من أهل الحديث والسنة ، وكيف كان حالهم آن ذاك ، فيقرأ كتاب (**الغرباء**) للآجري فإنه أحسن من وصف غربة السنة وأهلها ، وأيضا كتاب (**كشف الكربة في وصف أهل الغربة**) لابن رجب الحنبلي .

(٢) ومتعة النساء هي أن يتزوج المرأة على أجل معلوم يطلقها بعده ، فإن صرح بالأجل فهذه متعة صريحة وهي محرمة كما سيأتي من ذكر النصوص ، وإن أضمر النية في نفسه فهي أيضا متعة محرمة في حقه ، وليس على الزوجة وأهلها شيء إلا إذا عرفوا نيته بالقرائن ، فعندها يشاركونه في الإثم كما في **مسائل عبد الله (١٢٧٨) قال** : سَأَلت أبي عَن الرجل يتَزَوَّج الْمَرْأَة وَفِي نَفسه ان يطلقهَا ؟ قَالَ أكرهه هَذِه مُتْعَة) **وذكرها الكرماني في مسائله (٧٥)** وزاد : حدثنا محمود قال ثنا عمر قال : سألت الأوزاعي عن رجلٍ تَزَوَّجَ امرأة ، ومن نيته أن يطلقها ، وليس ثمة شرط ؟ قال: لا خير في هذا ، هذه متعة) .

(**قلت**) والروافض والمتصوفة تبيح هذه المتعة ، ولهذا انتشر عندهم الزنا والفواحش ، وأبناء الزنا واللقطاء ، وكل خبيث ، والأدلة على تحريم المتعة من الأحاديث والآثار كثيرة جدا ، أذكر منها الصحيح وما يقاربه ، وأعرض عن ذكر الضعيف فأقول :

أصل تحريم المتعة في القرآن في آيتين :

الأولى : في قوله تعالى {**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**} [المؤمنون: ٦]

روى الحارث بن أسامة في مسنده (٤٧٩) والحاكم (٣١٩٣) وصححه والبيهقي في السنن الكبرى (١٤١٧٤) بسند صحيح عن نَافِعُ بْنُ عُمَرَ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ : سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ فَقَالَتْ : بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَرَأَتْ هَذِهِ الْآيَةَ {**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**} [المؤمنون: ٦] فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ مَا زَوَّجَهُ اللهُ أَوْ مَلَّكَهُ فَقَدْ عَدَا " .

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٤٠٣٦) بسند صحيح عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: « إِنِّي لَأَرَى تَحْرِيمَهَا فِي الْقُرْآنِ » قَالَ : فَقُلْتُ : أَيْنَ ؟ قَالَ : فَقَرَأَ عَلَيَّ هَذِهِ الْآيَةَ : {**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ**} [المؤمنون : ٦]

الثانية : قوله تعالى (**محصنات غير مسافحات**) [النساء: ٢٥] وقد وصف ابن عمر كما سيأتي المتعة بالسفاح .

وروى أبو الفتح المقدسي في كتاب تحريم نكاح المتعة (٥٨) عَنْ قَتَادَةَ {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} قَالَ : الْمُسَافِحَاتُ : هِيَ الْبَغِيُّ الَّتِي تُؤَاجِرُ نَفْسَهَا مَنْ عَرَضَ لَهَا وَأَمَّا الْمُتَّخِذَاتُ الْأَخْدَانَ : فَذَاتُ الْخِدْنِ الْوَاحِدِ نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ نِكَاحِهَا جَمِيعًا ."

أما ما بثت من الأحاديث والآثار ـ ما يثبت حكم النسخ قطعا ـ فكثير ، **منها** : عَنْ عَلِيٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **نَهَى عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَعَنْ أَكْلِ لحوم الحمر الإنسية** . [رواه البخاري (٤٢١٦) ومسلم (١٤٠٧)]

وقد علق البخاري في صحيحه على بعض الأحاديث بقوله : وَقد بَينه عَليّ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **أَنه مَنْسُوخ** .

وعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم رَخَّصَ فِي مُتْعَةِ النِّسَاءِ ، فَأَتَيْتُهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ، **فَإِذَا هُوَ يُحَرِّمُهَا**

أَشَدَّ التَّحْرِيمِ ، وَيَقُولُ فِيهَا أشد القول . [أخرجه بسند صحيح : أحمد (٤٠٥/٣) وابن حبان (٤١٤٤) وغيرهم]

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: أَذِنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُتْعَةِ عَامَ الْفَتْحِ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى امْرَأَةٍ شابة كأنها بكرة عيطاء لنستمتع إليها ، فَجَلَسْنَا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ ، وَعَلَيَّ بُرْدٌ فَكَلَّمْنَاهَا وَمَهَرْنَاهَا بُرْدَيْنَا ، وَكُنْتُ أَشَبَّ مِنْهُ ، وَكَانَ بُرْدُهُ أَجْوَدَ مِنْ بُرْدِي ، فَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيَّ مَرَّةً ، وَإِلَى بُرْدِهِ مَرَّةً ، ثُمَّ اخْتَارَتْنِي ، فَنَكَحْتُهَا ، فَأَقَمْتُ مَعَهَا ثَلَاثًا ، **ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْهَا ففارقتها** . [مسلم (١٤٠٦)]

وفي رواية قال : أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ فِي هَذِهِ النِّسَاءِ ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ **حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْئًا فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا " .

روى البخاري في صحيحه (٥١١٥) أَنَّ عَلِيًّا قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « نَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ ؟ وفي لفظ : « إنك امرؤ تائه إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – **حرم المتعة** ، وحرم الحُمُر الأهلية عام خيبر »

- روى ابن ماجه (**١٩٦٣**) والبزار في المسند (٢٤٦/١) (٢٨٧،٢٨٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٦/٧) وتمام في فوائده (٨) والضياء في المختارة (٣٣١/١) وأبو الفتح المقدسي في تحريم نكاح المتعة (ص٧٤) وابن عساكر في تاريخه (٢٢٩/٤١) **بسند لا بأس به** عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَفْصٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : لَمَّا وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَذِنَ لَنَا فِي الْمُتْعَةِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ حَرَّمَهَا ، وَاللَّهِ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا يَتَمَتَّعُ وَهُوَ مُحْصَنٌ إِلَّا رَجَمْتُهُ بِالْحِجَارَةِ ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنِي بِأَرْبَعَةٍ يَشْهَدُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَحَلَّهَا بَعْدَ إِذْ حَرَّمَهَا »

(**قلت**) وذلك أن ابن عباس لم يسمع بالنسخ أولا فكان يفتي كما رواه عنه سعيد بن جبير أنه تجوز للضرورة القصوى كالمضطر للدم وللحم الخنزير لا مطلقا كما فهم عنه ، وقد رد عليه علي وابن عمر وغيرهم من الصحابة حتى رجع عن فتواه .

- **روى ابن أبي شيبة (١٧٠٧٢)** والبيهقي في سننه الكبرى (١٤١٧٣) وسنده صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ سُئِلَ عَنْ الْمُتْعَةِ ؟ فَقَالَ: «**حَرَامٌ**» فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يُفْتِي بِهَا ، فَقَالَ : « **فَهَلَّا تَزَمْزَمَ بِهَا فِي زَمَانِ عُمَرَ** »

وفي رواية ابن وهب في جامعه (٢٤٥) والبخاري في تاريخه الكبير (٣٢٦٦) والطبراني في الكبير (١٣١٤٥) والأوسط (٩٢٩٥) والبيهقي في السنن (٢٠٢/٧) ومستخرج أبي عوانة (٢٩/٣) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٣١١) بسند صحيح قال بن عمر : (أَمَا وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَهَى عَنْهَا** يَوْمَ حُنَيْنٍ وَمَا كُنَّا **مُسَافِحِينَ** .

روى ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٠٧٧) عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ عُمَرُ : « لَوْ أُتِيتُ بِرَجُلٍ تَمَتَّعَ بِامْرَأَةٍ ، **لَرَجَمْتُهُ إِنْ كَانَ أَحْصَنَ** ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحْصَنَ ضَرَبْتُهُ »

(**قلت**) ثم إن ابن عباس لما أعلمه علي بالنسخ والحرمة ، رجع عنها ، فيما رواه الترمذي والبيهقي .

قال ذاك البيهقي في السنن الصغير (٥٧/٣) : وقد روينا عن ابن عباس رجوعه .

(**قلت**) وقد كثر التشديد والردود على ابن عباس من جميع الصحابة حتى التابعين ، فكان ممن رد عليه وخطئه علي وابن عمر وجابر وأبو سعيد الخدري وابن صفوان وابن أبي عمارة الأنصاري وسعيد بن المسيب وغيرهم ، حتى صار الشعراء يكتبون فيها فلما علم ابن عباس أنه أخطأ نهى عنها .

روى الدولابي في الكنى (١٤٢٦) والطبراني في الكبير (١٠٦٠١) والبيهقي في الكبرى (١٤١٦٦) من طريق عَنْ

سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : مَا تَقُولُ فِي مُتْعَةِ النِّسَاءِ ؟ فَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهَا حَتَّى قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ قَالَ : وَمَا قَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ ؟ قُلْتُ : قَالَ الشَّاعِرُ :

قَدْ قُلْتُ لِلشَّيْخِ لَمَّا طَالَ مَحْبَسُهُ ... يَا صَاحِ هَلْ لَكَ فِي فُتْيَا ابْنِ عَبَّاسٍ؟

هَلْ لَكَ فِي رَخْصَةِ الْأَطْرَافِ آنِسَةٍ ... تَكُونُ مَثْوَاكَ حتى مصدر النَّاسِ

قَالَ : وَقَدْ قِيلَ الشِّعْرُ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ فَكَرِهَهَا وَنَهَى عَنْهَا . **وفي لفظ قال** : مَا هَذَا أَرَدْتُ ، وَمَا بِهَذَا أَفْتَيْتُ فِي الْمُتْعَةِ ، إِنَّ الْمُتْعَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِمُضْطَرٍّ أَلَا إِنَّمَا هِيَ كَالْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ" .

وروى البيهقي في الكبرى (١٤١٦٥) وأبو عوانة في مستخرجه (٤٠٥٧) بلفظ آخر فيه : ...كَانَ يُفْتِي بِالْمُتْعَةِ ، وَيَغْمِصُ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ ، فَأَبَى ابْنُ عَبَّاسٍ أَنْ يَنْتَكِلَ عَنْ ذَلِكَ .. حَتَّى طَفِقَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ يَقُولُ ...قَالَ : فَازْدَادَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهَا قَذَرًا وَلَهَا بُغْضًا حِينَ قِيلَ فِيهَا الْأَشْعَارُ.

وروى مسلم (١٤٠٥) وابن أبي شيبة (١٧٠٦٨) عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ أَوْطَاسٍ فِي الْمُتْعَةِ ثَلَاثًا ، **ثُمَّ نَهَى عَنْهَا** »

وروى سعيد بن منصور (٨٥٣) بسند صحيح عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مُتْعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا وَأُعَاقِبُ عَلَيْهِمَا : مُتْعَةُ النِّسَاءِ ، وَمُتْعَةُ الْحَجِّ ."

روى ابن أبي شيبة (١٧٠٧٥) عن ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ قال : سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ : « إِنَّ الذِّئْبَ يُكَنَّى أَبَا جَعْدَةَ أَلَا وَإِنَّ الْمُتْعَةَ هِيَ الزِّنَا » **ورواه البيهقي لافي السنن الكبرى (١٤١٦٤)** لفظ آخر : بسنده عن ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ قَالَ : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا" قَامَ بِمَكَّةَ فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا أَعْمَى اللهُ قُلُوبَهُمْ كَمَا أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ يُفْتُونَ بِالْمُتْعَةِ" وَيُعَرِّضُ بِالرَّجُلِ فَنَادَاهُ ، فَقَالَ: " إنك جِلْفٌ جَافٍ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتِ الْمُتْعَةُ تُفْعَلُ فِي عَهْدِ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، يُرِيدُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ فَجَرِّبْ بِنَفْسِكَ، فَوَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتَهَا لَأَرْجُمَنَّكَ بِأَحْجَارِكَ"

روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٤٠٤٨) بسند جيد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَطُولُ غُرْبَتُنَا فَقُلْنَا : أَلَا نَخْتَصِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ : « فَنَهَانَا ، ثُمَّ رَخَّصَ أَنْ نَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ إِلَى أَجَلٍ بِالشَّيْءِ ، ثُمَّ نَهَانَا عَنْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ »

روى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٤٠٤٤) بسند فيه ضعف يسير عن ابْنُ مَسْعُودٍ قال : « **نَسَخَهَا الطَّلَاقُ وَالْعِدَّةُ وَالْمِيرَاثُ** »

وروى ابن شبة في تاريخ المدينة (٧١٦/٢) بسند لابأس به عَنِ الْأَجْلَحِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الزُّبَيْرِ يَقُولُ: تَمَتَّعَ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ مِنَ امْرَأَةٍ بِالْمَدِينَةِ فَحَمَلَتْ، فَأَتَى بِهَا عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهَا فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، تَمَتَّعَ مِنِّي عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ فَقَالَ: مَنْ شَهِدَ نِكَاحَكِ؟ فَقَالَتْ: أُمِّي وَأُخْتِي فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بِغَيْرِ وَلِيٍّ وَلَا شُهُودٍ فَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ، فَقَامَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : صَدَقَتْ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّاسِ: هَذَا نِكَاحٌ فَاسِدٌ ، وَقَدْ دَخَلَ فِيهِ مَا تَرَوْنَ ، فَرَأَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُحَرِّمَهُ " فَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ : فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: هَلْ بَيْنَهُمَا مِيرَاثٌ ؟ قَالَ: لَا.

روى عبد الرزاق في المصنف (١٤٠٤٦) عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ : « نَسَخَ رَمَضَانُ كُلَّ صَوْمٍ ، وَنَسَخَتِ الزَّكَاةُ كُلَّ صَدَقَةٍ ، وَنَسَخَ الْمُتْعَةَ الطَّلَاقُ وَالْعِدَّةُ وَالْمِيرَاثُ »

روى أحمد في مسنده (٣٦٩) ومسلم (١٢١٧) عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنِ الْمُتْعَةِ ، وَإِنَّ

ابْنَ عَبَّاسٍ يَأْمُرُ بِهَا قَالَ : عَلَى يَدِيَّ جَرَى الْحَدِيثُ ، تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ : " إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الرَّسُولُ ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هَذَا الْقُرْآنُ ، وَإِنَّهُمَا كَانَتَا مُتْعَتَانِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَا أَنْهَى عَنْهُمَا وَأُعَاقِبُ عَلَيْهِمَا ، إِحْدَاهُمَا مُتْعَةُ النِّسَاءِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً إِلَى أَجَلٍ إِلَّا غَيَّبْتُهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَالْأُخْرَى مُتْعَةُ الْحَجِّ افْصِلُوا حَجَّكُمْ مِنْ عُمْرَتِكُمْ فَإِنَّهُ أَتَمُّ لِحَجِّكُمْ وَأَتَمُّ لِعُمْرَتِكُمْ .

قال ابن شهاب : فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله أنه بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل ، فاستفتاه في المتعة ، فأمره بها ، فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري : مهلا ، ماهي ، والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين ، قال ابن أبي عمرة : إنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير ، **ثم أحكم الله الدين ونهى عنها** " [أخرجه مسلم (١٣٣/٤) والبيهقي (٢٠٥/٧) وفي رواية له : يُعَرِّض بابن عباس]

وروى مالك في الموطأ (١٩٩٤) وعبد الرزاق (١٤٠٣٨) ابن أبي شيبة (١٧٠٦٩) مختصرا عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ ، دَخَلَتْ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَتْ : إِنَّ رَبِيعَةَ بْنَ أُمَيَّةَ اسْتَمْتَعَ بِامْرَأَةٍ مُوَلَّدَةٍ ، فَحَمَلَتْ مِنْهُ ، فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَزِعاً ، يَجُرُّ رِدَاءَهُ ، فَقَالَ : هذِهِ الْمُتْعَةُ ، وَلَوْ كُنْتُ تَقَدَّمْتُ فِيهَا لَرَجَمْتُ .

وروى عبد الرزاق (١٤٠٤٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١٧٠٧١) وأبو عوانة في مستخرجه (٤٠٨٥) بسند صحيح عَنْ ابن عمر سُئِلَ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ ؟ فَقَالَ : لَا نَعْلَمُهَا إِلَّا السِّفَاحَ .

وروى أبو بكر النيسابوري في الزيادات على المزني (٥٠٣) عَنْ رَبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ عَنْ أَبِيهِ : وذكر نفس كلام ابن عمر .

روى ابن أبي شيبة (١٧٠٧٣) وابن شبة في تاريخ المدينة (٧٢٠/٢) بسند صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ « **لَوْلَا أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ ، صَارَ الزِّنَا جِهَارًا** » ".

وروى عَبْدُ الرَّزَّاقِ (١٤٠٤٥) عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: «**نَسَخَهَا الْمِيرَاثُ**»

روى عبد الرزاق (١٤٠٤٠) وابن أبي شيبة (١٧٠٧٤) وأبو إسحاق المدني في جزء علي بن حجر (١١٧) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : « وَاللَّهِ مَا كَانَتْ إِلَّا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَذِنَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ، **مَا كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَا بَعْدُ** »

وفي لفظ : أَنَّهُ حَلَفَ بِاللَّهِ **مَا أُحِلَّتْ مُتْعَةُ النِّسَاءِ** لَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ .

روى ابن أبي شيبة (١٧٠٧٨) بسند جيد عن مَكْحُول قال فِي الرَّجُلِ تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ إِلَى أَجَلٍ قَالَ : « **ذَلِكَ الزِّنَا** »

وروى البيهقي (١٤١٨٢) عَنْ بَسَّامٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَنِ الْمُتْعَةِ فَوَصَفْتُهَا فَقَالَ لِي : **ذَلِكَ الزِّنَا** ".

وروى الفاكهي في أخبار مكة (١٧١٨) عن عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَارِثِ الْمَخْزُومِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ هِشَامٍ سَأَلَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ ، فَحَدَّثَهُ فِيهَا ، وَلَمْ يَرَ بِهَا بَأْسًا قَالَ : فَقَدِمَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامٍ فَسَأَلَهُ فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي ، هِيَ حَرَامٌ " قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَطَاءٌ: حَدَّثَنِي فِيهَا ، وَزَعَمَ أَنْ لَا بَأْسَ بِهَا فَقَالَ الْقَاسِمُ : سُبْحَانَ اللهِ !! مَا أَرَى عَطَاءً يَقُولُ هَذَا قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ابْنُ هِشَامٍ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ حَدِّثِ الْقَاسِمَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي فِي الْمُتْعَةِ فَقَالَ : مَا حَدَّثْتُكَ فِيهَا شَيْئًا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : بَلَى قَدْ حَدَّثْتَنِي فَقَالَ: مَا فَعَلْتُ فَلَمَّا خَرَجَ الْقَاسِمُ قَالَ لَهُ عَطَاءٌ : صَدَقْتَ أَخْبَرْتُكَ ، وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أَقُولَهَا بَيْنَ يَدَيِ الْقَاسِمِ فَيَلْعَنَنِي ، وَيَلْعَنَنِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ ."

(قلت) ولمن أراد التوسع أكثر في أخبار تحريم متعة النساء فعليه بكتاب **(تحريم نكاح المتعة)** لأبي الفتح المقدسي (ت٤٩٠)

والاستحلال حرام إلى يوم القيامة (١).

= وهو جزء حديثي خاص بجمع ما ورد في الباب وابتدأ كتابه في المقدمة بقوله : بَابُ بَيَانِ النَّصِّ الْوَارِدِ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ ، وَبُطْلَانِهِ وَفَسَادِهِ ، وَخَطَإِ فَاعِلِهِ ، وَإِثْمِهِ ، لِمُخَالَفَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى: بِاتِّبَاعِهِ ، وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ ، وَقَبُولِ نَوَاهِيهِ وَزَوَاجِرِهِ) ولي جزء حديثي أفردته في هذا الموضوع وخصصته بما صح من الأحاديث والآثار واجتنبت ذكر الضعيف والمكرر باسم (**كشف الخفاء عما ورد من آثار في تحريم متعة النساء**) فراجعه في قناتي على التلجرام .

(١) خلافا لأهل الرأي من الأحناف الذين أحلوه بالحيل ، ويسمى **نكاح التحليل** وهو الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم ولقب صاحبه بالتيس المستعار ولعنه ، وصورته هو أن الرجل إذا طلق زوجته ثلاثا وحرمت عليه ، فأراد أن يسترجعها ولا يقدر حتى تنكح غيره ويدخل بها ثم يطلقها عن إرادته ، فيحتال لذلك ويتفق الزوج أو الزوجة أو المحلل أن يتزوجها بنية الطلاق لتحل للأول ، وقد رودت في تحريم هذا أحاديث وآثار نذكر بعضها في مسائل متفرقة من قضايا التحليل ، على سبيل الإختصار :

وعَنْ ابن مسعود قَالَ : لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاشِمَةَ وَالْمُتَوَشِّمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمَوْصُولَةَ وَالْمُحِلَّ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ ."[سنده صحيح رواه أحمد (٤٢٨٣) وابن أبي شيبة (٤٨٨/٨) والدارمي (٢٤٦/٢) والنسائي في المجتبى (١٤٩/٦) والطبراني في الكبير (٩٨٧٨) والبيهقي في السنن ٢٠٨/٧]

وعن عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ**» قَالُوا : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « هُوَ الْمُحَلِّلُ ، لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ » [رواه ابن ماجه (١٩٣٦) والطبراني في الكبير (٨٢٥) والسنن الكبرى (١٤١٨٧) والروياني في مسنده (٢٢٦) والحاكم في المستدرك (١٩٨/٢–١٩٩) وفيه سنده علة أشار إليها البخاري كما ذكره الترمذي في العلل (٤٣٧/١) وأبو زرعة كما عند ابن أبي حاتم في العلل (٣٦/٤)]

ويشهد له ما رواه سعيد بن منصور في سننه (١٩٩٨) عن مُحَمَّدُ بْنُ بَسِيطٍ الْبَصْرِيُّ قَالَ : سَأَلْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيَّ عَنْ رَجُلٍ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ الْبَتَّةَ قَالَ « لُعِنَ الْحَالُّ ، وَالْمُحَلَّلُ لَهُ ، أُولَئِكَ كَانُوا يُسَمَّوْنَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ **التَّيْسَ الْمُسْتَعَارَ** »

وروى سعيد بن منصور (١٩٩٢) وعبد الرزاق (١٠٧٧٧) وابن أبي شيبة (١٧٠٨٠) والبيهقي في الكبرى (١٤١٩١) بسند جيد عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ جَابِرٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « لَا أَجِدُ مُحِلًّا وَلَا مُحَلَّلًا لَهُ إِلَّا رَجَمْتُهُ »

وروى عبد الرزاق (١٠٧٧٦) وابن أبي شيبة (١٧٠٨٢) والبيهقي في السنن الكبرى (١٤١٨٩) بسند جيد عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ نَوْفَلٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سُئِلَ عَنْ تَحْلِيلِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا قَالَ: « ذَلِكَ السِّفَاحُ لَوْ أَدْرَكَكُمْ عُمَرُ لَنَكَّلَكُمْ »

وروى عبد الرزاق (١٠٧٧٨) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكٍ الْعَامِرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يُسْأَلُ عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ ابْنَةَ عَمٍّ لَهُ ثُمَّ رَغِبَ فِيهَا وَنَدِمَ فَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا رَجُلٌ يُحِلُّهَا لَهُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كِلَاهُمَا زَانٍ وَإِنْ مَكَثَا كَذَا وَكَذَا **وَذَكَرَ عِشْرِينَ سَنَةً** أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحِلَّهَا لَهُ »

وروى سعيد بن منصور (١٩٩٤) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : إِذَا كَانَ نِيَّةُ إِحْدَى الثَّلَاثَةِ : الزَّوْجِ الْأَوَّلِ أَوِ الزَّوْجِ الْآخَرِ أَوِ الْمَرْأَةِ أَنَّهُ مُحَلِّلٌ ، فَنِكَاحُ هَذَا الْأَخِيرِ بَاطِلٌ وَلَا تَحِلُّ لِلْأَوَّلِ . **(قلت)** وهذا المعنى مروي عن الحسن وقتادة .

وروى عبد الرزاق (١٠٧٨٥) وابن أبي شيبة (١٧٠٩١) عن عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ : إِنَّ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا ، فَنَدِمَ وَنَدِمَتْ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْطَلِقَ فَأَتَزَوَّجَهَا وَأُصْدُقَهَا صَدَاقًا ، ثُمَّ أَدْخُلَ بِهَا كَمَا يَدْخُلُ الرَّجُلُ بِامْرَأَتِهِ

[٩٢] واعرف لبني هاشم فضلهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) وتعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ (٢) فاعرف قدرهم [وحقوقهم] في الإسلام ومولى القوم منهم (٣)

ثُمَّ أُطَلِّقَهَا حَتَّى تَحِلَّ لِزَوْجِهَا قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : « اتَّقِ اللَّهَ يَا فَتَى وَلَا تَكُونَنَّ مِسْمَارَ نَارٍ لِحُدُودِ اللَّهِ »

وقد ثبت لعن المحل والمحلل عن جمع من الصحابة والتابعين : منهم : علي ابن مسعود وابن عمر وأبو هريرة وابن عباس ومن التابعين سعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وعطاء والنخعي وغيرهم ، والآثار مروية عند عبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والبيهقي في مصنفاتهم . وقد ألف في الرد على أهل الرأي في هذا ابن بطة إبطال الحيل وابن تيمية بيان التحليل .

(١) وهذه الفقرة فيها رد على الروافض والنواصب والشيعة الذين لا يعرفون قدر أهل البيت والصحابة وقدر العرب وقريش خاصة وقد جاءت السنة لتبين فضل من ذكر المؤلف وقدرهم ، وبيان منزلتهم من ذلك ولو لم يكن في فضل من ذكرهم البربهاري إلا حديث **وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ** عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى بَنِي كِنَانَةَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » **لكفى به شرفا وفضلا** .

(٢) وهذا رد على الشعوبية التي تبغض العرب ، وتفضل العجم عليها **!!** وقد رويت أحاديث وآثار كثيرة في فضل قريش والعرب لا يمكن استيعابها في هذه التعليقة وعليه إجماع أهل السنة فيما **حكاه الكرماني في السنة (٨٢)** قال : (يعرف للعرب حقها وفضها وسابقتها ويحبهم قال : ولا نقول كما تقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لها بفضل فإن قولهم بدعة وخلاف) اهـ **وقال أبو عبد الله الزبيري في عقيدته** : والشعوبية وهم أصحاب بدعة يقولون العرب والموالي عندنا واحد ولا يرون للعرب حقا ولا يعرفون لهم فضلا . [الجامع لآل حمادن (ص٧٥٦)]

(**قلت**) وبغض جنس العرب نفاق لا شك في ذلك ، ويكفي في فضل عرب ، أن نقول القرآن عربي والنبي عربي. [راجع اقتضاء الصراط المستقيم (٣٧٢/١)]

(٣) وروي في هذا أحاديث منها : ما **روى البخاري في صحيحه (٦٧٦١)** عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** »

وروى أحمد (٢٣٨٦٣) وأبو داود (١٦٥٠) والترمذي (٦٥٧) والنسائي في سننه (٢٤٠٤) وغيرهم **بسند صحيح** عَنِ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ عَلَى الصَّدَقَةِ فَأَرَادَ أَبُو رَافِعٍ أَنْ يَتْبَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا ، **وَإِنَّ مَوَالِيَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ** . [صححه الترمذي والحاكم وابن خزيمة وابن حبان وغيرهم] وقد بوب لهذا الباب أهل الحديث كالبخاري والترمذي ، **وقد ذكر محمد بن حبيب في كتاب أخبار قريش (ص٤٠٨)** المقداد بن الأسود في كتابه ثم قال (إنما أدخلت المقداد في قريش لأن موالي القوم منهم وحليفهم منهم كما أثر عن رسول الله صلى الله عليه) اهـ

وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام و[تعرف فضل] الأنصار (١) **ووصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآل الرسول فلا تنساهم ، وتعرف فضلهم** (٢) **وجيرانه من أهل المدينة ، فاعرف فضلهم .**

[٩٣] واعلم – رحمك الله – أن أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية حتى كان في خلافة بني فلان (٤) **تكلمت الرويبضة في أمر العامة وطعنوا على آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا بالقياس والرأي ، وكفروا من خالفهم ، فدخل في قولهم الجاهل والمغفل والذي لا علم له حتى كفروا من حيث لا يعلمون ، فهلكت الأمة من وجوه ، وكفرت من وجوه ، وتزندقت من وجوه وضلت من وجوه ، وتفرقت وابتدعت من وجوه ، إلا من ثبت على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره وأمر أصحابه ، ولم يُخَطِّئ أحدا منهم ، ولم يجاوز أمرهم ، ووسعه ما وسعهم ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم ، وعلم أنهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح فقلدهم دينه [واستراح] وعلم أن الدين إنما هو بالتقليد والتقليد لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم** (٣).

---

(١) وفضائل الأنصار لا تعد ولا تحصى ، **ولو لم يكن في فضلهم إلا حديث** أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** » لكفى به فضلا وقدرا وشرفا للأنصار رضوان الله عليهم .

(٢) أهل البيت هم آل النبي – صلى الله عليه وسلم – الذين حَرُمتْ عليهم الصدقة ، وهم آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل وآل العباس وبنو الحارث بن عبد المطلب ، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته لقوله تعالى : { **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** } [الأحزاب: ٣٣]

فأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويتولونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خُم (اسم موضع) : « **أُذكّركم الله في أهل بيتي** » [مسلم (٢٤٠٨)]

(٤) وقد تقدم أنه يقصد بخلافة بني فلان أي خلافة سلاطين بني العباس الجهمية ، كذاك المأمون الهالك ، ففي دولتهم أنتشر ما ذكره البربهاري من الشر والضلال والزندقة ، وسبق الكلام عن هذا قريبا وسيأتي بيان نواقض الجهمية ووجوه كفرها في فقرة ()

(٣) وفي ما قاله المؤلف عدة آثار نذكر منها : عَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (اتَّبِعُوا آثَارَنَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ) [رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١٧) والإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٦)

والإمام المروزي في السنة (ص٢٨) والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣٢٧)، وأورده البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤)].

عَنْ ابْنَ مَسْعُودٍ قال : « لَا يَزَالُ النَّاسُ صَالِحِينَ مُتَمَاسِكِينَ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ ، فَإِذَا أَتَاهُمْ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ هَلَكُوا » [رواه معمر في جامعه (٢٠٤٤٦) وابن المبارك في الزهد (٨١٥) بسند صحيح]

ولابن المبارك في الزهد (٢٠٤/١): أن عمر رضي الله عنه أمر يزيد بن أبي سفيان باتباع سنة النبي ومن مات معه من صحابته وهو يقول : والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقتم .

وروى ابن عبد البر في الجامع (١٤٢٥) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : « مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ »

وروى في جامع البيان (٢٠١٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ ، وَأَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ »

روى اللالكائي (١١٩) قَالَ حُذَيْفَةُ : « اتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ خُذُوا طَرِيقَ مَنْ قَبْلَكُمْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَبَقْتُمْ لَقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا ، وَإِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا »

وفي الجامع لابن عبد البر (٢٠٢٦) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »

وعن أبي جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : إنا نتبع ولا نبتدع ونقتدي ولا نبتدي ولن نضل ما تمسكنا بالآثار) [اللالكائي في السّنة (٨٦/١) وذم الكلام (١٨٢/٢)]

قال الأوزاعي : « اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم لَسْتَ آمِنَ إِلَّا أَنْ يَدْفَعَ اللَّهُ شَرَّ هَذِهِ الْبِدْعَةِ مِنْ أَنْ يَصِيرُوا إِخْوَانًا بَعْدَ تَوَادٍ إِلَى تَفَرُّقٍ فِي دِينِهِمْ وَتَبَاغُضٍ وَلَوْ كَانَ خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكُمْ وَإِنَّهُ لم يدّخر عَنْهُم خير خبيء لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ وَبَعَثَهُ فِيهِمْ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فَقَالَ { مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله } الآيه » [رواه اللالكائي (١/ ٣١٥/١٧٤) والحلية (٨/ ٢٥٤ – ٢٥٥) والهروي في ذم الكلام (١١٨/٥)]

وعن بَقِيَّةُ قَالَ : **سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ** : « الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا لَمْ يَجِئْ عَنْ وَاحِدٍ ، مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ » [رواه ابن عبد البر في الجامع (١٤٢١) تاريخ بن عساكر (٢٠١/٣٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٩٥]

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ : لَوْ بَلَغَنِي أَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِزُوا بِالْوُضُوءِ ظُفُرًا لَمَا جَاوَزْتُ ، وَكَفَى بِنَا عَلَى قَوْمٍ إِزْرَاءً أَنْ نُخَالِفَ أَعْمَالَهُمْ » [رواه الدارمي (١/ ٧٢) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥٥)]

عن عبد الرحمن بن مهدي يقول دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال : لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ولوكان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل). [رواه الهروي في ذم الكلام (٨٦٠) والبغوي في شرح السنة (١٨١/١ — ١٨٦)]

وفي تاريخ بغداد (٦١١/٨) ذكر الإمام أحمد عن الجهمية فقال : إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وأقبلوا عَلَى هذه الكتب) اهـ

وذكر السمعاني في كتاب الإنتصار لأهل الحديث (ص٧) قال الشافعي : عَن سُهَيْل بن نعيم قَالَ قَالَ الشَّافِعِي : كل من تكلم بِكَلَام فِي الدّين أَو فِي شَيْء من هَذِه الْأَهْوَاء **لَيْسَ لَهُ فِيهِ إِمَام مُتَقَدم** من النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **وَأَصْحَابه** فقد أحدث فِي الْإِسْلَام حَدثا) . **(قلت)** والآثار وكلام السلف في هذا كثير سيأتي مع كل فقرة من هذا الكتاب .

[٩٤] واعلم أن من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، فهو جهمي (١) ومن سكت فلم يقل : مخلوق ولا غير مخلوق ، فهو جهمي ، هكذا قال أحمد بن حنبل (٢)

---

(١) في المخطوط (فهو مبتدع) وهي ليست موافقة لمذهب الأئمة ، وما أَثْبَتُّه من (**الطبقات**) أصح لأن من وقع في هذا فوق المبتدع ، بل جهمي وأشر من الجهمي يعيد من يصلى خلفه ، كما قال أحمد :{ هو فوق المبتدع ، وما أراه إلا جهميًّا ، وهذا كلام الجهمية ، القرآن ليس بمخلوق } [مسائل أبي داود (١٧١١ ـ ١٧١٢) وابن بطة في الإبانة (١٣٠)]

وهذه الطائفتان التي ذكرها المؤلف هما من الفرق الجهمية الثلاث التي قال عنها الإمام أحمد فيما روى ابن بطة (٧٢) قَالَ : افتَرَقَت الْجَهْمِيَّة عَلَى ثَلَاثِ فِرَق : الَّذِين يَقولون : مخْلوق ، وَالَّذين شكوا ، وَالَّذِين قالوا: أَلْفاظنا بِالْقُرآن مَخْلُوق ."

وقد روى أبو داود في مسائله (١٧٥٣) وابن هانئ كما في مسائله (١٨٦٤) تكفير من صرح أن لفظه بالقرآن مخلوق وتسميته بالجهمي . وانظر طبقات الحنابلة (١/١٢٠) وفي طبقات الحنابلة (١/٣٢٨) وروى ابْن منده عَنْ أَحْمَد أنه قَالَ من قَالَ : لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل .[وفي الطبقات مواضع كثيرة بتكفيره أنظر مثلا : (١/١٧٢) و(١/١٤٢) (١/ ٤٦) والإبانة (١/٣٣٨) والخلال في السنة (٢/٣٢٢ ـ٣٢٣) شرح أصول الإعتقاد (١/١٧٩) روايات فيها تكفير للفظية .

وذكر غير واحد من السلف أن اللفظية شر من الجهمية كوكيع وابن عيينة وأحمد وغيرهم ونقل الكرماني الإجماع على هذا .

وأول **من أحدث اللفظ** الجهم ونشرها الكرابيسي بقوة كما قال أحمد .[راجع الخلال (٢١١٥) وطبقات الحنابلة (٢/٢٨١)]

من قال باللفظ من العوام الجهال يعلم قبل الحكم بجهميته : قال عبد الله : سئل أبي رحمه اللَّه وأنا أسمع عن اللفظية والواقفة ، فقال : من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي . [السنة للخلال (٢١١١) والإبانة الكبرى (٩٧)]

واتفق أهل الحديث ألا يتكلموا في اللفظ بشيء لا يقال مخلوق ولا غير مخلوق : قال عبد الله في السنة : وكان أبي رحمه اللَّه يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء أو يقال : مخلوق أو غير مخلوق . [الإبانة (١٤٧)] وعلى هذا اتفقوا جميعهم إلا من شذَّ وأحدث .

واتفق جماهيرهم على الإكتفاء بعبارة : القرآن كلام الله غير مخلوق من جميع جهاته أو حيثما تصرف أو على كل حال أو على كل جهة وبأي وجه .[راجع اللالكائي (٦٠٨) والإبانة الصغرى (٢٥١) قال الذُّهْلِي : الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوْقٍ مِنْ جَمِيْعِ جهَاتِهِ ، وَحَيْثُ تُصُرِّفَ فَمَنْ لزمَ هَذَا اسْتغنَى عَنِ اللَّفْظِ وَعمَّا سِوَاهُ مِنَ الكَلاَمِ فِي القُرْآنِ ..) [تاريخ بغداد (٢/٣١)]

واتفق جماهير أهل الحديث أن من قال (لفظي بالقرآن غير مخلوق يُبَدَّع) [اللالكائي (٦٠٢) والإبانة (١٦٠-١٦١)]

(٢) بل هو أخبث وشر ممن قال بخلق القرآن ، قاله أحمد وقتيبة بن سعيد وابن أبي شيبة وأحمد بن صالح وأبو مصعب الزهري ومحمد بن مقاتل العابّداني وعُبَيد اللَّه القواريري ويحي بن أيوب وغيرهم كثير ونقل الكرماني على هذا الإجماع في السنة .

وسبب تجهيم الواقفي والعلة في ذلك : قال أبو داود في مسائله (١٧٠٥ – ١٧٠٦) سمعت أحمد سئل: هل لهم رخصة أن يقول الرجل : كلام اللَّه ثم يسكت فقال : ولم يسكت ؟! لولا ما وقع فيه الناس كان يسعه السكوت ، ولكن حيث تكلموا فيما تكلموا لأي شيء لا يتكلمون) ، **وقال أحمد عن اللفظية** : صِنْفٌ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ اسْتَتَرُوا بِالْوَقْفِ » [الإبانة الكبرى (١٠٣)]

وقد ذكر أهل الحديث : أن من وقف شكا في القرآن كافر ونقله الرازيان إجماعا . [وانظر الطبقات (١/٤٦٠) شرح أصول الإعتقاد (٣٢١)] **وذكروا أن من كان من أهل الحديث ليس بصاحب** كلام وهو يعتقد أن القرآن غير مخلوق لكن توقف في إطلاق العبارة (غير مخلوق) فهذا يُبدع ويبين له كلام العلماء في ذلك ، وقالوا : أن العامي الذي لا يبصر ولا يفهم أيضا يبين له الحجة ويُبدَّع وعلى هذا نقل الإجماع الرازيان ، وذكرها الكثير [أنظر السنة لعبد اللَّه ١/ ١٥١ (١٣١) شرح أصول الاعتقاد (٦٠٠) والإبانة الكبرى (٩٨) والأصبهاني التيمي في الحجة (١/٤٢٤) وقول المؤلف (هكذا قال أحمد بن حنبل) بل هذا معتقد جماهير أهل الحديث كما سبق ، فالعجب ذاك الشوكاني والصنعاني الألباني والوادعي حيث جعلوا منها منها خلافا لفظيا !!

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فإياكم ومحدثات الأمور ، فإنها ضلالة ، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وعضوا عليها بالنواجذ** (١)

[٩٥] واعلم أنه إنما جاء هلاك الجهمية أنهم فكروا في الرب ، فأدخلوا لم وكيف ، وتركوا الأثر ووضعوا القياس ، وقاسوا الدين على رأيهم ، فجاءوا بالكفر عيانا ، لا يخفي أنه كفر وأكفروا الخلق واضطرهم الأمر حتى قالوا بالتعطيل (١) .

وقال بعض العلماء (٢) **منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه : الجهمي كافر ، ليس من أهل القبلة حلال الدم ، لا يرث ولا يورث .**

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢) وأبو داود (٥/١٣) والترمذي (٥/٤٤) وغيرهم وهو صحيح له عدة طرق وصححه جمع من المتقدمين

(١) وسبق نحو هذا المعنى في فقرة الفكرة في الرب قريبا من هذا الكلام فلو أنه جمعهما في مكان واحد كان أحسن في الترتيب والبيان ، وإلى هذا المعنى أشار الشعبي وأحمد فأخذها منهما المؤلف : فقد روى ابن عبد البر في جامع البيان (٢٠١٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ ، وَأَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ » وفي لفظ قال : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »

وقاله الإمام أحمد صريحا **كما في تاريخ بغداد** (٨/٦١١) ذكر الإمام أحمد عن الجهمية فقال : إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وأقبلوا عَلَى هذه الكتب) اهـ

(٢) هذه عبارة غير محررة من المؤلف ، فتكفير الجهمية محل إجماع ، فقوله (بعض العلماء) هذا تعبير قاصر منه !! فقد أجمع السلف على تكفير الجهمية كفرا يخرجهم عن الإسلام ويبيح دماءهم ، بل وكفروا من شك في كفرهم ، وبقي هذا الإجماع محفوظا حتى جاء ابن تيمية وزعم أن السلف فرقوا بين المعين والعموم !! فخرق الإجماع القديم ـ بهذه الضلالة ـ الذي ورد إلينا واضحا بنصوص لا تحتمل التفصيل أبدا ، وذاك لأن تكفير الجهمية كما قال الدارمي في النقض وأخبر البربهاري هنا ، قائم على عدة نواقض لا على قضية خلق القرآن فقط ، وقد حكى الإجماع على تكفير الجهمية غير واحد فمثلا :

قَالَ الإِمَام أَحْمد فِي عقيدته التي يحكي فيها إجماعات أهل السنة : لما ذكر أَن من قَالَ بِخلق الْقُرْآن فَهُوَ جهمي كَافِر قَالَ وَمن لم يكفر هَؤُلَاءِ الْقَوْم فَهُوَ مثلهم .

وقال الكرماني في السنة (٦٦) وهو يحكي ما أجمع عليه السلف : ومن لم يكفر هؤلاء القوم والجهمية كلهم فهو مثلهم .

وقال الدارمي في النقض (ص١٥٠) : وَالْمَرِيسِيُّ وَجَهْمٌ وأصحابهم لَمْ يَشُكَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي إِكْفَارِهِمْ) .

وحكى الرازيان إجماع أهل السنة فقالا: من زعم أَن الْقُرْآن مَخْلُوق فَهُوَ كَافِر بِاللَّه الْعَظِيم كفرا ينْقل عَن الْملَّة وَمن شكّ فِي كفره مِمَّن يفهم وَلَا يجهل فَهُوَ كَافِر .[السنة للالكائي (١/١٩٧)]

وحكاه إجماعا الطبراني واللالكائي والهروي في ذم الكلام وابن بطة في الإبانة وغيرهم ، ومن أراد النظر في كلام السلف وما قالوه في تكفير الجهمية ومن شك فيهم فليراجع : كتاب السنة لعبد الله بن أحمد في أول باب : (سئل عما قالته العلماء في الجهمية الضلال وإكفارهم والصلاة خلفهم) وجمع ابن سحمان كتابا باسم (الإجماع على تكفير الجهمية والمعطلة) فليراجع .

لأنه قال : لا جمعة ولا جماعة ، ولا عيدين ولا صدقة وقالوا : إن من لم يقل : القرآن مخلوق فهو كافر ، واستحلوا السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وخالفوا من كان قبلهم ، وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من أصحابه ، وأرادوا تعطيل المساجد والجوامع ، وأوهنوا الإسلام ، وعطلوا الجهاد ، وعملوا في الفرقة ، وخالفوا الآثار ، وتكلموا بالمنسوخ واحتجوا بالمتشابه ، فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم ، واختصموا في ربهم وقالوا : ليس عذاب قبر ، ولا حوض ولا شفاعة ، والجنة والنار لم يخلقا ، وأنكروا كثيرا مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه (١) .

---

(١) الجهمية لهم سبعون مسألة كفرية كما قال الإمام أحمد ، فقد جاء في السنة للخلال (١٧٠١) أن أحمد لما عرض عليه قول من قال بخلق الإيمان قال : هذِهِ مسائل الجهم بن صفوان ، وهي سبعون مسألة ، اذهبوا فاطردوا هذا من عندكم) اهـ

(**قلت**) وقد تتبعت هذه السبعينية من مسائل الجهمية وهي التي بنى عليها أهل السنة أغلب مسائل كتب العقائد (كتب السنة) وعليها مدار أغلب المباحث ، فأستخرجتها من كتب السنة لأهل الحديث المتقدمين ، واختصرتها حتى تكون واضحة مجموعة في مكان واحد ، لتعرف بسهولة ، ويبحث فيها الطالب في المطولات من كتب السنة والأثر ، وتغنيه من مطالعة كتب الفرق التي أكثرها سمٌّ مدسوس في عسل ، لأن أغلب من كتب فيها هم أصلا جهمية !! وبهذا تكون عنده صورة مجملة لما تعتقده هذه الفرقة الكافرة الملحدة والتي لاتزال أقوالها منثورة في كتب الأشعرية اليوم ، بتركيبات مماثلة ، مع شيء من الحيل للتمويه والتلاعب بالألفاظ ، فكن حذرا أيها السني ولا ترخي دفاعاتك ، واشتغل بكتب التوحيد والسنة ، والهَ عمّا سوى ذلك ، وتخصص فيها كما يتخصص الطبيب والمهندس في حرفته ، فإن هذا دينك الذي خلقت لأجله ، بل هذا طعامك الذي لن تعيش إلا به ، وتعداد مسائل الجهمية هي باختصار :

١/ القول بخلق القرآن

٢/ قول بأن لفظي بالقرآن مخلوق .

٣/ التوقف في مسألة أن القرآن كلام الله غير مخلوق (الواقفة) .

٤/ القول بأن الإيمان مخلوق .

٥/ قالوا بأن الله تعالى لا يدرك بالحواس الخمس .

٦/ القول بفناء الجنة والنار

٧/ القول أن الإيمان المعرفة .

٨/ قولهم لا كفر إلا بجحود .

٩/ القول بأن العمل والقول الكفري ليس بكفر في ذاته بل هو دليل على الكفر فقط .

١٠/ نفي الحرف والصوت في صفة الكلام لله تعالى .

١١/ نفي العلو عن الله تعالى .

١٢/ نفي الحدّ لله تعالى

١٣/ تعطيل صفة الإستواء على العرش لله تعالى .

١٤/ إنكار أثر مجاهد في الإجلاس .

١٥/ قالوا إن أسماء الله غير الله .

١٦/ عطلوا التوحيد بأنواعه الثلاثة .

١٧/ نفي الجهة والمكان والأينية عن الله جل وعلا.

١٨/ جحود القرآن الأحاديث والسنة المعارضة لعقائدهم ، والطعن في أهل الحديث ونبزهم بالمجسمة والحشوية والنابتة.

١٩/ قالوا من زعم أن القرآن في صدره فقد زعم أن في صدره من الألهية شيئًا.

٢٠/ نفي النزول لله تعالى والإتيان والمجيئ والحركة والزوال .

٢١/ نفي الرؤية .

٢٢/ جحود الإيمان بالعرش والقلم .

٢٣/ القول بأن الله في كل مكان .

٢٤/ جحود تكليم الله لموسى عليه والسلام .

٢٥/ القول بالحلول والإتحاد .

٢٦/ إنكار الكرسي وجحوده

٢٧/ القول بأن مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام كفر حِين سَأَلَ ربه الرؤيا .

٢٩/ وَكفروا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام حِين قَالَ {تعلم مَا فِي نَفسِي وَلَا أعلم مَا فِي نَفسك إِنَّك أَنْت علام الغيوب}

٣٠/ القول بأن الجنة والنار لم تخلقا بعْدُ .

٣١/ إنكار الميزان .

٣٢/ إنكار الصراط

٣٣/ إنكار الكرام الكاتبين الحفظة .

٣٤/ إنكار الشفاعة .

٣٤/ إنكار عذاب القبر والملكان منكر ونكير .

٣٥/ وزعموا أن الروح تموت .

٣٦/ وَقالوا أَن لَيْسَ عِنْد الله أَرْوَاح ترزق شُهَدَاء وَلَا غَيرهم .

٣٧/ إنكار الإسراء والمعراج .

٣٨/ وأنكروا الرؤى وقالوا أنها ليست بحق بل فقط أضغاث أحلام .

٣٩/ وأنكروا أَن يكون ملك الْمَوْت يقبض الْأَرْوَاح .

٤٠/ وَأنكرت الجهمية أَن يكون لله جلّ وَعلا حجاب .

٤١/ تكذيب المكثرين من الرواة كأبي هريرة وأنس وعبد الله بن عمرو وغيرهم .

٤٢/ وقَالُوا إِن الله لَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْء ، وَلَا يَزُول عَن مَوْضِعه !!

٤٣/ وَأنكرت الجهمية أَن يكون لله عز وَجل وَجه .

٤٤/ وَأنكرت أَن يكون لله سمع وبصر

٤٥/ واخترعت رد الآثار وأحاديث الأخبار بشبهة الإسرائيليات كما فعل المريسي .

٤٦/ وَأنكرت أَن الله يتَكَلَّم ، وأن يقول للشيء (كن) فيكون .

٤٧/ وأنكرت أن يكون الله اتخذ إبراهيم خليلا .

٤٩/ وَأنكرت الجهمية أَن الله اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء

٥٠/ وأنكرت أن يكون الله خلق آدم بيده وأنه غرس الْجنَّة بِيَدِهِ وَكتب التَّوْرَاة بِيَدِهِ .

٥١/ القول بالجبر في قضايا القدر .

٥٢/ إنكار الإستطاعة ، وخلق أفعال العباد .

٥٣/ وقالوا من قال القرآن غير مخلوق فهو كافر ومن لم يقل لفظي بالقرآن مخلوق مثله .

٥٤/ وَزعمت أَن علم الله تَعَالَى حَادث .

٥٥/ امْتنعت من وصف الله تَعَالَى بأنه شيء أوْ حي أوْ عَالم أَو مُرِيد .

٥٦/ وَقَالَت بحدوث كَلَام الله تَعَالَى ، واخترعت خرابيط الإسم والمسمى .

٥٧/ القول بالخروج على السلطان والقتال والسيف .

٥٨/ وقالت أَن لَا اختبار لشَيْء من الْحَيَوَانَات فِي شَيْء مِمَّا يجْرِي عَلَيْهِم فَإِنَّهُم كلهم مضطرون لَا استطاعة لَهُم بِحَال .

٥٩/ وقالت إنّ الله لَا يعلم مَا يكون حَتَّى يكون .

٦٠/ وقالت إِن الله تَعَالَى لَا يُوصف بِشَيْء مِمَّا يُوصف بِهِ الْعباد مثل حي عالم ونحوه ، ويجوز قادر موجد ونحو هذا !!

٦١/ وكانت تجحد بأن الله تبارك وتعالى يعذب الخلق في النار في الأغلال والأنكال والسلاسل ، والنار في أجوافهم وفوقهم وتحتهم ، وتقول إنما يعذب عند النار

٦٢/ وأنكرت الجهمية حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

٦٣/ جحدت نزول المسيح عيسى عليه السلام .

٦٤/ وأنكرت أحاديث الصورة لله تعالى .

٦٥/ وقالت لا جمعة ولا جماعة ، ولا عيدين ولا صدقة ولا جهاد .

٦٦/ وأنكرت خروج الدجال .

٦٧/ وأنكروا أن يكون لله نفس ويدين وقدم والساق وعينين وأصابع وحقو وذراعين وصدر وركبة ، ونحوها ، سموها جوارح وشبهوا وعطلوا .

٦٨/ وأنكرت صفة العجب والضحك والغضب والرضى والمحبة والكره ، والفرح والسخط والإرادة والمشيئة ، ونحوها وأنها ليست حقيقة بل مجاز .

٨٩/ وقالت لا يجوز أن يوصف الله إلا بما يقبله العقل .

٧٠/ وقالت أسماء الله محدثة مخلوقة .

لأن من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله ، ومن رد أثرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد رد الأثر كله (١) ، وهو كافر بالله العظيم ، فدامت لهم المدة ووجدوا من السلطان معونة على ذلك ووضعوا السيف والسوط دون ذلك فدرس علم السنة والجماعة [وأوهنوهما فصاروا] مكتومين لإظهار البدع والكلام فيها ولكثرتهم ، واتخذوا المجالس ، وأظهروا رأيهم ووضعوا فيها الكتب ، وأطمعوا الناس ، وطلبوا لهم الرياسة ، فكانت فتنة عظيمة لم ينج منها إلا من عصم الله فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه ، أو يتابعهم أو يزعم أنهم على الحق ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل ، فصار شاكا ، فهلك الخلق ، حتى كان أيام جعفر – الذي يقال له المتوكل – فأطفأ الله به البدع وأظهر بها الحق ، وأظهر به أهل السنة (٢)

---

(١) وقد سبق التعليق على هذا الكلام في الفقرة رقم (٤١) من الكتاب وأضيف هنا أمورا فاتتني :

جاء في ذم الكلام (٧٧) : عن محمد بن عبد الله الحافظ قال : سمعت أحمد بن إسحاق بن أيوب الفقيه الصبغي يناظر رجلاً فقال حدثنا فلان قال له الرجل : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا ؟ فقال له الشيخ : **قم يا كافر** ، فلا يحل لك أن تدخل داري بعد ، ثم التفت إلينا فقال : ما قلت لأحد قط لا تدخل داري غير هذا .

وفي السير (١٥/ ٤٨٥) وطبقات الشافعية (٣/١٠) : قال الحاكم : وقد سمعت أَبا بَكْرٍ بن إِسْحَاقَ يخاطب كهلا من أهل الفقه فقال : حدثونا عن سليمان بن حرب فقال له ذلك الفقيه : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا وأخبرنا ؟ فقال : يا هذا لست أشم من كلامك رائحة الإيمان ، ولا يحل لك أن تدخل هذه الدار ثم هجره حتى مات .

(٢) ولي المتوكل على الله بعد الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة **٢٣٢** وسنة ست وعشرون سنة يومئذ أظهر الله عز وجل به السنة وكشف تلك الغمة ، ونهى عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الآفاق ، وتوفر دعاء الخلق له ، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق يوم الردة وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة ، ولقد استمرت فتنة خلق القرآن من سنة **٢١٨** إلى سنة **٢٣٤**.

قال الدارمي في النقض (ص٥٣٤) : " فَلَمْ تَزَلِ الْجَهْمِيَّةُ سَنَوَاتٍ يَرْكَبُونَ فِيهَا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ بِقُوَّةِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ الْمُحَادِّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ حَتَّى اسْتُخْلِفَ الْمُتَوَكِّلُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَطَمَسَ اللَّهُ بِهِ آثَارَهُمْ وَقَمَعَ بِهِ أَنْصَارَهُمْ حَتَّى اسْتَقَامَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى السُّنَّةِ الْأُولَى ، وَالْمِنْهَاجِ الْأَوَّلِ) اهـ [وراجع ما قاله الإمام أحمد في رسالته للمتوكل وكيف مدح قمعه للجهمية وتبديد جمعهم وإيقاف الفتنة ، كما في أول رسالة إبراهيم الحربي : (رسالة أن القرآن غير مخلوق)] .

فقد أحيا المتوكل سُنَّة تذليل النصارى والشروط العمرية ، وأمر بهدم البيع المحدثة في الإسلام كما ذكر الطبري في تاريخه (١٧١/٩) وأحسن في بداية خلافته بعزل ابن أبي دؤاد وبسجنه ، ثم بإنزال جثة بن نصر رحمه الله وإكرامها وإعطاءها لأهله ، ثم نهى عن الجدال في القرآن والكلام ، فشكر الله له ذلك ، فمكَّنَه من الجهمية وأزال دولتهم على يديه ، وكان عنده بعض الهناة من شرب النبيذ ، وسماع الغناء ، وأشياء مما عند باقي الملوك العباسيين عادة ، وقد مات مقتولا رحمه الله وغفر له .

وطالت ألسنتهم ، مع قلتهم وكثرة أهل البدع إلى يومنا [هذا] ، والرسم وأعلام الضلالة قد بقي قوم يعملون بها ، ويدعون إليها ، لا مانع يمنعهم ولا أحد يحجزهم عما يقولون ويعملون (١) .

[٩٦] واعلم أنه لم تجئ بدعة قط إلا من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، فمن كان هكذا فلا دين له (٢)

---

(١) وأذكر من الأئمة الذين ساروا على درب سلفهم بعد المحنة وما كان عليه الإمام أحمد : وهم تلامذة أحمد من الطبقة الأولى كالمروذي وصالح وعبد الله وكتابه السنة يعتبر أصلا في بابه ، ولهما مسائل جليلة عن أبيهما أيضا ، وأبو داود وابنه أبو بكر والكرماني صاحب كتاب السنة والدارمي وله كتابان مهمان جدا في الرد على الجهمية ، ومنهم اللالكائي وله كتاب شرح أصول الإعتقاد كتاب فريد في بابه ، والآجري وكتابه الشريعة أكمل كتاب وصل إلينا ، وأبو بكر الخلال وله كتاب السنة ، وابن بطة الإمام وله كتابان عظيمان في بابها باسم الإبانة الصغرى والكبرى وهو لم يصلنا تاما ، ومنهم صاحب كتابنا البربهاري والسجزي وله رسالته الفريدة إلى أهل زبيد ، وغيرهم كثير لم أذكرهم إنما أشرت على المشاهير رحم الله أئمة الإسلام وخدمة السنة .

(٢) ويشير بهذا إلى أثر علي المشهور في **وصيته لكميل بن زياد** ، فقد رواها أبو نعيم في الحلية (٧٩/١) أخرجه أبو بكر الأبهري في فوائده (ص٣٢-٣٤/رقم١٦) وابن الشجري في ترتيب الأمالي (٣٣٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨٧٨) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١-١٨٣) في تاريخ بغداد (٣٧٩/٦) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٥٣) وأبو طاهر السلفي في منتخبه من الطيوريات (٥٣٥) والرافعي في أخبار قزوين (٢٠٨/٣) والهندي في كنز العمال (٢٩٣٩١) والنهرواني في الجليس الصالح (٣٣١/٣) وذكرها صاحب شرح نهج البلاغة (٣١١/٤) والعقد الفريد لابن عبدربه (٢١٢/٢) والمزي في تهذيب الكمال (٢٢٠/٢٤-٢٢٢) والذهبي في تذكرة الحفاظ (١١/١) وذكرها الكثير محتجين بها وشارحين وراضين كابن الجوزي في صفة الصفوة (١٢٣/١) وابن تيمية في الفتاوى (٣١٠/٩) ابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٢٣/١) وإعلام الموقعين (١٩٥/٢) وابن كثير في تاريخه (٥٧/٩) وابن أبي العز في الاتباع (ص٨٥- ٨٦) والسيوطي في الجامع (٣٢١٣٥) والشاطبي في الاعتصام (٨٧٥/٢- ٨٧٦) والماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٥٩) وشرحه ابن القيم وأطال فيه عَنْ كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ : أَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِي فَأَخْرَجَنِي إِلَى نَاحِيَةِ الْجَبَّانِ ، فَلَمَّا أَصْحَرْنَا جَلَسَ ثُمَّ تَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ : يَا كُمَيْلُ بْنَ زِيَادٍ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ، وَاحْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ ...)

وذكروا أثرا طويلا فيه معاني حسنة ، وتقسيمات للناس عجيبة .

قال ابن عبد البر في جامعه : (وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ يُسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْنَادِ لِشُهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ) اهـ

وقال الخطيب في الفقيه والمتفقه : هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنى ، وأشرفها لفظاً ، وتقسيم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الناس في أوله تقسيم في غاية الصحة ، ونهاية السداد ، لأن الإنسان لا يخلو من أحد الأقسام الثلاثة التي ذكرها مع كمال العقل ، وإزاحة العلل ، إما أن يكون عالماً أو متعلّماً ، أو مُغفَّلاً للعلم وطلبه ، ليس بعالم، ولا طالب له ".

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٤٧/٩) : وَلَهُ الْأَثَرُ الْمَشْهُورُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي أَوَّلُهُ « الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا » وَهُوَ طَوِيلٌ قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُفَّاظِ الثِّقَاتِ وَفِيهِ مَوَاعِظُ وَكَلَامٌ حسن رضى الله عن قائله.]

وشرحها ذاك الجهمي تلميذ الجهمي : سليم بن عبد الهلالي في كتابه (**الإسعاد بذكر فوائد وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لكميل بن زياد**) !!

وتخريج هذا الأثر أن يقال : **أما كميل بن زياد** : هو وإن وثقه ابن معين وابن سعد والعجلي فقد ذكروا أنه رافضي يغلو في علي ، ففي تهذيب الكمال للمزي (٢١٩/٢٤) قَال مُحَمَّد بْن عَبد اللَّهِ بْن عمار: كميل بْن زِيَاد رافضي ، وهُوَ ثقة من أصحاب عَلِيٍّ) (**قلت**) وأخشى أن يكون من كيسه هذا المتن ، لكن بقي في السند ضعفاء وروافض متهمين به أيضا .

وَقَال فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: كميل بْن زِيَاد من رؤساء الشيعة، وكان بلاء من البلاء.قال ابن حبان في المجروحين (٨٩١) كانَ كميل من المفرطين فِي عَلِيّ مِمَّن يروي عَنهُ المعضلات وَفِيه المعجزات مُنكر الحَدِيث جدا تتقى رِوَايَته وَلَا يُحْتَج بِهِ) اهـ وذكره ابن الجوزي في الضعفاء (٢٨٠٤) والذهبي في المغني في الضعفاء (٥١٠٩) محتجين بتجريح ابن حبان .

(**قلت**) ولهذا السبب تجده مشهور في كتب الشيعة ، يحبونه ويتولونه ويكثرون عنه ، **وبسببه قال ذاك الذهبي في تذكرة الحفاظ** : إسناده لين .

أما عبد الرحمن بن جندب : ذكره البخاري وسكت عنه ، وذكره ابن حبان في "الثقات" كعادته في ذكر المجاهيل . وقال الذهبي : مجهول. [التاريخ الكبير (٢٦٨/٥) ، والثقات (٦٩/٧) ، واللسان (٤٠٨/٣)]

أما ثابت بن أبي صَفِيَّة أبي حمزة الثُّمَالِيّ : رافضي يؤمن بالرجعة ويغلو في تشيعه كما قال يزيد بن هارون وابن حبان ، وقد ضعفه ابن معين ، وأحمد ، والنسائي جدًّا ، وقال أبو حاتم ، وأبو زرعة : "لين"، وزاد أبو حاتم: "يكتب حديثه ولا يحتج به "وقال الجوزجاني : "واهي الحديث"، وتركه حفص بن غياث، وقال الدارقطني: "متروك"، وقال ابن عدي: "وضعفه بيّن على رواياته، وهو إلى الضعف أقرب" [انظر : الطبقات لابن سعد (٣٦٤/٦) والعلل لأحمد (٩٦/٣) أحوال الرجال (ص٧٠) والضعفاء والمتروكين للنسائي(ص٢٧) والضعفاء للعقيلي (١٧٢/١) والمجروحين (٢٠٦/١) والكامل لابن عدي (٩٣/٢) وسؤالات البرقاني (ص١٩) وتهذيب الكمال (٣٨٥/٤) والكاشف (٢٨٢/١) والتهذيب (٧/٢) والتقريب (١٣٢/ت٨١٨)]

وأما عاصم بن حُميد الحنَّاط : شيعي كوفي ، وثقه أبو زرعة ، وقال أبو حاتم : شيخ. وقال أبو نعيم : ما كان بالكوفة ممن يتشيع أوثق من من عاصم بن حميد الحناط .[الجرح والتعديل (٣٤٢/٦) وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين (ص١٤٩) وتهذيب الكمال (٤٨٢/١٣) والتهذيب (٣٧/٥) والتقريب (٢٨٥/ت٣٠٥٧)] .

وأما إسماعيل بن موسى الفَزَارِيّ ابن بنتِ السُّدِّيّ : وهو وإن قيل فيه صدوق يخطئ لكنه كوفي رافضي قال ابن عدي : سمعت عبدان الأهوازي يقول: سَمِعتُ أبا بكر بن أبي شيبة ، أو هناد بن السري أنكر علينا ذهابنا إلى إسماعيل هذا، وقال: أيش علمتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف ؟! قال ابن عدي : أنكروا عليه الغلو فِي التشيع .[أنظر التاريخ الكبير (٣٧٣/١) والجرح والتعديل (١٩٦/٢) والكامل لابن عدي (٣٢٥/١) والثقات لابن حبان (١٠٤/٨) والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (١٢٢/١) وتهذيب الكمال (٢١١/٣) والكاشف (٢٥٠/١) والتهذيب (٢٩٢/١)]

طريق آخر للأثر : **وله إسناد آخر** تالف لا يفرح به مسلسل بالكذابين : رواه الخطيب في تاريخه (٣٧٦/٦) وابن عساكر (٢٥١/٥٠) بسند فيه : إسحاق بن محمد بن أحمد- أبو يعقوب النّخعيّ (**كافر رافضي خبيث**) وهشام بن محمد بن السائب أبو منذر الكلبي (**كذاب**) ، عن أبي مخنف لوط بن يحيى (**رافضي كذاب**) ، عن فضيل بن خديج (**مجهول روى عَنهُ رجل مَتْرُوك**) عن كميل بن زياد النخعي (**رافضي**) .. وذكره .

الحكم العام على الأثر : أنه شديد الضعف جدا مسلسل بالمناكير ، وأخشى أن يكون موضوعا ، ركبه أحد الشيعة الذين هم في السند كالثمالي وكميل فكلاهما رافضي ، أو يكون من كلام كميل رفعه الضعفاء ، أو أخترعه كميل نفسه كما ذكر بن حبان فقد أشار إلى هذا الأثر في كلامه في قوله (يروي عن علي المعضلات والمناكير) فإذا علمنا أنه قليل الحديث كما قال ابن سعد وعلمنا أن مروياته عن علي جد قليلة لا تتجاوز الخمس ، فهذا يدلك أن هذا الأثر عناه ابن حبان بالأولوية .

ومن الأدلة على نكارة هذه القصة : أنه تفرد بتخريجها فقد أصحاب الأجزاء الحديثية من المتأخرين بسند نازل جدا ، ولم يروها أحد ممن أعتنى بالسنن والمسانيد والصحاح حتى من أهل التواريخ القديمة والتراجم لم يذكروها ، مع حسن ألفاظها وعجائب ما

فيها من التركيبات اللغوية والمعاني ، فهذا يدلك على أن القصة معلومة البطلان عندهم ، ولهذا لم يولوها أي اهتمام ولا حتى أشاروا إليها !!

ومن الأدلة على بطلانه : أن مداره على الشيعة والروافض فقط ، وهذه علة كافية في نكارته وبطلانه . **وأذكر هنا بعض الشبهات ونجيب عليها** :

شبهة ١ : قد يقال إذن كيف قيل إن شهرته تغني عن إسناده كما قال ابن عبد البر وأقره ابن القيم وغيره ؟

الجواب : إنها مجرد دعوى عريضة خالية عن التحقيق ، وبلا دليل وليس للإسناد أي شهرة عند السلف إنما اشتهر عند الخلف فقط .

شبهة ٢ : فإن قيل : إن ألفاظه حسنة وفيها معاني راقية ، وتقسيمات جميلة ، وقد اعتنى بشرحه كثير من أهل العلم المتأخرين كابن القيم ، فكيف لا يكون علي رضي الله عنه قاله وهو بهذا الحسن ؟؟

الجواب : فنقول كما قال شعبة : **من حسنها فررنا** ، فإنك لو قرأت كتاب نهج البلاغة لابن أبي حديد الذي هو عمدة الروافض قديما وحديثا لرأيت العجب من أمثال هذه الكلمات المنسوبة لعلي رضي الله عنه ، فلا تعجب من ذلك ، فالشيعة أوتوا لغة وجدلا ، خاصة المتقدمون منهم ، ويعرفون طريقة كلام علي وكيف يركبون عبارات قريبة من آثاره بحيث تشتبه على من ليس له خبرة بكلام علي رضي الله عنه

مسألة إيمان المقلد : قال المؤلف في آخر عبارة له (**فمن كان هكذا فلا دين له**) قد يُفهم منها من لا يعرف مقصود المؤلف أنه يقول بأن المقلد لا دين له !! وهذا لم يعنه المؤلف فهو سيأتي قوله أن (أول الإسلام الشهادة) وهذا يقطع بمعنى كلامه هنا بأنه يعني أن من يقلد فيضل ويبتدع ويتبع أي ناعق ، فهذا الذي لا دين له وصدق ، فمن كان هذا حاله ، لا دين له وأشار السلف إلى هذا المعنى في عدة آثار منها في النهي عن التقليد الأعمى الذي يجر للضلال :

والأصل في هذا حديث : « **يَذْهَبُ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ يَتَّخِذُ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا يُسْأَلُونَ فَيُفْتُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ** »

روى آدم ابن أبي إياس في العلم (١٣٣) وابن أبي شيبة (٢٦١٢٠) والدارمي في سننه (٢٥٤) والطبراني في الكبير (٨٧٥٢) وغيرهم من طرق جيدة عَنْ ابن مسعود قال : **اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا وَلَا تَغْدُ بَيْنَ ذَلِكَ** »

وفي لفظ : " اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا أَوْ مُسْتَمِعًا ، **وَلَا تَكُنِ الرَّابِعَ فَتَهْلِكَ** »

وروى (١٨٨٢) قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ « أَلَا لَا يُقَلِّدَنَّ أَحَدُكُمْ دِينَهُ رَجُلًا إِنْ آمَنَ آمَنَ وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ ، فَإِنَّهُ لَا أُسْوَةَ فِي الشَّرِّ »

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ القاسم بن سلام رَحِمَهُ اللَّهُ : أَصْلُ الْإِمَّعَةِ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا عَزْمَ فِيهِ ، فَهُوَ يُتَابِعُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى رَأْيِهِ وَلَا يَثْبُتُ عَلَى شَيْءٍ ، وَالْمُحْقِبُ النَّاسَ دِينَهُ الَّذِي يَتْبَعُ هَذَا وَهَذَا .

وروى الدارمي في سننه (٢٥٣) وابن عبد البر (١٣٨) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ بَعْدَهُمَا »

وروى آدم ابن أبي إياس في العلم (٥٧) عن الحسن عن أبي الدرداء قال : اغد عالما ، أو متعلمًا ، أو محبًا ، أو منصتًا، ولا تكن الخامسة فتهلك . قال الحسن: أجل والله لا عالم ولا متعلم ولا محب للعلم ولا منصت إلى العلم ، ليس في الخامس خير.

وروى آدم في العلم (١٣٥) قال أبو الدرداء أيضا : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ وَمَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا آوَى إِلَيْهِ ، وَالْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ فِي الْخَيْرِ شَرِيكَانِ وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ »

ما روى وكيع في أخبار القضاة (١/ ٣٠٨) والملخص في المخلصيات (٢٥٢٣) بسنده عن الحسنَ البصري قال : كلَّما نعقَ بهم ناعقٌ خَرجوا مَعه بالسيفِ كفعلِ هَذا الفاسقِ . أي ابن المهلب [وذكره في السير (٧/ ٢٠٧)]

وروى العقيلي في الضعفاء (٢٨/٣) وابن عبد البر في الجامع (١٤٤) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : « اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، أَوْ مُسْتَمِعًا ، **ولَا تَكُنْ رَابِعًا فَتَهْلِكَ** » **وفي الجامع (١٨٨٥)** عن سُفْيَان بْن عُيَيْنَة قَالَ : اضْطَجَعَ رَبِيعَةُ مُقَنِّعًا رَأْسَهُ وَبَكَى فَقِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ فَقَالَ : رِيَاءٌ ظَاهِرٌ وَشَهْوَةٌ خَفِيَّةٌ وَالنَّاسُ عِنْدَ عُلَمَائِهِمْ كَالصِّبْيَانِ فِي حُجُورِ أُمَّهَاتِهِمْ ، مَا نَهَوْهُمْ عَنْهُ

قال الله تبارك وتعالى { فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} وقال {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} وقال {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} وهم علماء السوء أصحاب الطمع والبدع (١).

=انْتَهَوْا ، وَمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ ائْتَمَرُوا »

وفي الجامع (١٨٨٧) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ : **لَا فَرْقَ بَيْنَ بَهِيمَةٍ تُقَادُ وَإِنْسَانٍ يُقَلِّدُ** »

والآثار في هذا المعنى لا حصر لها ، وليس معنى هذه الآثار إبطال التقليد من أصله ، فتقليد السلف وهو الإتباع كما قال أحمد ، وتقليد العوام لعلماء أهل السنة في الفتية هو الواجب عليهم أيضا ، إنما المقصود أن التقليد لا ينفع عذرا لمن ضل أو كفر ، فعلى الإنسان أن يجتهد للبحث عن الحق فيما أمر به ، خاصة في أصول الدين والسنة التي لا يعذر أحد بجهلها .**وفصل القول في هذه المسألة أن يقال** : من قال الشهادة وصلى فهو مسلم ولا يهمنا هل مقلد أو متبع ، فالحكم يكون بالظاهر ، وجعل التقليد متعلقا بالحكم الشرعي على الإسلام من خربيط الأشعرية التي توجب النظر ومعرفة الله بالأدلة وإلا فلن يصححوا إسلام المقلد !! كما هو مذهب الأشعري الجهمي الملعون ، فهذه من بدعهم ومحدثاتهم ، فإن الصحابة رضي الله عنهم فتحوا البلاد وقبلوا إيمان العجم والأعراب والعوام وإن كان تحت السيف أو تبعًا لكبير منهم أسلم ، ولم يأمروا أحدًا منهم بترديد نظر ولا سألوه عن دليل تصديقه ، ولا أرجئوا أمره حتى ينظر ، **وهذا يعتبر إجماعا قطعيا لا جدال فيه** .

(١) وفي وصف علماء السوء جاءت الآيات والأخبار الكثيرة ، سأختار منها ما يكفي بإذن الله :

قَالَ تَعَالَى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ}

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ، بَغْيًا بَيْنَهُمْ}

والأصل في هذا الباب حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو المشهور « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »

وعَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " **إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ، كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ** " [رواه أحمد (١٤٣ ، ٣١٠) والطبراني (٢٣٧/١٨) (٥٩٣) وغيرهم وهو صحيح]

ورد حديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**أكثر منافقي أمتي قراؤها**) [قال العقيلي في الضعفاء (٢٧٤/١) سنده صالح ، لكن توقف الإمام أحمد عن تصحيحه كما في مسائل صالح (٢٨٥) ومنتخب العلل (١٦١) فالله أعلم بصحته ولكن معناه صحيح وهو أحد أساب علماء السوء] .

وفي أثر عمر المشهور قال رضي الله تعالى عنه : (يهدم الدين : زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والإئمة المضلون)

وروى أحمد (٣٩٢) والدارمي في سننه (٣٨٠) وأبو داود في الزهد (١) وابن أبي الدنيا في الزهد (٤٨٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/٢٩٦) عَنْ هِشَامٍ صَاحِبِ الدَّسْتَوَائِيِّ قَالَ قَرَأْتُ فِي كِتَابٍ بَلَغَنِي أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَعْمَلُونَ لِلدُّنْيَا، وَأَنْتُمْ تُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَلَا تَعْمَلُونَ لِلْآخِرَةِ ، وَأَنْتُمْ لَا تُرْزَقُونَ فِيهَا ، إِلَّا بِالْعَمَلِ، **وَيلكمْ عُلَمَاءَ السَّوْءِ** : الْأَجْرَ تَأْخُذُونَ ، وَالْعَمَلَ تُضَيِّعُونَ يُوشِكُ رَبُّ الْعَمَلِ أَنْ يَطْلُبَ عَمَلَهُ وَتُوشِكُونَ أَنْ تَخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ إِلَى ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَضِيقِهِ ، اللَّهُ ينهاكمْ عَنِ الْخَطَايَا كَمَا أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ، كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ سَخِطَ رِزْقَهُ وَاحْتَقَرَ مَنْزِلَتَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ ؟ كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنِ اتَّهَمَ اللَّهَ فِيمَا قَضَى لَهُ ، فَلَيْسَ يَرْضَى شَيْئًا أَصَابَهُ ؟ كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ دُنْيَاهُ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْ آخِرَتِهِ ، وَهُوَ فِي الدُّنْيَا أَفْضَلُ رَغْبَةً ؟ كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ مَصِيرُهُ إِلَى آخِرَتِهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ وَمَا يَضُرُّهُ أَشْهَى إِلَيْهِ ، أَوْ قَالَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِمَّا يَنْفَعُهُ ؟ كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَطْلُبُ الْكَلَامَ لِيُخْبِرَ بِهِ وَلَا يَطْلُبُهُ لِيَعْمَلَ بِهِ ؟

روى ابن المبارك في الزهد (١٨/٢) وعبد الله في العلل (٤٥٠١) وغيره عن الثوري قال : « كَانَ يُقَالُ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ »

وروى ابن أبي الدنيا في الزهد (٤٦٦) وذم الدنيا (٣٧٧) عَنْ دَاوُدَ بْنِ هِلَالٍ النَّصِيبِيِّ قَالَ : قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَيْلَكُمْ عُلَمَاءَ السُّوءِ مِنْ أَجْلِ دُنْيَا دَنِيَّةٍ ، وَشَهْوَةٍ رَدِيَّةٍ ، تُفَرِّطُونَ فِي مُلْكِ جَنَّةٍ عَلِيَّةٍ ، وَتَنْسَوْنَ هَوْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »

وروى في الجامع (١١٦٣) عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : « شَكَتُ النَّوَاوِيسُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا تَجِدُ مِنْ نَتَنِ جِيَفِ الْكُفَّارِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا » بُطُونُ عُلَمَاءِ السُّوءِ أَنْتَنُ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ "

وروى ابن منده في مجالسه (ص٢٢٥) عن الفضيل بن عياض قال : يا علماء السوء مثلكم مثل الشجرة الدفلى زهرها حسن وثمرها تعجب من يراها ، ويقتل طعمها من يأكلها ، كلامكم شفاء يبرئ الداء، وأعمالكم داء لا يبرئه الشفاء ، الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء ، وكم من شهوة ساعة ، أورثت صاحبها حزنا طويلا ، وترك الخطايا أهون من معالجة التوبة ، وملاك الدين الورع ، وإنما الناس رجلان بين معافى ومبتلى ، فارحموا المبتلى واحمدوا الله على العافية .

وروى في الجامع (١١٦٤) عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَأَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ قَالَا: « بَلَغَنَا أَنَّ الْفَسَقَةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَمِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ يُبْدَأُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَبْلَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ » وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ : « لِأَنْ مَنْ عَلِمَ لَيْسَ كَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ »

وروى الدرامي في سننه (٣٧٥) سُفْيَانَ قَالَ : كَانَ يُقَالُ : الْعُلَمَاءُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ ، فَذَاكَ الْعَالِمُ الْكَامِلُ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَيْسَ بِعَالِمٍ بِاللَّهِ لَا يَخْشَى اللَّهَ ، فَذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ ."

وروى الهروي في ذم الكلام (٣٦٢) عَنْ أَبِي حَفْصٍ فِي قَوْلِهِ {**وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَال وَهَذَا حَرَام** } قَالَ : نَزَلَتْ فِي عُلَمَاءِ السُّوءِ يَفْتُونَ النَّاسَ بِرَأْيِهِمْ .

عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: " كَانَ يُقَالُ : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَانْتَفِعُوا بِهِ وَلَا تَعَلَّمُوهُ لِتَتَجَمَّلُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ إِنْ طَالَ بِكُمْ عُمُرٌ أَنْ يَتَجَمَّلَ ذُو الْعِلْمِ بِعِلْمِهِ كَمَا يَتَجَمَّلُ ذُو الْبِزَّةِ بِبِزَّتِهِ " [رواه الدارمي في مسنده (٣٧٥)]

وروى الدرامي في مسنده (٣٧٧) عن الشَّعْبِيّ قال : إِنَّمَا كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خَصْلَتَانِ : الْعَقْلُ وَالنُّسُكُ فَإِنْ كَانَ نَاسِكاً وَلَمْ يَكُنْ عَاقِلاً قَالَ : هَذَا أَمْرٌ لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ الْعُقَلاَءُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ ، وَإِنْ كَانَ عَاقِلاً وَلَمْ يَكُنْ نَاسِكاً قَالَ: هَذَا أَمْرٌ لاَ يَنَالُهُ إِلاَّ النُّسَّاكُ فَلَمْ يَطْلُبْهُ ، فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : وَلَقَدْ رَهِبْتُ أَنْ يَكُونَ يَطْلُبُهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا لاَ عَقْلٌ وَلاَ نُسُكٌ "

وروى الدارمي في مسنده (٣٦٧) عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ : قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلاَنِيُّ: الْعُلَمَاءُ ثَلاَثَةٌ: فَرَجُلٌ عَاشَ فِي عِلْمِهِ وَعَاشَ مَعَهُ النَّاسُ فِيهِ، وَرَجُلٌ عَاشَ فِي عِلْمِهِ وَلَمْ يَعِشْ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَجُلٌ عَاشَ النَّاسُ فِي عِلْمِهِ وَكَانَ وَبَالاً عَلَيْهِ ."

وروى الخطابي في العزلة (ص٨٦) عن سَعِيدَ بْنَ مَسْرُوقٍ قال : كَانَ يُقَالُ : « ذَهَبَ الْعِلْمُ وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ فِي أَوْعِيَةِ سُوءٍ »

وروى ابن حبان في روضة العقلاء (ص٣٦) عَن سُفْيَان الثوري قَالَ : العالم طبيب الدين ، والدرهم داء الدين ، فإذا اجتر الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره ؟ .

[٩٧] واعلم أنه لا يزال الناس في عصابة من أهل الحق والسنة ، يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ، ويحيي بهم السنن ، فهم الذين وصفهم الله مع قلتهم عند الاختلاف وقال { الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } فاستثناهم فقال { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تزال عصابة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون. (٢) .

---

(١) ومن أصرح الآيات في هذا المعنى الآية ١١٦ من هود : (**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ**) وَأخرج ابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم وَأَبُو الشَّيْخ عَن قَتَادَة فِي الْآيَة قَالَ : أَي لم يكن من قبلكُمْ من ينْهَى عَن الْفساد فِي الأَرْض إِلَّا قَلِيلا .

وَأخرج أَبُو الشَّيْخ عَن ابْن جريج {**إِلَّا قَلِيلا مِمَّن أنجينا مِنْهُم**} يستقلهم الله من كل قوم . [الدر (٤/٤٩٠)]

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١٩٢٤) عن عقبة بن عامر ، وروي في هذا المعنى أحاديث وآثار من ذلك :

عن عُمَرُ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قَالَ : نَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلاثُ مِائَةٍ وَنَيِّفٌ وَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَإِذَا هُمْ أَلْفٌ وَزِيَادَةٌ فَاسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ ، وَعَلَيْهِ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ ثُمَّ قَالَ : اللهُمَّ أَيْنَ مَا وَعَدْتَنِي ؟ اللهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي ، اللهُمَّ إِنَّكَ **إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ** ، فَلا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا " [مسلم (١٧٦٣)]

وهذه الفقرة تختص بوصف الفرقة الناجية وقد وردت أحاديث وآثار في ما قاله المؤلف وللفرقة الناجية أسماء وسمات : وأسماء أطلقت عليهم منها : أهل السنة والجماعة ، والسلف الصالح ، وأهل الحديث والسنة ، وأهل الأثر ، والطائفة المنصورة ، وهم السواد الأعظم ، وهم في أخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث ، الذين يصلحون إذا فسد الناس وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من السنة ، وهم الذين يَفِرُّون بدينهم من الفتن ، وهم النُزَّاع من القبائل ، لأنهم قَلُّوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان ، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد ، كما كان الداخلون في الإسلام في أول الأمر كذلك ومبناها كلها على اتباع الصحابة والتابعين ، والتمسك بآثارهم ، وقد **روى البخاري** (٧٣١١) عَنْ الْمُغِيرَةِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ .

وفي صحيح مسلم (١٥٦) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ تَعَالَ صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ لَا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ . **(قلت)** وهم أهل الحديث والأثر كما صرح بذلك علماء السلف .

وَأَخْرَجَ الْحَاكِم فِي عُلُوم الْحَدِيث والبغوي في شرح السنة (١٤/٢١٣) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (٢٧) عَنْ الإمام أَحْمَد قال في الطائفة المنصورة : إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْل الْحَدِيث فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ .

وروى الخطيب وغيره مثل هذا **عن علي بن المديني والبخاري** .

روى الأصبهاني في الحجة (١/٢٦٣) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٧) عن أَحْمد بْن سِنَان وَذكر حَدِيث النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا تزَال طَائِفَة من أمتِي عَلَى الْحق ظَاهِرين لَا يضرهم من خالفهم حَتَّى تقوم السَّاعَة " **هم أهل الْعلم وَأَصْحَاب الْآثَار** .

وروى الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٢٧) والأصبهاني في الحجة (١/٢٦٣) عن أَحْمد بْن أَبِي خلف قَالَ : سُئِل يزيد

بْن هَارُون عَنِ الْفِرْقَة النَّاجِية الَّتِي قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ : **إِن لم يَكُونُوا أَصْحَاب الحَدِيث فَلَا أَدْرِي من هم** ".

قال ابن رجب في فضائل الشام (ص٨٤) عن الإمام أحمد قال في الأبدال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فلا أدري من هم.

وفي كتاب **شرف أصحاب الحديث** ساق الخطيب البغدادي بإسناده إلى ابن المديني قال في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) قال ابن المديني : هم أهل الحديث والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ، ويذبون عن العلم ، ولولاهم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأي شيئاً من السنن " .

وقال الأوزاعي في قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) : أما إنه ما يذهب الإسلام ولكن يذهب أهل السنة ، حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد) .

وروى الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٢٦) عن عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ : كَانَ الْأَعْمَشُ يَقُولُ : « لَا أَعْلَمُ لِلَّهِ قَوْمًا أَفْضَلَ مِنْ قَوْمٍ يَطْلُبُونَ هَذَا الْحَدِيثَ ، وَيُحِبُّونَ هَذِهِ السُّنَّةَ ، وَكَمْ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ وَاللَّهِ لَأَنْتُمْ أَقَلُّ مِنَ الذَّهَبِ »

وروى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٥) عن أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بِشْرٍ بِفَسَا قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ، فَقُلْتُ : مَنِ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؟ قَالَ : « أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ »

وروى (ص٢٦) عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَعْقُوبَ الطَّالْقَانِيُّ قَالَ : ذَكَرَ ابْنُ الْمُبَارَكِ حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : هُمْ عِنْدِي أَصْحَابُ الْحَدِيثِ .

روى عياض في الإلماع (ص٢٨) بسنده عن صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ **مَا النَّاسُ إِلَّا مَنْ قَالَ حَدَّثَنَا وَأَخْبَرَنَا** وَلَقَدِ الْتَفَتَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى أَبِي فَقَالَ لَهُ كَلِّمِ ابْنُ أَبى دؤاب فَأَعْرَضَ عَنْهُ أَبِي بِوَجْهِهِ قَالَ كَيْفَ أُكَلِّمُ مَنْ لَمْ أَرَهُ عَلَى بَابِ عَالِمٍ قَطُّ

ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) **قال أبو نعيم الأصبهاني** : وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها ، لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً) [شرف أصحاب الحديث للخطيب (٣٥)]

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ** » [رواه البزار (٩٤٢٣) وابن وضاح في البدع (ص٢٥) والطحاوي في المشكل (٣٨٨٤) والآجري في الشريعة (١/٢٦٩) والطبراني في مسند الشاميين (٥٩٩) وتمام في فوائده (٨٩٩) وابن بطة في الكبرى (٣٣) وغيرهم وقد صححه الإمام أحمد كما نقله عنه الخلال أنظر شرف أصحاب الحديث (ص٢٩)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** » [رواه أبو داود (٤٢٩١) والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧) والحاكم (٨٥٩٢) والبيهقي في المعرفة (٤٢٢) بسند صحيح]

وروى ابن وضاح في البدع (٣) بسند منقطع عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي امْتَنَّ عَلَى الْعِبَادِ بِأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، يَدْعُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَى الْهُدَى ، وَيَصْبِرُونَ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى ، وَيُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ أَهْلَ الْعَمَى ، كَمْ مِنْ قَتِيلٍ لِإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ ، وَضَالٍ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ ، بَذَلُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ دُونَ هَلَكَةِ الْعِبَادِ ، فَمَا أَحْسَنَ أَثَرَهُمْ عَلَى النَّاسِ ، وَأَقْبَحَ أَثَرَ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، يَقْتُلُونَهُمْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِالْحُدُودِ وَنَحْوِهَا ، فَمَا نَسِيَهُمْ رَبُّكَ {**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**} جَعَلَ قَصَصَهُمْ هُدًى ، وَأَخْبَرَ عَنْ حُسْنِ مَقَالَتِهِمْ ، فَلَا تَقْصُرْ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ فِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ وَإِنْ أَصَابَتْهُمُ الْوَضِيعَةُ " [وقد استفتح بهذا أحمد مقدمة كتابه الرد على الزنادقة (ص٦)]

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : « **إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ يَذُبُّ عَنْهَا ، وَيَنْطِقُ بِعَلَامَتِهَا ، فَاغْتَنِمُوا حُضُورَ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ** » [سنده ضعيف رواه ابن وضاح في البدع (٤) وأبو نعيم في الحلية (١٠/٤٠٠) موقوفا وقد روي مرفوعا عن أبي هريرة ولا يصح]

[٩٨] واعلم – رحمك الله – أن العلم ليس بكثرة الرواية [والكتب] إنما العالم من اتبع العلم والسنن ، وإن كان قليل العلم [والكتب] ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير العلم [والرواية والكتب] (١) .

---

(١) هذه عبارة إبراهيم الخواص بالحرف تقريبا ، والمؤلف نقل عنه عدة عبارات دون عزو فقد روى البيهقي في الشعب (١٦٨٤) والرسالة القشيرية (ص١٠٤) وطبقات الصوفية للسلمي (٢٢١/١) وسير السلف الصالحين للأصبهاني (١٣٢٥/١) عن إِبْرَاهِيمَ الْخَوَّاصَ قالُ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، إِنَّمَا الْعَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ الْعِلْمَ وَاسْتَعْمَلَهُ ، وَاقْتَدَى بِالسُّنَنِ ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ " .

وأصل هذا في قول الله تعالى في اليهود : { **مَثَلُ الَّذِينَ حمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَومِ** } الآية فالكثير ممن ينتسبون للعلم معهم من الكتب الكثير ، وحفظوا من العلم ما يعجز عن حمله غيرهم ، ومع ذلك لم ينتفعوا به ولم يصيبوا الحق والسنة ، ومثله قوله تعالى (**واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**) فوصف بلعام بحمل العلم مع الإنسلاخ عنه ، فحقيقة العلم ليس بالكثرة إنما هو بإصابة الحق والإخلاص مع الخشية ولو بقلة العلم والكتب وفي ذلك آثار منها :

روى أبو داود في الزهد (١٧٢) والطبراني في الكبير (٨٥٣٤) والحلية (١٣١/١) والبيهقي في المدخل (٤٨٦) وابن عبد البر في الجامع (١٤٠٠) والمروذي في الورع (٢٨٢) وابن عدي في الكامل (١٠٠/١) بسند صحيح وفيه انقطاع يسير لا يضره بإذن الله عن ابن مسعود قال : **لَيْسَ الْعِلْمُ مِنْ كَثْرَةِ الْعِلْمِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ مِنَ الْخَشْيَةِ** .

وروى البيهقي في المدخل (٤٨٧) وابن بطة في إبطال الحيل (ص١٧) قال بن مسعود : **كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا** .

وروى ابن بطة في إبطال الحيل (ص١٨) عَنْ أَبِي عَلْقَمَةَ اللَّيْثِيِّ قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « **إِنَّ الْفِقْهَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ السَّرْدِ وَسَعَةِ الْهَذْرِ وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، وَإِنَّمَا الْفِقْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** »

روى ابن المبارك في الزهد (٨/٢) والزهد لأحمد (٢٦٧ و٢٧٩) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥١٨٨) وابن سعد في الطبقات (١٣١/٧) والحلية لابي نعيم (١٤٧/٢) وابن بطة في الحيل (٢٢) عن مَطَرٍ الْوَرَّاقُ قَالَ : سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَقَالَ فِيهَا ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ يَأْبَى عَلَيْكَ الْفُقَهَاءُ فَقَالَ الْحَسَنُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مَطَرُ ، وَهَلْ رَأَيْتَ بِعَيْنَيْكَ فَقِيهًا قَطُّ ؟ وَقَالَ: أَتَدْرِي مَا الْفَقِيهُ ؟ الْفَقِيهُ : الْوَرِعُ ، الزَّاهِدُ ، **الْمُقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَا يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنْهُ ، وَلَا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوْقَهُ ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ حُطَامًا ."

وفي رواية ابن بطة في ابطال الحيل (ص٢٨): وَإِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ ، الدَّائِبُ عَلَى الْعِبَادَةِ **الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ** ."

وكما قال سفيان بن عيينة : العلم إذا لم ينفع ضر . [إبطال الحيل (ص٣٤)]

وروى ابن بطة في إبطال الحيل (٣٢) وابن أبي يعلى في الطبقات (١٥١/٢) من طريق إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ الصَّائِغُ قَالَ: سمعت الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ قَالَ: إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ الْخَشْيَةُ وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ .

وروى الآجري في الشريعة (٢٧٠/١) والإبانة الكبرى لابن بطة (٣٨) وإبطال الحيل (٢٥) عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ : الْفَقِيهُ الْعَفِيفُ الزَّاهِدُ الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ : أُولَئِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

روى ابن عدي في الكامل (١٠٠/١) والجوهري في مسند الموطأ (١٤) وابن عبد البر في الجامع (١٣٩٨) وترتيب

[٩٩] واعلم – رحمك الله – أن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم ، ومن قال على الله ما لا يعلم ، فهو من المتكلفين (١) .

= **المدارك** (٢/٦٠) **والغنية لعياض** (١/٧٤) عن مَالِك قال : **لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ** ، إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَضَعُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُلُوبِ .

روى ابن عبد البر في الجامع (**١٣٩٩**) قَالَ مَالِكٌ « الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ **وَلَيْسَ بِكَثْرَةِ الْمَسَائِلِ** »

قال الأصبهاني في الحجة (**٢/٤٦٩**) : " وَلَيْسَ الْعلم بِكَثْرَة الرِّوَايَة ، وَإِنَّمَا هُوَ الإتباع ، والاستعمال ، يَقْتَدِي بالصحابة وَالتَّابِعِينَ وَإِن كَانَ قَلِيل الْعلم ، وَمن خَالف الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ ضال ، وَإِن كَانَ كثير الْعلم .

(**قلت**) واليوم الناس إذا رأوا شيخا كثير الدروس والكتب والفتاوى عدُّوه في العلماء ، ونصبوه رأسا لهم ، وقد تجده فارق السنة في بعضها ودخل في البدعة ، وبالمقابل ينبذون السني المتبع للأثر بحجة أنه قليل الكلام والكتابة أو قليل العلم بالفتوى وبشروحات المتأخرين وهكذا انقلبت الموازين !! ووقع ما تنبأ له السلف ، ولابن رجب كلام جيد حول هذا في رسالة بيان فضل علم السلف ، والله المستعان .

(١) وهذا هو الحق لمن أراد السلامة في الدين والإستراحة التامة ، فكل من قال في الدين برأيه وقياسه ، سيضل ولو بعد حين ، وتكلف ما ليس له علم بالدين ، وقد حذر السلف من هذا الأمر جدا ، بينوا خطورة هذا المسلك الذي أشار إليه المؤلف ، فمما ورد في هذا الباب :

روى ابن عبد البر في جامع البيان (٢٠١٧) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « **إِنَّمَا هَلَكْتُمْ حِينَ تَرَكْتُمُ الْآثَارَ ، وَأَخَذْتُمْ بِالْمَقَايِيسِ** »

وجاء في شرف أصحاب الحديث (**ص٦**) عن الثوري قال : **إنما الدين بالآثار ليس بالرأي** .

روى ابن بشران في أماليه (٥٦٧) والخطيب في (ص٦٥) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ دَاوُدَ قال : **لَيْسَ الدِّينُ بِالْكَلَامِ ، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ**.

روى الهروي في ذم الكلام (٣٢٤) عن عِصَامَ بْنَ يُوسُفَ يَقُولُ : **عَلَيْكُمْ بِالْآثَارِ وَإِيَّاكُمْ وَالرَّأْيَ** .

روى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (**ص٧٦**) قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ : دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو حَنِيفَةَ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَقِسِ الدِّينَ بِرَأْيِكَ ، فَإِنَّا نَقِفُ غَدًا نَحْنُ وَأَنْتَ وَمَنْ خَلْفَنَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَنَقُولُ : قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقُولُ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ : سَمِعْنَا وَرَأَيْنَا ، فَيَفْعَلُ اللَّهُ بِنَا وَبِكُمْ مَا يَشَاءُ ".

روى الخَطيب في شرف أصحاب الحديث (**ص٧٣**) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ شَبَوَيْهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: « مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْقَبْرِ فَعَلَيْهِ بِالْأَثَرِ، وَمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْخُبْزِ فَعَلَيْهِ بِالرَّأْيِ »

وفي طبقات الحنابلة (**١/٣٥**) ترجمة الصطخري ينقل عن أحمد قال : وأصحاب الرأي وهم مبتدعة ضلال أعداء للسنة والأثر يبطلون الحديث ويردون عَلَى الرسول عليه الصلاة والسلام ويتخذون أبا حنيفة ومن قالب قوله إماما ويدينون بدينهم وأي ضلالة أبين ممن قَالَ بهذا وترك قول الرسول وأصحابه واتبع قول أبي حنيفة وأصحابه فكفى بهذا غياً مردياً وطغيانا ... قال : فمن قَالَ بشيء من هذه الأقاويل أو رآها أو صوبها أو رضيها أو أحبها فقد خالف السنة وخرج من الجماعة وترك الأثر وقال بالخلاف ودخل فِي البدعة وزال عَنِ الطريق وما توفيقي إلا بالله)

وفي طبقات الحنابلة (**١/٣٢٩**) عن مُحَمَّد بْن يَزِيدَ المستملي يقول سأل رجل أَحْمَد بن حنبل فقال: أكتب كتب الرأي قَالَ : لا تفعل عليك بالآثار والحديث فقال: له السائل إن عَبْد اللَّهِ بْن المبارك قد كتبها فقال : له أَحْمَد ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق. (**قلت**) والآثار في هذا المعنى كثيرة ستأتي معنا في هذا الكتاب مفرقة ، واليوم الله المستعان كثر

والحق ما جاء من عند الله ، والسنة :[ما] سنَّهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والجماعة : ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان(١)

= الكلام في الدين بالرأي والقياس والإجتهاد الخاص وكثرت عبارة (الظاهر) و(يبدوا لي) (والله أعلم هو كذا) (وفي رأي كذا) (وفي نظري كذا) ولا تجد من يفتيك بأثر إلا بمشقة شديدة ، ولف ودوران ، وقد لا تجد من يسعفك والله المستعان !!

(١) وهذا هو الأمر الأول الذي حث السلف بالرجوع إليه أبدا ، والمؤلف يشير إلى ما مقالة أبي العالية ، فقد روى عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٣٦٧) قال أبو العالية : (**عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا**)

وفي رواية ابن عساكر في تاريخه (١٧١/١٨) أتم : **قال أبو العالية** : تعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وإياكم وهذه الأهواء فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء وعليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا ، فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن يقتل صاحبكم يعني عثمان بخمس عشرة سنة فقال عاصم فحدثت به الحسن فقال قد نصحك والله وصدقك .

(**قلت**) وهذا المعنى مشور في كلام الصحابة والتابعين ، من ذلك :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم فأيما مرية أو رجيل أدرك ذلك الزمان **فالسمت الأول** فأنا اليوم على السنة) [أخرجه وكيع في الزهد (٣١٥) وعنه أحمد في الزهد (ص٢٠٢) والدارمي برقم (٢٠٥) وابن وضاح في البدع والنهي عنها برقم (١٤) وأبو خيثمة في كتاب العلم برقم (٥٤)]

وقال ابن مسعود أيضاً : « إنكم أصبحتم على الفطرة ، وإنكم ستحدثون ، ويحدث لكم ، فإذا رأيتم محدثة فعليكم **بالهدي الأول** ». [رواه الدارمي (١٦٩) والمروزي في السنَّة (٨٠)]

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٥٨) عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حَاضِرٍ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَوْصِنِي قَالَ : عَلَيْكَ بِالِاسْتِقَامَةِ وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ الْأَوَّلَ وَلَا تَبْتَدِعْ »

عَنْ مُحَمَّدٍ بن سيرين قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : اللَّهُمَّ أَبْقِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ مَا أَبْقَيْتَنِي أَقْتَدِي بِهِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا **الْيَوْمَ عَلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ غَيْرَهُ** » [رواه سعيد بن منصور (٢٩٧٥) وابن سعد في الطبقات (١٠٧/٤) وابن عساكر في تاريخه (١٦٦/٣١)]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النخعي : مَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ ، لَوْ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ لم يغسلوا إِلَّا الظفر مَا جَاوَزْنَاهُ كَفَى إِزْرًا عَلَى قَوْمٍ أَنْ تَتَخَالَفَ أَعْمَالُهُمْ". [أخرجه الدَّارميّ فِي سنَنه (٢٢٤) وفي النقض على المريسي (٦٦٧/٢) وأَبُو نعيم فِي الْحِلْية ٤/٢٢٧]

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٥٢) عَنْ شُرَيْحٍ قال : إِنَّمَا أَقْتَفِي الْأَثَرَ فَمَا وَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِهِ - يَعْنِي الصَّدْرَ الْأَوَّلَ - حَدَّثْتُكُمْ بِهِ.

روى البخاري في كتاب رفع اليدين (١٠٤) عن فُدَيْكُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَبُو عِيسَى قَالَ : سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ قُلْتُ : يَا أَبَا عَمْرٍو مَا تَقُولُ فِي رَفْعِ الْأَيْدِي مَعَ كُلِّ تَكْبِيرَةٍ وَهُوَ قَائِمٌ فِي الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ الْأَمْرُ الْأَوَّلُ » .

ومن أعجب الأقاويل في هذا الفصل ما رواه البخاري في رفع اليدين (ص٣٧) : قَالَ مَعْمَرٌ : أَهْلُ الْعِلْمِ كَانَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ أَعْلَمَ ، وَهَؤُلَاءِ الْآخِرُ فَالْآخِرُ عِنْدَهُمْ أَعْلَمُ .

(**قلت**) فيا سبحان الله !! ويكأنه يصف واقع المنتسبين للعلم وطلبته اليوم ، فلسان حالهم أن علماءهم المتأخرين أعلم من السلف المتقدمين ، ويكأنه كلما نزل الإسناد كان أقوى !! بل قد سمعنا بآذاننا عن بعض المعاصرين من قال إن ابن تيمية أعلم من أحمد ومالك ووو !! .

ومن اقتصر على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان عليه [أصحابه والجماعة فلج على أهل البدعة كلهم(١) واستراح بدنه وسلم له دينه إن شاء الله(٢) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستفترق أمتي » وبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناجية منها فقال : « ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي »

= **قال النصر أبادي** : أصل هذا المذهب : ملازمة الكتاب والسنة ، وترك الأهواء والبدع والإقتداء بالسلف وترك ما أحدث الآخرون والإقامة على ما سلكه الأولون . [المدارج (١٤٩/٣)]

قَالَ أَبُو معشر : سَأَلت إِبْرَاهِيم بن مُوسَى عَن هَذِه الْأَهْوَاء فَقَالَ مَا جعل الله فِي شَيْء مِنْهَا مِثْقَال ذرة من خير مَا هِيَ إِلَّا نزعَة من الشَّيْطَان **عَلَيْك بِالْأَمر الأول** . [ذكره الطرطوشي في الباعث (ص١٧)]

وقد وضع الإمام مالك رحمه الله قاعدة عظيمة تلخص جميع ما ذكرناه من أقوال الأئمة بقوله رحمه الله (**لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا**) [أسنده ابن عبد البر في التمهيد (١٠/٢٣) والقاضي في الشفاء (٨٨/٢)]

وأختم برؤية صالحة : وهي ما روى ابن أبي الدنيا في المنامات (٨٧) عن أَبِي تَمِيمُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ : يَا مَالِكُ **عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ** ."

(١) بوب ذاك الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث (ص٧٠ - ٦٩) **[ثُبُوتُ حُجَّةِ صَاحِبِ الْحَدِيثِ]** ثم روى عن الْمُزَنِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ عَظُمَتْ قِيمَتُهُ ، وَمَنْ نَظَرَ فِي الْفِقْهِ نَبُلَ مِقْدَارُهُ ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ **قَوِيَتْ حُجَّتُهُ** » وروى فيه عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: «أَكْثِرُوا مِنَ الْأَحَادِيثِ ، **فَإِنَّهَا سِلَاحٌ** »

وروى عن أَبِي عَرُوبَةَ الْحَرَّانِيَّ يَقُولُ : الْفَقِيهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ حَدِيثٍ ، **يَكُونُ أَعْرَجَ** »

(٢) ففي تتبع الآثار والسلف سلامة من الضلال والزيغ والهوى ، **في كتاب المجالسة للدينوري (٣٢٦)** قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِعَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ : إِذَا ابْتُلِيتَ بِالْقَضَاءِ فَعَلَيْكَ بِالْأَثَرِ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَأَتَيْتُ أَبَا حَمْزَةَ السُّكَّرِيَّ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقُلْتُ لَهُ: مَا الْأَثَرُ ؟ قَالَ: أن تأتيني أُحَدِّثُكَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا وَكَذَا ، فَتَقْضِيَ بِهِ أَوْ تَعْمَلَ بِهِ ، فَإِذَا سُئِلْتَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَلْتَ عَلَيَّ ، وَأَحَلْتُ أَنَا عَلَى الْأَعْمَشِ ، وَيُحِيلُ الْأَعْمَشُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَيُحِيلُ إِبْرَاهِيمُ عَلَى عَلْقَمَةَ ، وَيُحِيلُ عَلْقَمَةُ عَلَى عَبْدِ اللهِ ، وَيُحِيلُ عَبْدُ اللهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَنْتَهِي الْأَمْرُ مُنْتَهَاهُ **فَتَسْلَمَ** . [ورواه ابن عبد البر في الجامع (٢٠٢١) وأبو نعيم في الحلية (١٦٦/٨)]

عن سَمِعْتُ شَاذَّ بْنَ يَحْيَى قال : « لَيْسَ طَرِيقٌ أَقْصَدَ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَنْ سَلَكَ الْآثَارَ » [رواه اللالكائي في السنة (١١٢) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٥٨)]

وروى الخطيب أيضا (ص٦٠) عن وَكِيعَ بْنَ الْجَرَّاحِ يَقُولُ: « لَوْ أَنَّ الرَّجُلَ ، لَمْ يُصِبْ فِي الْحَدِيثِ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْهَوَى كَانَ قَدْ أَصَابَ فِيهِ »

وقال ابن عثمان الحيري : " أسلم الطرق من الاغترار : طريق السلف ولزوم الشريعة " [مدارج السالكين (١٢٥/٣)]

فهذا هو الشفاء والبيان ، والأمر الواضح والمنار المستنير.(١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والتعمق وإياكم والتنطع وعليكم بدينكم العتيق (٢)

[١٠٠] واعلم أن [الدين] العتيق ما كان من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتل عثمان بن عفان وكان قتله أول الفُرقة (٣) وأول الاختلاف ، فتحاربت الأمة وتفرقت واتبعت الطمع والأهواء والميل إلى الدنيا .

---

(١) وهذا هو معنى كلام السلف ، في قولهم : أنك لن تضل إذا لزمت الأثر ، وفي هذا المعنى آثار جليلة منها :

ما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إنا نقتدي ولا نبتدي ، ونتبع ولا نبتدع ، **ولن نضل ما تمسكنا بالأثر** . [صحيح رواه اللالكائي في شرح أصول الإعتقاد رقم (١٠٥-١٠٦) والفقيه والمتفقه (١/ ٣٨٢) وابن بشران في أماليه (٥٤)]

عن حذيفة رضي الله عنه قال : اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فإن أصبتم فقد سبقتم سبقا بينا وإن أخطأتم فقد ضللتم ضلالا بعيدا [رواه المروزي في السنة (٨٧) وابن وضاح في البدع ١٥]

وقال ابن سيرين وعون : **كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر** . [سنن الدارمي (١/ ٥٣ - ٥٤) وذم الكلام (ص٩٩) وأصول الاعتقاد (١/ ٩٧) والإبانة (١/ ٢/٣٥٦/٢٤١) والشريعة (١/١٣٢/٣٢) وجامع بيان العلم (١/ ٧٨٣)].

وروى ابن أبي يعلى في الطبقات (١/٧١) قال عبد اللَّه بن عتبة بْن مسعود : إنك لن تخطىء الطريق ما دمت عَلَى الأثر .

وعن أبي جعفر الرازي عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال : إنا نتبع ولا نبتدع ونقتدي ولا نبتدي ولن نضل ما تمسكنا بالآثار) [اللالكائي في السّنة (١/٨٦) وذم الكلام (٢/١٨٢)]

وروى ابن عبد البر في الجامع (٢٠٢١) وَعَنْ شُرَيْحٍ أَنَّهُ قَالَ: « إِنَّ السُّنَّةَ سَبَقَتْ قِيَاسَكُمْ فَاتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا مَا أَخَذْتُمْ بِالْأَثَرِ .

ولهذا كله قال أحمد بن سنان وذكر حديث : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ) فقال هم أهل العلم **وأصحاب الأثر**) [رواه الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٧) والمستخرج على المستدرك للعراقي (ص٦)]

(٢) قد وهم المؤلف في رفعه ، إنما ثبت من كلام بن مسعود وبسند ضعيف عن معاذ بن جبل ، ولم يرو مرفوعا أصلا :

فأما عن ابن مسعود رضي الله عنه : فقد رواه معمر في جامعه (٢٠٤٦٥) وعبد الرزاق (١٠/٢٥٢) والدارمي (١ذ٤٤) والطبراني في الكبير (٩/١٨٩) والبدع والنهي عنها لابن وضاح (١٦٣) السنَّة لمحمد بن نصر المروزي (٨٠) واللالكائي في السنة (١٠٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٦٩) والبيهقي في المدحل (٣٨٧) وابن عبد البر في الجامع (١/١٥٢) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/٤٣) وابن حبان في روضة العقلاء (ص ٣٧) والأصبهاني في (الحجة في بيان المحجة) (١/ ٣٠٣/ رقم: ١٦٨) وهو صحيح إلى أبي قلابة غير أنه لم يسمع من ابن مسعود ، لكن رواه أبو شعيب الحراني في فوائده (برقم ٣) والبيهقي في المدخل (٣٨٨) وابن عساكر في تاريخه (٥٢/٣٣) من طريق آخر عن أبي إدريس الحولاني عنه وهو متصل بسند صحيح وله طريق آخر عند ابن بطة في الإبانة (١٦٨) عن يحي بن أبي كثير عنه ، فالأثر صحيح ، ولهذا قال البيهقي في المدخل : هذا مرسل وروي موصولًا من طريق الشاميين ".

أما عن معاذ رضي الله عنه فقد تفرد بروايته ابن وضاح في البدع (٦٢) بسند ضعيف .

(٣) وهذا أخذه المؤلف من كلام أبي العالية فقد روى سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَاصِمًا الْأَحْوَلَ ، يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا تُوقِعُ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَعَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ

فليس لأحد رخصة في شيء أحدثه مما لم يكن عليه أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله [أو من قبل رجل] من أهل البدع فهو كمن أحدثه (٢) فمن زعم ذلك أو قال به فقد رد السنة وخالف الحق و الجماعة ، وأباح البدع وهو أضر على هذه الأمة من إبليس (٣)

= الَّذِي **كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا** فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ **قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ صَاحِبُهُمْ** يَعْنِي عُثْمَانَ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً » قَالَ عَاصِمٌ : فَحَدَّثْتُ بِهِ الْحَسَنَ فَقَالَ : قَدْ نَصَحَكَ وَاللهِ وَصَدَقَكَ) سبق تخريجه.

(**قلت**) وبهذا كان الحسن البصري يدعوا الله منذ أن سمعه ، كما روى الهروي في ذم الكلام (٤٧٥) عن الْحَسَنُ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو يَقُولُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُؤْمِنِينَ حَقًّا واجْعَلْ دِينَنَا **الْإِسْلَامَ الْقَدِيمَ** . أي قبل التفرق .

(١) لأن العلم الذي لا يجيئك عن الصحابة ليس بعلم ، ولا من الدين أصلا ، كما روى **ابن عبد البر في جامع البيان** (**١٤٢٥**) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: « مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْس مِنَ الدِّينِ »

وفي جاء في جامع البيان (**١٠٦٦**) **والخطيب في شرف أصحاب الحديث** (**ص٧٢**) عَنِ الشَّعْبِيِّ « مَا حَدَّثُوكَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُدَّ عَلَيْهِ يَدَكَ وَمَا حَدَّثُوكَ مِنْ رَأْيِهِمْ فَبُلْ عَلَيْهِ »

وعن الْأَوْزَاعِيَّ قالُ : « الْعِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا لَمْ يَجِئ عَنْ وَاحِدٍ، مِنْهُمْ **فَلَيْسَ بِعِلْمٍ** » [رواه ابن عبد البر في الجامع (١٤٢١) تاريخ بن عساكر (٢٠١/٣٥) وذكره في سير أعلام النبلاء (٩٥/٧)]

(٢) من أحدث البدعة ، ومن دعى لها ، كلاهما في الحكم سواء ، وهذا الحكم أخذه المؤلف من قال عزوجل : (**إنكم إذن مثلهم**) ومن الحديث المشهور (**وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً يُعْمَلُ بِهَا بَعْدَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا**) [أخرجه مسلم (١٠١٧)] ومن حديث علي مرفوعا (.. **فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلًا وَلا صَرْفًا** ..) [البخاري (٣١٧٢) ومسلم (١٣٧٠)] فسوى بين المحدث ومن آواه في الحكم واللعنة وعدم قبول العمل . وفي رواية ابن وضاح زيادة مهمة : فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْإِحْدَاثُ فِيهَا ؟ قَالَ : « أَنْ يَقْتُلَ فِي غَيْرِ حَدٍّ ، **أَوْ يَسُنَّ سُنَّةَ سُوءٍ لَمْ تَكُنْ** »

وفي صحيح مسلم (**٣/ ١٤٨٠/١٨٥٤**) عن أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن عرف برئ ، ومن أنكر سلم ، **ولكن من رضي وتابع** » قالوا : يا رسول الله أفلا نقاتلهم ؟ قال : « لا ما صلوا » (**قلت**) فكل شرك وبدعة تجد لها المنشيء والداعي لها ، فمثلا ضلالة الجهمية أنشأ الفكرة الجعد بن درهم وأسسها الجهم بن صفوان ونشرها ثم نشرتها في نسخة معدلة تلك الأشعرية الزنادقة ، وبدعة الخوارج كان صاحب الفكرة ذو الخويصرة ، والناشر لها أهل الشر من العراق الذي خرجوا على علي وعثمان وغيرهم ، وهكذا كل ضلالة تجد صاحب الفكرة والناشر وكلاهما في الحكم سواء وقد يكون الناشر أسوء وأكفر وأضل .

(٣) يجوز وصف الظالم بأكثر مما هو عليه مبالغة في ذمه ، وصرف الناس عنه ، كأن تقول لا أظلم من ذاك المبتدع ، وقد يكون من هو أظلم منه وهذا أسلوب عربي قرآني لا إشكال فيه وليس بظلم للظالم ، بل هو خير له لينصرف الناس عن ضلاله وبدعته فتخف تبعاته ، والمؤلف وصف المبتدع الداعي للبدعة بأنه أضر على الأمة من إبليس وهذا قد روي فيه حديث ضعيف يشبه هذا الإستعمال جاء فيه (**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ وَهْبٌ يَهَبُ اللَّهُ لَهُ الْحِكْمَةَ ، وَرَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَيْلَانُ هُوَ أَضَرُّ عَلَى أُمَّتِي مِنْ إِبْلِيسَ**) ذكره العقيلي في الضعفاء (٢٠٤/٤) وأشار لضعفه ، ولكن استعمل أبو زرعة هذا التعبير في موسى بن نصر أبو سهل الجهمي قال فيه أبو حاتم : هو أكفر من إبليس . [تاريخ الإسلام (١٩٣/٢٠)]

ومن عرف ما ترك أصحاب البدع من السنة ، وما فارقوا فيه فتمسك به فهو صاحب سنة وصاحب جماعة ، وحقيق أن يتبع وأن يعان ، وأن يحفظ ، وهو ممن أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

[١٠١] واعلموا – رحمكم الله – أن أصول البدع أربعة أبواب ، انشعب من هذه الأربعة اثنان [وسبعون] هوًى (٢)

= وروى **عبد الله في السنة** (**١٤٠**) عن عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَأَبُو مُحَمَّدٍ يَعْنِي أَخَوَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَقَاسِمًا فَسَأَلَهُ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ عَنِ الْقُرْآنِ : مَخْلُوقٌ ؟ فَأَنْكَرَ سُفْيَانُ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَغَضِبَ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ وَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ : إِنِّي أَحْسِبُكَ شَيْطَانًا إِنِّي أَحْسِبُكَ شَيْطَانًا ، بَلْ أَنْتَ شَيْطَانٌ فَقِيلَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَإِنَّهُ ، فَأَبَى وَأَنْكَرَ مَا سَأَلَ عَنْهُ) .

(١) لا أعرف نصا في هذا في حد علمي وبحثي ، لكن قد يفهم من مجموع النصوص ذلك ، كما في حديث (**المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخالل**) وحديث (**الجليس السوء**) وأحاديث التحذير من البدع وأهلها ، ومن أحاديث فضل السنة وأهلها ، كل ذلك يدل على وجوب مصاحبة السني .

(٢) وهذا الذي قاله المؤلف أصله من كلام ابن المبارك ويوسف بن أسباط رحمهما الله ، فقد ذكروا أصول الفرق وتشعبها ، لكن أول عبارة استعملها البربهاري هي من كلام يوسف ابن أسباط رحمه الله فقد **روى ابن بطة في الإبانة الكبرى** (**٢٩٣ - ٢٩٤**) عنه أنه قال : أَصْلُ الْبِدَعِ أَرْبَعَةٌ : الرَّوَافِضُ وَالْخَوَارِجُ وَالْقَدَرِيَّةُ ، وَالْمُرْجِئَةُ ، ثُمَّ تَتَشَعَّبُ كُلُّ فِرْقَةٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ طَائِفَةً ، فَتِلْكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً ، وَالثَّالِثُ وَالسَّبْعُونَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّهَا النَّاجِيَةُ** » .

فأما كلام ابن المبارك فرواه ابن بطة أيضا في الإبانة الكبرى (**٢٩٥**) : عن حفص بن حميد قلت لعبد الله بن المبارك : على كم افترقت هذه الأمة ؟ فقال : الأصل أربع فرق : هم الشيعة ، والحرورية ، والقدرية ، والمرجئة ، فافترقت الشيعة على ثنتين وعشرين فرقة ، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة ، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة ، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة ، قال : قلت يا أبا عبد الرحمن لم أسمعك تذكر الجهمية قال : إنما سألتني عن فرق المسلمين .

وقد نقل ابن بطة كلام أبي حاتم نقلا عن ببعض أهل العلم من السلف في تبيان أسماء الفرق وبيان منشئيها وتفرقها في كلام طويل ومهم راجعه في الإبانة الكبرى لابن بطة (١/١٩٥ - ت آل حمدان) وذكر أسماءهم أيضا أبو عبد الله الزبيري الشافعي بالتفصيل في عقيدته ، **وفي عقيدته** هذه المسألة ثم قال : أصول البدع أربعة : الخوارج ، والرافضة ، والقدرية ، والمرجئة ، فافترقت كل فرقة ثمانية عشر فرقة ، فذلك اثنتان وسبعون فرقة تمام ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فذكر الحديث . [انظر الجامع لعقائد أهل السنة والأثر (ص٧٥٣) وراجع ما قال الملطي في كتاب التنبيه (ص٩٢) فله تفصيل لأصول الفرق]

(**قلت**) ولاحظ أن السلف لا يذكرون الجهمية والصوفية الحلولية في الفرق ، وإذا ذكروهم فبالتكفير ، بسبب أنهم كفرة زنادقة لسيوا من المسلمين كما نبه ابن المبارك ، فمن الجهل والحمق عدُّ الجهمية في الفرق الضالة من الأمة الإسلامية ، كما يفعل أكثر المتأخرين والمعاصرين ، فقالوا أصل البدع خمسة واستدركوا على السلف بالجهمية لحمقهم !! ولكن ننبه إلى أن كل فرقة من هؤلاء عندها غلاة كفرة خرجوا عن حدِّ البدعة إلى الزندقة والردة وهذا كما قال الزهري : أسرع الناس ردة هم أهل الأهواء .

ثم يصير كل واحد من البدع [يتشعب] حتى تصير كلها إلى ألفين وثمان مائة مقالة وكلها ضلالة(١) وكلها في النار إلا واحدة وهو من آمن بما في هذا الكتاب(٢) واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك ، فهو صاحب سنة ، وهو الناجي إن شاء الله .

[١٠٢] واعلم – رحمك الله – لو أن الناس وقفوا عند محدثات الأمور ولم يتجاوزوها بشيء ولم يولدوا كلاما مما لم يجئ فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أصحابه لم تكن بدعة (٣) .

---

(١) هذا التعداد لم أجد له أثرا أو كلاما لأحد من أهل العلم قبل البربهاري فالله أعلم به ، فحصر عدد المقالات صعب والمؤلف ربما عددها بالتقريب أو ربما سمع فيها شيئا لم يصلنا !! لكن ما بين يدينا من كتب لم أقف على من سبقه بهذا القول .

(٢) أي كتابنا شرح السنة هذا ، لا كما ظن بعض الشراح من المرجئة والمخلطين الذين أفسدوا الكتاب بتعليقات سخيفة ، فقالوا يقصد بهذا الكتاب أي كتاب الله !! ثم قالوا ونسي المؤلف أن يذكر السنة !! وليس هذا قصد المؤلف فقد قيد كلامه (بهذا) أي المعهود وهو كتابه شرح السنة وهو في آخر الكتاب قال نحو هذا الكلام ، وفعل ذلك أيضا الآجري في الشريعة ، بل وقبله أئمة أهل السنة يدونون العقائد مكتوبة ، ثم يقولون من خالف من حرفا منه فهو مبتدع زائغ ، كما فعل الإمام أحمد في عقيدته أصول السنة والكرماني في السنة وابن بطة في الإبانة وغيرهم ، وليس في هذا تزكية للنفس أو عجب أو نحو هذا ، إنما يريد التخويف من مخالفة عقيدة أهل السنة والجماعة وبيان ما فيها ، لكن يؤخذ على المؤلف بعض الأشياء البسيطة وهي نادرة في كتابه ، فيها ضعف وشك ، عليها أدلة ضعيفة ، فتستثنى من قوله (**واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك**) وهي لا تؤثر في أصول السنة ، ومع ذلك يقال : لو استثنى المؤلف في كلامه لكان أحسن رحمه الله .

(٣) ورد في سبب نشوء البدع والضلالات ، نصوص وآثار وملخصها ، أن سبب ذلك كله هو ترك الآثار بترك اتباع الصحابة وقد نبه على هذا عدة من السلف ، وقد أصَّلَ عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه لهذه القاعدة المطردة ، وهي أن ترك الآثار تساوي الولوغ في البدع لا محالة في ذلك فقال : (**اتَّبِعُوا آثَارَنَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ**) وسبق أيضا قوله لأصحاب الحلقة البدعية (والذي نفس ابن مسعود بيده **لئن أخذتم آثار القوم** ليسبقنكم سبقا بعيدا ولئن صرتم يمينا وشمالا **لتضلن ضلالا بعيدا)** وعلى مشى كلام السلف من بعده في التأصيل لهذه القاعدة : **قال ابن عمر رضي الله عنه** : اتبعوا ولا تبتدعوا فإنكم لن تضلوا **ما اتبعتم الأثر** فإن تتبعونا فقد سبقناكم سبقا بعيدا وإن تخالفونا **فقد ضللتم** ضلالا كبيرا ". [السنة للمرزوي (١/٢٩)]

ففي الجامع لابن عبد البر (٢٠٢٦) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »

روى الدارمي في النقض على المريسي (٢/٦٦٩) والهروي في ذم الكلام (٣/١١) عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ : مَا رَأْيُ امْرِئٍ فِي أَمْرٍ بَلَغَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم إِلَّا اتِّبَاعه ، ولو لم يَكُنْ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ فِيهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَانُوا أَوْلَى فِيهِ بِالْحَقِّ مِنَّا ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ: {**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**} وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ : بَلْ نَعْرِضُهَا عَلَى رَأْيِنَا فِي الْكِتَابِ ، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا صَدَّقْنَاهُ وَمَا خَالَفَهُ تَرَكْنَاهُ ، وَتِلْكَ غَايَةُ كُلِّ مُحدِث فِي الْإِسْلَامِ رَدُّ مَا خَالَفَ رَأْيَهُ من السّنة .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد (٨/٦١١) قال أحمد عن الجهمية : .. إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها ، تركوا آثار رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وأقبلوا عَلَى هذه الكتب .

روى الخلال في السنة (١٠٤/٥) : عن أحمد بن حنبل حدثهم : سمع أبا نعيم الفضل بن دكين قال له رجل: يا أبا نعيم هذا بشر المريسي ؟ فقال : لعن الله أهل الزيغ والضلالة ، من بشر المريسي ؟ إنما يتكلم في هذا التافه من الناس ، لا يعرف ، نسأل الله لنا ولكم اليسر والعافية عليكم بالآثار ، والعلم ما كان عليه من مضى من السلف.

والآثار في هذا كثيرة ولخصها الإمام مالك رحمه كما في **ذم الكلام للهروي (٨٦٩)** عن ابن أبي أويس قال سمعت مالك بن أنس يقول : (**ما قَلّتْ الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء** ، ولا قلّتْ العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء) اهـ

وفي طبقات الحنابلة (٣٥/١) قال أحمد : وأصحاب الرأي وهم مبتدعة ضلال أعداء للسنة والأثر يبطلون الحديث ويردون عَلَى الرسول عليه الصلاة والسلام ويتخذون أبا حنيفة ومن قالب قوله إماما ويدينون بدينهم وأي ضلالة أبين ممن قَالَ بهذا وترك قول الرسول وأصحابه واتبع قول أبي حنيفة وأصحابه فكفى بهذا غياً مردياً وطغيانا ... قال : فمن قَالَ بشيء من هذه الأقاويل أو رآها أو صوبها أو رضيها أو أحبها فقد خالف السنة وخرج من الجماعة وترك الأثر وقال بالخلاف ودخل فِي البدعة وزال عَنِ الطريق وما توفيقي إلا بالله) اهـ

(**قلت**) واليوم هجر الناس الآثار ، وفسّروا النصوص بآراءهم وفهمهم وبالقواعد والأصول التي اخترعتها الأشعرية والمعتزلة وأهل المنطق ، وحكموا العقول والهوى في شرحها ولم يعتمدوا على طريق أهل الحديث في فهم السلف (**آثار الصحابة والتابعين**) في تفسير النصوص الشرعية كما يدّعون !! فكم سمعناهم يقولون (نتبع الكتاب والسنة على فهم السلف) !! فيا مخذولين أين ستجدون فهم السلف إن لم تكن من الآثار ؟؟ وقد تجد شيخا يشرح كتاب حديث فتفرح فإذا استمعت وجدت شرحه كله بالرأي لا بالأثر ، وبهذا ضلوا وأضلوا كما قال السلف في كل من فعل ذلك ، فهذه نتيجة حتمية لا مفر منها . وهذا يشبه ما وقع لأبي يوسف وأهل الرأي حديث كانوا يردون الآثار بشبهة أنها تصد عن القرآن !!

فقال الدرامي في النقض (٦٠٢/٢) : ورُوِي عَنْ أَبِي يُوسُفَ الْآثَارَ تَصُدُّ النَّاسَ عَنْ طَلَبِهَا وَتُزَهِّدُهُمْ فِيهَا بِتَأْوِيلِ ضَلَالٍ يُرَى مِنْ بَيْنِ ظَهْرَيْهِ أَنَّهُ فِيمَا يَدَّعِي مِنْ ذَلِكَ مُصِيبٌ ، فَكَانَ مِمَّا تَأَوَّلَ فِي رَدِّهَا أَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : "سَيَفْشُو الْحَدِيثُ عَنِّي ، فَمَا وَافَقَ مِنْهَا الْقُرْآنَ فَهُوَ عَنِّي ، وَمَا خَالَفَهُ فَلَيْسَ عني ...."

وكان مما قال الدرامي رحمه الله : " وَالِاقْتِدَاءُ بِالْآثَارِ تَقْلِيدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ فِي دَعْوَى الْمَرِيسِيِّ أَنْ يَقْتَدِيَ الرَّجُلُ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ، فَمَا مَوْضِعُ الِاتِّبَاعِ الَّذِي قَالَه اللَّهُ تَعَالَى {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ}؟ وَمَا يَصْنَعُ بِآثَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ بَعْدَ أَنْ لَا يَسَعَ الرَّجُلُ اسْتِعْمَالَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا اسْتَنْبَطَهُ بِعَقْلِهِ فِي خِلَافِ الْأَثَرِ ؟ إِذَا بَطَلَتِ الْآثَارُ وَذَهَبَتِ الْأَخْبَارُ ، وَحُرِّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَى أَهْلِهِ، وَلَزِمَ النَّاسُ الْمَعْقُولَ ، مِنْ كُفْرِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ مِنْ تفاسيرهم ، فقد عرضنَا كَلَامهم عل الْكتاب وَالسّنة فأخطأوا فِي أَكْثَرِهَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَلَمْ يُصِيبُوا السّنة) اهـ .

وأختم بما روي عن مطر الوراق قال : ترك أصحاب الرأي الآثار والله . [الفقيه والمتفقه (١/ ٤٦٣)]

[١٠٣] واعلم – رحمك الله – أنه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمنا حتى يصير كافرا إلا أن يجحد شيئا مما أنزله الله تعالى (١) أو يزيد في كلام الله أو ينقص(٢) أو ينكر شيئا مما قال الله ، أو شيئا مما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) فاتق الله – رحمك الله – وانظر لنفسك ، وإياك والغلو في الدين ، فإنه ليس من طريق الحق في شيء (٤) .

---

(١) وقد سبق في الكتاب أن من رد حرفا من كتاب الله فقد كفر من كلام ابن مسعود وغيره من السلف وذكرنا الآثار في ذلك .

(٢) وهذا ما يسمى التحريف فإنه يكون بالزيادة والنقص كما فعل أهل الكتاب بما أنزل إليهم من الكتب والصحف ، ويدخل في هذا التأويل الذي أتت به الجهمية والأشعرية وكل ذلك كفر بالله وكفر بكتابه .

(٣) وسبق أيضا بيان حكم من رد شيئا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن ذلك كفر وزيغ ، ينطبق عليه قول الله تعالى { **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** } وقول الإمام أحمد : أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ".

ونضيف هنا فائدة : قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد اللّه يقول : من رد حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فهو على شفا هلكة .[المناقب لابن الجوزي (ص٢٣٥)] (**قلت**) وقد اعترف الجهمية بكفرهم إذ يردون الحديث بلا عذر :

فروى الخلال في السنة (١٧٣٤) عن الْحَسَنَ بْنَ الْبَزَّارِ يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمِرِّيسِيِّ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أُذَاكِرُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَكُلَّمَا ذَكَرُوا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَدْتُهُ قَالَ : يَقُولُونَ : أَنْتَ كَافِرٌ قَالَ : صَدَقُوا إِذَا ذَكَرُوا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَدْتَهُ يَقُولُونَ : أَنْتَ كَافِرٌ قَالَ : فَكَيْفَ أَصْنَعُ قَالَ : إِذَا ذَكَرُوا حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ : صَدَقْتَ ، ثُمَّ اضْرِبْهُ بِعِلَّةٍ ، فَقُلْ : لَهُ عِلَّةٌ .

(٤) وهذا في كتاب الله كما قال تعالى : {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**} [المائدة:٧٧] وقال صلى الله عليه وسلم : (**إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**) [صحيح وقد أخرجه النسائي (٥/٢٩٦ رقم ٣٠٥٧) وابن ماجه (٣/٤٧٦ رقم ٣٠٢٩) وأحمد في المسند (١/٢١٥، ٤٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنه]

ومن الحكايات في هذا الباب ما **ذكره أبو الفيض الغساني في كتابه أخبار حكايات الغساني (١/٤١)** عن صالح بن عبد الله بن أحمد قال : (يَا أَبَهْ أَرَأَيْتَ الرجل يخرج عَلَى الْأُمَّةِ بِسَيْفِهِ وَيُسَمَّى بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَجُوزُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لِي يَا بُنَيَّ أَتَجْعَلُ عَلِيًّا رَضِي الله عَنهُ كالخوارج وأهَل بَدْرٍ كَسَائِرِ النَّاسِ نَعُوذُ بِاللَّهِ من الغلو ونعوذ بِاللَّهِ مِنَ الْغُلُوِّ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْغُلُوِّ يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا) اهـ

وفي مسائل صالح بن عبد الله (٢٥٢) قال : وَسَأَلته عَن حَدِيث ابْن عَبَّاس إِيَّاكُمْ والغلو فَإِنَّمَا أهلك من كَانَ قبلكُمْ الغلو قَالَ أبي لَا تغلوا فِي شَيْء حَتَّى الْحبّ والبغض) .

وقد قال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/٢٨) : قال الأصمعي قول (**الحسنة بين السيئتين**) فأراد أن الغلو فِي الْعلم سَيِّئَة وَالتَّقْصِير عَنْهُ سَيِّئَة والحسنة بَينهمَا وَهُوَ الْقَصْد كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيث الآخر فِي فضل قَارِئ الْقُرْآن : غير الغالي فِيهِ وَلَا الجافي عَنهُ فالغلو فِيهِ التعمق والجفا عَنْهُ التَّقْصِير وَكِلَاهُمَا سَيِّئَة وَمِمَّا يبين ذَلِك قول اللَّه عز وَجل {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ} . وَكَذَلِكَ قَوْله { لَمْ يُسْرِفُوْا وَلَمْ يَقْتُرُوْا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} . وَمِمَّا يشبه هَذَا ... حَدِيث يرْوى عَن بُرَيْدَة الْأَسْلَمِيّ عَن النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَام أَنه قَالَ : من يشاد هَذَا الدّين يغلبه) اهـ وهو كلام متين .

[١٠٤] وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب ، فهو عن الله ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه وعن التابعين ، والقرن الثالث إلى القرن الرابع فاتق الله يا عبد الله وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض [والرضا] لما في هذا الكتاب (١) ولا تكتم هذا الكتاب أحدا من أهل القبلة ، فعسى يرد الله به حيرانا عن حيرته ، أو صاحب بدعة من بدعته ، أو ضالا عن ضلالته فينجو به (٢) .

---

(١) وهذا ما قمتُ به في هذا المستخرج ، تبين من خلاله صحة هذا الكلام بتخريج المسائل من النصوص والآثار ويستثنى أشياء نادرة جدا نبهت عليها ولا تضر ، فليست في أصول الدين المجمع عليها بل في بعض فروع معتقد أهل السنة والجماعة ، فالمؤلف يقصد أنه من خالف أصول أهل السنة والجماعة التي ذكرها في هذا الكتاب فقد خرج من السنة لأن كتابه لم يكتبه برأيه بل بالوحي والأثر وما أجمع عليه السلف ، فهو يدعو لما أجمع عليه السلف لا لنفسه ، فافهم هذا ولا تتعجل بنقده ، ومع ذلك أقول لو حرر المؤلف هذه العبارة لتكون أوضح من هذه لكان أحسن ، فالإيهام ليس بجيد ، والتبيان مطلوب .

(٢) هداية رجل للحق أجره عظيم ومتعدِّي ، ولهذا تجد المؤلف حريص على هذا الأمر ، فيضطر لأن يستعمل عبارات تشدُّ الإنتباه ، وتُلفتُ النظر ، وتستفز القارئ ، وربما يقرؤها من لا يعرف الواقع الذي عاشه المؤلف والغربة الشديدة التي كان عليها أهل السنة حينها ، فيفهمها على أنها غلو من المؤلف أو عُجْبٌ منه !! وحاشاه من ذلك رحمه الله ، بل حُقَّ له أن ينبه على أهمية نشر السنة ، وهداية الضال لها ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : (**لئن يهدي الله بك رجلا واحد أحب إليك من حمر النعم**) [البخاري (٣٧٠١) ومسلم (٢٤٠٦)]

وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: « **مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا ، فَلَهُ أَجْرُهُ، وَمِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعُهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا** ».

وروى ابن المبارك في الزهد (١٣٨٤) عن حَمَّاد بْنَ أَبِي سُلَيْمَانَ قال : يَجِيءُ رَجُلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَرَى عَمَلَهُ مُحْتَقَرًا فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ مِثْلُ السَّحَابِ حَتَّى يَقَعَ فِي مِيزَانِهِ فَيُقَالُ : هَذَا مَا كُنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ مِنَ الْخَيْرِ، فَوُرِثَ بَعْدَكَ، فَأُجِرْتَ فِيهِ "

وروى ابن وضاح في البدع (٥) قال عبد الكريم ابن أبي أمية : (لأن أرد رجلاً عن رأي سيئ أحب إلي من اعتكاف شهر) عن معمر بن رَاشد قَالَ سَمِعت الزُّهْرِي يَقُول : **تَعْلِيم سنة خير من عبَادَة مِائَتي سنة** . [ورواه ابن حبان في الثقاة (١٤١٧٦) وذم الكلام (ص.٢٠٤) وعقيدة الصابوني (ص.٣١٨) وتاريخ بن عساكر (٦/٤٣)]

ومن أجمل الكلام بهذه المناسبة ما روى ابن وضاح (٦) عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ أَنَّ أَسَدَ بْنَ مُوسَى كَتَبَ إِلَى أَسَدِ بْنِ الْفُرَاتِ: اعْلَمْ أَيْ أَخِي أَنَّمَا حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ مَا ذَكَرَ أَهْلُ بِلَادِكَ مِنْ صَالِحِ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنْ إِنْصَافِكَ النَّاسَ وَحُسْنِ حَالِكَ مِمَّا أَظْهَرْتَ مِنَ السُّنَّةِ ، وَعَيْبِكَ لِأَهْلِ الْبِدْعَةِ ، وَكَثْرَةِ ذِكْرِكَ لَهُمْ ، وَطَعْنِكَ عَلَيْهِمْ ، فَقَمَعَهُمُ اللَّهُ بِكَ ، وَشَدَّ بِكَ ظَهْرَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَوَّاكَ عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِ عَيْبِهِمْ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ ، فَأَذَلَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، وَصَارُوا بِبِدْعَتِهِمْ مُسْتَتِرِينَ ، فَأَبْشِرْ أَيْ أَخِي بِثَوَابِ ذَلِكَ وَاعْتَدَّ بِهِ أَفْضَلَ حَسَنَاتِكَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ مِنْ إِقَامَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحْيَا شَيْئًا مِنْ سُنَّتِي كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وَضَمَّ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ : أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هَذَا فَاتُّبِعَ عَلَيْهِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » فَمَنْ يُدْرِكُ أَجْرَ هَذَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ ؟ وَذُكِرَ أَيْضًا أَنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كُلِّ بِدْعَةٍ كِيدَ بِهَا الْإِسْلَامُ وَلِيًّا لِلَّهِ يَذُبُّ عَنْهَا ، وَيَنْطِقُ بِعَلَامَاتِهَا ، فَاغْتَنِمْ يَا أَخِي هَذَا الْفَضْلَ ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ وَأَوْصَاهُ وَقَالَ: « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ كَذَا وَكَذَا »

فاتق الله ، وعليك بالأمر الأول العتيق(١) وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب ، فرحم الله عبدا ورحم والديه قرأ هذا الكتاب ، وبثه وعمل به ودعا إليه ، واحتج به ، فإنه دين الله ودين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه من انتحل شيئا خلاف ما في هذا الكتاب ، فإنه ليس يدين لله بدين وقد رده كله كما لو أن عبدا آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى ، إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى وهو كافر، كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين .

= وَأَعْظَمَ الْقَوْلَ فِيهِ ، فَاغْتَنِمْ ذَلِكَ ، وَادْعُ إِلَى السُّنَّةِ حَتَّى يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ أُلْفَةٌ وَجَمَاعَةٌ يَقُومُونَ مَقَامَكَ إِنْ حَدَثَ بِكَ حَدَثٌ فَيَكُونُونَ أَئِمَّةً بَعْدَكَ ، فَيَكُونُ لَكَ ثَوَابُ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا جَاءَ الْأَثَرُ ، فَاعْمَلْ عَلَى بَصِيرَةٍ وَنِيَّةٍ وَحِسْبَةٍ فَيَرُدَّ اللَّهُ بِكَ الْمُبْتَدِعَ الْمَفْتُونَ الزَّائِغَ الْحَائِرَ ، فَتَكُونَ خَلَفًا مِنْ نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى اللَّهَ بِعَمَلٍ يُشْبِهُهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ أَخٌ ، أَوْ جَلِيسٌ ، أَوْ صَاحِبٌ ، فَإِنَّهُ جَاءَ الْأَثَرُ : مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ وَوُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ مَشَى إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ مَشَى فِي هَدْمِ الْإِسْلَامِ ، وَجَاءَ : مَا مِنْ إِلَهٍ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَبْغَضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ صَاحِبِ هَوًى ، وَقَدْ وَقَعَتِ اللَّعْنَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفًا ، وَلَا عَدْلًا ، وَلَا فَرِيضَةً ، وَلَا تَطَوُّعًا ، وَكُلَّمَا ازْدَادُوا اجْتِهَادًا وَصَوْمًا وَصَلَاةً ازْدَادُوا مِنَ اللَّهِ بُعْدًا ، فَارْفُضْ مَجَالِسَهُمْ وَأَذِلَّهُمْ ، وَأَبْعِدْهُمْ كَمَا أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ وَأَذَلَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَئِمَّةُ الْهُدَى بَعْدَهُ .

(١) الأمر العتيق هو عهد الصحابة أي اتباع آثارهم باختصار وتقليدها ، وهي الأمر الأول الذي يصلح بها آخر هذه الأمة فعن أبي قلابة أن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « **وإياكم والتبدع ، والتنطع، والتعمق ، وعليكم بالعتيق** ». [رواه الدارمي (١٤٤) البدع والنهي عنها لابن وضاح (١٦٣) السنَّة للمروزي (٨٠)]

روى الدارمي في سننه (٦٢) عن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَامَ بِالشَّامِ فَقَالَ: « **أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، أَلَا وَإِنَّ رَفْعَهُ ذَهَابُ أَهْلِيهِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ ، وَالتَّبَدُّعَ ، وَالتَّنَطُّعَ ، وَعَلَيْكُمْ بِأَمْرِكُمُ الْعَتِيقِ** »

عن مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ الْجَوْزجَانِيِّ سَأَلَهُ : كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ: أَصَحُّ الطُّرُقِ وَأَعْمَرُهَا وَأَبْعَدُهَا مِنَ الشُّبَهِ اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَوْلا وَفِعْلا، وَعَزْمًا وَعَقْدًا وَنِيَّةً، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور: ٥٤] فَسَأَلَهُ : كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ ؟ قَالَ: مُجَانَبَةُ الْبِدَعِ ، **وَاتِّبَاعُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الأَوَّلُ** مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ ، وَالتَّبَاعُدُ عَنِ مَجَالِسِ الْكَلامِ وَأَهْلِهِ، وَلُزُومُ طَرِيقَةِ الاقْتِدَاءِ وَالاتِّبَاعِ ، بِذَلِكَ أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}.

وروى الهروي في ذم الكلام (٤٧٥) عن الْحَسَنُ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو يَقُولُ **اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُؤْمِنِينَ حَقًّا واجْعَلْ دِينَنَا الْإِسْلَامَ الْقَدِيمَ** .

وعن مالك : وسئل عن القراءة بالمسجد ؟ فقال : لم يكن الأمر القديم وإنما هو شيء أحدث ، ولم يأت آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها ، والقرآن حسن [ذكره في كتاب الإعتصام (١/ ٥٠٨) ورواه الطرطوشي في الحوادث والبدع (ص.٩٥)] .

(**قلت**) يريد قراءة على وجه مخصوص بعد صلاة الصبح .

ولخص السمعاني هذا الباب فقال : إذا أردتم الصدق ففي الكتب القديمة ، وإن أردتم الصادقين ففي البيوت القديمة ، عليكم بالقديم عليكم بالقديم . [معجم السفر(١٢٣٣)]

كذلك لا يقبل الله شيئا من السنة في ترك بعض ، ومن ترك من السنة شيئا فقد ترك السنة كلها ، فعليك بالقبول ، ودع عنك المَحْك واللجاجة ، فإنه ليس من دين الله في شيء ، وزمانك خاصة زمان سوء ، فاتق الله (٢).

---

(٢) وقد زعم المتأخرون أنه لا يبدع الرجل بزلة في المعتقد والسنة حتى تكون البدع غالبة عليه ، بينما كان السلف يشترطون في كون الرجل على السنة أن لا يخالف أي شيء من معتقد أهل السنة والأثر وألا يخالفهم في أي شيء مما ذكروه في عقائهم المكتوبة ، وهذا باتفاق أهل السنة والحديث .

روى الهروي في ذم الكلام (٤٧٦) عن مُوسَى بْنُ هَارُونَ قَالَ سَمِعْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ حَرْبٍ يَقُولُ : **مَنْ زَالَ عَنِ السُّنَّةِ بِشَعْرَةٍ فَلَا تَعْتَدَّنَّ بِهِ** .

وقال ابن عيينة : السنة عشرة : فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة . [اللالكائي (٣١٦)].

وفي عقيدة سفيان الثوري التي كتبها لشعيب بن حرب : كان الثوري كلما ذكر سنة قال ولا ينفعك ما كتبت لك حتى تؤمن .. ويذكر سنة أخرى حتى انتهى من العقيدة ، فدل هذا أنه لا ينفعه شيئ مما كتب له حتى يصدق بجميع السنن . [رواها اللالكائي في السنة (٣١٨)]

وفي آخر عقدية الشافعي قال : فمن ترك من هذا شيئا فهو مخالف لكتاب الله عزوجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . [اعتقاد الشافعي للهكاري كما في الجامع لآل حمدان (٢٤٤) صفة العلو (٩٢) لابن قدامة واجتماع الجيوش(ص٢٤٠)]

وفي عقيدة علي بن المديني قال : السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها .[الجامع لعقائدة أهل السنة لال حمدان (ص٤٤٠)]

وفي طبقات الحنابلة أيضا (٣١/١) في ذكر عقيدة الإمام أحمد برواية الإصطخري قال أحمد فيها : هذا مذهبُ أهلِ العلمِ والأثرِ، فمَنْ خالَفَ شَيئاً مِنْ ذلكَ أوْ عَابَ أهَلَها ، **فهو مبتدعٌ خارج من الجماعة زائل عَنْ منهج السنة وسبيل الحق** ...)

وقال الكرماني في السنة (ص٣٣) هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة ، المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها **فمن خالف شيئا من هذه المذاهب** ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ، فهو **مخالف** ، **مبتدع** ، **خارج** من الجماعة ، **زائل** عن منهج السنة وسبيل الحق) اهـ

وقال أيضا (١١١) : فمن قال بشيء من هذه الأقاويل ، أو رآها أو هويها ، أو رضيها ، أو أحبها : فقد خالف السنة وخرج من الجماعة ، وترك الأثر وقال بالخلاف ودخل في البدعة ، وزال عن الطريق) اهـ

وقال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (ص١٣) : وَلَوْ أَرَدْنَا –رَحِمَكَ اللَّهُ– أَنْ نَنْتَقِلَ عَنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَنَرْغَبَ عَنْهُمْ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ وَنَرْغَبَ فِيهِمْ ، لَخَرَجْنَا مِنِ اجْتِمَاعٍ إِلَى تَشَتُّتٍ ، وَعَنْ نِظَامٍ إِلَى تَفَرُّقٍ ، وَعَنْ أُنْسٍ إِلَى وَحْشَةٍ ، وَعَنِ اتِّفَاقٍ إِلَى اخْتِلَافٍ ، لِأَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ كُلَّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَا يَكُونُ ، وَعَلَى أَنَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَعَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى تَقْدِيمِ الشَّيْخَيْنِ ، وَعَلَى الْإِيمَانِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ ، لَا يَخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ ، وَمَنْ فَارَقَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا نَابَذُوهُ وَبَاغَضُوهُ وَبَدَّعُوهُ وَهَجَرُوهُ .

وقال أبو عثمان الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث (ص٣١٥) : إخواني وأصحابي ألا يزيغوا عن منارهم ، ولا يتبعوا غير أقوالهم ، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع ، التي اشتهرت فيما بين المسلمين ، وظهرت وانتشرت ، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه ، وبدعوه ، ولكذبوه ، وأصابوه بكل سوء ومكروه.

وقال ابن بطة رحمه الله في الإبانة الصغرى (ص٢٨٢) : ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئا ، وهجرانه ، والمقت له ، وهجران من والاه ونصره ، وذب عنه ، وصاحبه ، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة .

وقال أيضا : "ونحن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها ، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سمي بها واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئًا منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه وحذر منه من أهل البدع والزيغ. [الشرح والإبانة ١٧٥- ١٧٦]

وقال ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص٢٣) قال عن كتابه (جمعت لذلك ما لا يسع المسلمين جهله ولا يعذر الله تبارك اسمه من أضاعه ولا ينظر إلى من خالفه وطعن عليه ممن دحضت حجته ..) اهـ

وقال ابن الحنبلي في الرسالة الواضحة (١/ ٢٥٤) : ولا يستحق أحد اسم السنة إلا من يستكمل فيها خصال السنة كلها ، لأن من أنكر خصلة من خصال السنة لا يقال له صاحب سنة .... سئل جعفر الصادق قال : متى تجتمع خصال السنة السنة كلها في العبد ؟ قال : إذا صدق وآمن وأقر بجميع خصال السنة كلها .

وقد سيأتي قول البربهاري في شرح السنة [١٤٨] ولا يحل لرجل أن يقول : فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة ، لا يقال له : صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها .

(**قلت**) فهذه مذاهب أهل العلم في كل زمان ومكان لم يختص بها الحنابلة دون باقي أهل العلم فقد قاله أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وغيرهم وأجمعوا أن من خالف شيئا من أصول أهل السنة ، فقد ترك السنة كلها ، وخرج إلى البدعة والضلالة ، وبدع وهجر . فنحن فعلى ما قال اللالكائي بإذن الله حيث قال : " إذا رأيناهم – أي أئمة السلف من الصحابة والتابعين – قد أجمعوا على شيء ، عولنا عليه ، ومن أنكروا قوله أو ردوا عليه بدعته أو كفروه ، حكمنا به واعتقدناه ، ولم يزل من لدن رسول الله إلى يومنا هذا قوم يحفظون هذه الطريقة ويتدينون بها ، وإنما هلك من حاد عن هذه الطريقة لجهله طرق الاتباع) اهـ .

وعليه أقول : (**من لم يقرأ كتب السنة فليس بسني**) أي في ادعائه السنة خلل ، ولهذا قال السجزي في رسالته لأهل زبيد (ص٣٦٢) : وليكثر النظر في كتب السنن لمن تقدم مثل: أبي داود السجستاني ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأبي بكر الأثرم وحرب بن إسماعيل السيرجاني ، وخشيش بن أصرم ، وليحذر تصانيف من تغير حالهم فإن فيها العقارب وربما تعذر الترياقي) .

وقال السمعاني : (من أراد الصدق فعليه بالقديم والكتب القديمة) .

فلهذا أهيب بإخواننا بقراءة كتب السنة القديمة والاكتفاء بالأثر ، وأذكر منها : السنة لعبد الله بن أحمد ، والسنة للخلال والسنة للكرماني ، وشرح أصول اعتقاد للالكائي ، والإبانة الكبرى والصغرى لابن بطة ، والشريعة للآجري ، وشرح السنة للبربهاري ، والرد على المريسي للدارمي ، ونحوها من كتب السنة ، وقد جمع ذاك آل حمدان ستين رسالة للأئمة السلف في أصول السنة في كتاب سماه : (الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر) وهو جمع جيد على أن بعض الرسائل لا تصلح لتضم فيه .

[١٠٥] وإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك ، وفِرْ من جوار الفتنة (١)

(١) لزوم البيت عند الفتن ، هو صنيع السلف ، وقد جاء في هذا عدة أحاديث وآثار منها :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه — قال : (بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذكر الفتنة فقال : إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا – وشبك بين أصابعه – قال: فقمت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك ؟ قال : **الزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ بما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة**) [رواه أبو داود (٤/١٢٤) النسائي في الكبرى (١٠٠٣٣) والحاكم (٢/٢٨٢) وغيرهم بسند لابأس به ، وقد وصححه الحاكم ووافقه ذاك الذهبي وحسنه المنذري قال العقيلي سنده صالح]

عن الْحَسَنَ البصري يَقُولُ : إِنَّ عَلِيًّا بَعَثَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ ، فَجِيءَ بِهِ فَقَالَ: مَا خَلَّفَكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ ابْنُ عَمِّكَ – يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سَيْفًا فَقَالَ: « قَاتِلْ بِهِ مَا قُوتِلَ الْعَدُوُّ ، فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَاعْمَدْ بِهِ إِلَى صَخْرَةٍ ، فَاضْرِبْهُ بِهَا ، **ثُمَّ الْزَمْ بَيْتَكَ** حَتَّى تَأْتِيَكَ مَنِيَّةٌ قَاضِيَةٌ ، أَوْ يَدٌ خَاطِئَةٌ » قَالَ : خَلُّوا عَنْهُ .[رواه أحمد (١٧٩٧٩) وابن أبي شيبة (٣٧١٤٩) وابن سعد في الطبقات (٣/٤٤٤) ونعيم بن حماد في الفتن (٣٩٧) والطبراني في الكبير (٥٢٣) والأوسط (١٣١١) بسند حسن إلى الحسن ، لكن فيه انقطاع فالحسن لم يسمع من علي ولا من محمد بن مسلمة وله طرق آخرى عند بن ماجة (٣٩٦٢) والحاكم (٤٦٠٥) وغيرهم تشد بعضها بعضا]

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ **وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ** ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » [ورواه ابن المبارك في الزهد (١٣٤) وابن وهب في جامعه (٣٧٤) والترمذي (٢٤٠٦) وابن أبي الدنيا في الصمت (٢) وابن أبي عاصم في الزهد (٣) وعبد الله في زياداته على الزهد لأبيه (ص١٥) والطبراني في الكبير (٧٤١) وابن عدي في الكامل (٤/١٦٣٢) وأبو نعيم في الحلية (٢/٩) والبيهقي في الشعب (٨٠٥) والزهد (٢٣٦) قال الترمذي : حديث حسن ، قلت وسنده ضعيف لكن له طرق ، وهذا مقصود الترمذي]

روى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٨٠٢) وأبو داود في الزهد (٢٧٠) وهناد في الزهد (١٢٣٣) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد (٢٠) وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٨) بسند صحيح عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : لَوَدِدْتُ أَنِّي وَجَدْتُ مَنْ يَقُومُ لِي فِي مَالِي فَدَخَلْتُ بَيْتِي فَأَغْلَقْتُ بَابِي فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ أَحَدٌ أَبَدًا وَلَمْ أَخْرُجْ إِلَى أَحَدٍ حَتَّى أَلْحَقَ بِاللَّهِ تَعَالَى "

وروى عبد الرزاق (٢٠٧٢٩) وابن أبي شيبة (٣٧١٢٣) وأحمد (٢١٣٢٥) غيرهم بسند جيد عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيْتَ إِنِ اقْتَتَلَ النَّاسُ حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : «**تَدْخُلُ بَيْتَكَ**» قَالَ : قُلْتُ : أَفَأَحْمِلُ السِّلَاحَ ؟ قَالَ: « إِذًا شَارَكْتَ » قَالَ : قُلْتُ : فَمَا أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « إِنْ خِفْتَ أَنْ يَغْلِبَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فَأَلْقِ مِنْ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ »

روى أحمد (١٩٧٣٠) وابن أبي شيبة (٣٧١٢٢) وأبو داود (٤٢٥٩) وابن ماجه (٣٩٦١) وغيرهم بسند حسن عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « اكْسِرُوا قُسِيَّكُمْ ، يَعْنِي فِي الْفِتْنَةِ ، وَاقْطَعُوا الْأَوْتَارَ ، **وَالْزَمُوا أَجْوَافَ الْبُيُوتِ** ، وَكُونُوا فِيهَا كَالْخَيِّرِ مِنَ ابْنَيْ آدَمَ »

روى الدارمي (٢٦٢) وابن أبي الدنيا في التواضع (١١) وابن عبد البر في الجامع (٨١٣) وتاريخ دمشق (٧٥٧٢) بسند ضعيف عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ : «كُونُوا يَنَابِيعَ الْعِلْمِ مَصَابِيحَ الْهُدَى ، **أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ** سُرُجَ اللَّيْلِ ، جُدُدَ الْقُلُوبِ ، خُلْقَانَ الثِّيَابِ ، تُعْرَفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَتَخْفَوْنَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ »

وعن ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أوصى أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَهُ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ : « أَيْ بُنَيَّ أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ ، **وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ** وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ » [رواه ابن المبارك في الزهد (١٣٠) وأبو داود في الزهد (١٥٤) ووكيع في الزهد (٢٥٦)

وأحمد في الزهد (٨٥٢) والزهد لهناد (٥٤٥/٢) والطبراني في الكبير (٨٥٣٦) والأوسط (٥٧٩٩) وأبو نعيم في الحلية (١٣٥/١) والبيهقي في الشعب (٤٦٤٥) وغيرهم من طرق جيدة وقد روي مرفوعا ولا يصح إلا وقفه وبعض أهل التخريج كالهيثمي وبعض المعاصرين ضعفوا هذا الأثر بسبب أن فيه سنده المسعودي وقالوا هو قد اختلط فيجاب أن وكيع روى عنه قبل الإختلاط كما قال أحمد وأيضا له طريق آخر عند أبي داود يشهد له **فالأثر صحيح والحمد لله** .]

روى أحمد في الزهد (ص٧٣) وابن المبارك في الزهد (١٢٤) ووكيع في الزهد (٢٥٥) وهناد (٤٦٢) بسند جيد عن سالم بن أبي الجعد قال : قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن خزن لسانه ، **ووسعه بيته** ، وبكى من ذكر خطيئته.

وروى البيهقي في الشعب (٦٢٧٢) عن عُبَيْدُ اللهِ بْنُ شُمَيْطٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَتَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِلَى أَبِي السَّوَادِ الْعَدَوِيِّ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَخِي فَاحْذَرِ النَّاسَ وَاكْفِهِمْ نَفْسَكَ ، **وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ** وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ ، وَإِذَا رَأَيْتَ عَاثِرًا فَاحْمَدِ اللهَ الَّذِي عَافَاكَ ، وَلَا تَأْمَنِ الشَّيْطَانَ أَنْ يَفْتِنَكَ مَا بَقِيتَ "

وروى الداني في الفتن (١٢٢) وذكر مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الفتن ثم قَالَ : فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ وَلْيَحْرُزْ دِينَهُ **وَلْيَكُنْ مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِهِ** "

روى ابن أبي شيبة (٣٧١٢٠) ونعيم بن حماد (٤٤٩) وابن أبي الدنيا في العزلة (١٦٧) بسند صحيح عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّدُوسِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : خَطَبَنَا فَقَالَ : أَلَا وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُصْبِحُ كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : « **كُونُوا أَحْلَاسَ الْبُيُوتِ** »

روى ابن أبي شيبة (٣٧١٣٤) بسند صحيح عَنْ رِبْعِيٍّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِحُذَيْفَةَ : كَيْفَ أَصْنَعُ إِذَا اقْتَتَلَ الْمُصَلُّونَ ؟ قَالَ: « تَدْخُلْ بَيْتَكَ » قَالَ : قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ دَخَلَ بَيْتِي ؟ قَالَ : قُلْ : « **لَنْ أَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** »

روى ابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٨٨) بسند رجاله ثقات عَن أَبِي قَتَادة قَالَ : قَالَ لي عِمْران بن حُصَين : الزَم مسجدك. قلت : فإن دُخل عَلِيّ ؟ قَالَ : **الزم بيتك** ، قلت : فإن دُخِلَ بيتي ؟ فَقَالَ : لَوْ دَخَلَ عَلِيّ رَجُلٌ يريد نفسي ومالي ، لرأيت أنْ قَدْ حل لي قتاله .

وروى الداني في الفتن (١٢٠) عن الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ : فِي آخِرِ الزَّمَانِ **الْزَمُوا الصَّوَامِعَ** ، قُلْنَا : وَمَا الصَّوَامِعُ ؟ قَالَ : **الْبُيُوتُ** فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْجُو مِنْ شَرِّ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا صَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ " .

وروى ابن أبي شيبة (٢١٩٤) وترتيب الأمالي للشجري (٢١٩٤) عن الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ : إِنَّ الزَّمَانَ فَسَدَ أَهْلُهُ ، فَرَحِمَ اللَّهُ ، **مَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ** ، وَتَخَلَّى بِرَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطْأَتِهِ.

وروى أبو نعيم في الحلية (٧٠/٧) قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : الْزَمُوا الصَّوَامِعَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، **إِنَّ صَوَامِعَكُمْ بُيوتُكُمْ** .

وَقالَ الثوري : (هَذَا زمان السّكُوت ، **وَلزُوم البيُوت** ، والرّضا بالقوت إلى أن تَمُوت) [رواه ابن أبي الدنيا في العزلة (٩٧)]

أما **بالنسبة لباب الفرار من الفتن وأنه مطلوب** : **روى البخاري (١٩) عن** أَبِي سَعِيدٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ ، مَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، **يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ** »

وروى ابن المبارك في الزهد (١٥١٣) والفتن لنعيم بن حماد (١٦٨) عن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : وَكَانُوا يَأْتُونَهُ بِالْوَهْطِ ، فَقَالَ: « أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغُرَبَاءُ » قِيلَ : وَأَيُّ الْغُرَبَاءِ ؟ قَالَ: « **الَّذِينَ يَفِرُّونَ بِدِينِهِمْ** ، يَجْتَمِعُونَ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ » **(قلت)** وقد صار هذا الأمر من السنن التي تدون في كتب العقائد ، فانتبه لهذا ، فقد قال الإمام أحمد رحمه الله : **الإمساك في الفِتنة سُنة ماضية** ، واجب لُزومها ، فإن ابْتُلِيتَ فَقَدِّم نفسك دون دِينك ، ولا تُعِن على فتنة بِيَدٍ ولا لِسَان ، ولكن اكْفُف يَدك ولِسانك وهَواك ، والله المعين) [مسائل حرب الكرماني (٩٧١/٣) والجامع لعلوم أحمد (١٢/٣)] والآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة وليراجع في هذا كتاب العزلة والإنفراد لابن أبي الدنيا والعزلة لذاك الخطابي .

وإياك والعصبية ، وكل ما كان من قتال بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة ، فاتق الله وحده لا شريك له ، ولا تخرج فيها ، ولا تقاتل فيها ، ولا تهو ، ولا تشايع ، ولا تمايل ، ولا تحب شيئا من أمورهم ، فإنه يقال : من أحب فعال قوم – خيرا كان أو شرا – كان كمن عمله ، وفقنا الله وإياكم لمرضاته ، وجنبنا وإياكم معصيته (١) .

(١) العصبية ممقوتة في كل شيء بإجماع ، **قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ** : مَنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةَ بِالْكَلَامِ وَتَأَلَّفَ عَلَيْهَا وَدَعَا إِلَيْهَا فَهُوَ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ ، لِأَنَّهُ أَتَى مُحَرَّمًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلِمْتُهُ ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠] ، وَبِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا) اهـ [السنن الكبرى (٣٩١/١٠)] وهي من دعوى الجاهلية التي جاء فيها قول : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » [رواه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (١٠٣)] ومما جاء فيها :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَخَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ فَيَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لَا يَتَحَاشَى مُؤْمِنًا لِإِيمَانِهِ ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي ، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ **يَغْضَبُ لِلْعَصَبِيَّةِ أَوْ يُقَاتِلُ لِلْعَصَبِيَّةِ** ، أَوْ **يَدْعُو إِلَى الْعَصَبِيَّةِ** ، فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ » [رواه مسلم (١٨٤٨)]

وروى أحمد (١٦٩٨٩) وابن أبي شيبة (١٠١/١٥) وابن ماجه (٣٩٤٩) والبخاري في الأدب المفرد (٣٩٦) عن زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ عن فَسِيلَةُ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبِي، يَقُولُ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ **أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ** ؟ قَالَ : لَا، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ. [وسنده فيه ضعف ولكن قال العقيلي : وهذا يُروى عن واثلة بن الأسقع وغيره بإسناد أصلح من هذا] وهو : **ما رواه أبو داود في سننه (٥١١٩)** عَنْ بِنْتِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ أَنَّهَا سَمِعَتْ أَبَاهَا يَقُولُ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْعَصَبِيَّةُ ؟ قَالَ : أَنْ تُعِينَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ . **(قلت)** ولعله نفس الحديث الأول فقد ذكر البيهقي عن بعض أهل الحديث أن فُسَيْلَةُ هَذِهِ ، يُقَالُ أَنَّهَا بِنْتُ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ .

وروى أبو داود في المراسيل (٤٨٠) عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا دَخَلَ فِي رَجُلٍ **مِنَ الْعَصَبِيَّةِ شَيْءٌ** إِلَّا خَرَجَ مِنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْلَ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ » [ووهو ضعيف لإرساله لكن معناه قوي]

روى أبو داود في السنن (٥١١٧) بسند صحيح عن ابن مسعود قَالَ : مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ، فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنَبِهِ » .

وروى الفريابي في القدر (٣٨٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٢٦٦/٧٦٠/٤) وبنحوه في الكفاية (٣٣) عن رَبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ يَقُولُ : أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : **الْعَصَبِيَّةَ** ، وَالْقَدَرِيَّةَ ، وَالرِّوَايَةَ. [والآثار في هذا المعنى كثيرة].

(٢) الأصل في هذا قوله تعالى عن اليهود كلهم (**سنكتبُ ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق**) مع أن القتلة الذين باشروا القتل هم أسلافهم ، والذين بعدهم دخلوا معهم بالهوى والرضى ، فأخذوا حكمهم وكتبها الله عليهم .

وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٥٩١) عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْمُرَادِيِّ وَهُوَ النُّعْمَانُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ بَدْرٍ قُلْتُ : أَرَأَيْتَ قَوْلَهُ : (**وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**) وَهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا ذَلِكَ ؟ قَالَ : بِمُوَالاتِهِمُ الَّذِي قَتَلَ أنبياء الله .

وقد روي في هذا المعنى حديث عند أبو داود (٤٣٤٥) وابن أبي خيثمة في تاريخه (١٥٠٦) والفسوي في مشيخته (١٧١) ومعجم الصحابة لابن قانع (٣٠٩/٢) وتاريخ أصبهان لأبي نعيم (٣٩١/١) ومعجم الطبراني الكبير (١٣٩/١٧) والهروي في ذم الكلام (٣٠٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ بْنُ زِيَادٍ الْمُوصِلِيُّ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ، عَنِ الْعُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا – وَقَالَ مَرَّةً :

«أَنْكَرَهَا» – كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا " [**مرسل** : سنده إلى عدي بن عدي مقبول لكن اختلف بعد ذلك بين الرواة فمنهم من أسقط العرس ومنهم أثبته ، ومنهم من زاد عن العرس عن عدي ، فعدي وأخوه العرس لا شك في صحبتهما لكن عدي مختلف في صحبته ، والصحيح أنه لا صحبة له ، فمن أسقط العرس من السند رجح الإرسال ، ومن أثبته فهو متصل ، ولهذا قال ذاك الهيثمى: رواه الطبرانى وقال : زاد سفيان فى الإسناد العرس ، ورواه الليث بن سعد عن ابن أى حسين ، ولم يجاوز عدى بن عدى قل : ورجاله ثقات [مجمع الزوائد: ٢٧٩/٤]

قلت السند مضطرب جدا ولعل الإضطراب من أبي بكر بن عياش فقد ساء حفظه لما كبر ، ولا يمكن القطع بشيء ، وهذا ما يدل عليه صنيع أبي داود حينما اكتفى بالرواية المرسلة ، خاصة وقد تفرد به أبو بكر بن عياش وهو قد لا يحتمل ذلك]

وروي في هذا المعنى آثار صحيحة تغني عن هذا الحديث وما في معناه وهذه بعضها :

روى ابن أبي شيبة (٣٧٤٢١) بسند جيد عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ : لَمَّا رَجَعْنَا مِنَ النَّهْرَوَانِ قَالَ عَلِيٌّ : « لَقَدْ شَهِدْنَا قَوْمًا بِالْيَمَنِ » قُلْنَا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : « بِالْهَوَاءِ »

روى ابن أبي شيبة (٣٧٤٢٠) وابن عساكر في تاريخه (٤٤١/١٩) بسند جيد عَنْ زَيْدِ بْنِ صُوحَانَ قَالَ : قَالَ لِي سَلْمَانُ «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا اقْتَتَلَ الْقُرْآنُ وَالسُّلْطَانُ » قَالَ : إِذًا أَكُونُ مَعَ الْقُرْآنِ قَالَ : « نِعْمَ الزُّوَيْدُ أَنْتَ إِذًا » فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ وَكَانَ يَبْغَضُ الْفِتَنَ : إِذًا أَجْلِسُ فِي بَيْتِي ، فَقَالَ سَلْمَانُ : « لَوْ كُنْتَ فِي أَقْصَى تِسْعَةِ أَبْيَاتٍ كُنْتَ مَعَ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ »

قلت أي : بالهوى أنت مع إحداهن .

روى ابن أبي شيبة (٣٧٤٢٣) ونعيم في الفتن (٥٠٦) بسند جيد عَنْ زَيْدٍ قَالَ : قَالَ حُذَيْفَةُ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَمَا هُوَ مِنْهَا »

روى أحمد في الزهد (١٦٦٦) قال عبد الواحد بن زيد للحسن : يا أبا سعيد أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب بن أبي صفرة إلا أنه عاون بلسانه ورضي بقلبه ؟ فقال الحسن : يا ابن أخي ، كم يد عقرت الناقة ؟ قلت : يد واحدة ، قال : أليس القوم قد هلكوا جميعًا برضاهم وتماليهم ؟

وروى الدارمي في سننه (٣١٨) بسند ضعيف عَنْ حَبَّةَ بْنِ جُوَيْنٍ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا أَوْ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَقَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، ثُمَّ قُتِلَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، لَحَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ يُرَى أَنَّهُ كَانَ عَلَى هُدًى » [وروى مثله الدارمي في سننه عن سلمان (٣١٩)]

روى نعيم بن حماد في الفتن (٧٣٢) والبيهقي في الكبرى (١٤٥٥٢) والداني في الفتن (١٨٣) بسند جيد عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ (إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمُورٌ مَنْ رَضِيَهَا مِمَّنْ غَابَ عَنْهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا وَمَنْ كَرِهَهَا مِمَّنْ شَهِدَهَا كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا)

وروى نعيم في الفتن (٧٣٣) وابن أبي شيبة (٣٧٤٢٢) وابن وضاح في البدع (٢٧٤) والطبراني في الكبير (٨٨٨٨) بسند جيد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْهَدُ الْمَعْصِيَةَ يَعْمَلُ بِهَا فَيَكْرَهُهَا فَيَكُونُ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَيَغِيبُ عَنْهَا فَيَرْضَاهَا فَيَكُونُ كَمَنْ شَهِدَهَا »

وروى ابن وضاح في البدع (٢٨٢) بسند ضعيف منقطع عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : « إِنَّ الْخَطِيئَةَ لَتُعْمَلُ فِي الْأَرْضِ فَيَعْمَلُونَ بِهَا ، وَمَعَهُمُ الرَّجُلُ فَلَا تُصِيبُهُ ، وَتُصِيبُ الرَّجُلَ الْخَارِجَ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَّ هَذَا يُنْكِرُهَا وَلَا يَهْوَاهَا وَتَبْلُغُ هَذَا الْآخَرَ فَلَا يُنْكِرُهَا وَيَهْوَاهَا »

روى ابن سعد في الطبقات (٢٠١/٤) بسند صالح عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو يَوْمًا : مَا أَفْرَقُ عَلَى نَفْسِي إِلا مِنْ ثَلاثِ مَوَاطِنَ فِي دَمِ عُثْمَانَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بن صفوان : **إن كنت رضيت قتلته** فَقَدْ شَرَكْتَ فِي دَمِهِ .

روى ابن أبي شيبة (٣٧٤٣٢) والداني في الفتن (١٧٠) بسند جيد عَنْ شُرَيْحٍ قَالَ : مَا أَخْبَرْتُ وَلَا اسْتُخْبِرْتُ مُذْ كَانَتِ الْفِتْنَةُ ، قَالَ لَهُ مَسْرُوقٌ لَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ لَسَرَّنِي أَنْ أَكُونَ قَدْ مِتُّ قَالَ شُرَيْحٌ : فَيَكْفِ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَتَلْتَقِي الْفِتْنَتَانِ وَإِحْدَاهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْأُخْرَى .

[١٠٦] وأقل النظر في النجوم إلا ما تستعين به على مواقيت الصلاة ، والْهَ عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة (١) .

= **وفي كتاب التذكرة لذاك القرطبي (١٠٦٥/١) وفي تفسيره (٢٩٤/٤)** ولم أقف على سند له قال : حسَّنَ رجلٌ عند الشعبي قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال الشعبي: قد شركت في دمه.

(قلت) وأخذها من الآية السابقة (وقتلهم الأنبياء) ومثله ما **روى العقيلي في الضعفاء (١٥٢/٢)** عن سُفْيَانَ يَقُولُ : قَالَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ لِسَالِمِ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ : أَنْتَ قَتَلْتَ عُثْمَانَ ؟ فَجَزِعَ وَقَالَ : أَنَا قَالَ : نَعَمْ ، أَنْتَ تَرْضَى بِقَتْلِهِ .

(١) وهذا ما يسمى بعلم التنجيم وقد عرفوه بقولهم : هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان ، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر ، وظهور الحر والبرد ، وتغير الأسعار ، وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ، ويدعون أن لها تأثيرًا في السفليات ، وأنها تجري على قضايا موجباتها ، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه ، وهو ثلاث أنواع اثنان منها كفر ورجم بالغيب ، والثالث ما ذكره المؤلف وهو المباح فقط ، ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر الإستفادة منه في الجزء الذي يتعلق بَانْتقال الْعرب عن مِياههَا لأَوْقاتِهَا ، وَتَخَيرهم الأَزمان لِنِتَاج مواشِيها ، وضرابهم الْفحول ومعرفتهم بِالأَمطار علَى اخْتلافها وَاسْتِدْلالهمْ عَلَى مَحْمُودِهَا ومذمومها !! وهو أيضا مباح ، لكن قد يكون ذريعة لغير ذلك ولهذا أعرض عنه المؤلف .

وقد ذكر الله النجوم والكواكب في كتابه وذكر وظائفها التي خلقت لها فمن ادعى غير ذلك فقد زاد على الله واستدرك عليه ، قال اللَّهُ سُبْحَانَهُ {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**} [يونس: ٥] وَقَالَ تَعَالَى: {**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**} [يس: ٣٩] وَقَالَ {**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**} [الرحمن: ٥] وَقَالَ تَعَالَى: {**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**} [الأنعام: ٩٧] ومما يبطل علم التنجيم من أصله ويبطل العلاقة التي يدعيها المنجمون بين الكواكب والأفلاك والمخلوقات في نظام الملك والملكوت ، **ما رواه البخاري في صحيحه (١٠٧/٤) معلقا بصيغة الجزم وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١٢٢٦/٤) وعبد بن حميد في تفسيره كما في تغليق التعليق (٤٨٩/٣) وابن جرير في تفسيره (١٨٥/١٧) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٣٦) والخطيب في النجوم (ص١٧٥)** عن قتادة قال : خلق الله هذه النجوم لثلاث ، زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به ، وَإِنَّ نَاسًا جَهَلَةً بِأَمْرِ اللَّهِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي هَذِهِ النُّجُومِ كَهَانَةً : مَنْ أَعْرَسَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ سَافَرَ بِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَعَمْرِي مَا مِنْ نَجْمٍ إِلا يُولَدُ بِهِ الأَحْمَرُ وَالأَسْوَدُ وَالطَّوِيلُ وَالْقَصِيرُ وَالْحَسَنُ وَالذَّمِيمُ ، وَمَا عَلِمَ هَذَا النَّجْمُ وَهَذِهِ الدَّابَّةُ ، وَهَذَا الطَّائِرُ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَيْبِ ، وَقُضَى اللَّهُ أَنَّهُ لا يعلم من في السماوات وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يبعثون ولعمري لو أن حدا عَلِمَ الْغَيْبَ لَعَلِمَهُ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلائِكَتَهُ ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شِيءٍ ، وَأَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ يَأْكُلُ فِيهَا رَغَدًا حَيْثُ شَاءَ ، وَنُهِيَ عَنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ الْبَلاءُ حَتَّى وَقَعَ بِمَا نُهِيَ عَنْهُ ، وَلَوْ كَانَ يُعْلَمُ الْغَيْبُ لَعَلِمَتْهُ الْجِنُّ حِينَ مَاتَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَبِثَتْ تَعْمَلُ لَهُ حَوْلا فِي أَشَدِّ الْهَوَانِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَوْتِهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ أَيْ تَأْكُلُ عَصَاهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ وَهِيَ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ تَبَيَّنَتِ الإِنْسُ أن الجن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ وَكَانَتِ الْجِنُّ تَقُولُ قَبْلَ ذَلِكَ ، أَنَّهَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَتَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَابْتَلاهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، وَجَعَلَ مَوْتَ سُلَيْمَانَ لِلْجِنِّ عِظَةً) . **وجاء في بعض الأخبار أنه يجر الزندقة كما نبه المؤلف نذكر منها :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من

السحر زاد ما زاد .[رواه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وأحمد (١/٢٢٧ ، ١/٣١١) وإسناده صحيح]

وروى أبو الشيخ في العظمة (١٢٢٤/٤) والخطيب في النجوم (ص١٩٠) عن كُرَيْبٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَهُ : « يَا غُلَامُ إِيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي النُّجُومِ ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الْكِهَانَةِ »

وَقَدْ النجاد في مسند عمر (٤١) والخطيب في النجوم (١٣٢/١) وشرح السنة للبغوي (١٨٣/١٢) وابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الجامع (١٤٧٤) من طرق عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ثُمَّ أَمْسِكُوا .

وروى أبو الشيخ في العظمة (١٢٣٠/٤) والخطيب في كتاب النجوم (ص١٩٢) بسند فيه ضعف عُمَرَ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: كَانَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُنَجِّمٌ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَسِيرَ إِلَى النَّهْرَوَانِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَا تَسِرْ هَذِهِ السَّاعَةَ الَّتِي أَمَرَكَ فِيهَا فُلَانٌ، فَإِنَّكَ إِنْ سِرْتَ فِيهَا أَصَابَكَ وَأَصْحَابَكَ ضُرٌّ وَأَذًى، وَسِرْ فِي السَّاعَةِ الَّتِي آمُرُكَ فِيهَا، فَإِنَّكَ إِنْ سِرْتَ فِيهَا ظَهَرْتَ وَظَفِرْتَ وَأَصَبْتَ فَقَالَ : « أَتَدْرِي مَا فِي بَطْنِ هَذَا الْفَرَسِ أَذَكَرٌ هُوَ أَمْ أُنْثَى؟ » قَالَ : إِنْ حَسِبْتُ عَلِمْتُ ، قَالَ : مَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا كَذَّبَ بِالْقُرْآنِ، لَقَدِ ادَّعَيْتَ عِلْمًا مَا ادَّعَاهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ : {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] الْآيَةَ ، أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي لِلسَّاعَةِ الَّتِي يُصِيبُ النَّفْعَ مَنْ سَارَ فِيهَا ؟ وَتَهْدِي لِلسَّاعَةِ الَّتِي يَحِيقُ السُّوءُ لِمَنْ سَارَ فِيهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ: «مَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا اسْتَغْنَى عَنْ أَنْ اسْتَعَانَ بِاللَّهِ ، وَيَنْبَغِي لِلْمُقِيمِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُوَلِّيَكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لِأَنَّكَ هَدَيْتَهُ لِلسَّاعَةِ الَّتِي يُصِيبُ النَّفْعَ مَنْ سَارَ فِيهَا ، وَصَرَفْتَهُ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي يُصِيبُ السُّوءَ مَنْ سَارَ فِيهَا ، بَلْ نُكَذِّبُكَ وَنُخَالِفُكَ ، وَنَسِيرُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي نَهَيْتَنَا فِيهَا» ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا رَبَّ غَيْرُكَ» ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا الْمُنَجِّمُ مِثْلُ السَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ مِثْلُ الْكَاهِنِ ، وَالْكَاهِنُ مِثْلُ الْكَافِرِ ، وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ» ثُمَّ قَالَ : « وَاللَّهِ لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ نَظَرْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا لَأُخَلِّدَنَّكَ السِّجْنَ مَا بَقِيتَ ، وَلَأَحْرِمَنَّكَ الْعَطَاءَ مَا بَقِيتَ » ثُمَّ سَارَ فَظَفِرَ فَقَالَ : لَوْ سِرْنَا فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَنَا فِيهَا الْمُنَجِّمُ لَقَالَ النَّاسُ : سَارَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَمَرَهُ فِيهَا الْمُنَجِّمُ فَظَفِرَ ، مَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَجِّمٌ وَلَا لَنَا بَعْدَهُ ."

روى الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٧٣٩) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٥١٤) والخطيب في النجوم (ص١٩١) **من** طريق عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ أَبَا جَادٍ ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ قَالَ : « مَا أَرَى لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ خَلَاقٍ »

وروى أبو الشيخ في العظمة (١٢٢٩/٤) عَنِ الْقُرَظِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَهُ عِلْمُ النُّجُومِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ مَا فِي النَّجْمِ مَوْتُ أَحَدٍ وَلَا حَيَاتُهُ إِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ النُّجُومَ زِينَةً ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ »

(قلت) وهذا الكلام يدل على أنه لا ارتباط بين النجوم والأحداث عند السلف .

وعن هِشَامٌ عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ «كُنَّا مَعَ أَبِي قَتَادَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَلَى ظَهْرِ بَيْتِنَا فَرَأَى كَوْكَبًا انْقَضَّ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : **إِنَّا قَدْ نُهِينَا أَنْ نُتْبِعَهُ أَبْصَارَنَا** » [إِسْنَادٌ صَحِيحٌ : رواه أحمد (٢٢٥٤٩) عبد الرزاق (٢٠٠٠٧) والحاكم في المستدرك (٢٨٦/٤) وصححه]

وفي مسند ابن وهب (٦٥٩) والحلية (٢١/٦) وشعب الإيمان (١١٣٧) أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لكعب علم النجوم ؟ فقال كعب: لا خير فيه قال عبد الله : لم ؟ قال : ترى فيه ما تكره يريد الطيرة فقال كعب : فإن مضى وقال : اللهم لا خير إلا طيرك.

قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٤٣/٣) : وَيَجِبُ عَلَيْنَا الْإِمْسَاكُ عَنْهُ مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ فَهُوَ أَنْ لَا يَحْكُمَ لِلنُّجُومِ بِفِعْلٍ ، وَلَا يَقْضِيَ لَهَا بِحُدُوثِ أَمْرِهِ كَمَا يَدَّعِي الْجَاهِلُونَ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ بِعِلْمِ النُّجُومِ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على علم النجوم والكواكب والأفلاك باطل من أصله لا يصح منه شيئ ولا علاقة له بنظام الملك والملكوت ، وأبطل النبي صلى الله عليه وسلم تأثيرها في الأحداث ، نذكرها باختصار بلا تخريج : منها (**من اقتبس من النجوم علما فقد سحر**) وحديث (**من أتى عرافا لم يقبل له صلاة أربعين يوما**) وحديث (**لا تأتوا الكهان**) وقال (**من صدقه فقد كفر**) وحديث (**إذا ذكر**

النجوم فأمسكوا) وحديث (**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر** .. ثم قال : **وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بي ، مؤمن بالكوكب**) وحديث (**أربع من أمر الجاهلية لا تدعهن أمتي وذكر الإستسقاء بالأنواء**) وحديث (**الْعِيَافَةُ والطيرة والطرق من الجبت**) وقال (**لَا عَدْوَى وَلَا هامة ولا صفر ولا نوء**) وقال (**إن الشمس والقمر لا تنكسفان لموت أحد أو حياته**) وقال عن الكهان (**ليسوا بشيء**) ثم أجاب عن شبة أنهم يصيبون أحيانا فدلت هذه الأحاديث أن هذا العلم باطله من أصله لا يصح منه شيء ولا ينهى عنه فقط لسد الذريعة كما يقال ، بل لأنه باطل كما قال الصحابة أنفسهم ، ويكفي أن تعلم أن الله هو المتصرف في هذا الكون المتفرد بالغيب ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخليقة بهذا الكون لما سأله ربه عن بعض ما يجري في الملكوت لم يعلم حتى علمه الله تعالى على بطلان هذا العلم من أصله ، ثم يكفيك أن تعرف من اختراع قوم إبراهيم عبدة الكواكب الكشدانيين الذين زعموا أن الكواكب والأفلاك هي المدبرة للكون **!!** ويكفي أن تعرف أن التنجيم حاربته الأنبياء ولم يطلع إلا من المشركين الملاحدة ، وكفيك قول أبي ذر رضي الله عن قال : لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنا ولا طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لنا منه علماً " فهل علمهم هذا العلم المزعوم **!!** وهذا العلم كما قال المؤلف يجر للزندقة ، فقد ألف أحدهم كتابا سماه (**السر المكتوم في علم النجوم**) ونُسب للرازي الجهمي ، وقد تبرأ منه في حياته لشدة الزندقة التي فيه ، ومن أراد مزيد اطلاع في هذا الباب فلينظر وكتاب "**القول في علم النجوم**" للخطيب ، فقد جمع فيه كل ما يتعلق بالأحاديث والآثار في الباب وخرج عن جمع من الصحابة في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن علم النجوم كعمر وعليو ابن مسعود وعائشة وأبي هريرة وغيرهم لا يمكن استيعابها هنا ، راجعها هناك وفي هذا كله قال الفراهيدي :

بَلِّـغَـا عَنِّي الْمُنَـــجِّمَ أَنِّي .. كَافِرٌ بِالَّذِي قَضَتْهُ الْكَوَاكِبْ
مُؤْمِنٌ أَنَّ مَا يَكُونُ وَمَا كَانَ ... قَـضَاءٌ مِنَ الْمُهَيْمِنِ وَاجِبْ

شبهات والرد عليها : وقد احتج أهل التنجيم ومن قال بأن له أصل صحيح لكنه ذهب مع السنين وأغلق الباب سدا للذريعة بأشياء ضعيفة منها :

١ - أثر لعلي ابن أبي طالب أنه قيل له : هل لعلم النجوم أصل ؟ قال : نعم ، ثم ذكر قصة نبي علمه الله وقومه علم النجوم والكواكب ، فكانوا يعرفون بعض الغيوب ويعرفون آجالهم في قصة طويلة رواها الخطيب في كتاب القول في علم النجوم وهي قصة باطلة سندها موضوع ومسلسل بالمجاهيل والخطيب نفسه أنكرها وحكم ببطلانها وبما تحتويه من الكفر والخرافات .

٢ - واحتجوا واستدلوا أيضاً بما روي عن ميمون بن مهران رحمه الله أنه قال: (**إياكم والتكذيب بالنجوم فإنه علم من علم النبوة**) [ذكرها الرازي، نقلاً عن "مفتاح دار السعادة": (١٨٨/٢)] **الجواب** : أولا : وهذا باطل ليس له سند . **ثانيا** : ومخالف لشرعنا الذي ورد فيه أنكار كل ما يتعلق بالتنجيم وقد سبق . ثالثا : ورد عن ميمون خلاف ذلك فإنه قال : "**لا تجالسوا أهل القدر ولا تسبوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تعلموا النجوم**". [تهذيب الكمال (١٣٩٨/٣) والسير (٧٣/٥)] وقال : أربع لا يكلم فيهن: علي **وعثمان والقدر والنجوم** .[الحلية (٩٢/٤)]

٣ - نسبة علم النجوم إلى بعض الأنبياء كآدم وإدريس عليها السلام كما فعل ذاك الرازي ، وكما جاء في رسائل إخوان الصفا **!!**
والجواب : قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، فليس معكم إلا الكذب ، والظنون والريب ولا يقين ولا جزم بشيء **!!**

٤ - قالوا فيها دليل بعض الحوادث عرف ذلك بالتجربة كما ادعى الرازي ومن تأثر به **!!**

والجواب : أن حتى السحر والعيافة ونحو هذه العلوم يصيبون ويخطئون فكان ماذا ؟؟ هل قال أحد أن أصلها صحيح ؟؟
ومن أرد المزيد من الردود عليهم ، فقد أطال الخطيب في كتاب القول في علم النجوم الرد على هذه الشبهة الفارغة .

فائدة : قد قدمنا أن ابن بطة يضمن فقرات شيخه البربهاري في كتابه الإبانة الصغرى ، فمما قاله ابن بطة بهذا الصدد : (ومن البدع : النجوم والنظر فيها ، والإعتصام بها ، بل هو طرف من الشرك ، وادعاء علم الغيب ، وكل ذلك منهي عنه ..) اهـ

[١٠٧] وإياك والنظر في الكلام والجلوس إلى أصحاب الكلام ، وعليك بالآثار ، وأهل الآثار وإياهم فاسأل ، ومعهم فاجلس ، ومنهم فاقتبس (١) .

---

(١) سبقت آثار كثيرة في هذه التعليقة في ذم الكلام والتحذير منه وأنه كل ما سوى الوحي والأثر ، ونزيد ذكرا لبعض ما تركناه مما روي عن الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ، فمن ذلك :

ما رواه الهروي في ذم الكلام (٨٥٩) عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : (مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ)

وقال أيضا : إذا رأيت صاحب كلام يمشي في الهواء فلا تأمنن ناحيته ، ولا تثقن به . [إرشاد السالك (ص٣٤٧)]

روى اللالكائي (٣٠٩) وابن عبد البر في الجامع (١٧٨٦) عن مُصْعَبَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيَّ يَقُولُ : كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَقُولُ: الْكَلَامُ فِي الدِّينِ أَكْرَهُهُ وَكَانَ أَهْلُ بَلَدِنَا يَكْرَهُونَهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ نَحْوَ الْكَلَامِ فِي رَأْيِ جَهْمٍ وَالْقَدَرِ وَكُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَلَا أُحِبُّ الْكَلَامَ إِلَّا فِيمَا تَحْتَهُ عَمَلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الدِّينِ وَفِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَالسُّكُوتُ أَحَبُّ إِلَيَّ ، لِأَنِّي رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ إِلَّا مَا تَحْتَهُ عَمَلٌ »

روى الهروي (٨٦٠) ومن طريقه ابن المبرد في الرد على ابن عساكر (٣٣) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَى مَالِكٍ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقُرْآنِ فَقَالَ : لَعَلَّكَ مِنْ أَصْحَابِ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، لَعَنَ اللَّهُ عَمْرًا ، فَإِنَّهُ ابْتَدَعَ هَذِهِ الْبِدَعَ مِنَ الْكَلامِ ، وَلَوْ كَانَ الْكَلامُ عِلْمًا لَتَكَلَّمَ فِيهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ كَمَا تَكَلَّمُوا فِي الأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ ، وَلَكِنَّهُ بَاطِلٌ يَدُلُّ عَلَى بَاطِلٍ .

عن الشافعي أنه قال : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام ." [أخرجه أبو نعيم في الحلية (١١١/٩) واللالكائي في السنة (١٤٦/١).]

روى ابن عبد البر في الجامع (١٧٩٥) عَنْ أَبِي ثَوْرٍ قَالَ : قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ضَعْ فِي الْكَلَامِ شَيْئًا فَقَالَ : مَنْ تَرَدَّى فِي الْكَلَامِ لَمْ يُفْلِحْ .

وسئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال : سل عن هذا حفص الفرد وأصحابه لعنهم الله . [الحلية ١١١/٩]

وروى نصر المقدسي في كتابه الحجة عن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : ما رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح .

وفي السنة للخلال (٢١٣) قَالَ أحمد : احْذَرُوا أَصْحَابَ الْكَلَامِ ، لَا يَئُولُ أَمْرُهُمْ إِلَى خَيْرٍ " .

وَقَالَ أَحْمد : لَا يفلح صَاحب الْكَلَام أبدا وَلَا تكَاد ترى أحدا نظر فِي الْكَلَام إِلَّا وَفِي قلبه دغل . [جامع بيان العلم ٩٥/٢]

وقال أحمد : "علماء الكلام زنادقة " [جامع بيان العلم وفضله ٩٥/٢.]

وقال أيضا : لا أحب لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم ، فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى البدعة ، فإن الكلام لا يدعوهم إلى خير ، فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال ، عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به ، ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ، أدركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام . [الإبانة (٢/ ٥٣٩/٣/ ٦٧٦)]

عن أبي الحارث قال الإمام أحمد : إذا رأيت الرجل يحب الكلام فاحذره ، وأخبرت عن أبي عمران الأصبهاني ، قال : سمعت أحمد ابن حنبل يقول : لا تجالس صاحب كلام وإن ذب عن السنة فإنه لا يؤول أمره إلى خير. [الإبانة (٥٤٠/ ٦٧٩)]

قال أحمد بن شهاب الإسفراييني : سمعت أحمد بن حنبل ، وسئل عمن نكتب في طريقنا ؟ فقال : عليكم بهناد ، وبسفيان بن وكيع ، وبمكة ابن أبي عمر ، وإياكم أن تكتبوا –يعني : عن أحد من أصحاب الأهواء ، قليلا ولا كثيرا ، عليكم بأصحاب الآثار والسنن . [السير (٢٣١/١١)]

وفي كتاب الآداب لابن مفلح (٦/٢) : قال المروذي : كان أحمد إذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو اتباع الأثر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة) اهـ .

(قلت) وعلم الكلام والكلام المذموم عموما هو كل ما لم يكن فيه وحي أو أثر ، كمن يكتب بلا أثر ويفتي بدونه ونحو هذا .

[١٠٨] واعلم أنه ما عبد الله بمثل الخوف من الله ، وطريق الخوف والحزن والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى (١) .

---

(١) ويقصد بهذا الرد على الصوفية وخاصة الزنادقة المتأخرة منهم ، الذي يكتفون في عبادة الله بالرجاء والحب فقط ، وإن فعلوا من الذنوب والشرك ما فعلوا ، وهذه زندقة وقوم من الصُّوفية الخرُافية يقولون : ما عبدتك خوفًا من نارك ، ولارغبة في جنَّتك !! بل كرامة لوجهك ومحبَّةً فيك !!) ولقد صدق من قال : (**مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ** ، **وَمَنْ عَبَدَهُ بالخوف وحده فهو حروري** ، **وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ** ، **وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ**)

وجاءت النصوص والآثار تدل على أن الخوف لابد منه في العبادة وشرط للنجاة من ذلك : قَولَ اللهُ تَعَالَى: {**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**} [آل عمران: ١٧٥] وَقَالَ {**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**} [المائدة: ٤٤] وقَالَ: {**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونَ**} [البقرة: ٤٠] وَقَالَ {**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً**} [الأعراف: ٢٠٥] وَأَثْنَى عَلَى مَلَائِكَتِهِ لِخَوْفِهِمْ مِنْهُ فَقَالَ: {**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**} [الأنبياء: ٢٨] وَمَدَحَ أَنْبِيَاءَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَوْلِيَاءَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَقَالَ: {**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا ، وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**} [الأنبياء ٩٠] وَقَالَ {**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**} [الرعد ٢١] وَعَاتَبَ الْكُفَّارَ عَلَى غَفْلَتِهِمْ فَقَالَ : {**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**} [نوح ١٣] فَقِيلَ فِي التَّفْسِيرِ مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ عَظَمَةَ اللهِ ، وَذَمَّهُمْ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ : {**وَقَالَ: الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا**} [الفرقان: ٢١] فَقِيلَ أَرَادَ بِهِ : لَا يَخَافُونَ.

ومن الأحاديث في هذا الباب : **ما رواه البخاري (٦٤٨٠)** عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ فَقَالَ لِأَهْلِهِ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي البَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَفَعَلُوا بِهِ ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ : مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ ؟ قَالَ : **مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ** فَغَفَرَ لَهُ). **(قلت)** فأنجاه توحيده المقرون بالخوف .

وَفِي سنن التِّرْمِذِيِّ (٣١٧٥) وابن ماجه (٤١٩٨) وغيرهم بسند صحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ {**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** } [المؤمنون: ٦٠] أَهْوَ الَّذِي يَزْنِي ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَيَسْرِقُ ؟ قَالَ : لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ » وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **إِنِّي أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً** » .

وفي الدعاء المشهور (**واقسم لي من خشيتك ما تحول به بيني وبين معصيتك**) فلا أحسن من الخوف والحياء إبعادا للمؤمن عن معاصي الله وطلبا للنجاة ، ولهذا تواترت آثار السلف في تعظيم الخوف من الله والحث عليه والدعاء به وسأنقل عن السلف ممن تحتج بهم الصوفية وهم من السلف لا منهم ، لتكون حجة عليهم ، فمنها :

روى أبو نعيم في الحلية (٢/١٥٣) قال الْحَسَنِ : وَاللهِ مَا تَعَاظَمَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا طَلَبُوا بِهِ الْجَنَّةَ حِينَ أَبْكَاهُمُ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

روى ابن االمبارك في الزهد (٩٨٥) عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً وَإِنَّ الْمُنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} وَقَالَ الْمُنَافِقُ {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} . "

روى أبو نعيم في الحلية (٩/٢٥٩) والبيهقي في الشعب (٨٤٩) قال أبو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ يَقُولُ : « مِفْتَاحُ الْآخِرَةِ الْجُوعُ وَمِفْتَاحُ الدُّنْيَا الشِّبَعُ ، **وَأَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى** »

وروى البيهقي في الشعب (٨٥٠) عن إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ يَقُولُ : الْهَوَى يُرْدِي **وَخَوْفُ اللهِ يَشْفِي** ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا يُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ هَوَاكَ ، **إِذَا خِفْتَ** مَنْ تَعْلَمُ أَنَّهُ يَرَاكَ ."

قَالَ أَبُو حَفْصٍ : الْخَوْفُ سَوْطُ اللَّهِ ، يُقَوِّمُ بِهِ الشَّارِدِينَ عَنْ بَابِهِ، وَقَالَ: الْخَوْفُ سِرَاجٌ فِي الْقَلْبِ، بِهِ يُبْصَرُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ

وَالشَّرِّ، وَكُلُّ أَحَدٍ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبْتَ مِنْهُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّكَ إِذْ خِفْتَهُ هَرَبْتَ إِلَيْهِ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ : مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ .

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ : إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا ، وَطَرَدَ الدُّنْيَا عَنْهَا .

وَقَالَ ذُو النُّونِ : النَّاسُ عَلَى الطَّرِيقِ مَا لَمْ يَزُلْ عَنْهُمُ الْخَوْفُ ، فَإِذَا زَالَ عَنْهُمُ الْخَوْفُ ضَلُّوا الطَّرِيقَ .

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : صِدْقُ الْخَوْفِ هُوَ الْوَرَعُ عَنِ الْآثَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا . [راجع هذه النقولات في : طبقات السلمي (١/١٤٩) ومدارج السالكين (١/٥٠٩) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٥٧٧)]

أما بالنسبة للحياء ونفعه وخيره فحدث ولا حرج : فمن استحضر بقلبه بأن الله تعالى قَالَ {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: ١٤] وَقَوله تَعَالَى: {**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**} [النساء: ١] وَقَولَ تَعَالَى: {**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**} [غافر: ١٩] فهذا الذي لا تسل عن حياءه من الله وتقواه ، نسأل الله أن يرزقنا ويزيدنا منه .

وقد رودت نصوص في هذا المعنى منها الحَدِيثِ المتفق عليه عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ : دَعْهُ **فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ** » .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ** » [البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧)] .

وَحديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً – فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، **وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ** » [والبخاري (٩) ومسلم (٣٥)].

وحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا**. فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ » [البخاري في صحيحه (٣٥٦٢) ومسلم (٢٣٢٠)]

وَفِي الحديث المشهور في الصحيح : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى : **إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ** » [البخاري (٣٤٨٤)]. **وروى أحمد في الزهد (٦٦٨)** عن الْحَسَنُ قَالَ وَذَكَرَ عُثْمَانَ وَشِدَّةَ حَيَائِهِ فَقَالَ : « إِنْ كَانَ لَيَكُونُ فِي الْبَيْتِ وَالْبَابُ عَلَيْهِ مُغْلَقٌ فَمَا يَضَعُ عَنْهُ الثَّوْبَ لِيُفِيضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يُقِيمَ صُلْبَهُ »

ورى هناد في الزهد (٢/٦٢٥) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : (أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ: التَّعَطُّرُ وَالنِّكَاحُ وَالسِّوَاكُ **وَالْحَيَاءُ** " قَالَ حَجَّاجٌ : كَانَ يُقَالُ: إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا ، **وَخُلُقُ هَذَا الدِّينِ الْحَيَاءُ**) . والآثار في أهمية الحياء في الدين لا تحصر .

(قلت) وقد نقل **ابن بطة رحمه الله في الإبانة الصغرى** الإجماع على ما سبق ذكره فقال **(٥٢٦)** وأجمعتِ العلماءُ لا خِلافَ بينهم : أنَّ اللهَ عزَّوجلَّ قد افترضَ على الخلقِ : الخوفَ والرَّجَاءَ ، وأنَّه دعَا عباده إليه بالرغبة والرهبة) اهـ

[١٠٩] واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة (١) ، ومن يخلو مع النساء وطريق المذهب ، فإن هؤلاء كلهم على ضلالة. (٢)

---

(١) وهم الصوفية الذين اعتادوا الكلام عن الشوق والمحبة وترك ما سوى ذلك من أصول الدين التي تقدح في كل ما يدعونه من المحبة والشوق ، وقد امتحن الله تعالى المدعون للمحبة بهذه الآية {**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُم** } [آل عمران ٣١] فكل مدعى للمحبة فيختبر بهذه الآية ، وينظر في طاعته ومتابعته .

وقد بوب البخاري في صحيحه فقال : بَابُ عَلاَمَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ : {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}

وروى البيهقي في الأسماء والصفات (**١٠٤١**) بسند حسن ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : كَتَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ : « سَلاَمٌ عَلَيْكَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ ، فَإِذَا أَحَبَّهُ اللَّهُ حَبَّبَهُ إِلَى عِبَادِهِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ أَبْغَضَهُ اللَّهُ ، فَإِذَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ بَغَّضَهُ إِلَى عِبَادِهِ »

وقد روى المروزي في تعظيم قدر الصلاة أثرا جليلا وفيه طول أسوقه بتصرف واختصار **وهو برقم** (**٧٤١**) عن مُحمد بن ذكوان قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمَ السَّبْتِ فَصَلَّيْتُ الْغَدَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ ، وَإِذَا النَّضْرُ بْنُ عَمْرٍو قَاصٌّ مِنْ قُصَّاصِ أَهْلِ الشَّامِ يَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا فَرَغَ تَكَلَّمَ الْحَسَنُ فَجَمَعَ الْقَوْلَ وَاخْتَصَرَ .... قَالَ النَّضْرُ عِنْدَ ذَلِكَ : يَا أَبَا سَعِيدٍ وَاللَّهِ إِنَّا عَلَى مَا كَانَ فِينَا لَنُحِبُّ رَبَّنَا. قَالَ الْحَسَنُ: قَدْ قَالَ ذَلِكَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ : {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} فَجَعَلَ اللَّهُ اتِّبَاعَ سَنَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَأَكْذَبَ مَنْ خَالَفَهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ : اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ، فَإِنِّي قَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانُوا قَبْلَكَ فِي صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا مُوَافِقِينَ لِكِتَابِ رَبِّهِمْ، وَلِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَنَّتْهُمُ اللَّيْلُ قِيَامًا عَلَى أَطْرَافِهِمْ يَفْتَرِشُونَ وُجُوهَهُمْ يُنَاجُونَ الَّذِي خَلَقَهُمْ فِي فِكَاكِ رِقَابِهِمْ إِنْ عَمِلُوا حَسَنَةً دَأَبُوا فِي شُكْرِهَا، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا، وَإِنْ عَمِلُوا سَيِّئَةً بَكَّتْهُمْ، وَسَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا، إِذَا أَشْرَفَ لَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَخَذُوا مِنْهُ قُوتَهُمْ، وَوَضَعُوا الْعَقْلَ مَعَادَهُمْ وَإِنْ زَوَى عَنْهُمْ قَالُوا: هَذَا نَظَرٌ مِنَ اللَّهِ وَخِيَارٌ فَكَانُوا كَذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ وَاللَّهِ مَا سَلِمُوا مِنَ الذُّنُوبِ، وَلَا بَلَغُوا إِلَّا بِالْمَغْفِرَةِ وَأَصْبَحْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ مُخَالِفًا لِلْقَوْمِ فِي زِيِّهِمْ، وَخَوْفِهِمْ ، وَجَدِّهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَقْوَامًا كَانُوا قَبْلَكَ بِمِثْلِ مَكَانِكَ يَخْطُبُونَ عَلَى هَذَا الْخَشَبِ تَهْتَزُّ بِهِمُ الدَّوَابُّ، وَيَصُونُونَ الْخِرَقَ وَيُشَيِّدُونَ الْمُدُنَ، خَرَجُوا مِنْ سُلْطَانِهِمْ، وَمِنْ دُنْيَاهُمْ فَقَدِمُوا عَلَى رَبِّهِمْ، وَنَزَلُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ فَاللَّهَ اللَّهَ اعْمَلْ فِي نَفْسِكَ، اعْمَلْ لَهَا وَاحْذَرْ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ فِيهَا ."

وروى الآجري في الشريعة (**٢٥٤**) **واللالكائي في السنة** (**٦٨**) عن أَبِي عُبَيْدَةَ النَّاجِي أَنَّهُ سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ : قَالَ قَوْمٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَنُحِبُّ رَبَّنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ قُرْآنًا: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} فَجَعَلَ اتِّبَاعَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَمًا لِحُبِّهِ ، وَكَذَّبَ مَنْ خَالَفَهُ ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ دَلِيلًا مِنْ عَمَلٍ يُصَدِّقُهُ ، وَمِنْ عَمَلٍ يُكَذِّبُهُ ، وَإِذَا قَالَ قَوْلًا حَسَنًا ، وَعَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا ، رَفَعَ اللَّهُ قَوْلَهُ بِعَمَلِهِ ، وَإِذَا قَالَ قَوْلًا حَسَنًا، وَعَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا ، رَدَّ اللَّهُ الْقَوْلَ عَلَى الْعَمَلِ ، وَذَلِكَ فِي كِتَابِهِ تَعَالَى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} .

وروى اللالكائي (**٦٩**) عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَأَنَا أَسْمَعُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » قَالَ : أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى:

{إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} قَالَ : يُقَرِّبُكُمُ الْحُبُّ مِنَ الرَّبِّ قَالَ : {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} لَا يُقَرِّبُ الظَّالِمِينَ »

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢١٨/١) عن ميمون بن مهران قال : وَلَقَدْ دَلَّنَا مَوْلَانَا الْكَرِيمُ تَعَالَى عَلَى طَرِيقِ مَحَبَّتِهِ وَأَرْشَدَنَا إِلَى سَبِيلِ هِدَايَتِهِ بِأَقْصَدِ الْمَذَاهِبِ ، وَأَقْرَبِ الْمَسَالِكِ حِينَ أَعْلَمَنَا أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ هِيَ فِي مُتَابَعَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فَمَنِ اتَّبَعَ رَسُولَهُ فِي سُنَّتِهِ أَوْرَثَهُ ذَلِكَ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكَسْبِهِ الْبَصِيرَةَ فِي إِيمَانِهِ فِيمَا أَحْكَمَهُ فِي قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَبِالْمَغْفِرَةِ وَالرِّضْوَانِ فِي مِيعَادِهِ .

وروى أبو نعيم في الحلية (٩٩/١٠) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ وَسُئِلَ مَا عَلَامَةُ مَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ ؟ فَقَالَ لِلسَّائِلِ : مَا الَّذِي كَشَفَ لَكَ عَنْ طَلَبِ عِلْمِ هَذَا ؟ فَقَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى : {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} فَعَلِمْتُ أَنَّ عَلَامَةَ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ اتِّبَاعُ رَسُولِهِ .

(قلت) فكل من ادعى المحبة والشوق ودعاك لها فقف حتى تختبره في المتابعة ، وأهل الزهد والعبادة قديما كلهم أقروا بشرط المتابعة في ادعاء المحبة ، بل حتى من تزعم الصوفية أنهم من شيوخهم على خلاف ما تفعله الصوفية اليوم ! فاقرأ هذه إن شئت وانظر هل خالفوا من يدعون أنهم شيوخ طرائقهم أم لا !!

قَالَ أبو يزيد البسطامي : (لَوْ نَظَرْتُمْ إِلَى رَجُلٍ أُعْطِيَ مِنَ الْكَرَامَاتِ حَتَّى يَرْتَقِيَ فِي الْهَوَاءِ فَلَا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوا كَيْفَ تَجِدُونَهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَحِفْظِ الْحُدُودِ ، وَآدَابِ الشَّرِيعَةِ) [الإعتصام (١٦٠/١)]

وَروى أبو نعيم في الحلية (٤٠/١٠) وابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ٣٨) قَالَ سَهْلٌ التُّسْتُرِيُّ : (كُلُّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ بِغَيْرِ اقْتِدَاءٍ ـ طاعة كَانَ أَوْ مَعْصِيَةً ـ فَهُوَ عَيْشُ النَّفْسِ ، وَكُلُّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ بِالِاقْتِدَاءِ فَهُوَ عِتَابٌ) عَلَى النَّفْسِ)

وَقَالَ أيضا : (أُصُولُنَا سَبْعَةُ أَشْيَاءَ : التَّمَسُّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَالِاقْتِدَاءُ بِسُنَّةِ رَسُولِ الله ، وَأَكْلُ الْحَلَالِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَاجْتِنَابُ الْآثَامِ ، وَالتَّوْبَةُ ، وَأَدَاءُ الْحُقُوقِ) [طبقات الصوفية للسلمي (ص٢١٠) والإعتصام (١٦١/١)]

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ : (رُبَّمَا تَقَعُ فِي قَلْبِي النُّكْتَةُ مِنْ نُكَتِ الْقَوْمِ أَيَّامًا ، فَلَا أَقْبَلُ مِنْهُ إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ عَدْلَيْنِ : الكتاب والسنة) [السلمي في طبقات الصوفية (ص٧٨) وابن الجوزي في صفة الصفوة (٤/ ٢٢٩)، والقشيري في الرسالة (ص١٩)]

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ : (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا بِلَا اتِّبَاعِ سُنَّةٍ فَبَاطِلٌ عَمَلُهُ) [السير (٨٨/١٢) والشذرات (١١٠/٢)]

وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ الْحَدَّادُ : مَنْ لَمْ يَزِنْ أَفْعَالَهُ وَأَحْوَالَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَمْ يَتَّهِمْ خَوَاطِرَهُ فَلَا تَعُدَّهُ فِي دِيوَانِ الرِّجَالِ . [رواه أبو نعيم في الحلية (٢٢٩/١٠) وذكره في طبقات الصوفية (ص١١٥) وغيرهم] وأقوالهم كثيرة لا تحصر في هذا الباب .

(قلت) أما تورط الصوفية بالنساء والمردان فهو أصلا الداعي الحقيقي لكل ما احتوته بدعهم وطرائقهم ، فإنهم اخترعوا التصوف وغلوا فيه وصار أمرهم إلى الشرك وعبادة القبور والردة الصريحة ، كل ذلك كان لأجل الوصول إلى الشهوة العارمة من التمتع بالنساء والمردان والعياذ بالله ، وقد اعترف بعض شيوخهم بذلك كما في رسالة القشيري !! وفي كتاب طبقات الأولياء كما يسميه ذاك الشعراوي المشرك الماجن ، ستجد فيه علاقة شيوخهم بالنساء واضحة في أغلب التراجم ، من أبشعها ما حكاه ابن الجوزي الأشعري عنهم في **تلبيس إبليس (٣٢٦/١)** قال : وبإسناد عَنْ أبي القاسم بْن عَلِيّ بْن المحسن التنوخي عَنْ أبيه قَالَ أخبرني جماعة من أهل العم أن بشراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم عَنِ الخطرات والوساوس ويحضر حلقة ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق فاستغوى الضعفاء من الناس إِلَى هَذَا المذهب قَالَ فمات رجل

منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمهن غيرهن فلما فرغوا من دفنه دخل ابْن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إِلَى الدار وأخذ يعزي المرأة بكلام الصوفية إِلَى أن قالت قد تعزيت فَقَالَ لها ههنا غير فقالت لا غير قَالَ فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم وتعذيبها بعذاب الهموم ولأي معنى نترك الامتزاج لتلتقي الأنوار وتصفو الأرواح ويقع الإخلافات وتنز الْبَرَكَاتِ قَالَ : فقلن النساء إذا شئت ، قَالَ فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا . قَالَ المحسن قوله ههنا غير أي ههنا غير موافق المذهب فقالت لا غير أي ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عَنِ الممازجة فِي الوطء وقوله لتلتقي الأنوار عندهم أن فِي كل جسم نورا الهيا وقوله إخلافات أي يكون لكن خلف ممن مات أَوْ غاب من أزواجكن قَالَ المحسن وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عَنِ الكذب مَا حكيته لعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري فِي دار الإسلام قَالَ وبلغني أن هَذَا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض عَلَى جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا) اهـ .

(**قلت**) فهذا يدلك على أن الصوفية نشأت على الزندقة والإنحلال والفواحش والخنا والعياذ بالله .

[١١٠] واعلم – رحمك الله – أن الله – تبارك وتعالى – دعا الخلق كلهم إلى عبادته ، ومن بعد ذلك على من شاء بالإسلام تفضلا منه (١).

[١١١] والكف عن حرب علي ومعاوية وعائشة وطلحة والزبير [رحمهم الله أجمعين] ومن كان معهم ، ولا تخاصم فيهم ، وكل أمرهم إلى الله تبارك وتعالى (٢) .

---

(١) والأصل في الدعوة العامة قوله تعالى : { **قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** } [الأعراف (١٥٨)] وقوله أيضا (**يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**) [البقرة : (٢١)] والآيات في هذا المعنى كثيرة ولكن لا يمن الله بالإسلام والهداية إلا من شاء من خلقه ممن كتب له السعادة في الكتاب كما قال تعالى (**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ**) [الحجرات ١٧ - ١٨] وقال تعالى (**فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم**) [الطور: ٢٧] وقال تعالى (**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**) [الأنعام (١٢٥)] وقد سبق التعليق على عبارة التفضل من الله تعالى في تعليق سابق .

(٢) ومقاله المؤلف هو إجماع من أهل السنة والسلف عامة ، ولا يفتح هذا الجرح إلا مبتدع في قلبه زيغ على الصحابة وغالبا لا يكون ذلك إلا وتجده وقع في أحد الصحابة بسب أو بهمز يوغر بسببه قلوب العوام على الصحابة والعياذ بالله وقد قَرَّر السلف أنَّهُ « لا يَبْسُطُ لِسَانَهُ فِيْهِم إلاَّ مَنْ سَاءَتْ طَوِيَّتُهُ فِي النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وصَحَابَتِهِ ، والإسْلامِ ، والمسْلِمِيْنَ » [الإمَامَةُ لأبي نُعَيْمٍ الأصْبَهانِيِّ (٣٧٦)] وإليك ما قاله السلف في هذا الموضوع الخطير :

عن مجاهد عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: لا تسبوا أصحاب محمد فإن الله أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون .[روي بسند صحيح في فضائل الصحابة للإمام أحمد (١/ ٦٩) (٢/ ١١٥٢) والإبانة لابن بطة (٢٩٤) وأصول الاعتقاد (٧/ ٢٣٥٣/١٣٢٤) وفي الشريعة (٣/ ٢٠٣٣/٥٤٠) والحجة للأصبهاني (٣٦٤)]

وسئل عمر بن عبد العزيز عن علي وعثمان والجمل وصفين وما كان بينهم ؟ فقال: تلك دماء كف الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها ، مَثَلُ أصْحَابِ رَسُولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – مَثَلُ العُيُوْنِ ، ودَوَاءُ العُيُوْنِ تَرْكُ مَسِّهَا » [الطبقات الكبرى (٥/٣٩٤) الخلال في السنة (١/٤٦١– ٤٦٢) جامع بيان العلم (٢/٩٣٤) مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ للرَّازِيِّ ص (١٣٦)]

سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال : قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا ، وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا . [الإصابة (٣٢٩/١) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٢٢)]

روى الخلال في السنة (ص٥١٣) والآجري في الشريعة (١٩٨١) وابن عدي في الكامل (٤/ ٣٤) وابن عساكر في تاريخه (٢٢/ ٢١٥) **عن العوام بن حوشب قال** : أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة وهم يقولون : اذكروا محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تأتلف عليه القلوب ، ولا تذكروا الذي شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم .

وقَالَ الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ بَعْدَ أنْ قِيْلَ لَهُ : ما تَقُوْلُ فِيْمَا كَانَ بَيْنَ عَلِيٍّ ومُعَاوِيَةَ ؟ قَالَ : « ما أقُولُ فِيْهِم إلاَّ الحُسْنَى »
[رواه الخلال في « السنة » (٢/٤٦٠) مَنَاقِبُ أحْمَدَ (ص ١٤٦).]

وروى الخلال في السنة (٧٦٥) قال بشر بن الحارث : خطأ أصحاب محمد موضوع عنهم .

وفي طبقات الحنابلة (٣٤٩/١) قال الحسن ابن ربعي : قال لي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة : أجمع تسعون رجلًا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على:.... والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأفضل الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والترحم على جميع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم — وعلى أولاده وأزواجه وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين ، فهذه السنة الزموها تسلموا ، أخذها هدى وتركها ضلالة .

وروى الخطيب في تاريخه (٤٤/٦) وابن عساكر في تاريخه (١٤١/٥٩) وطبقات الحنابلة (٢٥١/١) عن أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم بن آزر الفقيه حدثني أبي قال : حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية فأعرض عنه ، فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه ، فقال : أقرأ ؟ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون ؟.

وفي السنة للخلال بسند صحيح (٥١٢) قيل للإمام أحمد : ما تقول فيمن زعم أنه مباح له أن يتكلم في مساوي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبو عبدالله : هذا كلام رديء يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون ويبين أمرهم للناس ».

أخرج ابن عساكر في تاريخه (١٤١/٥٩) بالسند عن أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي قال : جاء رجل إلى عمي فقال له : إني أبغض معاوية فقال له لم ؟ قال : لأنه قاتل علياً بغير حق فقال له أبو زرعة : رب معاوية رب رحيم وخصم معاوية خصم كريم فما دخولك بينهما ؟

وقال الكرماني في السنة (٧٥) : ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم أجمعين ، والكف عن ذكر مساوئهم والخلاف الذي شجر بينهم ، فمن سبّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أحداً منهم فهو مبتدع ، رافضي خبيث مخلف لا يقبل الله منه صرفاً ، ولا عدلاً ، بل حبهم سنة ، والدعاء لهم قربة ، والإقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة ".

وفي مسائل حرب الركماني (١١٩٧/٣) : عن عبد الله بن سوار العنبري قال : السنة عندنا وما أدركنا عليه حمادًا ، وحمادًا ، والناس الذين يقتدى بهم تقديم أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، والحب لأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جميعًا والكف عن ذكر مساوئهم ، وعظيم الرضا بصحبة رسول الله – صلى الله عليه وسلم .

قال ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص٢٦٨) حاكيا للإجماع : ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون ، وإنما فضلوا على سائر الخلق ، لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم ، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم .

وقال الصابوني في كتابه عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٩٤) حاكيا للإجماع : ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم ويرون الترحم على جميعهم

والموالاة لكافتهم .

(قلت) ومن حكى الإجماع من أهل السنة كثير منهم [الرازيان كما رواه عنهما اللالكائي في أصول الإعتقاد (٣٢١) والآجري في الشريعة (٢٤٨٥/٥) والأصبهاني في الحجة (٣٩٥/٢) والقيرواني في عقيدته (٢٣) وابن قدامة في لمعة الاعتقاد (١٥٠)]

من هذا الباب رواية الأحاديث التي تسمى (**بالأحاديث الرديئة**) وهي التي تحتوي سبًّا لأحد من الصحابة أو أي همز فيهم ، لا تروى لا في مجلس ولا في كتاب ولا لو حتى مجرد رواية بدون تعليق وشرح ، سواء قبلتها أو خالفتها ، فلا ترو أصلا ، فالواجب كتمها ودفنها وفي هذا نهي كثير عن الأئمة : وقد بوب لها الخلال في السنة (ص٥٠١) [**التَّغْلِيظُ عَلَى مَنْ كَتَبَ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا طَعْنٌ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**]. **ثم روى عن الْأَعْمَشَ يَقُولُ** : وَذَكَرَ حَدِيثَهُ الَّذِي يُنْكِرُونَهُ فَقَالَ : « كُنْتُ أُحَدِّثُهُمْ بِأَحَادِيثَ يَقُولُهَا الرَّجُلُ لِأَخِيهِ فِي الْغَضَبِ ، فَاتَّخَذُوهَا دِينًا !! ، لَا جَرَمَ ، لَا أَعُودُ لَهَا »

وروى عن أبي الْحَارِثِ قَالَ : جَاءَنَا عَدَدٌ وَمَعَهُمْ ذَكَرُوا أَنَّهُمْ مِنَ الرَّقَّةِ، فَوَجَّهْنَا بِهَا إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُبَاحٌ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي مَسَاوِئِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: « هَذَا كَلَامُ سُوءٍ رَدِيءٌ ، يُجَانَبُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ ، وَلَا يُجَالَسُونَ ، وَيُبَيَّنُ أَمْرُهُمْ لِلنَّاسِ »

وعن أبي الْحَارِثِ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قُلْتُ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي رُوِيَتْ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُرَى لِأَحَدٍ أَنْ يَكْتُبَهَا ؟ قَالَ : لَا أَرَى لِأَحَدٍ أَنْ يَكْتُبَ مِنْهَا شَيْئًا ، قُلْتُ : فَإِذَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ يَطْلُبُهَا وَيَسْأَلُ عَنْهَا، فِيهَا ذِكْرُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْلُبُ هَذِهِ وَيَجْمَعُهَا فَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةُ سُوءٍ ".

وعن الْمَرُّوذِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : إِنَّ قَوْمًا يَكْتُبُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الرَّدِيئَةَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ حَكَوْا عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتُ : أَنَا لَا أُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ حَدِيثٍ يَكْتُبُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ يَعْرِفُهَا ، فَغَضِبَ وَأَنْكَرَهُ إِنْكَارًا شَدِيدًا ، وَقَالَ : بَاطِلٌ مَعَاذَ اللَّهِ أَنَا لَا أُنْكِرُ هَذَا ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي أَفْنَاءِ النَّاسِ لَأَنْكَرْتُهُ ، كَيْفَ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ : أَنَا لَمْ أَكْتُبْ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ " **قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ** : فَمَنْ عَرَفْتَهُ يَكْتُبُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الرَّدِيئَةَ وَيَجْمَعُهَا أَيُهْجَرُ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، يَسْتَأْهِلُ صَاحِبُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الرَّدِيئَةِ الرَّجْمَ »

وعن بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَسَأَلَهُ عَنِ الرَّجُلِ يَرْوِي الْحَدِيثَ فِيهِ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ ، يَقُولُ : أَرْوِيهِ كَمَا سَمِعْتُهُ ؟ قَالَ : مَا يُعْجِبُنِي أَنْ يَرْوِيَ الرَّجُلُ حَدِيثًا فِيهِ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ ، قَالَ : وَإِنِّي لَأُضْرِبُ عَلَى غَيْرِ حَدِيثٍ مِمَّا فِيهِ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْءٌ ."

وعن الْعَبَّاسُ الدُّورِيُّ قَالَ : ثَنَا إِبْرَاهِيمُ أَخُو أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ قَالَ: كُنْتُ رَفِيقَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ قَالَ : فَجَعَلْنَا نَسْمَعُ، فَلَمَّا جَاءَتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي فِيهَا بَعْضُ مَا فِيهَا قَامَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَاعْتَزَلَ نَاحِيَةً وَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بِهَذِهِ !! فَلَمَّا انْقَطَعَتْ تِلْكَ الْأَحَادِيثُ فَجَاءَ فَجَعَلَ يَسْمَعُ .

وعن يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ يَقُولُ : كَانُوا عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ : أَحْمَدُ وَخَلَفٌ وَرَجُلٌ آخَرُ ، فَلَمَّا مَرَّتْ أَحَادِيثُ الْمَثَالِبِ وَضَعَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ طَوِيلًا حَتَّى مَرَّ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ ، ثُمَّ أَخْرَجَهُمَا ، ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى مَضَتِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا أَوْ كَمَا قَالَ.

وعن هَارُونَ بْنَ سُفْيَانَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: وَذَكَرَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «هَذِهِ أَحَادِيثُ الْمَوْتَى » وقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : لَا أُحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْتُبَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَصْحَابِ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ ، وَلَا سُنَنٌ قُلْتُ : أَكْتُبُهَا ؟ قَالَ : لَا تَنْظُرْ فِيهَا وَأَيُّ شَيْءٍ فِي تِلْكَ مِنَ الْعِلْمِ ، عَلَيْكُمْ بِالسُّنَنِ وَالْفِقْهِ ، وَمَا يَنْفَعُكُمْ !! .

قال أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَبَّارُ : سَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ وَكِيعٍ فَقُلْتُ : هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الرَّدِيئَةُ نَكْتُبُهَا ؟ فَقَالَ مَا طَلَبَهَا إِنْسَانٌ فَأَفْلَحَ ، قَالَ : وَسَأَلْتُ أَبَا هَمَّامٍ فَقَالَ : لَا تَكْتُبْهَا ، وَسَأَلْتُ مُجَاهِدَ بْنَ مُوسَى ؟ فَقَالَ لِأَيْشٍ تَكْتُبُهَا ؟ قُلْتُ : نَعْرِفُهَا ، قَالَ : **تَعْرِفُ الشَّرَّ !!**) اهـ [انتهى مختصرا من السنة للخلال ، ويراجع في هذا الموضوع كتاب الشَّرْحُ والإبانَةُ لابنِ بَطَّةَ (٢٦٨ - ٢٦٩) والسنة للالْكائِيِّ (٧/ ١٢٤١ - ١٢٧٠)]

وللأسف ـ **ولا أسف على من ضل** ـ أنك تجد ممن يسمونهم بالدعاة يلقون محاضرات في ما شجر بين الصحابة بحجة الدفاع عنهم ، ويسردون القصص ، وكل ما وقع في تلك الفتن على العوام من الناس ، فيَضِلون ويُضِلون ، ولو كانوا في زمن السلف لأوجعوهم ضربا تنكيلا ، بل يستحقون الرجم كما قال الإمام أحمد ، والأمر كما قيل : (**خلا لك الجو فبيضي واصفري ... ونقري ما شئت أن تنقري**) وإلى الله المشتكى.

ورحم الله الإمام ابن بطة حينما قال في الإبانة الصغرى (٢٩٤) : ولا ينظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار ، وسائر المنازعات التي جرت بينهم ، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ، ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ، ولا تسمعه ممن يرويه ، فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة) ولي مقال منشور في المدونة على النت بعنوان (**زجر الدعاة والكتاب عن الكلام فيما شجر بين الأصحاب**) فراجعه هناك .

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إياكم وذكر أصحابي ، وأصهاري وأختاني** » (١) وقوله : **إن الله تبارك وتعالى نظر إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم** »(٢)

[١١٢] واعلم – رحمك الله – أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة من نفسه(٣) **وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه ، لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئا إلا بإذنه ، فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراما** (٤).

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، والمؤلف ذكره بالمعنى ، فقد رواه قريبا منه أحمد في فضائل الصحابة (٦٤٠) لكنه بسند ضعيف جدا وروى نحوه الآجري في الشريعة (٢٠٣٣) وأبو الحسن الخلعي في الخلعيات (٤٣) وفي فوائده (٨٨) وابن عساكر في معجمه (٦٧) وأمالي ابن بشران (٢١٢) والمعجم لابن الأبار (١٨٣) وأبو طاهر السلفي في مشيخته رقم (١) والمقدسي في كتاب النهي عن سب الأصحاب (٨) وذكره مختصرا الهندي في كنز العمال (٣٢٥٣٦) في حديث طويل مما جاء فيه ...(**يا أيها الناس احفظوني في أختاني وفي أصهاري وفي أصحابي** لا يطلبنكم الله بمظلمة أحد منهم فإنها ليست مما توهب ..) (قلت) سنده منكر جدا ، وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٦٦٧) أن الحديث موضوع ، وخالد بن عمرو متروك . وقال ذاك الهيثمي في المجمع (٩/ ١٥٧): رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم . وقال ذاك العسقلاني في الإصابة (٣/ ٢٠٦) : خالد بن عمرو متروك واهي الحديث] وقد وردت أحاديث أخرى قريبة المعنى منه ذكرها في كنز العمال (٥٢٩/١١ ، ٥٣٢ ، ٥٣١ ، ٥٤١) وذكرها الطبراني في الكبير (٥٦٤٠ ، ١٠١٢) وكلها لا تصح ، فالمؤلف عفا الله عنه كان غنيا بالصحيح عن ذكر هذا الحديث المنكر ، ويغني عنه ما في **صحيح مسلم (٢٥٤٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي** فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ " .

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧) و (٤٢٧٤) و (٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه .

(٣) وهذا رد على بعض الجهلة من الناس الذين قالوا السرقة من السارق حلال !! وهو يشير إلى ما جاء في بعض الأحاديث والآثار الواردة في هذا الباب من ذلك : حديث أبي هريرة عند مسلم (٢٥٦٤) وجاء فيه : (**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**) **في كتاب المعرفة للبيهقي (١٨١٩٥)** قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْقَدِيمِ : سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَالَ الْمُسْلِمِ لَا يَحِلُّ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ وَقَالَ : « **دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ حَرَامٌ** » **(قلت)** قد رويت عدة أحاديث جاء فيها **(لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**) من حديث جابر وأبي حميد الساعدي وعمرو بن يثربي وابن عباس وأنس وأبي حرة الرقاشي عن عمه ، وبعضها جيد الإسناد وبعضها ضعيف وروي في معناها بعض الأحاديث وقد خرجها ذاك ابن الملقن في البدر المنير (٦٩٣/٦ ـ ٦٩٨) فراجعها هناك]

(٤) ويشبه هذا أيضا مسألة الظفر في الفقه ولم يتفق عليها أهل العلم بل اختلفوا خلافا عريضا وفيها كلام طويل والمؤلف بما أنه

[١١٣] والمكاسب [مطلقة] ما بان لك صحته فهو مطلق إلا ما ظهر فساده (١).

= معدود في الحنابلة اختار ما عليه المذهب وهو المنع والتحريم أن يأخذ من ظفر بماله ، عند من ظلمه فيأخذ منه بغير إذنه ، وخالفهم بعض المالكية والشافعية على تفصيل عندهم معروف وجوزوا الأخذ منه بقدر حقه إذا كان من جنس ما أُخِذ منه ، ولعله أقرب القولين في المسألة وأجراهما على ظواهر النصوص وأن لك أن تأخذ قدر حقك من غير زيادة لقوله تعالى في هذه الآية: {**فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ....**} الآية [١٦/١٢٦] وقوله : {**فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**} [٢/١٩٤] وممن قال بهذا القول : ابن سيرين وإبراهيم النخعي ، وسفيان ومجاهد ، وغيرهم .

(١) وأشار المؤلف بهذا الكلام للرد على الظاهرية المبتدعة الذين جعلوا الأصل في المكاسب الحظر إلا ما أباح الشرع ، ولهذا جعل هذه المسألة في كتب العقيدة ، فإن الأصل في المكاسب والحِرَف والرواتب والمكافآت وكسب العيش وطلب الرزق والضرب في الأرض والتجارة ، كلها الأصل فيها الحل ما لم يتبين فيها حرام أو مشتبه ، وهذا أصل مجمع عليه بين السنة ، وقد نقل الإجماع على هذا حرب الكرماني في عقيدته السنة (٨٥) التي نقل فيها إجماع من لقيهم من أهل العلم قال : **ومن حَرَّمَ المكاسب والتجارات ، وطلب المال من وجوهها ، فقد أخطأ وخالف ، بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلَّه الله ، ورسوله ، والعلماء من الأمة** . [وانظر الأوسط (١٠/١٣٣) جماع أبواب المكاسب المباحة والإستغناء بها عن الطلب]

كما حكى الإجماع أيضا ذاك التيمي في الفتاوى (٢٩/١٣٣) وابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم (٢/١٦٦) وهذا الأصل مأخوذ من قوله تعالى {**وأحَلَّ الله البَيْعَ**} وقوله تعالى { **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم** } قوله تعالى {**وقد فصل لكم ما حرم عليكم**} [الأنعام ١١٩] .

ومن الأحاديث : قوله صلى الله عليه وسلم : **إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها"** [رواه الدارقطني في سننه (٤٢) والطبراني في الكبير (٨٥٩) والبيهقي في سننه (١٠/١٢ — ١٣) **بسند معلول** من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه]

ومن الآثار ما يدل على هذا الأصل : ما صح عن سلمان موقوفا قال : **الحلال ما أحل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا عنكم"** . [رواه الترمذي في سننه (١٧٢٦) وابن ماجه (٣٣٦٧) وروي مرفوعا لكن رجح البخاري والترمذي وقفه] روى الخلال في الحث على التجارة (٤١) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٣٩٤) والصغير (٢/٢٣٧) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ {**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**} [البقرة: ٥٧] قَالَ: التِّجَارَةُ .

وروى ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣١٣) عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ سُلَيْمَانَ {**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**} قَالَ : « هُوَ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ »

وروى البيهقي في السنن الكبرى (١٠٣٩٦) عَنْ قَتَادَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ} قَالَ : التِّجَارَةُ رِزْقٌ مِنْ رِزْقِ اللهِ حَلَالٌ مِنْ حَلَالِ اللهِ لِمَنْ طَلَبَهَا بِصِدْقِهَا وَبِرِّهَا " .

وقد روى الخلال في كتاب الحث على التجارة (٣) وابن الجوزي في التلبيس (٢٨٥) قال بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : قَدْ أَمَرْتُهُمْ يَعْنِي لِوَلَدِهِ أَنْ يَخْتَلِفُوا إِلَى السُّوقِ ، وَأَنْ يَتَعَرَّضُوا لِلتِّجَارَةِ " وَقَالَ : قَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ

وإن كان فاسدا يأخذ من الفساد مَسِيكة نفسه ، لا تقول : أترك [المكاسب] وآخذ ما أعطوني ، لم يفعل هذا الصحابة ولا العلماء إلى زماننا هذا (١)

= عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : **إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ** » والآثار في هذا الباب كثيرة راجعها في كتاب إصلاح المال لابن أبي الدنيا والحث على التجارة للخلال .

(١) ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تحث على الإستغناء عن الناس والكسب باليد ، ولا يمكن جمعها هنا كلها لكن أكتفي منها :

حديث (**اليد العليا خير من اليد السفلى ... وفي لفظ : ومن يستغن يغنه الله**) [رواه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (٩٤)]

وبما روى أحمد (١٠٩٨٩) وغيره بسند صحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ : ائْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْأَلْهُ فَأَتَاهُ وَهُوَ يَخْطُبُ ، وَهُوَ يَقُولُ : **مَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللهُ ، وَمَنْ سَأَلَنَا فَوَجَدْنَا لَهُ أَعْطَيْنَاهُ قَالَ : فَذَهَبَ وَلَمْ يَسْأَلْ**).

وروي في هذا المعنى أحاديث مرفوعة ، وفيها ضعف ، استغنينا ببعض الصحيح عن ذكرها ، وروي في هذا الباب آثار كثيرة حسنة نذكر منها :

روى الخلال في كتاب الحث على التجارة (١٥) بسند يحتمل عن أَشْعَثُ ابْنَ شُعْبَةَ قُلْتُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ: أَكْرِي نَفْسِي فِي السُّوقِ وَتَفُوتُنِي الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ قَالَ: أَكْرِ نَفْسَكَ إِلَى حِينٍ، وَاسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِلْوَقْتِ .

وروى الخلال (٢١) عن أَبِي الْفَتْحِ قَالَ : عَابَ سُفْيَانُ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ الْعَمَلَ ، قَالَ : وَرَأَى أَبُو بَكْرٍ يَعْنِي الصِّدِّيقَ شَابًّا يَسْأَلُ فَوَاجَرَهُ نَفْسَهُ .[وانظر للمزيد في هذا المعنى في الجامع لذاك الخطيب : ذكر ما يجب على طالب الحديث من الإحتراف للعيال واكتساب الحلال]

وروى الخلال (٢٢) عن مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ قَالَ : كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَيَقُولُ : مَا يُجْلِسُكُمْ ؟ فَنَقُولُ: فَمَا نَصْنَعُ ؟ قَالَ : « اطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ » .

وروى الخلال (٢٧) عن بَقِيَّةُ قَالَ : كَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ إِذَا قِيلَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ ؟ قَالَ : بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَمَّلْ مُؤْنَتِي غَيْرِي .

وروى الخلال (٢٩) عن الْفَيْضُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : سَأَلْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ قُلْتُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ فِي بَيْتِهِ ، زَعَمَ أَنَّهُ يَثِقُ بِاللَّهِ فَيَأْتِيهِ بِرِزْقِهِ ؟ قَالَ يَعْنِي إِذَا وَثِقَ بِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ وَثِقَ بِهِ ، لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الْأَنْبِيَاءُ وَلَا غَيْرُهُمْ ، وَقَدْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ يُؤَاجِرُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آجَرَ نَفْسَهُ ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَلَمْ يَقُولُوا : نَقْعُدُ حَتَّى يَرْزُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ : {**وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** } [الجمعة: ١٠] فَلَابُدَّ مِنْ طَلَبِ الْمَعِيشَةِ .

وقال أيوب السختياني : إلزم السوق فإنك لا تزال كريما على أصحابك ما لم تحتج إليهم.[ذكره في الروضة لابن حبان (ص٢٦٦) والحلية لأبي نعيم (١١/٣)]

وفي رواية : (**الزم سوقك فإن فيه غنى عن الناس وصلاحا في الدين**) [رواها البيهقي في الشعب (١/١٠٩/١) والجامع لابن عبد البر (١٤/٢)]

وروى الخلال في الحث على التجارة (٣٧) بسند جيد عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : دِرْهَمٌ مِنْ تِجَارَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَشَرَةٍ مِنْ عَطَاءٍ »

وروى أبو نعيم في الحلية (٣٣٨/٨) والشعب للبيهقي (٢٩٧٨) وحديث أبي الفضل الزهري (١٤٤) والأمالي للشجري (٩٦٢) عن المعافى بن عمران يَقُولُ : « **عِزُّ الْمُؤْمِنِ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ** ، وَشَرَفُهُ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ »

روى الخلال في الحث على التجارة (٧) عن الْمَيْمُونِيُّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلسَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى وَكَانَ يَتَّجِرُ فِي الْبَحْرِ: تَرْكَبُ الْبَحْرَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : « **أُحِبُّ أَنْ أَسْتَغْنِيَ عَنْ ضَرْبِكَ مِنَ النَّاسِ** » .

وروى فيه (١٠) عن الميميوني : ... وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمًا مُبْتَدِئًا : « يَا أَبَا الْحَسَنِ **اسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ بِجُهْدِكَ** فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ » قُلْتُ : وَلِمَ ابْتَدَأْتَنِي بِهَذَا ؟ قَالَ : « لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَكَ شَيْءٌ تُصْلِحُهُ وَتَكُونُ فِيهِ ، وَتُصْلِحُهُ وَتَسْتَغْنِي بِهِ عَنِ النَّاسِ ، **فَإِنَّ الْغِنَى مِنَ الْعَافِيَةِ** » فَحَثَّنِي غَيْرَ مَرَّةٍ عَلَى الْإِصْلَاحِ ، وَالِاسْتِغْنَاءِ بِإِصْلَاحِ مَا رُزِقْتُ عَنِ النَّاسِ **وَأَقْبَلَ يُغَلِّظُ الْحَاجَةَ إِلَى النَّاسِ** .

روى ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣١٢) عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ : قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ : إِنَّ الَّذِي يَعْمَلُ بِيَدِهِ ، وَيَأْكُلُ ، طُوبَى لِمَحْيَاهُ وَمَمَاتِهِ .

قال الكرماني في السنة (٨٥) : فالرجل ينبغي على نفسه وعياله ويبتغي من فضل ربه ، فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف) اهـ

ونختم بما قاله أبو عبد الله محمد بن خفيف (٣٧١هـ) قال : ومما نعتقده : أن الله تعالى أباح المكاسب والتجارات والصناعات ، وإنما حرم الله الغش والظلم ، وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع ، إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء ، إنما حرم الله ورسوله الفساد ، لا الكسب والتجارات ، فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة ، جائز إلى يوم القيامة ، وإن مما نعتقده أن الله تعالى لا يأمر بأكل الحلال ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ما طالبهم به موجود إلى يوم القيامة، والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام فهو مبتدع ضال، إلا إنه يقل في موضع ويكثر في موضع، لا أنه مفقود من الأرض. [نقله في الحموية (ص٤٥٧ ـ ٤٥٨)]

وقال عمر رضي الله عنه : كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس (١)

[١١٤] والصلوات الخمس جائزة خلف [من] صليت (٢) إلا أن يكون جهميا ، فإنه معطل وإن صليت خلفه فأعد صلاتك ، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميا ، وهو سلطان فصل خلفه ، وأعد صلاتك وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصل خلفه ولا تعد صلاتك (٣).

---

(١) أخرجه وكيع كما في كنز العمال (١٢٢/٤) وذكره ابن الجوزي في مناقب عمر (ص١٩٤) كلاهما بلا سند ثم وقفت على سنده عند ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٢٣) **وهو ضعيف جدا** ، فيه خالد الزيات لم أجد من وثقه وفيه سنده عمر بن حفص وهو العبدي ضعيف . ورواه البلاذري في أنساب الأشراف (٣٤٣/١٠) عن بكر المزني عن عمر وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد المؤمن الرام ذكره البخاري في التاريخ الكبير (٣١٩/٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وذكره ابن حبان في الثقات (٣٧٢/٨) وبقية رجاله ثقات ، وهو منقطع من رواية بكر بن عبد الله المزني عن عمر رضي الله عنه ، وقد يحتمل مثل هذا فمعناه صحيح ، وقد علق عليه ابن شبة فيما نقله عنه البلاذري قائلا : مَثَلُ بَيْعِ الْمَصَاحِفِ ، وَتَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ بِكِرَاءٍ وَعَسْبِ الْفَحْلِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، ومن هذا ما **رواه في الحلية (٢٣٩/٨) قَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطٍ** : الْأَشْيَاءُ ثَلَاثَةٌ : حَلَالٌ بَيِّنٌ ، وَحَرَامٌ بَيِّنٌ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ ، فَالْمُؤْمِنُ مَنْ إِذَا لَمْ يَجِدِ الْحَلَالَ يَتَنَاوَلُ مِنَ الشُّبُهَاتِ مَا يُقِيمُهُ .

(قلت) هذه مسألة مهمة لمن لم يجد عمل مع فقره وحاجته إلا عملا فيه دناءة أو شبهة ، فيرخص له العمل فيه على قدر الحاجة ، حتى يجد البديل الأفضل ، ولا يسأل الناس .

(٢) أي تصح ولا يقصد أن الصلاة خلف كل فاجر وفاسق ومبتدع ما فيها أي إشكال مع وجود السني الصالح ، أو خلف السلطان !! فكان على المؤلف أن يقيد الكلام ويوضحه حتى لا يوهم الإطلاق فقد قيده الإمام أحمد كما **جاء في الطبقات (٤٢١/١)** قال يوسف بْن مُوسَى أَيْضًا سمعت أَحْمَد بن حنبل يقول صلاة الجمعة والعيدين جائزة خلف الأئمة البر والفاجر ما داموا يقيموها) وقد أنكر أحمد أيضا إطلاق عبارة (**الصلاة خلف كل بر وفاجر**) وقال ما سمعنا هذا !! كما في كتاب الانتصار للعمراني (٤٦٩/٢) وقد فسر تلك العبارة ابن أبي زمين أن القصد بذلك السلطان لا كل أحد كما في كتابه السنة (٢٠٧) ومثله فسره ابن راهويه في مسائج الكوسج [٥٠٣] .

وقَالَ اِبْنُ وَضَّاحٍ في البدع (٢١٢) وَسَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ عَنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ قَالَ : اَلْجُمُعَةُ خَاصَّةً ، قُلْتُ : وَإِنْ كَانَ اَلْإِمَامُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ ، لِأَنَّ اَلْجُمُعَةَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَيْسَ تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ) . **(قلت)** وقد تواتر منع أئمة الإسلام والسلف من الصلاة خلف المبتدعة والفساق إذا وجد البديل عنهم من أهل السنة والصلاح ، ولا يمكن نقل كلامهم كله هنا ، وبهذا يظهر أن قصد المؤلف : أنه من صلى خلف المبتدع والفاسق تصح صلاته ولا تبطل بخلاف الجهمي ، أو أنه يقصد بكلامه الحاكم .

(٣) **وهذه مسألة كبيرة جدا في أصول السنة** ، وخطيرة لتعلقها بالصلاة ، وفيها كلام طويل للسلف ينبغي التفصيل فيها وجمع ما قال فيها أهل الحديث فنقول وبالله التوفيق : قد يوحي كلام بعض أهل العلم ومنهم المؤلف ، إلى التفريق بين الصلوات الخمس ، والجمعة خلف الجهمية ، وبين إن كان الإمام هو السلطان نفسه ، أو هو أي أحد من الجهمية غير السلطان ، وهذا التفريق قد ورد في بعض كلام السلف ننقله هنا لزيادة بيان : فيقال بداية إن بطلان الصلاة خلف الجهمية ثبت بالإجماع وقد حكاه غير واحد كقتيبة بن سعيد والكرماني والرازيين وغيرهم ، فلا ينبغي أن نضطر لنقل كلامهم فهو يطول ، ولهذا سنخص الكلام عن قضية الصلاة خلف السلطان الجهمي أو ما يتعلق بالصلوات الخمس وراء الجهمية ، والمشركين أو من وقع في بدعة

مكفرة ، وأبيّن نصوص كلام السلف الخاصة دون كلام الخلف ، وسوف لن أتعرض لقضية الصلاة خلف أهل البدع ، فأغلب أهل السنة ما عندهم مشكلة في هذه المسألة لوضوحها ، ولكن ما يشكل كثيرا وهو حقيقة مشكل ، ويحتاج لجمع الآثار عن السلف والنظر فيها : هي قضية الصلاة خلف الجهمية ؟ وهل نترك الصلاة خلفهم مطلقا ، ونصلي في البيت ؟ أم تصلي وراءهم وتعيد ؟ أم فيها تفصيل ، وهذا موضوعنا فنقول وبالله التوفيق :

١ - جاء في الإبانة (١٨٦٢) والسير (٨/ ٦٨) عن مالك وسئل عن الصلاة خلف أهل البدع القدرية وغيرهم فقال : لا أرى أن يصلى خلفهم قيل : فالجمعة ؟ قال : إن الجمعة فريضة وقد يذكر عن الرجل الشيء وليس هو عليه فقيل له : أرأيت **إن استيقنت** ، أو بلغني **من أثق به** ، أليس لا أصلي الجمعة خلفه ؟ قال : إن استيقنت ، كأنه يقول : إن لم يستيقن ذلك فهو في سعة من الصلاة خلفه . (**قلت**) أول فائدة من هذا النص أن الشك غير معتبر فلابد من اليقين ، وأن القرائن لا يعمل بها للحكم على الإمام ، فلم نؤمر أن نشق عن القلوب ، ومثل قول مالك في وجوب التيقن قاله أحمد كما سيأتي ، وثاني فائدة أن الجمعة ينبغي ألا نجعلها محلا للنزاع في الصلاة خلف الأئمة مهما كانوا كما سيأتي .

٢ - وفي المدونة (١٧٦/١) لابن القاسم قال : قُلْتُ : أَفَكَانَ مَالِكٌ يَقُولُ تُجْزِئُنَا الصَّلَاةُ خَلْفَ هَؤُلَاءِ الْوُلَاةِ وَالْجُمُعَةُ خَلْفَهُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : فَإِنْ كَانُوا قَوْمًا خَوَارِجَ غَلَبُوا أَكَانَ مَالِكٌ يَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ خَلْفَهُمْ وَالْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ ؟ قَالَ : كَانَ مَالِكٌ يَقُولُ : إذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِمَامَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَلَا تُصَلِّ خَلْفَهُ وَلَا يُصَلَّى خَلْفَ أَحَدٍ مَنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ .... ثم قَالَ : وَسَأَلْتُ مَالِكًا عَنْ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْإِمَامِ الْقَدَرِيِّ ؟ قَالَ : **إنْ اسْتَيْقَنْتَ** أَنَّهُ قَدَرِيٌّ فَلَا تُصَلِّ خَلْفَهُ ، قَالَ : قُلْتُ : **وَلَا الْجُمُعَةَ** ؟ قَالَ : **وَلَا الْجُمُعَةَ** إنْ اسْتَيْقَنْتَ ، قَالَ : وَأَرَى إنْ كُنْتَ تَتَّقِيهِ وَتَخَافُهُ عَلَى نَفْسِكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَهُ وَتُعِيدَهَا ظُهْرًا .

(**قلت**) هذا هو النص الذي أشكل على كثير من الموحدين ، وأخذوا منه أن الجمعة أيضا لا تصلي خلف الجهمي فضلا عن باقي الصلوات ، إلا إذا كنت تخاف !! وسيأتي بيان مقصود مالك .

٣ - ذكر أبو داود في مسائله (ص ٤٣) عن الإمام أحمد أنه سأله عن حكم صلاة الجمعة أيام كان يصلي الجمع خلف الجهمية فقال :- أنا أعيد ، ومتى ما صليت خلف أحد ممن يقول القرآن مخلوق فأعد .

(**قلت**) فهذا واضح أن الجمعة تصلي خلف الجهمي .

٤ - وروى اللالكائي في السنة (٢٠) عن أبي طَالُوتَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قُلْتُ : مَنْ صَلَّى خَلْفَ جَهْمِيٍّ سَنَةً يُعِيدُ الصَّلَاةَ ؟ قَالَ : **نَعَمْ يُعِيدُ** سَنَةً سَنَةً وَسَنَتَيْنِ كُلَّمَا صَلَّى خَلْفَهُ يُعِيدُ وَقَالَ أَيْضًا : لَا يُصَلَّى خَلْفَ الْجَهْمِيِّ ، **إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْجُمُعَةُ** ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ خَلْفَهُ فَأَعِدِ الصَّلَاةَ. (**قلت**) وفي هذا فائدة : الجمعة لا نقاش في أنك تصليها خلفهم .

٥ - وروى ابن شاهين في السنة (٢٠) عن أحمد قال : لَا يُصَلَّى خَلْفَ الْجَهْمِيِّ ، **إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْجُمُعَةُ** ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ خَلْفَهُ فَأَعِدِ الصَّلَاةَ »

٦ - وجاء في المدونة الكبرى (٨٤/١) أن الإمام مالك سئل عن الصلاة خلف الإمام القدري فقال للسائل : إن استفتيت فلا تصل خلفه ، فقال السائل ولا الجمعة ؟ قال : ولا الجمعة ، وأرى إن كنت تتقيه ، **وتخافه على نفسك** أن تصلي معه وتعيدها ظهراً . (**قلت**) وقد روي عن أحمد نحو هذا ففي **كتاب الشرح الكبير لابن قدامة (٢٤/٢)** قال أحمد في رواية أبي الحارث لا تصلي خلف مرجي ولا رافضي ولا فاسق **إلا أن يخافهم** فيصلي ثم يعيد .

(**قلت**) فهل معنى هذا أنه لا يصلي في المسجد أبدا ويصلي في البيت ، أم معناه يغير المسجد وينظر آخر ؟؟ إلى حدِّ الآن لا يستطيع أحد أن يجزم بأنهم يقصدون يصلي في البيت ويهجر المساجد .

٧ ـ وفي مسائل حرب (١١٢٢) عن بَقيَّة قال : سألت الزبيدي : هل يُصَلَّى خَلفَ صاحِب بِدعَة، أو مُكَذِّبٍ بِالقَدَر ؟ فقال : « **إن كان واليًا** فلَيسَ لَك من الأمر شَيء ، **وأنت في عُذر** ، وإن لم يكن واليًا فلا تصلي خَلفَه »

(قلت) فالظاهر من الخشية التي ذكروها إنما هي خوف الولاة ، والخوف يكون عادة من غيابك عن الجمعة لأنه مساجدهم عادة للجمعة واحدة ، والغائب يكون واضح ، ويكون ضيع شعيرة كبيرة من شعائر الإسلام الظاهرة ، بخلاف الصلوات الخمس قد يقال إنه يصلي حيث يعمل ، أو نحو هذه الأعذار ، فلا يكون سبب غيابه واضح .

٨ ـ وسئل الإمام أبو إسحاق السبيعي : ما ترى في الصلاة خلف من يسب أبا بكر وعمر ؟ قال : **ألست تجد غيرهم ؟** قلت : بلى ، قال : لا تصلي خلفهم . [شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٨/ ١٥٤٥]

(قلت) إذن بدأ الأمر يتضح في أنهم يقصدون أنك تترك الصلاة خلفهم وتبحث عن غيرهم لا أن تجلس في البيت ، كما يفهم من ظاهر فتاويهم ، **إذا لم تقارنها ببعضها** .

٩ ـ وفي شرح أصول الاعتقاد للالكائي (١/١٧٠) : قال الثوري رحمه الله لشعيب بن حرب : يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة ، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل ، قال شعيب فقلت لسفيان :يا أبا عبد الله **الصلاة كلها** ؟ قال: **لا ولكن صلاة الجمعة والعيدين** ، صل **خلف من أدركت** ، وأما سائر ذلك ، فأنت مخير لا تصل **إلا خلف من تثق به** ، وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة) .

(قلت) يشير إليه بأن بحث عن السنِّي ، ولم يقل أن مخير أن تجلس بالبيت أو تصلي خلفهم .

١٠ ـ وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة (١/٢٨٤) : وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ قَالَ : سَأَلْتُ حَارِثَ بْنَ مِسْكِينٍ هَلْ نَدَعُ اَلصَّلَاةَ خَلْفَ أَهْلِ اَلْبِدَعِ ؟ فَقَالَ : **أَمَّا اَلْجُمُعَةُ خاصَّةً فَلَا** ، وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنْ **اَلصَّلَاةِ فَنَعَمْ** ، قَالَ اِبْنُ وَضَّاحٍ وَسَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ عَنْ تَفْسِيرِ حَدِيثِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ قَالَ: **اَلْجُمُعَةُ خَاصَّةً** ، قُلْتُ: وَإِنْ كَانَ اَلْإِمَامُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ ؟ قَالَ نَعَمْ ، وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ لِأَنَّ اَلْجُمُعَةَ **فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَيْسَ تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ**) .

(قلت) فاتضح من هذا النص أن الجمعة في زمنهم محصورة ومضيقة لا كما هو الحال في زمننا ، حيث تعددت المساجد كثيرا ، والجمعات في كل مكان بحيث يمكنك التخيير ، وأيضا أئمتهم عادة السلاطين ، وهذا يؤدي للخوف في التغيير .

١١ ـ في مسائل الكوسج (٥١١) قلت : هل من إمام يترك الجمعة معه ؟ قال : لا **لا يترك الجمعة لشيء** ، قال إسحاق :كما قال ، إلا أن يجاوز الوقت. [وذكرها أبو يعلى إلى رواية ابن منصور في الروايتين والوجهين (١/١٨٥)]

وقال ابن قدامة : (فأما الجمع والأعياد ، فإنها تصلى خلف كل بر وفاجر ، **وقد كان أحمد يشهدها مع المعتزلة**) وقال : تجب الجمعة والسعي إليها سواء كان من يقيمها سنياً أو مبتدعاً ، عدلاً أو فاسقاً نص عليه أحمد ، وروى عن العباس بن عبد العظيم : أنه سال أبا عبد الله عن الصلاة خلفهم– يعني المعتزلة– يوم الجمعة ؟ قال : **أما الجمعة فينبغي شهودها** ، فإن كان الذي يصلي منهم أعاد، وإن كان **لا يدري أنه منهم** فلا يعيد قلت : فإن كان يقال : أنه قد قال بقولهم قال : **حتى يستيقن.** ولا أعلم في هذا بين أهل العلم خلافاً) [المغني ٢/١٨٩، ٣٠١]

وقال بعض الحنابلة : والصحيح من المذهب : (أن الفاسق في الاعتقاد أو الأعمال يصلى خلفه الجمعة ، وعليه جماهير الأصحاب ، وقال كثير منهم : يصلى خلفه صلاة الجمعة رواية واحدة لكن بشرط عدم **جمعة أخرى خلف عدل** ، وروي عن أحمد : أنه لا يصلى خلفه الجمعة) [انظر: المبدع (٢/٦٦) الإنصاف (٢/٢٥٤) مطالب أولي النهى (١/٦٥٢)]

١٢ ـ ذكر حرب في مسائله (١١٢١) وابن رجب في الفتح (١٨٩/٦) قَالَ مسرور بن مُحَمَّد : قَالَ الأوزاعي : لا تصل خلف قدري ، **إلا أن تضطر** . **(قلت)** لا يتصور حالة الإضطرار إلا في أنك لا تجد إماما آخر بديلا يكون سنيا تصلي خلفه .

١٣ ـ وقال الميموني : سمعت أحمد قال: إذا كان الإمام من أئمة الأحياء يسكر ، فلا أحب أن أصلِّي خلفه البتة **لأنَّ لي اختيار الأئمة** ، وليس هو **والي المسلمين** ، لأن ابن عمر سئل عن الصلاة خلف الأمراء فقال : إنما هي حسنة لا أبالي من شركني فيها ، وقال: والصلاة **خلف الولاة لابد** ، والصلاة خلف أئمة الأحياء **لنا أن نختار** . [بدائع الفوائد (٤/ ٥٦) وفتح الباري لابن رجب (٦/ ١٩٢)] **(قلت)** وهذا نص آخر في أنهم يتكلمون في حالة ما إذا وجد البديل لمن ترك الصلاة خلفه .

١٤ ـ جاء في مسائج الكوسج [٥٠٣] قلت لإسحاق : قوله : الصلاة خلف كل بر وفاجر ما يعني به ؟ قال معناه : إن ملك الناس **بخلافة عليهم** ، **أو ولاية** فلا يتخلفن عن الجماعة **أحد بحال** جور ، **ما يبلغ ذلك كفراً عياناً** ، أو يؤخر الصلاة عن الوقت ، وإذا ائتم به إذا بلغ ما فيه الكفر فكأنك لم تصل معه .

فالخلاصة : أن تفريق السلف بين الجمعة وبين باقي الصلوات واضح في كلامهم ، بل وتفريقهم بين ما إذا كان إمام صلاة الجمعة هو السلطان أو غيره ، بل وهناك فرق ثالث ، هو ما إذا كنت تخاف من السلطان أم لا ، وكل هذا أشار إليه المؤلف لكن هم يتكلمون في ظاهر الكلام في حالة ما إذا **وجد بديلا مسلما سنيا** يصلي خلفه ، وينبهون أنه في حالة الإضطرار أي انعدام البديل ، أن يصلي ويعيد ، وورد هذا التنبيه عن بعضهم فمثلا :

١٥ ـ في سؤالات ابن الجنيد لابن معين (٧٨٣) قلت : فما تقول في الصلاة خلف القدرية والجهمية ؟ قال : « إن كان له **موضع غير ذلك المسجد** فلا يصلي خلفه » قلت : فإن صلى ؟ قال : « إن صلى وهو يعلم فليعد الصلاة »

(قلت) فهذا نص صريح آخر يوضح المقصود من الذي ذكرته آنفا .

١٦ ـ قال البربهاري : ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد **من غير عذر فهو مبتدع** ، والعذر **كمرض لا طاقة له** بالخروج إلى المسجد أو **خوف من سلطان ظالم** ، وما **سوى ذلك** فلا عذر له)

(قلت) فلم يذكر عذرا آخرا غير ما ذكره ، فنفهم من أن قوله في الموضع الآخر من كتابه شرح السنة حين قال بفقرة (١١٤) : والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت إلا أن يكون جهميا ، فإنه معطل وإن صليت خلفه فأعد صلاتك ، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهميا ، وهو سلطان فصل خلفه وأعد صلاتك وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصل خلفه ولا تعد صلاتك) اهـ **(قلت)** لا يقصد أنك تجلس في البيت ، بل تبحث عن بديل أو تصلي وتعيد .

١٧ ـ ويشبه ما سبق وما رواه الزُّبَيْدِيُّ عن الزُّهْرِيُّ قال : لَا نَرَى أَنْ يُصَلَّى خَلْفَ الْمُخَنَّثِ إِلَّا مِنْ **ضَرُورَةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا** .

١٨ ـ وقال البخاري رحمه الله في خلق أفعال العباد (رقم ٥٣) : ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى ، ولا يسلم عليهم ولا يعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم .

(قلت) فهذا ظاهره أن يصلي خلفهم مطلقا ويعيد .

١٩ ـ روى عبد الله (٤٢) والكرماني في السنة (٢٩١) والخلال (١٩٤١ و١٩٧١) والإبانة الكبرى (٢٣٤٥) من طريق فِطْرُ بْنُ حَمَّادِ بْنِ أَبِي عُمَرَ الصَّفَّارُ قَالَ: سَأَلْتُ مُعْتَمِرَ بْنَ سُلَيْمَانَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ: إِمَامٌ لِقَوْمٍ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ أُصَلِّي خَلْفَهُ ؟ فَقَالَ: «يَنْبَغِي أَنْ تَضْرِبَ عُنُقَهُ » قَالَ فِطْرٌ : وَسَأَلْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ فَقُلْتُ : يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ لَنَا إِمَامٌ يَقُولُ : الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ أُصَلِّي خَلْفَهُ ؟ قَالَ: « صَلِّ **خَلْفَ مُسْلِمٍ أَحَبُّ إِلَيَّ** » **(قلت)** فأمره أن يبحث عن مسلم .

إشكالات : الجمعة وصلاتها خلف السلطان أو من ينيبه لا إشكال فيها ، وأخف منها الصلاة خلف جهمي ليس بسلطان خلفه الجمعة ، لكن الإشكال الأكبر في الصلاة خلف الجهمي - وهو ليس بسلطان - الصلوات الخمس غير الجمعة !! فالظاهر أنك تصلي معهم وتعيد لكن يشكل على هذا أن الجهمي واليهودي والنصراني سواء مثل ما قال أبو عبيد والبخاري ، فإن قلنا نصلي خلف الجهمي الصلوات الخمس مع عدم وجود البديل ، فكذلك يقال في الصلاة خلف الكافر المرتد أو الكتابي إن حصل ذلك مع فقدان البديل !! وقد يقال أيضا أنه لا يخفى أن إعادة الصلاة كل يوم مرتين فيه من المشقة ما لا يخفى ، وقد جربناها في بعض البلدان التي يكثر فيها الشرك ، لما افتقدنا إماما مسلما في حي لا يوجد فيه إلا جامع واحد ، فوجدنا مشقة كبيرة في إعادة كل صلاة مرتين ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) **وقال مرة** : (لأمرتهم بالوضوء مع كل صلاة) فإذا كانت هذه تشق على صغرها ، مع أنها قيلت في زمن الزهد والتعبد والصحابة ، فكيف بإعادة الصلاة مرتين كل يوم ، مع ضعف التعبُّد في هذا الزمن ؟؟

فالجواب عن هذا أن يقال :

أولا : من قوي أن يصلي ويعيد فهو أحوط في مثل هذه المسألة الكبيرة ، ولعل الله ييسر له ذلك .

ثانيا : يحاول أن يجد البديل القريب من البيت ، ولا يجلس في بيته ، إن تعذر فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

٢٠ - في مسائل أبي داود (**٣٠١**) **وابن قدامة في المغني** (**١٣٨/٢**) عن الإمام أحمد سَأَلَهُ رَجُلٌ قَالَ : رَأَيْت رَجُلًا سَكْرَانَ أُصَلِّي خَلْفَهُ ؟ قَالَ لَا قَالَ : فَأُصَلِّي وَحْدِي ؟ قَالَ أَيْنَ أَنْتَ ؟ فِي الْبَادِيَةِ ؟ الْمَسَاجِدُ كَثِيرَةٌ ؟ قَالَ : أَنَا فِي حَانُوتِي قَالَ : **تَخَطَّاهُ إلَى غَيْرِهِ مِنْ الْمَسَاجِدِ**) اهـ

(**قلت**) يؤكد هذا أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - كان يترك الصلاة خلف عمه لما أخذ العطية من السلطان وذهب يصلي خلف غيره ، وعمه كان سنياً لكن أبا عبد الله كان يرى صنيعه هذا غير مقبول ، فمع تأوله فقد هجر الصلاة خلفه ! ولا شك أنه وفي هذه الحالة كان يجد إماماً سنياً هو أحسن حالاً من عمه السنيّ ، وإلا لما كان ليترك الصلاة خلف سنيٍ تأول في شيء من الأمور التي قد يدخلها الاجتهاد ليصلي خلف جهمي أو مبتدع ، أو ليجلس في بيته !!

وقد قال عبد الله –رحمه الله– في السنّة : سمعت أبي رحمه الله ، يقول : من قال ذلك القول لا يصلى خلفه الجمعة **ولا غيرها** : إلا أنا لا **ندع إتيانها** ، فإن صلى رجل أعاد الصلاة ، يعني خلف من قال : القرآن مخلوق]

(**قلت**) تأمل في قوله (**ولا غيرها**) ليظهر وجه الإيراد لهذه الرواية .

ثالثا : يمكنه العمل برخصة ذكرها الإمام أحمد ، **قال الأثرم** : قلت لأبي عبد اللَّه : الرجل يكون في المسجد ، فتقام الصلاة ويكون الرجل الذي يصلي بهم لا يرى الصلاة خلفه، ويكره الخروج من المسجد بعد النداء؛ لقول النبي –صلى اللَّه عليه وسلم– كيف يصنع ؟ قال: إن خرج **كان في ذلك شنعة** ، ولكن يصلي معه ، ويعيد ، **وإن شاء أن يصلي بصلاته** ، **ويكون يصلي لنفسه** ، ثم يكبر ويركع لنفسه ويسجد لنفسه ، ولا يبالي أن يكون سجوده مع سجوده ، وتكبيره مع تكبيره ، قلت : فإن فعل هذا صلى لنفسه ، أيعيد ؟ **قال** : **نعم** ، قلت : فكيف يعيد وقد جاء أن الصلاة هي الأولى، وحديث النبي –صلى اللَّه عليه وسلم–: "اجعلوا صلاتكم معهم سبحة" ؟ قال : إنما ذاك صلى وحده فنوى الفرض ، أما إذا صلى معه وهو ينوي أن لا يعتد بها ، فليس هذا مثل هذا. [المغني (٢٥/٣ – ٢٦)]

مسألة : هل بمجرد من يأمره سلطان الجهمية أو وزيره ونحو هذا يأخذ حكمه في بطلان الصلاة خلفه ؟

٢١ - روى عبد الله (٧٥) عن أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمَ بْنَ سَلَّام قال : « لَوْ أَنَّ خَمْسِينَ يَؤُمُّونَ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَا يَقُولُونَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ يَأْمُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْإِمَامَةِ ، إِلَّا أَنَّ الرَّأْسَ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ يَقُولُ هَذَا رَأَيْتُ الْإِعَادَةَ لِأَنَّ الْجُمُعَةَ إِنَّمَا تَثْبُتُ بِالرَّأْسِ، فَأَخْبَرْتُ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِ أَبِي عُبَيْدٍ فَقَالَ: « **هَذَا يُضَيِّقُ عَلَى النَّاسِ !!** إِذَا كَانَ الَّذِي **يُصَلِّي بِنَا لَا يَقُولُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا** ، صَلَّيْتُ خَلْفَهُ فَإِذَا كَانَ الَّذِي يُصَلِّي بِنَا يَقُولُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَعَدْتُ الصَّلَاةَ خَلْفَهُ » **(قلت)** فأعمل أبو عبد الله الظاهر هنا .

وقَالَ الْأَثْرَمُ : قُلْت لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : الرَّافِضَةُ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا تَعْرِفُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، آمُرُهُ أَنْ يُعِيدَ ، قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : وَهَكَذَا أَهْلُ الْبِدَعِ كُلُّهُمْ ؟ قَالَ : لَا إِنَّ **مِنْهُمْ مَنْ يَسْكُتُ** ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِفُ وَلَا يَتَكَلَّمُ .

(قلت) فالمعلن بقوله أمره ظاهر ، فلا عذر حينئذٍ في الصلاة خلفه لمن يتساهل ويفرط في هذا ، بخلاف من لا يعلن ببدعته فإن مثل هذا لا يعلم اعتقاده في الظاهر كالأول .

مسألة ٢ : حكم من صلى خلف جهمي وهو لا يعلم حاله ثم بعد مدة علم به هل يعيد :

قال الخلال : أخبرني حنبل بن إسحاق بن حنبل ، أنه سمع أبا عبد اللّه قيل له: فمن قال: لفظي بالقرآن مخلوق يكلم قال: وأي شيء بقي؟ ! هذا لا يكلم، ولا يصلى خلف من قال: القرآن مخلوق، ولا خلف من يقف ، ولا خلف من قال: لفظي بالقرآن مخلوق ، وإن صلى خلف رجل منهم وهو لا يعلم ثم علم أعاد الصلاة.

وروى اللالكائي في السنة (٢٠) وابن شاهين في السنة (٢٠) عن أَبِي طَالُوتَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قُلْتُ : مَنْ صَلَّى خَلْفَ جَهْمِيٍّ سَنَةً يُعِيدُ الصَّلَاةَ ؟ قَالَ : **نَعَمْ يُعِيدُ سَنَةً سَنَةً وَسَنَتَيْنِ كُلَّمَا صَلَّى خَلْفَهُ يُعِيدُ** وَقَالَ أَيْضًا : لَا يُصَلَّى خَلْفَ الْجَهْمِيِّ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْجُمُعَةُ ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الْجُمُعَةَ خَلْفَهُ فَأَعِدِ الصَّلَاةَ .

وأخرج الآجري في الشريعة عن معاذ بن معاذ –رحمه الله تعالى– أنه قال : صليت أنا وعمر بن الهيثم الرقاشي ، خلف الربيع بن برة ، فأخبرني عمر بن الهيثم أنه حضرته الصلاة مرة أخرى ، فصلى خلفه قال فقعدت أدعو فقال : لعلك ممن يقول : اللهم اعصمني ؟ قال معاذ بن معاذ : فأعدت تلك الصلاة بعد عشرين سنة)

قال الآجريّ : وكان الربيع بن برة هذا قدريا ، وكان من المتعبدين عندهم .

وهناك قول آخر : أنه ليس عليه إعادة : قال به أبو ثور والمزني .

قال ابن المنذر : وَاخْتَلَفُوا فِي رَجُلٍ كَافِرٍ أَمَّ قَوْمًا مُسْلِمِينَ وَلَمْ يَعْلَمُوا بِكُفْرِهِ حَتَّى صَلُّوا ثُمَّ عَلِمُوا بِهِ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : عَلَيْهِمُ الْإِعَادَةُ ، حُكِيَ هَذَا الْقَوْلُ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ ...وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : لَا إِعَادَةَ عَلَى مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ ، هَذَا قَوْلُ أَبِي ثَوْرٍ وَالْمُزَنِيِّ) اهـ [أنظر الأوسط (٤/ ١٨٢) : باب ذكر الصلاة خلف الكافر والمأموم لا يعلم]

الخلاصة : أن الأقرب والأظهر ألا يدع الموحد المسجد ، لا جمعة ولا جماعة ، خاصة مع وجوب صلاة الجماعة والتشديد الوارد فيها ، بل بعض أهل العلم روي عنه أنها شرط صحة للصلاة ، ثم إننا لم نقف على رواية عن أحد من السلف كان يصلي في بيته مطلقا ، إلا ما روي عن مالك أنه ترك الصلاة في المسجد النبوي عشرين سنة ، فلما سأل قال لأجل سلس بول أصابه واستحى أن يصلي به في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي نفس الوقت لا يمكن تضليل أو تفسيق من ترك باقي الصلوات دون الجمعة خلف المشركين والجهمية ، لخفاء هذه المسألة ، ولمشقتها الشديدة اليوم ، ولكثرة الإشكالات والخلاف الواردة فيها ، هذا والله أعلم بالصواب ، وهو الموفق والهادي إلى سواء سبيل .

[١١٥] والإيمان بأن أبا بكر وعمر [رحمة الله عليهما]في حجرة عائشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دفنا هنالك معه ، فإذا أتيت القبر فالتسليم عليهما واجب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

---

(١) وهذا الكلام أخذه مما قال الإمام أحمد في رواية مسدد : (**وأن القبر الذى في المدينة قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب الافاروق رضي الله عنهما**) اهـ [طبقات الحنابلة (٢/٤٢٦)]

(قلت) وكأن هناك بعض الناس ينكر ذلك ، ولعلهم الروافض من شدة بغضهم للشيخين أنكروا أن يكونا دفنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إني وجدت الآجري يذكر أن هناك من أنكر ذلك من الرافضة ، فصدق ظني ، بل وجدت كلاما لبعض روافض اليوم يشكك في مكان دفنهما !! فما رأينا أغبى منهم في الدهر ، فعليهم لعنة الله تترى واحدة تلو أخرى ، ومما تعيبه الروافض ممن لم يستطع منهم إنكار مكان دفنهما في حجرة عائشة أن قالوا : أنه كان اغتصابا ، وكان بغير إذن !! وكلها حماقات لا داعي للرد عليها ، وقد بوب الآجري لهذا الأمر في كتابه الشريعة فقال [**بَابُ ذِكْرِ دَفْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**] ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمْ يَخْتَلِفْ جَمِيعُ مَنْ شَمِلَهُ الْإِسْلَامُ ، وَأَذَاقَهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ طَعْمَ الْإِيمَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دُفِنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَيْسَ هَذَا مِمَّا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَخْبَارِ وَالْأَسَانِيدِ الْمَرْوِيَّةِ: فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ ، بَلْ هَذَا مِنَ الْأَمْرِ الْعَامِ الْمَشْهُورِ الَّذِي لَا يُنْكِرُهُ عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ بِالْعِلْمِ ، بَلْ يَسْتَغْنِي بِشُهْرَةِ دَفْنِهِمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقْلِ الْأَخْبَارِ: وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ: أَنَّهُ مَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا مِمَّنْ رَسَمَ لِنَفْسِهِ كِتَابًا نَسَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَسَمَ كِتَابَ الْمَنَاسِكِ ، إِلَّا وَهُوَ يَأْمُرُ كُلَّ مَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِمَّنْ يُرِيدُ حَجًّا أَوْ عُمْرَةً أَوْ لَا يُرِيدُ حَجًّا وَلَا عُمْرَةً ، وَأَرَادَ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُقَامَ بِالْمَدِينَةِ لِفَضْلِهَا إِلَّا وَكُلَّ الْعُلَمَاءِ قَدْ أَمَرُوهُ وَرَسَمُوهُ فِي كُتُبِهِمْ وَعَلَّمُوهُ كَيْفَ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَيْفَ يُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عُلَمَاءُ الْحِجَازِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَعُلَمَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَعُلَمَاءُ أَهْلِ الشَّامِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَعُلَمَاءُ أَهْلِ مِصْرَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَعُلَمَاءُ خُرَاسَانَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَعُلَمَاءُ أَهْلِ الْيَمَنِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ. فَصَارَ دَفْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَذَلِكَ هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ جَمِيعِ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَخَذُوهُ نَقْلًا وَتَصْدِيقًا وَمَعْرِفَةً ، لَا يَتَنَاكَرُونَهُ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا يُمْكِنُ أَنَّ قَائِلًا يَقُولُ: إِنَّ خَلِيفَةً مِنْ خُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ قَدِيمًا وَلَا حَدِيثًا أَنْكَرَ دَفْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَخِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَخِلَافَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، لَا يتناكرُ ذَلِكَ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ وَكَذَلِكَ خِلَافَةُ وَلَدِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَتَنَاكَرُونَهُ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا وَإِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيُدْفَنَ مَعَهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

ثم برقم (١٨٤٨) عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : الْأَقْبُرُ الثَّلَاثَةُ : قَبْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَبْرُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَبْرٌ رَابِعٌ يُدْفَنُ فِيهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وروى (١٨٤٩) عن يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ نَضْلَةَ الْكَعْبِيُّ قَالَ : قَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ : كَيْفَ كَانَتْ مَنْزِلَةُ أَبِي بَكْرٍ

وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ . فَقَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَقُرْبِ قَبْرَيْهِمَا مِنْ قَبْرِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. فَقَالَ: شَفَيْتَنِي يَا مَالِكُ ، شَفَيْتَنِي يَا مَالِكُ) . **وعلق الآجري** على هذا الأثر فقال : فَلَا الرَّشِيدُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْكَرَ هَذَا مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ ، بَلْ تَلَقَّاهُ مِنْ مَالِكٍ بِالتَّصْدِيقِ وَالسُّرُورِ ، وَمَالِكٌ فَقِيهُ الْحِجَازِ أَخْبَرَ الرَّشِيدَ عَنْ دَفْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا لَا يُنْكِرُهُ أَحَدٌ ، لَا شريفٌ وَلَا غَيْرُهُ. فَلِلَّهِ الْحَمْدُ). **ثم ذكر الآجري شبهة** من أنكر دفن أبي بكر وعمر في حجرة عائشة وقال ردا عليهم : فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا إِذَا نَظَرُوا إِلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ وَيُكَلِّمُونَهُ بِمَا يَكْرَهُ فَلِمَ صَارَ هَذَا هَكَذَا ، وَعَنْ مَنْ أَخَذُوا هَذَا ؟ قِيلَ لَهُ : لَيْسَ الَّذِي يَفْعَلُ هَذَا مِمَّنْ لَهُ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ ، هَؤُلَاءِ نَشَأُوا مَعَ طَبَقَةٍ غَيْرِ مَحْمُودَةٍ يَسُبُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَلَيْسَ يُعَوَّلُ عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ فِيهِمْ أَقْوَامًا مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ يُعِينُونَهُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْقَبِيحِ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؟ قِيلَ لَهُ : مُعَاذَ اللَّهِ قَدْ أَجَلَّ اللَّهُ الْكَرِيمُ أَهْلَ الشَّرَفِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذُرِّيَّتِهِ الطَّيِّبَةِ مِنْ أَنْ يُنْكِرُوا دَفْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، هُمْ أَزْكَى وَأَطْهَرُ وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِفَضْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَبِصِحَّةِ دَفْنِهِمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْحَلَ هَذَا الْخُلُقَ الْقَبِيحَ إِلَيْهِمْ ، هُمْ عِنْدَنَا أَعْلَى قَدْرًا وَأَصْوَبَ رَأْيًا مِمَّا يُنْحَلُ إِلَيْهِمْ فَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ مِثْلَمَا تَقُولُ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَمِعَ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَقَعُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَيَذْكُرُهُمَا بِمَا لَا يُحْسِنُ ، فَظَنَّ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا قَالَ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ الْكَرِيمُ بِالشَّرَفِ بِقَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِيَ بِالْعِلْمِ ، فَعَلِمَ مَا لَهُ مِمَّا عَلَيْهِ ، إِنَّمَا يُعَوَّلُ فِي هَذَا عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْهُمْ ، وَالَّذِي عِنْدَنَا أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ الَّذِينَ عُنُوا بِالْعِلْمِ يُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ دَفْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَيَرْوُونَ فِي ذَلِكَ الْأَخْبَارَ وَلَا يَرْضَوْنَ بِمَا يُنْكِرُهُ مَنْ جَهِلَ الْعِلْمَ وَجَهِلَ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِيشْ الدَّلِيلُ عَلَى مَا تَقُولُ؟ . قُلْتُ: هَذَا طَاهِرُ بْنُ يَحْيَى يَرْوِي عَنْ أَبِيهِ يَحْيَى بْنِ حُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، يَرْوِي عَنْهُ كِتَابًا أَلَّفَهُ فِي فَضْلِ الْمَدِينَةِ وَشَرَفِهَا ، ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ فِي بَابِ دَفْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَوَصَفَ فِي الْكِتَابِ كَيْفَ دَفْنُهُمَا مَعَهُ ، وَصَوَّرَهُ فِي الْكِتَابِ ، صَوَّرَ الْبَيْتَ وَالْأَقْبُرَ الثَّلَاثَةَ. وَرَوَاهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ: قَبْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُقَدَّمُ وَقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ رِجْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَبْرُ عُمَرَ عِنْدَ رِجْلِ أَبِي بَكْرٍ ، فَصَوَّرَهُ يَحْيَى بْنُ حُسَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَسَمِعَهُ مِنْهُ النَّاسُ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، وَقَرَأَهُ طَاهِرُ بْنُ يَحْيَى كَمَا سَمِعَهُ مِنْ أَبِيهِ ، وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ إِدْرِيسَ الْقَزْوِينِيَّ ، إِمَامًا مِنْ أَئِمَّةِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَأَحَدَ الْمُؤَذِّنِينَ فَحَدَّثَنِي بِهَذَا وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ الْكِتَابَ مَعَهُ مُجَلَّدًا كَبِيرًا شَبِيهًا بِمِائَةِ وَرَقَةٍ ، سَمِعَهُ مِنْ طَاهِرِ بْنِ يَحْيَى فِيهِ فَضْلُ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الْكِتَابِ بَابُ صِفَةِ دَفْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصِفَةُ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَسَأَلْتُهُ فَحَدَّثَنِي قَالَ: حَدَّثَنَا طَاهِرُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي: يَحْيَى بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ: هَذِهِ صِفَةُ الْقُبُورِ فِي صِفَةِ بَعْضِ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ وَهُوَ مَخْطُوطٌ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلَّفَهُ طَاهِرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَى هَذَا النَّعْتِ فِي الْكِتَابِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهَذَا طَاهِرُ بْنُ يَحْيَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ سَلَفِهِ وَعَنْ ذُرِّيَّتِهِ يَرْوُونَ مِثْلَ هَذَا وَيَرْسُمُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ ، وَلَا يُنْكِرُونَ شَرَفَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَنَحْنُ نَقْبَلُ مِنْ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ الْمُبَارَكَةِ جَمِيعَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَهَلْ يَرْوِي أَكْثَرَ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

[١١٦] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا من خفت سيفه أو عصاه (١)

= وَوَلَدُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، يَأْخُذُهُ الْأَبْنَاءُ عَنِ الْآبَاءِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا ، وَنَحْنُ نُجِلُّ أَهْلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ يُنْحَلَ إِلَيْهِمْ مَكْرُوهٌ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَوْ تَكْذِيبٌ لِدَفْنِهِمَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اهـ

(قلت) وقول المؤلف (**أن التسليم عليهما واجب**) الأقرب أن السلام عليهما سنة وليس بواجب ، وقد تحرج بعض الناس من إلقاء السلام عليهما بورع مظلم فأنكر عليه الإمام مالك كما روى الآجري (١٨٥٢) عن سَوَّارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنِّي أُجِلُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُسَلِّمَ عَلَى أَحَدٍ مَعَهُ !! فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : اجْلِسْ ، فَجَلَسَ فَقَالَ : تَشَهَّدْ ، فَتَشَهَّدَ حَتَّى قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَقَالَ مَالِكٌ : هُمَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(١) منزلة هذه العبادة جليلة عند الله كما في قوله تعالى : **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** "[آل عمران ١١٠] وأثنى الله تبارك وتعالى على أمة منهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال سبحانه : **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** ." [آل عمران ١١٣-١١٥] وأدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة في النصوص والآثار ، لا يمكن حصرها هنا وقد جمعت في أجزاء كما فعل ابن أبي الدنيا والخلال والمقدسي وغيرهم ، لكن نذكر بعضا منها هنا :

فمن القرآن : قال الله عزّ وجلّ :{ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** }. [المائدة ٧٨-٧٩]

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ : قَرَأَ أَبُو بَكْرٍ هَذِهِ الْآيَةَ {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**} ثُمَّ قَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَضَعُونَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، أَلَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « **إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، وَالْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ** » [سنده صحيح وذكره في الدر المنثور (٣/ ٢١٥) وعزاه لابن أبي شيبة والإمام أحمد وعبد بن حميد والعدني وابن منيع والحميدي في مسانيدهم ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبي يعلى والكجّي في سننه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والدارقطني في الأفراد وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان والضياء في المختارة]

وروى أحمد (١١٨٦٩) الطيالسي (٢١٥١) وابن حبان (٢٧٨) ، والبيهقي (١٠/٩٠) وفي الشعب (٧٥٧٢) بسند جيد عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ** ، قَالَ فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَمَا زَالَ بِنَا الْبَلَاءُ حَتَّى قَصَّرْنَا وَإِنَّا لَنَبْلُغُ فِي الشَّرِّ ."

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « **مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِيَدِهِ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِلِسَانِهِ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَاكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** » [رواه أحمد (١١١٥٠) والترمذي (٢١٧٢) والطيالسي (٢١٩٦) والنسائي (٥٠٠٨) والبيهقي في الشعب (٧٥٥٩) عبد بن حميد (٩٠٦) بسند جيد]

وروى ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (١٧) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَيْسَ مِنَّا أَعْظَمَ مِنْ أُحُدٍ ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَتَقْتَتِلُنَّ فَلَيَظْهَرَنَّ شِرَارُكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَلَيَقْتُلُنَّهُمْ ، حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، ثُمَّ تَدْعُونَ اللَّهَ فَلَا يُجِيبُكُمْ وَيَمْقُتُكُمْ »

وروى ابن أبي الدنيا (٣١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : {**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ**} قَالَ : إِذَا لَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ .

روى ابن أبي الدنيا (٣٩) عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ : الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى »

قول المؤلف (**إلا من خفت سيفه أو عصاه**) أخذه من كلام بعض السلف كوكيع وأحمد وشعيب بن حرب .

فقد روى الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١٥) أَنَّهُ قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : مَتَى يَجِبُ عَلَيَّ الْأَمْرُ ؟ قَالَ : « **إِذَا لَمْ تَخَفْ سَيْفًا وَلَا عَصًى** »

ثم روى عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَحْمَدَ عَمَّنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ مَنْ لَا يُخَافُ سَيْفُهُ وَلَا سَوْطُهُ ؟ قَالَ : « **إِذَا اسْتَطَاعَ فَلْيُغَيِّرْ فَلَا يَسَعُهُ غَيْرُهُ** »

ثم روى عن إِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوَيْهِ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ : الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى الْمُسْلِمِ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَإِنْ خَشِيَ ؟ قَالَ : « هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَخَافَ ، فَإِذَا خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ فَلَا يَفْعَلُ »

ثم روى عن أبي بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : قُلْتُ لِشُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ : فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَالَ « لَوْلَا السَّيْفُ ، وَالسَّوْطُ ، وَأَشْبَاهُ هَذَا لَأَمَرْنَا وَنَهَيْنَا ، **فَإِنْ قَوِيتَ فَأْمُرْ وَانْهِ** »

وروى الخلال عن وَكِيعٌ قال فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ : « **مُرُوا بِهَا مَنْ لَا يُخَافُ سَيْفُهُ وَلَا سَوْطُهُ** »

(**قلت**) لكن في هذا الزمن ، صعب جدا التغيير بالقول فضلا عن اليد ، فلا ينبغي الشدة فيه خاصة أنه روي عن بعض السلف عدم القول بوجوبه كالحسن ، وقد روى الخلال عن جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّسَائِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَجِبُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَى الْإِنْسَانِ ؟ قَالَ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فِي هَذَا الزَّمَانِ أَظُنُّهُ شَدِيدًا ، مَعَ أَنَّ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ تَسْهِيلًا قُلْتُ لَهُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « بِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » قُلْتُ : هَذَا أَشَدُّهَا عَلَيَّ قَالَ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَمَرْتُكُمْ مِنَ الْأَمْرِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » فَسَكَتَ . "

ثم روى عن أحمد أنه قال « نَحْنُ نَرْجُو إِنْ أَنْكَرَ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ ، وَإِنْ أَنْكَرَ بِيَدِهِ فَهُوَ أَفْضَلُ »

وروى الخلال أَنَّ إِسْحَاقَ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ قُلْتُ : مَتَى يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا زَمَانُ نَهْيٍ إِذَا غَيَّرْتَ بِلِسَانِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِكَ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ .. وَقَالَ لِي : لَا تَتَعَرَّضْ لِلسُّلْطَانِ ، فَإِنَّ سَيْفَهُ مَسْلُولٌ ."

وروى الخلال عن صَالِحٌ أَنَّ أَبَاهُ قَالَ: « **التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ لَيْسَ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ** »

(**قلت**) وهذا ما لا تستوعبه أهل البدع والأهواء أبدا !!

وأقول في الأخير : العلم يسبق الإنكار وإلا هلك صاحبه وأفسد أكثر مما يصلح ، فقد سمع ابن مسعود – رضي الله عنه – رجلا يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر ، فقال ابن مسعود : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر . "

[١١٧] والتسليم على عباد الله أجمعين (١) .

[١١٨] ومن ترك [صلاة] الجمعة [والجماعة] في المسجد ، من غير عذر فهو مبتدع والعذر كمرض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد ، أو خوف من سلطان ظالم وما سوى ذلك فلا عذر له (٢).

---

(١) أي المسلمين منهم ممن ينتسبون للسنة من عرفت ومن لا تعرف ، لحديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : أَنْ تُطْعِمَ الطَّعَامَ ، **وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ ، لومنَ مْ تَعْرِفْ** " [رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩)] ونحوه ما رواه البخاري في صحيحه (١/١٥) معلقا بصيغة الجزم عن عَمَّارٌ رضي الله عنه قال : ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ (الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، **وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ** ، وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ) .

وذكر المؤلف مسألة تعميم إلقاء السلام في الإعتقاد لأنه من تمام الإسلام كما في بعض روايات حديث ابن عمرو : **أي الإسلام خير** ؟ **أي أتم وأكمل** ، ولأن من أشراط الساعة أن يكون السلام بالمعرفة كما روي ذلك .

ويستثنى من هذا الكافر والمبتدع والفاسق ، فلا يلقى عليهم السلام باتفاق السلف ، وقد بوب البخاري في الأدب المفرد (**باب لا تسلم على الفاسق**) وبوب (**بَابُ مَنْ تَرَكَ السَّلَامَ عَلَى الْمُتَخَلِّقِ وَأَصْحَابِ الْمَعَاصِي**) وقال في صحيحه [بَابُ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى مَنِ اقْتَرَفَ ذَنْبًا ، وَلَمْ يَرُدَّ سَلاَمَهُ حَتَّى تَتَبَيَّنَ تَوْبَتُهُ ، وَإِلَى مَتَى تَتَبَيَّنُ تَوْبَةُ العَاصِي]

وروى في الأدب المفرد (١٠١٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : **لَا تُسَلِّمُوا عَلَى شُرَّابِ الْخَمْرِ** .

وروى أيضا (١٠١٩) عن أبي زُرَيْقٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَكْرَهُ الْأَسْبِرَنْجَ وَيَقُولُ : (**لَا تُسَلِّمُوا عَلَى مَنْ لَعِبَ بِهَا** ، وَهِيَ مِنَ الْمَيْسِرِ) . (**قلت**) فإذا كان هذا في الفاسق فما بالك بالمبتدع والكافر !! والأحاديث والآثار في النهي والمنع من التسليم على الكفار وأهل البدع والفسق لا تنتهي .

(٢) أي تركهما تدينا كما تفعل الخوارج فهذه بدعة ، أما من تركهما تكاسلا وصلى في بيته فهو فاسق يقع عليه اسم النفاق (وأحلاهما مرٌّ) كما قيل ، وقد أدرجت مسألة ترك الجمعة والعيدين والجماعات من مسائل الإعتقاد بسبب تشويش أهل البدع والخوارج خاصة ، وقد بدع السلف الحسن بن صالح لما ترك الجمعة والجماعة في المساجد ، ومن هنا أخذ البربهاري تبديع من ترك ذلك ، **ففي ترجمته من السير جاء** :

عَنْ خَلاَّدِ بنِ يَزِيْدَ قَالَ: جَاءنِي سُفْيَانُ فَقَالَ: الحَسَنُ بنُ صَالِحٍ مَعَ مَا سَمِعَ مِنَ العِلْمِ وَفَقُهَ يَتْرُكُ الجُمُعَةَ ، ثُمَّ قَامَ ، فَذَهَبَ.

وقال أَبُو سَعِيْدٍ الأَشَجُّ : سَمِعْتُ ابْنَ إِدْرِيْسَ : مَا أَنَا وَابْنُ حَيٍّ ؟ لاَ يَرَى جُمُعَةً وَلاَ جِهَاداً.

وَقَالَ العَلاَءُ بنُ عَمْرٍو الحَنَفِيُّ، عَنْ زَافِرِ بنِ سُلَيْمَانَ : أَرَدْتُ الحَجَّ، فَقَالَ لِيَ الحَسَنُ بنُ صَالِحٍ : إِنْ لَقِيْتَ أَبَا عَبْدِ اللهِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ بِمَكَّةَ، فَأَقْرِهِ مِنِّي السَّلاَمَ وَقُلْ : أَنَا عَلَى الأَمْرِ الأَوَّلِ : فَلَقِيْتُ سُفْيَانَ فِي الطَّوَافِ ، فَقُلْتُ : إِنَّ أَخَاكَ الحَسَنَ بنَ صَالِحٍ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَقُوْلُ : أَنَا عَلَى الأَمْرِ الأَوَّلِ قَالَ : فَمَا بَالُ الجُمُعَةِ ؟

وفي علل عبد الله (٢١٥) قَالَ أحمد : مَا يعجبنا مَذْهَب الْحسن بن صَالح قد كَانَ قعد عَن الْجُمُعَة !!) اهـ

[مسألة] **هل صلاة الجماعة شرط في صحة الصلاة** : قال بعضهم بهذا القول ، وادعوا أنه إحدى الروايتين عن أحمد قواها ابن عقيل الحنبلي وابن تيمية فقد استدلوا بعدة أدلة منها :

احتجوا بآثار عن الصحابة مفادها أن : (**من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر**) وقد صح هذا المعنى عن جمع من الصحابة ، وهذه الآثار بإذن الله تحمل على نفي الكمال ونفي الأجر لا الصحة .

ومثلها ما **روى حرب الكرماني سئل إِسْحَاق عَن قوله** : لا صلاة لجار المسجد إلا فِي المسجد ؟ فَقَالَ : الصحيح أَنَّهُ لا فضل ولا أجر ولا أمن عَلِيهِ ، يعني : أَنَّهُ لا صلاة لَهُ) [الفتح ابن رجب (٥/٤٠٠)]

بل لكن يخالفه أن الصحابة أنفسهم وردت عنهم آثار كثيرة أنهم صلوا جماعة في البيت بلا عذر يذكر ، ولما أصيب النبي صلى الله عليه وسلم برجله وكان في البيت مع بعض الصحابة صلوا في البيت ، والآثار السابقة أيضا هي خلاف صريح المرفوع : كحديث (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفد بسبع وعشرين درجة) فلو كانت باطلة لم يثبت الدرجة !! .

ومن الأدلة أن هذا الفهم من الآثار التي احتجوا بها لايصح ، أنه لم يقل بها أحد من أهل الحديث والسلف ، أما ما ينسب إلى أحمد أنه قال شرط صحة كما ذكر ذلك ابن القيم في الصلاة وحكم تاركها (ص١٥٥) فلا يصح ذلك عنه ، إنما ذكروها بالتخريج لا بالنص ، والنص منه على خلاف هذا ، فقد جاء نص صريح في رواية حنبل قال : إجابة الداعي إلى الصلاة فرض ولو أن رجلا قال : هي عندي سنة أصليها في بيتي مثل الوتر وغيره ، لكان خلاف الحديث ، **وصلاته جائزة**) .

قال ابن قدامة في المغني (٢/١٣١) مبينا أنه لا يوجد نص عن أحمد أنه قال بأن شرط صحة إنما خرجوه فقط فقال :

وَلَيْسَتْ الْجَمَاعَةُ شَرْطًا لِصِحَّةِ الصَّلَاةِ **نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ** ، **وَخَرَّجَ ابْنُ عَقِيلٍ وَجْهًا** فِي اشْتِرَاطِهَا ، **قِيَاسًا** عَلَى سَائِرِ وَاجِبَاتِ الصَّلَاةِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ بِدَلِيلِ الْحَدِيثَيْنِ اللَّذَيْنِ احْتَجُّوا بِهِمَا وَالْإِجْمَاعِ ، فَإِنَّنَا **لَا نَعْلَمُ قَائِلًا بِوُجُوبِ الْإِعَادَةِ** عَلَى مَنْ صَلَّى وَحْدَهُ ، إلَّا أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ ، مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ ، وَأَبُو مُوسَى ، أَنَّهُمْ قَالُوا : مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ وَتَخَلَّفَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ) اهـ .

وقال ابن رجب في الفتح (٦/٢١) : قَدْ اعترف طائفة من أصحابنا **بأن القياس** يقتضي كون الجماعة شرطاً ، لما ذكر لكن الإمام أحمد أخذ بالنصوص كلها ، وهي دالة عَلَى وجوب الجمع ، **وعلى أنها ليست شرطاً** ، فعلم بذلك أَنَّهُ لا يرى أن كل ارتكاب نهي فِي العبادة يكون مبطلاً لها ، وسواء كَانَ لمعنى مختص بِهَا كالجماعة ، أو لمعنى غير مختص) اهـ .

وقال في المحرر للمجد بن تيمية (١/٩٢) : وينبغي أن يعرف أن اشتراط الجماعة رواية عن الإمام أحمد حكاه ابن الزاغوني قال بناء على أن الواجب هو الفرض وتغليبها على الجمعة ، وحاصل هذا أن ابن الزاغوني خرج رواية بالاشتراط من مسألة الفرض والواجب وهذا فيه نظر لأنه كيف يخرج من قاعدة عامة شيء بخلاف نص الإمام !! **ولهذا لم أجد أحدا ساعد على هذا التخريج ووافق عليه** ، وقد قال الشريف أبو جعفر وغيره من الأصحاب لا نص عن صاحبنا في كونها شرطا) اهـ .

[١١٩] ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له (١).

(١) لحديث أَنَسٍ رضي الله عنه قال : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ** ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا ، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، فَقُولُوا : رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا ، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا ، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ " [رواه البخاري (٣٧٨) ومسلم (٤١١) قال الترمذي في سننه (٣٦١) : وَفِي البَابِ عَنْ عَائِشَةَ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَجَابِرٍ ، وَابْنِ عُمَرَ ، وَمُعَاوِيَةَ ، وَحَدِيثُ أَنَسٍ]

مسألة : قال مالك في الموطأ (٣٠٧) : فِي مَنْ سَهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ فِي رُكُوعٍ أَوْ سُجُودٍ : إِنَّ السُّنَّةَ فِي ذلِكَ ، أَنْ يَرْجِعَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً وَلاَ يَنْتَظِرُ الْإِمَامَ ، وَذلِكَ خَطَأٌ مِمَّنْ فَعَلَهُ ، لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلاَ تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ .

روى مالك في الموطأ (٣٠٦) وابن أبي شيبة (٧١٤٦) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّ الَّذِي يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ فَإِنَّمَا نَاصِيَتُهُ بِيَدِ الشَّيْطَانِ »

وجاء في المعرفة للبيهقي (٣٤٤٧) قَالَ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِ الْبُوَيْطِيِّ : وَمَنْ سَبَقَ الْإِمَامَ بِالرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ وَالسُّجُودِ وَالرَّفْعِ مِنَ السُّجُودِ ، كَرِهْتُ ذَلِكَ لَهُ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ »

(قلت) ولعل سبب ذكر المؤلف هذه المسألة الفقهية في العقائد ، أنه يحتمل أن بعض الخوارج يصلي مع الإمام بنية المفرد ولا يتابعه بذلك في نيته ، يتخفى بذلك لأنه لا يصحح الصلاة خلف العاصي ، ولكن أفيد هنا أنه إذا كان الإمام جهميا ، وصلى خلفه المسلم بنية المفرد تصح صلاته ، وفيها مسألة :

جاء في المغني لابن قدامة (٣/٢٥-٢٦) قال الأثرم : قلت لأبي عبد اللَّه : الرجل يكون في المسجد ، فتقام الصلاة ويكون الرجل الذي يصلي بهم لا يرى الصلاة خلفه ، ويكره الخروج من المسجد بعد النداء ، لقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم كيف يصنع ؟ قال : إن خرج كان في ذلك شنعة ، ولكن يصلي معه ويعيد ، وإن شاء أن يصلي بصلاته ، ويكون يصلي لنفسه ، ثم يكبر ويركع لنفسه ، ويسجد لنفسه ، ولا يبالي أن يكون سجوده مع سجوده ، وتكبيره مع تكبيره ، قلت : فإن فعل هذا صلى لنفسه ، أيعيد ؟ قال : نعم ، قلت : فكيف يعيد وقد جاء أن الصلاة هي الأولى وحديث النبي صلى اللَّه عليه وسلم : اجعلوا صلاتكم معهم سبحة ؟ قال : إنما ذاك صلى وحده فنوى الفرض ، أما إذا صلى معه وهو ينوي أن لا يعتد بها فليس هذا مثل هذا) اهـ

[١٢٠] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب ، بلا سيف (١).

(١) وهذا الشرط أخذه عن كثير من السلف في نهيهم عن الخروج بالسيف والتغيير والإنكار على السلطان بالقوة ، من ذلك : **ما روى نعيم بن حماد في الفتن** (**٣٨٨**) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٦١٣) والداني في الفتن (١٣٣) والبيهقي في الشعب (٧٠٩٨) بسند صحيح عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ : قِيلَ لِحُذَيْفَةَ : أَلَا نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ : « إِنَّهُ لَحَسَنٌ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَرْفَعَ السِّلَاحَ عَلَى إِمَامِكَ »

وروى ابن أبي شيبة (**٣٧٦١٤**) بسند جيد عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا عَزِيزَ النَّفْسِ ، حَمِيَّ الْأَنْفِ ، لَا يَسْتَقِلُّ أَحَدٌ مِنِّي شَيْئًا ، سُلْطَانٌ وَلَا غَيْرُهُ ، قَالَ : فَأَصْبَحْتُ أُمَرَائِي يُخَيِّرُونَنِي بَيْنَ أَنْ أَصْبِرَ لَهُمْ عَلَى قُبْحِ وَجْهِي وَرَغْمِ أَنْفِي وَبَيْنَ أَنْ آخُذَ سَيْفِي فَأَضْرِبَ بِهِ فَأَدْخُلَ النَّارَ ، فَاخْتَرْتُ أَنْ أَصْبِرَ عَلَى قُبْحِ وَجْهِي وَرَغْمِ أَنْفِي ، وَلَا آخُذُ سَيْفِي فَأَضْرِبَ فَأَدْخُلَ النَّارَ ."

وللإمام أحمد عبارة نحو ما قاله المؤلف كما رواه الخلال في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٢٣) عن صَالِحٌ أَنَّ أَبَاهُ قَالَ : « **التَّغْيِيرُ بِالْيَدِ لَيْسَ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ** »

وروى ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف (**١٠٦**) **والخلال** (**ص٢١**) كَتَبَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ إِلَى ابْنِ شُبْرُمَةَ يَحُضُّهُ وَيَحُثُّهُ عَلَى الْجِهَادِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ شُبْرُمَةَ :

الْأَمْرُ يَا عَمْرُو بِالْمَعْرُوفِ نَافِلَةٌ ... وَالْقَائِمُونَ بِهِ لِلَّهِ أَنْصَارُ

وَالتَّارِكُونَ لَهُ عَجْزًا لَهُمْ عُذْرٌ ... وَاللَّائِمُونَ لَهُمْ يَا عَمْرُو أَشْرَارُ

الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لَا بِالسَّيْفِ يُشْهِرُهُ ... عَلَى الْخَلِيفَةِ إِنَّ الْقَتْلَ إِضْرَارُ "

وروى ابن أبي الدنيا في المر بالمعروف (**١٠٥**) عن الْحَسَنُ قَالَ : أَتَيْتُ قُدَامَةَ بْنَ عَنَزَةَ الْعَنْبَرِيَّ – قَالَ جَعْفَرٌ : وَهُوَ جَدُّ سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُدَامَةَ بْنِ عَنَزَةَ – فَوَافَقْتُ عِنْدَهُ مِرْدَاسًا أَبَا بِلَالٍ ، وَنَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ ، وَعَطِيَّةَ بْنَ الْأَسْوَدِ ، قَالَ : فَتَكَلَّمَ مِرْدَاسٌ أَبُو بِلَالٍ فَذَكَرَ الْإِسْلَامَ قَالَ الْحَسَنُ فَمَا سَمِعْتُ نَاعِتًا لِلْإِسْلَامِ كَانَ أَبْلَغَ مِنْهُ – ثُمَّ ذَكَرَ السُّلْطَانَ فَنَالَ مِنْهُمْ ، وَذَكَرَ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ ، ثُمَّ سَكَتَ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ فَذَكَرَ الْإِسْلَامَ فَوَصَفَهُ فَأَحْسَنَ ، وَذَكَرَ السُّلْطَانَ فَنَالَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ فَذَكَرَ الْإِسْلَامَ فَوَصَفَهُ فَأَحْسَنَ ، وَلَمْ يَبْلُغْ مَا بَلَغَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ ، وَذَكَرَ السُّلْطَانَ فَنَالَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ ، قَالَ : فَقَالَ قُدَامَةُ بْنُ عَنَزَةَ لِبَعْضِ أَهْلِهِ : سَانِدْنِي ، فَقَالَ: إِخْوَانِي ، كُلُّ الَّذِي قُلْتُمْ مُنْذُ الْيَوْمِ أَعْرِفُ مِنْهُ مِثْلَ مَا تَعْرِفُونَ ، وَأُنْكِرُ مِنْهُ مَا تُنْكِرُونَ ، وَأَنَا مِثْلُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، **مَا لَمْ تُشْهِرُوا عَلَيْنَا السِّلَاحَ** ، فَإِذَا شَهَرْتُمْ عَلَيْنَا السِّلَاحَ، فَأَنَا مِنْكُمْ بَرِيءٌ ."

[١٢١] والمستور من المسلمين من لم تظهر له ريبة (١).

(١) والمستور هو المذكور في حديث (**من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته**) [رواه البخاري (٣٩١)، ومسلم (١٩٦١)] وقد كُلفنا بأخذ الناس بالظاهر ، فمن أظهر الإسلام (**الشهادتين والصلاة**) دون أن يظهر ناقضا حكمنا بإسلامه ، ومن أظهر شركا حكمنا عليه بما أظهر ، وفي هذا الباب الأثر المشهور الذي يعتبر قاعدة في هذا المبحث الكبير وهو : ما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع **وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم** فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه ، وليس إلينا في سريرته شئ الله يحاسب سريرته **ومن أظهر لنا سوء** ، لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة) . [رواه البخاري في «صحيحه» (٢٦٤١)]

وفي هذا قال الإمام الشافعي رحمه الله في الأم (٦/ ١٥٧) : " ليس لأحد أن يحكم على أحد بخلاف ما أظهر من نفسه وأن الله عز وجل إنما جعل للعباد الحكم على ما أظهر ، لأن أحداً منهم لا يعلم ما غاب إلا ما علمه الله عز وجل، فوجب على من عقل عن الله أن يجعل الظنون كلها في الأحكام معطلة فلا يحكم على أحد بظن وهكذا دلالة سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانت لا تختلف ".

أما الريبة : فهي التهمة وسوء الظن الذي يتَعَرَّض له المسلم المستور إذا وقف في مواقف التهم ، فارتيب في عدالته ودينه ، وفي هذا وردت بعض الآثار منها :

روى الخرائطي في المكارم (٤٧٧) قَالَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَقَامَ نَفْسَهُ مَقَامَ التُّهَمِ ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ به الظن .

وروى البيهقي في السنن الكبرى (٦٣٨٣) والآداب (٢٣٢) عنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِت قَالَ : « **إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أُرَى فِي مَكَانٍ يُسَاءُ بِي فِيهِ الظَّنُّ** »

وروى البيهقي في السنن (٦٣٨٤) عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ : مَنْ يَصْحَبْ صَاحِبَ السُّوءِ لَا يَسْلَمْ ، وَمَنْ يَدْخُلْ مَدَاخِلَ السُّوءِ يُتَّهَمْ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكْ لِسَانَهُ يَنْدَمْ ."

(قلت) فإذا ظهرت في المستور ريبة حقيقية ، تثير الشك في إسلامه ونفاقه أو ابتداعه ضلاله ، ارتفع عنه الستر ، وتوقي في معاملته ، أو يمحتن ليتحقق منه ، ومن ذلك الصحبة والزواج والصلاة ونحو هذا ، منها الذبيحة التي تتعلق به ، وقد وردت آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين في تورعهم عن أكل ذبيحة مسلمين ، لشدة الريبة فيهم ، وقد بوب لها عبد الرزاق وابن أبي شيبة في مصنفاتهم راجعها هناك فإنه يطول ذكرها وليس هذا موضع ذكرها .

[١٢٢] وكل علم ادعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب والسنة فهو بدعة وضلالة ولا ينبغي لأحد أن يعمل به ، ولا يدعو إليه (١) .

(١) وقد تقدم ذكر ما ورد عن علماء الزهد والوعظ في زمن السلف في الخطرات التي ليس لها دليل من الكتاب والسنة وهي باطل ، وهذا ما يسمى بعلم الوساوس والخطرات وهو علم اخترعته الصوفية وأهل البدع وليس من علم السلف ، بل نهووا عنه بشدة وبدعوا من تكلم فيه وهجروا في ذلك لأنه يدخل تحت علم الكلام المذموم المبتدع ، ولهم كلام كثير ، أذكر من ذلك :

فقد ذكر ابن الجوزي في مناقب أحمد (ص٢٣٢) : قال أبو يعقوب إسحاق ابن حبَّة الأعمش : سمعت أحمد بن حنبل سئل عن الوساوس والخطرات فقال : ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

في تاريخ الإسلام (١١٣٦/٥) : وفي كتاب المِحَن للسُّلَميّ : أن ذا النُّون أول من تكلَّم ببلدته فِي ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ، أنكر عليه عبد الله بْن عَبْد الحَكَم ، وكان رئيسَ مصر ، وكان يذهب مذهب مالك ، ولذلك هجره علماء مصر ، حتى شاع خبره أنه أحْدَث عِلْمًا لم يتكلَّم فِيهِ السَّلَف وهجروه حَتَّى رَمَوْه بالزَّنْدَقة قال : فدخل عليه أخوه فقال : إن أهل مصر يقولون إنك زِنْديق !! . **(قلت)** قارن صنيع السلف وبين موقف الخلف مما يكتبه الصوفية في المقامات والأحوال فستجد أنهم ميعوا هذا العلم الباطل ، فابن تيمية شرح رسالة القشيري في المقامات وابن القيم في شرحه لمنازل السائرين المنسوب للهروي زورا بل لم يكتفوا بشرح كتبهم فقط بل شاركوهم في الكلام في هذا العلم المبتدع الذي أنكره السلف ، فكم ترى من الفرق !!

وفي السير (٢٧٧/٣) وتهذيب الكمال (٢٨٨/٣) قال النصر آبادي : بلغني أن المحاسبي تكلم في شيء من الكلام فهجره أحمد فاختفى في داره ببغداد ، ولم يصل عليه إلا أربعة نفر . **(قلت)** والقصد هي كتبه في الخطرات والوساوس والباطن .

قال سَعِيد بْن عمرو البَرْدعيّ : شهدتُ أَبَا زُرْعة وَسُئِلَ عن الحارث المحَاسبيّ وكُتُبه فقالَّ : إيّاك وهذه الكُتُب ، هذه كُتُب بِدَعٍ وضَلالات ، عليك بالأثر ، فإنّك تجد فِيهِ ما يُغْنِيك عن هذه الكُتُب ، قيل له : هذه الكُتُب عِبْرَة ، قال : مَن لم يكن له فِي كتاب اللَّه عِبْرَة ، فليس له فِي هذه الكُتُب عِبْرَة ، بَلَغَكم أنّ مالكًا ، والثَّوريّ ، والأوزاعيّ ، صنَّفوا هذه الكُتُب فِي الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع النّاس للبِدَع !!) [تاريخ بغداد (٨/ ٢١٥)]

قال الخطيب : كان أبو عبد الله أحمد يكره للحارث نظره في الكلام وتصانيفه في الكتب ، ويصد الناس عنه وفي «تاريخ» أبي يعقوب القراب : هجره أحمد ورويم والجنيد لما تكلم في شيء من الكلام .

قال ابن رجب الحنبلي في كتاب بيان فضل علم السلف (ص٦) : ومما أحدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة من المعارف وأعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الرأي والذوق أو الكشف وفيه خطر عظيم: وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره: وكان أبو سليمان يقول أنه لتَمُرُّ بي النكتةُ من نُكَتِ القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة ، وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا: وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ودعوى أن أولياء اللّه أفضل من الأنبياء. أو أنهم مستغنون عنهم وإلى التنقص بما جاءت به الرسل من الشرائع: وإلى دعوى الحلول والاتحاد أو القول بوحدة الوجود. وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان كدعوى الإباحة. وحل محظورات الشرائع. وأدخلوا في هذا الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء. فبعضها زعموا

[١٢٣] وأيما امرأة وهبت نفسها لرجل ، فإنها لا تحل له ، يعاقبان إن نال منها شيئا(١) إلا بولي وشاهدي [عدل] وصداق .

= أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص. وبعضها زعموا أنه يراد لرياضة النفوس لعشق الصور المحرمة ونظرها ، وبعضها زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة. وبعضه يصد عن ذكر اللَّه وعن الصلاة كالغناء والنظر إلى المحرم ، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً) اهـ .

(قلت) لاحظ أن الجنيد الذي تنتسب له الصوفية زورا ، هجر رأسهم وبدعه ، وللحارث المحاسبي كتب كثيرة في المقامات والخطرات والوساوس انتشرت اليوم بقوة وقد أدخل فيها تجهمه بطرق خفية ، فضل وأضل ، فما أبعده وأبعد من يقرأ كتبه وينشرها ، ومن ذلك كتاب (حقائق التفسير) لذاك السلمي الصوفي ، يقول ابن الصلاح وهو جهمي جلد : (وجدت عن الإمام الواحدي أنه قد صنّف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر) وقال ذاك الذهبي : أتى السّلمى فى حقائقه بمصائب وتأويلات للباطنية نسأل الله العافية .[تذكرة الحفاظ (٣/٢٤٩)] ووصفه ابن تيمية بالكذب (منهاج السنة (١٥٥/٤) واحذر كتاب (لطائف الإشارات) لذاك القشيري الصوفي الجهمي الذي حرف القرآن بإشاراته الباطنية وليس بغريب منه وهو الذي تخرج على يد ابن فورك الجهمي .

(١) وهذا الأمر ذكره المؤلف ردا على أهل الرأي من الأحناف الذي أجازوا نكاح السفاح عندما أباحوا للمرأة أن تزوج نفسها ، وليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل ، فإن ذلك كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بإجماع أهل العلم كما نقله ابن جرير وابن عبد البر وغيرهم فقد قال تعالى (**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَها خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**) [الأحزاب ٥٠] وفي ذلك وردت آثار نذكر منها : **روى عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٥٩) ومصنفه (١٢٢٧٠)** عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ} قَالَ : إِنَّ مَيْمُونَةَ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ فَقَبِلَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ ، وَوَهَبَتْ سَوْدَةُ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ ، قَالَ : إِنَّ الْهِبَةَ كَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ تَهَبَ لَهُ امْرَأَةٌ نَفْسَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ. "

وروى ابن جرير في تفسيره (٢٨٦/٢٠) وابن أبي حاتم (١٧٧٢٣) عن مجاهد قوله (**وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ**) بغير صداق ، فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين .

وروى الطبري عن قتادة (**خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**) يقول : ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولي ولا مهر إلا للنبي ، كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبي.

وروى البيهقي في سننه الكبرى (١٣٦٥٤) عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ يُنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِمْ مِنْ تَابِعِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ كَانُوا يَقُولُونَ : لَا تَعْقِدُ امْرَأَةٌ عُقْدَةَ النِّكَاحِ فِي نَفْسِهَا، وَلَا فِي غَيْرِهَا ."

وروى عبد الرزاق (١٢٢٧٣) والبيهقي في سننه (١٣٣٥٧) عن يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ قَالَ : بُشِّرَ رَجُلٌ بِجَارِيَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : هَبْهَا لِي ، فَقَالَ : هِيَ لَكَ فَسُئِلَ عَنْهَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ : لَا تَحِلُّ الْهِبَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ أَصْدَقَهَا سَوْطًا أُحِلَّتْ ."

وروى البيهقي (١٣٣٥٩) عَنْ أَبِي هَارُونَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَا : لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشُهُودٍ وَمَهْرٍ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ."

روى عبد الرزاق في المصنف (١٢٢٦٥) عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : اتُّهِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : وَهَبَتِ امْرَأَةٌ لَهُ نَفْسَهَا فَلَمْ يَنْكِحْهَا ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قُلْتُ : أَرَأَيْتَ لَوْ فَعَلَ يَسْتَنْكِحُهَا أَيَكُونُ ذَلِكَ بِغَيْرِ صَدَاقٍ ؟ قَالَ : « فِيمَا إِذَا خَلُصَ » وَأَقُولُ : أَفَلَيْسَ فِي نِكَاحِهَا مَا قَدْ عَلِمْتَ ."

[١٢٤] وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى (١) .

= **وروي مثل هذا** : عن طاووس والحكم وحماد ومكحول والزهري والشعبي وابن عيينة .

(قلت) يكاد أن اتفق أهل العلم أنه يفسخ عقد الموهوبة قبل البناء ، واختلفوا إذا دخل بها الرجل هل يثبت أو لا ؟ والأكثر أنه يثبت النكاح ولها صداق المثل ، وبه قال النخعي ، وهو مذهب الإمام مالك وأصحابه كما **جاء في المدونة (٢/١٦٤)** والنوادر (٤٥٠/٤) **ومثله ذكره الشافعي في الأم (١٢٠٩/٣)** [أنظر الإشراف لابن المنذر (٥٨/٥)] وقد روى عبد الرزاق (١٢٢٧٥) عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ : « إِذَا وَهَبَتِ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا لِلرَّجُلِ بِبَيِّنَةٍ فَدَخَلَ بِهَا فَلَهَا مِثْلُ صَدَاقِ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهَا ، فَإِنْ طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا وَيَفْرِضَ فَلَهَا الْمُتْعَةُ »

أما قول المؤلف (**يعاقبان إن نال منها شيئا**) فقد **روى ابن القاسم في المدونة (١٦٤/٤)** عَنْ يُونُسَ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ شِهَابٍ عَنْ امْرَأَةٍ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ قَالَ : لَا تَحِلُّ هَذِهِ الْهِبَةُ فَإِنَّ اللَّهَ خَصَّ بِهَا نَبِيَّهُ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ أَصَابَهَا فَعَلَيْهَا الْعُقُوبَةُ وَأَرَاهُمَا قَدْ أَصَابَا مَا لَا يَحِلُّ لَهُمَا ، فَنَرَى لَهَا الصَّدَاقَ مِنْ أَجْلِ مَا يُرَى بِهِمَا مِنْ الْجَهَالَةِ وَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا .

(١) اتفق السلف أن من سبَّ أحدا من الصحابة فهو ضال زائغ متهم على الإسلام ، وينكل به تنكيلا ، وإن كفرهم فهو كافر خبيث ، ومن تدين بسبهم يكفر أيضا ، واختلفوا في من شتم بعضهم على وجه السباب الدنيوي ، والظاهر أنه ينكل به كما قال مالك وغيره ، وقد وردت عدة آثار عن السلف في التغليظ واتهام من تكلم في الصحابة بسوء ، ولا يسع جمعها كلها فهي تليق في مجلد كامل لكن ، نذكر من ذلك :

عن جابر قال : قيل لعائشة رضي الله عنها : إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أبا بكر وعمر ، فقالت : وما تعجبون من هذا ! انقطع عنهم العمل ، فأحب الله تعالى أن لا يقطع عنهم الأجر. [رواه أبو طاهر السلفي في المشيخة (٥٢) وابنُ عَسَاكِرَ في تاريخه (٣٨٧/٤٤) وذكره في جامع الأصول (٦٣٦٦) ونسبه لرزين ، ونسبه بن تيمية لمسلم فوهم وليس فيه .]

وقال عبد الله بن عمر : لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فإن مقام أحدهم خير من عمل أحدكم عمره كله.

[أصول الاعتقاد (٧/ ٢٣٥٠/١٣٢٣) والشريعة (٣/ ٢٠٥٤/٥٤٩)]

وللالكائي تلخيص جيد لأقوال السلف في هذا الباب نذكره للفائدة :

قال اللالكائي في السنة (١٣٣٨/٧) سِيَاقُ مَا رُوِيَ عَنِ السَّلَفِ فِي أَجْنَاسِ الْعُقُوبَاتِ وَالْحُدُودِ الَّتِي أَوْجَبُوهَا وَأَقَامُوهَا عَلَى مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ : رُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ جَلَدَ ثَلَاثِينَ سَوْطًا مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَأَنَّ ابْنَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ شَتَمَ الْمِقْدَادَ، فَهَمَّ عُمَرُ بِقَطْعِ لِسَانِهِ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ: ذَرُونِي أَقْطَعْ لِسَانَ ابْنِي حَتَّى لَا يَجْتَرِئَ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِي فَيَسُبَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنَّ ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى سَأَلَ أَبَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فِيمَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قُلْتُ: فَعُمَرَ؟ قَالَ: أَضْرِبُ عُنُقَهُ. وَأَنَّ عَلِيًّا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ السَّوْدَاءِ تَنَقَّصَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَدَعَا بِهِ وَبِالسَّيْفِ فَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَكُلِّمَ فِيهِ فَقَالَ: لَا يُسَاكِنِّي بَلَدًا أَنَا فِيهِ ، فَنَفَاهُ إِلَى الشَّامِ وَانْتَقَلَ حُرَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَحَنْظَلَةُ، وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى قَرْقِيسِيَا، وَقَالُوا : لَا نُقِيمُ بِبَلْدَةٍ يُشْتَمُ فِيهَا عُثْمَانُ. وَمِنَ التَّابِعِينَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ضَرَبَ مَنْ شَتَمَ عُثْمَانَ ثَلَاثِينَ سَوْطًا وَعَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ، وَكَانَ مُحْتَسِبًا لِلْخُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ أَنَّهُ ضَرَبَ مَنْ شَتَمَ عُثْمَانَ سَبْعِينَ سَوْطًا فِي دُفْعَاتٍ. وَضَرَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَنْ سَبَّ مُعَاوِيَةَ أَسْوَاطًا. وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: يُضْرَبُ ، وَمَا أُرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ. وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ كَانَ يُقَالُ: شَتْمُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ الْكَبَائِرِ. وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ: شَتْمُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنَ الْكَبَائِرِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ} [النساء: ٣١] وَقَالَ زَائِدَةُ لِمَنْصُورِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ: الْيَوْمُ الَّذِي أَصُومُ فِيهِ أَقَعُ فِي الْأُمَرَاءِ؟ قَالَ: لَا ،

قُلْتُ: فَمَنْ يَتَنَاوَلُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، قَالَ: نَعَمْ. وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: بُغْضُ بَنِي

ولما بلغ علياً أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر، فهمّ بقتله ، فقيل له : أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت ، فقال : لا يساكني في دار أبداً ، وفي لفظ: لا يساكني ببلد أنا فيه ، فنفاه إلى الشام . وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: بُغْضُ بَنِي هَاشِمٍ نِفَاقٌ ، وَبُغْضُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ نِفَاقٌ، وَالشَّاكُّ فِي أَبِي بَكْرٍ كَالشَّاكِّ فِي السُّنَّةِ. وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ فَلَا سَهْمَ لَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْفَيْءِ وَسُئِلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ عَمَّنْ سَبَّ عَائِشَةَ فَأَفْتَى بِقَتْلِهِ. وَقَتَلَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدٌ ابْنَا زَيْدٍ الدَّاعِي الطَّبَرِسْتَانِيِّ اللَّذَانِ وَلِيَا دِيَارَ طَبَرِسْتَانَ رَجُلَيْنِ مِمَّا قَذْفَا عَائِشَةَ .)

وعن ميمون بن مهران قال : قال لي عبد الله بن عباس : يا ميمون لا تسب السلف وادخل الجنة بسلام . [صحيح رواه ابن أبي حاتم في العلل (٢٥٨٦) والكرماني في مسائله (١١٧٧/٣) واللالكائي (٧٢٣٥٥) وابن الأعرابي في معجمه (٢١٠١) وابن عساكر في تاريخه (٣٤٩/٦١) وفي تاريخ الرقة (٦٥)]

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ما لهم ولنا – أسأل الله العافية — وقال : إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتّهمه على الإسلام . [اللالكائي (٧/ ١٣٢٦)]

وسبق أن ذكر البربهاري قول ابن عيينة : من نطق في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة فهو صاحب هوى .

قال الإمام الحميدي في أصول السنة (٥٤٦/٢) : إن من السنة الترحم عليهم كلهم : فإن الله عز وجل قال: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا } فلم نؤمر إلا بالاستغفار لهم ، فمن سبهم أو تنقصهم أو أحداً منهم فليس على السنة ، وليس له في الفيء حق ، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس .

وروى أبو نعيم في الحلية (١٠٤/٨) عن حُسَيْنُ بْنُ زِيَادٍ قَالَ : سَمِعْتُ فُضَيْلًا ، يَقُولُ : « مَا عَلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ هَوًى ، وَلَا يَشْتِمِ السَّلَفَ وَلَا يُخَالِطُ السُّلْطَانَ »

وما أجمل كلام محمد بن صبيح السماك فيمن يشتم الصحابة ، فإنه لو سمعها رافضي لا يزال في قلبه بعض عقل ، لعرف ضلاله ومن أين أوتي ، **فقد روى اللالكائي في السنة (٩) عن مُحَمَّدَ بْنَ صُبَيْحٍ السَّمَّاكَ يَقُولُ** : عَلِمْتُ أَنَّ أَصْحَابَ مُوسَى وَأَنَّ النَّصَارَى لَا يَسُبُّونَ أَصْحَابَ عِيسَى، فَمَا بَالُكَ يَا جَاهِلُ تَسُبُّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، قَدْ عَلِمْتَ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ ؟ لَمْ يَشْغَلْكَ ذَنْبُكَ ، أَمَا لَوْ شَغَلَكَ ذَنْبُكَ لَخِفْتَ رَبَّكَ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَنْبِكَ شُغُلٌ عَنِ الْمُسِيئِينَ ، وَيْحَكَ فَكَيْفَ لَمْ يَشْغَلْكَ عَنِ الْمُحْسِنِينَ ؟ أَمَا لَوْ كُنْتَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لَمَا تَنَاوَلْتَ الْمُسِيئِينَ وَرَجَوْتَ لَهُمْ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَلَكِنَّكَ مِنَ الْمُسِيئِينَ ، فَمِنْ ثَمَّ عِبْتَ الشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ ، أَيُّهَا الْعَائِبُ لِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوْ نِمْتَ لَيْلَكَ ، وَأَفْطَرْتَ نَهَارَكَ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ مِنْ قِيَامِ لَيْلِكَ وَصِيَامِ نَهَارِكَ مَعَ سُوءِ قَوْلِكَ فِي أَصْحَابِ نَبِيِّكَ ، وَيْحَكَ ، فَلَا قِيَامَ لَيْلٍ ، وَلَا صِيَامَ نَهَارٍ ، وَأَنْتَ تَتَنَاوَلُ الْأَخْيَارَ ، وَأَبْشِرْ بِمَا لَيْسَ فِيهِ الْبُشْرَى إِنْ لَمْ تَتُبْ مِمَّا تَسْمَعُ وَتَرَى ، وَيْحَكَ ، هَؤُلَاءِ تَشَرَّفُوا فِي بَدْرٍ ، وَهَؤُلَاءِ تَشَرَّفُوا فِي أُحُدٍ إِذْ إِنَّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ جَاءَ عَنِ اللَّهِ الْعَفْوُ عَنْهُمْ فَقَالَ: {**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ**} [آل عمران ١٥٥] فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ ؟ نَحْنُ نَحْتَجُّ لِإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ قَالَ: {**فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} [إبراهيم ٣٦] فَقَدْ عَرَّضَ لِلْعَاصِي بِالْغُفْرَانِ ، وَلَوْ قَالَ : فَإِنَّكَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ أَوْ عَذَابُكَ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَانَ قَدْ عَرَّضَ لِلِانْتِقَامِ ، فِيمَنْ تَحْتَجُّ أَنْتَ يَا جَاهِلُ إِلَّا بِالْجَاهِلِينَ لِبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَشْتُمُونَ السَّلَفَ **لَوَاحِدٌ مِنَ السَّلَفِ** خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ مِنَ الْخَلَفِ ، وَهَؤُلَاءِ جَاءَ الْعَفْوُ عَنْهُمْ فَقَالَ : { **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** } [آل عمران ١٥٥] فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ؟ فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ؟

وما أروع قول الإمام الشافعي فحين قال : مَا أَرَى النَّاسَ ابْتُلُوا بِشَتْمِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا لِيَزِيدَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ ثَوَابًا عِنْدَ انْقِطَاعِ عَمَلِهِمْ . [رواه اللالكائي في السنة (٢٨٢٠)]

وما أجمل قول الشعبي رحمه الله وأبلغه : وَفُضِّلَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَلَى الرَّافِضَةِ بِخَصْلَتَيْنِ : سُئِلَتِ الْيَهُودُ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ ؟ قَالُوا : أَصْحَابُ مُوسَى وَسُئِلَتِ الرَّافِضَةُ : مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ ؟ قَالُوا : أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ، وَسُئِلَتِ النَّصَارَى : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ ؟ قَالُوا : حَوَارِيُّ عِيسَى، وَسُئِلَتِ الرَّافِضَةُ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ ؟ قَالُوا: حَوَارِيُّ مُحَمَّدٍ، أُمِرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ فَسَبُّوهُمْ، فَالسَّيْفُ مَسْلُولٌ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَثْبُتُ لَهُمْ قَدَمٌ ، وَلَا تَقُومُ لَهُمْ رَايَةٌ ، وَلَا تَجْتَمِعُ لَهُمْ كَلِمَةٌ ، دَعْوَتُهُمْ مَدْحُوضَةٌ، وَجَمْعُهُمْ مُتَفَرِّقٌ ، كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .[اللالكائي (٢٨٢٣)]

(قلت) قول الإمام مالك : من شتم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص ، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر قتل ، إن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالاً شديداً . [ذكره ذاك القاضي عياض في الشفا (١١٠٨/٢)]

وروي أبو عروة الزبيري من ولد الزبير: كنا عند مالك بن أنس ، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ مالك هذه الآية: [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ] حتى بلغ [**لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ**] فقال مالك : من أصبح من الناس وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أصابته هذه الآية. [ذكره البغوي في شرح السنة (٢٢٩/١) وأبو نعيم في الحلية (٣٢٧/٦)] وللإمام مالك كلام شديد في الروافض وفي تكفيرهم أنظر بعضه في :[الشفاء (١١٠٨/٢) ومناقب مالك للزواوي (ص١٤٣) وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٩٠)]

قال الإمام أحمد : لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص ، فمن فعل ذلك أدب فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع . [الصارم المسلول (٥٧٣)]

وقال الإمام أحمد في كتابه السنة (ص٧٧ ، ٧٨) : ومن السنَّة ذكرُ محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلِّهم أجمعين ، والكفّ عن الذي جرى بينهم فمَن سبَّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحداً منهم فهو مبتدعٌ رافضيٌّ ، حبُّهم سنَّةٌ والدعاءُ لهم قربةٌ والاقتداءُ بهم وسيلةٌ والأخذُ بآثارهم فضيلةٌ ".

[يراجع للمزيد كتاب **الصارم المسلول** ، فليس موضوع تعليقي الشرح إنما الإستخراج]

لقول رسول صلى الله عليه وسلم : "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا"(١) فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون منهم من الزلل بعد موته ، فلم يقل فيهم إلا خيرا (٢) . وقوله : « ذروا أصحابي ، لا تقولوا فيهم إلا خيرا »(٣) .

ولا تحدث بشيء من زللهم ، ولا حربهم ، ولا ما غاب عنك علمه ، ولا تسمعه من أحد يحدث به ، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت (٤)

[١٢٥] وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ، [أو يرد الآثار] ، أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام ، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع (٥)

---

(١) سبق تخريجه وأنه ضعيف وأنه لا يصح في الباب شيء .

(٢) وهذا المعنى يمكن أخذه مما قال ابن عباس : **لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم ، وهو يعلم أنهم سيقتتلون** . [أصول الاعتقاد (٧/ ٢٣٥٣/١٣٢٤) وفي الشريعة (٣/ ٢٠٣٣/٥٤٠)]
والنبي صلى الله عليه وسلم قد علمه الله تعالى ماذا سيحدث من فتن بعده ، إلى يوم القيامة كما ثبت في عدة نصوص ، وكان أبو هريرة يحفظ منها الكثير ويخاف بثها ، واعترض ذاك النجمي في شرحه على المؤلف في قوله (علم النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون منهم من الزلل بعد موته) فقال وهل يعلم الغيب إلا الله !! فيا ويحك ما أجرأك على الإعتراض بجهل !!

(٣) لم أجده بهذا اللفظ فلعل المؤلف رواه بالمعنى ، ووجدت أحاديث قريبة المعنى مما أراد منها : ما رواه النسائي (١٠٨٧٧) والبزار في مسنده (٧٢٢١) بسند رجاله ثقات عَن أَنَسٍ قَالَ : ذُكِرَ مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم فَوَقَعُوا فِيهِ فَقَالُوا : إِنَّهُ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: **دَعُوا لِي أَصْحَابِي** لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي.
وقريب منه ما ذكره العسقلاني في جزء طرق حديث لا تسبوا أصحابي (ص٧٠) قال أَخْرَجَ خَيْثَمَةُ بْنُ سُلَيْمَانَ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ لَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي مِسْرَدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الأَزْدِيِّ ، أنا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ ، عَنْ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : **لا تَقُولُوا فِي أَصْحَابِي إِلا خَيْرًا** ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. . . فَذَكَرَ الْحَدِيثَ . قال ذاك العسقلاني : وَالْحَسَنُ الْمَذْكُورُ ، ضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ ، وَوُصِفَ بِالصِّدْقِ ، وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ : إِنَّ لَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُحَادَةَ نُسْخَةً مُسْتَقِيمَةً) .

(٤) وقد سبق الكلام عن هذا المعنى في مبحث الكف عما شجر فيه الصحابة وذكرت كلام تلميذه ابن بطة القريب مما قاله شيخه المؤلف وهو رد على هذه الوسوسة الشيطانية في كتاب الشرح والإبانة (٢٩٤) : **ولا ينظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار ، وسائر المنازعات التي جرت بينهم ، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ، ولا تروه عن أحد ، ولا تقرأه على غيرك ، ولا تسمعه ممن يرويه ، فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه**) اهـ

(٥) سبق التعليق على مثل هذا كثيرا ، والمقصود أن أي شكل من أشكال رد الأحاديث سواء كان ذلك بطعن أو بتحريف ، فهو يعتبر تشكيك في الدين ، وهذا من الخطورة بمكان ، ومن أكثر الناس طعنا وردا للأحاديث هم أهل الرأي والمتأخرون اليوم وهذا من قلة فقه قلوبهم نسأل الله العافية .
فعن عُمَرَ بْنَ اَلْخَطَّابِ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ أَصْحَابَ اَلرَّأْيِ أَعْدَاءَ اَلسُّنَنِ أَعْيَتْهُمْ أَنْ يَحْفَظُوهَا وَتَفَلَّتَ مِنْهُمْ أَنْ يَعُوهَا ، وَاسْتَحْيَوْا حِينَ سُئِلُوا أَنْ يَقُولُوا: لَا نَعْلَمُ ، فَعَارَضُوا اَلسُّنَنَ بِرَأْيِهِمْ". [ابن أبي زمنين في السنة (٨) ابن عبد البر في الجامع (٢/ ١٣٥) واللالكائي في السنة (١/ ١٢٣)]

ولهذا اشتد ابن أبي ذئب على مالك لما تأول حديث البيعان دون رده فكيف بمن رده !! فعن أحمد بن حنبل قال : بلغ ابن أبي ذئب أن مالكًا لم يأخذ بحديث البيعين بالخيار فقال : (يستتاب وإلا ضربت عنقه) [المعرفة والتاريخ (١/٦٨٦)]
قلت مع أنه لم يرد الحديث ، ولكن تأوله على غير ذلك .
وجاء في طبقات الحنابلة (١/ ٣٨) **وشرف أصحاب الحديث** (ص٧٤) **والهروي في ذم الكلام** (٢/٧٤) عن التِّرْمِذِيَّ يَقُولُ : كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ عِنْد أَحْمد بن حَنْبَل فَقَالَ لَهُ أَحْمد بن الْحسن يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرُوا لاَبْنِ أَبِي قُتَيْلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَقَالَ قَوْمُ سُوءٍ فَقَامَ أَحْمد أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ فَقَالَ زِنْدِيقٌ زِنْدِيقٌ زِنْدِيقٌ وَدَخَلَ بَيْتَهُ).
وقال الأصبهاني في الحجة (٢/٤٦٠) : قَالَ أهل السّنة من السّلف : إِذا طعن الرجل عَلَى الْآثَار يَنْبَغِي أَن يتهم عَلَى الْإِسْلَام ، وَأهل السّنة يتركون الْبَحْث عَمَّا لم تحط عُقُولهمْ بِهِ من الْمُشْكلات الَّتِي لم يتَكَلَّم فِيهَا الْمُتَقَدِّمُونَ ، وَالْأَئِمَّة الماضون وَلم يخوضوا فِيهِ ، وهم أعلم بالتنزيل والتأويل ، وَمِنْهُم أخذ الْعلم وبهم يَقْتَدِي) اهـ .
وفي طبقات الحنابلة (١/ ٩٥) قال الإمام أحمد : **من كذَّب بالرواية فهو زنديق.**
ونقل اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٧٩) عن أبي حاتم الرازي في بيان اعتقاده قوله : (وعلامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر ، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال لأثر) .
(**قلت**) وأكثر من عرف بالطعن في السنن ورد آثار الصحابة هو إمام أهل الرأي أبو حنيفة وأتباعه ، وهذه أكثر ميزة اتسم بها أبو حنيفة وعيبت عليه من ذلك :
ما روى عبد الله في السنة (٢٩٥) عن إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ قال مَالِكٌ : **أَبُو حَنِيفَةَ يَنْقُضُ السُّنَنَ** .
وروى عبد الله (٣٠٨) قال أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ : كَانَ شَرِيكٌ سَيِّئَ الرَّأْيِ جِدًّا فِي أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ وَيَقُولُ : **مَذْهَبُهُمْ رَدُّ الْأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ." **وروى عبد الله** (٣٩٢) عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، أَنَّهُ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَحَدَّثَهُ فِيهَا ، بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ الرَّجُلُ : قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ بِخِلَافِ هَذَا فَغَضِبَ ابْنُ الْمُبَارَكِ غَضَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : « أَرْوِي لَكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَأْتِينِي بِرَأْيِ رَجُلٍ يَرُدُّ الْحَدِيثَ لَا حَدَّثْتُكُمُ الْيَوْمَ بِحَدِيثٍ ، وَقَامَ »
وروى عبد الله في السنة (٣٢٢) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ قَالَ حَدَّثْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَدِيثٍ فِي رَدِّ السَّيْفِ فَقَالَ: هَذَا حَدِيثُ خُرَافَةٍ " .
(**قلت**) وحصر ما رده أبو حنيفة من الأحاديث هنا يطول ولكن نحيل القارئ لمصنف ابن أبي شيبة فقد خص هذا الموضوع باب مفرد فقال : **باب** (٣٥) **كِتَابُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ** : هَذَا مَا خَالَفَ بِهِ أَبُو حَنِيفَةَ الْأَثَرَ الَّذِي جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثم ذكر (١٢٥) حديثا ردها أبو حنيفة بالرأي وهي ثابتة عند السلف معمول بها ، نسأل الله العافية !!
وقال الإمام أحمد : أما أصحاب الرأي والقياس : فإنهم يسمون أصحاب السنة نابتة وكذب ، أصحاب الرأي أعداء اللَّه ، بل هم النابتة تركوا أثر الرسول صلى اللَّه عليه وسلم وحديثه وقالوا بالرأي ، وقاسوا الدين بالاستحسان ، وحكموا بخلاف الكتاب والسنة ، وهم أصحاب بدعة جهلة ضلال طلاب دنيا بالكذب والبهتان ، فرحم اللَّه عبدًا قال بالحق ، واتبع الأثر ، وتمسك بالسنة ، واقتدى بالصالحين ، وجانب أهل البدع وترك مجالستهم ومحادثتهم أحتسابًا وطلبًا للقربة من اللَّه وإعزاز دينه ، وما توفيقنا إلا باللَّه) . [أنظر : مسائل حرب (ص٣٥٥ – ٣٦٦) وطبقات الحنابلة (١/٥٤ – ٧٤) والجامع لعلوم أحمد (٣/٢٣)]

[١٢٦] واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله عز وجل التي افترضها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم جوره على نفسه ، وتطوعك وبرك معه تام لك إن شاء الله تعالى يعني : [الجماعة] والجمعة معهم ، والجهاد معهم ، وكل شيء من الطاعات فشارك فيه ، فلك نيتك (١).

(١) وهذه مسألة الصلاة والحج والجهاد وراء الأئمة جاروا أم بروا ، وهي من العقائد المجمع عليها بين السلف ، ونقل الإجماع غير واحد من أهل الحديث فممن روى الإجماع على سبيل المثال ابن المبارك وقتيبة بن سعيد وابن أبي زمنين والكرماني والصابوني وابن بطة وغيرهم كثير وإليك كلامهم :

قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: (مَن قال : الصلاة خلفَ كُلِّ برٍّ وفاجرٍ ، والجهاد مَعَ كُلِّ خليفةٍ ، ولم يرَ الخروجَ على السلطان بالسيف **ودعا لهم بالصلاح** ، فقد خَرَجَ من قول الخوارج أوله وآخره)

روى أبو أحمد الحاكم في كتاب شعار أصحاب الحديث (١٧) بسنده عن قُتَيْبَةَ بْنَ سَعِيدٍ قَالَ : هَذَا قَوْلُ الْأَئِمَّةِ الْمَأْخُوذِ فِي الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ : ... ثم قال : وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ جِهَادُ الْكُفَّارِ ، لَكَ جِهَادُهُ وَعَلَيْهِ شَرُّهُ ، وَالْجَمَاعَةُ مَعَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ يَعْنِي الْجُمُعَةَ وَالْعِيدَيْنِ) .

قال ابن أبي زمنين في السنة (١٨) : (وَلَا يتْرك حُضُور صَلَاة الْجُمُعَة وصلاتها مَعَ بر هَذِه الْأمة وفاجرها لَازم مَا كَانَ من الْبِدْعَة بريا فَإِن ابتدع ضلالا فَلَا صَلَاة خَلفه وَالْجهَاد مَعَ كل إِمَام عدل أَو جَائِر وَالْحج) اهـ

وقال حرب الكرماني في السنة (٢٦) : والجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا ، ولا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولا ولا أتقياء) اهـ

وقال الإمام إسماعيل الصابوني في كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٩٤) : ويرى أصحاب الحديث : الجمعة ، والعيدين ، وغيرهما من الصلوات خلف كلِّ إمام مسلم ، برًّا كان أو فاجراً ، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة ، ويرون الدُّعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح) .

قال أبو عثمان الزاهد : فانصح للسلطان ، وأكثر له من الدُّعاء بالصلاح والرَّشاد ، بالقول والعمل والحكم ، فإنهم إذا صلحوا صلح العباد بصلاحهم ، وإياك أن تدعو عليهم باللعنة ، فيزدادوا شرًّا ، ويزداد البلاء على المسلمين ، ولكن ادع لهم بالتوبة ، فيتركوا الشرّ فيرتفع البلاء عن المؤمنين) [شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٢٦ رقم ٧٤٠١]

من الآثار في هذا المعنى نذكر منها :

روى ابن أبي شيبة (٣٣٣٧٨) وابن أبي زمنين في كتابه قدوة الغازي (٩٨) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ ، فَقَالَ : قَاتِلْ أَهْلَ الشِّرْكِ أَيْنَمَا وَجَدْتَهُمْ، وَعَلَى الإِمَامِ مَا حَمَلَ وَعَلَيْكَ مَا حَمَلْتَ ".

وروى ابن أبي شيبة (٣٣٣٨٢) عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ عَنْ الْغَزْوِ مَعَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ ، وَقَدْ أَحْدَثُوا فَقَالَ : اغْزُوا ."

روى ابن أبي شيبة (٣٣٣٧٩) عَنِ الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ أَنَّهُمَا كَانَا يَقُولانِ : الْغَزْوُ مَعَ أَئِمَّةِ السُّوءِ لَنَا شَرَفُهُ وَذُخْرُهُ وَفَضْلُهُ وَأَجْرُهُ وَعَلَيْهِمْ مَأْثَمُهُمْ . وقال الحسن البصري : أربعة من أمر الإسلام إلى السلطان : الحكم والفيئ والجهاد والجمعة . [ابن أبي شيبة (٢٩٠٢٩) والسنة الكرماني (٢٦٦)]

وروى ابن أبي شيبة (٢٩٠٣٠) عن ابن محيريز قال : الجمعة والحدود والزكاة والفيئ إلى السلطان .

وقال سفيان الثوري لشعيب : يا شعيب: لا ينفعك ما كتبت حتى ترى: الصلاة خلف كل بر وفاجر. والجهاد ماض إلى يوم القيامة، والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل. [اللالكائي (١/ ١٧٠)]

[١٢٧] وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى ، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله (١).

= **وفي السنة للخلال** (٨٣) قال إسماعيل بن محمد الشالنجي : سألت أحمد عن الجهاد والجمعات معهم ؟ قال تجاهد معهم)

وفي طبقات الحنابلة (٣٢٩/١) **ومناقب أحمد لابن الجوزي** (٢٢٩/١) : مُحَمَّد بْن يُونُسَ السرخسي قَالَ: سمعت أبا عبد اللَّه أَحْمَد بن حنبل يقول: صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة ... ثم قال : وصلاة العيدين وعرفات والجمعة والجماعات مع كل بر وفاجر) .

وذكر الأصبهاني في الحجة (٢٥٢/١) **معتقد أهل السنة والأثر فقال** : وَمن السّنة الْحَج مَعَهم ، وَالْجِهَاد مَعَهم ، وَصَلَاة الْجُمُعَة وَالْعِيدَيْنِ خلف كل بر وَفَاجِر .

وقال ابن هانئ في مسائله (١٨٧٥ – ١٨٧٦): ثم قال : والصلاة خلف كل بر وفاجر ؟ قال : نعم ، قال : والجهاد مع السلطان ، والصبر تحت لوائه ، ولا يخرج على السلطان بسيف ولا عصا) اهـ

(١) الدعاء لولاة أمور المسلمين صار من مسائل العقائد التي تدرج في كتب السنة لأجل خلاف الخوارج وأهل البدع عامة ولأنهم كلهم خوارج يجتمعون في السيف ، والدعاء للأئمة يدخل ضمن النصيحة لهم ، والنصح لهم أمر حثَّتْ عليه الشريعة ، فقد ثبت أن رسول الله قال : (**الدين النصيحة**) لمن يا رسول الله قال: (**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) وثبت عن جرير بن عبد الله البجلي قال (**بايعت رسول الله على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم**) وقد وردت في هذا الباب آثار جليلة القدر ، جاء فيها النهي من السلف صريحا : فعن أنس قال : نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد قالوا : قال رسول الله : ((**لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب**)) [صحيح رواه ابن أبي عاصم (١٠١٥) ونعيم بن حماد في الفتن (٣٩٨/٢) والبيهقي في الشعب (٧١١٧)] .

قال الحافظ أبو إسحاق السبيعي : (**ما سب قومٌ أميرهم إلا حُرموا خيره**) [رواه ابن عبد البر في التمهيد (٢٨٧/٢١)].

وقد روى أبو نعيم في الحلية الأولياء (١٧٢/٦) عن مالك بن دينار قال : قرأت في الحِكم : أن الله تعالى يقول : (أنا ملك الملوك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، **فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك** ، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم).

ومما أثر في الدعاء لهم : ما رواه الخلال في السنة (٢٠) عن عَطِيَّةُ السَّرَّاجُ ، أَنَّ أَبَا مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ ، قَالَ : « إِنَّهُ مُؤَمَّرٌ عَلَيْكَ مِثْلُكَ ، فَإِنِ اهْتَدَى فَاحْمَدِ اللَّهَ ، وَإِنْ عَمِلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ **فَادْعُ لَهُ بِالْهُدَى** ، وَلَا تُخَالِفْهُ فَتَضِلَّ »

وسينقل المؤلف قول الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله: (مَن قال : الصلاة خلفَ كُلِّ برٍّ وفاجرٍ ، والجهاد مَعَ كُلِّ خليفةٍ ، ولم يرَ الخروجَ على السلطان بالسيف ، **ودعا لهم بالصلاح** ، فقد خَرَجَ من قول الخوارج أوله وآخره)

وفي الجرح والتعديل (٩٧/١) قال الثوري : إني لأدعو للسلطان ـ يعني بالصلاح ـ ولكن لا أستطيع أن أذكر إلا ما فيهم .

وفي الزهد لأحمد (١٣٧٦) : قال عمر بن الفضل : سألت أبا العلاء [ابن الشخير] والحجاج في عباءة فقلت : يا أبا العلاء أسب الحجاج ؟ فقال ادع له بالصلاح فإن صلاحه خير لك .

وقال الإمام الشافعي في عقيدته التي نقلها عن أصحاب الحديث : **والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح** .. ثم قال في آخر عقيدته : فمن ترك من هذا شيئا فهو مخالف لكتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم) اهـ [الجامع (ص٢٤٤)]

وقال أخبرنا أبو بكر المروذي قال : سمعتُ أبا عبد الله وذكَرَ الخليفة المتوكل رحمه الله فقال : إني لأدعو له بالصلاح والعافية وقال : لإن حَدَثَ به حَدَثٌ لتنظرنَّ ما يحلُّ بالإسلام) [السنة (٨٤/١)]

وفي عقيدة أحمد رواية الأندرابي : والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح ولا تخرج عليهم بسيفك. [أنظر الجامع للعقائد لآحمدان (ص٣٣٩)]

وقال أحمد بن الحسين بن حسان – وهو أحد أصحاب الإمام أحمد – سمعت أبا عبد الله وسئل عن طاعة السلطان ، فقال بيده : عافى الله السلطان ، تنبغي ، سبحان الله ! السلطان ؟ [الجامع لعلوم أحمد (٣٨/١٣)]

في السنة للخلال (١٤) قال الإمام أحمد بن حنبل : (إني لأدعو له [أي السلطان] بالتسديد والتوفيق – في الليل والنهار – والتأييد وأرى ذلك واجبا عليَّ) [وانظر البداية والنهاية (٣٣٧/١٠)]

وقال الإمام الآجري في الشريعة (٣٧٠/١) : (قد ذكرتُ من التحذير عن مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عزوجل الكريم عن مذهب الخوارج ، ولم ير رأيهم ، وصبر على جور الأئمة وحَيْف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه ، وسأل الله العظيم أن يكشف الظلم عنه وعن جميع المسلمين ، ودعا للولاة بالصلاح ، وحج معهم ، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين ، وصلى خلفهم الجمعة والعيدين ، ... فمن كان هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله) .

قال ذاك الإسماعيلي في اعتقاد أهل الحديث (٧٥/١) : ويرون [أي أهل السنة و الجماعة] الصلاةَ الجمعة وغيرها ، خلف كل إمام مسلم ، براً كان أو فاجرا ... **ويرون الدعاء لهم بالصلاح** والعطف إلى العدل) .

وقال أبو عثمان الصابوني (ت ٤٤٩ هـ) **في عقيدة السلف وأصحاب الحديث** : (ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين و غيرهما من الصلوات ، خلف كل إمام ، برا كان أو فاجراً ، ويرون جهاد الكفرة معهم ، وإن كانوا جَوَرة فجرة ، **ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح** ، وبسط العدل في الرعية) .

وقال ذاك المدعو ابن المنير : نُقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم ، فقيل له : أتدعو له وهو ظالم ؟ فقال : إي والله أدعو له ، إن ما يَدفعُ الله ببقائه ، أعظمُ مما يندفع بزواله ، قال ابن الُمنِّير : لا سيما إذا ضُمِّن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه) [انظر انتصاف (١٠٦/٤)]

قال ابن عبد البر : أنشدني أحمد بن عمر بن عبد الله لنفسه في قصيدة له :

نسأل الله صلاحـا للولاة الرؤسـاء　　　فصلاح الدِّين والدُّ نيا صلاحُ الأمراء

فبهمْ يلتئمُ الشَّملُ على بُعْد التناءِ　　　وهم الُمغْنُون عنـا في مواطين العناءً

(قلت) وقد ألف يحيى بن منصور الحراني الحنبلي – المعروف بابن الحبشي – كتاباً سماه : (دعائم الإسلام في وجوب الدعاء للإمام) وقد دخل الغلو في هذا الباب مع أنه حق ـ كغيره من أبواب العقيدة ولم يسلم من الإفراط ومن ذلك تخصيص الدعاء للسلطان في الخطبة والإكثار منه ، وقد نبه السلف على ذلك قديما على هذا الغلو :

روى ابن أبي شيبة (١٧٥/٧) عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن عبد العزيز : أما بعد : فإن أناسا من الناس التمسوا الدنيا بعمل الآخرة ، وإن أناسا من القصاص قد أحدثوا من الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أتاك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ، ويدعون ما سوى ذلك".

وقال الشافعي رحمه الله في (الأم ٢٠٣/١) : بعد أن ذكر أنه يقتصر في الخطبه بحمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم والعظة والقراءة ولا يزيد على ذلك : قال : أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما الذي أرى الناس يدعون به في الخطبة يومئذ ؟ أبلغك عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عمن بعد النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قال : لا ، إنما أحدث ، إنما كانت الخطبة تذكيرا . قال الشافعي : فإن دعا لأحد بعينه ، أو على أحد كرهته) اهـ .

وبوّب ذاك البيهقي في سننه (٢١٧/٣) في (أبواب آداب الخطبة) باباً سماه : (باب ما يكره من الدعاء لأحد بعينه أو على أحد بعينه في الخطبة) ثم نقل فيه بإسناده عن الشافعي الأثر السابق عن عطاء ، ثم روى بإسناده أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب : أن لا يسمى أحد في الدعاء .

وجاء في المغني (٧٩/٢) عن القاضي أبي يعلى أنه قال : لا يستحب الدعاء للسلطان لأن عطاء قال : هو محدث .

ونقل البرزلي في شرح الخرشي لمختصر خليل (٢/٨٩) عن بعض المالكية أنه قال : رأيت الزهاد بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم والكوفة إذا بلغ الإمام الدعاء للأمراء أو أهل الدنيا قاموا فصلوا ، ويتكلمون مع جلسائهم فيما يحتاجون إليه من أمرهم أو في علم ، ولا يصغون إليهم لأنه لغو ".

وجاء في المحلى لذاك الجهمي (٣/٢٧٠) : أما إذا أدخل الإمام في خطبته مدح من لا حاجة بالمسلمين إلى مدحه ، أو دعاء فيه بغي وفضول من القول ، أو ذم من لا يستحق – : فليس هذا من الخطبة ، فلا يجوز الإنصات لذلك ، بل تغييره واجب إن أمكن : روينا من طريق سفيان الثوري عن مجالد قال : رأيت الشعبي ، وأبا بردة بن أبي موسى الأشعري يتكلمان والحجاج يخطب حين قال : لعن الله ولعن الله ، فقلت : أتتكلمان في الخطبة ؟ فقالا : لم نؤمر بأن ننصت لهذا ؟ وعن المعتمر بن سليمان التيمي عن إسماعيل بن أبي خالد قال : رأيت إبراهيم النخعي يتكلم والإمام يخطب زمن الحجاج ؟ .

ومن المسائل التي ورد فيها غلو وإفراط الدعاء للحكام المغيرين لشرع الله بالبقاء !! وهذا منكر شنيع :

روي في ذلك أثر ، لفظه ((**من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله**)) . وقد روي من قول غير واحد من السلف منهم : الحسن البصري وسفيان الثوري ، ويوسف بن أسباط :

أولاً : أثر الحسن البصري : أخرجه البيهقي في الشعب (٩٤٣٢) وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣١) وفي الغيبة والنميمة (٩٤) من طريقين عن عبيد الله بن عمرو الرقي قال : سمعت يونس بن عبيد ، يقول سمعت الحسن به .

ثانياً أثر سفيان الثوري : أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/٤٦) في ترجمة سفيان الثوري .

ثالثاً أثر يوسف بن أسباط : أخرجه أبو بكر المروذي في الورع (ص٩٧) ، وأبو نعيم في الحلية (٨/٢٤٠)

فائدة : ذكر البربهاري هذا الفصل المهم الذي يعتبره الخوارج اليوم تمييعا وإرجاء !! ، ولم يستحضروا أن الحاكم في عصر البربهاري كان حاكماً ظالماً حقوداً ، واكن يضيق على الإمام البربهاري وعلى جماعة من كبار أصحابه ، حتى أمر السلطان أن لا يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان ، ثم أمر الحاكم جنوده بالبحث عن الإمام البربهاري ليحبسه فاشتدت غربته .

فالأمر إنما هو دفاع عن معتقد أهل السنة والجماعة بغض النظر عن صفة الحكام .

لقول فضيل : لو كانت لي دعوة ما جعلتها الا في السلطان .

أنا أحمد بن كامل قال: نا الحسين بن محمد الطبري ، نا مردويه الصائغ ، قال : سمعت فضيلا يقول : لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان قيل له : يا أبا علي فسر لنا هذا !! قال : إذا جعلتها في نفسي لم تعدني ، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد ، فأمرنا أن ندعو لهم [بالصلاح] ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا وإن جاروا لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم ، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين (١) .

[١٢٨] ولا تذكر أحدا من أمهات المؤمنين إلا بخير (٢).

---

(١) سنده صحيح : رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٩٣ – ١٩٧/ ٣٢٠) والخلال في السنة (٩) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩١/٨) وابن عبد البر في جامع العم وفضله (٦٤١/١) أبو يعلى في طبقات الحنابلة (٣٦/٢) وتاريخ دمشق (٦٠/٥٢) وربيع الأبرار (٢٢٣/٤) الجليس الصالح (١٨٥/٣) وفيات الأعيان (٤٨/٤) والمصباح المضيء (١٤٩/١) وتاريخ الإسلام (٣٤٢/١٢) وشذرات الذهب (٤٠١/٢)] والغريب أن هذا الإسناد من غير طريق المصنف وكأن راوي الكتاب أحمد كامل أضافه للفائدة !! **وعند أبي نعيم في الحلية زيادة** مهمة وعزيزة ينبغي إيرادها هنا وهي قوله : لَوْ أَنَّ لِيَ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً مَا صَيَّرْتُهَا إِلَّا فِي الْإِمَامِ قِيلَ لَهُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ ؟ قَالَ : مَتَى مَا صَيَّرْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تُجْزِنِي وَمَتَى صَيَّرْتُهَا فِي الْإِمَامِ فَصَلَاحُ الْإِمَامِ صَلَاحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ فَسِّرْ لَنَا هَذَا قَالَ : أَمَّا صَلَاحُ الْبِلَادِ فَإِذَا أَمِنَ النَّاسُ ظَلَمَ الْإِمَامِ عَمَّرُوا الْخَرَابَاتِ وَنَزَلُوا الْأَرْضَ ، وَأَمَّا الْعِبَادُ فَيَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَيَقُولُ : قَدْ شَغَلَهُمْ طَلَبُ الْمَعِيشَةِ عَنْ طَلَبِ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ فَيَجْمَعُهُمْ فِي دَارٍ خَمْسِينَ خَمْسِينَ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ: لَكَ مَا يُصْلِحُكَ وَعَلِّمْ هَؤُلَاءِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَانْظُرْ مَا أَخْرَجَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فِيهِمْ مِمَّا يُزَكِّي الْأَرْضَ فَرُدَّهُ عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَكَانَ صَلَاحُ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ فَقَبَّلَ ابْنُ الْمُبَارَكِ جَبْهَتَهُ ، وَقَالَ: يَا مُعَلِّمَ الْخَيْرِ مَنْ يُحْسِنُ هَذَا غَيْرُكَ .

(٢) سبق أن التعرض لأي أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر طعنا في الدين وتهمة في الإسلام ، وأشد من ذلك الكلام في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهنّ عرضه صلى الله عليه وسلم ، من تعرض لهنَّ فقد تعرض لسبِّ النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى **{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}** [الأحزاب: ٦] ومما يدل على أن الطعن فيهن أذىً للنبي صلى الله عليه وسلم ما خرجاه في الصحيحين في حديث الإفك عن عائشة قالت : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول ، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، و لقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي . [البخاري (١٦٣/٣) ومسلم (٢١٢٩/٤-٢١٣٦)] .

ويدل عليه أيضا ما أخرج البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**فاطمة بضعة**

مني فمن أغضبها أغضبني) ثم هنا أمران :

أولا : وقع الإجماع على أن من سب أو تعرض لعائشة رضي الله عنها فقد كفر وارتد باتفاق :

وقَدْ سَاقَ ابْنُ حَزْمٍ الجهمي (٤٥٦) بإِسْنَادِهِ إلى هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُوْلُ : مَنْ سَبَّ أبا بَكْرٍ وعُمَرَ جُلِدَ ، ومَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ قِيْلَ لَهُ : لِمَ يُقْتَلُ فِي عَائِشَةَ ؟ قَالَ : لأنَّ اللهَ تَعَالى يَقُوْلُ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا {**يَعِظُكُمُ اللَّهُ** أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} قَالَ مَالِكٌ : فَمَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ القُرْآنَ ومَنْ خَالَفَ القُرْآنَ قُتِلَ .

قَالَ القَاضِي أبُو يَعْلَى الحَنْبَلِيُّ : « مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ كَفَرَ بِلا خِلافٍ ، وقَدْ حَكَى الإِجْمَاعَ على هَذَا غَيْرُ واحِدٍ ، وصَرَّحَ غَيْرُ واحِدٍ مِنَ الأئِمَّةِ بِهَذا الحُكْمِ » وقَالَ ابنُ أبي مُوْسَى : « ومَنْ رَمَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ فَقَدْ مَرَقَ مِنَ الدِّيْنِ ، ولَم يَنْعَقِدْ لَهُ نِكَاحٌ على مُسْلِمَةٍ » وهُوَ قَوْلُ ابْنِ قُدَامَةَ ، وغَيْرِهِ مِنْ أهْلِ العِلْمِ. [أنظر : الصارم المسلول على شاتم الرسول (١٠٥٠/٣)]

وقال ذاك التيمي في كتاب الرد على البكري (٣٤٠) : وذكر غير واحد من العلماء اتفاق الناس على أن من قذفها بما برأها الله منه فقد كفر لأنه مكذب للقرآن .

ومن القصص الواقعة في هذا الباب : ما قال أبو السائب القاضي : كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الدعي بطبرستان ، و كان بحضرته رجل فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة ، فقال : يا غلام اضرب عنقه ، فقال له العلويون : هذا رجل من شيعتنا ، فقال : معاذ الله هذا رجل طعن على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى { **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبات للطيبين و الطيبون للطيبات ، أولئك مبرءون مما يقولون ، لهم مغفرة و رزق كريم** } فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي صلى الله عليه وسلم خبيث ، فهو كافر فاضربوا عنقه ، فضربوا عنقه و أنا حاضر . [شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٢٦٩/٧)]

وروي عن محمد بن زيد أخي الحسن بن زيد أنه قدم عليه رجل من العراق فذكر عائشة بسوء فقام إليه بعمود فضرب دماغه فقتله فقيل له : هذا من شيعتنا ومن بني الآباء فقلا : هذا سمى جدي قرنان أي من لاغيرة له ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتلته .[اللالكائي (١٣٤٥/٧)]

ثانيا : الطعن في بقية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم كفر وردة أيضا ، **وممَّا** نحتج به ما أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير الطبري والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قرأ سورة النور ففسرها ، فلما أتى على هذه الآية {**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات**} قال : هذه في عائشة وأزواج النبي صلى الله علية وسلم ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة ، و جعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم التوبة ، ثم قرأ {**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**} إلى قوله {**إلا الذين تابوا**} ولم يجعل لمن قذف امرأة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة ، ثم تلا هذه الآية {لعنوا في الدنيا و الآخرة ولهم عذاب عظيم} فهمّ بعض القوم أن يقوم إلى ابن عباس فيقبل رأسه لحُسنِ ما فسّر .[الدر المنثور (١٦٥/٦) وجامع البيان (١٨/ ١٠٤)].

وقال ابن قدامة في لمعة الاعتقاد (ص ٢٩) : " فمن قذفها بما برأها الله منه ، فقد كفر بالله العظيم "..

[١٢٩] وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره ، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله ، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة ، وإن كان مع السلطان ، فاعلم أنه صاحب هوى (١)

[١٣٠] والحلال ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال ، وكذلك الحرام ، وما حاك في صدرك فهو شبهة (٢) .

---

(١) قوله **(وإن كان مع السلطان)** ثم سكت !! فهذه الفقرة كأنها ناقصة وأظن تنقصها لفظة : وإن كان مع السلطان **(يأتيها)** أي يشهدها فقط مع السلطان ، ولقد تكرر من المؤلف ذكر هذا الفقرة وما في معناها في عدة مناسبات ، إنما فقد يغير أسلوب التعبير ، لكن هنا أضاف شيئا مهما وهو التملق للسلاطين واتباعهم ، فتجد صاحب الهوى أحيانا يصلي مع السلطان إذا كان إماما ، ويتخلف عن الجماعة مع غيره ، وهذا ضرب من النفاق والعياذ بالله ، بخلاف صاحب السنة لا يترك الصلاة جماعة بكل حال مع السلطان وغيره ، وهكذا كان السلف فمما روي عنهم في هذا الباب :

روى البخاري (٦٩٥) عن عبيد الله بن عدي رضي الله عنه أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال : إنك إمام عامة ونزل بك ما نرى ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج فقال : (الصلاة أحسن ما يعمل الناس فإذا أحسن الناس فأحسن معهم ، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم)

وعن سوار بن شبيب أنه قال : حج نجدة الحروري في أصحابه فوادع ابن الزبير ، فصلى هذا بالناس يوماً وليلة ، وهذا بالناس يوماً وليلة ، فصلى ابن عمر خلفهما فاعترضه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن أتصلي خلف نجدة الحروري ؟ فقال ابن عمر : إذا نادوا حي على خير العمل أجبنا ، وإذا نادوا إلى قتل نفس قلنا : لا ، ورفع بها صوته) [ابن أبي زمنين في السنة (٢٠٩)]

وروى البيهقي في السنن الكبرى (٥٠٨٨) بلفظ : (أنه قيل له زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية : أتصلي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً ؟ فقال : من قال: حي على الصلاة أجبته ، ومن قال : حي على الفلاح أجبته ، ومن قال : حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت : لا) .

(قلت) هكذا كان السلف لا يتركون الجماعة ، خلف أي أحد ولا يفرقون بين سلطان وغيره ، وقد ختم البخاري بهذه المسألة عقيدته التي نقل فيها اتفاقات أهل الحديث الذين لقيهم في البلدان . [أنظر الجامع لآل حمدان (ص٤٥٩)]

(٢) وأخذ المؤلف هذا المعنى من مجموعة أحاديث : **الأول** : حديث (**الحلال بين والحرام بين وما بينهما مشتبهات**)

والثاني : حديث وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ ؟**» **قُلْتُ : نَعَمْ : فَجَمَعَ أَنَامِلَهُ ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي صَدْرِي وَيَقُولُ** : « **اسْتَفْتِ نَفْسَكَ ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ ثَلَاثًا** »

والثالث : حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الْبِرِّ فَقَالَ : «حُسْنُ الْخُلُقِ» فَقَالَ : مَا الْإِثْمُ ؟ قَالَ: « **مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ** »

والرابع : حديث الحسن بن علي (**دع ما يريبك إلى مالا يريبك**) [وكلها أحاديث صحيحة رويت من طرق كثيرة]

وروي بسند ضعيف عن عطية بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : " **إن الرجل لا يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس** " [رواه الترمذي (٢٥٦٨) وابن ماجة (٤٢٦٨) والحاكم ٤/٣١٩ وغيرهم بسند ضعيف]

وقد وردت آثار في هذا المعنى أيضا منها :

روى هناد في الزهد (٩٣٤) والمروذي في الورع (١٦٤) وأبو داود في الزهد (١٢٥) وابن أبي حاتم في الزهد (٣٢) والطبراني في الكبير (٨٧٤٨) البيهقي في الشعب (٢/١٢٦/٢) بأسانيد صحيحة عن ابن مسعود قال : **إِيَّاكُمْ وَحَزَائِزَ الْقُلُوبِ وَمَا حَزَّ فِي قَلْبِكَ مِنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ** .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدَعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ. [رواه البخاري معلقا وقال ابن رجب في كتابه الفتح (١٦/١) : هذا الأثر لم أقف عليه إلى الآن في غير كتاب البخاري ، وقال ذاك العسقلاني : "لم أره موصولا إلى الآن]

عن أبي الدرداء قال : تمامُ التقوى أنْ يتقي اللهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرَّةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يرى أنَّه حلالٌ خشيةَ أنْ يكون حرامًا يكون حجابًا بينه وبينَ الحرام ، فإنَّ الله قد بَيَّن للعباد الذي يُصيرهم إليه فقال : {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} فلا تحقرن شيئًا من الخير أنْ تفعله، ولا شيئًا من الشرِّ أنْ تتقيه.[رواه ابن المبارك في الزهد (١٩/٢) وأبو نعيم في الحلية (٢١٢/١)]

وقال ابن عمر : إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال لا أخرقها. [رواه أبو داود في الزهد (٣٢٠)]

وقال ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : **تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الحرام** . [رواه عبد الرزاق (١٥٢/٨) وابن أبي شيبة (٤٤٩/٤)]

روى أبو نعيم في الحلية (٢٤٤/٧) عن يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ يَقُولُ: « لِي أَرْبَعُونَ سَنَةً مَا حَاكَ فِي صَدْرِي شَيْءٌ إِلَّا تَرَكْتُهُ »

وري أيضا (١٢٦/١٠) عن السَّرِيِّ قال : « لَا يَقْوَى عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ إِلَّا مَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ »

روى ابن أبي الدنيا في الورع (٥٢) قَالَ مُوسَى بْنَ أَعْيَنَ فِي قَوْلِ اللَّهِ {**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**} قَالَ : « تَنَزَّهُوا عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ ، فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ مُتَّقِينَ »

وروى ابن أبي الدنيا (٥٨/١) قال حسان ابن أبي سنان : وَهَلِ الْوَرَعُ إِلَّا إِذَا رَابَكَ شَيْءٌ تَرَكْتَهُ .

وروى ابن أبي الدنيا (٥٨) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُبَارَكِ الصُّورِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِرَاهِبٍ : مَا عَلَامَةُ الْوَرَعِ ؟ قَالَ: « **الْهَرَبُ مِنْ مَوَاطِنِ الشُّبْهَةِ** »

وروى المروذي في الورع (١٥٨) عَنَ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ لَا يَسْلَمُ لِلرَّجُلِ الْحَلَالُ حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَرَامِ حَاجِزًا مِنَ الْحَلَالِ .

وقال الحسن : مازالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام . [ذكره بجامع العلوم والحكم (ص١٩٣)]

وقال الثوري : إنما سمّوا المتقين لأنهم اتقوا مالا يُتّقى. [فتح الباري لابن رجب (٢٠٥/١)].

وروى المروذي في الورع لأحمد (٤٣٩) قال سفيان بن عيينة : لا يصيب عبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال وحتى يدع الإثم وما تشابه منه .

قال الضحاك بن مزاحم : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثناؤُهُ حَلَّلَ حَلَالًا بَيِّنًا، وَحَرَّمَ حَرَامًا بَيِّنًا، وَبَيْنَ ذَلِكَ شُبُهَاتٌ وَهِيَ حَزَازَاتُ الصُّدُورِ، فَمَهْمَا حَزَّ فِي صَدْرِكَ فَدَعْهُ، وَعَلَيْكَ بِحَلَالِ اللَّهِ، وَإِيَّاكَ وَحَرَامَهُ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْمُتَّقِينَ » [الزهد للبيهقي (٨٥٢)]

وقد ذكر الإمام أحمد قضية الشبهة في أصول أهل السنة كما في رواية مسدد قال أحمد : وما أنكرت العلماء من أهل السنة من الشبهة فهو منكر .[أنظر طبقات الحنابلة (٤٢٦/٢) ومناقب أحمد لابن الجوزي (ص٢٢٤)] ولهذا قلده البربهاري في جعل هذه المسألة في أصول السنة .

وفي كتاب الورع للمروذي أيضا (٣٢٢) قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ : يُؤْجَرُ الرَّجُلُ فِي تَرْكِ الشَّهَوَاتِ ؟ قَالَ : وَكَيْفَ لَا يُؤْجَرُ وَابْنُ عُمَرَ يَقُولُ مَا شَبِعْتُ مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

[١٣١] والمستور من بان ستره ، والمهتوك من بان هتكه (١).

= **قال صالح في مسائله (٢٠٥)** : وسألته عن حديث النعمان بن بشير "**من اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه**" قال : الشبهة : هي منزلة بين الحلال والحرام ، فإذا استبرأ لدينه لم يقع فيها .

وقال المروذي في الورع (١٦٦) : سألتُ أبا عبد اللَّه ، عن الشبهة ؟ فقال لي : وتعرف الشبهة ؟ قلت : نعم هو الشيء الذي لا يقال : إنه حلال ولا يقال : إنه حرام ، فقال أبو عبد اللَّه : هو الشيء بين الحلال والحرام .

وقال المروذي في الورع (١٧٤) وسألت أبا عبد اللَّه عن الشبهة ؟ فقال : حتَّى تعرف الشبهة ثم قال : قال عبد اللَّه : الإثم حواز القلوب.

وجاء في مسائل الكوسج (٢٣٠٢) : سُئِلَ إسْحاقُ عن المكروهاتِ ، من وقف عليها أَنَّها حرام ؟ قال : ليسَ لما وصَفتَ حدّ يعرف ينتهي إليه لا يجاوزه ، ولكن مَعْنى المكروهاتِ إلى التَّحريمِ أقربُ ، وفيها قال ابن عمرَ –رضي اللَّه عنهما– وغيرُهُ : يعجبنا أنْ يكونَ بيننا وبينَ الحرامِ سترٌ مِنَ الحلالِ ما يدلّ أنَّ المكروهاتِ صارَ في حدِّ الشبهاتِ ، وقدْ صحَّ عن النبيِّ –صلى اللَّه عليه وسلم– أنَّ : مَنْ اتَّقَى الشبهاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وعِرْضِهِ ."

وروى المروذي في الورع (١٥٦) : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ الْقَطِيعَةَ أَرْفَقُ بِي مِنْ سَائِرِ الْأَسْوَاقِ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي مِنْ أَمْرِهَا شَيْءٌ ، فَقَالَ أَمْرُهَا أَمْرٌ قَدْ تَلَوَّثَ تَعْرِفُهَا لِمَنْ كَانَتْ ، قُلْتُ فَتَكْرَهُ الْعَمَلَ فِيهَا ، قَالَ دَعْ ذَا عَنْكَ ، إِنْ كَانَ لَا يَقَعُ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ ، قُلْتُ : قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي مِنْهَا شَيْءٌ ، فَقَالَ : قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : الْإِثْمُ حَوَّازُ الْقُلُوبِ ، قُلْتُ إِنَّمَا هَذَا عَلَى الْمُشَاوَرَةِ ، قَالَ أَيُّ شَيْءٍ يَقَعُ فِي قَلْبِكَ ، قُلْتُ قَدِ اضْطَرَبَ عَلَيَّ قَلْبِي ، قَالَ الْإِثْمُ حَوَّازُ الْقُلُوبِ) .

(١) وقد سبق الكلام عن المستور ومتى يرتفع عنه الستر في (ص ٣٠١) فراجعها .

[١٣٢] وإن سمعت الرجل يقول : فلان مشبه ، وفلان يتكلم في التشبيه ، فاتهمه واعلم أنه جهمي ، وإذا سمعت الرجل يقول : تكلم بالتوحيد ، واشرح لي التوحيد ، فاعلم أنه خارجي معتزلي(١) أو يقول : فلان مجبر ، أو يتكلم بالإجبار، أو يتكلم بالعدل ، فاعلم أنه قدري لأن هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل الأهواء (٢) .

---

(١) هذا في زمن المؤلف وما قبله ، كان علامة على المعتزلة ، ويقصدون بالتوحيد نفي الصفات ، أما اليوم فهو فيطلقونه على السني الموحد لكثرة انتشار الشرك والمشركين ، **ففي ذم الكلام (١٢٦٠)** روى بسنده عن أبي العباس بن سريج قيل له : ما التوحيد ؟ قال توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتوحيد أهل الباطل الخوض في الأعراض والأجسام وإنما بعث النبي صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك .

(٢) وهذه عبارة ابن المديني تقريبا كما **رواها اللالكائي في السنة (٣٠٦)** عن عَلِيَّ بْنَ الْمَدِينِيِّ قال : (مَنْ قَالَ : فُلَانٌ مُشَبِّهٌ عَلِمْنَا أَنَّهُ جَهْمِيٌّ ، وَمَنْ قَالَ : فُلَانٌ مُجَبِّرٌ عَلِمْنَا أَنَّهُ قَدَرِيٌّ ، وَمَنْ قَالَ: فُلَانٌ نَاصِبِيٌّ عَلِمْنَا أَنَّهُ رَافِضِيٌّ) . .

وقريب منه قول أبي حاتم : علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية يريدون بذلك إبطال الأثر ، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة ، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة ، وَلَا يَلْحَقُ أَهْلَ السُّنَّةِ إِلَّا اسْمٌ وَاحِدٌ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَجْمَعَهُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ. [رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ٢٠٢ - ٢٠٤/ ٣٢٣)]

وذكر اللالكائي أيضا (٩٣٩) عن ابن أبي حاتم قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : عَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ ، تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً ، وَعَلَامَةُ الْقَدَرِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُجْبِرَةً ، وَعَلَامَةُ الْمُرْجِئَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نُقْصَانِيَّةً ، وَعَلَامَةُ الْمُعْتَزِلَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ حَشَوِيَّةً ، وَعَلَامَةُ الرَّافِضَةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ نَابِتَةً .

(قلت) وهذه سنة الزنادقة عموما إلى يومنا هذا ، يسمون أهل السنة الذين أثبتوا الصفات لله تعالى كما يليق به عزوجل بأوصاف تنفر العوام عنهم ، وأبى الله إلا رفعة أهل الحديث والسنة !! وتعالى الله عما يقولون ، بل والله هم المشبهة وما عطلوا حتى شبهوا كما قال أحمد وإسحاق ، والأمر كما قيل : رمتني بدائها وانسلت ، ومن أوائل من عُرف أنه وصف أهل السنة بالمشبهة هو بشر المريسي عليه لعنة الله .

فقد قال الدارمي في كتابه النقض على المريسي (١/ ٣٠٢) : كَيْفَ اسْتَجَزْتَ أَنْ تُسَمِّيَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَهْلَ الْمَعْرِفَةِ بِصِفَاتِ اللَّهِ الْمُقَدَّسَةِ : مُشَبِّهَةً !! إِذْ وَصَفُوا اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي أَسْمَاؤُهَا مَوْجُودَةٌ فِي صِفَاتِ بني آدم تَكْيِيفٍ وَأَنْتَ قَدْ شَبَّهْتَ إِلَهَكَ فِي يَدَيْهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِأَعْمَى وَأَقْطَعَ ، وَتَوَهَّمْتَ فِي مَعْبُودِكَ مَا تَوَهَّمْتَ فِي الْأَعْمَى وَالْأَقْطَعِ فَمَعْبُودُكَ مجدع مَنْقُوص أَعْمَى لَا بَصَرَ لَهُ ، وَأَبْكَمُ لَا كَلَامَ لَهُ ، وَأَصَمُّ لَا سَمْعَ لَهُ ، وَأَجْذَمُ لَا يَدَانِ لَهُ ، وَمُقْعَدٌ لَا حِرَاكَ بِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا بِصِفَةِ إِلَهِ الْمُصَلِّينَ ؟ فَأَنْتَ أَوْحَشُ مَذْهَبًا فِي تَشْبِيهِكَ إِلَهَكَ بِهَؤُلَاءِ الْعِمْيَانِ وَالْمَقْطُوعِينَ ، أَمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ مُشَبِّهَةً أَنْ وَصَفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ بِلَا تَشْبِيهٍ ؟) اهـ

قال العجلي معرفة الثقات (١/ ١٩٥ - ١٩٧) : دخلت على أحمد بن حنبل ، وأحمد بن نوح ، وهما محبوسان بالصور ، فسألت أحمد بن نوح : كيف كان يفسده ؟ يعني أحمد وأحمد قريب منا يسمع قال : لما امتحن أحمد جمع له كل جهمي ببغداد فقال بعضهم : إنه مشبه ، فقال إسحاق بن إبراهيم والي بغداد : أليس يقول {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ؟ قال : بلى {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } قالوا : شبه قال : أي شيء أردت بهذا ؟ قال : ما أردت شيئًا ، قلت : كما قال القرآن .

ومن فضائح الجهمية المخزية **ما جاء في كتاب العلو (٥٠٨)** قَالَ ابْن أبي حَاتِم فِي الرَّد على الْجَهْمِية : حَدثنَا أَحْمد بن سِنَان

الوَاسِطِيّ قَالَ بَلغنِي عَن ابْن أبي دؤاد يَعْنِي قَاضِي أَيَّام المحنة أنه قَالَ ثَلَاثَة من الْأَنْبِيَاء مشبهة عِيسَى بن مَرْيَم عَلَيْهِ السَّلَام حَيْثُ يَقُول {**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفسك**} ومُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام حَيْثُ يَقُول {**رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْك**} وَمُحَمّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم حَيْثُ قَالَ : (**إِنَّكُم ترَوْنَ ربكُم**) قَالَ هَذَا كفر صراح أَو فالتشبيه بِهَذَا الِاعْتِبَار حق ، فتعالى الله عَمَّا يَقُول الجاحدون علوا كَبِيرا) اهـ .

وقال الإمام أحمد : وأما الجهمية : فإنهم يسمون أهل السنة مشبهة، وكذبت الجهمية أعداء اللَّه بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب افتروا على اللَّه الكذب وقالوا على اللَّه الزور والإفك وكفروا في قولهم ، وأما الرافضة : فإنهم يسمون أهل السنة ناصبة وكذبت الرافضة ، بل هم أولى بهذا الاسم إذ ناصبوا أصحاب محمد صلى اللَّه عليه وسلم السب والشتم وقالوا فيهم غير الحق ونسبوهم إلى غير العدل كذبًا وظلمًا ، وجرأة على اللَّه واستخفافًا لحق الرسول ، واللَّه أولى بالتغيير والانتقام منهم ، وأما الخوارج : فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة مرجئة ، وكذبت الخوارج ، بل هم المرجئة يزعمون أنهم على إيمان دون الناس ومن خالفهم كفار ، وأما أصحاب الرأي والقياس : فإنهم يسمون أصحاب السنة نابتة وكذب ، أصحاب الرأي أعداء اللَّه ، بل هم النابتة تركوا أثر الرسول صلى اللَّه عليه وسلم وحديثه وقالوا بالرأي ، وقاسوا الدين بالاستحسان ، وحكموا بخلاف الكتاب والسنة ، وهم أصحاب بدعة جهلة ضلال طلاب دنيا بالكذب والبهتان ، فرحم اللَّه عبدًا قال بالحق ، واتبع الأثر ، وتمسك بالسنة ، واقتدى بالصالحين ، وجانب أهل البدع وترك مجالستهم ومحادثتهم أحتسابًا وطلبًا للقربة من اللَّه وإعزاز دينه ، وما توفيقنا إلا باللَّه) . [أنظر : مسائل حرب (ص٣٥٥ – ٣٦٦) وطبقات الحنابلة (١/٥٤ – ٧٤) والجامع لعلوم أحمد (٣/٢٣)]

وقد وردت في رواية ابن جعفر الإصطخري في طبقات الحنابلة زيادة في آخرها : **اللهم ادحض باطل المرجئة ، وأوهن كيد القدرية ، وأزل دولة الرافضة ، وامحق شبه أصحاب الرأي ، واكفنا مؤنة الخارجية وعجل الانتقام من الجهمية** .

وروى اللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/ ٥٨٨/٩٣٨) عن إسحاق بن راهوية قال : علامة جهم وأصحابه : دعواهم على أهل الجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة ، بل هم المعطلة ، ولو جاز أن يقال لهم : هم المشبهة لاحتمل ذلك ، وذلك أنهم يقولون : إن الرب تبارك وتعالى في كل مكان بكماله في أسفل الأرضين ، وأعلى السموات ، على معنى واحد ، وكذبوا في ذلك ولزمهم الكفر) .

قال الصابوني في عقيدة السلف (ص.٣٠٥) وكل ذلك عصبية ، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ، وهو أصحاب الحديث ، قلت : أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اقتسموا القول فيه : فسماه بعضهم ساحرا ، وبعضهم كاهنا ، وبعضهم شاعرا ، وبعضهم مجنونا ، وبعضهم مفتونا ، وبعضهم مفتريا مختلقا كذابا وكان النبي صلى الله عليه وسلم من تلك المعائب بعيدا بريئا ولم يكن إلا رسولا مصطفى نبيا قال الله عز وجل {**انْظُرْ كيف ضربوا لَكَ الْأَمْثَالَ فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً** }

وقال ابن خزيمة في صحيحه (١/٨١) : فَإِنْ كَانَ عُلَمَاءُ الْآثَارِ الَّذِينَ يَصِفُونَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا جَاءَ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُشَبِّهَةً عَلَى مَا يَزْعُمُ الْجَهْمِيَّةُ الْمُعَطِّلَةُ ، فَكُلُّ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إِذَا قَرَءُوا كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنُوا بِهِ بِإِقْرَارٍ بِاللِّسَانِ وَتَصْدِيقٍ بِالْقَلْبِ ، وَسَمَّوُا اللَّهَ بِهَذِهِ الْأَسَامِي – الَّتِي خَبَّرَ اللَّهُ بِهَا أَنَّهَا لَهُ أَسَامِي – وَسَمَّوْا هَؤُلَاءِ الْمَخْلُوقِينَ بِهَذِهِ الْأَسَامِي الَّتِي سَمَّاهُمُ اللَّهُ بِهَا هُمْ مُشَبِّهَةٌ فَعَوْدُ مَقَالَتِهِمْ هَذِهِ تُوجِبُ أَنَّ عَلَى أَهْلِ التَّوْحِيدِ الْكُفْرَ بِالْقُرْآنِ ، وَتَرْكَ الْإِيمَانِ بِهِ ، وَتَكْذِيبَ الْقُرْآنِ بِالْقُلُوبِ ، وَالْإِنْكَارَ بِالْأَلْسُنِ ، فَأَقْذِرْ بِهَذَا مِنْ مَذْهَبٍ ، وَأَقْبِحْ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ عِنْدَهُمْ ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ ، وَعَلَى مَنْ يُنْكِرُ جَمِيعَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ ، وَالْكُفْرَ بِجَمِيعِ مَا ثَبَتَ عَنْ نَبِيِّنَا الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَقْلِ أَهْلِ الْعَدَالَةِ مَوْصُولًا : إِلَيْهِ فِي صِفَاتِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا) اهـ

وجاء في جزء ذكر أبي القاسم الطبراني لابن منده (١/٣٥٦) قال يحي ابن منده : وَمن طَرِيقَته المستقيمة وأفعاله الحميدة إنْزَال مشائخة منَازِل الْأَئِمَّة السّلف ووقيع الزَّنَادِقَة من أهل الْبدع فِيهِ وتسميتهم إِيَّاه مشبها كَمَا سَمِعت الإِمَام مَسْعُود أَحْمد بن الْفُرَات الرَّازِيّ وَأَبُو الْقَاسِم سُلَيْمَان بن أَحْمد بن أَيُّوب الطَّبَرَانِيّ وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد بن وَلَا أعرف رابعهم فَإِذا رَأَيْتُمْ من يَقع فيهم

قال عبد الله بن المبارك : لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئا(١) ولا عن أهل الشام في السيف (٢) شيئا ولا عن أهل البصرة في القدر شيئ (٣)

= أَو فِي وَاحِد مِنْهُم فاعلموا انه على غير الطَّرِيق قَالَ الإِمَام عمي رَحمَه الله أخبرت عَن أبي عبد الله الشعار انه قَالَ انبا أَحْمد بن هَارُون البردعي قَالَ سَمِعت أَبَا زرْعَة الرَّازِيّ يذكر عَن مُحَمَّد بن أبان قَالَ سَمِعت وَكِيع بن الْجراح رَحْمَة الله عَلَيْهِ يَقُول من عَلامَة الْجَهْمِية أَن يسموا أَصْحَاب الحَدِيث مشبهة وَكَذَلِكَ قَالَ عبد الله بن الْمُبَارك ووهب بن جرير وَعَاصِم النَّبِيل وَأحمد بن حَنْبَل وَإِسْحَاق بن رَاهَوَيْه وقتيبة بن سعيد وَعتبَة بن وهب وَحرب بن إِسْمَاعِيل وَأَبُو مَسْعُود الرَّازِيّ وَأَبُو حَاتِم الرَّازِيّ وَأَبُو زرْعَة الرَّازِيّ وَبشر بن الْوَلِيد وَعبد الله بن مُحَمَّد بن النُّعْمَان وَغَيرهم من أَئِمَّة الدّين رَحْمَة الله عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ ومقصودنا من إِيرَاد هَذَا الْفَصْل ان الإِمَام أَبَا الْقَاسِم الطَّبَرَانِيّ رَحمَه الله قد أَقَامَ نَفسه بِمَا قد نسبه أهل الْبدع وَالْخلاف اقْتِدَاء بالأئمة السّلف وَالصَّالِحِينَ قبله بِهَذِهِ النِّسْبَة إِلَيْهِم مَعَ أَن المبتدعة والمخالفين لَهُ كَانُوا يموتون على علو إِسْنَاده وَكَثْرَة أَحَادِيثه وَقد سمعُوا مِنْهُ ورووا عَنهُ مَعَ هَذَا ويطعنون عَلَيْهِ ويزعمون انه كَانَ حشويا وَهل يضر الْقَمَر نباح الْكَلْب) اهـ

وقال الأصبهاني في الحجة (٢/٥٤٠) : وَإِذا رَأَيْت الرجل يُسَمِّي أهل الحَدِيث حشوية ، أَو مشبهة ، أَو ناصبة فَأعْلم أَنه مُبْتَدع ، وَإِذا رَأَيْت الرجل يَنْفِي صِفَات الله، أَو يشبهها بِصِفَات المخلوقين فَأعْلم أَنه ضال) اهـ .

(١) انتشر الرفض في الكوفة أول ما ظهر ، ولهذا ألصق ذكره بالكوفة ، بل وجد جماعة كثيرة منتسبين للحديث والرواة الكوفيين فيهم تشيع ويتعرضون لبعض الصحابة ولعل هم من قصدهم ابن المبارك لأن الفتنة بهم تكون أعظم من الرافضي البحت ، ولهذا كان من فقه أهل السنة إن دخلوا الكوفة أكثروا من أحاديث فضائل الصحابة وخاصة فضائل عثمان رضي الله عنه ، لأنه أكثر من تعرض للسب في الكوفة ، فعَنْ عَمْرِو بْنِ حَسَّانٍ قَالَ: كَانَ سُفْيَانُ نِعْمَ الْمُدَاوِي ، إِذَا دَخَلَ الْبَصْرَةَ حَدَّثَ بِفَضَائِلِ عَلِيٍّ ، وَإِذَا دَخَلَ الْكُوفَةَ حَدَّثَ بِفَضَائِلِ عُثْمَانَ . [حلية الأولياء (٧/ ٢٦، ٢٧)]

وعن أبي حمزة الأعور قال : لما كثرت المقالات بالكوفة أتيت بابراهيم النخعي فقلت يا أبا عمران ما ترى ما ظهر بالكوفة من المقالات فقال (أوه رققوا قولا واخترعوا دينا من قبل أنفسهم ليس في كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا هو الحق ما خالفه باطل والله لقد تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم فإياك وإياهم) [ذم الكلام (٨٤١)]

(٢) بدعة الخوارج لم يكن بدأها بالشام ، فلعله يقصد أفرادا منهم لم أهتد لأسماءهم ، أو أنه يقصد مذهب الشاميين في الطاعة المطلقة في القتال مع السلطان ، فإنهم قاتلوا مع معاوية عليا رضي الله عنهما ، ومن يومها وهم يقاتلون مع الحاكم أيًّا كان .

(٣) وقد ظَهرت بِدعَة الْقدر بشكل وَاضح فِي البصرة ، وهي من أوائل البدع ولهذا ألصق ذكرها بالبصرة ، كما روى مُسلم عَن يحيى بن يعمر قَالَ : (**كَانَ أول من تكلم فِي الْقدر بِالْبَصْرَةِ معبد الْجُهَنِيّ**) وسبب التصاقه بالبصرة ما قال داود بنْ أبي هند : إِنَّمَا فَشَا الْقَدْرُ فِي الْبَصْرَةِ لَمَّا أَسْلَمَ النَّصَارَى وَاليَهُودُ، لأَنَّ الْقَدَرَ مَقَالَةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . [الطيوريات (١٢١٧)]

وقد روى الآجري في الشريعة (٢٤٣/٠) واللالكائي في السنة (٧٥٠/٤) بإسناد جيد عن الأوزاعي أنه قال : (أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له : سوسن كان نصرانيا فأسلم ، ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد)

(**قلت**) وَحَاصِل قَوْلهم فِي الْقدر هُوَ إِنْكَار علم الله السَّابِق بالحوادث ، وَأَن العَبْد هُوَ الَّذِي يخلق فعل نَفسه فأثبتوا بذلك مَعَ الله خَالِقًا آخر ، فهذا كان أول مقالتهم ، وجحود العلم كفر كما صرح أهل الحديث ، ثم نشأت بعدهم القدرية المبتدعة التي اكتفت بنفي خلق أفعال العباد وهؤلاء لك يكفرهم أكثر السلف .

ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئا(١) ولا عن أهل مكة في الصرف(٢) ولا عن أهل المدينة في الغناء (٣) لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئا (٤).

---

(١) وأول ما ظهرت بدعة الإرجاء بعد فتنة ابن الأشعث سنة (٨٣هـ) وقيل إن أول من قال به هو ذر بن عبد الله المرهبي الهمذاني ولكن التصق ذكرها بالكوفة بسبب أبي حنيفة ، فأهل خراسان أغلبهم من أتباع أبي حنيفة الجهمي المرجئ ، فكان أهل خراسان مرجئة غالباً .

(٢) الظاهر أنه يقصد صرف العملات لأن مكة تفد إليها جميع فئات المسلمين من كل بلد ، وكل فئة معها عملة ، فكانت الضرورة تلجئهم إلى أن يتساهلوا في الصرف ، ولعل بسبب ذلك هو أن ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يرى الربا إلا في النسيئة وهو كان بمكة .

(٣) ولا يعني هذا أن المدينة اشتهرت بالغناء ، لكن يعني ذلك أنه في فترة من الفترات وجد من تساهلوا في الغناء ، وقد ذكر أبو القاسم بن خرداذبة في كتابه اللهو والملاهي عن بعض أهل المدينة الترخيص في الغناء كإبراهيم بن سعد ، واحتج به على إباحته الغناء !! ولكنه اعترف فقال : (فأما مالك فيقال إنه كان عالما بالصناعة ، وكان مذهبه تحريمها) وذكر ابن الأبار في تكملة الصلة (٣٤١/٤) أن بعض بنات هارون الرشيد ذهبت للمدينة فتعلمت الغناء !! وذكر صاحب كتاب الأغاني أن أول من تغنى بالإيقاع رجل اسمه طويس بالمدينة ، وسيأتي أن من أخذ بهذه الزلات الشنيعة يعدُّ فاسقا من كلام الأوزاعي وأحمد ، بل أنكر مالك أن يقول به أحد من أهل العلم ونسبه للفسقة ، **كما قال عبد اللّه في علله** (١٥٨١) حدثني أبي قال : حدثنا إسحاق الطباع قال : سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق .

وروى الخلال في الأمر بالمعروف (ص٦٥) وَأَخْبَرَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْمُنْذِرِ [وهو مدني] وَسُئِلَ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتُمْ تَتَرَخَّصُونَ فِي الْغِنَاءِ ؟ فَقَالَ: « مَعَاذَ اللَّهِ ، مَا يَفْعَلُ هَذَا عِنْدَنَا إِلَّا الْفُسَّاقُ »

(قلت) وهذه من الإمام مالك وإبراهيم ضربة لها وقع شديد على مبيحي الغناء ، ممن ينتسب للعلم كذبا أو للمالكية زورا !! وعلى رأسهم ابن حزم الجهمي قديما إلى الغزالي والقرضاوي حديثا ، وهم زنادقة قبل هذا الإستحلال .

(٤) وهذا الذي ذكره ابن المبارك يسمى (بدع البلدان)كما أن للأفراد بدع خاصة عرف بها رؤوسهم ، ويشير المؤلف أيضا بذكره قول ابن المبارك والذي لم أجده إلا عنده ، إلى قضية تتبع الرخص المذموم وجمع زلات العلماء ، وهذا الذي وصفه الكثير من السلف بأنه بريدٌ للزندقة ، وقد وري نحو كلام ابن المبارك عن الأوزاعي كما في السنن الكبرى (٢٠٩١٩) بسنده عن الْأَوْزَاعِيَّ يَقُولُ : **يُتْرَكُ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ مَكَّةَ : الْمُتْعَةُ وَالصَّرْفُ ، وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ : السَّمَاعُ وَإِتْيَانُ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ ، وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الشَّامِ : الْجَبْرُ وَالطَّاعَةُ ، وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ : النَّبِيذُ وَالسَّحُورُ** " .

وروى عنه أيضا البيهقي (٢٠٩٢٠) رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ : نَجْتَنِبُ أَوْ نَتْرُكُ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ خَمْسًا : وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحِجَازِ خَمْسًا ، مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْعِرَاقِ : شُرْبَ الْمُسْكِرِ ، وَالْأَكْلَ فِي الْفَجْرِ فِي رَمَضَانَ ، وَلَا جُمُعَةَ إِلَّا فِي سَبْعَةِ أَمْصَارٍ ، وَتَأْخِيرَ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى يَكُونَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ أَرْبَعَةَ أَمْثَالِهِ وَالْفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْحِجَازِ اسْتِمَاعَ الْمَلَاهِي ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ، وَالْمُتْعَةَ بِالنِّسَاءِ ، وَالدِّرْهَمَ بِالدِّرْهَمَيْنِ ، وَالدِّينَارَ بِالدِّينَارَيْنِ يَدًا بِيَدٍ ، وَإِتْيَانَ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ ."

ونحوه قال الإمام أحمد سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْقَطَّانَ يَقُولُ : لو أن رجلا عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ ، وأهل المدينة في السماع (يعني الغناء) وأهل مكة في المتعة كان فاسقًا. [رواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٧١)]

قد نهى السلف بشدة عن تتبع الرخص رموا من تتبعها بالعظائم ، وورد في هذا الباب أحاديث وآثار كثيرة ، أذكر منها مختارات إنتخبتها :

الأصل في هذا الباب حديث معاذ رضي الله عنه عنه في فضل من قال الشهادة وجاء في آخره : **فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ ؟ قَالَ : لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**) . **وقد بوب له معمر في جامعه** : [بَابُ الرُّخَصِ وَالشَّدَائِدِ]

في سنن الدارمي (٧١/١) وجامع بيان العلم (١٣٥/٢) قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي اللَّه عنه –: (**ثلاثة يهدمن الدين : زلَّة العالم ، وجدال المنافق وأئمة مضلون**) (**قلت**) فتتبع هذه الزلات من المعضلات .

روى ابن الجعد في مسنده (**١٣١٩**) والخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٦٥) وأبو نعيم في الحلية (٣٢/٣) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٧٦٦) قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : « **لَوْ أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ كُلِّ عَالِمٍ أَوْ زَلَّةِ كُلِّ عَالِمٍ اجْتَمَعَ فِيكَ الشَّرُّ كُلُّهُ** » قَالَ أَبُو عُمَرَ معلقا : « هَذَا إِجْمَاعٌ لَا أَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ »

وروى الخلال (ص٦٥) **وَأَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ** : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ يَحْيَى الْقَطَّانَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ رَجُلًا ، عَمِلَ بِكُلِّ رُخْصَةٍ : بِقَوْلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي النَّبِيذِ ، وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي السَّمَاعِ – يَعْنِي الْغِنَاءَ – وَأَهْلِ مَكَّةَ فِي الْمُتْعَةِ، أَوْ كَمَا قَالَ: لَكَانَ بِهِ فَاسِقًا "

وروى الخلال (ص٦٦) **أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ الْمَرُّوذِيُّ** قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : « إِذَا أَخَذْتَ بِرُخْصَةِ الْعُلَمَاءِ كَانَ فِيكَ شَرُّ الْخِصَالِ »

وعن ابن مبارك أخبرني المعتمر بن سليمان قال : رآني أبي وأنا أنشد الشعر فقال لي يا بني لا تنشد الشعر فقلت له يا أبت كان الحسن ينشد وكان ابن سيرين ينشد فقال لي أي بني إن أخذت بشر ما في الحسن وبشر ما في ابن سيرين اجتمع فيك الشر كله . [الموافقات (٤/ص١٦٩)]

وقال إبراهيم بن أبي علية : **من تبع شواذ العلم ضلَّ** . [ذيل تذكرة الحفاظ (١٨٧)]

وقال الإمام الأوزاعي : **من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام** . [السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٩١٨) والشعب (١٧٧٨)]

وقال الأوزاعي : **من أخذ بنوادر العلماء فبفيه الحجر** .[شعب الإيمان (١٩٢٣)]

وروي عن إبراهيم بن أدهم قوله : **إذا حملت شاذ العلماء حملت شراً كثيراً** . [رواه في جامع بيان العلم (١٦٠/٢)]

روى أبو نعيم في الحلية (٣٦١/١٠) والبيهقي في الشعب (١٧٠٣) عن إِبْرَاهِيمَ بْنَ شَيْبَانَ يَقُولُ : **مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَطَّلَ وَيَتَبَطَّلَ فَلْيَلْزَمِ الرُّخَصَ** .

قال مالك : « ربما مر بي زياد مولى ابن عياش فيضع يده بين كتفي ويقول: عليك بالجد فإن كان ما يقول أصحابك من الرخص حقاً لم يضرك ، وإن كان الأمر على غير ذلك كنت قد أخذت بالجد ، يريد ما يقول ربيعة وزيد بن أسلم ».

قال مالك : إذا رأيت هذه الأمور التي فيها الشكوك فخذ في ذلك بالذي هو أوثق » [مسند الجوهري (٣٧١) والمعرفة والتاريخ للفسوي (٦٦٧/١)]

روى البيهقي في سننه الكبرى (**٢٠٩٢١**) **عن إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِسْحَاقَ الْقَاضِي قال** : دَخَلْتُ عَلَى الْمُعْتَضِدِ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا

نَظَرْتُ فِيهِ ، وَكَانَ قَدْ جَمَعَ لَهُ الرُّخَصَ مِنْ زَلَلِ الْعُلَمَاءِ ، وَمَا احْتَجَّ بِهِ كُلٌّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، **مُصَنِّفُ هَذَا الْكِتَابِ زِنْدِيقٌ** ، فَقَالَ أَلَمْ تَصِحَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ ؟ قُلْتُ : الْأَحَادِيثُ عَلَى مَا رُوِيَتْ ، وَلَكِنْ مَنْ أَبَاحَ الْمُسْكِرَ لَمْ يُبِحِ الْمُتْعَةَ ، وَمَنْ أَبَاحَ الْمُتْعَةَ لَمْ يُبِحِ الْغِنَاءَ وَالْمُسْكِرَ ، وَمَا مِنْ عَالِمٍ إِلَّا وَلَهُ زَلَّةٌ ، وَمَنْ جَمَعَ زَلَلَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ أَخَذَ بِهَا ذَهَبَ دِينُهُ " ، فَأَمَرَ الْمُعْتَضِدُ فَأُحْرِقَ ذَلِكَ الْكِتَابُ ."

وفي السنة للخلال (٨١٢) قَالَ المروذي : فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدِ انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ أَبِي هَمَّامٍ ، فَقَالَ : أَيْشٍ حَدَّثَكُمُ الْيَوْمَ ؟ فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ فَنَظَرَ فَإِذَا فِيهِ أَحَادِيثُ رُخْصَةُ مَنْ كَانَ يَرْكَبُ الْأُرْجُوَانَ ، فَغَضِبَ وَقَالَ : هَذَا زَمَانٌ يُحَدَّثُ بِمِثْلِ هَذِهِ الرُّخَصِ !!) .

وفي الشعب (١٧٠٢) وطبقات السلمي (١٦٩/١) عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : الْفِتَنُ ثَلَاثَةٌ : فِتْنَةُ الْعَامَّةِ مِنْ إِضَاعَةِ الْعِلْمِ وَفِتْنَةُ الْخَاصَّةِ مِنَ الرُّخَصِ وَالتَّأْوِيلَاتِ ، وَفِتْنَةُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ أَنْ يَلْزَمَهُمْ حَقٌّ فِي وَقْتٍ فَيُؤَخِّرُوهُ إِلَى وَقْتٍ ثَانٍ ."

روى ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٢٠) عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ : ذَكَرْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ الرُّخَصَ فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ الْمَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالْأَمْرِ فَيُقَصِّرُ فِي الطَّيَرَانِ فَيُقَصُّ جَنَاحَهُ ، وَلَا يُصْعِدُهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ »

وروى أبو نعيم في الحلية (٣٦١/١٠) وطبقات السلمي (٣٠٤/١) عن إِبْرَاهِيم بْن شَيْبَان يَقُولُ : الْمُتَعَطِّلُ مَنْ لَزِمَ الرُّخَصَ مُعْتَنِقًا لِلْمَلَاذِ وَالْمَلَاهِي وَأَخْلَى قَلْبَهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ لِأَنَّ الْخَوْفَ يَدْفَعُ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَيَقْطَعُ عَنِ السُّلُوِّ وَالْغَفَلَاتِ »

وقال أيضا : " مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَعَطَّلَ وَيَتَبَطَّلَ فَلْيَلْزَمِ الرُّخَصَ ."

وروى الأصبهاني في سير السلف الصالحين (١٢١٨/١) وطبقات السلمي (٣٤٧/١) عن عبد الله بن خفيف قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرُّ بِالْمُرِيدِ مِنْ مُسَاعَدَةِ النَّفْسِ فِي رُكُوبِ الرُّخَصِ ، وَقَبُولِ التَّأْوِيلَاتِ .

وهنا تنبيه على ذم التحديث بالرخص للعوام وخاصة في هذا الزمن :

وقد رُوي بسند باطل عن علي قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُنَا أَنْ نُبْهِمَ أَحَادِيثَ الرُّخَصِ . [رواه الطبراني في الصغير (٩٠٦) وابن عدي (١/ ٢٩٨) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢٠٥/٢) وأبو الفرج الثقفي في فوائده (١٣٨) وقد حسن إسناده !! والخطيب في التاريخ (٥/ ١٨٨) وقال ابن عدي : وهذا الحديث بهذا الإسناد عن شعبة غير محفوظ ليس يرويه غير إسماعيل بن يحيى". قال في الفتح (١٥/ ٦٤) : سنده راو كذبوه " وقد جاء في المجمع (١/ ١٠١) : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ ، وَفِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى التَّيْمِيُّ كَذَّابٌ لَا تَحِلُّ الرِّوَايَةُ عَنْهُ]

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

قَالَ عَلِيٌّ : تُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ . [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ]

وروى الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٣٢٧) عن الْوَلِيدَ بْنَ مُسْلِمٍ قال : شَهِدْتُ مَجْلِسًا فِيهِ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ وَمَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَهَؤُلَاءِ أَفَاضِلُ مَنْ بَقِيَ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى كِتْمَانِ الْحَدِيثِ فِي الرُّخْصَةِ فِي النَّبِيذِ وَإِظْهَارِ الْحَدِيثِ فِي التَّشْدِيدِ فِيهِ وَالْكَرَاهِيَةِ »

علق ذاك الخطيب عليه : وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا فِي رِوَايَتِهِ لِلْعَوَامِّ أَحَادِيثَ الرُّخَصِ .

وروى الخلال في السنة (٨١٢) قَالَ أَبُو بَكْرٍ المروذي : فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَدِ انْصَرَفْتُ مِنْ عِنْدِ أَبِي هَمَّامٍ فَقَالَ: أَيْشٍ حَدَّثَكُمُ الْيَوْمَ ؟ فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَنَظَرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَحَادِيثُ ، رُخْصَةُ مَنْ كَانَ يَرْكَبُ الْأُرْجُوَانَ ، **فَغَضِبَ وَقَالَ** :

هَذَا زَمَانٌ يُحَدَّثُ بِمِثْلِ هَذِهِ الرُّخَصِ !! .

روى ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٢٠) عَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ : **ذُكِرَتْ عِنْدَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ الرُّخَصَ** فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُ الْمَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِالْأَمْرِ، فَيُقَصِّرُ فِي الطَّيَرَانِ ، فَيَقُصُّ جَنَاحَهُ، وَلَا يُصْعِدُهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

وروى أبو الحسين الطيوري في الطيوريات (١٣٤١) بسند لا يثبت عن سفيان الثَّوريِّ قال : أَحَادِيثُ الرُّخَصِ كُلُّها مَنْسوخةٌ نَسَخَتْها الحدُودُ والفَرَائِضُ .

روى ابن أبي شيبة (٣٥٦٨٥) عَنْ ثَابِتٍ قَالَ : عِنْدِي مِنَ الرُّخَصِ رُخَصٌ لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِهَا لَاتَّكَلْتُمْ .

قال سحنون : ما أقبح بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيه فيسأل عنه ، فيقال : هو عند الأمير ، هو عند الوزير ، هو عند القاضي ، فإن هذا وشبهه شرٌّ من علماء بني إسرائيل ، وبلغني إنهم يحدثونهم من الرخص ما يحبون ، مما ليس عليه العمل ويتركون ما عليه العمل ، وفيه النجاة لهم ، كراهة أن يشتغلوهم ، ولعمري لو فعلوا ذلك لنجوا ، ووجب أجرهم على الله ، فوالله لقد ابتليت بهذا القضاء وبهم ، ووالله ما أكلت لهم القمة ، ولا شربت لهم شربة ، ولا لبست لهم ثوباً ، ولا ركبت لهم دابة ، وما أخذت لهم صلة . [ترتيب المدارك (٧٧/٤)]

قال ذاك الخطيب في الجامع (١٣٢٦) : " وَمِمَّا رَأَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ الصُّدُوفَ عَنْ رِوَايَتِهِ لِلْعَوَامِّ أَوْلَى أَحَادِيثِ الرُّخَصِ وَإِنْ تَعَلَّقَتْ بِالْفُرُوعِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا دُونَ الْأُصُولِ .

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١٩٥/٤) : لا يجوز للمفتي تتبع الحيل المحرمة والمكروهة ، ولا تتبع الرُّخص لمن أراد نفعه فإن تتبع ذلك فسق وحرم استفتاؤه ، فإن حَسُنَ قصدُه في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة لتخليص المستفتي بها من حرج جاز ذلك ، بل استُحِبَّ ، وقد أرشد اللَّه – تعالى – نبيه أيوب – عليه السلام – إلى التخلُّص من الحِنْث بأن يأخذ بيده ضغثاً فيضرب به المرأة ضربة واحدة وأرشد النبي بلالاً إلى بيع التمر بدراهم ثم يشتري بالدراهم تمراً آخر ، فيتخلص من الربا فأحسن المخارج ما خلص من المآثم ، وأقبح الحيل ما أوقع في المحارم ، أو أسقط ما أوجبه اللَّه ورسوله من الحق اللازم .

الرخصة الشرعية التي يفتي بها الثقة العالم :

أما إذا كانت الرخصة شرعية وأفتى بها إمام من السلف ثقة ، فلا تدخل في هذا الباب :

قَالَ سفيان الثَّوْرِيُّ : " **أَمَّا الْعِلْمُ عِنْدَنَا الرُّخْصُ عَنِ الثِّقَاتِ ، أَمَّا التَّشْدِيدُ ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحْسِنُهُ** . [الحلية (٣٦٧/٦) شرح السنة (٢٩٠/١)]

وقال أبو الأحوص : سئل سحنون عما يأتيه به أهل الشام ، من الرخص في الفتيا قال سحنون : يؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم في دينهم المحسوس بخيرهم فإن أخذوا بالتشديد ، فعن علم ، وإن أخذوا بالرّخص فعن علم . [ترتيب المدارك (٣٩٣/٤)]

[تنبيه] : يستثنى من أحاديث الرخص : ما يجلب حسن الظن بالله للميت وهو يحتضر أو من يخاف عليه القنوط .

روى أبو نعيم في الحلية (٢١٧/٦) عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ السَّائِحُ قَالَ : كَانَ عَطَاءٌ السَّلِيمِيُّ ، يَقُولُ : **الْتَمِسُوا لِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ فِي الرُّخَصِ عَسَى اللهُ أَنْ يُرَوِّحَ عَنِّي مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْغَمِّ** .

وروى ابن الجوزي في المدهش (ص٣٥٢) : قالَ سُلَيْمَان التَّيْمِيّ لِابنه عِنْد الْمَوْت اقْرَأ عَليّ أَحَادِيث الرُّخص لآلقى الله وَأَنا حسن الظَّن بِهِ إِلَى مَتى تتعب الرَّوَاحِل لَا بُد من مناخ .

وجاء في السير (٢٤٧/٦) وَيُقَالُ : نَسِيَ عَطَاءٌ الْقُرْآنَ مِنَ الخَوْفِ وَيقُوْلُ : الْتَمِسُوا لِي أَحَادِيْثَ الرُّخَصِ ، لِيخِفَّ مَا بِي.

[١٣٣] وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة (١) وأنس بن مالك (٢) وأسيد بن حضير (٣) فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله (٤) .

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٣) دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأبي هريرة وأمه حين أسلمت أن يُحَبِّبهما الله تعالى إلى المؤمنين ، ويحبب المؤمنين إليهما ، فما على وجه الأرض مؤمن إلاَّ وهو يُحِبُّ أبا هريرة . **(قلت)** فمفهوم هذا الحديث أن من أبغضه فليس بمؤمن ، بل منافق زنديق ، والجهمية يظهرون بغضهم لهذا الصحابي الحافظ الكبير الذي أزعجهم بأحاديث التوحيد والصفات ، ولا زال أهل البدع والمستشرقين والزنادقة يحاولون الطعن فيه فما قدروا على ذلك ، ولهذا ركز أهل الحديث على جعل بابا خاصا لمناقبه وأنَّ حبه علامة على السنة في كتب العقائد ، فمن ذلك : **ما رواه اللالكائي في السنة (٤٢٣/٣)** في عقيدة ابن المديني أنه قال : (وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة ويدعو له ويترحم عليه ، فارج خيره واعلم أنه برئ من البدع) .
(قلت) وقد ذكر ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٧٦/١) طعونات المعتزلة أيضا عليه ورميه بالكذب لعنهم الله جميعا .
وقد عقد الدارمي في النقض (٦١٧/٢) بابا في الذب عن أبي هريرة من طعونات المريسي الكافر العنيد ورد شبهاته وذكر سبب توجه الجهمية والزنادقة إليه فقال : وَإِنَّهُ لَمِنْ أَصْدَقِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْفَظِهِمْ عَنْهُ وَأَرْوَاهُمْ لِنَوَاسِخِ أَحَادِيثِهِ ، وَالْأَحْدَثِ فَالْأَحْدَثِ مِنْ أَمْرِهِ : لِأَنَّهُ أَسْلَمَ قَبْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم بِنَحْوٍ من ثَلَاثِ سِنِينَ بَعْدَمَا أَحْكَمَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الحدود وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ)

(٢) وأنس رضي الله عنه أيضا من المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد لازمه عشر سنوات خدمة ، وقد أكثر من رواية أحاديث الصفات وأحاديث الشفاعة التي تبغضها الخوارج وأحاديث العقائد عامة كما تجدها بكثرة في كتب السنة ، فلهذا توجهت إليه أيضا طعونات الزنادقة لإسقاط عدد كبير من الأحاديث التي بنيت عليها أصول الشريعة ، والتي أزعجتهم وأقضت مضاجعهم ، وأكثر من صدر منهم الطعن والتكذيب هم الروافض لعنهم الله ، وادعوا كذبا أن جعفر الصادق رماه بالكذب !! ولازلت هذه التهمة سارية المفعول إلى عصرنا هذا فقد أحياها ذاك الجهمي الكوثري وطعن في عدالة هذا الصحابي الجليل ، فأخزاه الله من جهمي ، وأول من قدح في هذا الصحابي هو ذاك الحجاج السفاح الفاجر ، **فذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٩٦/٩)** عن أبي بكر بن عياش أن أنساً بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : (والله لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموه وأنا خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين) فهذا هو سبب تخصيص المؤلف له بالذكر .

(٣) وقد تبين لي بعد طول بحث سبب تخصيص المؤلف هذا الصحابي بالذكر ، فوجدت أن الروافض تبغضه بسبب موقفه في سقيفة بني ساعدة ، وحثه الأنصار على مبايعة الصديق ، فبايعوه بسببه بعد خلاف طويل حين قال رضي الله عنه : والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معها فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا اليه فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم) اهـ [راجع تاريخ الطبري (٢٢١/٣) وتاريخ الخلفاء (٢٥/١)] ولهذا تبغضه الروافض لأنه لم يشر إلى علي رضي الله عنه ، فإذا رأيت من يتعرض له فاعلم أنه رافضي.

(٤) وبسبب ما ذكرناه من علة تخصيص هؤلاء الصحابة الثلاثة ، صار ذكرهم بخير علامة على السنة ، والعكس صحيح .

وإذا رأيت الرجل يحب أيوب ، وابن عون ، ويونس بن عبيد ، وعبد الله بن إدريس الأودي ، والشعبي ، ومالك بن مغول ، ويزيد بن زريغ ، ومعاذ بن معاذ ، ووهب بن جرير ، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد ، ومالك بن أنس ، والأوزاعي ، وزائدة بن قدامة ، فاعلم أنه صاحب سنة ، وإذا رأيت الرجل يحب الحجاج بن المنهال ، وأحمد بن حنبل ، وأحمد بن نصر ، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله إذا ذكرهم بخير ، وقال بقولهم (١).

---

(١) **وهذا هو شرط الإنتساب للسلف** ، بحبهم والثناء عليهم ، ولا يكفي ذلك حتى يقول بقولهم ، وإلا كذب في دعواه ، وكل هؤلاء ممن ذكر البربهاري من أعلام السنة والحديث ، فهم رموز عليها ، فالكلام فيهم يُعَدُّ قدحًا في السنة لأنهم حَمَلَتُها ، وأهل الزندقة أرادوا بالطعن فيهم إسقاط السنن ، وبثّ الشك في نفوس الناس فيما ينقله أهل الحديث ، وكل واحد ممن ذكره المؤلف جاء فيه نص خاص بأنه من قدح فيه متهم على الإسلام ، وأنه يمتحن به الناس ويعرف به السني من المبتدع ، ولولا خشية الإطالة لذكرت في كل اسم ذكره المؤلف نصا خاصا فيه .

قال ابن المديني : وإذا رأيت الرجل يعتمد من أهل البصرة على أيوب السختياني وابن عون ويونس والتيمي ويحبهم ويكثر ذكرهم والاقتداء بهم فارج خيره ، ثم من بعد هؤلاء حماد بن سلمة ومعاذ ووهب بن جرير فإن هؤلاء محنة أهل البدع ، وإذا رأيت الرجل من أهل الكوفة يعتمد على طلحة بن مصرف وابن أبجر وابن حيان التيمي ومالك بن مغول وسفيان بن سعيد الثوري وزائدة فارجه ، ومن بعدهم عبد الله بن إدريس ومحمد بن عبيد وابن أبي عتبة والمحاربي فارجه . [السنة للالكائي (٤٢٣/٣)]

وروى اللالكائي في السنة (٥٩) وشرف أصحاب الحديث (٧١ – ٧٢) وذم الكلام (٢٦١) عن قُتَيْبَةَ بن سعيد قال : « إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَهْلَ الْحَدِيثِ مِثْلَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، وَأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ – وَذَكَرَ قَوْمًا آخَرِينَ – فَإِنَّهُ عَلَى السُّنَّةِ ، وَمَنْ خَالَفَ هَؤُلَاءِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ »

قال الإمام الحافظ أبو عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص٣٧ ـ ٣٩) وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة، وعلمائها وأنصارها وأوليائها ، وبغضهم لأئمة البدع ، الذين يدعون إلى النار ، ويدلون أصحابهم على دار البوار ، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلا منه جل جلاله ... ثم روى بسنده عن أحمد بن سلمة قال : قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له ، فكان في آخره : فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، والأوزاعي ، وشعبة ، وابن المبارك ، وأبا الأحوص وشريكا ، ووكيعا ، ويحي بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، فاعلم أنه صاحب سنة .

قال أحمد بن سلمة رحمه الله : فألحقت بخطي تحته : ويحي بن يحي وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، فلما انتهى إلى هذا الموضع نظر إلينا أهل نيسابور وقال : هؤلاء القوم يتعصبون ليحي بن يحي ، فقلنا له : يا أبا رجاء ما يحي بن يحي ؟ قال : رجل صالح إمام المسلمين ، وإسحاق بن إبراهيم إمام ، وأحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلهم ، وأنا [الصابوني] ألحقت بهؤلاء

الذين ذكرهم قتيبة رحمه الله ، أن من أحبهم فهو صاحب سنة ، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون ، وبهديهم يهتدون ، ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يعدون ، وفي اتباعهم آثارهم يجدون ، جماعة آخرين : منهم : محمد بن إدريس الشافعي المطلبي ، الإمام المقدم ، والسيد المعظم ، العظيم المنة على أهل الإسلام والسنة ، الموفق الملقن الملهم المسدد ، الذي عمل في دين الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – من النصر لهما والذب عنهما– ما لم يعمله أحد من علماء عصره ، ومن بعدهم ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي رحمه الله: كسعيد بن جبير ، والزهري ، والشعبي ، والتيمي .

ومن بعدهم : كالليث بن سعد ، والأوزاعي ، والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، ويونس بن عبيد ، وأيوب وابن عون ، ونظرائهم ، ومن بعدهم : مثل يزيد بن هارون، وعبد الرزاق ، وجرير بن عبد الحميد .

ومن بعدهم : مثل محمد بن يحيى الذهلي ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج القشيري ، وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم ، وابنه ، ومحمد بن مسلم بن وارة ، ومحمد بن أسلم الطوسي ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة –الذي كان يدعى إمام الأئمة ، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته– وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي وجدَّيَّ مِنْ قِبَلِ أَبَوَيَّ : أبي سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي ، وعدي بن حمدويه الصابوني ، وولديه سيفي السنة أبي عبد الله الصابوني ، وأبي عبد الرحمن الصابوني ، وغيرهم من أئمة السنة الذين كانوا متمسكين بها ، ناصرين لها ، داعين إليها ، دالين عليها) اهـ .

(قلت) وأزيد هنا شيئا مهما إضافة لما سبق ما قاله ابن بطة : **(إذا رأيت الرجل يحب البربهاري فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله)** . فمن رأيته يبغض أهل الحديث هؤلاء فاعلم أنه مبتدع بل زنديق .

فقد روى الخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٧٣) عن أَحْمَدَ بْنَ سِنَانٍ الْقَطَّانَ يَقُولُ : « لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مُبْتَدِعٌ إِلَّا وَهُوَ **يُبْغِضُ أَهْلَ الْحَدِيثِ** فَإِذَا ابْتَدَعَ الرَّجُلُ نُزِعَ حَلَاوَةُ الْحَدِيثِ مِنْ قَلْبِهِ »

وروى عن أَبِي نَصْرِ بْنَ سَلَّامٍ الْفَقِيهَ قال « لَيْسَ شَيْءٌ أَثْقَلَ عَلَى أَهْلِ الْإِلْحَادِ ، وَلَا أَبْغَضُ إِلَيْهِمْ مِنْ سَمَاعِ الْحَدِيثِ وَرِوَايَتِهِ بِإِسْنَادِهِ »

وعن مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيَّ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَأَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ التِّرْمِذِيُّ ، عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرُوا لِابْنِ أَبِي قُتَيْلَةَ بِمَكَّةَ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ ، فَقَالَ : أَصْحَابُ الْحَدِيثِ قَوْمُ سَوْءٍ ، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ يَنْفُضُ ثَوْبَهُ فَقَالَ: « زِنْدِيقٌ زِنْدِيقٌ ، زِنْدِيقٌ ، وَدَخَلَ بَيْتَهُ »

[١٣٤] وإذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء ، فحذره وعرفه ، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه ، فإنه صاحب هوى (١) .

---

(١) من عقائد أهل الحديث والأثر ، هجر المبتدع وكل ما يتعلق به ، من مجالسة ، ومآكلة أو مكاتبة ، أو قراءة كتبه ، أو سماع كلامه ، ونحو هذا ، فالمبتدع كالمرأة الأجنبية لا يجوز الإقتراب منه ، بل ولا النظر في وجهه ، والأمر كما قال تعالى (**لا تقربوا الزنا**) والنهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء لا يكاد يحصر عدده في النصوص والآثار وقد انتزع المؤلف قضية التعريف ببدعة المبتدع قبل الهجر من مسألة ذكرها المروذي هي : **قال المروذي** : أخبرنا أن أبا عبد اللّه ذكر حارثًا المحاسبي فقال : حارث أصل البلية –يعني حوادث كلام جهم– ما الآفة إلا حارث ، عامة من صحبه أنْبَتَكَ ، إلا ابن العلاف ، فإنه مات مستورًا ، حذروا عن حارث أشد التحذير ، قلت: إن قومًا يختلفون إليه ؟ قال : **نتقدم إليهم لعلهم لا يعرفون بدعته ، فإن قبلوا وإلا هجروا** ، ليس للحارث توبة ، يشهد عليه ويجحد ، إنما التوبة لمن اعترف) اهـ [طبقات الحنابلة (١/١٥٠)]

ومثله ما قال أبو داود : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل البيت مع رجل من أهل البدع ، أترك كلامه ؟ قال : لا ، أو تُعْلِمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة ، فإن ترك كلامه وإلا فألحقه به ، قال ابن مسعود : المرء بخدنه .

[طبقات الحنابلة (١/١٦٠) ومناقب أحمد لابن الجوزي (ص : ٢٥٠)]

أما ما ورد من الكلام العام من تحذير السلف عن مجالسة أهل البدع والأهواء فنذكر من ذلك :

عَنْ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُكْرِمَ دِينَهُ فَلْيَعْتَزِلْ مُخَالَطَةَ السُّلْطَانِ ، وَمُجَالَسَةَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ أَلْصَقُ مِنَ الْجَرَبِ." [أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١٣٧) وبنحوه في سنن الدارمي (٣٠١)]

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ مُمْرِضَةٌ لِلْقُلُوبِ » [الشريعة (١/١٩٦) الإبانة (٢/٤٣٨)]

روى ابن وضاح في البدع والنهي عنها (١٣٩) عَنْ حُمَيْدٍ الْأَعْرَجِ قَالَ : قَدِمَ غَيْلَانُ مَكَّةَ يُجَاوِرُ بِهَا ، فَأَتَى غَيْلَانُ مُجَاهِدًا فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَجَّاجِ ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَنْهَى النَّاسَ عني ، وتذكرني لشيء بلغك عني لا أقوله ، إنما أقول كذا ، فجاء بشيء لا ننكره قال حميد : فَلَمَّا قَامَ قَالَ مُجَاهِدٌ : لَا تُجَالِسُوهُ فَإِنَّهُ قدري . قال حميد : فإني يوماً في الطواف لحقني غيلان من خلفي فجبذ ردائي فالتفت فقال : كيف يقرأ مجاهد حرف كذا وكذا فأخبرته ، فمشى معي فبصرني مُجَاهِدٌ مَعَهُ ، فَأَتَيْتُهُ فَجَعَلْتُ أُكَلِّمُهُ فَلَا يَرُدُّ علي ، وأسأله فلا يجيبني ، قال : فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، فَقُلْتُ : يا أبا الحجاج ، أبلغك عني شيء ؟ أأحدثت حَدَثًا، مَا لِي ؟ قَالَ : أَلَمْ أَرَكَ مَعَ غَيْلَانَ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُكَلِّمُوهُ أَوْ تُجَالِسُوهُ ؟ قال : قلت : والله يَا أَبَا الْحَجَّاجِ مَا أَنْكَرْتُ قَوْلَكَ وَمَا بدأته ، هو بَدَأَنِي . قَالَ : وَاللَّهِ يَا حُمَيْدُ لَوْلَا أَنَّكَ عِنْدِي مُصَدَّقٌ مَا نَظَرْتَ لِي فِي وَجْهٍ مُنْبَسِطٍ مَا عِشْتُ ، وَلَئِنْ عُدْتَ لَا تَنْظُرُ لِي فِي وَجْهٍ مُنْبَسِطٍ مَا عِشْتُ .

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ إِذْ جَاءَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَدَخَلَ، فَلَمَّا جَلَسَ وَضَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهُ فِي بَطْنِهِ وَقَامَ ، فَقُلْتُ لِعَمْرٍو : انْطَلِقْ بِنَا . قَالَ : فَخَرَجْنَا ، فلما مضى عمرو رجعت فقلت : يَا أَبَا بَكْرٍ ، قَدْ فَطِنْتُ إِلَى مَا صنعت ، قال : أوقد فَطِنْتَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَضُمَّنِي مَعَهُ سَقْفُ بَيْتٍ . [أخرجه ابن وضاح في البدع (١٤٠)]

وروى ابن وضاح في البدع (١٤٣) قيل لِحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ : مَا لَكَ لَمْ تَرْوِ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا ؟ قَالَ : مَا أَتَيْتُهُ إِلَّا

مرة واحدة لمساقه فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ أَيُّوبَ علم بإتياني إياه إِلَيْهِ وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ لو علم لكانت الفيصل فيما بيني وبينه .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ قَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ : لَا تَقْرَبَنَّا مَا دُمْتَ عَلَى رَأْيِكَ هَذَا ، وَكَانَ مُرْجِئًا . [رواه ابن وضاح في البدع (١٤٤) وابن سعد في الطبقات (٦ ٢٧٣)]

وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : لَقِيَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ : أَلَمْ أَرَكَ مَعَ طَلْقٍ ؟ قُلْتُ : بَلَى فَمَا لَهُ ؟ قَالَ : لَا تُجَالِسْهُ فَإِنَّهُ مُرْجِئٌ . [أخرجه ابن وضاح في البدع (١٤٥) والدارمي في السنن (٣٩٢) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٢٢٨)]

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : (لَا تُجَالِسْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ وَإِنْ ظَنَنْتَ أَن عنْدك الْجَواب). [ذم الكلام (٢٩٦/٤)]

وَعَنِ الْحَسَنِ قال : لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَإِنَّهُ يُمْرِضُ قَلْبَكَ ". [ورواه ابن وضاح في البدع (ص٥٤)]

عن عبد الله بن المبارك : يكون مجلسك مع المساكين ، وإياك أن تجالس صاحب بدعة . [اللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ٢٦٠/١٥٥) وابن بطة في الإبانة (٤٥٢)]

وَكَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدُ يَقُولَانِ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ وَلَا تجادلوهم . [ذم الكلام وأهله (٢٩٦/٤)]

قَالَ يُونُسُ : احْفَظُوا عَنِّي ثَلَاثًا : إِنْ مُتُّ أَوْ عِشْتُ : لَا يَدْخُلْ أَحَدُكُمْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ يُعَظِّمُهُ وَيُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ ، وَلَا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ شَابَّةٍ وَإِنْ أَقْرَأَهَا الْقُرْآنَ ، وَلَا يُمَكِّنْ سَمْعَهُ مِنْ ذِي هَوًى. [الإبانة الكبرى لابن بطة (٤٤٢/٢)]

قال الفضيل بن عياض : إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. [رواه اللالكائي في السنة (٧/٩)]

قال أبو قلابة : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ، فإني لا آمن من أن يغمسوكم في ضلالهم ويُلبسوا عليكم بعض ما تعرفون. [رواه الدارمي (١/ ١٢٠) وابن سعد (٧/ ١٨٤) وابن وضاح في البدع (ص٥٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (١٣٧/١) ابن أبي زمنين في أصول السنة (٢٣٦)]

عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : « إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي غَيْرِهِ» [رواه اللالكائي في السنة (١٥٥/١)]

قال إسماعيل بن عبيد الله : لا تجالس ذا بدعة ، فيمرض قلبك ، ولا تجالس مفتوناً فإنه ملقن حجته .[اللالكائي (٧/٩)]

عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ قَالَ : كَانَ يُقَالُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ فَيُزِيغُ قَلْبَكَ . [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٤٣)].

عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَرْتَدَّ قُلُوبُكُمْ. [الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٩)]

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ : لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلُوا فِيهِ لَبَسُوا عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ. [الإبانة (٢/ ٤٣٧)]

عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ قَالَ : كَانَ يُقَالُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ ، فَيُزِيغَ قَلْبَكَ . [الإبانة الكبرى لابن بطة (٤٣٦/٢)]

عَنِ ابْنِ شَوْذَبٍ قَالَ : قَالَ لِي عَقِيلُ بْنُ طَلْحَةَ ، وَكَانَتْ لِطَلْحَةَ صُحْبَةٌ : هَلْ لَقِيتَ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ ، فَقُلْتُ : لَا قَالَ : فَلَا تَلْقَهُ لَسْتُ آمَنُهُ عَلَيْكَ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ يَرَى رَأْيَ الِاعْتِزَالِ. [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٤٨)]

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ : لَا تُمَكِّنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ مِنْ سَمْعِكَ فَيَصُبُّ ، فِيهَا مَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنْ قَلْبِكَ. [الإبانة (٢/ ٤٥٩)]

قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : لَا يُمَكِّنْ أَحَدُكُمْ سَمْعَهُ مِنْ ذِي هَوًى ، وَقَالَ مُحَمَّدٌ : لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَقُومُ مِنْ عِنْدِهِمْ كَمَا جَلَسَ لَمْ أُبَالِ ". [الإبانة الكبرى لابن بطة (٤٦١/٢)]

وعن الْفُضَيْلَ بن عياض قال : أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُبْتَدِعِ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ . [الإبانة الكبرى (٤٦٨/٢)]

عن مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ الْجَوْزَجَانِيِّ سَأَلَهُ : كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : أَصَحُّ الطُّرُقِ

[١٣٥] وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده ، ويريد القرآن ، فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة ، فقم من عنده [ودعه] (١)

= وَأَعْمَرُهَا وَأَبْعَدُهَا مِنَ الشُّبَهِ اتِّبَاعُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَوْلا وَفِعْلا، وَعَزْمًا وَعَقْدًا وَنِيَّةً، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} فَسَأَلَهُ: كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ ؟ قَالَ : مُجَانَبَةُ الْبِدَعِ ، وَاتِّبَاعُ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّدْرُ الأَوَّلُ مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ ، **وَالتَّبَاعُدُ عَنِ مَجَالِسِ الْكَلامِ وَأَهْلِهِ** ، وَلُزُومُ طَرِيقَةِ الاقْتِدَاءِ وَالاتِّبَاعِ ، بِذَلِكَ أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ {**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**} . [طبقات الصوفية للسلمي (ص٢٤٧) وجمع الجيوش والدساكر ليوسف ابن عبد الهادي (٩٦) والإعتصام (١/١٢٣)]

وعن **الْفُضَيْلَ قال** : لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ. [السنة للالكائي (١/١٥٥)].

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ فَإِنَّ لَهُمْ عُرَّةً كَعُرَّةِ الْجَرَبِ.[الإبانة الكبرى (٢/٤٤٣) واالترغيب للاصبهاني (٤٨٠)]

عن أبي عَبْدِ اللَّهِ الْمُلَائِيُّ قَالَ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّهُمْ يُمْرِضُونَ الْقُلُوبَ. [الإبانة الكبرى (٢/٤٣٨)] .

(١) من كان يؤمن بالقرآن فلا بد من أن يقبل بالسنة لأن الله تعالى يقول : (**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**) {الحشر: ٧} ويقول سبحانه : (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**) {النساء ٨٠} ويقول عز وجل : (**وأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) {النحل:٤٤} ورد الحديث بالقرآن بدعة قديمة ورد النهي عنها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل ما تحدث ، فوقع ما أخبر به الصادق المصدوق ، ولازال إلى يومنا هذا يتبناها زنادقة يسمون (**بالقرآنيين**) والقرآن بريئ منهم ، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ** . [صحيح : رواه أحمد (١٧١٧٤) وابن زنجويه في الأموال (٦٢٠) وأبو داود في السنن (٤٦٠٤) والطبراني في الكبير (٢٠/ (٦٦٨) و الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/٢٠٩) وابن حبان (١٢) والدارقطني (٤/٢٨٧) والبيهقي في السنن (٦٧٠) وفي الشاميين (١٠٦١) والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٥٤٩) والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/٨٩) وابنُ عبد البر في التمهيد (١/١٤٩-١٥٠)]

وفي زيادة : **أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ** " .

وروى مالك في الموطأ (٧) عَنْ رَجُلٍ مِنْ آلِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَجِدُ صَلَاةَ الْخَوْفِ وَصَلَاةَ الْحَضَرِ فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا نَجِدُ صَلَاةَ السَّفَرِ ؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : « يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ إِلَيْنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا نَعْلَمُ شَيْئًا. فَإِنَّمَا نَفْعَلُ ، كَمَا رَأَيْنَاهُ يَفْعَلُ »

وثبت في الصحيحين – وهذا لفظ مسلم – من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله". فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها : أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله ، **فقال عبد الله** : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل : (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما**

نهاكم عنه فانتهوا)

وروى الهروي في ذم الكلام (٢٤٨) عَنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ لَقِيَ عَبْدُ اللَّهِ رَجُلًا مُحْرِمًا عَلَيْهِ ثِيَابُهُ فَقَالَ انْزَعْ عَنْكَ هَذَا فقَالَ الرَّجُلُ تَقْرَأُ عَلِيَّ بِهَذَا آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : نعَمْ {**وَمَا آتَاكُم الرَّسُول فَخُذُوهُ**} فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ أَكْثَرُوا عَلَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ ، كَانَ جَالِسًا وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : لَا تُحَدِّثُونَا إِلَّا بِالْقُرْآنِ ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ : ادْنُهْ ، فَدَنَا فَقَالَ : أَرَأَيْتَ لَوْ وُكِّلْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ إِلَى الْقُرْآنِ أَكُنْتَ تَجِدُ فِيهِ صَلَاةَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا وَصَلَاةَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا وَالْمَغْرِبِ ثَلَاثًا ، تَقْرَأُ فِي اثْنَتَيْنِ ، أَرَأَيْتَ لَوْ وُكِّلْتَ أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ إِلَى الْقُرْآنِ أَكُنْتَ تَجِدُ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَالطَّوَافَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ قَوْمُ خُذُوا عَنَّا فَإِنَّكُمْ ، وَاللَّهِ إِلَّا تَفْعَلُوا لَتَضِلُّنَّ ." [رواه البيهقي في مدخل الدلائل (١/٢٥) وابن عبد البر في الجامع (٢٣٤٨) والخطيب في الكفاية (١/١٥)]

روى الدارمي في سننه (٦١٠) بسند صحيح عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ حَدَّثَ يَوْمًا بِحَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ : فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا ، قَالَ : « لَا أُرَانِي أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُعَرِّضُ فِيهِ بِكِتَابِ اللَّهِ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْكَ »

وعن أبي عمرو الأوزاعى قال : قال أيوب السختياني : إذا حدثت الرجل بالسُّنَّة فقال : دعنا من هذا ، وحدثنا بالقرآن فاعلم أنه ضالٌّ مضلٌّ " قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} [الحشر: ٧] وَ {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهُ} [النساء: ٨٠] وَيَدْعُوهُ إِلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ ".[أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص ٦٥) والخطيب في الكفاية (ص ٤٩) وذم الكلام (ص٧٤)]

روى زهير بن حرب في كتاب العلم (٩٨) وابن عبد البر في الجامع (٢٣٤٩) عَنْ أَيُّوبَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ : لَا تُحَدِّثُونَا إِلَّا بِالْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ مُطَرِّفٌ : وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ بِالْقُرْآنِ بَدَلًا وَلَكِنْ نُرِيدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَّا. "

وفي ذم الكلام (٢١٠) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : إِذَا حَدَّثْتَ الرَّجُلَ بِالسُّنَّةِ فَقَالَ دَعْ ذَا وَهَاتِ كِتَابَ اللَّهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌّ .

روى الدارمي في سننه (٦٠٧) بسند صحيح عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : « السُّنَّةُ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَاضٍ عَلَى السُّنَّةِ »

وروى الدارمي (٦٠٨) وابن عبد البر في الجامع (٢٣٥٠) بسند جيد عَنْ حَسَّانَ بن عطية قَالَ : «كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ، كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ .

وروى الدارمي في النقض على المريسي (٢/ ٦٦٩) والهروي في ذم الكلام (٣/ ١١) عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ : مَا رَأْيُ امْرِئٍ فِي أَمْرٍ بَلَغَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم إِلَّا اتِّبَاعه، ولولم يَكُنْ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ فِيهِ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ كَانُوا أَوْلَى فِيهِ بِالْحَقِّ مِنَّا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ} وَقُلْتُمْ أَنْتُمْ: بَلْ نَعْرِضُهَا عَلَى رَأْيِنَا فِي الْكِتَابِ، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا صَدَّقْنَاهُ وَمَا خَالَفَهُ تَرَكْنَاهُ، وَتِلْكَ غَايَةُ كُلِّ مُحدِث فِي الْإِسْلَامِ: رَدُّ مَا خَالَفَ رَأْيَهُ من السّنة.

(قلت) وقد احتجت الزنادقة بحديث موضوع باطل ظَاهر الْبطلَان والوضع وَقد **ذكره الهيثمي فِي مجمع الزَّوَائِد (١/١٧٠)** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم فِي آخِره بِلَفْظ : وَأَنه ستفشو عني أَحَادِيث ، فَمَا أَتَاكُم من حَدِيثي فاقرأوا

كتاب الله فاعتبروه، فَمَا وَافق كتاب الله فَأَنا قلته وَمَا لم يُوَافق كتاب الله فَلم أَقله" .

وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي الْكَبِير، وَفِيه أَبُو حَاضر عبد الْملك بن عبد ربه وَهُوَ مُنكر الحَدِيث.

وقال ابن الساجي : قال أبي رحمه الله : هذا حديث موضوع عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : وبلغني عن علي بن المديني أنه قال : ليس لهذا الحديث أصل ، والزنادقة وضعت هذا الحديث .

قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٢) : وصدق ابن الساجي وابن المديني رحمهما الله ، لأن هذا الحديث كتاب الله يخالفه ويكذب قائله وواضعه والحديث الصحيح والسنة الماضية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده قال الله عز وجل : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}

وفي الرسالة للشَّافِعِيّ (ص٢٢٤-٢٢٥) قَالَ : أفتجد حجَّة على من روى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم قَالَ : مَا جَاءَكُم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فَمَا وَافقه فَأَنا قلته ، وَمَا خَالفه فَلم أَقله ، فَقلت لَهُ : مَا روى هَذَا أحد يثبت حَدِيثه فِي صغر وَلَا كبر فَيُقَال لنا : قد ثبتمْ حَدِيث من روى هَذَا فِي شَيْء ، وَهَذِه أَيْضا رِوَايَة مُنْقَطِعَة عَن رجل مَجْهُول لَا تقبل مثل هَذِه الرِّوَايَة فِي شَيْء".

روى في جامع بيان العلم (٢٣٤٧) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ : الزَّنَادِقَةُ وَالْخَوَارِجُ وَضَعُوا ذَلِكَ الْحَدِيثَ .

وراجع ما قاله ابن بطة في كتاب الإبانة الكبرى (٣٢٣/١) فقد بوب بقوله : [**بابُ ذِكْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ طَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ يُعَارِضُونَ سُنَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ**] ورد عليهم بحجج قوية جدا لولا طولها لنقلتها هنا .

[وراجع الشريعة للآجري (٤١٠/١) فله كلام ماتع في الرد على شبهة رد الحديث بالقرآن ، وبوب لها بقوله (بَابُ التَّحْذِيرِ مِنْ طَوَائِفَ يُعَارِضُونَ سُنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ)]

[١٣٦] واعلم أن الأهواء كلها ردية (١) تدعو كلها إلى السيف (٢) .

(١) **أخذ المؤلف عبارته من الأثر الذي رواه الآجري في الشريعة (١٢٢)** عَنْ خُصَيْفٍ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ يَا مُوسَى لَا تُخَاصِمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ يَا مُوسَى لَا تُجَادِلْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، فَيَقَعْ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ ، **فَيُرْدِيَكَ** فَيُدْخِلَكَ النَّارَ .

روى معمر في جامعه (٢٠١٠٢) والآجري في الشريعة (١٢٦) وابن بطة في الإبانة في الكبرى (٢٣٨) عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ هَوَانَا عَلَى سِوَاكَ ، فَقَالَ : **إِنَّ الْهَوَى كُلَّهُ ضَلَالَةٌ** »

وقال الحسن البصري : شر داء خالط قلبا يعني الهوى . [الزهد لأحمد (ص٢٦٤) والخلال (١٥٤٣)]

وروى الآجري في الشريعة (٢٠٦٢) قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : **اتَّقُوا هَذِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ** .

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٣٦) عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَكُلَّ هَوًى يُسَمَّى بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ »

وروى الآجري في الشريعة (١٢٥) عَنْ زِيَادِ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ : قَالَ أَبُو حَمْزَةَ لِإِبْرَاهِيمَ : يَا أَبَا عِمْرَانَ أَيُّ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ ؟ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ آخُذَ بِرَأْيِكَ وَأَقْتَدِيَ بِكَ قَالَ : مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ وَمَا هِيَ إِلَّا زِينَةُ الشَّيْطَانِ وَمَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ .

وروى الآجري (١/٤٥٩) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ .

(٢) وأهل البدع كلهم خوارج كما قال السلف ، إذا أتى ذكر السلطان انبعثت منهم جميعا رائحة الدم ، فيجتمعون كلهم على السيف ، وقد روي في هذا المعنى عدة آثار عن السلف ، وأصل كل ما ورد فيها : مستنبطة من كلام ابن مسعود رضي الله عنه في قصته مع أهل البدع الذي كانوا يعدون بالحصى في المسجد ، ثم لما نهاهم ابن مسعود رضي الله عنه قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، قال : وكم من مريد للخير لن يصيبه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، **وأيم الله لعل أكثرهم منكم** ، ثم تولى عنهم ، فقال عمرو بن سلمة : **رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان مع الخوارج** . [رواه الدارمي في مقدمة سننه (٢١٠)]

(**قلت**) فانتهت بدعة التسبيح بالحصى إلى بدعة الخروج والسيف ، فيا سبحان الله !! فأخذ أهل الحديث من هذا أن كل صاحب بدعة ينتهي إلى السيف لا محالة !!

روى الفريابي في القدر (٣٧٥) واللالكائي (٢٩٠) والآجري في الشريعة (٢٠٤٩) والهروي في ذم الكلام (٩٧٧) وشرح السُّنَّة للبغوي (١٠/ ٢٣٣) بسند صحيح عن سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ قَالَ : كَانَ أَيُّوبُ يُسَمِّي أَصْحَابَ الْبِدَعِ كُلَّهَمْ خَوَارِجَ وَيَقُولُ : إِنَّ الْخَوَارِجَ اخْتَلَفُوا فِي الِاسْمِ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى السَّيْفِ .

وروى الفريابي في القدر (٣٦٧) والدارمي في سننه (١٠٠) والهروي في ذم الكلام (٨٢٥) بسند صحيح عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أهل الضلالة، ولاأَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ ، فَجَرِّبْهُمْ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَنْتَحِلُ قَوْلًا ، أَوْ قَالَ رَأْيًا ، فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ ، وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضَرُوبًا ، قَالَ : وَتَلَا : {**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ**} {**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ**} {**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ**} قَالَ : وَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ ، وَإِلَى هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ ، **وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ** .

وروى عبد الرزاق في المصنف (١٨٦٦٠) وابن سعد (٧/ ١٨٤) والدارمي في السنن (٩٩) والفريابي في القدر

(**٣٦٨) وأبو نعيم في الحلية** (**٢٨٧/٢**) **والآجري في الشريعة** (**٤٦٠/١**) بسند صحيح عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : مَا ابْتَدَعَ رَجُلٌ بِدْعَةً قَطُّ إِلَّا اسْتَحَلَّ السَّيْفَ .

وروى أبو نعيم في الحلية (**٢٨٧/٢**) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : « مَثَلُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَثَلُ الْمُنَافِقِينَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ الْمُنَافِقِينَ بِقَوْلٍ مُخْتَلِفٍ وَعَمَلٍ مُخْتَلِفٍ ، وَجِمَاعُ ذَلِكَ الضُّلَّالُ ، وَإِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ اخْتَلَفُوا فِي الْأَهْوَاءِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى السَّيْفِ »

وروى الدارمي في سننه (**١٠١**) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارَ ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا أَوْ قَالَ : حَدِيثًا فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ .. **ثم قال** : وإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ.

وفي الشريعة للآجري (**٢٠٦٢**) قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : اتَّقُوا هَذِهِ الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ ، ثم ذكر المرجئة وقال : وَهُمْ يَرَوْنَ السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ .. ثم ذكر الفرق وعرف ببعضها وقال : وَكُلُّ أَهْلُ هَوًى ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقِبْلَةِ ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ .

وعن عنبسة ابن سعيد الكلاعي قال : « ما ابتدع رجل بدعة إلا غلّ صدره على المسلمين واختلجت منه الأمانة »

قال نعيم : فسمعه مني الأوزاعي فقال : أنت سمعته من عنبسة قلت : نعم قال : صدق لقد كنا نتحدث أنه ما ابتدع رجل بدعة إلا سُلب ورعه» [ذم الكلام (١٢٦/٥)]

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: « هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة : اثنتان وسبعون هالكة ، كلّهم يبغض السلطان ، والناجية هذه الواحدة التي مع السلطان » [قوت القلوب (٢٠٩/٢)]

وفي الرسالة الوافية للداني (**٢١٠**) بإسناده عن الحسن قال: **كل صاحب بدعة حروري.**

وفي السنة لابن شاهين (**٣٦**) قال سُفيان الثوري : كل أهل الأهواء فإنهّم يرون السَّيف على أهل القبلة .

(**قلت**) وهذا الأمر الذي قرره السلف هو الواقع ، فكل مبتدع انتهى قوله عند السيف ، وأضرب أمثلة هنا :

القدرية : وروى الفريابي في القدر (٣٤١) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٩٦٢) عَنْ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ قَالَ : سَمِعْتُ مَكْحُولًا يَقُولُ : وَيْحَكَ يَا غَيْلَانُ ، رَكِبْتَ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِضْمَارَ الْحَرُورِيَّةِ ، غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَخْرُجُ عَلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ.

أصحاب الرأي : **روى عبد الله في السنة** (**٣٨٢**) **وأبو زرعة في تاريخه** (**٥٠٦/١**) عن سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، حَدَّثَنِي ابْنُ الْمُبَارَكِ ، قَالَ : ذَكَرْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عِنْدَ الْأَوْزَاعِيِّ ، وَذَكَرْتُ عِلْمَهُ وَفِقْهَهُ فَكَرِهَ ذَلِكَ الْأَوْزَاعِيُّ وظَهَرَ لِي مِنْهُ الْغَضَبُ وَقَالَ : تَدْرِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ تُطْرِي رَجُلًا يَرَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَسْتُ عَلَى رَأْيِهِ وَلَا مَذْهَبِهِ ، فَقَالَ : قَدْ نَصَحْتُكَ فَلَا تُكْرَهْ فَقُلْتُ قَدْ قَبِلْتُ ."

(**قلت**) ثم صار ابن المبارك يحذر من أبي حنيفة بنفس العلة كما :

روى عبد الله في السنة (**٣٤٩**) عن مُحَمَّدُ بْنُ أَعْيَنَ وَصِيَّ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ وَالدَّارُ غَاصَّةٌ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَسْأَلَةٌ كَذَا وَكَذَا ، قَالَ: فَرَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ فِيهِ أَحَادِيثَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ خِلَافَ هَذَا فَغَضِبَ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَقَالَ : أَرْوِي لَكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ تَأْتِينِي بِرَجُلٍ كَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟؟

أما المرجئة : روى عبد الله في السنة (٢٣٣) قَالَ رَجُلٌ لِعبد الله ابْنِ الْمُبَارَكِ وَنَحْنُ عِنْدَهُ « إِنَّ أَبَا حَنِيفَةَ كَانَ مُرْجِئًا يَرَى

السَّيْفَ» فَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ ذَلِكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ .

وقيل للإمام عبد الله بن المبارك : ترى رأي الإرجاء ؟ فقال ابن المبارك رحمهُ اللهُ : كيف أكون مرجئاً فأنا لا أرى السَّيفَ ؟!

[انظر: الكتاب اللطيف لابن شاهين (ص/١٧)].

وفي عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٠٩) لأبي عثمان الصابوني بسنده إلى أحمد بن سعيد الرِّباطيِّ أنَّه قال : قال لي عبد الله بن طاهر : (يا أحمد ! أنّكم تبغضون هؤلاء القوم [أي: المرجئة] جهلاً ! وأنا أبغضهم عن معرفة ، إنّهم لا يرون للسلطان طاعة ...) . **(قلت)** : لأنهم يرون الخروج على الأئمة بغير تكفيرهم أصلا ، فعلى مذهبهم أنه لا كفر بترك الفرائض **!!** .

ولهذا قال فيهم إبراهيم النخعي : " **الخوارج أعذر عندي من المرجئة** " وذلك لأن الخوارج غالبا لا تخرج إلا بعد أن تُكفر الحكام ، على خلاف المرجئة ترى السيف بمجرد الظلم والجور **!!** .

روى عبد الله في السنة (٣٢٥) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ : «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ مُرْجِئًا يَرَى السَّيْفَ »

قال ذاك الجصاص الحنفي في أحكام القرآن (٨٦/١) وهو يدافع عن أبي حنيفة : وكان مذهبه مشهورا في قتال الظلمة وأئمة الجور **!!** .

عن أبي إسحاق الفزاري قال : سمعت سفيان والأوزاعي يقولان : إن قول المرجئة يخرج إلى السيف » [ذكره عبد الله في كتابه السنة (١/ ٢١٧)]

وقال الإمام أحمد في كتابه الرد على الزنادقة (ص٧٤ ، ٧٨) : إن الخوارج هم المرجئة ."

وفي المعرف لابن قتيبة (٢٥٠/١) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٥/ ١٨٥٠/١٠٧٧) والإبانة الكبرى (٢/ ٩٠٦/٧/ ١٢٧٣) وتاريخ ابن عساكر (٦٥/٤٧) وكتاب الإنتصار على المعتزلة للعمراني (٨٠٢/٣) وتهذيب الكمال (٢٢/ ٤٥٧) وتهذيب التهذيب (٨/ ١٧٢) قال : قيل إن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كان مرجئاً فرجع عن الإرجاء وأنشأ يقول :

وأول ما نفارق غير شك ... نفارق ما يقول المرجئونا

وقالوا مؤمن من آل جور ... وليس المؤمنون بجائرينا

وقالوا مؤمن دمه حلال ... وقد حرمت دماء المؤمنينا

وفي السنة للكرماني (١٩٠) عن يوسف بن أسباط قال : أما المرجئة فهم يقولون ... فذكر كلامهم ثم قال : وهم يرون السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال إسحاق بن إبراهيم تعقيباً على حديث " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ... قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ..."، قال إسحاق : (**والسنة عليه ، وفيها هلاك المرجئة**) [مستخرج أبي عوانة حديث (٥٧٧٤)]

(قلت) وقد ذكروا في كتب الفرق أن من الفرق ما يسمى (**مرجئة الخوارج**) [أنظر الفرق للشهرستاني (١٦٢/١) الفرق (٢٠٢) ومقالات الإسلاميين (٢٠٢/١)]

ولهذا قال الإمام أحمد رحمهُ اللهُ : **وأما الخوارج فإنهم يسمون أهل السنة والجماعة مرجئة وكذبت الخوارج في قولهم بل هم المرجئة يزعمون أنهم على إيمان وحق دون الناس ومن خالفهم كافر**" [انظر: رسالة الإصطخري كما في طبقات الحنابلة (٣٦/١)]

أما الجهمية : روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٣٨٧) عن ابن شوذب قال : ترك جهم الصلاة أربعين يوما وكان فيمن خرج مع الحارث بن سريج .

أما الرافضة : قال الآجري في الشريعة (٢٠١٢/٥) : وَمِنْهُمْ [أي الروافض] مَنْ يَرَى السَّيْفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ لَمْ يَقْدِرُوا خَنَقُوهُمْ حَتَّى يَقْتُلُوهُمْ .

قال سفيان بن عيينة : لا يغلَّ قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كان قلبه على المسلمين أغل . [الإبانة لابن بطّة (ص٤١)]

أما المعتزلة : روى اللالكائي في السنة (٥٧٣) عن أبي الْقَاسِمِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْحَسَنِيَّ قال : « الْمُعْتَزِلَةُ قَعْدَةُ الْخَوَارِجِ عَجَزُوا عَنْ قِتَالِ النَّاسِ بِالسُّيُوفِ فَقَعَدُوا لِلنَّاسِ يُقَاتِلُونَهُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ أَوْ يُجَاهِدُونَهُمْ » .

وأقول : واليوم الصوفية والإخوان والتبليغ كلهم خوارج يرون السيف ، ويستحلون دماء أهل التوحيد والسنة ، وأنتم ترون الشغب الذي يصدر منهم في الطرقات ، والمظاهرات ، وقتالاتهم مع الشرط والعسكر ، وإثارة الفوضى والدماء ، ثم يسمون كل ذلك بالربيع العربي !! فما أدري عن هذا الربيع الملطخ بالدماء !! وكيف استحمقوا في تسميته ربيعا !! ومن أمثلة خروج الصوفية ما حدث في السودان حينما أصدر الأمين العام للصوفية بيانا طويلا يعترض فيه على إلغاء محاضرة لهم ألغتها الدولة فكان مما قال مهددا : (سيسجل مجموعة الخمسمائة شخصية حزبا سياسيا داخل السودان ليواجه ونمتحن الحريات والديمقراطية ، وإما إن نصل للغايات أو نمضي شهداء) وقال أيضا : (لا بد أن يتيقن الصوفية أن الحكومة هي عدوهم الأول قبل الوهابية حيث أنها لا يضيرها تمكن أي فكر في هذه البلاد سواء كان شيعة أم وهابية أم صوفية بل ما يهمها هو السلطة والريال !) .

وأرداها وأكفرها : الروافض(١) والمعتزلة(٢) والجهمية(٣) فإنهم [يريدون الناس] على التعطيل والزندقة(١)

---

(١) والرافضة كفار بلا شك جمعوا بين نواقض عدة كل واحد منها كفر بذاته ، وقد انقرض الشيعة المبتدعة ولم يبقى إلا الزنادقة والملحدين منهم ، **قال الكرماني في السنة (ص٦٥)** : وليست الرافضة من الإسلام في شيء ... وقال : والرافضة أسوأ أثرا في الإسلام من أهل الكفر من أهل الحرب) اهـ .

ونقل كفرهم أيضا أبو عبد الله الزبيري الشافعي في عقيدته كما في الجامع للعقائد لآل جمدان (ص ٧٥٦)]

وقال المروذي سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكر وعمر فقال : **ما أراه على الإسلام** . [السنة للخلال (٧٧٩)]

قول السمعاني : (واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية ، لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة وينكرون إجماعهم وينسبونهم إلى ما لا يليق بهم) [الأنساب (٣٤١/٦) وارجع في فضائحهم وتكفيرهم : السنة للخلال (٤٨٩/٣ - ٥٠٠) باب ذكر الروافض) والإبانة لابن بطة (٣٥٥/١) (فضائل الصحابة) واللالكائي (١٤٥٣/٨) سياق ما روي في مخازي الروافض الذين يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتدينون بذلك وكفرهم وما نقل من حماقاتهم) والشريعة للآجري (٢٥١١/٥) والرد على المبتدعة لابن البناء (ص٢٤٥) والإبانة الصغرى لابن بطة في آخرها ، فقد ذكر ما ذكر شيخه في هذه الفقرة وزاد عليها في ذكر رؤوس الزنادقة والجهمية والإعتزال فراجعه فهو مهم]

(٢) والمعتزلة جمعت من النواقض ما جمعت الجهمية ولا فرق ، واتفق السلف على تكفيرهم والمعتزلة والجهمية والأشعرية شيء واحد ، وإنما فرق في الحكم عليهم المتأخرون بسبب تخليطهم المعهود ، ويكفي في تكفيرها أن معطلة وتقول بخلق القرآن وتكذب الرؤية والشفاعة وعذاب القبر والحوض ، وغير ذلك من الكفريات ولهذا كفرهم السلف .

وقال في رواية مسدد كما في طبقات الحنابلة (٤٢٨/٢) : وأما المعتزلة الملعونة ..ثم ذكر عقائدهم ثم قال : الذين يقولون بهذه المقالة كفار لا يناكحون ولا تقبل شهاداتهم) اهـ

وقال ابن البناء في كتاب الرد على المبتدعة (ص٢٤١) : وقد كفر أحمد رحمه الله المعتزلة .

وجاء في مناقب لابن الجوزي (ص٢١٣) قال الإمام أحمد : **علماء المعتزلة زندقة** .

وسئل سهل التستري عن الصلاة خلف المعتزلة فقال : **لا ولا كرامة هم كفار** ، كيف يؤمن من يقول القرآن مخلوق ولا جنة مخلوقة ولا نار مخلوقة ولا لله صراط ولا شفاعة ، ولا ......) [تفسير ذاك القرطبي (١٤١/٧)]

قال ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة (ص٥٢٤) : فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْأُخُوَّةَ الَّتِي بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ **الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ اتَّفَقَ السَّلَفُ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ** ، وَأَنَّهُمْ زَادُوا عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي التَّعْطِيلِ فَالْمُعْتَزِلَةُ قَالُوا : هَذَا الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ هُوَ الْقُرْآنُ حَقِيقَةً لَا عِبَارَةً عَنْهُ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ ، وَإِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ) [وللمزيد عن المعتزلة راجع السنة للكرماني (٩٤) والرد على أهل الأهواء للملطي (ص٣٧) السنة لابن شاهين (٣٦) والسنة للالكائي (١١/١)]

(٣) أما الجهمية فلا ينبغي لمن قرأ كتب السنة أن يشك في كفرهم وزندقتهم ، فقد أجمع أهل السنة على تكفيرهم كما حكاه الكرماني في السنة (٩٦) والخلال في السنة (٨٣/٥) في باب الرد على الجهمية والطعن فيهم) ونقل عبد الله في السنة (ص٢١ - ١٠٧) كلام السلف في تكفيرهم وتكفير من شك فيهم ، فصار الموضوع ليس فقط في كفرهم ، إنما في حكم من توقف في

[١٣٧] واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أنه إنما أراد محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقد آذاه في قبره (١).

[١٣٨] وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر(٢).

= تكفيرهم يكفر عند السلف لوضوح كفرهم وزندقتهم .[راجع الرد على الجهمية للدارمي (ص١٨١) (باب الإحتجاج على كفر الجهمية) والرد على المبتدعة لابن البناء (ص٢٤٢)] **(قلت)** واليوم يعتذر المرجئة لهؤلاء الزنادقة الكفرة ، وينكرون تكفيرهم بالتعيين ، ويكتفون بتدبيع ضعفائهم ، ومدح آخرين منهم وجعلهم أئمة !! كشأن اليهود يقيمون الحد على الضعفاء ويتركون الملأ وأهل المنازل في الدنيا ، وهذه سنة الأمم التي لن تتبدل ، والله المستعان .

(١) وقد سبق التنبيه على هذه العلة في قضية تكفير الرافضة بفقرة (١١١) و (١٢٤) وقد نبه أهل السنة والحديث من هو المقصود بالسب أصالة : **فقال الإمام مالك** : { إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه ، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحون }.[الصارم المسلول ص٥٨٠)]

وأخرج الدينوري في المجالسة (٢٦) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْخَرَقِيُّ قَالَ : كَانَ بَدْءُ الرَّافِضَةِ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الزَّنَادِقَةِ اجْتَمَعُوا فَقَالُوا : نَشْتِمُ نَبِيَّهُمْ ، فَقَالَ كَبِيرُهُمْ : إِذًا نُقْتَلُ ، فَقَالُوا : نَشْتِمُ أَحِبَّاءَهُ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُؤْذِيَ جَارَكَ فَاضْرِبْ كَلْبَهُ ثُمَّ تَعْتَزِلُ ، فَتُكَفِّرُهُمْ فَقَالُوا : الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ فِي النَّارِ ، إلا عَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : كَانَ عَلِيٌّ هُوَ النَّبِيُّ ، فَأَخْطَأَ جِبْرِيلُ .

وقال الحافظ أبو زرعة الرازي : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق ، والرسول حق وما جاء به حق ، وما أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة ، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة ، فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق) اهـ

وقال أبو نعيم الأصبهاني الأشعري في كتاب الإمامة (ص٣٧٦) : (لا يبسط رجل في الصحابة إلا من سوء طويته في النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين) اهـ .

(٢) وما قاله المؤلف له أصل في القرآن في قوله تعالى (**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**) وقد أخذ المؤلف هذه الفقرة من أثر رواه عبد الله في السنة (٧٤) عن حَجَّاجٌ أَخُو أَبِي الطِّيبِ قَالَ : كُنَّا مَعَ عِيسَى بْنِ يُونُسَ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَمَّنْ يَقُولُ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَقَالَ : كَافِرٌ أَوْ كَفَرَ قَالَ : فَقِيلَ لَهُ : تُكَفِّرُهُمْ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ؟ قَالَ: إِنَّ هَذَا مِنْ أَيْسَرِ أَوْ مِنْ أَحْسَنِ مَا يُظْهِرُونَ » ويشبهه ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٦٤٨) عَنْ عروة قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْحَسَنَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يَعْمَلُ السَّيِّئَةَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا عِنْدَهُ أَخَوَاتٍ ، فَإِنَّ السَّيِّئَةَ تَدُلُّ عَلَى أُخْتِهَا ."

روى الأصبهاني في سير السلف الصالحين (١/١٤٥) وفضائل عمر ليوسف ابن عبد الهادي (٢/٦٨٨) رُوِيَ عن عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْه - أنه قال : إِذَا رَأَيْتَ مِنَ الرَّجُلِ خَصْلَةً تَسُوءُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا أَخَوَاتٌ .

وروى معمر في جامعه (٢٠٩٩٠) وأبو نعيم في الحلية (٨/٧) عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كان رجل فيما خلا من الزمان ...ثم ذكر من قوله إذا اطلعتم على فجرة رجل فاحذروه ، فإن لها أخوات.

[١٣٩] وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب ، فاسقا فاجرا ، صاحب معاص [ظالما] وهو من أهل السنة فاصحبه واجلس معه فإنه ليس تضرك معصيته ، وإذا رأيت الرجل [عابدا] مجتهدا وإن بدا متقشفا محترقا بالعبادة صاحب هوى ، فلا تجالسه ، ولا تقعد معه ، ولا تسمع كلامه ولا تمش معه في طريق ، فإني لا آمن أن تستحلي طريقته فتهلك معه (١) .

ورأى يونس بن عبيد ابنه [وقد] خرج من عند صاحب هوى ، فقال : يا بني من أين جئت ؟ قال : من عند [عمرو بن عبيد] قال : يا بني لأن أراك تخرج من بيت [خنثى] أحب إلي من أن أراك تخرج من بيت فلان [وفلان] ولأن تلقى الله يا بني زانيا سارقا فاسقا خائنا أحب إلي من أن تلقاه بقول [أهل الأهواء] .

ألا ترى أن يونس بن عبيد قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه ، وأن صاحب البدعة يضله حتى يكفره .

---

(١) استعمل المؤلف عبارة في هذه الفقرة مشكلة ، بل ظاهرها منكر !! ولكنه لا يقصدها قطعا ، ويريد المعنى المتداول بين السلف كما عقب بكلامهم ، وقد طعن محمود الحداد عليه بسبب هذه العبارة وقال عنها أنها كلام المرجئة !! واتهمه بالجهل والكذب على السلف وتوعده أمام الله !! وهذا أسوء ما قيل في البربهاري فيما وقفت عليه !! وهو سوء ظن مع سوء فهم له .

وحاشى المؤلف من ذلك ، إنما أراد شيئا بعبارة لا يقصدها ، بدليل إيراده بعد كلامه هذا كلام يونس بن عبيد ليوضح مقصوده فإنه لا يخفى على أي عاقل أن الفاسق يضر المؤمن بمعصيته وفسوقه ، فالمعصية بريد الكفر كما قيل .

وفي الحديث (**لا تصاحب إلا مؤمنا**) وفي الحديث الآخر (**المرء على دين خليله**) .

وقد روى الدينوري فِي الْمُجَالَسَةِ (١٣٧٩) وسنده ضعيف عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ : (**لَا تُوَاخِ الْفَاجِرَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَك فِعْلَهُ وَيُحِبُّ لَوْ أَنَّك مِثْلُهُ**) .

وقد أجمع السلف على هجر الفاسق ، ولكن لما كان هذا المعنى متداول ، ساقه المؤلف بعبارة أراد بها التنفير أكثر ، بسبب كثرة الجهمية وأهل البدع في وقته وندرة أهل السنة ، لكنه بالغ جدا ، ولم يحرر العبارة جيدا ، والمؤلف كما في ترجمة ابن كثير له في البداية قال عنه : (**كان شديدا على أهل البدع والمعاصي**) فدل على أن قصده كما بينته ، وقد وردت في هذا المعنى آثار كثيرة للسلف وملخصها أن البدعة أشد وأكبر من المعصية وأخطر ، ويذكرون أن مصاحبة الفاسق خير من المبتدع لا من باب التشجيع على اللمعصية إنما من باب التنفير من البدعة ، كما في حديث : (**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**) سنذكر بعضها فنقول :

قَالَ سُفْيَان الثوري : الْبِدْعَة أحب إِلَى إِبْلِيس من الْمَعْصِيَة لِأَن الْمَعْصِيَة يُتَاب مِنْهَا والبدعة لَا يُتَاب مِنْهَا . [رواه الهروي ذم

الكلام (١٢١/٥) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١/ ١٤٩/٢٣٨) وشرح السنة للبغوي (٢١٦/١)]

قال أرطأة بن المنذر : لأن يكون ابني فاسقاً من الفساق أحب إليّ من أن يكون صاحب هوى .[الإبانة الكبرى (٤٤٦/٢) ومختصر الحُجة لنصر المقدسي (٣٠١)]

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق الْفَزَارِيُّ : لأن أَجْلِسَ إِلَى اَلنَّصَارى فِي بِيَعِهِم أَحَبُّ إِلَيَّ مِن اَلْجُلُوسِ فِي حَلْقَةٍ يَتَخَاصَمُ فِيهَا اَلنَّاسُ فِي دِينِهِم. [الإبانة الكبرى لابن بطة (٩٢)]

وقال يونس بن عبيد : لأن يصاحب ابني شاطراً قاطع طريق أحب إلي من أن يصاحب مبتدعاً . [الإبانة الصغرى (٩٣)]

وقيل له أيضاً : إن ابنك الصغير يلعب بالطيور ، قال : لعل ذلك يشغله عن مصاحبة مبتدع..!!. [الإبانة (٩٤)]

وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر : لأن يَصْحَبَ اِبْنِي فَاسِقًا شَاطِرً ا سُنِّيًّا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَصْحَبَ عَابِدًا مُبْتَدِعًا. [الإبانة الصغرى (٨٩)]

وقيل لِمَالِكِ بن مِغْوَل : رَأَيْنَا ابْنَكَ يَلْعَبُ بِالطُّيُورِ فَقَالَ : حَبَّذَا إِنْ شَغَلَتْهُ عَنْ صُحْبَةِ مُبْتَدِعٍ . [الإبانة الصغرى (٩٠)]

وَقَالَ حَمَّادُ بْن زَيْدٍ: قَالَ لِي يُونُس يَا حَمَّادُ إِنِّي لَأَرَى اَلشَّابَّ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ مُنْكَرَةٍ فَلَا أُيَئِّسُ مِنْ خَيْرِهِ حَتَّى أَرَاهُ يُصَاحِبُ صَاحِب بِدْعَةٍ فَعِنْدَهَا أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ عَطِب. [الإبانة الصغرى (٩٤) وابن البناء في الرد على المبتدعة (٩٣)]

وروى أبو نعيم الأصبهاني في الحلية (٣٣٩/٨) عن سفيان الثَّوْرِيَّ يَقُولُ : « لِأَنْ أَصْحَبَ شَاطِرًا فِي سَفَرٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْحَبَ قَارِئًا »

وقال الشعبي وقد سأله رجل عن رأيه في مسألة : والله لأن أتغنى بأغنية أحب إلي من أن أخبرك برأيي .[سنن الدارمي (١٠٩)]

وقال أحمد كما في طبقات الحنابلة (١٨٤/١) : فساق أهل السنة خير من زهاد أهل البدعة فهم أعداء الله .

روى ابن وضاح في كتاب البدع (٨٦) عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا فَتًى يُقَاتِلُ وَيَشْرَبُ ، وذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفِسْقِ ثُمَّ إِنَّهُ تَقَرَّأَ فَدَخَلَ فِي التَّشَيُّعِ فَسَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ وَهُوَ يَقُولُ : لَأَنْتَ يَوْمَ كُنْتَ تُقَاتِلُ وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ خَيْرٌ مِنْكَ الْيَوْمَ.

روى ابن وضاح في البدع (١٢٢) عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ : يَا عِيسَى ، أَصْلِحْ لِلَّهِ قَلْبَكَ ، وَأَقِلَّ مَالَكَ » وَكَانَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَأَنْ أَرَى عِيسَى يُجَالِسُ أَصْحَابَ الْبَرَابِطِ ، وَالْأَشْرِبَةِ ، وَالْبَاطِلِ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاهُ يُجَالِسُ أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ يَعْنِي : أَهْلَ الْبِدَعِ "

وعن عمارة بن زاذان قال : قال لي أيوب : يا عمارة إذا كان الرجل صاحب سنة وجماعة ، فلا تسأل عن أي حال كان فيه. [اللالكائي (١/ ٦٧)]

وفي طبقات الحنابلة (١٨٤/١) قال أحمد بن حنبل : **زهاد أهل البدعة أعداء الله** .

وفي الإبانة (٤٧٣) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سِنَانٍ يَقُولُ : لَئِنْ يُجَاوِرَنِي صَاحِبُ طُنْبُورٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي صَاحِبُ بِدْعَةٍ ، لِأَنَّ صَاحِبَ الطُّنْبُورِ أَنْهَاهُ ، وَأَكْسَرُ الطُّنْبُورَ ، وَالْمُبْتَدِعُ يُفْسِدُ النَّاسَ ، وَالْجِيرَانَ ، وَالْأَحْدَاثَ .

وفي السنة للالكائي (١٣٧٨) عَنْ خُوَيْلٍ خَتَنِ شُعْبَةَ ، قَالَ : كَانَ شُعْبَةُ خَتَنَهُ عَلَى أُخْتِهِ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَنْهَانَا عَنْ مُجَالَسَةِ عَمْرٍو وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُكَ قَالَ : ابْنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَتَغَيَّظَ الشَّيْخُ قَالَ : فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى جَاءَ ابْنُهُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، قَدْ عَرَفْتَ رَأْيِي فِي عَمْرٍو ، ثُمَّ تَدْخُلُ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : كَانَ مَعِي فُلَانٌ قَالَ : فَجَعَلَ يَعْتَذِرُ فَقَالَ يُونُسُ : أَنْهَاكَ عَنِ الزِّنَا ، وَالسَّرِقَةِ ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ ، وَلَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِرَأْيِ عَمْرٍو وَأَصْحَابِ عَمْرٍو ."

وقال الإمام أحمد : أَحِبُّوا أَهْلَ السُّنَّةِ **عَلَى ما كانَ مِنْهُمْ** أَماتنا اللَّهُ وإيّاكُمْ على السُّنَّةِ والجَماعَةِ . [طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٦]

(**قلت**) وهذه النصوص تفيد أن ما يقوله أهل البدع والضلال من الإخوان والتبليغ والصوفية اليوم أننا أخرجنا الناس من الفجور والمقاهي والخمارات وقطع الطرق والسرقة ، ويكثرون الكلام ، كله كلام هراء وغرور ، ونقول لهم : ما زدتم أن نقلتموهم من الشر إلى الأشر والأخبث ، بل والله ما كانوا فيه أهون مما نقلتموه إليه من البدع والشرك والزندقة التي أنتم عليها .

وهذه يذكرني بقصة فيها نكتة مضحكة ولكنها معبرة ، وهي ما جاء **في وفيات الأعيان لابن خلكان** (**٤٢٥/١**) قال بشار بن برد لهلال بن عطية ، وكان صديقا له : يا هلال أتطيعني في نصيحة أخصك بها ؟ قال هلال : نعم قال : إنك كنت تسرق الحمير زمانا ، ثم تبت وصرت رافضيا فعد إلى سرقة الحمير ، فهي خير لك والله من الرفض) .

وقد نظمها بعض أهل الشعر فقال :

قال بشار بن بُرْدٍ   لهلال بن عطية

كنتَ سَرَّاقَ حميرٍ   في زمان الجاهلية

ثم أصبحت حمارا   من حمير الرافضيَّة

عُدْ لما كنت عليهِ   فهو أدنى في البلية

(**قلت**) فتبين من هذه الآثار المعنى الذي أراد المؤلف ، فإذا علمت شدة غربة أهل السنة في زمنه ، وأنهم أهل السنة في زمنه بين فاسق ومبتدع في حياتهم المعيشية فإذا صحب المبتدع أضره في عقيدته ودينه ، وهذا ضرره أقل من ضرر صحبة الفاسق ، فالسني سيضطر إلى خطلة أحدهما لمعاشه ، ولمشقة هجر الناس كلهم على أهله وأولاده ، فيدفع أشر الضررين بأقلهما ، وهذا هو عنوان هذه الفقرة التي لم يفهما محمود الحداد وأصحابه فتوغلوا في الطعن في البربهاري رحمه الله !!

[١٤٠] فاحذر ثم احذر [أهل] زمانك خاصة (١) وانظر من تجالس ، وممن تسمع ، ومن تصحب .

---

(١) وورد في التحذير من الناس عدة آثار منها :

وروى عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ فِتْنَةً فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : « **إِذَا لَمْ يَأْمَنِ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ** » [رواه أحمد (٤٢٨٦) وأبو داود (٤٢٥٨) وغيرهم كثير بسند ضعيف ، أنظر علل الدراقطني (٥/ ٢٨٠ – ٢٨١)]

روى ابن أبي الدنيا في المداراة (١٢٥) قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : « اتَّقُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا النَّاسَ »

روى ابن المبارك في الزهد (٢٩٦) وأبو داود في الزهد (٣١٢) وأبو نعيم في الحلية (٣٠٦/١) عن ابن عمر قال : حتى يرى الناس كأنهم حمقى في دينهم .

وروى ابن أبي الدنيا (١٢٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : « لَوْلَا مَخَافَةُ الْوَسْوَاسِ لَدَخَلْتُ إِلَى بِلَادٍ لَا أَنِيسَ بِهَا ، وَهَلْ يُفْسِدُ النَّاسَ إِلَّا النَّاسُ ؟ »

وروى ابن أبي الدنيا في العزلة (٤٥) أبو نعيم في الحلية (٨/٧) عن عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ الْخَفَّافُ قَالَ : قَالَ لِي سُفْيَانُ : يَا عَطَاءُ ، احْذَرِ النَّاسَ وَاحْذَرْنِي .

روى ابن أبي الدنيا (١٢٧) عن سُفْيَانُ قَالَ : كَانَ طَاوُسٌ يَجْلِسُ فِي الْبَيْتِ فَقِيلَ لَهُ : لِمَ تَجْلِسُ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَ : حَيْفُ الْأَئِمَّةُ وَفَسَادُ النَّاسِ.

وروى ابن أبي الدنيا في المداراة (١١٧) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : «كَانَ النَّاسُ كَشَجَرَةٍ ذَاتِ جَنًى ، وَيُوشِكُ أَنْ يَعُودُوا كَشَجَرَةٍ ذَاتِ شَوْكٍ »

وروى أيضا برقم (١١٨) عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، كَانَ يَقُولُ : « مَا مِنْ يَوْمٍ أُصْبِحُ فِيهِ لَا يَرْمِينِي النَّاسُ فِيهِ بِدَاهِيَةٍ إِلَّا عَدَدْتُهَا لِلَّهِ عَلَيَّ نِعْمَةً »

وروى ابن أبي الدنيا في المداراة (١٢٣) عن سَعِيدُ بْنُ صَدَقَةَ أَبُو الْمُهَلْهِلِ قَالَ : أَخَذَ بِيدِي سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَّانِ ، فَاعْتَزَلَ نَاحِيَةً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، فَبَكَى ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا الْمُهَلْهِلِ، قَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَلْبِي الْيَوْمَ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ لِسَانِي قُلْتُ : وَلِمَ ذَاكَ ؟ قَالَ : **لِتَغَيُّرِ النَّاسِ وَفَسَادِهِمْ** .

روى ابن أبي الدنيا (١٢٤) قَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ : « فِرَّ مِنَ النَّاسِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسدِ »

وروى نعيم بن حماد في الفتن (١٥٦) عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ : «كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُرْفَعُ عَنِ النَّاسِ الْأُلْفَةُ »

وروى أيضا (١٥٨) عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ : «كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَقِرُّ فِيهِ عَيْنُ الْحَكِيمِ »

وروى أيضا (١٦٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال : « يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَى الْعَالِمِ مِنَ الذَّهَبَةِ الْحَمْرَاءِ»

وقد أحسن عبد العزيز البغدادي (غلام الخلال) حين قال كما في زاد المسافر (١/ ٢٨٤): أحق الناس بالصحبة من وافقك في السنة . وصدق المؤلف إذ يقول أن أخطر شيء يبدأ المرء بالحذر منه الأحياء الذين يعيشون في أكنافهم من أهل زماننا ، لله دره من يفهم هذا اليوم ؟ فقد اليوم لا يأمن الرجل جليسه !!

فإن الخلق كأنهم في ردة ، إلا من عصمه الله منهم (١) .

---

(١) وهذا قول البربهاري في أهل عصره قبل أحد عشر قرناً ، فكيف لو رأى زماننا وقد انتشرت الزندقة الصريحة التي تفوه بها أرباب الضلال من الجهمية والقبورية والعلمانيين والتي تشيع في صفوف المنتسبين إلى الإسلام !! على أن البربهاري ما جزم بالردة فإنه قال (**كأنهم في ردة**) أي رقة دينهم تقارب رقة دين شديدة إلى حد شابهوا فيه من فارق دينه بالكلية ، وقد أخذ عبارته من أثر للحسن البصري قال : أدركت عشرة آلاف من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو رأوكم لقالوا : ما لهؤلاء ؟ مجانين ؟ ولو رأيتموهم لقلتم : هؤلاء مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما لهؤلاء في الآخرة من حاجة ، ولو رأوا شراركم لقالوا : **ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب** .[البدع لابن وضاح (ص.١٣٠) وأبو الفضل الزهري جزء حديث الزهري (٦٣٠) والحلية (٢/١٣٤)]

وما قاله المؤلف من أن الناس كأنهم في ردة أمر واقعي اليوم والله المستعان ، وورد في النصوص أن هذه السمة ستكون ظاهرة في الناس وقد رُوي أن الناس سيخرجون من دين الله أفواجا كما دخلوه أفواجا .

روى ابن وضاح في البدع (١٨٣) قَالَ مَالِكٌ : وَبَلَغَنِي أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ : تَلَا { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنَّ النَّاسَ لَيَخْرُجُونَ الْيَوْمَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ أَفْوَاجًا "

وعن محمد بن سيرين قال : كنا نتحدث أنه تكون ردة شديدة ، حتى يرجع ناس من العرب يعبدون الأصنام بذي الخلصة ".

[رواه ابن أبي شيبة (٣٧٧٥٢)] .

وروى نعيم بن حماد في الفتن (٩٥٧) عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ قَالَ : « لَا يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ حَتَّى يُكْفَرَ بِاللَّهِ جَهْرَةً »

وهكذا توارث الناس الجهل والكفر والعياذ بالله وكلما مضت قرون ازداد الشر ، ففي زمن ابن القيم قال عنه **كما في زاد المعاد (٣/ ٤٣٦)** : ... وَغَلَبَ الشّرْكُ عَلَى أَكْثَرِ النّفُوسِ لِظُهُورِ الْجَهْلِ وَخَفَاءِ الْعِلْمِ فَصَارَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا ، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا ، وَالسّنّةُ بِدْعَةً وَالْبِدْعَةُ سُنّةً وَنَشَأَ فِي ذَلِكَ الصّغِيرُ وَهَرِمَ عَلَيْهِ الْكَبِيرُ وَطُمِسَتْ الْأَعْلَامُ وَاشْتَدّتْ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ وَقَلّ الْعُلَمَاءُ وَغَلَبَ السّفَهَاءُ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ وَاشْتَدّ الْبَأْسُ وَظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ وَلَكِنْ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ الْعِصَابَةِ الْمُحَمّدِيّةِ بِالْحَقّ قَائِمِينَ وَلِأَهْلِ الشّرْكِ وَالْبِدَعِ مُجَاهِدِينَ إلَى أَنْ يَرِثَ اللّهُ سُبْحَانَهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ."

ثم جاء زمن النجديين واستمر الأمر على ذلك الوضع فقال **محمد ابن عبد الوهاب كما في الدرر السنية (٨/١١٦)** : لقد والله لعب الشيطان بأكثر الخلق، وغير فطرهم، وشككهم في ربهم وخالقهم، حتى ركنوا إلى أهل الكفر، ورضوا بطرائقهم عن طرائق أهل الإسلام ، وكنا نظن قبل وقوع هذه الفتن ، وترادف هذه المحن : أن في الزوايا خبايا ، وفي الرجال بقايا ، يغارون على دينهم ، ويبذلون نفوسهم وأموالهم في الحمية لدينهم ، فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ."

وقال عبد الله أبو بطين في الدرر السنية (٨/١٠١) : والحديث المروي : " يأتي على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن " الحديث ، فهذه الأزمنة والله كذلك ، ولكن لضعف الإيمان ، ما نحس بذلك على حقيقته ، وقد اشتدت والله غربة الإسلام وأي غربة أعظم من غربة من وفقه الله لمعرفة التوحيد ، الذي اتفقت عليه جميع الرسل ، الذي هو حق الله على عباده ، مع جهل أكثر الناس اليوم ، وإنكارهم له، والأمر كما قال الله {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} .

[١٤١] وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد ، وبشرا المريسي ، وثمامة ، أو أبا الهذيل أو [هشاما] الفوطي أو واحدا من [أتباعهم] وأشياعهم فاحذره (١) **فإنه صاحب بدعة فإن هؤلاء كانوا على الردة ، واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير ، ومن ذكر منهم بمنزلتهم** (٢).

---

(١) بالله عليكم ، أين الذين لا يهجرون ولا يضللون من يجادل ويخاصم عن الجهمية والأشعرية اليوم ليقرؤوا هذا !!

روى الجوزجاني في أحوال الرجال (ص٦٤) عن ابن المديني قال سمعت جرير بن عبد الحميد يقول : تركت سالما [أي بن أبي حفصة] لأنه كان يخاصم عن الشيعة ، ثم قال بن المديني : من يتركه جرير أيّ شيء هو ؟) اهـ

قال الخلال : وأخبرنا أبو بكر المروذي قال : قلت لأبي عبد اللَّه : أن مثنى الأنماطي تكلم بواسط فأثنى على المريسي ؟ فقال : نعم ، فقال يزيد : ينفى ، فأنفي ، وكان من أهلها –يعني: من أهل واسط. [السنة (٢/ ١٩١ (١٧٢٤ – ١٧٢٧)]

(**قلت**) وبهذا تعلم حكم من يثني على طواغيت الأشعرية اليوم ويدافع عنهم ، ويسميهم أئمة وفقهاء !! فهذا لا مفتون وضال مضل ، وهو مثلهم كما قال تعالى (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) .

(٢) كل هؤلاء ما بين جهمي ومعتزلي زنديق كافر ، وليت المؤلف ذكر هذه الفقرة مع قوله (**وإذا رأيت الرجل يحب**..) ليكون الحب والبغض سويا.

أما الأول : فهو أحمد ابن أبي دؤاد هو رأس الجهمية والقائد لمحنة الخلق بالقرآن وهو من كبار المعتزلة اتَّصل بالمعتصم ، فَكَانَ لَا يقطع أمرا دونه توفّي سنة أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ من فالج أَصَابَهُ .

روى الخلال في السنة (١٧٥٧) أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ ثَوَابٍ الْمُخَرِّمِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ قَالَ : «**كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ**» وقال أحمد أيضا : « **حَشَا اللَّهُ قَبْرَهُ نَارًا** »

أما الثاني : بشر المريسي : **فقد خرج الْخَطِيب فِي تَارِيخ بَغْدَاد** (٧/ ٦١) بِسَنَدِهِ إِلَى أبي مُسلم صَالح بن أَحْمد بن عبد الله بن صَالح الْعجلِيّ حَدثنِي أبي قَالَ : رَأَيْت بشر المريسي –عَلَيْهِ لعنة الله– مرّة وَاحِدَة شَيخا قَصِيرا دميم المنظر ، وسخ الثيات ، وافر الشّعْر ، أشبه شَيْء باليهود ، وَكَانَ أَبوهُ يهوديًّا صباغًا بِالْكُوفَةِ فِي سوق المراضع ، ثمَّ قَالَ : لَا يرحمه الله لقد كَانَ فَاسِقًا .

روى الخلال في السنة (١٧١٧) عن الْمَرُّوذِيُّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذَكَرَ بِشْرًا الْمِرِّيسِيَّ فَقَالَ: « مَنْ كَانَ أَبُوهُ يَهُودِيًّا ، أَيْشٍ تَرَاهُ يَكُونُ ؟ » وَقَالَ الْمَرُّوذِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: « **مَلَأَ اللَّهُ قَبْرَ الْمِرِّيسِيِّ نَارًا** »

وفي السنة لعبد الله (٥٢٨) عن يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ يَقُولُ: « إِنْ كَانَ مَا يُذْكَرُ عَنْ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، حَقًّا حَلَّ سَفْكُ دَمِهِ »

وفي السنة للخلال (١٧٢٠) عن الْمَيْمُونِيُّ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ذُكِرَ عِنْدَهُ بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ فَقِيلَ : كَافِرٌ ، فَلَمْ أَرَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْكَرَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ شَيْئًا.

أما الثالث : فهو ثمامة بن الأشرس الجهمي المعتزلي الذي وصل غلوه في التعطيل أن رمى بعض الأنبياء بالتشبيه لعنه الله : فقال : ثلاثة من الأنبياء مشبهة موسى حيث قال : "**إن هي إلا فتنتك**" وعيسى حيث قال: "**تعلم ما نفسي ولا أعلم ما في نفسك**" ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال: "**ينزل ربنا**" [الفتاوى (٥/ ١١٠)]

[١٤٢] والمحنة في الإسلام بدعة (١) وأما اليوم فيمتحن بالسنة لقوله : "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم" (٢)

= **أما الرابع** : أبو الهذيل : فهو محمد بن الهذيل العبدي كان يلقب بالعلاف لأن داره بالبصرة كانت في العلافين ، وكان شيخ البصريين في الاعتزال ومن أكبر علمائهم (١٣٤-٢٣٥هـ) وكان أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء الغزال ، زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي وأنكر الصفات .

جاء في تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٩) عن أبي سعيد علي بن الحسن القبصري قال : قال المأمون يوما لحاجبه : من بالباب ؟ قال أبو الهذيل وعبد الله بن أباض الخارجي وهشام بن الكلبي فقال : ما بقي من رؤوس جهنم أحد إلا وقد حضر. [وانظر : أصول الاعتقاد (١٣٨٠)]

روى اللالكائي في السنة (١٠٤٤) قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ : حُكِيَ عَنْ أَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ أَنَّهُ لَمَّا رُوِيَ لَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ : كَذَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَذَبَ أَبُو الْهُذَيْلِ الْكَافِرُ الْجَاحِدُ لَعَنَهُ اللَّهُ .

أما الخامس : هشام الفوطي الجهمي المعتزلي فقد سبق الكلام عنه وعن كفره وغلو في الزندقة .

وفيهم يقول **السجزي في رسالته لأهل زبيد (ص٣٤٠)** : فالمتبع للأثر يجب تقديمه وإكرامه ، وإن كان صغير السن غير نسيب ، والمخالف له يلزم اجتنابه وإن كان مسنا شريفا، والذين بلي كثير من أهل العلم بهم : المعتزلة وهم أعداء الأثر وأهله ، وكبراؤهم أبو الهذيل العلاف وجعفر بن مبشر والنظام) .

(١) هذه العبارة تحتمل معنيين : **الأول** : أن أصل امتحان الناس هو بدعة لم يكن في زمن السلف ، وهذا بعيد بل له أصل في النصوص والآثار كما سيأتي ، **والإحتمال الثاني** : أن يقصد أن امتحان الناس في إسلامهم الظاهر بدعة محدثة ، وهذا هو الإحتمال الأقرب للواقع والنصوص ، فيكون المعنى أنه لا يجوز أن ننقب عن المسلم الظاهر الذي لم تظهر منه ريبة ، وقد ذكر الخلال نصوصا عن أحمد وإسحاق في أن الخوارج وأبو حنيفة وأصحابه لا يكتفون بالإسلام الظاهر (الشهادتين والصلاة) لقبول الإسلام وأنه لابد أن يكفر بكل دين ويمتحن في ذلك حتى يصح إسلامه ، وهذا الذي عناه المؤلف بقوله (**الإمتحان في الإسلام بدعة**) لأنه لم يعهد عن السلف أنهم امتحنوا في الإسلام الظاهر ، بل في السنة ، ولهذا قال بعد ذلك (**أما اليوم فيمتحن بالسنة**) ثم ذكر المحنة في أخذ الحديث والعلم والسنة ، لأنه بعد زمن الصحابة ظهرت البدع والكذب فتجد بعض أهل السنة يمتحن للأخذ والعطاء في الحديث والسنة والصحبة ونحو ذلك ، وسيأتي التفصيل في في المحنة بالسنة أكثر .

(٢) في بعض النسخ (**لقوله صلى الله عليه وسلم**) وقد روي مرفوعا عن أنس عند تمام في فوائده (٣١٢) ولا يصح ، والمعروف أنه عن ابن سيرين رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١٤/١) والدارمي في النقض (٦٤٠/٢) وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٩٤) والترمذي في (العلل) آخر كتاب الجامع (٢٣١/٦) والجوزجاني في أحوال الرجال (ص ٣٥ - ٣٦) وعبد الله بن أحمد في العلل (٣٦٤٠) وابنُ أبي حاتم في الجرح والتعديل (١/ ١ / ٢٨) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٧٨) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٢٠٨ - ٢٠٩) والعُقيلي في الضعفاء (١٠/١) وابنُ عدي في الكامل (١/ ٢١٤) وابنُ حبان في المجروحين (١/

٨٢) والخطيب في الكفاية (١٩٧) **وإسناده جيد** .

أما كلام ابن سيرين فله نظائر منها : **عن إبراهيم النخعي قال** : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه نظرنا إلى سمته وإلى صلاته ، ثم أخذنا عنه . [رواه الهروي في ذم الكلام (ص.٢٩٢) والدارمي في سننه (١/ ١١٢) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢٥).]

وعن الأشعث عن الحسن قال : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه. [ذم الكلام (ص.٢٩٢)]

وقال عبد الرحمن بن مهدي :" خصلتان لا يستقيم فيها حسن الظن الحكم والحديث " يعني لا يستعمل حسن الظن في قبول الرواية عمن ليس بمرضي ." أنظر [الجرح والتعديل (٢/ ٢٩)]

وفي الضعفاء للعقيلي (١/ ١٦) عن ابن سيرين قال : « كانوا لا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فننظر إلى أهل السنة فيؤخذ منهم ، وإلى أهل البدعة فلا يؤخذ منهم »

وروى الهروي في ذم الكلام (٥/ ٨٢) عن مَالك ابْن أَنَسٍ يَقُولُ (إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ فقد أدْرَكْت سبعين وأشارت بِيَدِّهِ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّهُمْ يَقُولُ قَالَ فُلَانٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ آخُذْ عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أُؤْتُمِنَ عَلَى بَيْتِ مَالٍ لَكَانَ بِهِ أَمِينًا وَكَانَ يَقْدُمُ عَلَيْنَا ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ فَنَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ) .

وروى أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٨ و٢٢٠) عن أبي العالية قال : أرحل إلى الرجل مسيرة أيام ، فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها أقمت وسمعتُ منه، فإن وجدته يضيعها رجعت ولم أسمع منه وقلت: هو لغير الصلاة أضيع .

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ٢٩) : وقال علي بن المديني سمعت يحيى بن سعيد يقول ينبغي لصاحب الحديث أن يكون ثبت الأخذ ويفهم ما يقال له وينظر الرجال ويتعاهد ذلك والاصل في ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وقد روى أبو أسامة عن بن عون عن محمد يعني بن سيرين أنه قال إن هذا الحديث دين فانظروا عن من تأخذونه).

[مسألة] والمحنة في السنة لها أصل في الكتاب والسنة والآثار نذكر من ذلك :

فأصل في كتاب الله المحنة في قوله تعالى (**إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن**) **فعن أبي نصر الأسدي قال** : سئل ابن عباس : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن النساء ؟ قال : كان صلى الله عليه وسلم « إذا أتته المرأة لتسلم حلفها : » بالله ما خرجت بغض زوجك وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت رغبة في أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله . [سنده ضعيف رواه الترمذي (٣٣٠٨) مسند الحارث (٧٢٢) والطحاوي في المشكل (٤٧٦٢) والمعجم الكبير الطبراني (١٢٦٦٨) وغيرهم]

عن مجاهد في قوله { **إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن** } قال : سلوهن ما جاء بهن ، فإن كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو غيرة أو سخط ولم يؤمن فأرجعوهن إلى أزواجهن ، وإن كن مؤمنات بالله فأمسكوهن وآتوهن أجورهن من صدقتهن وانكحوهن إن شئتم وأصدقوهن . [وأخرج ابن جرير (٢٣/ ٣٢٦) ونسبه في الدر المنثور (٨/ ١٣٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر] .

وفي ترجمة كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي من الاصابة (١٤٧٥) وفيه : امتحنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما

كان يمتحن به النساء بعدها : ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والاسلام ، لاحب زوج ولا مال " ، فإذا قلن ذلك لم يرددن .

وفي السنة : حديث امتحان النبي صلى الله عليه وسلم لابن الصياد ، وحديث امتحان الجارية .

جاء في كتاب الأم للشافعي (٢٩٨/٥) وقد ذكر مسألة إعتاق الصبية سبيت مع أبويها ولم تبلغ قال : وَوَصْفُهَا الْإِسْلَامَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتَبْرَأَ مِنْ كُلِّ دِينٍ خَالَفَ الْإِسْلَامَ وَأُحِبُّ لَوْ **امْتَحَنَهَا بِالْإِقْرَارِ** بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَمَا أَشْبَهَهُ .

قال أبو سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية (ص٩) عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : قِيلَ لَهُ : كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا ؟ قَالَ : بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ "

قال أبو سعيد الدارمي رحمه الله : وَمَا يُحَقِّقُ قَوْلَ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِلْجَارِيَةِ : أَيْنَ اللَّهَ ؟ يَمْتَحِنُ بِذَلِكَ إِيمَانَهَا ، فَلَمَّا قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَعْتِقْهَا ، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ .

وعن إسحاق بن سعد بن عبادة عن أبيه قال مرفوعا : إن هذا الحي من الأنصار **محنة** حبهم إيمان وبغضهم نفاق .[رواه أحمد (٢٢٥١٥) وابن أبي شيبة (١٥٩/١٢) والبزار (٣٧٣٦) والطبراني (٥٣٧٧) وله طرق جيدة]

روى الفريابي في القدر (٣٣٢) عن النَّضْرَ بْنَ شُمَيْلٍ قال : كَانَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ إِذَا جَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ الشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، فَإِنْ أَقَرَّ وَإِلَّا لَمْ يُحَدِّثْهُ قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَوْنٍ فَقَالَ : مَا هَذَا الْمُمْتَحِنُ النَّاسَ !! .

ففي مغازي الواقدي في مأخذ كلامه عن سرية رفاعة بن زيد قال :"... فَكَانَ فِيمَنْ رَكِبَ حِبّانُ بْنُ مِلّةَ وَابْنُهُ فَدَنَوْا مِنْ الْجَيْشِ وَتَوَاصَوْا لَا يَتَكَلّمُ أَحَدٌ إلّا حِبّانُ بْنُ مِلّةَ وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ عَلَامَةٌ إذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَنْ يَضْرِبَ بِسَيْفِهِ قَالَ: " قَوَدِي" فَلَمّا طَلَعُوا عَلَى الْعَسْكَرِ طَلَعُوا عَلَى الدّهْمِ مِنْ السّبْيِ وَالنّعَمِ وَالنّسَاءِ والأسارى أَقْبَلُوا جَمِيعًا، وَالّذِي يَتَكَلّمُ حِبّانُ بْنُ مِلّةَ يَقُولُ إنّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ. وَكَانَ أَوّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ عَارِضٌ رُمْحَهُ فَأَقْبَلَ يَسُوقُهُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوَدِي فَقَالَ حِبّانُ مَهْلًا فَلَمّا وَقَفُوا عَلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ قَالَ لَهُ حِبّانُ إنّا قَوْمٌ مُسْلِمُونَ. قَالَ لَهُ زَيْدٌ : اقْرَأْ أُمّ الْكِتَابِ وَكَانَ زَيْدٌ إنّمَا يَمْتَحِنُ أَحَدَهُمْ بِأُمّ الْكِتَابِ لَا يَزِيدُهُ. فَقَرَأَ حِبّانُ فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ نَادُوا فِي الْجَيْشِ " إنّهُ قَدْ حَرُمَ عَلَيْنَا مَا أَخَذْنَاهُ مِنْهُمْ بِقِرَاءَةِ أُمّ الْكِتَابِ ". اهـ

روى ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (٤١) عن عبد الله بن مسعود قال : كفى به دليلا على امتحان دين الرجل كثرة صديقه ." **[قلت]** فأنت ترى أن ابن مسعود يرى أن كثرة صديق الرجل تكفي المرء دليلا على ماهية دين الرجل ، حتى لا يحتاج إلى امتحانه ليصاحبه .

وقد ذكر الحافظ أبو الفرج المقدسي في كتابه " امتحان السني من البدعي" أنه يجوز الإمتحان بمعاوية رضي الله عنه ليتبن السني من البدعي . وقد وردت آثار في ذلك منها :

ما رواه **ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٣/٣٥)** : (أخبرنا أبو محمد بن الأكفاني : لما مضيت إليه لأسمع منه الحديث .. فلما صرت إليه قال لي : ما أحدثك أو أدري أي شيء مذهبك قلت له: عن أي شيء تسألني عن مذهبي قال : ما تقول في معاوية ؟ قلت : وما عسى أن أقول فيه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله عليه. قال: الآن أحدثك) اهـ .

روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠٩/٥٩) بإسناده : قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله : "معاوية عندنا مِحْنة ، فمن رأيناه ينظر إليه شزَراً اتهمناه على القوم"، يعني الصحابة. [انظر البداية و النهاية لابن كثير (٨ | ١٣٩)].

وقال الربيع بن نافع الحلبي (٢٤١هـ) رحمه الله : "معاوية سترٌ لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا كشف الرجل الستر اجترأ على ما وراءه ".[الإصابة (١٣٨/١) والبداية و النهاية (١٣٩/٨)].

روى ابن سعد في الطبقات (١١٥/٣) : خَبَرَنَا قَبِيصَةُ بْنُ عُقْبَةَ قَالَ : أخْبَرَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ حَبَّةَ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ الْكُوفَةَ أَتَاهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَهُمْ عَنْهُ حَتَّى **رَأَوْا أَنَّهُ يَمْتَحِنُهُمْ** قَالَ : " وَأَنَا أَقُولُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي ، قَالُوا أَوْ أَفْضَلَ ، قَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأَحَلَّ حَلالَهُ ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ، فَقِيهٌ فِي الدِّينِ ، عَالِمٌ بِالسُّنَّةِ ."

وفي تهذيب الكمال (١٥٣/٢٨) عَن أَحْمَد بْن يونس : (كَانَ سفيان إذا جاءه قوم من أهل الموصل امتحنهم بحب المعافى ، فإن رآهم كما يظن قربهم وأدناهم ، وإلا فلا) اهـ

من الإمتحان أن الحسن البصري لما اتهم بالقدر وأصبح بعض الأئمة يرتاب في ذلك احتاجوا أن يمتحنوه فتبين أنه متهم فبرؤه من عقيدة القدرية ، وامتحن الأوزاعي مكحولا لما شك في قوله بالقدر فوجد أنه بريء من ذلك .

في تذكرة الحفاظ (١١٤/١) والسير (٢٠٠/٦) عن مهدي بن هلال قال : أتيت سليمان التيمي فوجدت عنده حماد بن زيد ويزيد بن زريع وكان لا يحدث أحدا حتى يمتحنه فيقول له : الزنا بقدر فإن قال : نعم استحلفه فإن حلف حدثه خمسة أحاديث) ." اهـ

وفي تهذيب الكمال أيضا (١٥٣/٢٨) قال سفيان : امتحنوا أهل الموصل بالمعافى، فمن ذكره يعني بخير ، قُلْتُ : هؤلاء أصحاب سنة وجماعة ، ومن عابه قُلْتُ : هؤلاء أصحاب بدع) اهـ

وعن قتيبة بن سعيد يقول : « إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحي بن سعيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن محمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه – وذكر قوما آخرين – فإنه على السنة ، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع »

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس : « امتحن أهل الموصل بمعافى بن عمران ، فإن أحبوه فهم أهل السنة ، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة ، كما يمتحن أهل الكوفة بيحيى » [أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ٦٦]

في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢٠/١٤) قال بقية بن الوليد : إنا لنمتحن الناس بالاوزاعي فمن ذكره بخير عرفنا انه صاحب سنة .

قال رجل لأحمد بن حنبل : من السني ؟ قال: من أين أنت ؟ قال : من أهل البصرة قال : أتحب أيوب السختياني ؟ قال: نعم قال فأنت سني ."

قال أبو الحسن الطَّرْخاباذيَّ يقول : أحمد بن حنبل محنةٌ ، به يُعْرَفُ المُسْلِمُ من الزِّنْديقِ . [تهذيب الكمال (٢٢٦/١)]

وعن سفيان بن وكيع قال : (أحمد عندنا محنة ، من عاب أحمد عندنا فهو فاسق) [تبيين كذب المفتري (ص٤٢١)]

وقال مزاحم الخاقاني مضمناً لذلك : [طويل] .

لقد صار في الآفاق أحمد مــحنة | وأمر الـــورى فيها فليس بمشكل
ترى ذا الهوى جهلاً لأحمد مبغضاً | وتعرف ذا التقوى يحب أبن حنبل

وفي تاريخ الخطيب البغدادي نحو هذين البيتين لابن أعين وهما :

أضحى ابنُ حَنبَلَ مِحنة مَرضِية | وبحب أحمدَ يُعرفُ المتمسكُ
وإذا رأيت لأحـمدٍ مُتنقصاً | فاعــلم بَأن سُتورَهُ سَتهتكُ

وفي قصيدة إسماعيل بن فلان الترمذي :

لعمرك ما يهوى لأحمد نكبة　　　من الناس إلا ناقص العقل معور
هو المحنة اليوم الذي يبتلى به　　　فيعتبر السني فينا ويسبر
فقا أعين المراق فعل ابن حنبل　　　وأخرس من يبغي العيوب ويحفر

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن بن يزيد السلمي سمعت أبي يقول سمعت هشام بن عبيد الله الرازي وحبس رجلا في التجهم فجيء به إليه ليمتحنه فقال له أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه فقال لا أدري ما بائن من خلقه فقال ردوه فإنه لم يتب بعد .[العلو ص١٦٩] .

في كتاب نزهة الألباب (٨١٣) عند ترجمة حمدونه صاحب الزنادقة أنه كان يمتحن الناس عند انتشار الزندقة قال صاحب الكتاب : حمدونه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من أهل ميسان كان المهدي جعل أمر امتحان الزنادقة إلى عمر الكلوذاني وكانوا كثروا في أيامه فشدد عليهم وقتل منهم خلقا كثيرا ثم مات عمر فقرر بعده حمدونه فاشتهر حتى لا يقال له إلا حمدونه صاحب الزنادقة ."

قال القاسم بن أبي صالح : جاء أيام الحج أبو بكر محمد بن الفضل القسطاني ، وحريش بن أحمد إلى إبراهيم بن الحسين ، فسألاه عن حديث الإفك ، ورواية الفروي عن مالك ، فحانت منه التفاته ، فقال له الزعفراني : يا أبا إسحاق ! تحدث الزنادقة ؟ قال : ومن الزنديق قال هذا، إن أبا حاتم الرازي لا يحدث حتى يمتحن ، فقال : أبو حاتم عندنا أمير المؤمنين في الحديث ، والامتحان دين الخوارج ، ومن حضر مجلسي فكان من أهل السنة ، سمع ما تقر به عينه ، ومن كان من أهل البدعة ، يسمع ما يسخّن الله به عينه ، فقاما ولم يسمعا منه ." [السير (١٨٩/١٣) وأورده في تاريخ الإسلام حوادث (٢٨١. ٢٩٠هـ)]

قال معاذ بن معاذ : كان سليمان التيمي لا يزيد كل واحد منا على خمسة أحاديث ، وكان معنا رجل ن فجعل يكرر عليه ، فقال : نشدتك بالله أجهمي أنت؟ فقال : ما أفطنك ! من أين تعرفني) [راجع السير (٢٠٠/٦)]

في ترجمة زائدة من تهذيب التهذيب : قال العجلي: كان ثقة صاحب سنة وقال احمد بن يونس رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة فكلمه في رجل يحدثه فقال من أهل السنة هو قال ما اعرفه ببدعة فقال من أهل السنة هو فقال زهير متى كان الناس هكذا فقال زائدة متى كان الناس يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ."

وقال أبو نعيم : كان زائدة لا يكلم أحدا حتى يمتحنه فأتاه وكيع فلم يحدثه ." اهـ

قال البخاري في جزء رفع اليدين في الصلاة (ص١٨) : وَكَانَ زَائِدَةُ لَا يُحَدِّثُ إِلَّا أَهْلَ السُّنَّةِ اقْتِدَاءً بِالسَّلَفِ ، وَلَقَدْ رَحَلَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ بَلْخٍ مُرْجِئَةٌ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ بِالشَّامِ فَأَرَادَ مُحَمَّدٌ إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا حَتَّى تَابُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَرَجَعُوا إِلَى السَّبِيلِ ، وَالسُّنَّةِ ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَسْتَتِيبُونَ أَهْلَ الْخِلَافِ فَإِنْ تَابُوا ، وَإِلَّا أَخْرَجُوهُمْ مِنْ مَجَالِسِهِمْ .

روى الرامهرمزي حيث روى بإسناده عن مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْمُهَلَّبِ الْأَزْدِيُّ قَالَ : كَانَ زَائِدَةُ لا يُحَدِّثُ أَحَدًا حَتَّى يَمْتَحِنَهُ فَإِنْ كَانَ غَرِيبًا قَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ قَالَ : أَيْنَ مُصَلاكَ ؟ وَيَسْأَلُ كَمَا يَسْأَلُ الْقَاضِي عَنِ الْبَيِّنَةِ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ قَالَ : لا تَعُودَنَّ إِلَى هَذَا الْمَجْلِسِ فَإِنْ بَلَغَهُ عَنْهُ خَيْرًا أَدْنَاهُ وَحَدَّثَهُ فَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا الصَّلْتِ لِمَ تَفْعَلْ هَذَا ؟ قَال أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ ، فَيَصِيرُوا أَئِمَّةً يُحْتَاجُ إِلَيْهِمْ ، فَيُبَدِّلُوا كَيْفَ شَاءُوا)

[قلت] في هذا النص فائدة عظيمة وهي بيان مقصد زائدة من امتحانه لمن أراد أن يسمع منه فقال : أكره أن يكون العلم

عندهم فيصيروا أئمةً يُحتاج إليهم أي أهل البدع فرحمة الله على هذه الإمام .

وروى الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٣٣٢/١) بإسناده قال حسين الجُعفي : كان زائدة لا يحدث أحداً حتى يمتحنه .

قال هشام : لقيت شهابا وأنا شاب في سنة أربع وسبعين ومئة فقال لي : إن لم تكن قدريا ولا مرجئا ، وحدثتك ، وإلا لم أحدثك ، فقلت : ما في هذين شيء)[السير٨/٢٨٦]

قال الحاكم : وسمعت أبا سعيد بن أبي بكر يقول : لما وقع من أمر الكلابية ما وقع بنيسابور كان أبو العباس السراج (وهو الإمام محدث خراسان شيخ البخاري) ، يمتحن أولاد الناس ، فلا يحدث أولاد الكلابية فأقامني في المجلس مرة فقال : قل أنا ابرأ إلى الله تعالى من الكلابية فقلت : إن قلت هذا لا يطعمني أبي الخبز ، فضحك وقال : دعوا هذا) [السير ١٤/٣٩٥]

روى أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد (١٣ / ٣١١) بسنده عن عبد الخالق بن منصور قال : ورأيت يحيى بن معين كأنه يمتحن نعيم بن حماد في حديث أم الطفيل حديث الرؤية ويقول ما كان ينبغي له أن يحدث بمثل هذا الحديث ."

روى ابن عساكر في تاريخه (٩٢/٥٢) بإسناده : (أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه وعقد له المجلس حسده من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأى إقبال الناس إليه واجتماعهم فقال لأصحاب الحديث : إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق **فامتحنوه به** في المجلس فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ؟ فأعرض عنه البخاري ولم يجبه فقال الرجل : يا أبا عبد الله وأعاد عليه القول فأعرض عنه ولم يجبه ثم قال في الثالثة فالتفت إليه محمد بن إسماعيل وقال : القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة . فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه ."

وفي تاريخ دمشق (٢٤٣) بسنده عن أبي عمر أحمد بن محمد الكلبي عن أحمد بن أبي الحواري قال : من مات على الإسلام والسنة تقي نقي دخل الجنة ، وكان إذا جاءه قوم يسمعون منه مسألة سألهم ، إن كانوا من أهل السنة حدثهم ، وإلا منعهم .

قال المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٩٦٢/٢) : كل من كان معروفا بالإسلام والإيمان بما جاء من عند الله تعالى من الفرائض والحلال والحرام ثم كفر بشريعة من الشرائع أو استحلال بعض ما حرم الله تعالى فإنما يستتاب من الكفر بالشريعة التى كفر بها فإذا أقر بها عاد إلى الإسلام ولا يمتحن بغير ذلك ولا يسئل عن سواه) اهـ

وقد ألف ذاك أبو الفرج عبد الواحد المقدسي كتابا باسم " **امتحان السني من البدعي**" وهو مطبوع ، وذكر طريقة الإمتحان وكيف يكون ، وذكر أشياء كثيرة ، ولكنه أخطأ في أشياء ذكرها ، كقضية التحسين والتقبيح جعله شرعيا فقط وأنه من قال شرعي فهو السني **!!**

ولا تقبلوا الحديث إلا ممن تقبلون شهادته (١)

فتنظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوق كتبت عنه وإلا تركته (٢) .

---

(١) في بعض النسخ : (**ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا تقبلوا** ..) وقد روي فيه حديث عن ابن عباس رواه الهروي في ذم الكلام (١٤٠٨) وقد قال عنه الإمام أحمد كما في المنتخب من علل الخلال (٧٣) برواية مهنا : أنه موضوع .

(٢) هذا من أكثر ما وقع فيه الطعن على الرواة في غير ما يعود إلى الضبط ، وما سلم منه طوائف من الثقات الحفاظ من الناس بل تكلم فيهم لأجله ، والمعني به : البدع العقدية ، لا البدع الإضافية في أبواب الفروع ، وأصول البدع تعود جملتها إلى بدعة الخروج والقدر والمرجئة والتشيع كما سبق ، وتضاربت فيه مذاهب أهل الحديث ، بين قبول حديث الموصوف به ورده ، أو قبوله في حال ، ورده في حال ، وإنما دخل الإشكال على من ذهب إلى القدح بذلك أن البدعة خلل في الدين ، وذلك موجب للقدح في العدالة ، **كما قال سلام بن أبي مطيع** : بلغ أيوب يعني السختياني أني آتي عمراً يعني ابن عبيد ، فأقبل علي يوماً ، فقال : أرأيت رجلاً لا تأمنه على دينه، كيف تأمنه على الحديث) [مقدمة صحيح مسلم (١/ ٢٣)]

مذاهب أهل العلم في رد حديث أهل البدع أو قبوله ، **هي محصورة في أربعة مذاهب** :

المذهب الأول : ترك حديثهم مطلقاً ، أي : البدعة جرحة مسقط للعدالة ، وعليه يتنزل نصوص طائفة من الأئمة :

فعن محمد بن سيرين قال : كان في الزمن الأول لا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة سألوا عن الإسناد ، لكي يأخذوا حديث أهل السنة، ويدعوا حديث أهل البدع ". [سبق تخريجه] (**قلت**) وهذا كان مذهبا قديما قبل كثرة انتشار البدع .

وعن مالك بن أنس قال : لقد تركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم من العلم شيئاً ، وإنهم لممن يؤخذ عنهم العلم ، وكانوا أصنافاً : فمنهم من كان كذاباً في غير علمه ، تركته لكذبه ، ومنهم من كان جاهلاً بما عنده ، فلم يكن عندي موضعاً للأخذ عنه لجهله ، ومنهم من كان يدين برأي سوء " [أخرجه ابنُ عبد البرِّ في التمهيد (١/ ٦٥) بإسناد صحيح.]

المذهب الثاني : التفريق بحسب شدة البدعة وخفتها في نفسها ، وبحسب الغلو فيها أو عدمه بالنسبة إلى صاحبها.

قال أحمد بن حنبل : احتملوا المرجئة في الحديث ." [سؤالات أبي داود (١٣٦)]

وقال إبراهيم الحربي : حدثنا أحمد يوماً عن أبي قطن (عمرو بن الهيثم) فقال له رجل : إن هذا بعدما رجع من عندكم إلى البصرة تكلم بالقدر وناظر عليه فقال أحمد : نحن نحدث عن القدرية ، لو فتشت أهل البصرة وجدت ثلثهم قدرية ."[تاريخ الخطيب (١٢/٢٠٠)] وأحمد شدد في حديث الجهمية لغلظ بدعتهم (مكفرة) وتوسط في القدرية ، فقبل من لم يكن داعية ، وسهل في المرجئة ، **قال ابن رجب الحنبلي** : فيخرج من هذا : أن البدع الغليظة كالتجهم يرد بها الرواية مطلقاً ، والمتوسطة كالقدر إنما يرد رواية الداعي إليها ، والخفيفة كالإرجاء هل يقبل معها الرواية مطلقاً ، أو يرد عن الداعية ؟ على روايتين " [شرح علل الترمذي (١/ ٥٦)]

وقال مسلم بن الحجاج في مقدمته (ص٨) : الواجب على كل أحد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقات الناقلين لها من المتهمين أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه والستارة في ناقليه، وأن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع ".

المذهب الثالث : التفريق بين الداعي إلى بدعته ، وغير الداعي ، فيرد الأول ، ويقبل الثاني.

قال الحاكم : الداعي إلى البدعة لا يكتب عنه ولا كرامة ، لإجماع جماعة من أئمة المسلمين على تركه " [مَعرفة علوم الحديث (ص١٦)] وهذا منقول عن عبد الله بن المبارك ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين .[انظر الكفاية للخطيب (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥)]

قال نعيم بن حماد : سمعت ابن المبارك وقيل له : تركت عمرو بن عبيد وتحدث عن هشام الدستوائي وسعيد وفلان، وهم كانوا في عداده قال : إن عمراً **كان يدعو** " [الضعفاء للعقيلي (٣/ ٢٧٧) ومن طريقه الخطيب في الكفاية (ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤)].

روى نعيم قال : **قلت لا بن المبارك** : لأي شيء تركوا عمرو بن عبيد ؟ قال : إن عمراً كان يدعو ، يعني إلى القدر .

[أخرجه ابن أبي حاتم في التقدمة (ص ٢٧٣) وإسناده صالح]

ورَوى ابنُ عدي (١/ ٢٥٧) والخطيب في الكفاية (ص ٢٢٧) عن عبد الله بن المبارك قال : يُكتب الحديث إلا عن أربعة : غلاَّط لا يَرْجع وكذَّاب ، وصاحب هوى يدْعو إلى بدعته ، ورجلٍ لا يحفظ فيُحدثُ من حفظه ."

وقال عبد الرحمن بن مهدي : من رأى رأياً ولم يدع إليه احتمل، ومن رأى رأياً ودعا إليه فقد استحق الترك .[الكفاية (ص٢٠٣) صحيح]. **وقال** : ثلاثة لا يحمل عنهم : الرجل المتهم بالكذب ، والرجل الكثير الوهم والغلط ، ورجل صاحب الهوى يدعو إلى بدعة " [أخرجه عبد الله بن أحمد في العلل (٤٩٤٧) وعنه العُقيلي (١/ ٨) وإسناده صحيح]

وقال محمد بن عبد العزيز الأبيوردي (من أصحاب أحمد) " سألت أحمد بن حنبل: أيكتب عن المرجئ والقدري ؟ قال: نعم، يكتب عنه إذا لم يكن داعياً " [أخرجه الخطيب في الكفاية (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥)]

وقال أبو داود السجستاني في سؤالاته (١٣٠) قلت لأحمد بن حنبل: يكتب عن القدري ؟ قال : إذا لم يكن داعياً " .

المذهب الرابع : عدم اعتبار البدعة جرحاً مسقطاً لحديث الراوي ، لما تقوم عليه من التأويل ، وإنما العبرة بالحفظ والإتقان والصدق ، والسلامة من الفسق والكذب ، وعلى هذا في التحقيق يتنزل مذهب من ذهب من كبار الأئمة إلى أن البدعة لا تمنع قبول حديثهم ، إلا من كان يستحل الكذب ، وهذا هو منقول من مذهب سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والشافعي.

[انظر: الكفاية للخطيب (ص: ٢٠٢ ــ ٢٠٣)]

حكى الخطيب (ص: ١٩٤) عن الشافعي قال : وتُقبل شهادةُ أهْل الأهواء إلا الخطابية من الرافضة ، لأنهم يروْنَ الشهادة بالزور لموافقهم " .

قال ابن عيينة : حدثنا عبد الملك بن أعين ، وكان شيعياً ، وكان عندنا رافضياً صاحب رأي " [الكفاية (ص١٥١)]

قال علي بن المديني : **قلت ليحيى (يعني القطان)** إن عبد الرحمن (يعني ابن مهدي) يقول : اترك من كان رأساً في البدعة يدعو إليها قال : كيف نصنع بقتادة وابن أبي رواد وعمر بن ذر ؟! وذكر قوماً قال يحيى : إن ترك هذا الصنف ترك ناساً كثيراً ."

[أخرجه أبو القاسم البَغوي في الجعديات (١٠٩٣) والعُقيلي في الضعفاء (٨/١) وإسناده صحيح.]

وفي بن أبي شيبة في سؤالاته (ص ٤٥ ــ ٤٦) قال : قلت لعلي بن عبد الله المديني : يا أبا الحسن ، إن يحيى بن معين ذكر لنا : أن مشايخ من البصريين كانوا يرمون بالقدر ، إلا أنهم لا يدعون إليه ، ولا يأتون في حديثهم بشيء منكر منهم : قتادة وهشام صاحب الدستوائي وسعيد بن أبي عروبة ، وأبو هلال، وعبد الوارث ، وسلام كانوا ثقات ، يكتب حديثهم ، فماتوا وهم يرون القدر ، ولم يرجعوا عنه ، فقال لي علي رحمه الله : أبو زكريا كذا كان يقول عندنا ، إلا أن أصحابنا ذكروا أن هشام

[١٤٣] وإذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة قبلك فاحذر الكلام وأصحاب الكلام ، والجدال ، والمراء ، والقياس ، والمناظرة في الدين ، فإن استماعك منهم – وإن لم تقبل منهم – يقدح الشك في القلب ، وكفى به قبولا [فتهلك](١)

= الدستوائي رجع قبل موته ، ولم يصح ذلك عندنا ."

(**قلت**) ففي هذا نفي أن يكون قتادة داعية إلى بدعته ، لكن فيه تثبيت أن جميع هؤلاء كانوا يذكرون بالبدعة ، ويحيى اعتبر في ثقتهم أمرين : عدم الدعوة إلى البدعة ، مع الحفظ والإتقان .

وقد سئل **محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي** عن (علي بن غراب) فقال: كان صاحب حديث بصيراً به فقيل له : أليس هو ضعيفاً ؟ قال : إنه كان يتشيع ، ولست أنا بتارك الرواية عن رجل صاحب حديث يبصر الحديث بعد أن لا يكون كذوباً للتشيع أو القدر، ولست براو عن رجل لا يبصر الحديث ولا يعقله ولو كان أفضل من فتح يعني الموصلي [الكفاية (ص٢٠٧)]

وفي صحيح البخاري " عن جمع كبير من المنسوبين إلى البدع ، فهؤلاء الأعيان قدوة الناس في هذا الفن، وممن إليهم المرجع فيه

قال ابن جرير الطبري: " لو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة ثبت عليه ما ادعي به، وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك ، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار ، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه ."

(١) هذا الكلام تكرر كثيرا من المؤلف ، وهو كثيرا وما يعيد ذكر نفس الفقرات مع تغيير بسيط ، وهذا ما زاد من حجم الكتاب قليلا ، وإلا لو حذفنا المكرر لقل حجمه مما هو عليه الآن ، ولكن لعل الذكرى تنفع القارئ خاصة مع تغيير أسلوب التعبير فترسخ المعلومة أكثر وتثبت ، وقد سبق أن المراد بالكلام وأهله هو أهل الرأي من الأحناف وغيرهم الذين يستعملون الرأي في شرح النصوص دون الرجوع للآثار وفهم السلف ، ويعارضون الأحاديث والآثار بالرأي ، وإذا أَلَّفُوا فكذلك بلا أثر ، فكتبهم مقاييس وآراء وقواعد وأصول وجدالات ، وسبق قول عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيهم أَنَّهُ قَالَ : **أَصْبَحَ أَهْلُ الرَّأْيِ أَعْدَاءَ السُّنَنِ ، أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أن يعوها ، وتفلتت منهم أن يرووها ، فاشتقوها بالرأي**) ومثل هذا ذكر مالك أصحاب الرأي وقال (**هم أعداء السنة**) [مناقب مالك للزواوي (١٤٦)] **وَقد قَالَ الشَّافِعِي رَحمَه الله** : حكمي فِي أهل الْكَلَام أَن يضْربُوا بالجرد وَالنعال وَيُطَاف بهم فِي الْقَبَائِل والعشائر وَيُقَال : هَذَا جَزَاء من ترك الْكتاب وَالسّنة وَأَقْبل على الْكَلَام .

وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَوْمَ نَاظَرَهُ حَفْصٌ الْفَرْدُ قَالَ لِي : يَا أَبَا مُوسَى ، لِأَنْ يَلْقَى اللَّهَ الْعَبْدُ بِكُلِّ ذَنْبٍ مَا خَلَا الشِّرْكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ . [جامع بيان العلم (١٧٨٨)]

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ الْكَلَامِ أَبَدًا ، وَلَا تَكَادُ ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل .[جامع بيان العلم (١٧٩٦)] **قال ابن هانئ** : وسئل عن النظر في كتب الرأي ؟ فقال: لا تنظر في شيء من الرأي، ولا تجالسهم." [مسائل ابن هانئ (١٩١٩)] **قال ابن هانئ في مسائله (١٩٣٠)** : وسمعته يقول : تركنا أصحاب الرأي ، وكان عندهم حديث كثير ، فلم نكتب عنهم ، لأنهم معاندون للحديث ، لا يفلح منهم أحد .

وما كانت زندقة قط ولا بدعة ولا هوى ولا ضلالة ، إلا من الكلام والجدال والمراء والقياس وهي أبواب البدعة ، والشكوك والزندقة (١) .

[١٤٤] فالله الله في نفسك ، وعليك بالأثر(٢) **وأصحاب الأثر والتقليد ، فإن الدين إنما هو بالتقليد [يعني للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم] ، ومن قبلنا لم يدعونا في لبس ، فقلدهم واسترح ، ولا تجاوز الأثر ، وأهل الأثر ، وقف عند متشابه [القرآن والحديث] ولا تقس شيئا ، ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع ، فإنك أمرت بالسكوت عنهم ولا تمكنهم من نفسك** (٣) .

وَقَالَ أَحْمد بن إِسْحَاق الْمَالِكِي : أهل الْأَهْوَاء والبدع عِنْد أَصْحَابنَا هم أهل الْكَلَام فَكل مُتَكَلم من أهل الْأَهْوَاء والبدع أشعريا كَانَ أَو غير أشعري لَا تقبل لَهُ شَهَادَة ويهجر ويؤدب على بدعته فَإِن تَمَادى عَلَيْهَا استتيب مِنْهَا . [ذكره ابن قدامة في كتاب تحريم النظر في كتب الكلام (ص٤٢)]

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ : أَجْمَعَ أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْآثَارِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ أَنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ أَهْلُ بِدَعٍ وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ وَإِنَّمَا الْعُلَمَاءُ ، أَهْلُ الْأَثَرِ وَالتَّفَقُّهِ فيه ويتفاضلون فيه بالإتقان وَالْمَيْزِ وَالْفَهْمِ . [الجامع (٢ ٩٤٢)]

(١) وهذه عبارة إبراهيم الخواص كما سبق أن نبهنا على ذلك ، وقد **سبق عَنِ الشعبي أنه قَالَ** : إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ ، وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ فَتَرَكُوا الْآثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بِرَأْيِهِمْ فضلُّوا وَأَضَلُّوا .[جامع بيان العلم (٢٠٢٦)]

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : مَنْ يرغب برأيه عن أمر الله يضل . [جامع بيان العلم (٢٠٢٧)]

(١) قال أبو داود : سمعت أحمد وقال له رجل : جامع سفيان نعمل به ؟ قال : عليك بالآثار ." [مسائل أبي داود (١٧٧٩)]

(٢) فالتقليد للنبي صلى الله عليه والصحابة إنما معناه الإتباع والإقتداء ، وهو التقليد المحمود ، لا تقليد من ليس بحجة ومن لا يتبع الآثار ، وتسمية تقليد السلف (تقليد) ليس ببدعة ولا محدث ، إنما هو تعبير السلف ، فلا يفهم أحد أن التقليد كله مذموم كما يسمعه من المتأخرين ، فيأتي ويُغَلِّطُ البربهاري ، ومن هو فوقه وأجل وأعلم وسيصل به ذلك إلى تجهيل القرون الأولى !! بل أقول إن تحريم تقليد الصحابة هو قول الجهمية والأشعرية وأهل البدع ، ولا يعرف عند السلف ، وقد فضحهم أهل السنة والحديث في هذا وسأنقل عن بعضهم هنا :

قال الإمام أحمد كما في طبقات الحنابلة أيضا (٣١/١) في ذكر عقيدة الإمام أحمد برواية الإصطخري وفي كتاب السنة لحرب الكرماني (٧٩) قال : من زعم أنه لا يرى التقليد ، ولا يقلد دينه أحدًا فهذا قولُ فاسقٍ مبتدعٍ عدوٍّ للَّه ولرسوله صلى اللَّه عليه وسلم ولدينه ، ولكتابه ، ولسنة نبيه –صلى اللَّه عليه وسلم– إنما يريد بذلك إبطال الأثر ، وتعطيل العلم وإطفاء السنة ، والتفرد بالرأي والكلام والبدعة والخلاف ، فعلى قائل هذا القول لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين ، فهذا من أخبث قول المبتدعة وأقربها إلى الضلالة والردى بل هو ضلالة ، زعم أنه لا يرى التقليد وقد قلد دينه أبا حنيفة وبشرًا المريسي وأصحابه

فأي عدو لدين اللَّه أعدى ممن يريد أن يطفئ السنن ، ويبطل الآثار والروايات ، ويزعم أنه لا يرى التقليد وقد قلد دينه من قد سميت لك ، وهم أئمة الضلال ، ورءوس البدع ، وقادة المخالفين فعلى قائل هذا القول غضب اللَّه ، فهذِه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر ، وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث ، وتعلمنا منهم السنن ، وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ، ولم يكونوا أصحاب بدع ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم ، وعلمائهم الذين كانوا قبلهم ، فتمسكوا بذلك رحمكم اللَّه وتعلموه وعلموه وباللَّه التوفيق) اهـ

وقال الدرامي في النقض (ص٢٩٨) : وَاحْتَجَّ الْمُعَارِضُ أَيْضًا فِي دَفْعِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْلِيدِ رُوَاتِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ بِحِكَايَةٍ حَكَاهَا عَنْ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ الْمَرِيسِيِّ كَانَ يَحْكِيهَا عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ ، فَقَالَ مُعْجَبًا بِسُؤَالِهِ: سَأَلْتُ بِشْرَ بْنَ غياث عَن التَّقْلِيد فِي الْعِلْمِ فَقَالَ : حَرَامٌ مُحَرَّمٌ لِلْعُلَمَاءِ ، حَتَّى يَعْرِفَ هَذَا الْعَالِمُ أَصْلَهُ وَمَعْرِفَتَهُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ ، وَإِنَّمَا التَّقْلِيدُ لِلْجُهَّالِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ !! وَافْتَخَرَ الْمُعَارِضُ بِسُؤَالِ بِشْرٍ عَنْ هَذَا كَأَنَّهُ سَأَلَ عَنْهَا الْحَسَنَ وَابْنَ سِيرِينَ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا سَأَلَ عَنْهَا جهيمًا جَاهِلًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، مُخَالِفًا لِلْإِجْمَاعِ ، إِنْ أَخْطَأَ فَعَلَيْهِ خَطَؤُهُ ، وَإِنْ أَصَابَ لَمْ يُلْتَفَتْ لِإِصَابَتِهِ، لِأَنَّهُ الْمَأْبُونُ فِي دِينِ اللَّهِ الْمُتَّهَمُ على كتاب الله ، الطاعن فلي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَيْفَ تَسْتَفْتِي الْمَرِيسِيَّ ، وَقَدْ رَوَيْتَ عَنْ أَبِي يُوسُفَ ، أَنَّهُ هَمَّ بِأَخْذِهِ وَتَنْكِيلِهِ فِي هَذِهِ الضَّلَالَاتِ ، حَتَّى فَرَّ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ فَإِنْ يَكُنْ مَا قَالَ بِشْرٌ حَقًّا فَبُؤْسًا لَكَ ولأصحابك الَّذين. قَلَّدْتُمْ دِينَكُمْ أَبَا حَنِيفَةَ وَأَبَا يُوسُفَ وَمُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ فِي أَكْثَرِ مَا تُفْتُونَ مِمَّا لَا تَعْقِلُونَ مِنْ أَكْثَرِهِ عَلَى كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ، غَيْرَ أَنَّا نَقُولُ : إِنَّ عَلَى الْعَالِمِ بِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ ، أَنْ يَجْتَهِدَ وَيَفْحَصَ عَنْ أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ ، حَتَّى يَعْقِلَهَا بِجَهْدِهِ مَا أَطَاقَ ، فَإِذَا أَعْيَاهُ أَنْ يَعْقِلَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَرَأْيُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَأْيِ نَفْسِهِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَلَا لَا يُقَلِّدَنَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ دِينَهُ رَجُلًا ، إِنْ آمَنَ آمَنَ وَإِنْ كَفَرَ كَفَرَ ، فَإِنْ كُنْتُم لابد فَاعِلِينَ فَالْأَمْوَاتَ ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا يُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ" ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَيْضًا : مَنْ عُرِضَ لَهُ مِنْكُمْ قَضَاءٌ فَلْيَقْضِ بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَفِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فَفِيمَا قَضَى بِهِ الصالحون قبله" فَأَبَاحَ ابْنُ مَسْعُودٍ التَّقْلِيدَ لِلْأَمْوَاتِ ، وَقَضَاءِ الصَّالِحِينَ عَلَى التَّحَرِّي وَالِاحْتِيَاطِ ، فمَنْ هَذَا الْمَرِيسِيُّ الضَّالُّ الَّذِي يحظره على الْأمة ؟ وَمن حَتَّى يُسْتَحَلَّ بِقَوْلِهِ شَيْءٌ أَوْ يُحَرَّمَ ؟ وَقَالَ شُرَيْحٌ وَابْنُ سِيرِينَ : لَنْ نَضِلَّ مَا تَمَسَّكْنَا بِالْأَثَرِ" ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : مَا الْأَمْرُ إِلَّا الْأَمْرُ الْأَوَّلُ ، لَوْ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ لم يغسلوا إِلَّا الظفر مَا جَاوَزْنَاهُ ، كَفَى إِزْرًا عَلَى قَوْمٍ أَنْ تَتَخَالَفَ أَعْمَالُهُمْ" ، الِاقْتِدَاءُ بِالْآثَارِ تَقْلِيدٌ ، فَإِنْ كَانَ لَا يَجُوزُ فِي دَعْوَى الْمَرِيسِيِّ أَنْ يَقْتَدِيَ الرَّجُلُ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ ، فَمَا مَوْضِعُ الِاتِّبَاعِ الَّذِي قَالَه اللَّهُ تَعَالَى : {**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**} ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِآثَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بَعْدَهُمْ ، بَعْدَ أَنْ لَا يَسَعَ الرَّجُلُ اسْتِعْمَالَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا اسْتَنْبَطَهُ بِعَقْلِهِ فِي خِلَافِ الْأَثَرِ ؟ إِذَا بَطَلَتِ الْآثَارُ وَذَهَبَتِ الْأَخْبَارُ ، وَحُرِّمَ طَلَبُ الْعِلْمِ عَلَى أَهْلِهِ ، وَلَزِمَ النَّاسُ الْمَعْقُولَ ، مِنْ كُفْرِ الْمَرِيسِيِّ وَأَصْحَابِهِ ، وَالْمُسْتَحِيلَاتِ مِنْ تفاسيرهم ، فقد عرضنَا كَلَامهم عل الْكتاب وَالسّنة فأخطأوا فِي أَكْثَرِهَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَلَمْ يُصِيبُوا السّنة) .

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَا كَانَ الْكِتَابُ أَوِ السُّنَّةُ مَوْجُودَيْنِ فَالْعُذْرُ عَلَى مَنْ سَمِعَهُمَا مَقْطُوعٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِمَا ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ صِرْنَا إِلَى أَقَاوِيلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ وَاحِدِهِمْ ، ثُمَّ كَانَ قَوْلُ الْأَئِمَّةِ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، **إِذَا صِرْنَا إِلَى التَّقْلِيدِ** أَحَبَّ إِلَيْنَا . [المدخل للبيهقي (٣٥) والمعرفة (٣١٨)]

وقال إسحاق بن راهوية رحمه الله : إنما نحن أصحاب اتباع وتقليد لأئمتنا وأسلافنا الماضين رحمهم الله ، لا نحدث حدثا ليس

أما علمت أن محمد بن سيرين في فضله لم يُجبْ رجلا من أهل البدع في مسألة واحدة لا، ولا سمع منه آية من كتاب الله ، فقيل له ، فقال : أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء (١).

= في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله إمام . [السنة للخلال (٩٨١٢)]

وقال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد (ص٣٠٣) وهو يعدد مقالات الأشعري : أن عوام المسلمين الذين لا يعرفون الله تعالى بالأدلة العقلية ليسوا بالمؤمنين في الحقيقة وإنما تجرى عليهم أحكام الشريعة وهو من أفضع الأقاويل ، وهو قول جهم) اهـ

(**قلت**) ومن خرابيط ذاك الذهبي أن أزعجته عبارة الإمام أحمد في التقليد ، فكانت أحد أسباب إنكاره لرواية الإصطخري هذه بجهل وحمق ، **فقال في كتابه السير** (٣٠٣/١١) : وَمِنْ أسمجِ مَا فِيْهَا قَوْلُه : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لاَ يَرَى التَّقليدَ ، وَلاَ يُقلِّدُ دينَه أَحَداً ، فَهَذَا قَوْلُ فَاسقٍ عدوٍّ للهِ ، فَانْظُرْ إِلَى جهلِ المحَدِّثِيْنَ كَيْفَ يروُونَ هَذِهِ الخُرَافَة ، ويسكتُوْنَ عَنْهَا !!.

(**قلت**) وهذا من أجهل منك بالتوحيد والسنة ؟ فما أكثر تطعن في أهل الحديث وتمدح الزنادقة والفساق !! ثم إن هذه الرواية رواها الكرماني في السنة أيضا يا جهول ، ومقصود السلف من التقليد واضح ، وهو اتباع الصحابة والتابعين ، لا يدفعه إلا جاهل أو مبتدع .

(١) رواه إبراهيم الحربي في رسالة أن القرآن غير مخلوق (٧) وعبد الله في السنة (١٠٠) والفريابي في القدر (٣٧٣) والدارمي في السنن (١٢٠/١) والآجري في الشريعة (ص ٦٢) وابن بطة (٣٩٨) واللالكائي (٢٤٢) وسنده صحيح ولفظه : دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فَقَالَا : يَا أَبَا بَكْرٍ نُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ قَالَ : لَا قَالَا : فَنَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : لَا ، لَتَقُومَانِ عَنِّي ، أَوْ لَأَقُومَنَّ ، فَقَامَ الرَّجُلَانِ ، فَخَرَجَا .

وَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ : دَخَلَ رجل على محمد بن سِيرِينَ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَقْرَأُ عَلَيْكَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَا أَزِيدُ أَنْ أقرأها ثم أخرج ؟ فوضع إصبعيه في أذنيه ثم قال: أحرج عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا إِلَّا خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِي قَالَ : فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ ، لَا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج ، فقال بإزاره يشده عليه وَتَهَيَّأَ لِلْقِيَامِ فَأَقْبَلْنَا عَلَى الرَّجُلِ ، فَقُلْنَا : قَدْ حرَّج عَلَيْكَ إِلَّا خَرَجْتَ أَفَيَحِلُّ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ رجل مِنْ بَيْتِهِ ؟ قَالَ : فَخَرَجَ ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَا عَلَيْكَ لَوْ قَرَأَ آيَةً ثُمَّ خَرَجَ ؟ قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ قَلْبِي يَثْبُتُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مَا بَالَيْتُ أَنْ يَقْرَأَ ، وَلَكِنْ خِفْتُ أَنْ يُلْقِي فِي قَلْبِي شَيْئًا أَجْهَدُ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ قَلْبِي فَلَا أَسْتَطِيعُ . [أخرجه ابن وضاح في البدع (١٥٠) وبنحوه في الدارمي (٣٩٧) وعبد الله في السنة (١٠٠) والآجري في الشريعة (١٢٠) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٤٢) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٧٧)]

[١٤٥] وإذا سمعت الرجل يقول : إنا نحن نعظم الله – إذا سمع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم – فاعلم أنه جهمي ، يريد أن يرد أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدفع بهذه الكلمة آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه إذا سمع حديث الرؤية ، وحديث النزول وغيره ، أفليس قد رد أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا قال : إنا نحن نعظم الله أن يزول من موضع إلى موضع ، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره فاحذر هؤلاء فإن جمهور الناس من السُوقة وغيرهم على هذا [الحال وحذر الناس منهم] (٢).

---

(٢) وهذا ما يسميه أهل العلم تنزيه المعطلة النفاة في قولهم ليس بجسم ولا جوهر ولا مركب ولا تقوم به الأعراض ولا يوصف بالأبعاض ولا يفعل بالأغراض ولا تحله الحوادث ولا تحيط به الجهات ولا يقال في حقه أين ، وليس بمتحيز !! فانظر كيف كسَوْا حقائق أسمائه وصفاته وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه وتكليمه لخلقه ورؤيتهم له بالأبصار في دار كرامته هذه الألفاظ ثم توسلوا إلى نفيها بواسطتها وكفروا وضللوا من أثبتها واستحلوا منه ما لم يستحلوه من أعداء الله من اليهود والنصارى ، فالله الموعد وإليه التحاكم ، وبين يديه التخاصم .

وقد وبوب الدارمي في كتاب الرد على المريسي بقوله (**دَعْوَى المريسي تَنْزِيه الله عَن المشابهة ومناقشته فِي ذَلِك**) ثم فضح زيف مدعاه وكشف الستر عما يخفيه تحت هذه العبارة من الكفر والزندقة .

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣١٩/٧) : فَالْجَهْمِيَّةُ تَجْحَدُ أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا وَقَالُوا : مَعْنَى قَوْلِهِ: {سَمِيعٌ بَصِيرٌ} أَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كَقَوْلِكَ لِلْمَكْفُوفِ : مَا أَبْصَرَهُ بَكَيْتَ وَكَيْتَ ، فَدَلَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ عَلَى إِبْطَالِ صِفَاتِ الْمَوْصُوفِ ، وَرَدُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَجَحَدُوا صِفَاتِ اللَّهِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ ، وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} فَعَدَلُوا عَمَّا نَهَى اللَّه ، وَوَهَّمُوا عَلَى الضُّعَفَاءِ أَنَّهُمْ **يُرِيدُونَ بِنَفْيِ الصِّفَاتِ تَنْزِيهَ اللَّهِ ، وَصَرْفَ التَّشْبِيهِ عَنْهُ** ..) اهـ

وقال ابن خزيمة في التوحيد (ص٥١) فَأَمَّا احْتِجَاجُ الْجَهْمِيَّةِ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ فِي هَذَا النَّحْوِ بِقَوْلِهِ **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** فَمَنِ الْقَائِلُ إِنَّ لِخَالِقِنَا مِثْلًا أَوْ إِنَّ لَهُ شَبِيهًا ؟ **وَهَذَا مِنَ التَّمْوِيهِ** عَلَى الرِّعَاعِ وَالسُّفْلِ ، **يُمَوِّهُونَ هَذَا** عَلَى الْجُهَّالِ **يُوهِمُونَهُمْ** أَنَّ مَنْ وَصَفَ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ شَبَّهَ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ ..) اهـ **وقال السجزي في رسالته (ص١٢٣)** وهو يذكر تلبيس الأشعرية تمويههم صفة الكلام : ونفوس ذوي النقص مسرعة **إلى قبول هذا التمويه** ، يظنون أن في ذلك **تنزيها لله** سبحانه والأمر بخلاف ذلك) اهـ .

وقال ابن قتيبة في كتاب الاختلاف في اللفظ (ص٣٦) : " وتعمق آخرون في النظر وزعموا أنهم يريدون تصحيح التوحيد بنفي التشبيه عن الخالق فأبطلوا الصفات مثل الحلم والقدرة والجلال والعفو وأشباه ذلك ، فقالوا هو الحليم ولا نقول بحلم، وهو القادر ولا نقول بقدرة، وهو العالم ولا نقول بعلم، كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا (أسألك عفوك) وأن يقولوا

[١٤٦] وإذا سألك أحد عن مسألة في هذا الكتاب ، وهو مسترشد فكلمه ، وأرشده ، وإذا جاءك يناظرك فاحذره ، فإن في المناظرة : المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب ، وقد نهيت عن هذا جدا [وهو يزيل عن] طريق الحق ، ولم يبلغنا عن أحد من فقهائنا ، وعلمائنا أنه ناظر أو جادل أو خاصم (١) .

=(يعفو بحلم ويعاقب بقدرة) والقدير هو ذو القدرة والعافي هو ذو العفو، والجليل هو ذو الجلال والعليم هو ذو العلم) اهـ

وفي كتاب جمع الجيوش والدساكر لابن عبد الهادي (١١٠) عن عَدْنَانَ بْنَ عَبْدَةَ النُّمَيْرِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا عُمَرَ الْبِسْطَامِيَّ ، يَقُولُ : كَانَ أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ أَوَّلا يَنْتَحِلُ الاعْتِزَالَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَكَتَمَ عَلَيْهِمْ ، وإنما مَذْهَبه التَّعْطِيل ، إِلَّا أَنَّهُ رَجَعَ مِنَ التَّصْرِيحِ إِلَى التَّمْوِيهِ) اهـ .

(قلت) وأحد أسباب نشوء ضلالة العذر بالجهل هي هذه القضية ، أي أن من يعذر المشركين والزنادقة والجهمية يعذرهم ـ في زعمه ـ أن لهم قصد حسن وأرادوا التعظيم والتنزيه كما هي عادة ذاك الذهبي مثلا في سيره ، كل ترجم لزنديق أو جهمي أو فاسق اعتذر له بهذه الشبهة القبيحة التي اغتر بها الكثير من المعاصرين اليوم ممن يدعي العلم ، ويتكلمون باسمه !! وحتى شيخه ابن تيمية مشى على هذه الطريقة في توسعة العذر بسبب المقاصد !! وهذا العذر لا يفيد العاذر والمعذور عند الله شيئا .

(١) وهذا النهي في كتاب الله قال الله تعالى : { **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** } عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : {**لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**} [الشورى: ١٥] قَالَ : « لَا خُصُومَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ » [الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٢٩/٢)]

وقد تواترت الآثار من السلف في النهي الشديد عن المناظرة والجدال والخصومات مع أهل الأهواء ، وشددوا النهي في ذلك فوصلوا إلى حد الهجر لمن وقع في شيء من ذلك ، وإليك بعض آثارهم وإلا فهي لا يمكن حصرها :

عَنْ عمر رضي الله عنه قَالَ : « لَا يُصِيبُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرَاءَ ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا » [روا أبو عبيد في الإيمان (ص٣٧) وأصول السنة لابن أبي زمنين (١٥٥) الإبانة الكبرى لابن بطة (٥٢٨/٢)]

عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما لما نقل له أحدهم كلام نجدة الحروري ـ جعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء) [أصول الاعتقاد (١/ ١٣٧ - ١٣٨/ ١٩٩) وذم الكلام (ص.١٨٧)]

روى عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٩٩) عن معمر قال : كان طاووس جالساً يوماً وعنده ابنه ، فجاء رجل من المعتزلة ، فتكلم في شيء فأدخل طاووس إصبعيه في أذنيه وقال : يا بني أدخل إصبعك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف ثم قال : أي بني أشدد فما زال يقول أشدد حتى قام الرجل .

قال عمرو بن قيس : قلت للحسن بن عتيبة : ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها ؟ – أي: ما الذي جعلهم يكثرون من الدخول فيها– قال : الخصومات) أي : لما فتحوا باب الخصومات على أنفسهم ، كان لزاماً عليهم أن يدخلوا في هذه العقائد الباطلة . [رواه اللالكائي (٩/ ٥)]

ولقد قال بعض السلف : سمعت من مبتدع قولا اجتهد في إخراجه من قلبي وسمعي ، ولا يتم لي ذلك. [رسالة السجزي (ص

٣٦٣)] (**قلت**) وهذه عقوبة من الله لمن يستهين بذلك .

روى عبد الله في السنة (٩٩) والفريابي في القدر (٣٦٦) والهروي في ذك الكلام (٦) قَالَ أَبُو قلَابَة : لَا تجالسوا أَصْحَاب الْأَهْوَاء وَقَالَ أَصْحَاب الْخُصُومَات فَإِنِّي لَا آمن أَن يغمسوكم فِي ضلالتهم ويلبسوا عَلَيْكُم بعض مَا يعْرفُونَ .

وعن إبراهيم النخعي : (لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَرْتَدَّ قُلُوبُكُمْ) [رواه ابن وضاح في البدع (ص٥٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٩) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٢٢)].

وَكَانَ الْحَسَنُ وَمُحَمَّدٌ يَقُولَانِ : لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تَسْمَعُوا مِنْهُمْ وَلَا تجادلوهم [سنن الدارمي (١/١١٠) وذم الكلام للهروي (٤/٢٩٦)]

وقال عَبْدُ الرَّزَّاقِ : قَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي يَحْيَى إِنِّي أَرَى الْمُعْتَزِلَةَ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا قَالَ قُلْتُ نَعَمْ وَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ مِنْهُمْ قَالَ أَفَلَا تَدْخُلُ مَعِيَ هَذَا الْحَانُوتَ حَتَّى أُكَلِّمَكَ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : لِمَ ؟ قُلْتُ : لِأَنَّ الْقَلْبَ ضَعِيفٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَيْسَ لِمَنْ غلب. [ذم الكلام وأهله (٤/٣٠٠) الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٤٤٢)]

قَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ وَلَا تُخَاصِمُوهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ. [الإبانة (٢/٤٦٦)]

قال سلام بن أبي مطيع : إن رجلاً من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني: يا أبا بكر ! أسألك عن كلمة ، قال أيوب وجعل يشير بأصبعه : ولا نصف كلمة ولا نصف كلمة. [رواه إبراهيم الحربي في رسالة القرآن (٨) وعبد الله في السنة (١٠١) والفريابي (٣٧٤) والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٤٤٢) والدارمي في السنن (١/١٢١) والآجري (ص ٦٢)]

عن عنبسة الخثعمي قال : سمعت جعفر بن محمد يقول : إياكم والخصومات في الدين ، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق. [اللالكائي (٥/٩) والإبانة (٢/ ٣/٥٢٥ - ٥٢٦/ ٦٣٥) والسير (٦/ ٢٦٤).]

وعنه أيضا : « اتَّقُوا جِدَالَ كُلِّ مَفْتُونٍ ، فَإِنَّ الْمَفْتُونَ يُلَقَّنُ حُجَّتَهُ » [الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٢٧)]

قال الأحنف بن قيس : كثرة الخصومة تنبت النفاق في القلب. [اللالكائي في السنة (٥/٩) والحجة للتيمي (١/٣٤٠)].

قال معاوية بن قرة : إياكم وهذه الخصومات فإنها تحبط الأعمال. [رواه عبد الله في السنة (٩٨) وسعيد بن منصور في سننه (٧٢٣) ومن طريقه الهروي في ذم الكلام (ص.١٩٤) وابن جرير في تفسيره (١١٦٠٠) والآجري (١/ ١٨٨) وابن بطة في الإبانة (٥٦٢) والحلية (٢/ ٣٠١) واللالكائي (٢٢١) وعنه الأصبهاني في الحجة (١/ ٣١٣. ٣١٤)].

عن الفضيل بن عياض : لا تجادلوا أهل الخصومات ، فإنهم يخوضون في آيات الله . [الدارمي (٤٠٦) واللالكائي (٥/٩)].

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ قَالَ : قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْبُسْرِيِّ : لَيْسَ السُّنَّةُ عِنْدَنَا أَنْ تَرُدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، وَلَكِنَّ السُّنَّةَ عِنْدَنَا أَنْ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٤٧١)] **(قلت)** تأمل كيف جعل كل ما سبق من السنة ، فلهذا قال أحمد في رسالة أصول السنة أنك لن تكون سنيا حتى تترك الكلام مع أهل البدع .

عن حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ : كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابًا يَسْتَأْذِنُهُ فِيهِ أَنْ يَضَعَ كِتَابًا يَشْرَحُ فِيهِ الرَّدَّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَأَنْ يَحْضُرَ مَعَ أَهْلِ الْكَلَامِ فَيُنَاظِرَهُمْ وَيَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَاقِبَتَكَ ، وَدَفَعَ عَنْكَ كُلَّ مَكْرُوهٍ وَمَحْذُورٍ ، الَّذِي كُنَّا نَسْمَعُ وَأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَدْرَكْنَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْرَهُونَ الْكَلَامَ وَالْجُلُوسَ مَعَ أَهْلِ الزَّيْغِ ، وَإِنَّمَا الْأُمُورُ فِي التَّسْلِيمِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لَا فِي الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالزَّيْغِ لِتَرُدَّ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ ، وَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ، فَالسَّلَامَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي تَرْكِ مُجَالَسَتِهِمْ ،

وَالْخَوْضِ مَعَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَضَلَالَتِهِمْ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ امْرُؤٌ ، وَلْيَصِرْ إِلَى مَا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ غَدًا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُقَدِّمُهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يَكُنْ مِمَّنْ يُحْدِثُ أَمْرًا ، فَإِذَا هُوَ خَرَجَ مِنْهُ أَرَادَ الْحُجَّةَ ، فَيَحْمِلُ نَفْسَهُ عَلَى الْمُحَالِ فِيهِ ، وَطَلَبِ الْحُجَّةِ لِمَا خَرَجَ مِنْهُ بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ لِيُزَيِّنَ بِهِ بِدْعَتَهُ وَمَا أَحْدَثَ ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَضَعَهُ فِي كِتَابٍ قَدْ حُمِلَ عَنْهُ ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُزَيِّنَ ذَلِكَ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَإِنْ وَضَحَ لَهُ الْحَقُّ فِي غَيْرِهِ ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لَنَا وَلَكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ» [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٤٧١)]

عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : « لَسْتُ بِرَادٍّ عَلَيْهِمْ – أي أهل البدع- بِشَيْءٍ أَشَدَّ مِنَ السُّكُوتِ » [الآجري (٦١) وابن بطة (٤٧٩)]

(**قلت**) واليوم يقولون كيف تسكت عنهم ولا نجادلهم !! ويظنون أن الكلام أشد من السكوت في هذا !!

عَنِ الْحَارِثِ الْعُكْلِيِّ قَالَ : أَيُّمَا رَجُلَيْنِ جَلَسَا يَخْتَصِمَانِ ، فَلْيَعْلَمَا أَنَّهُمَا فِي بِدْعَةٍ حَتَّى يَفْتَرِقَا » [الإبانة الكبرى (٢/٥٢٠)]

عن مَهْدِيُّ بْنُ مَيْمُونٍ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ ، وَمَارَاهُ رَجُلٌ فَفَطِنَ لَهُ ، فَقَالَ : « إِنِّي أَعْلَمُ بِمَا تُرِيدُ ، إِنِّي لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُمَارِيَكَ كُنْتُ عَالِمًا بِأَبْوَابِ الْمِرَاءِ » [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٥٢٢)]

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ التَّكْذِيبَ بِالْقَدَرِ شِرْكٌ فُتِحَ عَلَى أَهْلِ ضَلَالَةٍ ، فَلَا تُجَادِلُوهُمْ فَيَجْرِيَ شِرْكُهُمْ عَلَى أَيْدِيكُمْ » [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٥٢٣) **وروي مثله عن ابن عباس كما** في أصول الاعتقاد (٤/ ٦٩٦ – ٦٩٧/ ١١٢٦) ووالإبانة (٢/ ٩/١٦٠/ ١٦٢٣) والشريعة (١/ ٤٢٠/٤٩٨)] (**قلت**) تأمل علة النهي هذه (**يجري شركهم على أيديكم**) يعني جدالكم لهم يعتبر نشر لشركهم ، وضم هذا مع ما سبق في كلام الحكم بن عتيبة حيث جعل الخصومات سبباً في دخول الناس في الأهواء والبدع حين سأله أحد أصحابه : (**ما اضطر الناس إلى هذه الأهواء أن يدخلوا فيها ؟ قال : الخصومات**) [أصول الاعتقاد (١/ ١٤٥/ ٢١٨) والشريعة (١/ ١٩٢/ ١٣٠) والإبانة (٢/ ٣/ ٥٠٠/ ٥٥٧).]

عَنْ إِبْرَاهِيمَ النخعي قَالَ : مَا خَاصَمْتُ قَطُّ ». [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٥٢٥)]

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ : أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَهُمْ عَلَى الْجُمْلَةِ يَعْنِي لَا يَتَكَلَّمُونَ وَلَا يُخَاصِمُونَ » [الإبانة الكبرى (٢/٥٢٩)]

عن ابْنُ عَوْنٍ قَالَ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ « يَنْهَى عَنِ الْجِدَالِ إِلَّا رَجُلًا إِنْ كَلَّمْتَهُ يَرْجِعُ . [الإبانة الكبرى (٢/٥٢٩)]

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ : أَدْرَكْنَا أَهْلَ الْفَضْلِ وَالْفِقْهِ مِنْ خِيَارِ أَوَّلِيَّةِ النَّاسِ يَعِيبُونَ أَهْلَ الْجَدَلِ وَالتَّنْقِيبِ ، وَالْأَخْذِ بِالرَّأْيِ أَشَدَّ الْعَيْبِ ، وَيَنْهَوْنَنَا عَنْ لِقَائِهِمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ ، وَحَذَّرُونَا مُقَارَبَتَهُمْ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ ، وَيُخْبِرُونَا أَنَّهُمْ عَلَى ضَلَالٍ ، وَتَحْرِيفٍ لِتَأْوِيلِ كِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى كَرِهَ الْمَسَائِلَ وَالتَّنْقِيبَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَزَجَرَ عَنْ ذَلِكَ ، وَحَذَّرَهُ الْمُسْلِمِينَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، حَتَّى كَانَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَرَاهِيَةِ ذَلِكَ أَنْ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِسُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَأَيُّ امْرِئٍ أَكَبَّ عَلَى التَّنْقِيبِ لَمْ يَعْقِلْ مِنْ هَذَا ، وَلَمْ يَبْلُغِ النَّاسُ يَوْمَ قِيلَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْكَشْفِ عَنِ الْأُمُورِ جُزْءًا مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِمَّا بَلَغُوا الْيَوْمَ ، فَهَلْ هَلَكَ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ ، وَخَالَفُوا الْحَقَّ إِلَّا بِأَخْذِهِمْ بِالْجَدَلِ وَالتَّفْكِيرِ فِي دِينِهِمْ ، فَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى دِينِ ضَلَالَةٍ وَشُبْهَةٍ جَدِيدَةٍ ، لَا يُقِيمُونَ عَلَى دِينٍ ، وَإِنْ أَعْجَبَهُمْ إِلَّا نَقَلَهُمُ الْجَدَلُ وَالتَّفْكِيرُ إِلَى دِينٍ سِوَاهُ ، وَلَوْ لَزِمُوا السُّنَنَ ، وَأَمْرَ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَرَكُوا الْجَدَلَ لَقَطَعُوا عَنْهُمُ الشَّكَّ ، وَأَخَذُوا بِالْأَثَرِ الَّذِي حَضَّهُمْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » [رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣٢) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٤٩) والحجة للأصبهاني (١٤١)].

روى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٥٣٣)عن أَبِي صَالِحٍ كَاتِبُ اللَّيْثِ قَالَ : أَمْلَى عَلَيَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْمَاجِشُونِ قَالَ: "

احْذَرُوا الْجَدَلَ ، فَإِنَّهُ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى كُلِّ مُوبِقَةٍ ، وَلَا يُسَلِّمُكُمْ إِلَى ثِقَةٍ ، لَيْسَ لَهُ أَجَلٌ يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَدْخُلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَاتَّخِذُوا الْكَفَّ عَنْهُ طَرِيقًا ، فَإِنَّهُ .. وَالْهُدَى ، وَإِنَّ الْجَدَلَ وَالتَّعَمُّقَ هُوَ جَوْرُ السَّبِيلِ ، وَصِرَاطُ الْخَطَأِ فَلَا تَحْسَبَنَّ التَّعَمُّقَ فِي الدِّينِ رَسْخًا ، فَإِنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ وَقَفُوا حَيْثُ تَنَاهَى عِلْمُهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يُجَادِلُوكَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَاخْتِلَافِ الْأَحَادِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُجَادِلُهُمْ فَتَزِلَّ كَمَا زَلُّوا وَتَضِلُّ كَمَا ضَلُّوا فَقَدْ كَفَتْكَ السِّيرَةُ . يَعْنِي سِيرَةَ السَّلَفِ . مُؤْنَتَهَا وَأَقَامَتْ لَكَ مِنْهَا مَا لَمْ تَكُنْ لِتَعْدِلَهُ بِرَأْيِكَ ، وَلَا تَتَكَلَّفَنَّ صِفَةَ الدِّينِ لِمَنْ يَطْعَنُ فِي الدِّينِ وَلَا تُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يَفْتِنُوكَ ، أَوْ يَأْتُونَ بِشُبْهَةٍ فَيُضِلُّوكَ ، وَلَا تَقْعُدْ مَعَهُمْ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨] وَلَعَمْرِي إِنَّ صِفَةَ الدِّينِ لَبَيِّنَةٌ ، وَإِنَّ سُبُلَهُ لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ مَأْخَذَهُ لَقَرِيبٌ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ هُدَاهُ ، وَلَمْ تَكُنِ الْخُصُومَةُ وَالْجَدَلُ هَوَاهُ ، وَلَوْلَا أَنْ يَأْخُذَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَأْخَذِهِ أَوْ تَتْبَعَ فِيهِ غَيْرَ سَبِيلٍ ..... عَوْرَاتُهُمْ لَمَكْشُوفَةٌ ، وَإِنَّ حُجَّتَهُمْ لَدَاحِضَةٌ. دَانُوا اللَّهَ بِغَيْرِ دِينٍ وَاحِدٍ بِأَدْيَانٍ شَتَّى يُمْسُونَ عَلَى دِينٍ ، وَيُصْبِحُونَ بِهِ كَافِرِينَ .

عن عُبَدُ اللَّهِ بْنُ حَنْبَلٍ قالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : عَلَيْكُمْ بِالسُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ ، وَمَا يَنْفَعُكُمُ اللَّهُ بِهِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْخَوْضَ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءِ ، فَإِنَّهُ لَا يُفْلِحُ مَنْ أَحَبَّ الْكَلَامَ ، وَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ كَلَامًا لَمْ يَكُنْ آخِرُ أَمْرِهِ إِلَّا إِلَى بِدْعَةٍ ، لِأَنَّ الْكَلَامَ لَا يَدْعُو إِلَى خَيْرٍ ، وَلَا أُحِبُّ الْكَلَامَ وَلَا الْخَوْضَ وَلَا الْجِدَالَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسُّنَنِ وَالْآثَارِ وَالْفِقْهِ الَّذِي تَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَدَعُوا الْجِدَالَ ، وَكَلَامَ أَهْلِ الزَّيْغِ ، وَالْمِرَاءَ ، أَدْرَكْنَا النَّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَ هَذَا ، وَيُجَانِبُونَ أَهْلَ الْكَلَامِ ، وَعَاقِبَةُ الْكَلَامِ لَا تَئُولُ إِلَى خَيْرٍ أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفِتَنِ وَسَلَّمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. [الإبانة الكبرى (٥٣٩/٢)]

عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْأَصْبَهَانِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ كَلَامٍ ، وَإِنْ ذَبَّ عَنِ السُّنَّةِ ، فَإِنَّهُ لَا يَئُولُ أَمْرُهُ إِلَى خَيْرٍ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : قَدْ حُذِّرْنَا الْخُصُومَةَ ، وَالْمِرَاءَ ، وَالْجِدَالَ ، وَالْمُنَاظَرَةَ ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ، وَإِنَّ هَذِهِ سَبِيلُ الْعُلَمَاءِ ، وَطَرِيقُ الصَّحَابَةِ وَالْعُقَلَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُسْتَبْصِرِينَ ، فَإِنْ جَاءَنِي رَجُلٌ يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي قَدْ ظَهَرَتْ ، وَالْمَذَاهِبِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي قَدِ انْتَشَرَتْ ، وَيُخَاطِبُنِي مِنْهَا بِأَشْيَاءَ يَلْتَمِسُ مِنِّي الْجَوَابَ عَلَيْهَا ، وَأَنَا مِمَّنْ قَدْ وَهَبَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لِي عِلْمًا بِهَا ، وَبَصَرًا نَافِذًا فِي كَشْفِهَا ، أَفَأَتْرُكُهُ يَتَكَلَّمُ بِمَا يُرِيدُ وَلَا أُجِيبُهُ ، وَأُخَلِّيهِ وَهَوَاهُ وَبِدْعَتَهُ ، وَلَا أَرُدُّ عَلَيْهِ قَبِيحَ مَقَالَتِهِ ؟ فَإِنِّي أَقُولُ لَهُ : اعْلَمْ يَا أَخِي رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الَّذِي تُبْلَى بِهِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّأْنِ لَنْ يَخْلُوَ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِمَّا رَجُلًا قَدْ عَرَفْتَ حُسْنَ طَرِيقَتِهِ ، وَجَمِيلَ مَذْهَبِهِ ، وَمَحَبَّتَهُ لِلسَّلَامَةِ ، وَقَصْدَهُ طَرِيقَ الِاسْتِقَامَةِ وَإِنَّمَا قَدْ طَرَقَ سَمْعَهُ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَدْ سَكَنَتِ الشَّيَاطِينُ قُلُوبَهُمْ ، فَهِيَ تَنْطِقُ بِأَنْوَاعِ الْكُفْرِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَلَيْسَ يَعْرِفُ وَجْهَ الْمَخْرَجِ مِمَّا قَدْ بُلِيَ بِهِ ، فَسُؤَالُهُ سُؤَالُ مُسْتَرْشِدٍ يَلْتَمِسُ الْمَخْرَجَ مِمَّا بُلِيَ بِهِ ، وَالشِّفَا مِمَّا أُوذِيَ إِلَى عِلْمِكَ حَاجَتُهُ إِلَيْكَ حَاجَةُ الصَّادِي إِلَى الْمَاءِ الزُّلَالِ وَأَنْتَ قَدِ اسْتَشْعَرْتَ طَاعَتَهُ ، وَآمَنْتَ مُخَالَفَتَهُ ، فَهَذَا الَّذِي قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْكَ تَوْفِيقَهُ وَإِرْشَادَهُ مِنْ حَبَائِلِ كَيْدِ الشَّيَاطِينِ ، وَلْيَكُنْ مَا تُرْشِدُهُ بِهِ وَتُوقِفُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْآثَارِ الصَّحِيحَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّكَلُّفَ لِمَا لَا تَعْرِفُهُ ، وَتَمَحُّلَ الرَّأْيِ ، وَالْغَوْصَ عَلَى دَقِيقِ الْكَلَامِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِكَ بِدْعَةٌ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ السُّنَّةَ ، فَإِنَّ إِرَادَتَكَ لِلْحَقِّ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ الْحَقِّ بَاطِلٌ ، وَكَلَامَكَ عَلَى السُّنَّةِ مِنْ غَيْرِ السُّنَّةِ بِدْعَةٌ ، وَلَا تَلْتَمِسْ لِصَاحِبِكَ الشِّفَاءَ بِسَقَمِ نَفْسِكَ ، وَلَا تَطْلُبْ صَلَاحَهُ بِفَسَادِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْصَحُ النَّاسَ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ ، وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ لِنَفْسِهِ لَا خَيْرَ فِيهِ لِغَيْرِهِ ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ وَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ ، وَمَنِ اتَّقَى اللَّهَ أَعَانَهُ وَنَصَرَهُ .[الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٤٠/٢)]

روى ابن بطة عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ : آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ؟ قَالَ: مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ .

ثم قال ابن بطة رحمه الله : صَدَقَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَهَكَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا إِمْرَةَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ ، فَإِذَا كَانَ السَّائِلُ لَكَ هَذِهِ أَوْصَافُهُ ، وَجَوَابُكَ لَهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي قَدْ شَرَحْتُهُ ، فَشَأْنَكَ بِهِ ، وَلَا تَأْلُ فِيهِ جَهْدًا ، فَهَذِهِ سَبِيلُ الْعُلَمَاءِ الْمَاضِينَ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَعْلَامًا فِي هَذَا الدِّينِ ، فَهَذَا أَحَدُ الثَّلَاثَةِ ، وَرَجُلٌ آخَرُ يَحْضُرُ فِي مَجْلِسٍ أَنْتَ فِيهِ حَاضِرٌ تَأْمَنُ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَيَكْثُرُ نَاصِرُوكَ وَمُعِينُوكَ ، فَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ فِيهِ فِتْنَةٌ وَبَلِيَّةٌ عَلَى قُلُوبِ مُسْتَمِعِيهِ لِيُوقِعَ الشَّكَّ فِي الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهُ هُوَ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ يَتْبَعُ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَالْبِدْعَةِ ، وَقَدْ حَضَرَ مَعَكَ مِنْ إِخْوَانِكَ وَأَهْلِ مَذْهَبِكَ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا حُجَّةَ عِنْدَهُمْ عَلَى مُقَابَلَتِهِ ، وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِقَبِيحِ مَا يَأْتِي بِهِ ، فَإِنْ سَكَتَّ عَنْهُ لَمْ تَأْمَنْ فِتْنَتَهُ بِأَنْ يُفْسِدَ بِهَا قُلُوبَ الْمُسْتَمِعِينَ ، وَإِدْخَالُ الشَّكِّ عَلَى الْمُسْتَبْصِرِينَ ، فَهَذَا أَيْضًا مِمَّا تَرُدُّ عَلَيْهِ بِدْعَتَهُ ، وَخَبِيثَ مَقَالَتِهِ ، وَتَنْشُرُ مَا عَلَّمَكَ اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا يَكُنْ قَصْدُكَ فِي الْكَلَامِ خُصُومَتَهُ وَلَا مُنَاظَرَتَهُ ، وَلْيَكُنْ قَصْدُكَ بِكَلَامِكَ خَلَاصَ إِخْوَانِكَ مِنْ شَبَكَتِهِ ، فَإِنَّ خُبَثَاءَ الْمَلَاحِدَةِ إِنَّمَا يَبْسُطُونَ شِبَاكَ الشَّيَاطِينِ لِيَصِيدُوا بِهَا الْمُؤْمِنِينَ ، فَلْيَكُنْ إِقْبَالُكَ بِكَلَامِكَ ، وَنَشْرِ عِلْمِكَ وَحِكْمَتِكَ ، وَبِشْرِ وَجْهِكَ ، وَفَصِيحِ مَنْطِقِكَ عَلَى إِخْوَانِكَ ، وَمَنْ قَدْ حَضَرَ مَعَكَ لَا عَلَيْهِ ، حَتَّى تَقْطَعَ أُولَئِكَ عَنْهُ ، وَتَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اسْتِمَاعِ كَلَامِهِ ، بَلْ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَقْطَعَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ بِنَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ تُحَوِّلُ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ عَنْهُ ، فَافْعَلْ. [الإبانة الكبرى (٢/ ٥٤١)]

عن مُثَنَّى بْنُ جَامِعٍ قَالَ : سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ ، سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَكُونُ مَعَ هَؤُلَاءِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ فِي مَوْضِعِ جِنَازَةٍ ، أَوْ مَقْبَرَةٍ فَيَتَكَلَّمُونَ ، وَيُعْرِضُونَ فَتَرَى لَنَا أَنْ نُجِيبَهُمْ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ مَعَكَ مَنْ لَا يَعْلَمُ ، فَرُدُّوا عَلَيْهِ لِئَلَّا يَرَى أُولَئِكَ أَنَّ الْقَوْلَ كَمَا يَقُولُونَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَهُمْ فَلَا تُكَلِّمُوهُمْ ، وَلَا تُجِيبُوهُمْ ، فَهَذَانِ رَجُلَانِ قَدْ عَرَّفْتُكَ حَالَهُمَا ، وَلَخَّصْتُ لَكَ وَجْهَ الْكَلَامِ لَهُمَا ، وَثَالِثٌ مَشْئُومٌ قَدْ زَاغَ قَلْبُهُ ، وَزَلَّتْ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ قَدَمُهُ فَعَشِيَتْ بَصِيرَتُهُ وَاسْتَحْكَمَتْ لِلْبِدْعَةِ نُصْرَتُهُ ، يُجْهِدُهُ أَنْ يُشَكِّكَ فِي الْيَقِينِ ، وَيُفْسِدَ عَلَيْكَ صَحِيحَ الدِّينِ » فَجَمِيعُ الَّذِينَ رُوِّينَاهُ ، وَكُلُّ مَا حَكَيْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ لِأَجْلِهِ وَبِسَبَبِهِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَأْتِيَ فِي بَابٍ حُصِرَ مِنْهُ ، وَوَجِيعُ مَكِيدَتِهِ أَبْلَغُ مِنَ الْإِمْسَاكِ عَنْ جَوَابِهِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ خَطَأٍ بِهِ ، لِأَنَّ غَرَضَهُ مِنْ مُنَاظَرَتِكَ أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ ، فَيَمَلَّكَ وَيَيْأَسَ مِنْكَ فَيُشْفِيَ غَيْظَهُ أَنْ يُسْمِعَكَ فِي دِينِكَ مَا تَكْرَهُهُ ، فَأَخْسِئْهُ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُ ، وَأَذِلَّهُ بِالْقَطِيعَةِ لَهُ ، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرْتُكَ بِقَوْلِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ لَهُ الْقَائِلُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَضْلَلْتَ دِينَكَ ، فَالْتَمِسْهُ. وَأَخْبَرْتُكَ بِقَوْلِ مَالِكٍ حِينَ جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ، فَقَالَ لَهُ: أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ ، فَاذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ. فَهَلْ يَأْتِي فِي جَوَابِ الْمُخَالِفِ مِنْ جَمِيعِ الْحُجَجِ حُجَّةٌ هِيَ أَسْخَنُ لِعَيْنِهِ ، وَلَا أَغْيَظُ لِقَلْبِهِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحُجَّةِ؟ وَالْجَوَابُ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ: لَا تُجَالِسْ مَفْتُونًا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُخْطِئَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِيَكَ قَبْلَ أَنْ تُفَارِقَهُ " وَأَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ حِينَ قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : أُكَلِّمُكَ بِكَلِمَةٍ ، فَوَلَّى عَنْهُ ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ: وَلَا نِصْفِ كَلِمَةٍ ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ حِينَ قَالَ لِابْنِ أَبِي يَحْيَى: الْقَلْبُ ضَعِيفٌ ، وَلَيْسَ الدِّينُ لِمَنْ غَلَبَ. [الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٤٢)]

[١٤٧] وقال الحسن : الحكيم لا يماري ولا يداري ، حكمته ينشرها ، إن قبلت حمد الله ، وإن ردت حمد الله (١).

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٢/٨) والدارمي في النقض (٢/٦٥٨) وأَحْمد فِي الزّهْد (ص٢٦٧) وأَبُو نعيم فِي الْحِلْية (١/١٤٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦١١) وإبطال الحيل (ص٢٥) والآجري في الشريعة (٧١) (**قلت**) روي نحو هذا الأثر من ذلك : **ما رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٢٨٠) وأبو شامة المقدسي في الباعث (ص١٠)** والبيهقي في الشعب (١٦٥٦) وابن عساكر في تاريخه (٤١/٥٢٨) عن سُفْيَان بن عيينة قَالَ : إن الْعَالم لَا يمارى وَلَا يُدَارِي ، ينشر حكمة الله تَعَالَى ، فإن قبلت حمد الله ، وَإِن ردَّتْ حمد الله .

وجاء في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٣٦) قال الهيثم بن جميل : قلت لمالك ابن أنس : يا أبا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنة أيجادل عنها ؟ قال : لا ولكن يخبر بالسنة ، فإن قبلت منه وإلا سكت) .

وقال العباس بن غالب الوراق قلت لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله : أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري ، فيتكلم مبتدع فيه أرد عليه ؟ فقال : لا تنصب نفسك لهذا قال : أخبر بالسنة ولا تخاصم ، فأعدت عليه القول فقال : ما أراك إلا مخاصماً . [ذكره ابن أبي يعلى طبقات الحنابلة (١/٢٣٦)]

قال الآجري – رحمه الله تعالى (ص٦١و٦٥ – ٦٦) : إن كان يسلك مسألة مسترشد إلى طريق الحق ، لا مناظرة ، فأرشده بأرشد ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب ، والسنة ، وقول الصحابة– رضي الله عنهم– وقول الأئمة).

وقال الآجري أيضا في كتاب أخلاق العلماء (ص٥٦ ـ ٦٠) : اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ ، وَوَفَّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ ، أَنَّ مِنْ صِفَةِ هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ الَّذِي فَقَّهَهُ اللَّهُ فِي الدِّينِ ، وَنَفَعَهُ بِالْعِلْمِ ، أَنْ لَا يُجَادِلَ ، وَلَا يُمَارِيَ ، وَلَا يُغَالِبَ بِالْعِلْمِ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَغْلِبَهُ بِالْعِلْمِ الشَّافِي ، وَذَلِكَ يَحْتَاجُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاظَرَةِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ ، لِيَدْفَعَ بِحَقِّهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، وَخَرَجَ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَكُونَ غَلَبَتُهُ لِأَهْلِ الزَّيْغِ تَعُودُ بَرَكَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، عَلَى الِاضْطِرَارِ إِلَى الْمُنَاظَرَةِ ، لَا عَلَى الِاخْتِيَارِ لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُجَالِسَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، وَلَا يُجَادِلَهُمْ ، فَأَمَّا فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ فَلَا. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى عِلْمِ مَسْأَلَةٍ قَدْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا ، لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا ، لَابُدَّ لَهُ أَنْ يُجَالِسَ الْعُلَمَاءَ وَيُنَاظِرَهُمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْقَوْلَ فِيهَا عَلَى صِحَّتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يُنَاظِرْ لَمْ تَقْوَ مَعْرِفَتُهُ؟ قِيلَ لَهُ: بِهَذِهِ الْحُجَّةِ يَدْخُلُ الْعَدُوُّ عَلَى النَّفْسِ الْمُتَّبِعَةِ لِلْهَوَى ، فَيَقُولُ: إِنْ لَمْ تُنَاظِرْ وَتُجَادِلْ لَمْ تَفْقَهْ ، فَيَجْعَلُ هَذَا سَبَبًا لِلْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ سُوءَ عَاقِبَتِهِ ، الَّذِي حَذَّرَنَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَذَّرَنَاهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ» وَعَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ ، فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ» وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «مَا رَأَيْنَا فَقِيهًا يُمَارِي» وَعَنِ الْحَسَنِ ، أَيْضًا قَالَ: «الْمُؤْمِنُ يُدَارِي ، وَلَا يُمَارِي يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللَّهِ ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللَّهَ ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللَّهَ» وَرُوِيَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحْبَبْتَ أَخًا فَلَا تُمَارِهْ ، وَلَا تُشَارِهْ ، وَلَا تُمَازِحْهُ» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: " وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ: أَنَّ الْمِرَاءَ أَكْثَرُهُ يُغَيِّرُ قُلُوبَ الْإِخْوَانِ ، وَيُوَرِّثُ التَّفْرِقَةَ بَعْدَ الْأُلْفَةِ ، وَالْوَحْشَةَ بَعْدَ الْأُنْسِ ، وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» فَالْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ الْعَاقِلُ يَخَافُ عَلَى دِينِهِ مِنَ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ) اهـ.

وجاء رجل إلى الحسن فقال له : أناظرك في الدين ؟ فقال الحسن : أنا قد عرفت ديني ، فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه (١) وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على باب حجرته يقول أحدهم : ألم يقل الله كذا ؟ ويقول الآخر: ألم يقل [الله] كذا ؟ فخرج مغضبا ، فقال : "أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا بعثت إليكم ؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ (٢)فنهاهم عن الجدال وكان ابن عمر يكره المناظرة (٣) ومالك بن أنس (٤) ومن فوقه ، ومن دونه إلى يومنا هذا وقولُ اللهِ أكبرُ من قول الخلق قال الله تبارك وتعالى :{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا }(٥)

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (ص٥٧) واللالكائي في السنة (٢١٥) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٨٦) بسند صحيح .
ومثله ما في الإبانة (٦٧٢) عن أحمد بن سنان قال : جاء أبو بكر الأصم إلى عبد الرحمن بن مهدي فقال : جئت أناظرك في الدين فقال : إن شككت في شيء من أمر دينك فقف حتى أخرج إلى الصلاة وإلا فاذهب إلى عملك فمضى ولم يثبت .
قَالَ ابْنُ وهب: سمعت مَالِكًا إِذْ جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ يَقُولُ : أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ ، فَاذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ فَخَاصِمْهُ ثُمَّ قَرَأَ : {**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ** } الآية [ترتيب المدارك (١/ ١٧٢) والإبانة (١/ ٤٠٤) والحلية (٦/ ٣٢٤)]

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٩٥ - ١٩٦) وابن ماجه (١/ ٨٥/٣٣) مختصرا وعبد الله في السنة (٨٦) وابن أبي عاصم في السنة (٤٠٦) والطبراني في الأوسط (٥١٥) والمخلصيات (٥٤) والبيهقي في القدر (٤٤٠) وابن بطة في الإبانة (٥٣٨) عن عبد الله بن عمرو بسند لابأس به ، وقال ذاك البيهقي : هذا إسناد حسن ، وقال في الزوائد : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات".
(قلت) وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وأنس وأبي ذر وابن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم .

(٣) وقد روي عنه رضي الله عنهما – لما نقل له أحدهم كلام نجدة الحروري ـ جعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء).[أصول الاعتقاد (١/ ١٣٧ - ١٣٨/ ١٩٩) وذم الكلام (ص.١٨٧)]

(٤) سبقت بعض الآثار عن الإمام مالك وأضيف بعضها قال مالك : « الجدال في الدين ينشئ المراء ، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي ويورث الضغن » وقال : وليس هذا الجدل من الدين بشيء . [أنظر مقدمة الموطأ تحقيق الأعظمي (٢٥٤/١)]

(٥) وسبق القول أن هذه الآية أشد ما ورد في ذم الجدال ، وذكرنا ما **عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ** : آيَتَانِ فِي الْقُرْآنِ مَا أَشَدُّهُمَا عَلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ {**مَا يُجَادِلِ فِي آيَاتِ اللهِ**} {**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ**} [أنظر ذم الكلام (٣٣/٢) والإبانة (٢/ ٤٩٤/٣/ ٥٤٠).]

وسأل رجل عمر فقال : ما الناشطات نشطا ؟ فقال : لو كنت محلوقا لضربت عنقك (١) **وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المؤمن لا يماري ، ولا أشفع للمماري يوم القيامة ، فدعوا المراء [لقلة خيره]** (٢) **» .**

---

(١) وهذا هو الأثر المشهور الذي يعتبر أصلا في التعامل مع أهل البدع والهوى واتباع المتشابه ، كما قال الشافعي : (**حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ**) فلا جدال ولا مراء ، ولا ينفعهم غير الضرب والسجن والإحتقار والإعراض ، ولفظ الأثر كما رُوي عن السائب بن يزيد قال : أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقيل : يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلا سأل عن تأويل القرآن فقال عمر : اللهم مكني منه ، فبينا عمر ذات يوم جالس يغدي الناس إذ جاءه عليه ثياب فتغدى حتى إذا فرغ قال : يا أمير المؤمنين {**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا** } فقال عمر : أنت هو ؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته ، فقال : والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقا لضربت رأسك ، ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلادكم ، ثم ليقم خطيبا ثم ليقل إن صبيغا طلب العلم فأخطأه فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك وكان سيدهم .[رواه الدارمي (١/ ٥٤ و٥٥ – ٥٦) وابن وضح في البدع (ص٥٦) واللالكائي (٤/ ٧٠١ – ٧٠٣/ ١١٣٦ – ١١٣٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣/ ٤١٠ – ٤١٢) وابن بطة في الإبانة (١/ ٢/ ٤١٤ – ٤١٥/ ٣٣٠) والشريعة (١/ ٢١٠/ ١٦٠) والخطيب في الأسماء المبهمة (٨٠) وسنده صحيح رجاله ثقات ، وله طرق أخرى ، وعزاه في الإصابة (٥/ ١٦٩) إلى ابن الأنباري في المصاحف وصحح سنده وقد احتج به الإمام أحمد على كراهة الحلق كما في الورع للمروذي (١/ ١٩٣)]

(٢) رواه الآجري في الشريعة (١١١) وابن بطة في الإبانة (٥٣٢) والطبراني في (٧٦٥٩) وابن حبان في المجروحين (٨٩٩) وابن عساكر في تاريخه (٣٣/ ٣٦٨) والترغيب والترهيب للمنذري (٢٣١) وذكره في كنز العمال (٨٣١٢) وهو حديث فيه طول أخذ منه المؤلف موضع الشاهد لكن **الحديث منكر جدا** مداره على كثير بن مروان الفلسطيني ، منكر الحديث جدا بل كذبه يحي بن معين كما في تاريخه (٢/ ٤٩٥) ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله : **موضوع لا أصل له** . [أحكام النساء (٦٣) والجامع لأحكام أهل الذمة للخلال (٢/ ٥٣٥) وبدائع الفوائد (٤/ ٤٢)] وأشار ابن حبان إلى نكارة حديثه هذا فقال : كثير بن مَرْوَان السّلمِيّ من أهل فلسطين يروي عَن عبد الله بن يزِيد الدِّمَشْقِي روى عَنهُ مُحَمَّد بن الصَّباح الْجِرْجَانِيّ **وَهُوَ صَاحب حَدِيث المراء** مُنكر الحَدِيث جدا لَا يجوز الِاحْتِجَاج بِهِ وَلَا الرِّوَايَة عَنْهُ إِلَّا عَلَى جِهَة التَّعَجُّب) وذكر ابن عدي في الكامل (٧/ ٢٠٧) هذا الحديث ضمن المنكرات التي رواه كثير هذا ، وضعفه ابن القيسراني في تذكرته الحفاظ (٤٤٠) وقال في المجمع (١/ ١٥٦) : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ، وَفِيهِ كَثِيرُ بْنُ مَرْوَانَ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا) .

(**قلت**) وحقه أن يقال فيه حديث **موضوع كما قال أحمد** ، وهذا مما يعاب على المؤلف رحمه الله فإنه أحيانا يحتج بضعيف الأحاديث على أصل شرعي صحيح ويترك صحيح الأحاديث ما يغني عن الضعيف ، وقد روى الخطيب في الجامع (١٤٨٢) وتاريخ بن عساكر (٣٢/ ٤٤١) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُبَارَكِ قال : **لَنَا فِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ شُغُلٌ عَنْ سَقِيمِهِ** » ومما صح من الأحاديث المرفوعة في ذم الجدال والمراء : حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ** [أبو داود (٤٦٠٣) وأحمد (٢/ ٥٢٨) وغيرهم بسند صحيح] وحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ : {**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**}. [رواه الترمذي (٣٢٥٣) وابن ماجه (٤٨) وغيرهم وصححه الترمذي والحاكم لكن المشكل أن العقيلي أشار إلى تفرد الحجاج بن دينار كأنه يعلله فقال في الضعفاء (٣٤٧) وذكر حديثه هذا ثم قال : لَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ .(**قلت**) يقصد أن الحجاج قد لا يحتمل التفرد لأنه متكلم فيه فالله أعلم إذا كان محفوظا أم لا !!]

[١٤٨] ولا يحل لرجل أن يقول : فلان صاحب سنة حتى يعلم منه أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة ، فلا يقال له : صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها (١).

وقال عبد الله بن المبارك : أصل اثنتين وسبعين هوى أربعة أهواء ، فمن هذه الأربعة الأهواء انشعبت الاثنان وسبعون هوى : القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج (٢) فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان [وعليا] على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ، ودعا لهم ، فقد خرج من التشيع أوله وآخره (٣)

---

(١) وقد سبق التعليق على مثل هذه الفقرة وجمع كلام السلف في هذه المعنى .

(٢) سبق التعليق على هذه المسألة وذكر أصول البدع .

(٣) وأصل التشيع هو التعرض لجناب الصحابة بسب أو بشتم أو تكفير أو تفسيق ونحو ذلك ، فمن نجى من هذه فقد خطا خطوة كبيرة للخروج من دائرة التشيع لكن كلام المؤلف ، يحتاج قيودا لضبطه ، فلو قال مثلا (**من قدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي**) هكذا يكون أوضح وأتم ، كما **روى الزهري قال** : أخبرني سالم بن عبد اللَّه أن عبد اللَّه بن عمر قال : (كنا نقول ورسول اللَّه حي : أفضل أمته أبو بكر ثم عمر ، ثم عثمان) فلا يعني أيضا أن من قدم الخلفاء الأربعة ولم يتكلم في الصحابة خرج من التشيع كله أوله وآخره ، حتى يرتب الشيخين في المقدمة ، فلابد من تقديم الشيخين على علي وعثمان وإلا اتُهم بالتشيع لمن قدم عليا عليهما ، وقد وردت أقوال السلف تبين ضلال وتشيع من قدم عليا على الشيخين رضي الله عنهم أجمعين ، من ذلك : **ما جاء في أصول الاعتقاد (٢٦٢٣)** عن شعيب بن حرب قال : قلت يا أبا عبد الله يعني لسفيان الثوري ما موافقة السنة ؟ قال : تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، يا شعيب بن حرب لا ينفعك ما كتبت حتى تقدم عثمانا وعليا على من بعدهما .

وجاء في السنة للخلال (١/ ٣٧٥) : عن عبد العزيز بن أبان القرشي قال: سمعت سفيان الثوري يقول : من قدم على أبي بكر وعمر أحدا فقد أزرى على اثني عشر ألفا من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو عنهم راض.

عن محمد بن عوف الحمصي قال : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن التفضيل فقال : من قدم عليا على أبي بكر فقد طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قدمه على عمر ، فقد طعن على رسول الله وعلى أبي بكر ، ومن قدمه على عثمان فقد طعن على أبي بكر وعلى عمر وعلى أهل الشورى وعلى المهاجرين والأنصار. [السنة للخلال (١/ ٣٧٤).]

قال الخلال : أخبرني علي بن عيسى أن حنبلًا حدثهم قال: سمعت أبا عبد اللَّه يقول : من زعم أن عليًّا أفضلُ من أبي بكر فهو رجل سوء ، لا نخالطه ، ولا نجالسه. [السنة (١/ ٢٩٤) (٥٢٤ – ٥٢٥)]

قال الخلال (٥٠٧) أخبرنا محمد بن علي قال : ثنا صالح أنه سأل أباه عمن لا يفضل أبا بكر وعمر على غيرهما ؟ قال : السنة عندنا في التفضيل ما قال ابن عمر: كنا نعد ورسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم حي: أبا بكر وعمر وعثمان ، ونسكت.

قال الخلال أن أبا عبد اللَّه سئل عن رجل يحب أصحاب رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– ، ولا يفضل بعضهم على بعض وهو يحبهم ؟ قال : السنة أن يفضل أبا بكر وعمر وعثمان، وعلى من الخلفاء .

(**قلت**) فأنت ترى أنه لا يكفي مجرد الحب في السنة بل لابد من التفضيل .

بل من فضل الشيخين وسكت لا يكون سنيا أيضا :

قال الخلال (٥٠٩) : عن الميموني أنه قال لأبي عبد اللَّه : من قال : أبو بكر وعمر وسكت ، ولم يقل عثمان يكون تامًّا في السنة ؟ فأقبل يتعجب وقال : يكون تامًّا في السنة ؟! –يعني : لا يكون تامًّا في السنة .

وأقول : وحتى يسلم من تهمة التشيع مطلقا لابد أن يفضل عثمان على علي رضي الله عنهما لأن من قدم عليا على عثمان فقد أخطأ وغلط غلطا فاحشا ، وأزرى بالمهاجرين والأنصار ، لكن في تبدعيه خلاف واختلف الرواية أيضا عن أحمد وأغلبها التبديع وهو الصحيح أنه يُبدع :

قال حماد بن زيد : لئن قدمت عليا على عثمان لقد قلت إن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – قد خانوا . [أصول الاعتقاد (٧/ ١٤٢٤/ ٢٥٥٧)].

قال أيوب السختياني : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، قاله لما بلغه ذلك عن بعض أئمة الكوفيين . [مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٧) والمنهاج (١/ ٥٣٣ – ٥٣٤).]

عن بشر بن الحارث قال : قلت لأبي بكر بن عياش ما تقول فيمن قدم عليا على عثمان قال : من قال هذا فعليه لعنة الله . [اللالكائي (٨/ ١٤٥٢/ ٢٦٢١)].

روى الخلال : عن أبي عبد اللَّه يقول : فكل من فضل عليًّا على عثمان فقد أزرى على المهاجرين والأنصار.

وسئل عن : الرجل لا يفضل عثمان على عليّ قال : ينبغي له أن يفضل عثمان على عليّ ، ولم يكن بين أصحاب رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– اختلاف أن عثمان أفضل من علي ، ولا أذهب إلى ما رآه الكوفيون وغيره ، ولا إلى ما قال أهل المدينة لا يفضلون أحدًا على أحد [رواه الخلال في السنة (٥٠٨)].

قال الخلال : أخبرنا أبو بكر المرُّوذي قال : ذكرت لأبي عبد اللَّه عن بعض الكوفيين أنه كان يقول في التفضيل : أبو بكر وعمر وعلي ، فعجب من هذا القول !! قلت (أي الخلال): إن أهل الكوفة يذهبون إلى هذا فقال : ليس يقول هذا أحد إلا مزكوم ، واحتجَّ بمن فضل عثمان على علي فذكر ابن مسعود ، وقال : قال ابن مسعود : أمَّرنا خيرَ مَنْ بقي ولم نألُ وذكر قول ابن عمر وقول عائشة رحمها اللَّه في قصة عثمان أنها فضلته على علي.

قال الخلال : أخبرنا محمد بن موسى قال: قال أبو جعفر حمدان بن علي : سمعت أبا عبد اللَّه يقول : وكان يزيد بن هارون يقول : لا تبالي من قدمت ، علي على عثمان ، أو عثمان على علي ، قال أبو عبد اللَّه : وهذا الآن لا أدري كيف هو ، وكان عامة أهل واسط يتشيعون.

وفي أصول الاعتقاد (٨/ ١٤٥٢/ ٢٦٢٢) قال ابن معين : سمعت أبا أسامة يقول: من يقدم عليا على عثمان فهو أحمق .

وفي السنة للخلال (١/ ٣٢١) : أن الفضل حدثهم : سمع أبا عبد الله وذكر نوح بن حبيب فقال : إن كان الذي قيل في نوح بن حبيب أنه يقدم عليا على عثمان ، فهذا أيضا بلاء أو نحو هذا ، ثم قال : كيف يقدم عليا على عثمان ؟ وهل كانت بيعة أوثق من بيعته ولا أصح منها ؟ وخليفة قتل ظلما لم يبهش إليهم بقصبه ، فجعل يقول هذا الكلام، وهو مغضب شديد الغضب). **قال صالح** : وسئل وأنا أشاهد عمن يقدم عليًّا على عثمان تبدع ؟ قال : هذا أهل أن يبدع ، أصحاب النبي – صلى اللَّه عليه وسلم– قدموا عثمان. ["سيرة الإمام أحمد" ص ٧٧]

قال ابن هانئ : سألته عمّن قدّم عليًّا على عثمان، فقال: هذا قول سوء، نبدأ بما قال أصحاب النبي –صلى اللَّه عليه وسلم–، ومن فضلهم النبي –صلى اللَّه عليه وسلم– [مسائل ابن هانئ (١٩٣٥ – ١٩٤٦)]

قال الخلال (١/ ٢٩٤) : كتب إليَّ أحمد بن الحسن الورَّاق من الموصل قال : ثنا بكر بن محمد عن أبيه عن أبي عبد اللَّه وسأله عمن قال : أبو بكر وعمر وعلي وعثمان ؟ فقال: ما يعجبني هذا القول ، قلت : فيقال : إنه مبتدع ؟ قال أكره أن أبدعه ، البدعة الشديدة قلت : فمن قال : أبو بكر وعمر وعلي وسكت فلم يفضل أحدًا ؟ قال : لا يعجبني أيضًا هذا القول قلت فيقال : مبتدع ؟ قال : لا يعجبني هذا القول .

ومن قال : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فقد خرج من الإرجاء كله أوله وآخره (١).

=**وقال حنبل في موضع آخر** : سألت أبا عبد اللَّه : من قال: علي وعثمان ؟ قال : هؤلاء أحسن حالًا من غيرهم ، ثم ذكر عدة من شيوخ أهل الكوفة ، وقال : هؤلاء أحسن حالًا من الروافض. ثم قال أبو عبد اللَّه : إن أولئك –يعني: الذين قدَّموا عليًّا على عثمان– قد خالفوا من تقدمهم من أصحاب رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم–، من قال : علي ثم عثمان ، وأنا أذهب إلى أن عثمان ، ثم علي رحمهما اللَّه.

وروى الخلال في السنة (٥٣٠) عن الإمام أحمد بن حنبل قال : من قال : أبو بكر وعمر وعثمان فهو صاحب سنة ، ومن قال : أبو بكر وعمر وعلي وعثمان فهو رافضي – أو قال : مبتدع.

روى الخلال (٥٣٤) عن زكريا بن يحيى قال: سمعت أبا عبد اللَّه قال له رجل: من قدم عليًّا على عثمان ؟ قال: ذا قول سوء .

قال الخلال : أخبرنا محمد بن أبي هارون أن إسحاق حدثهم قال: سمعت أبا عبد اللَّه وقيل له : إن رجلًا يقول: نفضل أبا بكر وعمر، وعلي معهم ونترك عثمان ؟ فغضب ، ثم قال : قال ابن مسعود : أَمَّرنا خيرنا ولم نألُ عن أعلاها ، ذا فوق وبيعته سابقة هذا رجل سوء ، ثم أخرج إليَّ كتابًا فيه هذِه الأحاديث ، فقرأتها عليه. ["السنة" للخلال ١/ ٢٩٨ (٥٣٩)]

(١) والقول بأن الإيمان قول وعمل هو إجماع أهل السنة والجماعة والسلف قاطبة لم يخالف في ذلك إلا المرجئة والجهمية والكرامية والخوارج وأهل البدع كما سيأتي ، ونسي المؤلف أشياء مهمة للبراءة من الإرجاء كليا : منها : (الخوف من النفاق) .

فقد روى الفريابي في القدر (٨٧) عن سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ : خِلَافُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ ثَلَاثٌ : نَقُولُ : الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَهُمْ يَقُولُونَ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَلَا عَمَلَ ، وَنَقُولُ : الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَهُمْ يَقُولُونَ : لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ وَنَحْنُ نَقُولُ : النِّفَاقُ وَهُمْ يَقُولُونَ: لَا نِفَاقَ .

ومنها : اشتراط **(الإستثناء في الإيمان)** فإنه من الخلاف الجوهري بين أهل السنة والمرجئة حتى قال الثوري : **من لم يقل أن مؤمن إن شاء الله فهو مرجئ**) وقد هجر الثوري مسعر بن كدام ولم يحضر جنازته فقط لأنه لم يستثني في الإيمان [أنظر تهذيب التهذيب (١١٥/١٠)] وأيضا اليوم لا يخرج من تهمة الإرجاء كله حتى يصرح أنه **(لا يصح إيمان بلا عمل)** بسبب أن المرجئة صاروا يدلسون فيقولون بقول أهل السنة في العموم ، وعند التفصيل ينكصون على أعقابهم فيجعلون العمل شرط كمال على حدِّ تعبيرهم ، وهذا من التحايل والمكر وسيأتي التنبيه عليه ، وقد نبه على كل هذه الإستدراكات الكرماني فقال في مسائله (ص٣٧٣) : من زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع ، فهو مرجئ ، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص ، فقد قال بقول المرجئة ، ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ ، ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ ، ومن زعم أنه المعرفة في القلب وإن لم يتكلم لها فهو مرجئ".

وهذا ما سأنقل فيه هنا جملة من أقوال السلف من أهل الحديث والأثر ، في مسألة الإيمان ، وأنه قول وعمل لا يصح أحدهما إلا بالآخر ، وأن ترك العمل يكفر به العبد ولا ينفعه قوله ، وأن ترك الفرائض ردة سواء كان جحودا أو تهاونا سواء لا فرق بينهما ، واقتصرت على كلام المتقدمين من السلف وأعرضت عن ذكر كلام المتأخرين ، ففي الأثر ما يغني عن كلامهم ، فنقول :

ممن نقل الإجماع : اللالكائي في شرح أصول الإعتقاد (١/ ١٠٨) والكرماني في السنة (١ - ١٤) ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٧٢/١ - تحقيق آل حمدان) والآجري في االشريعة (٦١١/٢) والبربهاري في شرح السنة المسألة (٢٩) وغيرهم كثير ، ومن أصرح الإجماعات ما نقله الإمام الشافعي رحمه الله ، وهو شجا في حلوق المرجئة فيما روى اللالكائي في السنة (١٥٩٣) عن الشافعي رحمه الله قال (كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزأ واحد من الثلاثة إلا بالآخر) اهـ **ومن كلام السلف في هذا الباب** :

روى اللالكائي (١٨) عن الحَسَن البصري : لَا يَصِحُّ الْقَوْلُ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا يَصِحُّ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ ، وَلَا يَصِحُّ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِالسُّنَّةِ) اهـ

وروى اللالكائي برقم (١٥٧٩) والبيهقي في الشعب (٦٩) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ يَقُولُ : « الْإِيمَانُ قَائِدٌ ، وَالْعَمَلُ سَايِقٌ ، وَالنَّفْسُ حَرُونٌ ، فَإِذَا وَنِيَ قَائِدُهَا لَمْ يَسْتَقِمْ سَايِقُهَا ، وَإِذَا وَنِيَ سَايِقُهَا لَمْ يَسْتَقِمْ لِقَائِدِهَا ، الْإِيمَانُ بِاللَّهِ مَعَ الْعَمَلِ وَالْعَمَلُ مَعَ الْإِيمَانِ ، وَلَا يَصْلُحُ هَذَا إِلَّا مَعَ هَذَا حَتَّى يُقْدِمَانِ عَلَى الْخَيْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ »

وروى وابن أبي شيبة في المصنف (١٧٢/٦) والإيمان (١٣٦) واللالكائي (١٥٨٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: « لَا بُدَّ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ أَرْبَعٍ دُخُولٍ فِي دَعْوَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَتَصْدِيقٍ بِاللَّهِ وَبِالْمُرْسَلِينَ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا تُصَدِّقُ بِهِ إِيمَانَكَ) .

وروى اللالكائي (١٥٨٦) والطبري في صريح السنة (٢٩) عن الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ، وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ وَيَقُولُونَ : « لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلَ إِلَّا بِإِيمَانٍ »

وروى اللالكائي (٣١٤) وابن بن بطة في الإبانة الكبرى (١١٨٥) قال سفيان الثوري في وصيته : (**وَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِالنِّيَّةِ ، وَلَا يَجُوزُ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ وَالنِّيَّةُ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ**)

وروى اللالكائي (٢٠) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: « **لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ ، وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِقَوْلٍ ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ** »

وفي السنة للخلال (٩٦٢) قال أحمد : (**الإيمان لا يكون إلا بالعمل**) اهـ

وقد بوب ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٧١/٢) فقال : (باب بيان الإيمان وفرضه وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ولا يكون العبد مؤمنا إلا بهذه الثلاث) وكان مما قال : (فَكُلُّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ أَوْ أَكَّدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُنَّتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْجُحُودِ لَهَا وَالتَّكْذِيبِ بِهَا ، فَهُوَ كَافِرٌ بَيِّنُ الْكُفْرِ لَا يَشُكُّ فِي ذَلِكَ عَاقِلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ. وَمَنْ أَقَرَّ بِذَلِكَ وَقَالَهُ بِلِسَانِهِ ، ثُمَّ تَرَكَهُ تَهَاوُنًا وَمُجُونًا أَوْ مُعْتَقِدًا لَرَأْيِ الْمُرْجِئَةِ وَمُتَّبِعًا لِمَذَاهِبِهِمْ ، فَهُوَ تَارِكُ الْإِيمَانِ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ وَهُوَ فِي جُمْلَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ نَافَقُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِوَصْفِهِمْ وَمَا أُعِدَّ لَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، نَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُرْجِئَةِ الضَّالَّةِ) اهـ

وبوب الآجري في الشريعة (٦١١/٢) : (باب القول بأن الإيمان وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ، ولا يكون مؤمنا إلا بأن تجتمع فيه هذه الثلاث) ثم قال : اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِئُ الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِيءُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ ، حَتَّى يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ ، فَإِذَا كَمُلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالِ : كَانَ مُؤْمِنًا دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ، وَالسُّنَّةُ، وَقَوْلُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ .. ثم قال : فَالْأَعْمَالُ رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْجَوَارِحِ : تَصْدِيقٌ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ، فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقِ الْإِيمَانَ بِعَمَلِهِ وَبِجَوَارِحِهِ : مِثْلُ الطَّهَارَةِ ، وَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ، وَأَشْبَاهٌ لِهَذِهِ وَرَضِيَ مِنْ نَفْسِهِ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْقَوْلِ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ الْمَعْرِفَةُ وَالْقَوْلُ ، وَكَانَ تَرْكُهُ لِلْعَمَلِ تَكْذِيبًا مِنْهُ لِإِيمَانِهِ ، وَكَانَ الْعَمَلُ بِمَا ذَكَرْنَاهُ تَصْدِيقًا مِنْهُ لِإِيمَانِهِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ) اهـ

وقال المزني في شرح السنة برقم (٦) : وَالْإِيمَان قَول وَعمل مَعَ اعْتِقَاده بالجنان قَول بِاللِّسَانِ وَعمل بالجوارح والأركان وهما سيان ونظامان وقرينان لَا نفرق بَينهمَا لَا إِيمَان إِلَّا بِعَمَل وَلَا عمل إِلَّا بإِيمَان) اهـ

(قلت) وقد انتدب كثير من علماء السلف من أهل الحديث للرد على المرجئة في ادعائهم أن ترك الفرائض (العمل) لا يؤثر في صحة الإيمان وبينوا أن تارك الفرائض **(العمل)** كافر ، وإن كان متكاسلا ، ومن أقوى ردود السلف على هذه الضلالة الإرجائية أربعة أقوال قوية جدا وهي :

الأول : قول سفيان بن عيينة : جاء في السنة لعبد الله بن أحمد (٧٤٥) عن سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ الْهَرَوِيُّ قَالَ : سَأَلْنَا سُفْيَانَ بْنَ

عُيَيْنَةَ عَنِ الْإِرْجَاءِ فَقَالَ يَقُولُونَ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ ، وَنَحْنُ نَقُولُ الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَالْمُرْجِئَةُ أَوْجَبُوا الْجَنَّةَ لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُصِرًّا بِقَلْبِهِ عَلَى تَرْكِ الْفَرَائِضِ، وَسَمُّوا تَرْكَ الْفَرَائِضِ ذَنْبًا بِمَنْزِلَةِ رُكُوبِ الْمَحَارِمِ وَلَيسَ بِسَوَاءٍ لِأَنَّ رُكُوبَ الْمَحَارِمِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْلَالٍ مَعْصِيَةٌ ، وَتَرْكُ الْفَرَائِضِ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ وَلَا عُذْرٍ هُوَ كُفْرٌ ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي أَمْرِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِبْلِيسَ وَعُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، أَمَّا آدَمُ فَنَهَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَحَرَّمَهَا عَلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا مُتَعَمِّدًا لِيَكُونَ مَلَكًا أَوْ يَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ فَسُمِّيَ عَاصِيًا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ ، وَأَمَّا إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ فُرِضَ عَلَيْهِ سَجْدَةٌ وَاحِدَةٌ فَجَحَدَهَا مُتَعَمِّدًا فَسُمِّيَ كَافِرًا ، وَأَمَّا عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فَعَرَفُوا نَعْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولٌ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَأَقَرُّوا بِهِ بِاللِّسَانِ وَلَمْ يَتَّبِعُوا شَرِيعَتَهُ فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُفَّارًا ، فَرُكُوبِ الْمَحَارِمِ مِثْلُ ذَنْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَأَمَّا تَرْكُ الْفَرَائِضِ جُحُودًا ، فَهُوَ كُفْرٌ مِثْلَ كُفْرِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَتَرْكُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ فَهُوَ كُفْرٌ مِثْلُ كُفْرِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) اهـ

الثاني : الإمام أبو عمرو الأوزاعي : وكلامه رحمه الله من أوضح الأقوال وأشدها على المرجئة وقد رواه الالكائي (١٠٥٩١) والخلال في السنة (٥٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١٤٤/٦) قال أبو إسحاق الفزاري كان الأوزاعي يقول: يَقُولُونَ [أي المرجئة]: إِنَّ فَرَائِضَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَإِنَّ الْإِيمَانَ قَدْ يُطْلَبُ بِلَا عَمَلٍ ، وَإِنَّ النَّاسَ لَا يَتَفَاضَلُونَ فِي إِيمَانِهِمْ ، وَإِنَّ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ فِي الْإِيمَانِ سَوَاءٌ "، وَمَا هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ، أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » وَقَالَ تَعَالَى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى: ١٣] ، وَالدِّينُ : هُوَ التَّصْدِيقُ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ ، فَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الدِّينَ قَوْلًا وَعَمَلًا، فَقَالَ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة: ١١] ، وَالتَّوْبَةُ مِنَ الشِّرْكِ ، وَهُوَ الْإِيمَانُ ، وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ عَمَلٌ كَمَا قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : لَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِالْقَوْلِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ إِلَّا بِالْعَمَلِ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ الْإِيمَانُ وَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ ، فَكَانَ مَنْ مَضَى مِمَّنْ سَلَفَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، الْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَإِنَّمَا الْإِيمَانُ اسْمٌ جَامِعٌ كَمَا جَمَعَ هَذِهِ الْأَدْيَانَ اسْمُهَا وَتَصْدِيقُهُ الْعَمَلُ ، فَمَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَعَرَفَ بِقَلْبِهِ وَصَدَّقَ ذَلِكَ بِعَمَلِهِ ، فَذَلِكَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا وَمَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يُصَدِّقْ بِعَمَلِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ ، وَكَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

الثالث : الإمام إسحاق بن راهوية : نقل حرب الركماني في السنة (١٧٩) عن إسحاق قال : غلت المرجئة حتى صار من قولهم : إن قوما يقولون : من ترك الصلوات المكتوبات وصوم رمضان والزكاة والحج وعامة الفرائض من غير جحود لها لا نكفره ، يرجى أمره إلى الله بعد ، إذ هو مقر ، فهؤلاء الذين لا شك فيهم – يعني في أنهم غلاة مرجئة)

قال ابن رجب معلقا عليه في الفتح (٢٣/١) : وظاهر هذا : أنه يكفر بترك هذه الفرائض " .

الرابع : الإمام الحميدي : وروى اللالكائي (١٥٩٤) والخلال في السنة (٥٧٦) عن حنبل بن إسحاق أخبرنا الْحُمَيْدِيُّ قال : وَأُخْبِرْتُ أَنَّ نَاسًا يَقُولُونَ : " مَنْ أَقَرَّ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَلَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا حَتَّى يَمُوتَ ، أَوْ يُصَلِّي مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، مَا لَمْ يَكُنْ جَاحِدًا إِذَا عَلِمَ أَنْ تَرْكَهُ ذَلِكَ ، إِذَا كَانَ يُقِرُّ بِالْفَرَائِضِ وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ ، فَقُلْتُ: هَذَا الْكُفْرُ الصُّرَاحُ وَخِلَافُ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِعْلِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} [البينة: ٥] قال حَنْبَلٌ بعد ذكر كلام الحميدي : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ : مَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ وَعَلَى الرَّسُولِ مَا جَاءَ بِهِ)

(**قلت**) ومن حيل المرجئة قديما وحديثا على الرعاع من الناس أن قالوا أن الإيمان (قول وعمل) حتى لا يفتضحوا في مخالفة صريح كلام السلف ، حتى إذا صدقهم الرعاع والجهال في أنهم لم يخالفوا السلف في الإيمان ، قالوا بعد ذلك إن الأعمال : (**شرط كمال**) فنقضوا قولهم الأول من حيث لم يتفطن لهم الجهال وأتباعهم المقلدة الرعاع ، وعادوا إلى قول المرجئة والجهمية في أن العمل ليس جزء من الإيمان ولا ركن ولا شرط على حد تعبيرهم ! وصار زعماء المرجئة اليوم يستعملون هذا المذهب

الخبيث ، وهذه حيلة قديمة وكما يقال (شنشنة نعرفها من أخزم) وقد كشفها بعض أهل العلم من قرون .

قال سجزي في رسالته إلى زبيد في الحرف والصوت (ص٢٨٤) : وعند أهل الأثر أن الإيمان : قول وعمل يزيد وينقص ، وعلماء الآفاق المتبعون كلهم على هذا القول ومخالفونا هؤلاء يقولون معنا في الظاهر مثل ذلك وعندهم أن التصديق لا مدخل للزيادة والنقصان فيه وهو الإيمان) .

(**قلت**) وهذه الأخلاق والنفاق معروف عن أبي الحسن الأشعري الجهمي مع أتباعه الذين خدعهم بهذه الحيلة الخبيثة .

قال السجزي : كذلك كثير من مذهبه ، يقول في الظاهر بقول أهل السنة مجملاً ، ثم عند التفسير ، والتفصيل يرجع إلى قول المعتزلة فالجاهل يقبله بما يظهره ، والعالم يجهره لما منه يخبره ، والضرر بهم أكثر منه بالمعتزلة لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق نسأل الله السلامة من كل برحمته) اهـ

قال ابن رجب في الفتح (١/١١٣) : وقد كان طائفة من المرجئة يقولون: الإيمان قول وعمل موافقة لأهل الحديث ، ثم يفسرون العمل بالقول ويقولون : هو عمل اللسان ، وقد ذكر الإمام أحمد هذا القول عن شبابه بن سوار وأنكره عليه وقال : هو أخبث قول ما سمعت أن أحدا قال به ولا بلغني ، يعني أنه بدعة لم يقله أحد ممن سلف) اهـ .

[ويراجع للتوسع أكثر : رسالة أصول السنة (١٢) والسنة لابن أبي زمنين ، وشرح السنة للمزني (٦) السنة للكرماني (ص٧٤) والسنة للخلال (ص٥٦٢ ـ تحقيق آل حمدان) وكتاب السنة لعبد الله بن أحمد (ص ٢٧٣ ـ تحقيق آل حمدان) واللالكائي (٣/١٠٨) والحجة لبيان المحجة (١/٤٠٣) والشريعة (١/٢٧٤) والإبانة الكبرى (٢/٤٧١) والرد على المبتدعة (ص٢٠٦)]

(**وأقول**) زيادة على ما قلناه أنه لا يبرأ من الإرجاء من يدافع عن المرجئة ويجادل عنهم فهذا يعتبر عين التولي لهم ، والإقرار بالباطل وبأهله ، فلا يبرأ من الإرجاء حتى يتبرأ من المرجئة ويبدعهم ، ويهجرهم ويعتزل مجالستهم وجدالهم ، ومن الإرجاء الجديد قول البعض لا يضر مع العلم شيء !! واليوم الإرجاء تجهم ووقع في نواقض عديدة كما هو معلوم لدى أهل السنة .

ومن قال : الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد مع كل خليفة ، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف ، ودعا لهم بالصلاح ، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره (١)**.ومن قال : المقادير كلها [من] الله خيرها وشرها ، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فقد خرج من قول القدرية ، أوله وآخره ، وهو صاحب سنة** (٢).

(١) سبق التعليق على كل فقرة من هذه الجملة من قبل ، لكن المؤلف الآن ساقها في سياق صفة التبرئة من الخوارج ، ولكن لي عليه استدراكات : **الأول** : قوله في أول شرط (**من قال الصلاة خلف كل بر وفاجر**) كان ينبغي تقييده بالأئمة كما سبق ونبهت عليه ، وإلا لا يصح بهذا الإطلاق وقد أنكره أحمد ، وكان سفيان الثوري يقول لا تصلي إلا خلف من تثق به ، أي يتعمد الصلاة خلف البر ، إلا أن يكون السلطان ، فلهذا ينبغي أن يجتنب الصلاة خلف الفاجر قدر الإمكان إلا لضرورة كما قال الأوزاعي ، فتقييده بالسلطان أحسن وأضبط أو يقول (الصلاة تصح خلف كل بر وفاجر) فيكون الكلام عن الصحة والبطلان ، فيصح الإطلاق حينئذ دون اعتراض .

الثاني : فاته أن يشترط عدم الخروج على السلطان باللسان أي قضية سبِّ الأمراء علنا عند العوام كما روى ابن أبي شيبة (٣٢٧٠٦) قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُكَيْمٍ : لاَ أُعِينُ عَلَى قَتْلِ خَلِيفَةٍ بَعْدَ عُثْمَانَ أَبَدًا قَالَ : فَقِيلَ لَهُ وَأَعَنْت عَلَى دَمِهِ قَالَ : إنِّي أَعُدُّ **ذِكْرَ مَسَاوِئِهِ عَوْنًا عَلَى دَمِهِ**..

الثالث : قوله (الجهاد مع كل خليفة) الأجود أن يقول مع كل سلطان فإن زمن الخلفاء انقضى وجاء بعده الملوك ، كم في الحديث (**خلافة النبوة ثلاثون عاما**) فلفظ الخليفة فيها نوع مدح ، لكن لا مانع من تسمية من بعد الخلفاء من باب التجوز لا من باب وصفهم بخلافة النبوة فقد روى البخاري ومسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم : " **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وأنه لا نبي بعدي ، وستكون خلفاء فتكثر قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : فوا ببيعة الأول ، فالأول ، وأعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم** ". وكلمة (تكثر) تفيد الكثرة ، ولا يمكن حصرها بالخلفاء الراشدين الأربعة .

(٢) وهنا أيضا يحسن التعبير أيضا أن من آمن بمراتب القدر الأربعة فقد خرج من اعتقاد القدرية كله ، وهو أضبط في نظري ، لأن خلاف القدرية على أصنافها كان في هذه المراتب كلها وقد سبق بيان المراتب **في الفقرة (٥٦)** وهي باختصار :

العلم : وهي أن يؤمن الإنسان إيمانا جازما بأن الله تعالى بكل شيء عليم وأنه يعلم ما في السماوات والأرض ، وأنه يعلم ما كان وما سيكون ولم يكن لو كان كيف يكون جملة وتفصيلاً ، وهذه مرتبة شرط في صحة الإسلام من أنكرها فهو كافر بإجماع

وأما الكتابة : وهي إن الله تبارك وتعالى كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء ، فمن قال مثلا : لم يكتب عليَّ المعصية ، فهو قدري .

والمشيئة : مشيئة الله النافذة في كل شيء ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، **قال الشافعي** :(ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري) [ذم الكلام (٢٥٥ – ٢٥٦)] من قال مثلا هذا ظلم أو أنه مُسَيِّر أو مخير فهو قدري ، فالإنسان ميسر من التيسير

والخلق : الإيمان بأن الله خالق الأشياء وموجدها ، فلا خالق غيره ، ولا رب سواه ، وبالخصوص خلق أفعال العباد التي تُنازع فيها القدرية ، فمن قال أن العباد هم من اكتسبوا أفعالهم واختلقوها فهو قدري ، ومن قال بل هم مجبورين فهو جبري ، ومن قال خلقها الله ولهم مشيئة وقدرة تحت مشيئته وقدرته فهو صاحب سنة إن شاء الله ، ولا يسلم من القدر كله مع إيمانه بهذه المراتب كلها حتى يعمل ولا يتعذر بالمقادير ويحتج بها على المعصية وترك العمل ، ولا يتم ذلك أيضا إلا بهجر القدرية وعدم مجالستهم ، كم **قال الثوري عمن كانت بطانته القدر : هو قدري** .

[١٤٩] وبدعة ظهرت ، هي كفر بالله العظيم ، ومن قال بها فهو كافر لا شك فيه من يؤمن بالرجعة ويقول : علي بن أبي طالب حي وسيرجع قبل يوم القيامة ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر (١)

---

(١) وهذا ما يسمى (**بالرجعة**) وهي كما قال الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص١٩) : والفرقة الثانية من السبئية يَقُولُونَ إن عليا قد مَاتَ وَلَكِن يبْعَث قبل الْقِيَامَة ، وَيبْعَث مَعَه أهل الْقُبُور حَتَّى يُقَاتل الدَّجَّال ، وَيُقِيم الْعدْل والقسط فِي الْعباد والبلاد ، وَهَؤُلَاء لَا يَقُولُونَ إن عليا هُوَ الله ، وَلَكِن يَقُولُونَ بالرجعة ، والفرقة الرَّابِعَة من السبئية يَقُولُونَ بإمامة مُحَمَّد بن عَليّ وَيَقُولُونَ هُوَ فِي جبال رضوى حَتَّى لم يمت ويحرسه على بَاب الْغَار الَّذِي هُوَ فِيهِ تنين وَأسد وَإنَّهُ صَاحب الزَّمَان يخرج وَيقتل الدَّجَّال وَيهْدِي النَّاس من الضَّلَالَة وَيصْلح الأَرْض بعد فَسَادهَا) اهـ [وانظر ما قاله الكرماني في السنة عن السبئية (١٠١)]

وما يقطع لجاج هؤلاء الزنادقة الذين يدعون حب آل البيت أن أهل البيت أنفسهم أنكروا الرجعة على السبئية .

كما جاء في طبقات بن سعد (٥/٢٤٦) والشريعة (٣/ ٢٠٧٣/٥٦١) : عن جابر عن أبي جعفر قال : قلت له : هل كان فيكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال : لا فتولهما واستغفر لهما وأحبهما قلت: هل كان فيكم أحد يؤمن بالرجعة قال : لا.

وقال ابن المبارك في قصيدته :

ولا أقول عليا في السحاب إذا قد قلت والله ظلما ثم عدوانا

لو كان في المزن ألقته وما حملت مزن السحاب من الأحياء إنسانا

قال الزبير بن بكار : قال عمر بن عبد العزيز : إني لأعرف صلاح بني هاشم وفسادهم بحب كُثَيِّر ، فمن أحبه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبيا يؤمن بالرجعة . [أنظر الشعر والشعراء (١/٤١٥) والأغاني (٩/١٩) وتاريخ ابن عساكر (٥٠/١٠٩-١١٠)]

ومن لطائف الآثار في بيان بطلان هذه الفرقة ما **رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٢٠٧) عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ** : أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقَالَ : مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ : كَيْفَ تَرَكْتَ النَّاسَ وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : تَرَكْتُ النَّاسَ يتحَدَّثُون **أَنَّ عَلِيًّا سَوْفَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ** ، فَقَالَ : لَوْ شَعَرْنَا مَا زوَّجنا نِسَاءَهُ وَلَا قَسَمْنَا مِيرَاثَهُ ، وسأحدِّثُك عَنْ ذَلِكَ : إِنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ فِي السَّمَاءِ ، فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُهُمْ كَلِمَةَ حقٍّ كَذَب مَعَهَا أَلْفَ كِذْبَةٍ فأشْرِبَتْها قُلُوبُ النَّاسِ ، وَاتَّخَذُوهَا دَوَاوِينَ ، فاطَّلع عَلَيْهَا سُلَيْمَانُ ، فَدَفَنَهَا تَحْتَ كُرْسِيِّهِ ، فَلَمَّا مَاتَ سُلَيْمَانُ ، قَامَ شَيَاطِينُ بِالطَّرِيقِ ، فَقَالَتْ : أَلَا أَدُلُّكم عَلَى كَنْزِ سُلَيْمَانَ المِمَنَّع الَّذِي لَا كَنْزَ لَهُ مِثْلُهُ ؟ فَاسْتَخْرَجُوهَا ، قَالُوا : سِحْرٌ ، وَإِنَّ بقيتها هَذَا يَتَحَدَّثُ بِهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عُذْرَ سُلَيْمَانَ فِيمَا قَالُوا مِنَ السِّحْرِ:{**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**}

وفي تاريخ بغداد للخطيب (١٥/٥٥٧) بسنده إلى مُحَمَّد بن جعفر الأسامي قال : كان أَبُو حنيفة يتهم شيطان الطاق بالرجعة ، وكان شيطان الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ ، قال : فخرج أَبُو حنيفة يوما إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه ، فقال له أَبُو حنيفة : أتبيع هذا الثوب إلى رجوع علي ؟ فقال : إن أعطيتني كفيلا أن لا تمسخ قردا بعتك

فبهت أَبُو حنيفة قال : ولما مات جعفر بن مُحَمَّد ، التقى هو وأبو حنيفة ، فقال له أَبُو حنيفة : أما إمامك فقد مات ، فقال له شيطان الطاق : أما إمامك فمن المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم.

وجاء في الميزان (٢/ ٥٢) وقال ابن حبان : رشيد الهجري كوفي ، كان يؤمن بالرجعة ، ثم قال ابن حبان : قال الشعبي: دخلت عليه فقال: خرجت حاجا، فقلت: لأعهدن بأمير المؤمنين. فأتيت بيت علي فقلت لإنسان: استأذن لي على أمير المؤمنين. قال: أو ليس قد مات. قلت: قد مات فيكم، والله إنه ليتنفس الآن نفس الحي. قال: أما إذ عرفت سر آل محمد فادخل. فدخلت على أمير المؤمنين ، وأنبأني بأشياء تكون. فقال له الشعبي: إن كنت كاذبا فلعنك الله. وبلغ الخبر زيادا فبعث إلى رشيد الهجري فقطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حريث. [وانظر القصة في المجروحين (٣٤٢)]

وحكم هؤلاء السبيئة الذين يؤمنون برجعة الأموات ، أنهم كفار لا شك كما قال المؤلف ، وقد جاء في السير (١٢/ ٥٠٦) : ومن كلام أحمد بن عبد الله العجلي صاحب كتاب الثقات قال : **من آمن برجعة علي رضي الله عنه فهو كافر** .

فائدة : في ذكر بعض أسماء رواة حديث مشاهير متهمين بالإيمان بالرجعة :

منهم جابر الجعفي : متهم بالرجعة فعَنْ زَائِدَةَ قَالَ : كَانَ جَابِرٌ الْجُعْفِيُّ كَذَّابًا يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ . [ضعفاء العقيلي (٢٤٠)] وقال ابن عيينة : كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر ، فلما أظهر ما أظهر اتهمه الناس في حديثه ، وتركه بعض الناس ، فقيل له : وما أظهر ؟ الإيمان بالرجعة) ثقات العجلي (١/١٢) لكن أحمد يقول لا يصح عنه ذلك ، وإنما هو من شيعة علي فقط . فالله أعلم بحاله . [علل عبد الله (٦٦)]

ومنهم أَصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ الْحَنْظَلِيُّ كُوفِيٌّ كَانَ يَقُولُ بِالرَّجْعَةِ ، كما قال العقيلي في الضعفاء (١٦٠)

ومنهم عثمان بن عمير البجلي أبو اليقظان الكوفي الأعمى ، وقال ابن عدي : رديء المذهب غال في التشيع يؤمن بالرجعة . [انظر : ميزان الإعتدال (٣/٥٠- ٥١) وتهذيب التهذيب (٧/ ١٤٥- ١٤٦)]

ومنهم ثَابِتُ بْنُ أَبِي صَفِيَّةَ أَبُو حَمْزَةَ الثُّمَالِيُّ قال يَزِيد بْن هَارُون : سَمِعْتُ أَبَا حَمْزَةَ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ .[ضعفاء العقيلي (٢١٤)]

ومنهم عُثْمَانُ بْنُ عُمَيْرٍ أَبُو الْيَقْظَانِ قال أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ قَالَ: كَانَ عُثْمَان أَبُو الْيَقْظَان يُؤْمِن بِالرَّجْعَةِ [الضعفاء (١٢١٤)]

ومنهم الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ قال العقيلي في ضعفاءه (١٧٥٥) : مِنْ كِبَارِ الرَّافِضَةِ ، وَمِمَّنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ .

ومنهم محمد بن القاسم السوداني المحاربي ففي سؤالات حمزة للدارقطني (٣٨) سألت أبا الحسن بن سفيان بن حماد الحافظ بالكوفة عن محمد بن القاسم السوداني المحاربي فقال : ما روى له أصل قط وكان يومن بالرجعة .

ومنهم داود بن يزيد الأودي أبو يزيد الكوفي : قال ابن حبان : كان يؤمن بالرجعة . [المجروحين (٣١٩)]

ومنهم مسلم بن نذير السعدي : قال ابن سعد في طبقاته (٢٢٤٣) يذكرون أنه كان يؤمن بالرجعة .

ومنهم رشيد الهجري : يقال ابن حبان في المجروحين (٣٤٢) كانَ يُؤمن بالرجعة .

ومنهم عَبد اللَّهِ بن الْحُسَيْن الأزدي أَبُو حريز البَصْرِيّ، قاضي سجستان : وَقَال أَبُو عُبَيد الآجري : سئل أَبُو دَاوُد عَن أَبِي حريز فَقَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَن بْن عَلِي قال : حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ قال : حَدَّثَنَا هِشَام السجستاني قال : قال أَبُو حريز : تؤمن بالرجعة ؟ قُلْتُ : لا قال : هُوَ فِي اثنتين وسبعين آية من كتاب اللَّه !! [تهذيب الكمال (٣٢٢٧) وانظر الميزان (٢٦٨٦)] .

(قلت) ومن الشعراء المشاهير الذين كانوا يؤمنون بالرجعة : **بشار بن برد** ، **وكثير عزة** ، نعوذ بالله من الخذلان .

ويتكلمون في الإمامة ، وأنهم يعلمون الغيب فاحذرهم فإنهم كفار بالله العظيم ، ومن قال بهذا القول (١).

قال طعمة بن عمرو (٢) **وسفيان بن عيينة : من وقف عند عثمان وعلي ، فهو شيعي لا يُعدَّل ولا يُكلَّم ، ولا يُجالس ، ومن قدم عليا على عثمان فهو رافضي قد رفض أمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومن قدم الأربعة على جماعتهم وترحم على الباقين وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب** (٣) .

---

(١) وهذا يُعتبر من نواقض الإسلام بحدِّ ذاته ، فمن ادعى أنه يعلم الغيب غير الله فهو كافر قال تعالى {**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**} ومن أدلة تكفيره قول النبي صلى الله عليه وسلم عن الكاهن الذين يدعون معرفة الغيب أن (**من صدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**) [صحيح رواه الترمذي (١٣٥) وأبو داود (٣٩٠٤) وابن ماجه (٦٣٩) وأحمد (٢/٤٢٩) وغيرهم]

قال ابن قتيبة في رسالة الاختلاف في اللفظ (ص٥٤) : وقد رأيت هؤلاء أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي وتقديمه على ما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته عليه وادعاءهم له شركة النبي صلى الله عليه وسلم في نبوته ، وعلم الغيب للأئمة من ولده وتلك الأقاويل والأمور السرية التي جمعت إلى **الكذب والكفر إفراط الجهل والغباوة**) .

(٢) طُعْمَةُ بْنُ عَمْرٍو الجعفري الْعَامِرِيُّ الْكُوفِيُّ روى عَنْ : نَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ ، وَحَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، وَعُمَرَ بْنِ بَيَانٍ التَّغْلِبِيِّ ، وَعَنْهُ : وَكِيعٌ ، وَأَبُو نُعَيْمٍ وَأُسَيْدٌ الْجَمَّالُ ، وَجُبَارَةُ بْنُ الْمُغَلِّسِ ، وَجَمَاعَةٌ ، وثقه ابن معين وقال الدارقطني ليس بحجة .

قال ابن أبي خيثمة : حَدَّثَنَا علي بن عبد الحميد حَدَّثَنَا طعمة بن عَمْرو الثقة المسلم وكان من العباد صاحب صلاة . [أنظر ترجمته في تهذيب الكمال (١٣/٣٨٣)] (**قلت**) وطعمة مع أنه متقدم فهو غير مشهور في التراجم ولا تجد في ترجمته إلا الكلام عن توثيقه ، فترجمته شحيحة جدا !! .

(٣) وهذا الأثر الذي نقله المؤلف هنا عن سفيان وطعمة لم أجده ، وقد سبق الكلام حول هذه المسائل وكان حقها التقديم وأن توضع مع الفقرة السابقة ليكون الترتيب حسنا ، وهذا مما يعاب على المؤلف رحمه الله في كتابه هذا ، فالكتاب غير مرتب ، ومما يعذر به المؤلف أن هذا الكتاب مجرد رسالة للناس كتبها على عجلة من أمره ، ولهذا تجد فيها تكرارا لكثير من الفقرات .

وسبق التعليق على هذه المسألة بتوسع ، لكن أضيف هنا فائدة لكي لا تُخلي هذه الفقرة من فائدة :

جاء في تاريخ ابن معين رواية الدوري (**٢٢٨٥**) قلت ليحيى : من قَالَ أَبُو بكر وَعمر وَعُثْمَان ؟ فَقَالَ : هُوَ مُصِيب ، وَمن قَالَ أَبُو بكر وَعمر وَعُثْمَان وَعلي فَهُوَ مُصِيب ، وَمن قَالَ أَبُو بكر وَعَمْرو وعلي وَعُثْمَان فَهُوَ شيعي وَمن قَالَ أَبُو بكر وَعمر وَعُثْمَان وَسكت فَهُوَ مُصِيب ، قَالَ يحيى : وَأَنا أَقُول أَبُو بكر وَعمر وَعُثْمَان وَعلي ، هَذَا مَذْهَبنَا وَهَذَا قَوْلنَا) اهـ

[١٥٠] والسنة أنْ تشهد أنَّ العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنَّة أنهم في الجنة لا شك [فيه] (١) .

(١) من عقائد أهل السنة والجماعة أنهم يشهدون لمن شهد له المصطفى صلى الله عليه وسلم بالجنة من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فهناك من أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة ، وهناك آخرون أخبر ببعض النعيم المعد لهم في الجنة ، وكل ذلك شهادة منه صلى الله عليه وسلم لهم بالجنة ، وسواء ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم الشخص من أهل الجنة أو أخبر أن له كذا أو مكانته في الجنة كذا أو أخبر أنه رآه في الجنة ، فالكل يشهد له أهل السنة والجماعة بالجنة تصديقاً منهم لخبر الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، فلقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن عشرة من المهاجرين بأنهم في الجنة وسماهم بأعيانهم وبشرهم بها أولئك العشرة هم : (**أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل**) وعلى هذه أدلة من السنة نذكرها هنا :

عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : عشرة في الجنة : أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص — قال : فعد هؤلاء التسعة ، وسكت عن العاشر ، فقال القوم : ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر ؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة . [صحيح : رواه الترمذي (رقم٣٧٥٧) وأحمد (١٨٧/١) وأبو داود (٥١٥/٢) وابن ماجه (٤٨/١)]

– **وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ** : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ . [رواه الترمذي (٣٧٤٧) وأحمد (١٦٧٥) وغيرهم بسند صحيح]

وروى البخاري (٧/ ٣٦٩٣/٥٣) **ومسلم** (٤/ ٢٤٠٣/١٨٦٧) عن أبي موسى الأشعري قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا أي بستانا وأمرني بحفظ باب الحائط ، فجاء رجل يستأذن فقال صلى الله عليه وسلم : ائذن له وبشره بالجنة " فإذا أبو بكر. ثم جاء آخر يستأذن فقال : ائذن له وبشره بالجنة " فإذا عمر ، ثم جاء آخر يستأذن ، فسكت هنيهة ثم قال : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه ، فإذا عثمان بن عفان .

عن الزهري قال : سألت سعيد بن المسيب عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : اسمع يا زهري ، من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وشهد للعشرة بالجنة ، وترحم على معاوية كان حقاً على الله أن لا يناقشه الحساب . [تاريخ بن عساكر (٢٠٧/٥٩) والبداية والنهاية (١٤٨/٨)]

وقال سفيان الثوري : فَإِنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ **يُجْمِعُونَ** ... وَعَلَى أَنَّ الْعَشَرَةَ فِي الْجَنَّةِ جَزْمًا وَحَتْمًا لَا شَكَّ فِيهِ) [رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦٩٤)]

وقال الشعبي : أدركت أكثر من خمسمائة من أصحاب النبي – صلى اللَّه عليه وسلم– فقالوا : إن عثمان وعليًّا وطلحة والزبير في الجنة . [العلل برواية عبد اللَّه (٤١٤)]

وقال أحمد في عقيدته برواية مسدد بن مسرهد : وأَنْ نَشْهَدَ للعَشَرَةِ بالجَنَّةِ ، وهم أَبُو بَكْر ، وعُمَرُ ، وعُثْمانُ ، وعليٌّ ، وطَلْحَةُ ، والزُّبَيْرُ ، وسَعْد، وسَعِيْدٌ ، وعَبْدُ الرَّحْمَن بنُ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ ، وأَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرّاحِ ، ومَنْ شَهِدَ النَّبِيُّ –صلى اللَّه عليه وسلم– لَهُ بالجَنَّةِ شَهِدْنا لَهُ بالجَنَّةِ. [طبقات الحنابلة (٣٤٤/١) ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص١٧٠)]

(قلت) ومن أبى أن يشهد للعشرة بالجنة فهو ضال مبتدع ولا ينفعه ما اعتقده من السنة وسيأتي تضليل المؤلف له في الفقرة (١٥٦) فليته ذكرها هنا :

قال سفيان الثوري في وصيته : يا شعيب بن حرب : لا ينفعك ما كتبت لك حتى لا تشهد لأحد بجنة ولا نار إلا للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم من قريش . [السنة للالكائي (٣١٤)]

روى الخلال عن المروذي قال : قلت لأبي عبد اللَّه: إن ابن الهيثم المقرئ قد حُكي عنه أنه قال: لا أشهد للعشرة أنهم في الجنة قال: لم يذاكرني بشيء ، قلت له : فلا يجانب صاحب هذِه المقالة ؟ قال: قد جفاه قوم ، وقد لقي أذى.

وقال محمد بن يحيى الكحال : سألت أبا عبد اللَّه عمَّن لا يشهد لأبي بكر وعمر وعثمان بالجنة فقال : هذا قول سوء وقد كان عندي منذ أيام من هو ذا يخبر عنه بهذا ، ولو علمت لجفوته ، قلت له : ابن الهيثم ؟ قال : نعم ، قد أخبروني أنه وضع في هذا كتابًا .

وروى الخلال عن الأثرم قال : سمعت أبا عبد اللَّه ونحن على باب عفان ، فذكروا الشهادة للذين جاء عن النبي –صلى اللَّه عليه وسلم– أنهم في الجنة ، فقال أبو عبد اللَّه : نعم نشهد ، وغلظ القول على من لم يشهد ، واحتج بأشياء كثيرة ، واحتج عليه بأشياء ، فغضب حتى قال : صبيان نحن !! ليس نعرف هذِه الأحاديث ؟ واحتج عليه بقول عبد الرحمن بن مهدي فقال : عبد الرحمن بن مهدي من هو ؟ أي : مع هذِه الأحاديث. [راجع السنة للخلال باب الشَّهَادَةُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ (٣٥٥/٢)]

قال الآجري في الشريعة (١٦٧٥/٤) : وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَانَهُ عَنْ مَذَاهِبِ الرَّافِضَةِ وَالنَّاصِبَةِ أَنْ يَشْهَدَ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ...) ثم ذكر العشرة .

وقال ابن بطة في الإبانة الصغرى (٣١٧) : وتشهد للعشرة بالجنة بلا شك واستثناء وهم أصحاب حراء) .

وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك ؟ فقالا ... وأن العشرة الذين سماهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، وقوله الحق) اهـ [أصول الاعتقاد (١٩٧/١ـ ٢٠١/ ٣٢١]

(قلت) وكان طائفة من السلف يقولون : لا نشهد بالجنة إلا الرسول صلى اللَّه عليه وسلم خاصة ، وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعي ، وطائفة أخرى من أهل الحديث ، كعلي بن المديني وغيره ، يقولون : هم في الجنة ولا يقولون : نشهد لهم بالجنة !! وقد رد عليه الإمام أحمد وجماعة معه من أهل الحديث وأنكروا عليه بشدة ، والصواب الذي عليه جماهير السلف : **أنا نشهد لهم بالجنة كما استقر على ذلك مذهب أهل السنة** . [ومن أراد المزيد ينظر : الشريعة (١٦٩٥/٣) (باب ذكر الشَّهادة للعشرة المبشرين بالجنة) ، والسنة للخلال (٣٥٥/٢) (الشَّهَادَةُ لِلْعَشَرَةِ بِالْجَنَّةِ) والسنة لابن أبيعاصم (٦١٨/٢) (بَابٌ فِي قَوْلِهِ الْعَشَرَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَتَحَرُّكِ الْجَبَلِ بِهِمْ) واللالكائي (١٤٨٦/٨) والحجة للأصبهاني (٣٥٣/١) والإعتقاد لأبي يعلى (ص٤٢) (باب الإعتقاد في الصحابة)]

[١٥١] ولا تُفرِدْ بالصلاة على أحد ، إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله فقط (١) .

(١) وهذه المسالة مختلف فيها ، وهي أشبه بالمسألة الفقهية والتي يعتبر الخلاف فيها سهلا ، ولهذا لم يتبين لي وجه ذكرها في أصول السنة !! والذي رجحه المؤلف هو مروي عن ابن عباس وجماعة من السلف .

روى عبد الرزاق (٣١١٩) وأبو الحسن الموصلي في جزء حديث ابن عيينة (١٤٣) والقاضي إسماعيل في كتابه فضل الصلاة (٧٥) والبيهقي في الشعب (١٤٨٣) والخطيب في الجامع (١٣٠٩) عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : **لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ الصَّلَاةُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ."

وفي الشعب أعقبه بقول سُفْيَانُ : يُكْرَهُ الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

قَالَ ذاك الْبَيْهَقِيُّ معلقا : كَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَكَذَا قَالَهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ وَاللهُ أَعْلَمُ ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ عِنْدَ ذِكْرِهِ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الدُّعَاءِ وَالتَّبْرِيكِ فَإِنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ لِغَيْرِهِ) اهـ .

وذكر ابن القيم في جلاء الأفهام (ص٤٦٥) : أنه مذهب عمر بن عبد العزيز وسُفْيَان بن عُيَيْنَة وسُفْيَان ابن عيينة والشافعي ومالك وطَاوُس . **(قلت)** أما آل البيت : قال ابن القيم : آل النبي صلى اللَّه عليه وسلم يصلى عليهم بغير خلاف بين الأمة .

وروى الخطيب في الجامع (١٣١٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ لِعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ مُسَجًّى : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَدَعَا لَهُ ، وَقَالَ : مَا أَجِدُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِصَحِيفَتِهِ مِنْ هَذَا « قَالَ سُفْيَانُ قِيلَ لِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ» أَلَيْسَ قِيلَ لَا يُصَلَّى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « هَكَذَا سَمِعْتُ »

قال ذاك الخطيب معلقا : وَالصَّلَاةُ وَالرِّضْوَانُ وَالرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ بِمَعْنًى وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَسْتَحِبُّ أَنْ يُقَالَ لِلصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفًا لَهُ وَتَعْظِيمًا .

قال في جلاء الأفهام (ص٤٦٣) : قد حُكيَ عَن مَالك رَضِي الله عَنهُ رِوَايَة أَنه لَا يصلى على غير نَبينَا صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَلَكِن قَالَ اصحابه هِيَ مؤولة بِمَعْنى أَنا لم نتعبد بِالصَّلَاةِ على غَيره من الْأَنْبِيَاء كَمَا تعبدنا الله بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم **قال** : احْتج مَالك رَحمَه الله أَن هَذَا لم يكن من عمل من مضى من الْأمة وَلَو كَانَ خيرا لسبقونا إِلَيْهِ) اهـ

وفي الشفا (١٨٧/٢) وَقَدْ قَالَ مالك فِي المبسوط ليحيى بن اسحق : أَكْرَهُ الصَّلَاةَ عَلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا يَنْبَغِي لنا أن نتعدى ما أمرنا به ، قال يَحْيَى بْنُ يَحْيَى : لَسْتُ آخُذُ بِقَوْلِهِ ، وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ ، واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء من حَدِيثِ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ- وَفِيهِ- وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَعَلَى آلِهِ .

ومما يستدرك على المؤلف هنا أنه يستحب أن يفرد الصلاة على كل الأنبياء ، قَالَ تَعَالَى عَن نوح عَلَيْهِ السَّلَام {**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخرين سَلام على نوح فِي الْعَالَمين إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**} [الصافات ٧٨ ٨٠] وَقَالَ تَعَالَى عَن إِبْرَاهِيم خَلِيله {**وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخرين سَلام عَلَى إِبْرَاهِيمَ**} [الصافات ١٠٨ و ١٠٩] وَقَالَ تَعَالَى فِي مُوسَى وَهَارُون {**وَتَرَكْنَا عَلَيهِمَا فِي الآخِرِينَ سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُون**} [الصافات ١١٩ و ١٢٠] وَقَالَ تَعَالَى {**سَلامٌ على إل ياسين**} [الصافات ١٣٠] فَالَّذِي تَركه سُبْحَانَهُ على رسله فِي الآخرين هُوَ السَّلَام عَلَيْهِم الْمَذْكُور ، وقد قَالَ جَمَاعَة من الْمُفَسّرين مِنْهُم مُجَاهِد وَغَيره وَتركنَا عَلَيْهِم فِي الآخرين الثَّنَاء الْحسن ، ولسان الصدْق للأنبياء كلهم وَهَذَا قَول قَتَادَة أَيْضا . [راجع الطبري (٦٠/٢١) وجلاء الأفهام لابن القيم (ص٤٥٧)]

وجاء في الشفا (١٨٧/٢) : وَوَجَدْتُ بِخَطِّ بَعْضِ شُيُوخِي : مَذْهَبُ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ مِنْ مَذْهَبِهِ ، وَقَدْ قَالَ مالك فِي المبسوط ليحيى بن اسحق : أَكْرَهُ الصَّلَاةَ عَلَى

[١٥٢] وتعلم أن عثمان بن عفان قتل مظلوما ، ومن قتله كان ظالما (١)

= غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَا يَنْبَغِي لنا أن نتعدى ما أمرنا به) .

(قلت) ولعل من أسباب ذكر هذه المسألة في العقائد أمران : **الأول** : ما رواه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة (٧٦) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ قَالَ : كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أُنَاسًا مِنَ النَّاسِ قَدِ الْتَمَسُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّ النَّاسَ مِنَ الْقُصَّاصِ قَدْ أَحْدَثُوا فِي الصَّلَاةِ عَلَى خُلَفَائِهِمْ وَأُمَرَائِهِمْ عَدْلَ صَلَاتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا ، فَمُرْهُمْ أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُمْ عَلَى النَّبِيِّينَ وَدُعَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَيَدَعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ »

والثاني : ما قاله ابن القيم في جلاء الأفهام (ص٤٦٧) وذكره عياض عن بعض المالكية في الشفا (١٩٢/٢) : أَن الصَّلَاة على غير النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَآله قد صَارَت شعار أهل الْبدع وهم من أحثوه ولم يكن معروفا ، وَقد نهينَا عَن شعارهم ، وَمعنى ذَلِك أَن الرافضة إذا ذكرُوا أئمتهم يصلونَ عَلَيْهِم بِأَسْمَائِهِمْ وَلَا يصلونَ على غَيرهم مِمَّن هُوَ خير مِنْهُم وَأحب إِلَى الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَيَنْبَغِي أَن يخالفوا فِي هَذَا الشعار) اهـ

(قلت) وأقرب الكلام وأوسطه أن يقال : أن الصلاة على غير النبي إما أن يكون آله وأزواجه وذريته أو غيرهم ، فإن كان الأول ، فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي وجائزة مفردة ، وأما الثاني : فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عموماً الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم جاز ذلك أيضاً ، فيقال : اللهم صل على ملائكتك المقربين وأهل طاعتك أجمعين ، وإن كان شخصاً معيناً أو طائفة معينة كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً لا يخل به ، ولو قيل بتحريمه لكان له وجه ، ولا سيما إذا جعلها شعاراً له ، ومنع منها نظيره ، أو من هو خير منه ، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي ، فإنه حيث ذكروه قالوا : عليه الصلاة والسلام ، ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه ، فهذا ممنوع ، لا سيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به ، فتركه حينئذ متعين ، وأما إن صلى عليه أحياناً بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما يصلي على دافع الزكاة ، وكما قال ابن عمر للميت : صلى الله عليه ، وكما صلى النبي على المرأة وزوجها وكما روي عن علي من صلاته على عمر ، فهذا لا بأس به ، وبهذا تجتمع الأقوال وينتفي التعارض

(١) يعتقد أهل السنة والسلف جميعا أن عُثْمَان رَضِي الله عَنهُ قتل مَظْلُوما ، وَأَنَّهُ لم يكن مِنْهُ مَا يُوجب قَتله وَلَا الْمُطَالبَة بخلعه وَلَا سُقُوط عَدَالَته وموالاته ، وَإِن الَّذين توَلّوا قَتله والإغراق فِي السَّعْي عَلَيْهِ أهل فتْنَة وخوارج ، وقد أدخلت هذه المسألة في المعتقد بسبب خلاف أهل البدع من الروافض ومن تأثر بهم من أهل الأهواء الذين يعتقدون أن عثمان رضي الله عنه قتل بحق ، لعلنهم الله كما لعنتهم عائشة رضي الله عنها ، وعلى هذا أدلة من السنة والأثر وإجماع العلماء :

روى أحمد في مسنده (٥٩٥٣) وغيره بسند صحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال صلى الله عليه وسلم : **يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما** " قال عبد الله بن عمر : فنظرت ، فإذا هو عثمان بن عفان .

قال طلق بن حسان : قتل عثمان فتفرقنا في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نسألهم عن قتله ، فسمعت عائشة تقول : قتل مظلوماً لعن الله قتلته. وقال جعفر الباقر : كان قتل عثمان على غير وجه الحق . [الأوسط للبخاري (٣٨٤) والكبير (٣١٣٧) وتاريخ ابن شبة (١٢٤٤/٣)]

وعن قيس بن عباد : قال سمعت علياً يوم الجمل يقول : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وجاءوا للبيعة ، فقلت : والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً ، قال فيه رسول الله صلى الله عليه

وسلم (**إني لأستحي من رجل تستحي منه الملائكة**) وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل لم يدفن بعد ، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألوني البيعة فقلت : إني أشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزمة فبايعت ، فلما قالوا : أمير المؤمنين كان صدع قلبي ، وأسكت نفرة من ذلك .[الإمامة لأبي نعيم (١٣٨) ومستدرك الحاكم (٤٥٢٧)]

وروى نعيم بن حماد في الفتن (٢٦٣) وابن أبي عاصم في السنة (١١٥٣) والطبراني في الكبير (١٣٨) بسند صحيح قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَصَبْتُمْ اسْمَهُ عُمَرُ الْفَارُوقُ قَرْنٌ مِنْ حَدِيدٍ أَصَبْتُمْ اسْمَهُ ، ابْنُ عَفَّانَ ذُو النُّورِ قُتِلَ مَظْلُومًا) .

وروى الحاكم في المستدرك (٥٩٦٩) عن معاوية رضي الله عنه قال : « إِنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا » .

روى الآجري في الشريعة (١٤٦٤) عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَدْ سَارُوا إِلَيْهِ ، وَاللَّهِ لَيَقْتُلُنَّهُ قَالَ : قُلْتُ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : فِي الْجَنَّةِ قَالَ : قُلْتُ : فَأَيْنَ قَتَلْتُهُ ؟ قَالَ : فِي النَّارِ وَاللَّهِ ."

وروى الآجري (١٤٦٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَرُجِمُوا بِالْحِجَارَةِ كَمَا رُجِمَ قَوْمُ لُوطٍ »

وروى الآجري (١٤٧٢) عن الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَمِعَ أَعْمَى يَذْكُرُ عُثْمَانَ وَمَا وَلَد ، فَقَالَ الْحَسَنُ لِعُثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَقُولُونَ لَقَدْ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْهُ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ كَانَ فِيهِمْ أَبُوكَ فَقَالَ : ذَرُونِي مِنْ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَقَدْ قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ قُتِلَ وَمَا مِنْ رَجُلٍ أَعْظَمُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حُرْمَةً مِنْهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي لَكَفَانِي ، فَإِنِّي رَأَيْتُ السَّمَاءَ انْشَقَّتْ ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ عَنْ يَمِينِهِ وَعُمَرُ عَنْ يَسَارِهِ ، وَالسَّمَاءُ تُمْطِرُ دَمًا ، قُلْتُ: مَا هَذَا ؟ قَالُوا: **هَذَا دَمُ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُومًا** . "

وروى أبو نعيم في الحلية (٥٧/١) والأربعين لأبي الفتوح (ص٤٥) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ : كَانَ لِعُثْمَانَ شَيْئَانِ لَيْسَ لِأَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ مِثْلُهُمَا : « **صَبْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى قُتِلَ مَظْلُومًا** ، وَجَمْعُهُ النَّاسَ عَلَى الْمُصْحَفِ »

وقال سفيان الثوري في وصيته لشعيب : يا شعيبُ ، ولا ينفعك ذلك حتى تُقَدِّم عثمان على عليّ ابنِ أبي طالب ، وتقول : إن عليا عليه السلام رَضِيَ بعثمان واقْتَدَى به، **وإن عثمان رضي الله عنه قُتِل مظلوما** ، وإن عليا رضي الله عنه بريءٌ من قَتَلَتِه، ومِمَّنْ قَتَلَه، وإنه لم يرضَ بذلك ولا أمر به ولا أعانَ عليه ولا داهَنَ فيه . [للالكائي (٣١٨) والطيوريات (٥٤٠/٢)]

وقال الإمام مالك : وأفضل الأمة بعد أبي بكر وعمر : الخليفة **المقتول ظلما** عثمان رضي الله عنه .[السنة للخلال (٥٨٥) ترتيب المدارك (٤٤/٢)]

قَالَ الآجريَ حِمَهُ اللَّهُ في الشريعة (٢٠٠٤/٤) : وَالَّذِي يَسُبُّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَضُرُّ عُثْمَانَ ، وَإِنَّمَا يَضُرُّ نَفْسَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ يُقْتَلُ شَهِيدًا مَظْلُومًا وَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ عَنْهُ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَرَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، عَلَى رَغْمِ أَنْفْ كُلِّ مُنَافِقٍ ذَلِيلٍ مُهِينٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

(قلت) وقد ألف أبو عبد الله المالقي الأندلسي كتابا سماه (**التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**) فرضي الله عن عثمان ورحمه وتقبله في الشهداء ، ولعن الله من قتله ومن رضي بقتله ومن سبه وتعرض له .

[١٥٣] فمن أقر بما في هذا الكتاب وآمن به واتخذه إماما ، ولم يشك في حرف منه ، ولم يجحد حرفا واحدا ، فهو صاحب سنة وجماعة ،كاملٌ ، قد كملت فيه [السنة] ومن جحد حرفا مما في هذا الكتاب ، أو شك [في حرف منه] أو شك فيه أو وقف ، فهو صاحب هوى (١) **ومن جحد أو شك في حرف من القرآن ، أو في شيء جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقي الله تعالى مكذبا ، فاتق الله واحذر وتعاهد إيمانك** (٢) .

[١٥٤] ومن السنة أن لا تُعينَ أحدا على معصية الله ، ولا أولي الخير ولا الخلق أجمعين (٣)

---

(١) وهذا الكلام قد يصح توجيهه على أصول أهل السنة المذكورة في الكتاب لا على كل حرف ذكره المؤلف في كتابه ، وإلا فقد سبق ذكر أشياء أخذناها عليه وهي يسيرة إن شاء الله لا تمس الأصول التي بني عليها المعتقد ، ولكن هي تؤثر في صحة ما أطلقه المؤلف في هذه الفقرة التي أربكت القراء واستغربوها ، وهو قد قدم أن كتابه هذا مستمد من الكتاب والسنة والسلف إلى زمن أحمد فقال (**وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب ، فهو عن الله ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أصحابه وعن التابعين ، والقرن الثالث إلى القرن الرابع**) فعلى هذا قال مال قال ، والواقع أن الظروف التي كانت في زمن البربهاري ، وكثرة أهل البدع والجهمية وفرض سيطرتها على ذلك الزمان ، هي من جعلت البربهاري يشدد بمثل هذه العبارات لأني أعتقد أن هذه ليس كتابا ألف كما تؤلف الكتب ، إنما هو رسالة مستعجلة لعوام أهل السنة في زمنه ، وكتبها مرة واحدة وعجل بها للبريد العام كما يقال ، وكانت كلمته مسموعة وخاف على العوام أن تضلهم الجهمية ، فشدد عليهم الخطاب في لزوم ما كتبه ، رحمة وشفق عليهم ، فإذا علمت هذا الواقع ، فالتمس العذر للمؤلف في شدته هذه التي فرضها عليه الواقع والمقصد الحسن بإذن الله ، والله المستعان .

أما قوله (**فهو صاحب سنة كامل**) أي لا يتم للمرء أن يكون سنيا حتى يجمع خصال السنة كلها ، يعقد قلبه على ما دونه أهل السنة من الأصول المجتمع عليها ، فهذا حق وقاله قبل البربهاري غير واحد من السلف كالثوري وابن عيينة وسليمان بن حرب وأحمد وابن المديني والكرماني وغيرهم وسبق جمع أقوالهم هنا في هذا الكتاب .

(٢) هذه فقرة مكررة من المؤلف وسبق التعليق على مثلها .

(٣) وفي الطبقات : (ومن السنة أن لا تطع أحدا في معصية الله ولا الوالدين والخلق أجمعين) ومما ورد في حرمة الإعانة على الظلم والباطل آيات وأحاديث وآثار أذكر منها :

والأصل في ذلك في كتاب الله : من ذلك قوله تعالى ﴿ **وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ** ﴾ [هود: ١١٣] فقد قال بعض السلف فيها أن من يبري للظالم قلما ، فقد ركن إليه وأعانه .

وقوله أيضا {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا} [النساء ٨٥]

والشفاعة السيئة يدخل في إعانة الظالم على ظلمه ، والشافع الذي يعين غيره ، فيصير معه شفعا بعد أن كان وترًا .

وقول الله عز وجل : " **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ". وهي من أصرح الآيات في تحريم إعانة الظالم ، ومن ذلك ما قال الله تعالى : (**احْشُروا الَّذينَ ظَلَمُوا وأَزْواجَهُمْ**) [الصافات ٢٢] يعني وأشباههم وأعوانهم .

قال الثوري رحمه الله : يقال يوم القيامة ليقم ولاة السوء وأعوانهم قال : فمن لاق لهم دواة أو برَى لهم قلماً أو حمل لهم لبداً أو أعانهم على أمر فهو معهم . [أنظر قوت القلوب (٢/٤٣٤) وأمالي ابن بشران (١٢٠٥) ويروى مرفوعا ولا يصح]

وأيضا قوله تعالى (**رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين**) [القصص ١٧]

روى عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٠٤) وابن جرير (١٩/٥٤٢) وابن أبي حاتم (١٦٧٧٨) عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ} قَالَ : **إِنِّي لَنْ أُعِينَ بَعْدَهَا ظَالِمًا عَلَى فُجْرِهِ** .

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٧٧) عَنِ الضَّحَّاكِ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ قَالَ : **مُعِينًا لِلْمُجْرِمِينَ** .

قال ابن أبي حاتم : وَرُوِيَ ، عَنْ عَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعِكْرِمَةَ نَحْوُ ذَلِكَ .

وجاء الخبر من الله أن أعوان الظلمة ظلمة مثلهم : " **فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ** ".

أما من الأحاديث في هذا الباب : أقوى ما روي في هذا الباب مرفوعا : **حديث عبد الله بن عمر قَالَ** : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ ، أَوْ يُعِينُ عَلَى ظُلْمٍ ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ » [رواه أبو داود (٣٥٩٨) وابن ماجة (٢٣٢٠) والحاكم (٧٠٥١) وصححه ووافقه الذهبي قلت : لكن في إسناده مطر الوراق وهو صدوق كثير الخطأ ولم يتفرد به ، فقد أخرجه الحاكم (٤ / ٩٩) من طريق عطاء بن أبي مسلم عن نافع به وقال : صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي **قلت** : وفيه نظر بين ، فإن عطاء بن أبي مسلم صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس ، وقد رواه عن مطر أيضا المثنى بن زيد وهو مجهول ، أخرجه أبو داود بنحوه ، فأرجوا أن ينجبر بهذه المتابعة على ما فيها .] .

ويدل على حرمة إعانة الظالم وأنه شريكه في الوزر حديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة له . [وهو حديث صحيح مروي عن جمع من الصحابة]

روي في أعوان الظلمة مجموعة من الأحاديث أغلبها ضعيفة منها :

عن أبي هريرة قال [رواه الطبراني في الأوسط (٤٩١٩) والعقيلي في الضعفاء (٢/٣٤٥) وسنده بن مغول كذاب ، وذكره في الموضوعات (٢/٤٢). **وروي خبر آخر عن ابن عمر** لا يصح بلفظ : من أعَان عَلَى امْرِئ مُسلم (شَطْر كلمة لَقِي الله يَوْم الْقِيَامَة مَكْتُوب بَين عَيْنَيْهِ آيس من رَحْمَة الله) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٢١) وتاريخ أصبهان (٣٦٨/١) والخطيب في تاريخه (٢٨٥١) وهو جد ضعيف ذكره في الموضوعات (١٠٠/٣) وقال الخطيب : حديث باطل .

(**فَائِدَة**) : نقل ذاك الْقُرْطُبِيّ فِي أول تَفْسِير سُورَة الْبَقَرَة عَن (سُفْيَان) أنه قَالَ فِي تَفْسِير شطر الْكَلِمَة : أَن يَقُول فِي اقْتُل: اق. كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : « كفى بِالسَّيْفِ شا » . مَعْنَاهُ شافيًا. [نقلها في البدر المنير (٣٥١/٧)]

وعن ابن مسعود رواه أحمد (٣٨٠١) والطيالسي (٣٤٢) وابن أبي شيبة (٣١٦) وابن حبان (٥٩٤٢) بسند فيه ضعف وانقطاع ، ورواه ابن عساكر في تاريخه (٣٦٦٣) بسند آخر لكنه ضعيف أيضا وله طريق آخر عند البيهقي (٢١٠٨٠) ولا

يصح أشار البيهقي إلى علته .

وعن عبد الله بن عمرو رواه أبو نعيم في الحلية (٢١/٤) وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١٥٧/٢)

وعن ابن عباس عند الطبراني في الأوسط (٢٩٤٤) والحلية (٢٤٨/٥) والمجروحين (٤٠٨) والخطيب (٦/ ٧٦) ولا يصح ، استنكره ابن حبان .

وعن واثلة بن الأسقع رواه أبو داود (٥١١٩) والطبراني في الكبير (١٩٧) والبيهقي (٢١٠٧٦) بسند ضعيف لا يصح

وعن عمر بن الخطاب كما عند أبي نعيم في الحلية (٧٤/٥) وابن حبان في المجروحين (٢/ ٧٥) في سنده كذاب وقد قال ابن حبان : موضوع .

وعن أنس بن مالك كما في الفردوس للديلمي (٥٨٢٣) و هو باطل لا يصح .

وعن أبي هريرة رواه ابن ماجة (٢٦٢٠) وأبو يعلى (٥٩٠٠) والبيهقي (١٥٨٦٥) والمنذري في الترغيب (٣٤٠٠) ضعفه أحمد جدا وضعفه البيهقي وقال ابن حبان موضوع ، وقال أبو حاتم في العلل (٥) : إنه باطل موضوع. .

أما ما ورد في الباب من الآثار عن السلف فكثيرة نذكر من ذلك :

روى مالك في الموطأ (١٣) عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَتَلَ نَفَرًا ، خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً بِرَجُلٍ وَاحِدٍ قَتَلُوهُ قَتْلَ غِيلَةٍ وَقَالَ عُمَرُ : لَوْ تَمَالأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتُهُمْ جَمِيعًا ». وروي نحو ذلك عن عليّ– رضي الله عنه– أنّه توقّف عن قتال الحروريّة ، حتّى يحدثوا ، فلمّا ذبحوا عبد الله بن خبّاب كما تذبح الشّاة وأخبر عليّ بذلك ، قال : الله أكبر ، نادوهم أن أخرجوا إلينا قاتل عبد الله بن خبّاب فقالوا كلّنا قتله ، ثلاث مرّات فقال لأصحابه : دونكم القوم فما لبث أن قتلهم عليّ وأصحابه »

وروي أيضا أنه جاء خياطٌ إلى سفيان الثوري فقال : إني رجل أخيط ثياب السلطان (وكان السلطان ظالما) هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط .[ذكرها في قوت القلوب (٣٢١/٢) الكبائر (ص١١٢)]

ومن كلام ابن المسيب قال : لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم ، لكيلا تحبط أعمالكم [وروى في الحلية (٢/ ١٧٠و٨/ ٥٧) والمعافي في الجليس (٣/ ٣٧٣ - ٣٧٤) وغيرهما]

روى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٧٦) بسند جيد عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الصَّافِي أَنَّهُ سَأَلَ عَطَاءَ بْنَ أَبِي رَبَاحٍ عَنْ أَخٍ لَهُ كَاتِبٍ قُلْتُ لَيْسَ يَلِي مِنْ أُمُورِ السُّلْطَانِ شَيْئًا إِلا أَنَّهُ يَكْتُبُ لَهُمْ بِقَلَمٍ مَا دَخَلَ وَمَا خَرَجَ ، فَإِنْ تَرَكَ قَلَمَهُ صَارَ عَلَيْهِ دَيْنٌ وَاحْتَاجَ وَإِنْ أَخَذَ لَهُ كَانَ لَهُ فِيهِ غِنًى ، قَالَ : الرَّأْسُ مَنْ هُوَ ؟ قَالَ: خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : يَعْنِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ : (**رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ**) فَلا يَهْتَمُّ بشَيْءٍ ، وَلْيَرْمِ قَلَمَهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَأْتِيهِ بِرِزْقٍ .

وَقَالَ مَكْحُولُ الدِّمَشْقِي : يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ فَمَا يَبْقَى أَحَدٌ مَدَّ لَهُمْ حِبْرًا أَوْ حَبَّرَ لَهُمْ دَوَاةً أَوْ بَرَى لَهُمْ قَلَمًا فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلا حَضَرَ مَعَهُمْ فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ. [الكبائر للذهبي (ص١١٢) بصائر ذوي التمييز (٣/ ٥٤٣)]

قَالَ الْمَرْوَذِيُّ : لَمَّا حَبَسُوا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فِي السِّجْنِ جَاءَهُ السَّجَّانُ ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحَدِيثُ الَّذِي رُوِيَ فِي الظَّلَمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ صَحِيحٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ السَّجَّانُ : فَأَنَا مِنْ أَعْوَانِ الظَّلَمَةِ ؟ قَالَ لَهُ : أَعْوَانُ الظَّلَمَةِ مَنْ يَأْخُذُ شَعْرَكَ وَيَغْسِلُ ثَوْبَكَ وَيُصْلِحُ طَعَامَكَ وَيَبِيعُ وَيَشْتَرِي مِنْكَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَمِنْ أَنْفُسِهِمْ. [سير السلف للأصبهاني (١٠٥٩/١) ومناقب أحمد (٤٣١/١)]

ولا طاعة لبشر في معصية الله ، ولا تحب عليه [أحدا] واكره ذلك كله لله تبارك وتعالى (١).

[١٥٥] والإيمان بأن التوبة فريضة على العباد أن يتوبوا [إلى الله تعالى] من كبير المعاصي وصغيرها (٢).

= **وقال الإمام أحمد** رحمه الله : إذا اشترى الرّجل من رجل شيئا وهو يعلم أنّه سرقه فقد شاركه) [مسائل البغوي (٦٨)]

روى الهروي في ذم الكلام (١٥١/١) عَنْ حَسَّانِ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ : (مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ لَا عِلْمَ لَهُ بِهَا أَوْقَعَهُ اللَّهُ فِي رُدْغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حتَّى يَخْرُجَ عَمَّا قَالَ) .

وروى أبو طاهر السلفي في المشيخة البغدادية (ص٤٨) : عن اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ قال : كُلُّ مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَاتَ مَقْتُولا ، وَكُلُّ مَنْ نَصَرَهُ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ .

(١) وفي هذا عدة أحاديث نبوية نذكرها باختصار : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **إنما الطاعة في المعروف** " وقال : **على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية** . وقال : **لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق** " وقال : **من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه** ".) **وكلها أحاديث صحيحة** ، ويجمع ذلك كله قوله تعالى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**) ومن الآثار في هذا الباب : **روى ابن أبي شيبة (٣٣٧١٠)** بسند صحيح عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . **وروى ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٧١٤)** عَنْ عُمَارَةَ قَالَ : نَزَلَ مُعَضِّدٌ إِلَى جُبِّ شَجَرَةٍ فَقَالَ : مَا أُبَالِي أَطَعْتُ رَجُلًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَوْ سَجَدْتُ لِهَذِهِ الشَّجَرَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ . "

(٢) ولعل المؤلف يشير إلى المرجئة ، وتهاونهم بحكم المعصية ، وأنها لا تضر الإيمان بلا توبة ، والتوبة في السنة : هي الرجوع إلى الله ، بحل عقدة الإصرار عن القلب ، ثم القيام بكل حقوق الرب – سبحانه وتعالى ، وتكون بترك الذنب مخافة الله ، واستشعار قبح الذنب ، والندم على المعصية من حيث هي معصية ، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها ، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، ويدل على فرضية التوبة أدلة كثيرة من القرآن والسنة :

ويكفي في موجوها قوله تعالى (**وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) [النور ٣١]

روى مسلم (٢٧٠٢) عن الأَغَرِّ الْجُهَنِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ **تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ** ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأتوب فِي اليوم مئة مَرَّةٍ ". وذكر المؤلف وجوب التوبة حتى من الصغائر لأنه تؤدي للكبائر ، فقد **روى ابن أبي الدنيا في التوبة (٦٠)** عن ابْنُ عَبَّاسٍ قال كُلُّ ذَنْبٍ أَصَرَّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ كَبِيرٌ ، وَلَيْسَ بِكَبِيرٍ مَا تَابَ مِنْهُ الْعَبْدُ ".

وروى ابن أبي الدنيا أيضا (٣٢) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ : الذُّنُوبُ أَرْبَعَةٌ : ذَنْبَانِ مَغْفُورَانِ ، وَذَنْبَانِ لَا يُغْفَرَانِ ، رَجُلٌ عَمِلَ ذَنْبًا خَطَأً فَاللَّهُ يَمُنُّ وَلَا يُعَذِّبُهُ عَلَيْهَا ، وَقَدْ قَالَ فِيمَا أَنْزَلَ: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ} [الأحزاب: ٥] وَرَجُلٌ عَمِلَ ذَنْبًا قَدْ عَلِمَ مَا فِيهِ فَتَابَ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ، وَقَدْ جَزَى اللَّهُ أَهْلَ هَذَا الذَّنْبِ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ: [ص:٥٦] {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ} [آل عمران: ١٣٥] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَذَنْبَانِ لَا يَغْفِرُهُمَا لِأَهْلِهِمَا: رَجُلٌ قَدْ عَمِلَ ذَنْبًا قَدْ عَلِمَ مَا فِيهِ، فَأَصَرَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتُبْ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ، وَلَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ حَتَّى يَتُوبَ ،

[١٥٦] ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فهو صاحب بدعة وضلالة ، شاك فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

وقال مالك بن أنس : من لزم السنة ، وسلم منه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مات كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وإن كان له تقصير في العمل (٢).

= وَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِمُذْنِبٍ حَتَّى يَسْتَغْفِرَ، وَرَجُلٌ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا، فَإِنَّ هَذِهِ الَّتِي يَهْلِكُ فِيهَا عَامَّةُ مَنْ يَهْلِكُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ." [والأحاديث والأثار في التوبة كثيرة لا يمكن ذكرها هنا لكن راجع كتاب التوبة لابن أبي الدنيا ولابن عساكر] .

(١) سبق هذا الكلام نحوه قريبا في الفقرة (١٥٠) فلا أدري لماذا كررها سريعا ، لكنه أضاف هنا زيادة في حكم من لم يشهد للعشرة بالجنة ، وقد ذكرنا كلام الأئمة في تضليله ، فارجع إليه في التعليق على الفقرة السابقة.

(٢) رواه المؤلف هنا بالمعنى لا باللفظ بسبب ما قدمنا أنه يكتب من حفظه ولهذا قال ذاك الردادي محقق نسخة البربهاري : لم أجده !! وهذا عجز ظاهر ، إذ مع أدنى بحث كان سيجده ، وقد وجدته والحمد لله وهاهو :

في ذم الكلام (٥/٧٦) **وجمع الجموع والدساكر** (٣٤) عن مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ يَقُولُ : (لَوْ أَنَّ الْعَبْدَ ارْتَكَبَ الْكَبَائِرَ بَعْدَ أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ثُمَّ نَجَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ ، وَالتَّنَاوُلِ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِي أَعْلَا دَرَجَةِ الْفِرْدَوْسِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ فِيمَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ مِنْهُ عَلَى رَجَاءٍ وَكُلُّ هَوًى لَيْسَ مِنْهُ عَلَى رَجَاءٍ إِنَّمَا يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبْشِرْ مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبْشِرْ مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبْشِرْ) اهـ .

وروى الهروي في ذم الكلام (٥/٧٧) قال يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ نَضْلَةَ : سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ (لَوْ أَنَّ رَجُلًا ارْتَكَبَ جَمِيعَ الْكَبَائِرِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ لَرَجَوْتُ لَهُ مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ فَلْيُبْشِرْ) [وذكره في الإعتصام (١٩٢/٣) بنحوه في حلية الأولياء (٦٣٢٥)]

(قلت) وقد يستغرب من لا يعرف قدر السنة هذا الكلام ، ويظن أنها من باب المبالغة ، ولكن روي مثل هذا آثار كثيرة :

والأصل في هذا ما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا أَرَادَ الله بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ ، فَقِيلَ كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : **يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قبل الْمَوْتِ** ". [رواه الترمذي (٢١٤٢)]

(قلت) والعمل الصالح هو الموافق للإسلام والسنة كما جاء عن الفضيل في تفسير قول الله { **فليعمل عملا صالحا** .. }

وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ : " اعْلَمْ أَيْ أخي أن الموت اليوم ، كَرَامَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ عَلَى السُّنَّةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو وَحْشَتَنَا ، وَذَهَابَ الْإِخْوَانِ ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ ، وَظُهُورَ الْبِدَعِ ، وَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَظُهُورِ الْبِدَعِ) [ابن وضاح في البدع (ص٤٦) والاعتصام (١/ ١١٥ - ١١٦)]

قال أحمد بن حنبل : قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة ، وقبور أهل البدعة من الزهاد حفرة ، فساق أهل السنة أولياء

اللَّه ، وزهاد أهل البدعة أعداء اللَّه . [رواها ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد (ص٢٣٩)]

روى الهروي في ذم الكلام (١٠٩/١) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٤٩) : عن عُثْمَانَ بْنَ أَبِي شَيْبَةَ يَقُولُ : فُسَّاقٌ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ خَيْرٌ مِنْ عباد غَيرهم .

وروى ابن الجعد في مسنده (١٨١٣) واللالكائي (٦٣) وابن أبي الدنيا في المنامات (٢٨٢) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٢/١) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِيرَزَادَ قَالَ : كُنْتُ بِعَبْدَانَ « فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَجُلًا جِيءَ بِهِ فِي ثِيَابٍ بَيَاضٍ فَوُضِعَ فِي سَفِينَةٍ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَدْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ ، وَنَجَا فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جَاءَنَا الْخَبَرُ أَنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ مَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ » .

وروى اللالكائي (٦١) وأبو نعيم في الحلية (٣١/٣) والأصبهاني في السير (٧٩٢/١) وابن الجوزي في التلبيس (١١/١) عن مُعْتَمِرَ بْنَ سُلَيْمَانَ قال : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي وَأَنَا مُنْكَسِرٌ فَقَالَ : مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : مَاتَ صَدِيقٌ لِي قَالَ : مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ قَالَ : فَلَا تَجْزَعْ عَلَيْهِ أَوْ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِ ."

وروى اللالكائي في السنة (٦٢) قَالَ مُعَافَى بْنُ عِمْرَانَ : لَا تَحْمَدَنَّ رَجُلًا إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ ، إِمَّا يَمُوتُ عَلَى السُّنَّةِ ، أَوْ يَمُوتُ عَلَى بِدْعَةٍ »

وفي أصول الاعتقاد (١/ ٧٤ – ٧٥/ ٦٠) وقال عون بن عبد الله : من مات على الإسلام والسنة فله بشير بكل خير.

وعن الفضيل بن عياض قال : سمعت الفضيل يقول : طوبى لمن مات على الإسلام والسنة ، فإذا كان كذلك فليكثر من قول ما شاء الله [أصول الاعتقاد (١/ ١٥٦/ ٢٦٨) والشعب للبيهقي (٩٠٢٩) وتاريخ دمشق (٣٩٨/٤٨)]

قال المروذي : **قلت لأبي عبد الله** : من مات على الإسلام والسنة ، مات على الخير ؟ فقال : اسكت ، بل مات على الخير كله. [مناقب أحمد لابن الجوزي (٢٤٨/١) السير (١١/ ٢٩٦)]

قال الحسن بن أيوب البغدادي : قيل لأبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل : أحياك اللَّه يا أبا عبد اللَّه على الإسلام قال : والسنة . [تاريخ دمشق (٣٢٣/٥) المناقب لابن الجوزي (ص ٢٢٩)]

قال طلحة بن عبيد الله البغدادي : « وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السفينة...، فكان يطيل السكوت ، فإذا تكلم قال : اللهم أمتنا على الإسلام والسنة » [تاريخ بغداد(٣٠٤/٩) وتاريخ دمشق (٣٢٣/٥)].

وفي تاريخ دمشق (٣٢٣/٥) عن الحسن بن أيوب البغدادي : قال : قيل لأبي عبدالله أحمد بن حنبل : أحياك الله يا أبا عبد الله ، قال : على الإسلام والسنة .

قال يحيى بن عون : « دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض ، فقال : ما هذا القلق ؟ فقال له : الموت والقدوم على الله ، فقال له سحنون : ألست مصدقًا بالرسل ، والبعث والحساب ، والجنة والنار ، وأنَّ أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنَّ الله يُرى يوم القيامة ، وأنَّه على العرش استوى ، ولا تخرج على الأئمة بالسيف ، وإن جاروا ؟ فقال : إي والله ، فقال : مُت إذا شئت ، مُت إذا شئت » . [سير أعلام النبلاء (٢٣/٦١)]

وروى البربهاري كما سيأتي أن أحمد بن حنبل قال : مات رجل من أصحابي فرئي في المنام فقال : قولوا لأبي عبد الله : عليك بالسنة ، فإن أول ما سألني الله سألني عن السنة .

والآثار في هذا الباب كثيرة ، وما أصدق قول الإمامين الفضيل والشافعي : (**إذا رأيتُ رَجُلا من أهل السنة فكأنّي رأيتُ رَجُلا من أَصْحاب رسُولِ الله صلَّى الله عليهِ وعلى آله سلم**).

وقال بشر بن الحارث : الإسلام هو السنة ، والسنة هي الإسلام (١).

وقال فضيل بن عياض : إذا رأيت رجلا من أهل السنة ، فكأنما أرى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإذا رأيت رجلا من أهل البدع ، فكأنما أرى رجلا من المنافقين (٢) **.وقال يونس بن عبيد : العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة ، وأعجب منه من يجيب إلى السنة فيقبل** (٣).

وكان ابن عون يقول عند الموت : السنة السنة ، وإياكم والبدع ، حتى مات (٤).

---

(١) هذا من الآثار التي لم أعرف لها مخرجا عن سوى البربهاري ، و قد سبق التعليق عليه في أول فقرة من الكتاب .

(٢) لم أجده ، وصدق فالبدع شعبة من النفاق ، وروي مثله عن الشافعي مختصرا ففي شرف أصحاب الحديث (ص٤٦) وكتاب الأربعين لأبي الفتوح الطائي (ص١٤٩) والبلدانيات للسخاوي (ص١٨٤) بسندهم عن سَعْد بْن عَبْد اللَّهِ بْن عَبْد الحكم يَقُول : سمعت الشَّافِعِيّ يَقُول : **كلما رأيت رجلا من أصحاب الْحَدِيث كأنما رأيت رجلا من أصحاب رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) وفي وصف أهل البدع بالنفاق **قال الفضيل بن عياض** : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق) . قال ابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٥٦/٢) معلقاً على قول الفضيل : صدق الفضيل – رحمه الله—فإنا نرى ذلك عياناً) . ودخل سفيان الثوري المسجد فإذا الحسن ابن حي يصلي ، فقال : نعوذ بالله من خشوع النفاق ، وأخذ نعليه وتحول . [التهذيب (٢٤٩/٢)]

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٢١/٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٠) واللالكائي في السنة (٢١) وصدق والله ، أين من يقبل السنة ؟ ورُوي عنه مثله **قال رحمه الله** : أصبح من إذا عرف السنة عرفها غريبا وأغرب منه الذي يعرفها .[الحلية (٣/ ٢١) وأصول الاعتقاد (١/ ٦٤/٢١) والإبانة (١/ ١٨٥/١/ ٢٠) والشريعة (٣/ ٥٨١ – ٥٨٢/ ٢١١٣)].

(**قلت**) بل أين من يقبل النصيحة في أقل من هذا ؟؟ **عن سُفْيَانَ بْنَ يَعْقُوبَ الطَّالْقَانِيَّ قَالَ** : قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ الْمُبَارَكِ : هَلْ بَقِيَ مَنْ يَنْصَحُ ؟ قَالَ : فَقَالَ ، وَهَلْ بَقِيَ مَنْ يَقْبَلُ ؟ [وراه ابن المقرئ في معجمه (١٠١٣) وأبو نعيم في الحلية (١٦٦/٨) وتاريخ بغداد (٣٥٨٣)] **وروى الخلال في الأمر بالمعروف (٨٩) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦٨٢)** عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ : قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ : آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ؟ قَالَ : مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ .

وروى الخلال في كتاب الأمر بالمعروف (٥٣) قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ : إِنَّمَا تَأْمُرُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْكَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتَ سُلْطَانًا أَكُنْتَ تَقُولُ لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ ؟ لَوْ قُلْتَ هَذَا لَأَهْلَكْتَ أَهْلَ بَيْتِكَ وَنَفْسَكَ وَجِيرَانَكَ ، وَلَكِنِ احْفَظْ نَفْسَكَ ، وَأَخْفِ مَكَانَكَ ."

(٤) لم أجده ، وقد روى في هذا المعنى بعض الآثار منها : ما ذكره ابن الجوزي في مناقب (ص١٨٣، ١٨٤) ويوسف ابن عبد الهادي في فضل عمر بن الخطاب (٦٨٢/٢) عن عدي بن سهيل الأنصاري قال : قام عمر في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال ... **السنة السنةَ الزموها تنجكم من البدعة** ..) . وقال معاذ بن جبل : **إياكم والبدع والتبدع** والتنطع ، وعليكم بالأمر العتيق .[رواه ابن وضاح في البدع (ص.٦٥) والهروي في ذم الكلام (ص١٣٦)].

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل : ومات رجل من أصحابي فرئي في المنام فقال : قولوا لأبي عبد الله : عليك بالسنة ، فإن أول ما سألني الله سألني عن السنة (١) .

وقال أبو العالية : من مات على السنة مستورا ، فهو صديق (٢).

ويقال : الاعتصام بالسنة نجاة (٣).

=**وروى أبو العرب في طبقات علماء إفريقيا (٥٤/١)** قَالَ أَبُو الْعَرَبِ : وَحَدَّثَنِي أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سِنَانٍ ، يَقُولُ : كُنْتُ رُبَّمَا سَمِعْتُ بُهْلُولَ مِنْ دَارِكُمْ وَهُوَ يَهْذِرُ ، يَقُولُ : « **السُّنَّةُ السُّنَّةُ** ، وَيُلِحُّ عَلَيْهَا » (**قلت**) فرحم الله بن عون فقد دعا للسنة حتى مات ، وختم له بخير ، فاللهم إحينا وأمتنا على السنة ، واجعلنا من الداعين إليها يا رب .

(١) وهذا أيضا من الآثار التي تفرد بروايتها البربهاري في كتابه هذا ولم أجده ، وهذا المعنى صحيح ، وهي رؤيا حق ، من إمام له لسان صدق ، فإن من لم يأت بالسنة لا يقبل منه صرفا ولا عدلا ، فلا ينظر في عمله وهو مبتدع . وهذا يذكرني برؤيا رؤيت في الثوري لما مات ، كما **روى ابن الجعد في مسنده (١٨١٣) وابن أبي الدنيا في المنامات (٢٨٢)** عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِيرَزَاذَ قَالَ : كُنْتُ بِعَبْدَانَ « فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَجُلًا جِيءَ بِهِ فِي ثِيَابٍ بَيَاضٍ فَوُضِعَ فِي سَفِينَةٍ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا قَدْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ ، وَنَجَا ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ النَّهَارُ جَاءَنَا الْخَبَرُ أَنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ مَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ »

وأيضا ما روي في هذا المعنى **روى ابن أبي الدنيا في المنامات (٨٧)** عن أَبِي تَمِيمُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : رَأَيْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ فِي سَحَابَةٍ يَقُولُ : يَا مَالِكُ عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ ."

وروى ابن أبي الدنيا أيضا رؤيا عجيبة في السنة (٢١٧) عن عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ يَزِيدَ الْكِنْدِيُّ قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا عُمَرَ الضَّرِيرَ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ ؟ قَالَ : غَفَرَ لِي وَرَحِمَنِي قُلْتُ : فَأَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ قَالَ: **مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْعِلْمِ** قُلْتُ : فَأَيُّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ شَرًّا قَالَ : احْذَرِ الْأَسْمَاءَ ، قُلْتُ : وَمَا الْأَسْمَاءُ ؟ قَالَ : قَدَرِيٌّ ، مُعْتَزِلِيٌّ ، مُرْجِئٌ ، فَجَعَلَ يُعِدُّ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ . "

وروى أيضا (٢٥٤) عن مُطَرِّفٌ أَبُو مُصْعَبٍ ثني أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى اللَّيْثِيِّينَ وَكَانَ خِيَارًا : رَأَيْتُ كَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِسْكٌ ، وَهُوَ يَأْخُذُ مِنْهُ قَبْضَةً قَبْضَةً فَيَدْفَعُهَا إِلَى مَالِكٍ ، وَمَالِكٌ يَنْثُرُهَا عَلَى النَّاسِ » قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ: « **فَأَوَّلُ ذَلِكَ الْعِلْمُ وَاتِّبَاعُ السُّنَّةِ** »

(٢) تفرد بذكره المؤلف ولم أجده عند غيره ، وقد تقدم التعليق على كلام الإمام مالك في من مات على السنة وأن ذلك كرامة ، فعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: اعْلَمْ أَيْ أخي أن الموت اليوم كَرَامَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ **لَقِيَ اللَّهَ عَلَى السُّنَّةِ** ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو وَحْشَتَنَا ، وَذَهَابَ الْإِخْوَانِ ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ ، وَظُهُورَ الْبِدَعِ ، وَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو عَظِيمَ مَا حَلَّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ذَهَابِ الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَظُهُورِ الْبِدَعِ) [رواه ابن وضاح في البدع ص٨٧]

(٣) قاله الزهري ينقله عن السلف قبله فيما روى الهروي في ذم الكلام (١٣٧/٣) عن ابْنَ عُيَيْنَةَ عن الزُّهْرِيُّ قال : **الِاعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ نَجَاةٌ** .

وقال سفيان الثوري : من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة ، خرج من عصمة الله ، ووكل إليها يعني إلى البدع (١).

= **وروي بلفظ أتم من هذا قال الزهري رحمه الله** : كان من مضى من علمائنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة ، والعلم يقبض قبضا سريعا ، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا ، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله . [سنن الدارمي (١/ ٤٥) والإبانة (١/ ٢/٣١٩ - ٣٢٠/ ١٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩) وأصول الاعتقاد (١/ ١٣٦/١٠٦) والشريعة (٢/ ٧٦٤/١٠٤) وذم الكلام (ص.٢٠٦)]

(**قلت**) وممن عناهم الزهري بقوله (**كان من مضى**) عمر بن عبد العزيز فقد روى ابن الجوزي في سيرة عمر (ص٨٨-٨٩) من طريق سليمان بن نفيع القرشي ، عن خلف أبي الفضل ، القرشي عن كتَّاب عمر بن عبد العزيز إلى نفر كتبوا بالتكذيب بالقدر : أما بعد : فقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون : **الإعتصام بالسنة نجاة** ، وسينقص العلم نقصا سريعا .

وقال مالك رحمه الله : السنة مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، من تخلف عنها هلك . [ذم الكلام (ص.٢١٠)]

تنبيه : هنا انتهى ما في المخطوط وما بعده من النصوص فمن (**الطبقات**) .

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٣/٤٦١/ ٤٤٤) [انظر طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢) والسير (٧/ ٢٦١)] **وجاء مثله عن بعض السلف** :

وروى اللالكائي (١/ ١٥٣/٢٥٢) والإبانة (٢/ ٣/٤٥٩/ ٤٣٤) والدينوري (٢/ ٢٠٩/٣٣٥) والهروي في ذم الكلام (١٣٩/٥) : **عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ** : مَنْ أَصْغَى بِسَمْعِهِ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةَ وَوُكِّلَ إِلَى نَفْسِهِ

(**قلت**) وقد روي مرفوعا : أبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٧) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٦/١٨٨) عن معاذ بن جبل ولا يصح .

وَفِيمَا كَتَبَ بِهِ أَسَدُ بْنُ مُوسَى : وَإِيَّاكَ أن يكون لك من أهل الْبِدَعِ أَخٌ أَوْ جَلِيسٌ أَوْ صَاحِبٌ ، فَإِنَّهُ جَاءَ الْأَثَرُ مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ منه العصمة، ووكل إلى نفسه . [رواه ابن وضاح (٣٤ - ٣٨) والاعتصام (١/ ٤٥ - ٤٦) بنحوه.]

وروى ابن وضاح في البدع (١١٨) قال كَثِيرٍ أَبُو سَعِيدٍ : مَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ ، وَوُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ»

وروى ابن وضاح (١٢٤) قَالَ إِبْرَاهِيمُ : « لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْبِدَعِ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَرْتَدَّ قُلُوبُكُمْ »

وشرح كل هذه الآثار سفيان الثوري بكلام من ذهب **كما روى ابن وضاح في البدع (١١٦) عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ** : مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِتْنَةً لِغَيْرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ فَيَزِلَّ بِهِ فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ : وَاللَّهِ مَا أُبَالِي مَا تَكَلَّمُوا وَإِنِّي وَاثِقٌ بِنَفْسِي ، فَمَنْ أَمِنَ اللَّهَ عَلَى دِينِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ سَلَبَهُ إِيَّاهُ ."

(**قلت**) ولهذه العلة الشديدة التي يغفل عنها أصحاب الخصومات اليوم خاف السلف جدا من أن يسلب دينهم بلا شعور لأن العصمة بيد الله ، ورويت في هذا آثار مرعبة ، والأصل في ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ ، الْمُتَمَسِّكُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى خَبَطِ الشَّوْكِ أَوْ جَمْرِ الْغَضَى .

روى ابن المبارك في الزهد (٤/٢) ومن طريقه ابن أبي الدنيا في العزلة (٢٨) وابن عساكر (٤٦٢/٢٢) عن بكر بن سوادة قال : كان رجل يعتزل الناس أينما كان يكون وحده فجاء أبو الدرداء فقال : أنشدك الله تعالى ما يحملك على أن تعتزل

الناس؟ قال: إني أخشى أن أسلب ديني وأنا لا أشعر، قال: أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف؟ فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال: فحدثت بذلك رجلاً من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن سمط ، يعني من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى ابن المبارك في الزهد (١/٥٤١) فعبد الله في السنة (٧٢٩) واللالكائي (٦/١٠٢٠) والعدني في كتاب الإيمان (ص١٠٨) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٥٤) والبيهقي في الشعب (٨٣٢) عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا الْإِيمَانُ إِلَّا كَقَمِيصِ أَحَدِكُمْ يَخْلَعُهُ مَرَّةً وَيَلْبَسُهُ أُخْرَى وَاللَّهِ مَا آمَنَ عَبْدٌ عَلَى إِيمَانِهِ إِلَّا سُلِبَهُ فَوَجَدَ فَقْدَهُ » .

وجاء في القدر للفريابي (٧٠) والسنة للخلال (١١٠٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٦٠) عن الحارث بن معاوية قال : إني لجالس في حلقة وفيها أبو الدرداء وهو يومئذ يحذرنا الدجال فقلت : والله لغير الدجال أخوف على نفسي من الدجال ، قال : وما الذي أخوف في نفسك من الدجال: قلت: إني أخاف أن يسلب مني إيماني ولا أدري ، قال : لله أمك يا ابن الكندية أترى في الناس مائة يتخوفون مثل ما تتخوف ؟ لله أمك يا ابن الكندية أترى في الناس خمسين يتخوفون مثل الذي تتخوف؟ لله أمك يا ابن الكندية أترى في الناس عشرة يتخوفون مثل ما تتخوف؟ لله أمك يا ابن الكندية أترى في الناس ثلاثة يتخوفون مثل ما تتخوف ؟ والله **ما أمن رجل قط أن يسلب إيمانه إلا سلبه وما سلبه فوجد فقده.**

وفي كتاب قوت القلوب (١/٣٨٨) قال : وروينا عن زهير بن نعيم الباني قال : ما أكبر همي ذنوبي ، إنما أخاف ما هو أعظم عليّ من الذنوب وهو أن أسلب التوحيد، وأموت على غيره .

وروى البيهقي في الشعب (٨٣٩) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٧٧٩) والمجروحين لابن حبّان (٢/١٦٧) وتاريخ الإسلام (٥/١٩٥) عن مجيب بْنَ مُوسَى الأصبهاني يَقُولُ : كُنْتُ عَدِيلَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ إِلَى مَكَّةَ فَرَأَيْتُهُ يُكْثِرُ الْبُكَاءَ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ، بُكَاؤُكَ هَذَا خَوْفًا مِنَ الذُّنُوبِ ؟ قَالَ : فَأَخَذَ عُودًا مِنَ الْمَحْلِ فَرَمَى بِهِ فَقَالَ : إِنَّ ذُنُوبِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ هَذَا وَلَكِنِّي أَخَافُ أَنْ أُسْلَبَ التَّوْحِيدَ ."

وروى الفريابي في القدر (٦٩) عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ مَنْزِلَهُ بِحِمْصَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهِ فَلَمَّا جَلَسَ يَتَشَهَّدُ فَجَعَلَ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النِّفَاقِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ لَهُ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ مَا أَنْتَ وَالنِّفَاقَ ؟ مَا شَأْنُكَ وَمَا شَأْنُ النِّفَاقِ ؟ فَقَالَ : اللَّهُمَّ غَفْرًا ثَلَاثًا ، لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ مَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ ، وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيُفْتَنُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَيَنْقَلِبُ عَنْ دِينِهِ .

وفي لفظ آخر ذكره الفريابي قال : دَعْنَا عَنْكَ فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَقَلَّبُ عَنْ دِينِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فَيُخْلَعُ مِنْهُ .

وروى الفريابي في القدر (٧١) عن أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ يَقُولُ : لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الرَّجُلِ أَحَايِينُ وَمَا فِي جِلْدِهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ مِنْ نِفَاقٍ ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَيْهِ أَحَايِينُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مَوْضِعُ إِبْرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ .

وروى الفريابي (٧٤) عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ : مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ بَشَرٍ لَا يَخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَّا ذَهَبَ .

وروى الفريابي في القدر (٨١) عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ زِيَادٍ قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَحْلِفُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا مَضَى مُؤْمِنٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ مُشْفِقٌ وَلَا مَضَى مُنَافِقٌ قَطُّ وَلَا بَقِيَ إِلَّا هُوَ مِنَ النِّفَاقِ آمِنٌ قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ لَمْ يَخَفِ النِّفَاقَ فَهُوَ مُنَافِقٌ .

وروى الفريابي (٨٣) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَخْوَفَ عَلَى مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ {**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ**} [البقرة: ٨] .

وروى الفريابي (٨٨) عن عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ يَقُولُ : أَبْعَدُ النَّاسِ مِنَ النِّفَاقِ وَأَشَدُّهُمْ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُ الَّذِي لَا يَرَى أَنَّهُ يُنَجِّيهِ مِنْهُ شَيْءٌ وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ الَّذِي إِذَا زُكِّيَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ارْتَاحَ قَلْبُهُ وَقَبِلَهُ قَالَ : وَقَالَ : وَإِذَا زُكِّيتَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ فَقُلِ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ وَلَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وروى الفريابي (١٠٧) عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَيِّتَ قَدْ مَاتَ عَلَى حَالٍ صَالِحَةٍ قَالَ : هَنِيئًا لَهُ لَيْتَنِي بِذَلِكَ فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: لِمَ تَقُولُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ يَا حَمْقَاءُ أَنَّ الرَّجُلَ يُصْبِحُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي مُنَافِقًا ؟ قَالَتْ: وَكَيْفَ ؟ قَالَ : **يُسْلَبُ إِيمَانَهُ وَلَا يَشْعُرُ** لَأَنَا لِهَذَا بِالْمَوْتِ أَغْبَطُ مِنِّي لِهَذَا بِالْبَقَاءِ فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ .

(**قلت**) فإن قلت كيف النجاة من هذه الدواهي ؟ أقول ينجو بإذن بشئين : وهما العلم والدعاء :

فأم العلم فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا إِلَّا **مَنْ حَشَاهُ اللَّهُ بِعِلْمٍ** »

وأما الدعاء عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ، قَالَ: « **يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا دُعَاءَ الْغَرِيقِ** » [صحيح : رواه ابن أبي شيبة (٣٧١٤٥) والحاكم (١٨٦٩) والحلية (٢٧٤/١) والشعب (١٠٧٨)] .

وروى ابن أبي شيبة (٣٧٧٤٩) عن أبي هريرة قال : تَكُونُ فِتْنَةٌ لَا يُنْجِي مِنْهَا إِلَّا دُعَاءٌ كَدُعَاءِ الْغَرِيق »

وروى أبو نعيم في الحلية (١٥١/٣) والأصبهاني في السير (٩٢٨/١) عن مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يَقُولُ : « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَخْلُصُ فِيهِ إِلَّا مَنْ دَعَا كَدُعَاءِ الْغَرِيقِ »

قال أبو بكر الفرغاني : صِدْقُ اللَّجْإِ : تَكُونُ مِثْلَ الْغَرِيقِ فِي لُجِّ الْبَحْرِ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ تَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا مَلْجَأٌ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ." [تاريخ دمشق (١٢١/٥٢) والعدة للكرب والشدة للضياء المقدسي (ص١٠٠)]

وقال الثوري في رسالته لعباد بن عباد : قد كدر هذا الزمان ، أنه ليشتبه الحق والباطل، ولا ينجو من شره إلا من دعا بدعاء الغريق . [ذكرها ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٨٧/١)]

وقال داود بن أبي هند : أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران : لا تجالس أهل البدع ، فإن جالستهم ، فحاك في صدرك شيء مما يقولون ، أكببتك في نار جهنم (١).

وقال الفضيل بن عياض : من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة (٢).

---

(١) لم أجده من قول ابن أبي هند ، إنما وجدته مروي عن ثلاثة : **عطاء ، ومحمد بن مسلم ، وخصيف الجزري** :

روى ابن وضاح في البدع (١٢٥) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ : « لَا تُجَالِسْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ فَتَسْمَعَ مِنْهُمْ كَلِمَةً فَتُرْدِيَكَ ، فَتُضِلَّكَ ، فَتُدْخِلَكَ النَّارَ»

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٦٠) والشريعة للآجري (١٢٢) عن خُصَيْفًا الْجَزَرِيَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنَّ فِي ، التَّوْرَاةِ مَكْتُوبًا : يَا مُوسَى لَا تُجَالِسْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ ، فَيُمْرِضُوا عَلَيْكَ قَلْبَكَ بِمَا يُرْدِيكَ ، فَيُدْخِلَكَ النَّارَ .

وروى ابن بطة (٣٥٨) عَنْ عَطَاءٍ قَالَ : أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تُجَالِسْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ فَإِنَّهُمْ يُحْدِثُونَ فِي قَلْبِكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ. **وقد مضى ما قَالَه أَبُو قِلَابَةَ** : لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ .

وروى أحمد في الزهد (٥٤٣) عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ قَالَ : قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ ، جَالِسِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَإِنَّكَ تُصِيبُ مِنْ مَحَاسِنِهِمْ خَيْرًا وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ ، فَتُصِيبَكَ مَعَهُمْ، يَا بُنَيَّ، لَا تُجَالِسِ الْأَشْرَارَ ، فَإِنَّكَ لَا تُصِيبُ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ خَيْرًا ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي آخِرِ ذَلِكَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةٌ ، فَتُصِيبَكَ مَعَهُمْ "

وروى أحمد في الزهد (٤٣٧) وابن بطة في الكبرى (٣٦١) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ قَالَ: " أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ : كُنْ يَقْظَانًا ، مُرْتَادًا لِنَفْسِكَ أَخْدَانًا فَكُلُّ خِدْنٍ لَا يُوَاتِيكَ عَلَى مَسَرَّتِي، فَهُوَ لَكَ عَدُوٌّ، وَهُوَ يُقَسِّي قَلْبَكَ .

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٦٦) عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ قَالَ : كَانَ يُقَالُ : لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ زَيْغٍ ، فَيُزِيغَ قَلْبَكَ .

وروى ابن بطة ٣٧٥) قَالَ إِبْرَاهِيمُ النخعي : لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ ، فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ تَذْهَبُ بِنُورِ الْإِيمَانِ مِنَ الْقُلُوبِ ، وَتُسْلِبُ مَحَاسِنَ الْوُجُوهِ وَتُورِثُ الْبِغْضَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣) واللالكائي في السنة (٢٦٣ ، ١١٤٩) وابن بطة في الإبانة (٤٤١) والبيهقي في الشعب (٩٠٣٧) والأصبهاني في السير (١٠٣٤/١) وله تتمة عند أبي نعيم فيها فوائد قال : لَأَنْ آكُلَ عِنْدَ الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آكُلَ عِنْدَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَإِنِّي إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَهُمَا لَا يُقْتَدَى بِي وَإِذَا أَكَلْتُ عِنْدَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ اقْتَدَى بِي النَّاسُ أُحِبُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ ، وَعَمَلٌ قَلِيلٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ عَمِلِ صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَمَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ وَمَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ فَاحْذَرْهُ ، وَصَاحِبُ بِدْعَةٍ لَا تَأْمَنْهُ عَلَى دِينِكَ وَلَا تُشَاوِرْهُ فِي أَمْرِكَ وَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِ فَمَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ وَرَّثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْعَمَى وَإِذَا عَلِمَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ رَجَوْتُ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ فَإِنِّي أَرْجُو لَهُ لِأَنَّ صَاحِبَ السُّنَّةِ يَعْرِضُ كُلَّ خَيْرٍ وَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يَرْتَفِعُ لَهُ إِلَى اللهِ عَمَلٍ ، وَإِنْ كَثُرَ عَمَلُهُ »

وقال الفضيل بن عياض : لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة (١)

وقال الفضيل بن عياض : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه (٢).

وقال الفضيل بن عياض : من جلس مع صاحب بدعة ، ورثه العمى (٣).

وقال الفضيل بن عياض : إذا رأيت صاحب بدعة في طريق فجز في طريق غيره(٤).

وقال الفضيل بن عياض : من عظم صاحب بدعة ، فقد أعان على هدم الإسلام (٥)

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢٦٢) وابن بطة في الإبانة (٤٤١) وصدق لقوله تعالى (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [المائدة]

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٤٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣) والهروي في ذم الكلام (٩٣٣) والأربعين لأبي الفتوح الطائي (ص١٣٣) وتلبيس إبليس (ص.٢٣) وجمع الجيوش والدساكر لابن عبد الهادي (٤٤) وفي السير (٧/٤٠٢) زيادة فيها تتمة : قال : ... لاَ يَرْتَفِعُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ إِلَى اللهِ عَمَلٌ ، نَظَرُ المؤْمِنِ إِلَى المؤْمِنِ يَجْلُو القَلْبَ وَنَظَرُ الرَّجُلِ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ يُورِثُ العَمَى مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الحِكْمَةَ .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٠٣) والطيوريات (٢٨٠) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٦٤) وابن بطة في الإبانة (٤٣٧).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣) وابن بطة (٤٩٣) وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص١٦)

وروى الفريابي في القدر (٣٧٢) وابن وضاح في البدع (ص٥٥) وغيرهم عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ : إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ ، فَخُذْ فِي غَيْرِهُ . **قال الآجري** : قَوْلِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَأَمْثَالِهِمْ، وَالشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَيُنْبَذُ مَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا نُنَاظِرُ، وَلَا نُجَادِلُ وَلَا نُخَاصِمُ، وَإِذَا لَقِيَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ أَخَذَ فِي غَيْرِهِ ، وَإِنْ حَضَرَ مَجْلِسًا هُوَ فِيهِ قَامَ عَنْهُ هَكَذَا أَدَّبَنَا مَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِنَا .

(٥) وهذه العبارة قالها غير واحد منهم :

أبو إسحاق السبيعي كما عند الفريابي في القدر (٣٨١) والآجري في الشريعة (٣/ ٢٠٩٧/٥٧٧)

والأوزاعي كما عند الهروي في ذم الكلام (٥/١٣١)

ومحمد بن ميسرة عند اللالكائي (١/ ٢٧٣/١٥٧) وأبي شامة في الباعث (ص١٧)

ومحمد بن مسلم وابن عيينة وأَبُو حَنِيفَةَ الْيَمَامِيُّ وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ عند الهروي أيضا (٥/١٣٦)

وأحمد بن حنبل كما في طبقات الحنابلة (١/ ٥٤) والسير (١٢/ ٤٨٥) بل قد روي مرفوعا لكنه لا يصح .

ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن زوج كريمته مبتدع فقد قطع رحمها ، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع(١).

وقال الفضيل بن عياض : آكل مع يهودي ونصراني ، ولا آكل مع مبتدع ، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد(٢) .

وقال الفضيل بن عياض : إذا علم الله عز وجل من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة غفر له وإن قل عمله (٣) ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقا (٤) .

ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيمانا ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة. فلا تكن تحب صاحب بدعة في الله أبدا (٥) .

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣) وابن حبان في الثقات (٨/١٦٦) وابن شاهين في الضعفاء (١/١٢٦) والدارقطني في المؤتلف والمختلف (٢/٨٨٥) وتلبيس إبليس (ص.٢٣ – ٢٤) وأبو طاهر السلفي في الطيوريات (٢٩٢) وطرفه الأخير في أصول الاعتقاد (٤/ ١٣٥٨/٨٠٩) وطبقات الحنابلة (٢/ ٤٣) والأربعين للطوسي (ص١٣٣)

وفي تزويج الفاسق أيضا روى البخاري في التاريخ الكبير (٣/١٩٩) والعقيلي في الضعفاء (٣/٢٤٦) وابن حبان في الثقات (٨/٢٣٠) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/٣١٤) عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : « **مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ فَاسِقٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا** »

(٢) الحلية (٨/ ١٠٣) والإبانة (٢/ ٣/٤٦٨/ ٤٧٠) وأصول الاعتقاد (٤/ ١١٤٩/٧٠٦) وشذرات الذهب (٤/١٦٢)

(٣) الحلية (٨/ ١٠٣ – ١٠٤) وأصول الاعتقاد (٢٧٢) والسِلفي في منتخب الطيوريات (٤٣٨) وتلبيس إبليس (ص١٥)

(٤) الحلية (٨/١٠٤) والإبانة الكبرى (٤٢٩) وشرح أصول الاعتقاد (١/ ٢٦٦/١٥٦) ولفظه بتمامه : الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ سُنَّةٍ يُمَالِئُ صَاحِبَ بِدْعَةٍ إِلَّا مِنَ النِّفَاقِ »

(٥) لم أجده من كلام الفضيل ، إنما روي هذا الكلام في حَدِيث ابن عمر مرفوعا « **من انتهر صَاحب بِدعَة مَلأ الله قلبه أمنا وإيمانا وَمن أهان صَاحب بِدعَة أَمنه الله يَوْم الْفَزع الْأَكْبَر وَمن ألان لَهُ وأكرمه أَو لَقِيه ببشر فقد استخف بِمَا أنزل الله عَلَى مُحَمَّد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم** » [رواه ابو الفضل البغدادي في حديث الزهري (١٤٧) وأَبُو نعيم فِي الْحِلْية (٨/٢٠٠) والخطيب فى تاريخه (١٠/٢٦٤) الشهاب في مسنده (٥٣٧) وأبو نصر السجزى فى الإبانة كما فى اللآلئ (١/ ٢٥١ –٢٥٢) وابن عساكر في تاريخه (٥٤/١٩٩) وذكره الديلمي في الفردوس (٥٧٧٩) وسنده منكر لا يصح .

قال أبو نعيم : غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ نَافِعٍ)

وقال السجزي : " هذا حديث غريب المتن والإسناد ."

وقال ذاك الخطيب : " تفرد برواية هذا الحديث الحسين بن خالد وهو أبو الجنيد وغيره أوثق منه "

وقال ذاك العراقي : روا ابو نعيم في الحلية والهروي فِي ذمّ الْكَلَام من حَدِيث ابْن عمر بِسَنَد ضَعِيف.]

(قلت) هذا كل ما سرده المؤلف عن الفضيل في ذم البدع وأهلها ، وفي نظري لم أجد من ذم البدع وحرَّر شؤمها ، وما تؤول إليه من فساد وضرر ، ومن بغض إلينا البدع وأصحابها ، في التابعين مثل الفضيل رحمه الله ، وحريٌّ أن يجمع كلامه في جزء خاص ولعل الله ييسر لي ذلك بحوله وقوته ، وقد وصف الفضيل البدع وأهلها بأوصاف خطيرة ، يفر منها السني فراره من الموت بل أشد ، وإليك ملخص ما جاء على لسانه :

بالنسبة للأضرار والمفاسد :

- أن مخالطة البدع وأهلها تجلب : اللعنة والمقت والسخط من الله ـ أنها تعين على هدم الإسلام ـ أن ذلك يورث العمى ـ أنها تسلب الحكمة ـ أنها من النفاق ـ أنها غش للإسلام والمسلمين ـ أنها قطيعة رحم ـ أنها ترفع الحرمة ـ أنها توجب البراءة والعداوة ـ حبوط العمل ـ خروج الإيمان من القلب ـ عدم قبول الأعمال وإن كثر ـ ضعف الإيمان وزواله ـ ظلمة الوجه ـ القدوة السيئة ـ القدح في العدالة والثقة ـ الحجاب والبراءة من الله ـ الصدود عن الحق ـ الخوض في آيات الله ـ نزول البلاء .

والعلاج والحل :

البغض والعداوة ـ المجانبة والهجر والتحصن ـ العبوس والإنتهار ـ الإعراض والإهانة ـ غض البصر وتغيير الطريق ـ النهي والتحذير .

والنتيجة والثمرة :

امتلاء القلب بالإيمان ـ مغفرة الذنوب ـ الأمن من الفزع الأكبر ـ الرفعة في الجنة ـ وجلاء القلب وبهجة الوجه ـ قبول العمل القليل ونفعه ـ مجلبة للخيرات ـ التوفيق للعمل الصالح ـ

[كل هذا جاء مرويا عن الفضيل فيما ورد عنه من آثار جعلتها في فقرات لتكون أوضح في بيان مذهبه في التعامل مع البدع وأهلها ، فرحمه الله من إمام وقدوة ، فقد بلغ ونصح وصدق وبر فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين وأهل السنة خيرا]

وبهذا نكون قد أتممنا هذا المستخرج على كتاب شرح السنة للبربهاري ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فاللهم اجعله خاصا لوجهك الكريم ، وانفع به أخواننا أهل السنة الموحدين آمين .

تم التعليق عليه يوم : ١٤٣٩/١٢/١٤ الموافق لـ : يوم السبت ٢٥ أوت ٢٠١٨ م

[فهرسة الموضوعات]

الموضوع	الصحفة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
فضل العرب وبني هاشم وأهل البيت والأنصار	٢٣٦
بيان وجوه تكفير الجهمية ونواقضها ومقالاتها السبعين	٢٣٧ ، ٢٤٠
بيان حكم اللفظية والواقفة	٢٣٩
أثر علي لكميل بن زياد	٢٤٥
مسألة إيمان المقلد	٢٤٧
وصف علماء السوء	٢٤٨
وصف الفرقة الناجية وهم أهل الحديث والأثر	٢٥٠
حقيقة العلم وأنه ليس بالكثرة	٢٥٢
جواز وصف الظالم بأكثر مما هو فيه تنفيرا منه	٢٥٧
أصول البدع أربعة	٢٥٨ ، ٣٦٦
سبب نشوء البدع	٢٥٩
بيان المؤلف لمصادره في كتابه وإلزامه بما فيه	٢٦٢ ، ٣٨١
عظم أجر هداية الناس للسنة	٢٦٢
متى يكون الرجل على السنة	٢٦٤ ، ٣٦٦
لزوم البيت عند الفتن وذم العصبية	٢٦٦

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة